المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا
قسم العقيدة

ابن أبي زيد القيرواني ، عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع

رساله مقدمة

لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد :

الطالب / محي الدين سليمان إمام مديلي

إشراف :

الأستاذ الدكتور / محمد حسان كُسبه

ا لمد الأول

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م

ملخص الرسالة

ابن ابي زيد القيرواني ، عالم القيروان منشأً ، ومولداً ، ومدفناً .ولد سنة ٣١٠هـ وتوفي سنة ٣٨٦هـ ، وكان مشتهراً في العالم الإسلامي بفقهه وسلامة معتقداته غير أن عقيدته لم تنل حظها من المعرفة، والشهرة، والكتابة عنها ، وعندئذ قررت القيام ذه الدراسة لبيان آرائه الإعتقادية ومكانته بين أهل السنة والجماعة على قدر الوسع .

والأطروحة مكونة من **أربعة أبواب** وكل باب فيه فصول ومباحث . أما **الباب الأول**: ففيه ستة فصول ، وتحدثت فيه عن شخصية الشيخ ابن ابي زيد ، وعن بيئته التي عاش فيها، وعصره وطلبه العلم ، وأبرز شيوخه وتلامذته ، وعن أسلوبه في التدريس ومنهجه فيه ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه ، ووفاته ورثاء العلماء له . وأما **الباب الثاني**: ففيه ستة فصول تحدثت فيه عن معتقدات الشيخ ابن ابي زيد مبيناً رأيه في أسماء الله تعالى وصفاته ، ورؤية الله تعالى وأن القرآن كلام الله غير مخلوق والإيمان وعلاقة العمل به، ونواقضه ، والقضاء والقدر ، واليوم الآخر وما فيه

وأما **الباب الثالث**: فقد تحدثت فيه عن موقف الشيخ من الفرق واقتصرت على ذكر فرقتين لوجودهما في المغرب العربي في عصر ابن ابي زيد . وفي هذا **الباب فصلان** ، **الفصل الأول**: ضمنته سبعة مباحث، وتحدثت عن موقفه من الخوارج ،وإبطاله لرأي الخوارج في نفي رؤية الله يوم القيامة ، وإبطاله تكفيرهم مرتكب الكبيرة ، وإبطاله قولهم ببطلان الشفاعة لأصحاب الكبائر ، ورده على موقف الخوارج من الصحابة ، ورده على الخوارج في جواز الخروج على أئمة الجور .

والفصل الثاني ضمنته سبعة مباحث: تحدثت فيه عن موقفه من الشيعة الإسماعلية، وتكلمت عن اهتمامه بدراسة أصول الشيعة الإسماعيلية، وإبطاله إياها ، وتفنيده آراءهم في الإمامة والأئمة وفي التقية ، وعدم المسح على الخفين ، ونكاح المتعة عند الشيعة وحكمه على آراء الشيعة .

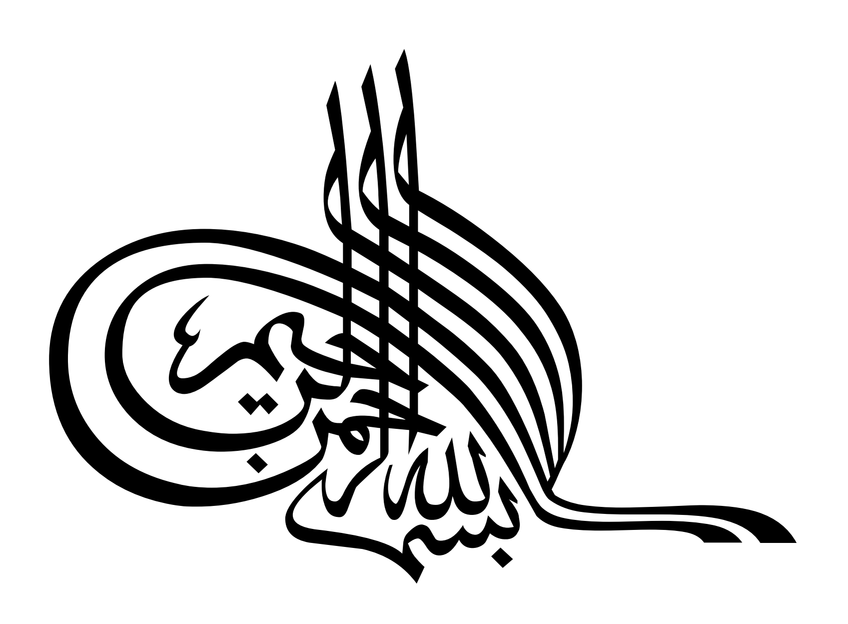
الباب الرابع ، تحدثت فيه عن البدع وأقسامها عند الشيخ وحكمها في نظره ودعوته لمقاطعة المبتدعين مع حكمه عليهم وفيه **ثلاثة فصول**: **الفصل الأول** ، تحدثت فيه عن مقاومة الشيخ للبدع في العبادات ، **والفصل الثاني:** ذكرت مقاومته للبدع في العادات ، والرقى ، والتمائم ، والطيرة ، والتولة.

الفصل الثالث : فصلت القول في موقفه من الصوفية وفيه تمهيد عن التصوف في عصر ابن ابي زيد، وموقفه من كرامات الأولياء ، ورده على ادعاء الصوفية رؤية الله يقيناً في الدنيا ،وموقف ابن ابي زيد مناوئاً لما انتهى اليه المتصوفة وإنكاره عليهم لتوكلهم دون أخذهم بالأسباب .

وفي ختام الرسالة بينت بعض أهم نتائج البحث منها : يرى الشيخ ابن ابي زيد أن القول في الصفات كالقول في الذات ، وأن الله مستوٍ على عرشه بذاته ، وأثبت الشيخ جميع الصفات الخبرية وأنه لم يؤول صفات الأفعال كاا ول وا ئ والإتيان كما أن الشيخ اثبت رؤية الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة بأبصارهم، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته ومع ذلك لم يخرج عن الملّة وأن عذاب القبر ونعيمه حقيقيان لا معنويان ينالان الجسد والروح معاً وكذلك نعيم الجنة بالروح والجسد وأننا يجب أن نحسن الظن بالصحابة وأ م مجتهدون فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر .وفي آرائه عدم الخروج على الحكام الظلمة وإن جاروا ، ويرى نصحهم بقدر الإمكان .

_ جواز الرقية بشروطها المعتبرة بأن تكون على ضوء ما ورد في الكتاب والسنة .

- وللشيخ روايتان في تعليق التمائم ، الأولى تنص على الجواز بتعلق آيات قرآنية تبركاً . والرواية الثانية: بالمنع موافقاً جمهور أهل العلم وذلك لتظاهر الأدلة حيث أن القول بتعليق القرآن متردد بين الجواز والتحريم وما كان كذلك فالأولى اجتنابه درءاً للمفسدة وخاصةً في عصرنا الذي شاعت فيه البدع . وقد وجدنا أن الشيخ يعّبِر ببعض الألفاظ التي لم يستخدمها السلف والواقع أ ا من تعبيرات الصوفية كتعبيره (بالفناء) ويراد به تلاشي الروح بالكلية من الجسد وعدم وجودها فيه . كما يستخدم أحياناً بِعض ألفاظ في غير وجهها المشروع مجاراةً لاستخدامات شائعة لدى المغاربة كلفظ منسوباً للأشخاص


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على من لانبي بعده .

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}[١].

{ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا }[٢] .

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما }[٣] .

أما بعد :

فمن نعمة الله على هذه الأمة أن أرسل إليها النبي ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأنزل عليه الكتاب الكريم الهادي إلى الصراط المستقيم، وأكمل الله - عزوجل - لهذه الأمة دينها ولم يقبض نبيه إليه إلا بعد أن بلّغ البلاغ المبين . قال تعالى : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا }[٤] . ولقد تركهم ﷺ على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها إلا هالك .

وسار صحابته من بعده على سنته ، ولم يحدث الخلاف في مسائل العقيدة إلا بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، فتسارعت الأحداث تترى ، فظهرت الخوارج بعد قبول علي - رضي الله عنه - التحكيم ، ثـم ظهـرت

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٢ .

(٢) النساء الآية : ١ .

(٣) الأحزاب الآية : ٧٠ - ٧١ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٣ .

الشيعـة

الذيـ ـ ـن يدعـ ـ ـون زوراً و بتانـ ـا محبة آل البيت ، ثم ظهرت القدرية فقالت إن الأمر أُنف ، ثم ظهرت المرجئة القائلون أنه لايضر مع الإيمان معصية ، كمالا ينفع مع الكفر طاعة .

ومن ثم بدأ االانحراف في مسائل الاعتقاد بسبب تعدد الفرق مما اضطر علماءَ الأمة إلى إبرازها في الكتاب والسنة لبيان العقيدة الصحيحة والرد على أهل البدع والأهواء ، فألفوا الكتب والمقالات في ذلك ، وأظهروا ماكان عليه السلف الصالح من التسليم والانقياد والانصياع لأمر الله .

وكان من ضمن هؤلاء الجهابذة العلماء الشيخ أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي زيد القيرواني المالكي (ت٣٦٨هـ) . حيث إن كتبه وأقواله مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ باعتبارهما الأساسين المعول عليهما في بيان أصول العقيدة الصحيحة .

ولما كان ابن أبي زيد - رحمه الله - مشتهرا في العالم الإسلامي بفقهه ولم تنل عقيدته حقها من المعرفة والشهرة والكتابة عنها رغم أهميتها ومكانة صاحبها فإني رأيت من اللازم تناول هذا الجانب أعني - عقيدة ابن أبي زيد - وإيضاحها وتقييمها من جهة القرب أو البعد من عقيدة السلف.

يحدث أن يتأثر الانسان مثلا في حياته بشخصية معينة لها مكانتها المتميزة في حب العقيدة السلفية أو الفقه والأدب كما أخبرنا التاريخ عن ابن أبي زيد - رحمه الله - الذي جمع بين كل ماتقدم .

ولما كنت صغيرا كان والدي - رحمه الله تعالى - يذكر مترجمنا بخير . وكان يدرس للناس كتبه مثل - الرسالة - التى طليعتها عقيدة أهل السنة والجماعة .

وبتقدمي في السن والدراسة إزدادت عندي الرغبة من أجل مزيد معرفة بأبي محمد ابن أبي زيد الفقيه السلفي العقيدة حيث ترجح عندي أن دراسة الآراء الاعتقادية للأعلام من أعظم الوسائل لإثراء الباحث علميا ، وقد لمس أحد

شيوخي - الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد - في هذه الرغبة فأشار علي بالتفرغ لابن أبي زيد القيرواني ، والانفراد به لما له من دور هام في المحافظة على الشعائر السنية للمجتمع القيرواني وحمايته من الهجمة الرافضية وإقراره المذهب السني والدعوة إليه ، والدفاع عنه في مواجهة كثير من العلماء الذين اختلفت مشاربهم وأعلنوا معاداةَ السلفية ، وهذا الذي نشطني للانكباب على هذا البحث كي أتمكن من إظهار موقفه من عقيدة السلف الصالح مما قد يخفي عن كثير من علماء المالكية . ولا أدعي أنى أول من حاول هذه المحاولة ، فقد ترجم له المؤرخون وتحدث عنه الباحثون غير أن الجانب الاعتقادي من حياته لم ينل حظّه من الدراسة والتحقيق سواء من الكُتاب القدامى أو المعاصرين .

سبب اختياري الموضوع :

عندئذ قررت القيام ذه الدراسة لبيان آرائه الاعتقادية ومعرفة قر ا أو بعدها عن عقيدة أهل السنة والجماعة على قدر الوسع وتوافر المراجع ، وقمت بوضع خطة البحث وتقدمت ا لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدعوة وأصول الدين - قسم العقيدة - بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة . ومع ذلك فقد أخذتني الرهبة وتملكتني الخشية من الدخول في حياة شيخ المالكية . فإنه أديب وشاعر وفقيه أصولي عالم متبحر في مضمار العقيدة ، ومفسر ومحدث ، له علم بالرواية وإلمام بالدراية ، ولذلك وصف بمالك الصغير ، هذا ما يتعلق بسبب إختياري لهذا الموضوع .

أما المشاكل التي واجهتني في ثَنايا الجمع فتتمثل فيما يلي : -

1) - جمع المعلومات حيث استلزم ذلك السفر إلى تونس والقيروان حيث توجهت إليها وتنقلت بين أرجائها ، ولم أدع مكتبة علمية أمكنني الوقوف عليها إلا نقبت فيها باحثا عن بغيتي وكذلك لم أدع هناك عالما سنيا كان أو غيره أمكنني الاتصال به إلا وقد اتصلت به . واستفدت مما عنده من علم متعلق بالشخصية التي أدرسها ، كما جمعت ما أمكنني الله من جمعه من مراجع تتعلق بابن أبي زيد سواء كانت دوريات أو مجلات أو صحفاً أو محاضرات أو

ندوات أوملتقيات مطبوعةً كانت أو مخطوطةً مصورةً ، .

٢)

كما أنني استعنت بعد الله - عزوجل - ببيت الباحث العربي بالرياض لإحضار المخطوطات النادرة من الأسكوريال ومن مكتبة يني بتركيا وغيرهما من البلدان التي توفرت فيها هذه المصادر .

٢) - ندرة المصادر إذ أن أغلب هذه المصادر التى ألفها ابن أبي زيد القيرواني كما سيأتي ذكرها لم يبق منها إلا الاسم الذي ذكرته كتب التراجم والتاريخ وما ظفرت به منها فقليل جدا ، ولكنها وبحمدالله - عزوجل - متنوعة . فكانت مصادري ما بين إفريقية مغربية وأندلسية وثيقة الصلة في دراستها بابن أبي زيد - فهي مصادر أصيلةٌ كما سوف يتبين من خلال الدراسة وأهل مكة أدرى بشعا ا . غير أني في مصادر دراستي وإن كنت اعتمدت اعتمادا كبيرا على المراجع القديمة . فإني في مراجع دراستي المصادر الحديثة والتى استفدت منها كثيرا في بحثي .

كما أن بعض المخطوطات غير واضحة ويحتاج الطالب إلى من يعينه على قراء ا والتأمل فيها .

منهجي في الرسالة :

١) - الاعتماد على مؤلفات الشيخ في عرض عقيدته أو آرائه .

٢) - الاستفادة من تراجم الشيخ في كتب التاريخ والسير .

٣) - ذكر أقوال السلف من خلال المصادر الأصلية .

٤) - تعريف وترجمة لبعض الأعلام والأمكنة مع مراعاة تاريخ الوفاة .

٥) - ما يتعلق بالنقول التى ترد على لسان ابن أبي زيد أو غيره في ثنايا الرسالة فإني أحرص على بيان نسبتها لأصحا ا وتوثيق ذلك من مصادره الأصلية.

٦) - عزو آي القرآن الكريم ، مع بيان السورة التي وردت فيها .

٧) - الاعتماد في تخريج الأحاديث أولا على ماورد في الصحيحين أو في أحدهما في الاستدلال ثم العودة إلى كتب السنة الأخرى إذا لم أنل مأربي في الصحيحين أو في أحدهما مع بيان درجة الحديث غالبا .

طريقة عرض الرسالة :

١) - تقديم تمهيد موجز في بداية كل مسألة للتعريف ا إن احتاج الأمر إلى ذلك .

٢) - أذكر رأي ابن أبي زيد غالباً في اية الموضوع بعد ذكر أقوال السلف الذين سبقوه ذلك بسبب ارتباط اللاحق بالسابق وإن كان كلامه في المبحث التالي له ارتباط مباشر بالبحث السابق فحينئذ أقدم كلام ابن أبي زيد .

٣) - ثم أعقب غالباً بعد إيراد كلام السلف ورأي ابن أبي زيد في المسألة بتعقيب موجز أبين فيه مدى قربه أو بعده عن معتقد السلف في الموضوع المبحوث فيه .

٤)- الكلام المنقول بنصه أورده بين قوسين صغيرين ومانقل من نصوص قد تصرف فيها فأذكر رقم الإحالة في اية الفقرة مع الإشارة في الهامش بلفظ انظر

وإذا تقارب الكلام والنقول وتواطأت فأكتفي بالنقل من مصدر واحد بين قوسين - كما سبق إليه البيان - ثم أحيل إلى بقية المصادر التي تعرضت للموضوع مبينا موقعها في المرجع .

ثم أُعقب ذلك ببيان الفهارس التي تضمنتها الرسالة وهي كما يلي :

١) - فهرس الآيات القرآنية .

٢) - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

٣) - فهرس الأعلام .

٤) - فهرس الفرق .

٥) - فهرس الموضوعات .

ولما كان عنوان رسالتي هو : (ابن أبي زيد القيرواني ، عقيدته ، وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع) . فقد استوفيت دراسته في خطة تتضمن مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

تضمن كل باب منها عدة فصول بيا ـا كالآتي : -

الباب الأول : حياة الشيخ ابن أبي زيد القيروني

الفصل الأول : عصر ابن أبي زيد وموطنه .

المبحث الأول : الحياة السياسية .

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحياة الاقتصادية .

المبحث الرابع : الحياة الفكرية والعلمية .

الفصل الثاني : نسبه واسمه وأسرته ومولده .

المبحث الأول :نسبه واسمه وأسرته .

المبحث الثاني : مولده .

الفصل الثالث : طلبه العلم وشيوخه . وفيه مبحثان .

المبحث الأول : طلبه العلم .

المبحث الثاني : شيوخه .

الفصل الرابع : توليه التدريس وتلاميذه ومؤلفاته . وفيه خمسة مباحث .

المبحث الأول : مجلسه للتدريس ومنهجه فيه .

المبحث الثاني : أهم تلاميذه .

المبحث الثالث : ثقافته .

المبحث الرابع : مؤلفاته .

الفصل الخامس : شخصيته ومكانته العلمية . وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : شخصيته الأخلاقية والاجتماعية .

المبحث الثاني : شخصيته الدينية .

المبحث الثالث : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

الفصل السادس :

وفاته ورثاء العلماء له .

الباب الثاني : وفيه ستة فصول .عقيدته ، ويتضمن الفصول الآتية .

الفصل الأول : أسماء الله تعالى وصفاته ، السمع ، والبصر ، والعلم ، والكلام، والحياة،والمعية ،وهذه بعض الصفات المعنوية.واليد،والساق والصورة،وهذه بعض الصفات الذاتية.استواء الله، ، إثبات ا ئ والاتيان ، وال ول ،وهذه بعض الصفات الاختياريه ،

الفصل الثاني : رؤية الله تعالى .

الفصل الثالث : القرآن كلام الله غير مخلوق .

الفصل الرابع : الإيمان وعلاقة العمل به ونواقضه .

الفصل الخامس : القضاء والقدر .

الفصل السادس : اليوم الآخر وما فيه .

الباب الثالث :

موقف الشيخ ابن أبي زيد من الفرق . وفيه تمهيد وفصلان .

تمهيد : في حديث الافتراق وموقفه منه وضابط الفرقة الناجية عنده .

واختصرت على فرقتين لوجودهما في المغرب العربي في عصر ابن أبي زيد .

الفصل الأول : موقفه من الخوارج ، وأحوال الخوارج في عصره . وفيه سبعة مباحث .

المبحث الأول : وموقفه من الخوارج .

المبحث الثاني : إبطال ابن أبي زيد لقول الخوارج في نفي رؤية الله يوم القيامة .

المبحث الثالث : إبطال تكفيرهم مرتكب الكبيرة .

المبحث الرابع : إبطاله لإنكارهم الشفاعة لأصحاب الكبائر .

المبحث الخامس : موقف الخوارج من الصحابة ورد ابن أبي زيد عليهم .

المبحث السادس : إبطاله لتأويلا م للقرآن الكريم .

المبحث السابع : إبطاله لآراء الخوارج في جواز الخروج على أئمة الجور .

الفصل الثاني : موقفه من الشيعة الإسماعيلية . وفيه سبعة مباحث .

وفيه تمهيد وسبعة مباحث .

المبحث الأول : الشيعة الإسماعيلية وأحوالهم في عصر ابن أبي زيد .

المبحث الثاني : اهتمامه بدراسة أصول الشيعة الإسماعيلية وآرائهم وأحوالهم.

المبحث الثالث : إبطاله لرأيهم في الإمامة والأئمة .

المبحث الرابع : إبطاله لرأيهم في التقية .

المبحث الخامس : إبطاله لرأيهم في عدم المسح على الخفين .

المبحث السادس : نكاح المتعة عند الشيعة .

المبحث السابع : الحكم على آراء الشيعة .

الباب الرابع :

موقفه من البدع والمبتدعين . وفيه تمهيد وثلاثة فصول والخاتمة وأهم نتائج البحث .

تمهيد : مفهوم البدعة وضابطها عند ابن أبي زيد .

١) - أقسامها عنده .

٢) - حكمها في نظره .

٣) - دعوته لمقاطعة المبتدعين .

٤) - حكمه عليهم .

الفصل الأول : مقاومته للبدع في العبادات .

الفصل الثاني : مقاومته للبدع في العادات ... الرقَى ، والتمائم ، والطيرة ، والتولة.

الفصل الثالث : موقفه من الصوفية .

تمهيد : التصوف في عصر ابن أبي زيد والكرامات .

١) - ادعاء الصوفية رؤية الله يقينا في الدنيا .

٢) - موقف ابن أبي زيد من الذكر الجماعي عند الصوفية .

٣) - إنكاره لتوكلهم وعدم أخذهم بالأسباب .

٤) - الخاتمة : أهم نتائج البحث .

شكر وتقدير

كما أشكر جامعة أم القرى بمكة المكرمة وعلى رأسها معالي مدير الجامعة أ. د. ناصر بن عبدالله الصالح على تسهيل مهماتي للمواصلة . وكذلك أعضاء كلية الدعوة وأصول الدين وأخصهم بالذكر عميد الكلية أ. د. عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي على قبولي في الكلية وكما أشكر رئيس قسم العقيدة أ. د. عبدالعزيز الحميدي .

كما أشكر فضيلة المشرف الوالد الكريم الأستاذ الدكتور محمد حسان كسبه يحفظه الله على تشرفه لاشراف هذه الأطروحة حيث لم يبخل علي بشيء من علوم وكان يرحب بي في بيته ومكتبه في أي ساعة أريد أسأل الله
– رب العرش العظيم – أن يجعل ذلك في موازين حسناته .

وأشكر أصحاب الفضيلة المناقشين لتفضلهما قبول مناقشة هذه الرسالة العلمية وهما أ. د. محمد بن خليفة التميمي – من المدينة المنورة – و أ. د. محمود بن محمد مزروعة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة . اسأل الله لهما الإخلاص والقبول .

كما أشكر أصحاب الفضيلة العلماء الذين لهم أياد بيضاء في مساهمات فعالة لإنجازي هذه الأطروحة كل من ساعدني في السكنى والإنفاق في ثنايا الرسالة اسأل الله عز وجل أن يجزيهم جزاء أوفى .

وأشكر جميع الحاضرين الذين تفضلوا بالحضور إلى هذه المناقشة العلمية من الأساتذة وزملائي الطلبة وأصدقائي وأحبابي ، اسأل الله – عز وجل – أن يوفقهم ويسدد خطاهم إنه سميع مجيب والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه

محي الدين سليمان إمام

الباب الأول : عصر ابن أبي زيد القيرواني

وفيه ستة فصول :

الفصل الأول : البيئة التي عاش فيها ابن أبي زيد وموطنه .

الفصل الثاني : اسمه ونسبه ، وأسرته ، ومولده .

الفصل الثالث : طلبه العلم وشيوخه .

الفصل الرابع : توليه التدريس وتلاميذه ومؤلفاته .

الفصل الخامس : شخصيته ومكانته العلمية .

الفصل السادس : وفاته ورثاء العلماء له .

الفصل الأول :

عصر ابن أبي زيد وموطنه .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الحياة السياسية .

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحياة الاقتصادية .

المبحث الرابع : الحياة الفكرية والعلمية .

بيئة ابن أبي زيد القيرواني :

تمهيد :

إن البيئة التي عاش فيها ابن أبي زيد منذ نعومة أظفاره اشتهرت بالعلم والثقافة والأدب . إضافة إلى اهتمامها بالقرآن الكريم ، عملاً بما جرت به العادة لدى عموم المسلمين ، وأهل القيروان على وجه الخصوص في العصور المتقدمة في ظل الإسلام إذ كانوا يتسابقون في حمل أولادهم إلى الكتاب لتعلم اللغة العربية نطقاً وكتابة ، وحفظ القرآن وما يتيسر من الأحاديث النبوية والأشعار والحكم زيادة على اكتساب المتأكد معرفته بأمور العقيدة و الأحكام والقواعد الفقهيه في مجالي العبادات والمعاملات وعموم مالا يعذر مؤمن بجهله من الدين . ويبدو أن ابن أبي زيد قد أتقن حفظ القرآن من أيام طفولته الأولى ، وألزم نفسه الاعتصام به في مختلف مراحل حياته فكراً وممارسةً عقيدةً وسلوكاً ، كما يتجلى ذلك من خلال ما روى عنه وما ورد في مصنفاته ، حيث كان دائم العودة إليه .

وسيأتي الحديث عن مدينة القيروان ونسبتها وعدد سكا ا ووجه تسميتها بالقيروان وأ ا موقع إشعاع حضاري إسلامي بالمغرب ولقد تعرضت لعمليات ـب قام ا الخوارج في القرن الرابع الهجري لكن سرعان ما استتب الأمر بعد ذلك على يد الأمراء الأغالبه في ا ية القرن الثالث الهجري الثامن الميلادي حيث شيدوا بالمدينة أعظم معالمها التي تعد مفخرة القيروان .

وتضم مدينة القيروان القديمة خمسين مسجداً منها الجامع الكبير الذي شيده

عقبة بن نافع[1] الصحابي الجليل ، وهو أقدم جامع أنشئ هناك ، ومن هنا اشتهر بسيد الجوامع المغربية وخالف الطراز الشرقي التقليدي فأصبح نموذجاً احتذته الجوامع في المغرب والأندلس فيما بعد .

القيروان مدينة تراثيه تستمد بقاءها من ماضيها المشرق وهي موطن العلماء النا ين ورواد النضال الإسلامي ، وغدت مقصداً لرواد العلم الداني منهم والقاصي . وكان العلم ذاخراً بالقيروان يتلقاه علماء عن علماء إلى أن تعاظم شأنه في عصر بني عبيد الشيعة واشتهر من علماء القيروان أبو بكر اللباد[2] ، وأبو الفضل الممسي[3]، وإبراهيم السبائي [4]، وأبو ميسره[5] ، والأصيلي[1] وابن أبي زيد

---

(١) عقبة بن نافع بن عبد القيس لقيط بن عامر بن أمية (الظرب) الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري ولد في عهد الرسول ﷺ لا تصح له صحبة وكان أخ عمرو بن العاص . ولاه عمرو بن العاص إفريقيا لما كان على مصر وقتل عقبةبن نافع سنة ٦٣هـ ،بعدان غزا السوس الأقصى قتله كسيلة بن لمرم.(أسد الغابة في معرفة الصحابة ،لعزالدين بن الأثير جـ٣:(٥٥٦-٥٥٧)،ط.

(٢) ابو بكر اللباد – هو محمد بن أبي بكر بن اللباد بن محمد بن وشاح مولى الأقرع موسى بن نضير ولد سنة ٢٥٠هـ وتوفي يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة ٣٣٣هـ وهو ابن ثلاث وثمانين سنة وهو من شيوخ ابن أبي زيد القيرواني (معالم الإيمان ٢٦/٣)

(٣) أبو الفضل الممسي: هو أبو الفضل عباس بن محمد بن عيسى الممسي نسبة إلى قرية ممس ، عالم من علماء القيروان والزاهد ، أخذ عن موسى القطان وجبلة بن حمود ، وحج سنة ٣١٧ هـ ، حفظ القرآن وعمره خمس عشرة سنة ، وله مؤلفات كثيرة منها : كتاب تحريم الخمر عارض به كتاب الطحأوي وله كتاب في أصول الأعمال ومختصر كتاب الموازية وغيرها . وتوفي سنة ٣٣٣هـ (الديباج ص٢١٧ ، ومعالم الإيمان ٢٧/٣)

(٤) إبراهيم السبائي : هو أبو إسحاق بن أحمد السبائي ،الفقيه ، الزاهد ،قال عنه الدباغ " كان واحد زمانه ورعاً وزهداً وعقلاً ، يوالي في الله ، قوياً في إيمانه جلداً في نفسه نزيه النفس كثير الجد والاجتهاد ، سريع الفهم فيما ظهر من العلم له كرامات كثيره واستجابات وولد سنة ٢٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٣٥٦هـ (معالم الايمان ٦٣/٣ – الديباج ص٨٦)

(٥)أبو ميسرة : هو أبو ميسرة أحمد بن نزار سمع من أحمد بن أبي سليمان وفراث بن محمد وحمد يس القطان وأبي الفضل السوسي وغيرهم وأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم اين أبي زيد القيرواني عرف بتبحره في الفقه وبمجافاته لأهل الأهواء والنحل مع عقيدة راسخة من ذلك . توفي سنة ٣٣٧هـ ، ودفن في باب السلم . (معالم الإيمان جـ٣: ٤١_ ٤٣) .

في حداثة شبابه .

ودونت التواريخ ما تميزت به من أحداث جسام في البيئة القيروانية وذلك في عصر ابن أبي زيد نتيجة لسيطرة العبيديين على إفريقية سيطرة شبه كاملة مكنتهم من نصرة مذهبهم والعمل الدؤوب على استئصال كل من خـالفهم إلى حـد التصفية الجسدية لكل من عاداهم يمثلون به كما حصل لأبي بكر بن الهذيل وابن البرذون اللذان ضربا ضرباً مبرحاً إلى أن ماتا ثم طيف بهما مكشوفين بـالقيروان تجرهما البغال وصلبا نحو ثلاثة أيام ، فضلاً عن سياسة التجويع والعصا الغليظـه المتبعة مع كل من أظهر مجرد تعاطف بسيط مع المالكية وهكذا فقد كان أهـل السنة بإفريقية على امتداد حكم العبيديين في حالة شديده من الإهضام والتـستر بسبب توالي المحن عليهم وانعدام النصير لهم .

إن الخسائر الجسيمة التي شاهدها أهل السنة والجماعة من المالكية إبان حكم العبيديين بسبب ما نفذه هؤلاء من إعدامات لأهل العلم وحفظته من مخالفيهم في العقيدة والمذهب ، كذلك أحمد بن موسى التمار وشقيقه والحسن بـن مفـرج والزاهد محمد الشذوني وذلك سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م بسبب تفضيلهم بعـض الصحابة على علي رضي الله عنه ، وكان من بين الذين ضـربوا مـن طـرف العبيديين بالجامع عرياناً وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه وبـرح عليـه في الأسواق بالقيروان الفقيه الجليل محمد بن العباس الهذلي بسبب ما ادعاه بعـض الشيعة من أنه يطعن في السلطان ويفتي بمذهب مالك . أما قائمة الذين منعوا من العناية ببيوت الله وحرموا من تولي الأذان والإمامة أو التدريس للصبيان والتوجيه الديني والتربية الروحية لعامة المسلمين فطويلة – تعطينا صورة واضحة عن نسبة الخوف والذعر التي كانت تسيطر على العبيديين طيلة تـوليهم لـشدة الحكـم

(٥)الأصيلي : هو محمد عبد الله إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأصيلي أصله من الجزيرة الخضراء وكان جده من مسالمة أهل الذمة ورحل به إلى أصيلا حيث نشأ ويقال إنه ولد بأصيلا دخل قرطبة سنة ٣٤٢هـ . أخذ عن شيخها اللؤلؤي وأبي ابراهيم ز وسمع ابن حزم وابن المشاط والقاضي ابن السليع وأبان بن عيسىبن دينارالأصغر وغيرهم وارتحل إلى المشرق سنة ٣٩٢ هـ (ترتيب المدارك جـ ٤: ٦٤٣والديباج ص ١٣٩)

بإفريقية وهنا عدة صور جد ناصعه من ملاحم النضال وأشكال الجهاد الذي الزم به عموم المالكية أنفسهم في تصديهم لهذا السلطان الجائر[1] .

الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية

مدخل :

إن الجوانب المختلفة للحياة البشرية شديدة الترابط ويؤثر كل منها في غيره ويتأثر به ، ومن هنا كان لزاماً على من يدرس أحد جوانب النشاط الإنساني في بيئة ما أن يمهد له بالحديث عن بقية الجوانب ، وذلك مدخل ضروري حتى يصل الباحث إلى نتائج علمية موثقة مبنيه على دراسة متكاملة .

ومن هذا المنطلق جاء هذا التمهيد عـن الحالـة الـسياسية والاجتماعيـة والاقتصادية والفكرية والعلمية ليتسنى لنا فهم النشاطات الدعويه وا هـودات الفذة التي قام ا العلماء السنيون القيروانيون في الذب عن عقيدة السلف الصالح والدفاع عنها .

إلا أنه ليس من الممكن أن اتطرق إلى جميع الأوضاع وجزئيا ا خلال فتـرة تزيد على أربعة قرون مملوءة بالأحداث كما هي مفصلة ومبينه في كتب التواريخ مثل البداية والنهاية لابن كثير[2] وابن الأثير في الكامل في التاريخ[3] . حيث إن كل جانب منها يمكن أن يكتب فيه موضوع لعدة رسائل علمية ، ولهذا سأركز

---

(١) انظر البيان المغرب ١٨٧/١ – ١٩٠ وملتقى عبدالله بن أبي زيد ص٢٤٩ – ٢٥٠ .
(٢) جـ ١١ : ٢٧١ – ٢٧٤ .
(٣) جـ ٨ : ٦٢٣ – ٦٢٥ .

على ما يحقق الغرض من هذا التمهيد ألا وهو بيان العصر الذي عاش فيه ابن أبي زيد والظروف التي مر ا وكيف تأثر ا دون الإخلال بأساسيات كل وضع.

ومعلوم أن الإشارة إلى اختلافات المؤرخين والتوسع في تحليـل الأحـداث ونقدها ليس من مقاصد هذا التمهيد إلا لضرورة يقتضيها البحـث ، وذلـك حرصاً على الإفادة بأقصر الطرق وتجنب ما لا طائل في إيراده .

حد إفريقية والعلاقة بينها وبين القيروان :

قبل الحديث عن القيروان موطن الشيخ ابن أبي زيد يحسن بنا التطرق إلى حد إفريقية حيث إن مدينة القيروان تقع فيها وباعتبار أن القيروان عاصمة إفريقيـة على حد قول بعض المؤرخين[(١)] .

إفريقية بكسر الهمزه وهو المشهور[(٢)] وقيل بفتحها[(٣)] والنسبة إليها افريقي . وقد اختلف الجغرافيون في تحديد هذه البلاد على أقوال أهمها : ذهب البكري إلى أ ا الأرض الواقعه بين برقة وطنجة[(٤)] وعلى هذا فهي تشمل المغرب والجزائـر وتونس والجزء الأكبر من ليبيا . وقيل هي ما بين برقه وتـاهرت أي الجزائـر وتونس والجزء الأكبر من ليبيا . وقيل حدها من طرابلس إلى بجايـه[(٥)] أي أ ـا تشمل تونس وجزءاً من الجزائروجزءاً من ليبيا[(٦)].

(١) مدرسة الحديث في القيروان للحسين شواط ط : ٣١ .

(٢) معجم البلدان للحموي ط : ٢٢٨ . فتح المغيث ١٤٨/٣ .

(٣) اللباب ٩٧/١ .

(٤) مالك البكري ٢١ ، اللباب ٧٩/١ – دائرة المعارف ٣٣٧/٢ .

(٥) معجم البلدان جـ ١ : ٢٢٨ – دائرة المعارف ٣٣٨/٢ – قادة فتح المغرب جـ ١ : ١٤ .

(٦) كتاب مدرسة الحديث بالقيروان ص ٣١ .

وقيل أ ا بين طرابلس وقسنطينه أي ما يقارب حدود البلاد التونسية حالياً .

وقيل هي مدينة القيروان[1] . ويرجع الاختلاف القديم في تحديـد لفـظ إفريقية وما تشمله من مكان إلى الظروف السياسية حسب نفوذ سلطان صاحب الاقليم وأما في هذا البحث فسيكون المراد بإفريقية ما يعرف الآن بالجمهوريـة التونسية نسبة إلى تونس العاصمة التي تشتمل مدينة القيروان موطن الشيخ ابـن أبي زيد .

التعريف بالقيروان : القيروان في اللغة القافلة وهي فارسية معربة وهـذا بفتح القاف والراء[2] وقد تكلمت به العرب قديماً ، قال امرئ القيس :

وثماره ذات قيروان كأن أسرا ا الرعال

يقال أن القافلة نزلت بذلك المكان ثم بنيت المدينة في موضـعها فـسميت باسمها وهو اسم للجيش أيضاً ، قال ابن القطاع اللغوي :

القيروان – بفتح الراء – الجيش – وبالضم القافله ، ذكره ابن خلكان وذكر ابن ناجي أن من معانيه موضع اجتماع الناس والجيش ، ومحط أثقال الجـيش أو الجيش نفسه . ذكره ابن ناجي عن عقبة بن نافع[3] مما اتفق رأيه ورأي أصحابه ومن معه على ذلك ، وقالوا نريد أن تقر ا من البحر ليجتمع لأهلـها الجهـاد والرباط فقال لهم عقبة رضـي الله عنـه إني أخـاف أن يطرقهـا صـاحب القسطنطينية، فيهلكها صاحب البحر لكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا تقـصر فيه الصلاة فأهلها مرابطون[4] .

---

(١) المؤنس ١١٤ – فتوح البلدان ٢٣٠ – تاريخ بن الفرضي ١١٢/٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ : ٣٨ .

(٣) انظر المعالم جـ ٩/١ .

(٤) المعالم جـ ٩/١ .

وتقع القيروان الآن في الجمهورية التونسية في جنوب غرب العاصمه علـى بعد ١٨٠ كلم ، وقديماً حدها البكري بقوله : « ومدينة القيروان في بساط مـن الأرض مديد من الجنوب منها بحر تونس ، وفي الشرق بحر سوسة ، والمهديـة وفي القبلة بحر صفاقس وقابس وأقر ا منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم، وبينها وبين الجبل مسيرة يوم ، وبينها وبين سواد الزيتون المعـروف بالـساحل مسيرة يوم ، وشرقيها سبخة ملح عظيم »(١) .

ومدينة القيروان كانت ولا زالت آهلة بالسكان .

وعرفت مدينة القيروان بمدينة عقبة حيث اختارها عقبة بن نـافع مكانـا استراتيجيا بعيدا عن الشواطيء التي يهددها البيزنطيون ، وبعيدا عن الجبال الـتي يتربص ا البربر و ا يتحصنون ، وقد أراد عقبة أن تكون قاعدة أعماله الحربية ومخزنا لمؤنه كما أرادها معسكرا لجند الإسلام إلى آخر الزمان ، ومن هنا كانت تسمية القيروان وهي معربة عن كاروان الفارسية وتعنى المعسكر ...(٢) .

ماورد في ذكرها : -

وقد أفاض المؤرخون في الحديث عن القيروان والإشادة بفضلها ومجدها :

قال الدباغ[٣] في معالمه (ت ٦٩٦هـ) : أما القيروان فهي البلـد الأعظـم

(١) من كتاب مدرسة الحديث بالقيروان لحسين شواط ص٤٤ - المغرب من ذكر بلاد إفريقية والمغرب ٢٤ - وانظر حسن البيان ص١٨٦ .

(٢) الدرقاش ص٢١ .

(٣) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسدي واشتهر بالدباغ ،ولد سنة ٦٠٥هـ ،أخذ عن والده وعن عبد الله الحنفي ، وعثمان بن شقرو أبي العباس البطرني ، وقد بلغ عدد شيوخه أكثر من ثمانين شيخاً . وقد ترجم في كتابه " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان " لمن كان في زمنه من الأشياخ وأثنى عليه العبدري في رحلته حين اجتمع به عند دخوله إلى القيروان سنة ٦٨٨هـ ، وقال :لم نجد بالقيروان من يعتبر وجوده عداه ، وأجازه عامه ونعته بالفقيه المحدث المتقن المتفنن ، وكانت وفاته سنة ٦٨٩ هـ . (معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ص١ جـ١ – معجم المؤلفين جـ٢ : ١١٧ – وهدية العارفين : ٥٢٦

والمصر المخصوص في الشرق الأقدم قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب ، وقطرهم الأفخر الذي أصبح لسان الدهر عن فضله يعرب ، وبشرفه يغرب ، قرارة الدين والإيمان والأرض المطهره من رجس الكافرين وعبادة الأوثان ، والبقعـة الـتي تخيروها مقرا للإسلام والمسلمين ، مصرا مؤسساً على التقوى إلى يوم الدين[1] .

قال ابن ناجي[2] إن عقبة بن نافع رحمه الله حين أجمع أهل القيروان عليها كـان معه في عسكره خمسة وعشرون من الصحابة وانه جمعهم مع وجـوه عـسكره وكبار أصحابه فطاف م حول القيروان ، وأقبل يدعو لهـا هـو وأصـحابه ويقولون في دعائهم : « اللهم املأها علماً وفقهاً وعمرها بالمطيعين لك والعابدين واجعلها عزا لدينك وذلاً لمن كفر بك ، وأعز ا الإسلام ، وأمنها من جبـابرة الأرض »[3]

والنسبة إليها « قيروي وقيرواني »[4] وقد تلتبس النسبة الأولى على بعض أهل الشرق بتسمية جامع القرويين في مدينة فاس بالمغرب الأقصى فليعلم إن أصـل هذه التسمية راجع إلى مدينة القيروان التي معنا ، فإن نحو خمسمائة عائلة من أهل القيروان قد رحلوا منها إلىالمغرب الأقصىفي عهد إدريس الثاني١٨٧- ٢١٣ هـ وسكنوا في منطقة سميت عدوة القرويين التي كانت تمثل نصف مدينة فاس ويقابلها عدوة الأندلسيين وكان ضمن الوافدين أميرة فاضلة من آل عقبة بن نافع الفهري قامت ببناء جامع مدينة فاس وهو الذي عرف بجامع القرويين ثم تحـول

---

(١) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان جـ ٦/١ - ٧ .

(٢) ابن ناجي :-أبوالفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني ، ولد بالقيروان ، وقرأ القرآن على الفقيه أبي محمد عبد السلام الصفاقصي وعلى عمه خليفة بن ناجي أخذ العلم عن الشبيبي والبرزالي ومحمد بن قليل الهم ومحمد بن فندار ، وحمد بن يحى الفاسي وأحمد بن سلامة وابن قيراط.وقد ألف كتباً كثيرة ، وشرح رسالةا بن أبي زيدالقيرواني وكماشرح ذيب المدونة لأبي سعيد البرادعي .توفي سنة ٨٣٩هـ (معالم الايمان جـ ١: ز)

(٣) المصدر السابق ص٧ - ٨ .

(٤) ذكره الأمير ماكولا جـ ٥٨٤/١ مادة النقرى ، الأنساب جـ ١١٦/١٠ - ٢٨٦ ، اللباب جـ٩٠/٣ - ٦٩ .

بعد ذلك إلى جامعة لازالت إلى اليوم تؤدي رسالتها العلمية[1] .

المبحث الأول :

(١) سيرة القيروان٧٢-٧٤، معالم تاريخ المغرب ١٤ ، البيان المغرب جـ ٢١١/١ .

الحياة السياسية في عصر
ابن أبي زيد القيرواني
رحمه الله تعالى

كانت القيروان هي العاصمة الدينية والسياسية لإفريقية إبان نشأ ا فقد شهدت عدة وقائع حربية وتطورات تاريخية في عهود مختلفة . وأرى من تمام الفائـدة أن أذكر بإيجاز شيئاً من ذلك عن العهود المتقدمة في تاريخها :

١) - دولة الأدارسة : نسبة إلى إدريس ، وقد كان هو وأخوه يحيى بن عبدالله صاحب الديلم فرا من موقعة فتح سنة ١٦٩هـ[1] ، فاتجه أخوه يحيى بن عبدالله إلى

---

(١) وفي سنة ١٦٩هـ ثار الحسين بن علي بن الحسن على عامل العباسيين بالمدينة في عهد الهادي العباسي ، لما ألحق هذا الوالي بالعلويين من أهله ، وحدثت بين الطرفين موقعة بين المدينة ومكة ، وعلى ستة ⇦

المشرق ، واتجه إدريس نحو المغرب الأقصى . والتف حوله البربر[1] في إقامة أول دولة علوية نسبت إليه ، وهي دولة قوية كان يها ا هارون الرشـيد لخطور ـا وعهـد لإبراهيم بن الأغلب بولاية تونس ليقف في وجه الأدارسة ، ومع موت إدريس بالسم سنة ١٧٧هـ[2] لم تتوقف جهود العلويين في بلاد المغرب ، فقد كانت له أمة حامل فا نتظر أشياعه حتى ولدت ذكرا اسموه إدريس ، والتفوا حوله فكان إدريس الثـاني المؤسس الحقيقي لدولة الأدارسة ، فقد اشتد أمره واتخذ لدولته عاصمة جديدة هـي مدينة فاس التي أسسها سنة ١٩٢هـ[3] .

وقد حكم بعد إدريس الثاني ثمانية من الأدارسة وأعظمهم قوة وقدرا هو يحـيى الرابع ابن إدريس بن إدريس بن عمر (٢٩٢ - ٣١٠هـ) الذي امتد ملكه على جميع بلاد المغرب الأقصى وقد قام الأدارسة بدور كبير جدا في نشر الإسلام في غرب أفريقيا ، كما أن مدينة فاس عاصمة الأدارسة ظهرت ظهورا ثقافياً واضحا وأصبحت هي ومدينة القيروان تمثلان نموذجا للمدارس الإسـلامية في المغـرب العربي[4] .

٢) - دولة الأغالبة : كان مظهر الحركة الاستقلالية في تونس يتمثـل في قيام إمارة الأغالبة الذين ظلوا يحكمون تونس سنة ١٨٤هـ . حين ولي الخليفة هارون الرشيد إبراهيم بن الأغلب على منطقة تونس بحيث يعتبر أميرا مـستقلا تحت ظل الخلافة العباسية ، ثم ظل أبناء إبراهيم يتوارثون الحكم بعده معتـرفين بالسلطان الاسمي للخليفة العباسي ، وظلت الحركة الاستقلالية في عهد الأغالبة

أميال منها تعرف بموقعة (فتح) قتل فيها الحسين وعدد كبير من أفراد البيت العلوي ، وقد شا ت هذه الموقعة حادث كربلاء في العهد الأموي ، فقد أوشك البيت العلوي فيها على الهلاك ، الطبري : جـ ٢٠/١٠ - ٢٤ ، ابن الأثير جـ٣٢/٦ - ٣٤ ، ابن كثير جـ ٤٠/١٠ .

(١) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن البربر هم قوة جالوت ، فلما قتله داود عليه السلام انتقلوا من فلسطين إلى بلاد المغرب ، العبر جـ ١٢٨/٢ ، ومدرسة الحديث في القيروان جـ ١٠٩/١.

(٢) الطبري جـ ٢٩/١٠ .

(٣) العالم الإسلامي في العصر العباسي ، د . حسن أحمد محمود ص٤١٢ .

(٤) المصدر السابق ص٤١٣ .

حتى ٢٩٦هـ ، وهي السنة التي نجحت فيها الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب ، وقامت الخلافة الفاطمية في الشمال الإفريقي(١) .

ولقد أثبت إبراهيم بن الأغلب نجاحه في الحكم حيث استطاع أن يوطد الحكم في أسرته وأن يقضى على الثورات التي قامت في إقليمه ، كما استطاع أن يقف طموح الأدارسة حتى عقد معهم اتفاقا على أن يكف كل منهما عن الآخر في ناحيته ، ويقول عنه ابن عذاري في البيان المغرب : « وكان كريم الأخلاق والأفعال ، من أجود الناس وأرفقهم بالرعية مع دين واجتناب للظلم »(٢) كما أنه ساهم في عدة غزوات وأرسل السرايا إلى مختلف البلدان مثل مدينة شرقوصة ومالطة وقد وجه المسلمون حملاتهم البحرية إلى صقلية منذ ولاية معاوية بن حديج(٣) .

وفي عهد الأغالبة ازدهرت الحياة الاقتصادية في إفريقية ازدهاراً كبيراً لم تشهده منذ القرن الثالث الميلادي ، كما ازدهرت التجارة وبخاصة في القيروان ويصف الإدريسي نمو القيروان ورخاءها بقوله : « أم الأمصار وقاعدة الأقطار»(٤).

وقد اهتم الأغالبة بالعمارة في تونس ، وأهم آثارهم مسجد القيروان العظيم

---

(١) المصدر السابق ص٤١٤ .

(٢) البيان المغرب جـ ١١٢/١ .

(٣) معاوية بن حديج بن جفنة السقوني وقيل الخولاني ، وقيل الكندي ، وقيل التجيبي توفى قبل ابن عمر (ت٧٣هـ) بيسير (الإصابة جـ ٤٣١/٣ ، مطبعة السعادة بمصر الأولى) (وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير جـ ٤٣/٤) أول من اختار قيروانا للنزول به ، ثم خرج إلى المغرب (معاوية بن حديج التجيبي سنة ٣٤هـ) فافتتح قصورا عظيمة واتخذ قيروانا عند (القرن إلى جبل عال في الجنوب الغربي من القيروان الشهير الآن بجبل الباطن) أى باطن القرن ، ثم منه إلى مصر ، قال الدباغ : غزا معاوية بن حديج إفريقية ثلاث مرات إحداهن سنة أربع وثلاثين (٦٥٥م) في خلافة عثمان ، فنزل بمكان القيروان اليوم ، واحتفر بها آبارا تسمى ((آبار حديج)) ثم غزا معاوية إفريقية سنة إحدى وأربعين ، وسنة خمسين وفي إحداهما نزل ((القرن)) وأقام به ثلاثة أعوام ، الورقات جـ ٤٥/١ - ٤٧ لحسن حسني عبدالوهاب .

(٤) العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٤١٩ ، نقلا عن الإدريسي من كتابه صفة المغرب والأندلس .

الذي اختطه عقبة بن نافع (٥٠هـ) أولاً وزاد فيه الأغالبة زيادة عظيمة ، وكذلك جامع الزيتونة بتونس والذي أسسه عبيدالله بن الحبحاب في عام١١٤هـ وكذلك مسجد سوسة وسورها ورباطها المشهور ، كما نشأوا مدينة العباسية ومدينة رقادة ، فقد كان عهد الأغالبة عهد عمران ورخاء في تونس[(١)]

وقد ظلت الدولة الأغلبية تؤدي دورها الذي اضطلعت به في هذا الطرف الغربي حتى نجحت الدولة الفاطمية في المغرب في إزاحتها عن الحكم وامتدت إلى تونس فأسقطت هذه الدولة سنة ٢٩٦هـ ، وخلف الفاطميون الأدارسة والأغالبة في المغرب الإفريقي ثم امتد حكمهم شرقا إلى مصر .

وبعد أن ذكرت بإيجاز أحوال العصر الذين سبق ولادة الشيخ ابن أبي زيد يحسن بي أن أذكر شيئاً من الأحوال السياسية للعصر الذي عاش فيه وما نشب فيه من الاضطراب السياسي ومدى تأثره بيئته وتأثيره فيها .

عاش أبو محمد بن أبي زيد القيرواني ، في القرن الرابع الهجري ، وعاصر العهود التالية : -

١) - الدولة العبيدية الشيعية حتى سنة انتقالها إلى القاهرة في سنة ٩٧٢/٣٦٢م . ثم الأمراء الصنهاجيين من بني زيدي الذي خلّفهم العبيديون على ملك إفريقية ثقة منهم في بقاء الزيريين على ولائهم لهم .وهذا يعني أن ابن أبي زيد قد عاصر من الخلفاء العبيديين :

- عبيدالله المهدي مؤسس الدولة وباسمه سميت (٢٩٧ - ٣٢٢) .

- القائم بأمرالله،نزارأبوالقاسم،ابنه الأكبروولي عهده(٣٢٢- ٣٣٤).

- المنصور بالله ، إسماعيل ، ابن القائم وولي عهده (٣٣٤- ٣٤١). - المعزلدين الله أبوتميم معد،ابن المنصوروولي عهده**(٣٤١-٣٦٥)**[(٢)]

(١) المصدر السابق نقلا عن كتاب المغرب الكبير ص٤٢٠ .

(٢) كتاب الجامع لابن أبي زيد تحقيق عبد ا يد تركي ص١٤ .

ثم **إنه عاصر من الأمراء الصنهاجيين : -**

- بلكين بن زيري الذي عهد له المعز سنة ٣٦٢هـ ، عند تحوله إلى مصر وولاه بذلك إمامة إفريقية وكذلك المغرب ماعدا صقلية وكناه بأبي الفتوح .

- المنصور أبو الفتح ، ابن بلكين ، بويع له بالامارة في مسجد القيروان ٣٧٣ - ٣٨٦هـ[1] .

وبعد هذا التقديم الموجز لهذا الإطار التاريخي - إطار الخلفاء الفاطميين ثم الأمراء الصنهاجيين المعاصرين - بعد ذلك أذكر هنا بالتفصيل عن تلك الفترة من هذا العصر مع التركيز على الجوانب السياسية ومواقف العلماء السنيين إزاء هؤلاء الحكام .

فقبل سيطرة العبيديين على إفريقية سنة ٢٩٧هـ ، وإطاحتهم بالدولة الأغلبية السنية كانت المنطقة مسرحا للعديد من الانقسامات والصراعات التي كانت سبباً في الكثير من القلاقل والتقلبات والثورات . فكان ذلك مما سهل على الداعي الشيعي أبي عبدالله مهمته في الدعوة لإمامة عبيدالله المهدي ، وقد سبقه قادما من المشرق حتى يمهد له السبيل ثم جاء .

عهد دولة الصنهاجيين التي خلفت العبيديين ، وكانت في فترا الأولى من ٣٦٢هـ - ٤٤٠هـ ، عبارة عن ولاية تابعة للعبيديين ثم استقلت عنهم بداية من (٤٤٠هـ)[2] إلى أن حانت ايتها في (سنة ٥٤٢هـ) وطيلة هذه الفترة كان بنو زيزي يحكمون إفريقية باسمهم مع الدعاء لخليفة بغداد على منابرهم .

وبما أن الموضوع مترامي الأطراف سأتنأول الأحداث التي سبقت ظهور دولة العبيديين - ثم ما جد في إفريقية خلال حكمها ومانتج عنها بعد رحيلها إلى المشرق إلى أن حدثت القطيعة بينها وبين الأمراء الصنهاجيين سنة ٤٤٠هـ نظراً لأن هذه الفترة التاريخية هي التي عاش فيها ابن أبي زيد .

---

(١) كتاب الجامع لابن أبي زيد تحقيق عبد ا يد تركي ص١٤ - ١٥ .

(٢) رسالة ابن أبي زيد للدرقاش جـ ٢٣٠/١ .

وكان مؤسس هذه الدولة الفاطمية أبو محمد عبيدالله المهدي الذي بنى مدينة المهدية باسمه على ساحل البحر وصيرها عاصمة ملكه سنة ٣٠٨هـ .

وكانت أولى أعمال عبيدالله العلوي أن أمر بذكر اسمه على المنـابر حيـث لقب بالمهدي أمير المؤمنين ثم جلس بعد أداء الجمعة ومعه الدعاة واحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم إلى اعتناق مذهبهم الشيعي فمن أجاب أحسن إليه ومن أبى حبس فلم يدخل مذهبهم إلا بعض الناس وقتل كثير ممن لم يوافقـوه علـى قولهم(١) .

ولما أظهر بنو عبيد مذهبهم الفاسد في سب الصحابة- رضوان الله عليهم - وتبديل الشرائع والاضرار بأهل السنة عاملهم علماء القيروان بنفس بما يستحقونه مع من رفض انتحال نحلته وقد يمثل هذا العنف أحيانا بالـسب واللعـن علنـا وأوضح صورة في هذا ما ورد أن جبلة بن حمود[٢] (ت٢٩٧هـ) قد حضر أول خطبة خطبها عبيدالله المهدي في القيروان ، فلما سمع خطبته قام قائما ، وكشف عن رأسه حتى رآه الناس ، وخرج يمشي إلى آخر الجامع وهو يقول : قطعوهـا

---

(١) وهم في انتظاره - كما سبق - وإلى الإسماعيلية نقلوا الخلافة من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ثم ساقوها في عقبه فمنهم من انتهى ا إلى عبيدالله هذا المهدي وهم العبيديون ، ولايعرف لمحمد بن إسماعيل ولد اسمه عبيدالله ... تاريخ ابن خلدون جـ٤٤٢/٣ ، وكانت هذه الفرقة أكثر سعيا من الأخرى في الوصول إلى الحكم ، ولهذا وضع دعا ا منهاجا لدعو م فاستطاعوا به تعبئة قوى الجماهير ضد بني العباس والإمارات التابعة لهم حيث تمكنوا من الإعلان عن دولة الفواطم بإفريقية سنة ٢٩٦هـ وعند ذلك ظهر إمامهم عبيدالله المهدي وهو رأس دولتهم التي امتدت الدعوة لها من الشام شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.(الكامل لابن الأثير جـ٤٧/٨ - ٥٠) وبذلك نرى مدى عناية الإسماعيلية بتكوين الدعاة ضمانا لنجاح الدعوة .

الكامل لابن الأثير جـ٤٩/٨ ، وذكر صاحب المعالم عدة صور من اضطهاد العلماء من طرف بني عبيدالله جـ ٢٥/١ .

(٢) جبلة بن حمود: هو ابو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن مسلمة الصديق رحمه الله كان ورعاً، زاهداً ، وكان كثيراً ما يتردد الى قصر الطوب للرباط ، أسلم جده على يد عثمان بن عفان رضى الله عنه وسمح من سحنون ، وعون ، وأبي إسحاق البرقي ، وداؤدبن يحى وغيرهم من المغربين والأفريقين وكان له موقف صارم ضد أهل البدع والأهواء، ولد سنة ٢١٠هـ وتوفي سنة٢٩٩هـ .(أنظر المدارك للعياض جـ٢: ٢٤٧-٢٥٤، ومعالم الإيمان جـ٢: ٢٧٠-٢٨٠.

قطعهم الله ، فما حضرها أحد من أهل العلم بعد ذلك[1] ، وهو أول من نبـه على هذا .

وورد موقفه الصارم لما بلغه نزول عبيدالله المهدي رقادة ترك جبلـة سـكنة الرباط ، ونزل القيروان ، فكلم في ذلك ، فقال : كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر ، والآن حل هذا العدو بساحتنا ، وهو أشد علينا من ذلك فكان إذا أصبح وصلى الصبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة ، معه سيفه وترسـه وفرسـه ، وسهامه ، وجلس محاذيا لرقادة إلى غروب الشمس ، ثم يرجع إلى داره ويقول : ((أحرس عورات المسلمين منهم فإن رأيت شيئاً حركت المسلمين عليهم))[2] وكان يقول جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك[3] .

وجبلة بن حمود لايرى المداهنة في الدين حيث إن الحاكم الـشيعي لاحـظ عليه الامتناع عن الصلاة خلفه ، فعز ذلك على ابن عبدون القاضـي الحنفـي وسأله فقال له جبلة : « أمرك عندي أشد ، ألست الذي ضربت أحمد بن معتب، وإبراهيم الدمني ، وفلانا بالسياط ، وقطعت م سماط القيروان وأمرت أن ينادى عليهم هؤلاء حزب الشيطان ؟ وهم رجال سحنون وسحنون أخذ العلم عـن رجال مالك مالك عن التابعين ، ولتابعون عن الصحابة ، والصحابة عن رسول الله ﷺ، فأمرك عندي أعظم من البدعة[4] .

ولا استبعد أن يكون فقهاء القيروان جميعا قد تأثروا ذه المواقف النـادرة ، حيث وقف أغلب فقهاء القيروان مثل هذا الموقف الرائع إزاء أعداء الله كما هو الحال بالنسبة لابن البرذون وابن هذيل الفقيهين القيروانيين ، فقد ذكـر ابـن الدباغ في معالمه نقلا عن المالكي صاحب رياض النفوس أنه قال : « لما وصـل

(١) معالم الإيمان للدباغ جـ ٢٧٣/٢ .
(٢) المصدر السابق جـ ٢٧٢/٢ .
(٣) المصدر السابق جـ ٢٧٢/٢ .
(٤) المعالم جـ ٢٧٤/٢ ، قلت : انظروا إلى حال أسلافنا من العلماء كيف آثرواالآخرة على الأولى ، وضحوا أنفسهم في سبيل الله حتى ماتوا وأنطبق عليهم قوله : { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء ، عند ر م يرزقون } الآية .

عبيدالله إلى رقادة أرسل إلى القيروان من أتاه بابن البرذون وابن هـذيل ، فلمـا وصلا إليه وجداه على سرير ملكه جالساً ، وعن يمينه أبو عبدالله الشيعي ، وعن يساره أبو العباس أخوه ، فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبدالله ، وأبو العباس: أشهدا أن هذا رسول الله - واشار إلى عبيدالله - فقالا جميعا بلفظ واحد : والله الذي لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه ، والقمـر عـن يـساره ، يقولان إنه رسول الله ما قلنا إنه رسول الله عليه الصلاة والسلام .

فأمر عبيدالله بذبحهما حينئذ جميعا ، وأمر بربطهما إلى أذناب البغال ، وذلك أ ما أيضاً ناظرا عبيدالله الشيعي فيما رآه من تفضيل علي رضي الله عنه علـى سائر الصحابة[1] .

وقد سبق بياننا أن سيطرة العبيديين على إفريقية مكنتهم من نـصرة مذهبـهم الفاسد والعمل الدؤوب على استئصال كل من خالفهم إلى حد التصفية الجسدية لهم وقد سبق أن ذكرنا مثالاً وهو تعذيبهم شيخين ضربا حتى ماتا[2] ، ثم طيف ما مكشوفين بالقيروان تجرهما البغال ، وصلبا نحو ثلاثة أيام ، فضلا عن سياسة التجويع والعصا الغليظة المتبعة مع كل من أظهر مجرد تعاطف بسيط مع المالكية يؤكد لنا ما حدث من أنواع صور العذاب وتوالي المحن عليهم وانعدام النصير لهم .

ومما تميزت به هذه المرحلة التاريخية من أحداث جسام مرت على أهل السنة والجماعة من المالكية في حال حكم العبيديين بسبب مانفّذه هؤلاء من أحكـام الإعدام لأهل العلم وحفظته من مخالفيهم في العقيدة والمذهب ، أمثال أحمد بـن موسى التمار وشقيقه ، والحسن بن مفرج والزاهد محمد الشذوني وذلك سـنة ٣٠٩هـ/٩٢١م ، بسبب تفضيلهم بعض الصحابة على الإمام علي كـرم الله

(١) المعالم جـ٢/٢٦٣ - ٢٦٤

(٢) انظر ص ٤

وجهه[1] ، ومن بين الذين ضربوا من طرف العبيديين بالجامع عريانا ، وصفح قفاه حتى جرى الدم من رأسه ، ونودي عليه في الأسواق بالقيروان الفقيه الجليل محمد بن العباس الهذلي بسبب ما ادعاه بعض الشيعة من أنه يطعن في السلطان ويفـتي بمذهب الإمام مالك[2] .

وبحلول سنة ٣٢٢هـ توفي عبيدالله المهدي لعنه الله وأوصي بالأمر بعده إلى ابنه وولي عهده أبي القاسم نزار الـذي يلقـب بالقـائم بـامر الله (٣٢٢ - ٣٣٤هـ)[3] . واصل أعمال أبيه في دعم هياكل الدولة توسيع أطرافها حيـث وصلت جيوشه إلى مصر والمغرب إلا أن في عهده برز على المسرح السياسي أبو يزيد الخارجي الملقب بصاحب الحمار[4] .

ففي سنة ٣٣١هـ ، اشتدت الثورة وأمعنت في اضطهاد وتعذيب العلمـاء حيث إن بني عبيد أظهروا نحلتهم الشيعية علانية وأصدروا القرار بمنـع تعلـيم أصول الشريعة على مذاهب السنة وأوقفوا شيوخ القيروان عن إلقاء دروسهم في جامع عقبة وخاصة فيما يتعلق بالعقائد ، واكتفى شيوخ المالكية والحنفية بالقاء تلاميذهم تلك العلوم في بيو م ودكاكين حرفهم ، و ـذا وصف القاضي عياض الظروف القاسية التي مرت بعلماء القيروان وياعجبا لصبرهم وتحملهم لأعبـاء الدعوة والمسئولية العظمى حيث لم يكن العلماء يمنحون أولادهم لهذه الدولـة العبيدية التي نأوأت الكثير منهم واضطهد م للاختلاف المذهبي بـين الـسنيين والشيعيين ويقول القاضي عياض في هذا الصدد : - (كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد ، في حالة شديدة من الاهتضام والتستر كأ م ذمة ، تجري عليهم

---

(١)فعلي رضي الله عنه كسائر الصحابة يترضى عليه ولم يكن من دأب السلف أن يقولوا "كرم الله وجهه" أو يخصوه بعبارة "الإمام " إنما ذلك من ابتكارات الشيعة .

(٢) انظر محاضرات ملتقى عبدالله بن أبي زيد ص٢٤٩ - ٢٥٠ ، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان بتاريخ سنة ١٤١٣هـ ، ط أولى سنة ١٩٩٤م .

(٣) الكامل لابن الأثير جـ ٢٦٤/٨ .

(٤) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش جـ ٣٧/١ ، الورقات لحسن حسني بدالوهاب جـ ٣٦٤/٣ ، الكامل لابن الأثير جـ ٤٢٢/٨ .

في كثرة الأيام محن شديدة ، ولما أظهر بنو عبيد أمرهم ، ونصبوا حسينا الأعمى السباب - لعنه الله تعالى : في الأسواق ، للسب بأسجاع لُقنها . يصل منها إلى سب النبي ﷺ ، في ألفاظ حفظها ، كقوله - لعنه الله تعالى : العنوا الغـار ومـا وعي ، والكساء وما حوى ، وغير ذلك . وعلقت رؤوس الأكباش والحمـر ، على أبواب الحوانيت ، عليها قراطيس معلقة ، مكتوب فيها أسماء الـصحابة ، اشتد الأمر على أهل السنة ، فمن تكلم أو تحرك قتل ، ومثل به ، وذلك في أيام الثالث من بني عبيد ، وهو إسماعيل الملقب بالمنصور ثالث خلفاء بني عبيد لعنـه الله تعالى سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة(١) .

فلما رأى ربيع القطان - من شيوخ ابن أبي زيد - ذلك لم يسعه التأخر عن الخروج عليهم ، وكذلك كان جميع الشيوخ يتابعون في ذلك أبا إسحاق السبائي وغيره(٢) من العلماء المناهضين للعبيديين ومذهبهم .

ولما جاء أبو يزيد مخلد بن كنداد الخارج* الملقب بـ « صاحب الحمار » قام على بني عبيد ، - والناس يتمنون ظهورٍ من يقوم ضدهم - فتحرك الناس لقيامه ، واستجابوا له ، وفتح البلاد ، ودخل القيروان ، وفر إسماعيل إلى مدينة المهدية ، فنفر الناس مع أبي يزيد إلى حربه ، وخرج م فقهاء القيروان ، وصلحاؤهم ، ورأوا أن الخروج معه متعين ، لكفرهم .

---

(١) المدارك للقاضي عياض جـ ٣٠٨/٣ .

(٢) المعالم جـ ٣٢/٣ .

* - قال القاضي عياض ويعرف بالأعرج واسمه مخلد بن كيداد من بني يغرن ، وكان يتحلى بنسك عظيم ، ويلبس جبة صوف قصيرة الكمين ويركب حمارا جـ ٣١٨/٣ ، المدارك . وكان يبطن رأي الصفرية ، ويتمذهب بمذهب الخوارج ، وزاد ابن الأثير أنه من أهل قسطيلية من ضواحي مدينة توزر الآن ، ولد بالسودان لأم هوارية إذ كانت لأبيه تجارة هناك ثم جاء به إلى قسطيلية حيث حفظ القرآن ودرس علوم عصره وخالط هناك طائفة النكارية وهي من الطوائف الصفرية من الخوارج فمال إلى مذهبهم ثم ارتحل إلى ارت عاصمة الخوارج التي كان يحكمها بنو رستم حيث اشتغل بتعليم القرآن وكان ذلك سنة ٢٩٦هـ ، في زمن وصول أبي عبدالله الشيعي إلى سجلماسة لفك اعتقال المهدي وابنه سجن سجلماسه ، ثم انتقل إلى تقيوس حيث اشترى ضيعة واستمر في تعليم القرآن هناك . (الكامل لابن الأثير جـ ٤٢٢/٨).

وفي سنة ٣٣٣هـ/٣٣٤هـ ، هاجم أبو يزيد القيروان عاصمة العبيديين ، وكاد أن يقضي على دولة العبيديين وهي لاتـزال في خطواتها الأولى . وقد استمال إليه شيوخ القيروان من الفقهاء والعلماء حيث شاركوه في هجومه على المهدية سنة ٣٣٣هـ . بيد أنه خذلهم عندما تركهم وجها لوجه مع قوات العبيديين حيث استشهد منهم خمسة[1] وثمانون عالما وفقيها زيادة على العامة. ويقول ابن الأثير عند حديثه عن أحداث سنة ٣٣٣هـ ، : (فلما رأى شدة قتال أصحاب القائم ، كتب إلى عامل القيروان يأمره بإرسال مقاتلة أهله إليه ، ففعل ذلك ، فوصلوا إليه ، فزحف م آخر رجب ، ا نزم فيه أبو يزيد هزيمة منكرة ، وقتل فيه جماعة من أصحابه وأكثر أهل القيروان)[2] .

وسأزيد في هذه الواقعة عندما أترجم لشيوخ ابن أبي زيد وخاصة الممسي وربيع القطان ، وابن اسحاق السبائي وابن اللباد وغيرهم كثيرون .

وقد ذكرت مراجع أخرى خيانة أبي يزيد الخارجي لمقاتلة أهل القيروان من فقهاء وعامة قال صاحب المعالم : « قال أبو الحسن القابسي - عن شيوخه الذين أدركهم - إن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيدالله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد ، وعالم ، ورجل صالح ولذلك يقول سهل الوراق :

وأحل دار البحر في إغلاله　　　من كان ذا تقوى وذا صلوات[3]

قال ابن ناجي : وكان القيروانيون غلبوا من كان بالمهدية وطمعوا في أخذها فمكر م أبو يزيد الخارجي فقال لجيشه : القيروانيون إذا حكموا على بني عمنا واستأصلوهم يرجعون علينا فلا نقدر عليهم فإذا كان من الغد والتحم الناس في القتال انعزلوا عنهم حتى تقع الكسرة عليهم فنرتاح من شوكتهم أو نحو هذا

---

(١) انظر الشجرة ٨٣ ، الرياض ٢٩٢/٢ - ٢٩٩ ، ٣٣٨ - ٣٤٥ ، المعالم ٢٩/٣ - ٣٤ ، المدارك ٣١٨/٣ - ٣٢١ .

(٢) الكامل لابن الأثير جـ٤٢٨/٨ - ٤٣٤ .

(٣) المعالم جـ٣٤/٣ .

الكلام ففعلوا ذلك فوقعت الهزيمة عليهم لما سبق من سابق علم الله تعالى باستشهاد من استشهد كأبي الفضل الممسي وربيع القطان ..)[1] .

وبقدر ما كان أبو يزيد الخارجي غير صادق مع أهل القيروان كان هؤلاء صادقين معه لأن نحلته على ما فيها لاتصل إلى حد عبادة الأشخاص وتأليههم مثل ماهو الحال بالنسبة للنحلة الإسماعيلية المتطرفة ولهذا نجد أحد الشيوخ الشهداء وهو أبوالفضل الممسي أحد شيوخ ابن أبي زيد يرى ... (أن الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دابر دولة بني عبيد فرض لأن الخوارج من أهل القبلة لايزول عنهم الإسلام ويرثون ويورثون وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون إليهم[2] . ويرى تلميذه ابن أبي زيد ذلك الرأي[3] وسوف أذكر رأيه بالتفصيل في محله .

وبما أن الله بالمرصاد وليس بغافل عما يفعله أبو يزيد ولا غيره فلم يذهب دم العلماء بوادي المالح هدراً حيث انتقم الله من أبي يزيد انتقاما فظيعاً سواء في هزيمته بالمهدية أو في قتله في أبشع صورة[4] .

وفي ذلك الزمن كان ابن أبي زيد في عنفوان شبابه ولم يكن غافلا عن شيوخه وطلبتهم ومع ذلك لم يثبت تورطه في هذه المصادمات كما سأذكره أيضاً في ترجمة شيوخه،ولكن الذي يمكن أن يجزم الباحث بوجوده كنوع من مشاركته في هذه الانتفاضات المشاركة الفكرية لهم إذلم يتخلف قط عن أي اجتماع عقدفي هذاالشأن الذي له أهميةكبرى في القرن الرابع وإلى سنة ٤٠٧هـ عند حدوث مجزرة الشيعة بالقيروان وبقية حواضر إفريقية ولم يقطع اتصالاته بمن أجبر على الإقامة الإجبارية من الشيوخ كما رثى من استشهد منهم بأبيات شعرية ناطقة مما وصل إلى آذان السلطة وزادهم غيظا وضاقت بها صدورهم .

(١) المعالم جـ ٣٤/٣ .
(٢) المعالم جـ ٢٨/٣ .
(٣) المدارك للقاضي عياض جـ ٧٢٠/٤ .
(٤) الكامل لابن الأثير جـ ٤٤١/٣ .

وفي رياض النفوس تعرض المؤلف أبو بكر في ذكره لأحداث سنة ٣٣٣هـ لذكر محنة العلماء وذكر من بينهم ابن أبي زيد في ترجمة شيخه أبي بكر اللباد فقال : وكان أبو محمد بن أبي زيد وأبو محمد بن التبان الفقيهان وغيرهما يأتون إليه في خفية ، وكانوا ربما جعلوا الكتب في أوساطهم وحجزهم حتى تبتل بعرقهم خوفا منهم على أنفسهم من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه[1] . وقد كان عمره ثلاثاً وعشرين سنة وهو سن يمثل قمة التحصيل العلمي ، وقد تذكر بعض المصادر أن ابن أبي زيد كان في شغل عن أبي يزيد وحروبه بتحصيله العلمي وقد ورد في ترجمة ابن أخي هشام (وكان شيخ الفقهاء وإمام أهل زمانه في الفقه وكان يجتمع هو وأبو الأزهر بن معتب ، وأبو محمد بن أبي زيد ، وابن شبلون ، وابن التبان ، والقابسي ، وجماعة ذكرناهم، ونذكرهم - في جامع القيروان - للتفقه عندما ظهر ابن أبي يزيد على بني عبيد[2] .

وبالتالي فإن ابن أبي زيد كان مشغولا بالتأليف ضد ترهات بني عبيد الشيعة ولا أدل على ذلك من كتابه الرسالة الأولى الذي ألفه في سنة ٣٢٧هـ استجابة لطلب شيخه أبي إسحاق السبائي على أحد القولين وفي سنة ٣٦٢هـ ألف ثانياً استجابة لطلب محرز ابن حلف[3] وفيها يقرر عقيدة السلف الصالح المناوئة لعقيدة بني عبيد الشيعة .

وبموت القائم بأمر الله في ١٣ شوال ٣٣٤هـ/الموافق١٨ ماي ٩٤٦م

---

(١) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم تأليف أبي بكر عبدالله بن محمد المالكي تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، جـ٢/٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) الديباج جـ ٣٤٧/١ .

(٣) المعالم جـ١١١/٣ .

انتهت المرحلة الأولى من محاربة أبي يزيد الخارجي . وخلفه ابنه وولي عهده المنصور بالله ليكمل عمل سابقه ويفك حصار سوسة ويدخل القـيروان بعـد عشرة أيام من توليه الحكم ، وقد انسحب أبو يزيد بهزيمته نحو الغرب بعد معركة كبرى خاضها في ١٣ محرم ٣٣٥هـ/الموافق١٤ يونيو ٩٤٦م ، وتستمر المعارك وتتوالي هزائم أبي يزيد وتتواصل خسائره في العتاد والرجال إلى حد أنه فقـد في معركة واحدة أكثر من عشرة آلاف رجل ويشتد الحصار عليه ويؤسر ثم يفارق هذه الحياة متأثراً بجراحه في ٧ محرم٣٣٦هـ/الموافق١٨أو٩٤٧م[1] وهذا الـذي دفعني إلى القول بأن دم العلماء بوادي المالح لم يذهب هدرا ، حيث انتقم الله من أبي يزيد انتقاما فظيعا حتى قتل بصورة بشعة ، بما أن ما فشل فيه القائم بالله نجح فيه ابنه المنصور الذي تولى السلطة في سنة ٣٣٤هـ ، حيث استطاع بشجاعته وجرأته وحنكته السياسية أن يلحق الهزيمة النكراء بأبي يزيد الخارجي ويتركـه يموت من جراحه ثم يأمر بسلخ جلده وملئه تبنا ووضعه في قفص أعد لذلك مع قردين نكاية فيه وتشويها لسمعته وإرهاباً لغيره من المتربصين بالفواطم وكـان ذلك سنة ٣٣٦هـ ، بقلعة كتامة[2][3] .

وبعد موت المنصور سنة ٣٤١هـ خلفه ابنه وولي عهده أبو تميم معد .

وأبو تميم معد الملقب بالمعز لدين الله : هو آخر الخلفاء العبيديين بإفريقيـة، صالح البربر وأحسن إليهم فجاؤوه طائعين ومن أعماله أنه هاجم المرية من أرض الأندلس سنة ٣٤٤هـ ، وبعد ما دانت له إفريقية والمغرب حول اهتمامـه إلى المشرق فوجه جيشه بقيادة جوهر الصقلي إلى مصر فدخلها يوم ١٧ شعبان سنة

(١) الصنهاجيين : نسبة إلى صنهاجة وهي قبيلة بربرية كبيرة كان لها دور في مناصرة دعوة الرافضة بالمغرب وخاصة إبان ثورة أبي يزيد الخارجي ، الشجرة ١٠٥/١ ، وانظر كتاب مدرسة الحديث بالقيروان لحسين بن محمد شواط جـ ٨٣/١ في الهامش ط الأولى : الدار العالمية للكتاب الإسلامي بالرياض .

(٢) كتاب الجامع لابن أبي زيد بتحقيق عبدا يد ص٢٥ - ٢٦ .

(٣) الكامل لابن الأثير جـ ٤٤١/٨ ، وكتاب ابن أبي زيد للدرقاش جـ ٤٠/١ .

٣٥٦هـ ، حيث أقام الدعاء للمعز في شهر شوال من نفس السنة بالجامع العتيق ، وفي جمادي الأولى من سنة ٣٥٩هـ ، سار جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر المؤذن بأن يضيف إلى « الأذان » (حي على خير العمل) ثم أمر ببدء بناء القاهرة المعزية[١] .

ثم انطلقت جيوشه الكثيفة لتستولي على دمشق وغيرها من بلاد الشام .

ولما بلغت هذه الانتصارات إلى المعز بالمهدية فرح لذلك فرحا شديدا وقـد سجل لنا ذلك محمد ابن هاني في قصيدة طويلة منها : -

يقول بنو العباس قد فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الأمر[٢]

وبعد أن تم له بناء قصره في مصر خرج من مدينة المنصورية قاصدا عاصمته الجديدة في شوال من سنة ٣٦١هـ /يونيو ٩٧٢م ، وذلك بعد أن استخلف على إفريقية والمغرب أيضاً أبو يوسف بن بلكين ابن زيري الصنهاجي وإفريقية الولاة على أعمالهم.

ثم تجهز للرحيل فأعد ألف حمل من الذهب جعلها كالأرحلة وضعها علـى ظهور الإبل وأمر ببناء قصر في كل ثلاثين ميلاً ما بين القيروان ومصر ، ومازالت آثار تلك القصور ظاهرة في صحراء طرابلس وبرقة . وكان خروجه من صبرة[٣] المنصورية بأهله وجنده وذخائره في احتفال لم يسمع بمثله .

ونزل بالقاهرة المعزية التي أنشأها قائده جوهر يوم الخامس من رمضان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م ، فكانت مقر ملكه وملك الخلفاء الفاطميين من بعده إلى آخر دولتهم[٤] .

---

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٥٩٠/٨ .

(٢) الورقات جـ ٣٦٩/٣ ، هو الشاهر الأندلسي ، قتل غيلة ، فرؤي ملقى على جانب البحر قتيلا لايدري من قتله ، وكان قتله أواخر رجب من سنة اثنتين وستي وثلاثمائة ، وكان من الشعراء ا يدين إلا أنه غالى في مدح المعز حتى كفره العلماء . الكامل لابن الأثير جـ ٦٢١/٨ ، وستجدون نموذجا من شعره في صلب الرسالة .

(٣) صبرة وتسمى أيضاً المنصورية ، مدينة على بعد نصف ميل من القيروان يسكنها ملوك القيروان، هامش كتاب مدرسة الحديث بالقيروان للحسين شواط جـ ١١٧/١ .

(٤) الورقات جـ ٣٦٩/٣ ، بتصرف والكامل لابن الأثير جـ ٦٢٢/٨ .

وكان المعز لدين الله أحسن سياسة ممن سبقه،وكان يأخذ النـاس بـالين والرفق بيد أن عقيدته الرافضية لم يتنازل عنها ، وكان الرافضي محمد بن هـاني المهدوي الكفرية يقول شعراً ناطقاً بالكفر أمام المعزلدين الله ويهـدف بـذلك تحدي العقيدة الاسلامية وذلك قوله :

ماشئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
فكأنما أنت الرسول محمـد وكأنما أنصارك الأنـصار

أو قوله :

حل برقادة المسيـح حل ا آدم ونـوح
حل ا الله ذو المعالي فكل شيء سواه ريح*.

وبعد انتقال الفواطم إلى مصر سنة ٣٦٢هـ ، خف الضغط الرافضي على إفريقية حيث إن الصنهاجيين كانوا عقلاء لم يكن لهم الحمـاس الـذي عنـد الفاطميين الذين هم أئمة المذهب الشيعي ، ويشهد لهـذا أمـران أولهمـا أن البرازعي[١] كان تصله صلتهم ، وبالطبع ا م كانوا على بينة من أمره فهـم لـو كانوا متشددين كالعبيديين لما توالت عليه صلتهم[٢] .

ثانيهما: أن المعز باديس تربى على يد من هو من أهل السنة الذي أثر عليـه كما أفاده المراكشي في (البيان المغرب) ويقول : « كان المعز بن باديس صغيرا إذ ولي ، وهو ابن ثمانية أعوام ، وقيل : ابن سبعة أعوام ربي في حجر وزيره أبي

* - ورقادة اسم مدينة بالقرب من القيروان ما يقارب عشرين كيلو في وقت الحاضر ، وقد تأول هذه الأبيات من يتعصب ويدين بديانته الكفرية ، وبالجملة فقد تجاوز الحد في المدح وغالي .

(١)البرازعي:- أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأسدي المعروف من كبار أصحاب أبي محمد بن أبي زيد ، وأبي الحسن القابسي ، له كتاب التهذيب واختصار المدونه ، وحذف مازاده أبو محمد كما ألف كتاب تمهيد مسائل المد ونة على صفة اختصار أبي محمد وزياداته .وله اختصار الواضحة ، ولم تحصل له رئاسة بالقيروان ، وكان مبغضاًلإصحابه لصحبة سلطا ا ، ومات بصقلية (انظر كتاب المدارك للقاضي عياض جـ٣: ٧٠٨-٧٠٩، ومعالم الإيمان للدباغ جـ ٣ : ١٤٦-١٥٠).

(٢) انظر محاضرات ملتقى القيروان ص٢٢ .

الحسن بن أبي الرجال ت٤٢٦هـ ، وكان ورعا زاهدا ، وكانت إفريقية كلها والقيروان على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة والجماعة ، من وقت تملك عبيدالله المهدي لها ، فحرض ابن أبي الرجال ت٤٢٦هـ المعز ابن باديس ، وأدبه ودله على مذهب مالك وعقيدة أهل السنة والجماعة ، والشيعة لا يعلمون ذلك ، ولا أهل القيروان ، فخرج المعز في بعض الأعياد إلى المصلي في زينته وحشوده ، وهو غلام ، فكبا به فرسه ، فقال عند ذلك : أبوبكر وعمر، فسمعته الشيعة التي كانت في عسكره ، فبادروا إليه ليقتلوه ، فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان ، ووضع السيف في الشيعة، فقتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف : فسمي ذلك الموضع بركة الدم إلى الآن.

قال أبو الصلت : وصاح م في ذلك الوقت صائح الموت : فقتلوا في سائر بلاد إفريقية ، فوافق ذلك ما قاله الشعراء فيهم على وجه التطهير لهم كقول القاسم بن مروان :

وسوف يقتلون بكل أرض كما قتلوا بأرض القيروان[1]

ويؤكد أن العبيديين والصنهاجيين خاصة لم تبق شد م على اأهل السنة كما كانت في صدر دعو م أيامهم الأولى .

ولما مات المعز في ٣٦٥هـ ، وخلفه العزيز بالله أقر الأمير الصنهاجي على الحكم ، وبدأت إفريقية في عهده تتحرك وخاصة أن قاد ا الجدد هم من البربر وهم أبعد الناس عن فهم عقائد الروافض التي هي عبارة عن خليط من الآراء الهندية والفارسية والعقائد اليهودية والتثليث والأفلوطينية اليونانية ، ولذلك فعقولهم الصافية لاتقنعها مثل هذه السخافات ولذلك فهم أقرب إلى أهل السنة بفطر م السليمة ، ولذلك نرى أن إفريقية كانت تزدهر على عهد بني زيري .

وفي سنة ٣٨٦هـ ، توفي العزيز العلوي ومنصور الصنهاجي فخلف الأول ابنه الحاكم بأمر الله ، وخلف الثاني ابنه باديس ، وفي تلك السنة توفي ابن أبي زيد القيرواني وفيها عاد الهدوء والإطمئنان إلى الربوع الإفريقية ، وفي سنة ٤٠٦

(١) البيان المغرب للمراكشي جـ ٢٧٣/١ - ٢٧٤ .

مات باديس وخلفه ابنه المعز والذي رأى في عهده عودة مذهب أهل السنة إلى ماكان عليه قبل العبيديين ، ففي شهر محرم في سنة ٤٠٧هـ بينما كان المعز ابن باديس مارا في موكبه بالقيروان شاهد جماعة فسأل عنهم فقيل له هؤلاء رافضة يسبون أبابكر وعمر فقال رضي الله على أبي بكر وعمر فاعتبر العامة قوله هذا إذنا لهم بتصفية بقايا الروافض من القيروان ، ومن غيرها من أمصار إفريقية فلاحقوهم قتلا وذبحاً حتى من احتمى منهم بالمساجد ولم ينج منهم إلا من عبر الحدود لاحقا ببني عبيد بمصر(١) .

وبذلك تخلصت القيروان من نحلة مدمرة للقيم والأخلاق السمحة ومدمرة للإسلام وتعاليمه ، وهذه الحادثة حدثت في عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦هـ - ٤١١هـ) .

ثم مات الحاكم سنة (٤١١هـ) ويتولى بعده الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ) ، ثم يموت هو أيضاً فيخلفه المستنصر معد أبو تميم (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) والذي في عهده ازداد الشرخ اتساعا بين الدولة والإمارة ، ولا أدل على ذلك من أمر المعز ابن باديس بقطع الخطبة على المنابر باسم المستنصر العلوي وخطب للقائم العباسي وكان ذلك سنة ٤٤٠هـ(٢) .

و ذا حدثت القطيعة بين الصنهاجي والفاطمي ، وبعث المعز بالبيعة إلى الخليفة العباسي ببغداد فقلده الحكم وخلع عليه ، ورفع في القيروان راية العباسيين السوداء بدل راية الفاطميين البيضاء وهدمت الدار الإسماعيلية - وهي عبارة عن بيت الحكمة على عهد الأغالبة - وأمر المعز بلعن الفاطميين ، وعاتبه المستنصر الفاطمي عتابا شديداً على مبايعته للعباسيين ، وضربت دنانير زيرية في ١٠٤٩/٤٤١م ثم في ٤٤٩هـ ، واشتد الصراع بين السلطتين وقاوم المعز ببسالة وجلد وهزم قرب جبل حيدران ، وتشرد أتباعه من الزيريين وانحلّت سلطته المركزية ، وهكذا اضطر إلى الرجوع إلى حظيرة الشيعة في ٤٤٩هـ إلا

(١) الكامل لابن الأثير جـ ٤٥/٩ .
(٢) الكامل لابن الأثير جـ ٤٥/٩ ، جـ ٥٦٦/٩ ، ورسالة د. الدرقاش جـ ٤٣/١ .

أن ذلك لم يحل دون نزول الكارثة الكبرى في ٤٤٩هـ فزحف بنو هلال على إفريقية وترك المُعز القيروان والمنصورية لنهب الأعراب والتجأ إلى المهدية ونزل ا على ابنه الأكبر تميم عاملهما ، وعاث بنو هلال فسادا وخرابا في كـل أرجـاء إفريقية[1] فاستباحوها ، وقتلوا أهلها ، وخربوا عمرا ا ، واستولوا على خيرا ا..

وبذلك انتهت حضارة القيروان التي كانت العاصمة الدينيـة والعلميـة ، والسياسية لإفريقية والمغرب ، فهي منذ الفتح إلى أن خربت دار العلم بالمغرب، إليها ينسب أكابر علمائه ، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلـم[2] ، فلمـا خربت جلا أهلها عنها ، وتفرق من بقي حيا من علمائها في الأمصار ، ولم تعد إليها الحياة العلمية إلا بعد أكثر من قرن من الزمان وذلك بعد سنة ٥٥٥هـ[3]. إلا أ ا لم تعد أبدا إلى سالف عهدها ، وانتقل مشعل العلم والحضارة بإفريقية إلى المهدية ثم إلى تونس الحفصية .

(١) كتاب الجامع لابن أبي زيد بتحقيق عبدا يد تركي ص٢٧ - ٢٨ ، وانظر أطروحة الهادي روجي إدريس جـ ١ ص١٩ - ٢٥ .
(٢) الشجرة جـ ١٣٠/٢ .
(٣) المعالم جـ ٢٠٣/٣ .

المبحث الثاني :

الحياة الاجتماعية في عصر ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى

المبحث الثاني :

الحياة الاجتماعية في عصر ابن أبي زيد :

كان الروم البيزنطيون وهم الفرنجة[1] في بلاد الشمال الإفريقي قد استولوا وسيطروا على أهله ، بعد استيلائهم وسيطرتهم عليه سيطرة تامة ، وحين قام المسلمون بغزو هذه البلاد لقوا مقاومة عنيفة مستميتة من الروم المستعمرين دفاعا عن سلطانهم ، فابادوا كثيرا من المسلمين ، وقد رجع البعض منهم إلى بلاده ، ولم يبق في الشمال الإفريقي منهم في أول الأمر إلا قليل ، وكذا فعل الافارقة بالفاتحين العرب لارتباط مصالحهم بمصالح الروم ، حيث دخلوا في خدمتهم ، وقد كانت مقاومتهم للمسلمين شديدةً ظنا منهم أنهم - كغيرهم من الغزاة لم يأتوا إلا لاستغلال خيرات بلادهم وتسخيرهم ، فلما عرفوا سماحة الإسلام وعدله دخلوا فيه أفواجاً .

ولما أسس المسلمون مدينة القيروان سنة ٥٠هـ ، على يد عقبة بن نافع ، سكنها أولا العرب ومن أسلم من البربر ، ثم توافدت إليها أجناس متعددة عبر القرون ، ويفسر هذا القول ما قاله المؤرخ اليعقوبي حين زار القيروان في آخر القرن الثالث حيث قال : (وفي مدينة القيروان أخلاط من قريش ومن سائر

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١٠٧/٦ .

بطون العرب ، من مضر وربيعة وقطحان ، و ا أصناف من عجـن الـبلاد : البربر، والروم ، وما أشبه ذلك)[1] .

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن ا تمع القيرواني يضم الأجناس الآتية:-

١) العرب : وهم الذين جاءوا أولاً مع عقبة ، ثم من جاء بعد ذلك مع حـسان بن النعمان وغيرهما من القادة ثم من جاء من بعدهم ، وجاءت بعدهم ، وفود كثيفـة حتى آخر القرن الثاني ، وهم الذين قاموا بالتدريس والتعليم ونشر الدعوة الإسلامية في ربوع القيروان كما كانت إدارة البلاد بأيديهم وهم من قبائل شتى[2] .

٢) - البربر : سكان البلاد وقد كانوا معرفين م الاسم قبـل اعتنـاقهم الإسلام وكانوا أول الأمر - يشاركون في الانتفاضات ضد الحكـم العـربي ثم أقبلوا على اعتناق الإسلام وتلقى العلم الشرعي بعد أن تبينوا محاسـنه ونعمـوا بعدل الفاتحين المسلمين ، وقد شاع في الشمال الإفريقي التصاهر بينـهم وبـين العرب ، وأدى ذلك إلى التمازج وتقوية الروابط الاجتماعية بين العنـصرين ، وهو من أهم أسباب استقرار الإسلام لدى البربر ، وانتشار لغة القـرآن بينـهم بسبب الاختلاط بين الجنسين في السكنى والمعاملات ودور التعليم .

٣) - الفئات الأخرى : وهم الصقالبة[3] ، والسودان[4] ، وعجم الروم ، وقد كان أكثرهم من الرقيق أو الجند ، ولم تذكر عنهم كتب التاريخ أية مساهمة

---

(١) البلدان ص١٠٠ .

(٢) ورقات جـ ٥٣/٢ ، وانظر مدرسة الحديث بالقيروان جـ ١١١/١ .

(٣) الصقالبة: جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم، وقيل للرجل الأحمر صقلاب على التشبيه بألوان الصقالبة، وقيل: بلاد بين بلْغار وقسطنطينية وتنسب إليهم الحزم والصقالبة: واحدهم صقلبي، وقال ابن الكلبي: ومن أبناء يافث بن نوح، عليه السلام، يونان والصقلب والعبدر وبرجان وجرزان وفارس والروم فيما بين هؤلاء والمغرب، (معجم البلدان جـ٤١٦/٣، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي)، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر) .

(٤) السودان في اللغة عن جمع الجمع لكلمة أسود، ودلالتها السياسية تطلق على الأرض التي تقع في جنوب مصر وتتضمن القطاع الأعظم من حوض النيل الأوسط ، لم يشتهر كدولة إلا في فجر القرن العشرين ، ومع البداية ، المبكرة لنظام الحكم الثنائي المشترك بين مصر وبريطانيا في سنة ١٨٩٩م ، انظر كتاب السودان دراسة جغرافية للدكتور صلاح الدين على الشامي ص١٤ - ١٥ ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية .

في إثراء الحياة العلمية بيد أن منطقتهم كانت مصدراً لثروات عظيمة وتجـارات رابحة كتجارة العبيد والملح والذهب وغيرها من المنتجات .

وكانت لبلاد سـجلماسة[١] وأوذعسـت[٢] وبلاد الـسودان علاقـات اجتماعية وثيقة مع سكان المغرب العربي من ذلك مأورد في ترجمـة أبي يزيـد الخارجي من كونه ولد بالسودان لجارية هوارية إذ كان أبوه يختلف - للتجـارة - إلى هذه البلاد[٣] .

ووجود العنصر الأسود في الشمال الإفريقي دليـل علـى قـوة التـرابط الاجتماعي بينه وبين المناطق الإفريقية الأخرى .

٤) - **اليهود والنصارى :** لقد وجدت الديانتان في الشمال الإفريقي[٤] قبل الإسلام ولكن لم يكثر انتشارهما بين البربر .

وبناء على ماتقدم فإن ا تمع في الشمال الإفريقي لم يكن منعزلا عن غـيره من ا تمعات ماقرب منها أو بعد كما كانت له مع المشرق العـربي علاقـات

---

(١) سجلماسه : بكسر أوله وثانيه ، وسكون اللام ، وبعد الألف سين مهملة : مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان : بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب ... معجم البلدان جـ١٩٢/٣ ، وهذا التحديد في وقت المؤلف .

(٢) أوذَغَست : بالفتح ثم السكون ، وفتح الذال المعجمة ، والغين المعجمة ، وسكون السين المهملة ، والتاء فوقها نقطتان ، قال ابن حوقل : دون لمطة من بلاد المغرب تامدلت ، وعلى جنو ا أوذغست مدينة ، وعلى سمتها في نقطة المغرب أو ليل ، وبين سجلماسه إلى أوذغست مسيرة شهرين على سمت المغرب فتقع منحرفة محاذاة عن السوس الأقصى كأ ما مع سجلماسة مثلت طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس إلى أوذغست ، وهي مدينة لطيفة أشبه شيء بمكة ، شرفها الله وحماها ، لأ ا بين جبلين وقيل غير ذلك . (المعجم جـ ٢٧٨/١) .

(٣) الكامل لابن الأثير جـ٤٢٢/٨ - ٤٢٤ .

(٤) فالنصرانية دخلت حوالي القرن الثالث الميلادي في الدولة الرومانية ، أما اليهودية فلعلها دخلت مع الجالية اليهودية إلى إفريقية بعد خراب بيت المقدس في - القرن الثاني الميلادي - وسريعا ما تعربوا بعد الفتح وامتزجوا بأهل البلاد ، وساهموا في التجارة والصناعة ، وربما اختصوا بصياغة الحلي ، حتى إنه كانت لهم بالقيروان سوق معينة تعرف (بسوق اليهود) وذلك في القرن الثاني للهجرة . انظر ورقات جـ٥٣/٢ ، الرياض جـ ١٩٣/١ .

قوية عملت على تقويتها العقيدة الإسلامية التي كان العمل على نـشرها هـو الدافع الوحيد للفتح الإسلامي للشمال الإفريقي .

ولا أدل على ذلك مما قيل من أن إمام دار الهجرة عرض على ابن غـانم - العالم التونسي - تزويجه ابنته[1] ، وكذلك ماكان بين علماء القيروان ، وتونس من العلماء المشارقة من فارس ، ومصر وبغداد ، كأسد بن الفرات (٢١٣هـ) ،

وعلي بن زياد (ت١٨٥هـ) ، وعبدالله بن فروخ الفارسي (١٧٦هـ ـ) ، بل كان سكا ما العرب من اليمن والأنصار ، وبمرور الزمن انـصهر ا تمـع الإفريقي البربري وا تمع الإسلامي العربي في بوتقة واحدة تحت ظل الإسـلام واللغة العربية .

ومثلما كان لهذا ا تمع علاقات متينة مع المشرق الإسـلامي كانـت لـه علاقات أخوية مع بلاد الأندلس زاد ا وثاقة ومتانة ، القوافل التجارية ودعمتها الرحلة في طلب العلم أو نشره وحافظت على استمراريتها وحدة العقيدة ووحدة الجنس ووحدة المدرسة الفقهية إذ كان الجميع من أتباع المذهب المالكي وكـان الغالب عليهم العقيدة الإسلامية السنية .

وفيما يتعلق بوضع المرأة الإجتماعي بالمغرب العربي في القرن الثالث والرابع الهجري .

فقد كانت للمرأة القيروانية مساهمات دعوية حيث إ ا قد نالت حظا وافرا من العلم ، فقد كانت للبنات كتاتيب خاصة ن لأن الإمام سـحنون كـره اختلاطهن بالغلمان كما أن المحدث عيسى بن مسكين (ت٢٩٥هـ) قد خصص فترة ما بعد العصر لتدريس بناته وبنات أخيه[2] كما علّم سحنون ابنته خديجـة (ت٢٧٠هـ) حتى برعت في الحديث والفقه فكانت لها بعد ذلك حلقة لتعلـيم

(١) معالم الإيمان جـ ٣٠٤/١ .
(٢) المدارك جـ ٢٢٧/٣ .

النساء ، وكانت مفتية نساء أهل زمانها ، كما وجد من نساء القيروان من حفظت القرآن الكريم وموطأ الإمام مالك،قال أحمد بن نصر الفقيه(ت٣١١هـ)

تزوجت امرأة حافظة لكتاب الله عزوجل ، وللموطأ[١] ، كما كان من بين النساء شاعرات مجيدات مثل « مهرية » بنت الحسن بن غلبون التميمي المتوفاة في حدود سنة ٢٩٥هـ[٢] ، وكان أمراء وأميرات القيروان يشجعون مثل هذه الابتكارات الشعرية اقتداء بأسلافهم من أمراء بني الأغلب والمهالبة وكانوا يستخدمون في ذلك مختلف وسائل الترغيب في الإقبال والانكباب على التعليم ونشره في وسط المجتمع القيرواني ، وقد نقل المالكي ت٤٥٣هـ : « أن الأمراء الأغالبة كانوا يأتون جامع القيروان ليلة نصف شعبان ، وليلة نصف رمضان ويعطون من الصدقات الكثير ، ثم يخرجون في حشمهم وأهل بيتهم من الجامع - جامع عقبة - إلى أنحاء المدينة فيزورون دور الزهاد والعلماء ، والكتاتيب والمحارس والدمنة - وهي مستشفى القيروان - فيوزعون عليهم الأموال والعطايا الجسيمة[٣] .

ولاشك أن مثل هذه العطايا السخية لها أثرها في النفوس بتقوية أواصر المحبة بين أفراد المجتمع ، وأمثال هذه الأخبار المروية في شأن رعاية الأمراء والعلماء والأغنياء لصغار المتعلمين تكاد لاتحصى .

وبناء على ماتقدم أرى أن المجتمع القيرواني في ذلك الوقت كان مجتمعا نظيفا غلب على أهله التعبد وحب الخيرات والتمسك بالفضيلة ، وكان العلماء بالمرصاد لكل بادرة تخدش أوامر الله فقد قطع القاضي ابن طالب (ت٢٧٥هـ) الملاهي[٤] ، وهدم الإمام سحنون دار امرأة عرفت بالفساد ونقلهاالى داربين قوم صالحين ، وهكذا تطهر المجتمع القيرواني من بؤر الفساد وأصبح على مستوى

---

(١) الرياض جـ١٨٦/٢ .

(٢) ورقات جـ٨٦/١ - ٨٧ .

(٣) الرياض جـ٧٥/٢ ، وورقات جـ/٨٧ .

(٤) الرياض ٤٧٦/١ .

أخلاقي رفيع ، إلا أن حياة المدن ا أورة ، والتي كان يسكنها الأمراء وحاشيتهم ، مثل رقادة ، وصبرة ، والعباسية قد عرفت ا ون واللهو حتى قال بعض الظرفاء من أهل القيروان : -

ياسيد الناس وابن سيـدهم	ومن إليه الرقاب منقـادة
من حرم الشرب في مدينتنا	وهو حلال بأرض رقادة(١)

وقد عرف ا تمع القيرواني تكافلا كبيراً وتضامنا بين افراده ، فقـد كـان العلماء والفقهاء وصلحاء الأغنياء يواسون الفقراء ، ويعنون بـأمر المحتـاجين ، ويتفقدون أحوالهم ، ولا أدل على ذلك مما فعله البهلول بن راشد[٢](ت١٨٣هـ) فعندما أخذ من أحد أصحابه مائة دينار وعزم أن يحج ا - وكان قد حج حجة الإسلام - ، وكان الناس في ضيق ، « فهذا يقول له : تزوج منها وعش بالباقي، وآخر يقول له : وسع ا على عيالك وصبيانك ، وثالث يقول له : استر ـا وجهك »(٣). ولكنه قام بتوزيعها على المحتاجين .

ونحى منحاهم ابن أبي زيد في سلوكه الاجتماعي فكان كلما تقدمت بـه السن ازداد التصاقا بمجتمعه وعني بقضاياه ومشاركته أفراحه وأتراحه يحنوه على ضعيفه ورحمته لصغيره وعطفه على فقيره وعيادة مريضه والصلاة على ميته ومن ذلك ما ذكرته المصادر عن أبي الحسن القابي من قوله : (دخلت على أبي عبدالله العسال وابنه أبو حفص في ال ع وهو جالس وفي يده جزء مـن القـرآن وفي ا لس أبو سعيد بن أخي هشام وابن التبان وابن أبي زيد والشيخ على حاله يقرأ حزبه بحذاء طاق في داره ثم يحول وجهه إليهم فيقول : كيف رأيتم أبا حفص ؟

---

(١) ورقات ١٩١/٢ ، ومدرسة الحديث في القيروان ١١٤/١ .

(٣) أبو عمرو البهلول بن راشد الحجريثم الرعيني مولاهم . روى عن مالك بن انس والثوري، والليث بن سعد،ويونس بن يزيد،وموسى بن علي بن رياح التخمي،وغيرهم وسمع منه :سحنون بن سعيد ، وعبد المتعال ، وعبدالله بن مسلمة القعنبي ، وعون بن يوسف ،وأبو زكريا الحفري ، ويحى بن سلام وغيرهم ، ولد سنة ١٢٨هـ ومات سنة ١٨٣ هـ. وهو ابن خمس وخمسين سنة (كتاب المعالم للدباغ جـ ١ : ٢٦٤-٢٧٨).

(٣) المعالم ٢٧٢/١ .

فتقول الجماعة بخير إن شاء الله إلى أن مات فترحموا عليه وسكتوا فحول الشيخ وجهه وقال : مات أبو حفص ؟ قلنا نعم أصلحك الله وجبر مصابك ، فثنى الجزء ولم يطبقه ثم حول وجهه إليهم وهو جالس في مكانه فقال رحمك الله يا بني فلقد كنت صواما ...[١] .

ولم يخرج أبو محمد بن أبي زيد وصحبه إلا بعد أن غسلوا ابن شيخهم وهيؤوه لاستقبال خالقه له ، إذ ماكان لابن أبي زيد الاجتماعي بفطرته أن لايشارك شيخه العسال في مصابه الجلل بفقدانه ابنه أبي حفص أن مثل هذا العمل لمن خصال الوفاء والاعتراف بالجميل التي تعتبر من اهم مميزات شيخنا أبي محمد بن أبي زيد في سلوكه الاجتماعي إذ لم تكن مشاركته هذه متوقفة على الشيوخ ووجهاء البلد بل كانت عامة من ذلك مأورد في ترجمة ابن قمرة الذي كان فقيها صالحا فقيرا ، فلما توفي لم يجدوا ما يكفنونه به فتكفل ابن أبي زيد به ولم يلبث ابن أبي زيد أن مات بعده بثلاثة أيام[٢] ، وقصته مع طالبيه وتزويجهما وانفاقه عليهما لهي من أكبر دليل وأقواه على هذه الروح الاجتماعية المتمسكة بمفهوم الأثر الوارد « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٣] .

ولاشك أن ابن أبي زيد قد تأول قوله تعالى : { وفي أموالهم حق للسائل والمحروم }[٤] الآية .

كما أنه لم يتأخر عن إرسال ألف دينار عينا إلى القاضي عبدالوهاب المالكي ٤٢٢هـ لما بلغته شدة احتياجه ، كما أعان ابن عبدالله المغربي حين وفوده على القيروان بمائة* وخمسين دينار ذهباً يستعين ا في مدينة هو غريب عن أهلها

---

(١) المعالم ٥١/٣ - ٥٢ .

(٢) المعالم ١٠٨/٣ - ١٠٩ .

(٣) عن عبدالله بن عمرو ، رضي الله عنه ، يبلغ به النبي - ... - ((الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء)) . أخرجه أبو داؤد في سننه في كتاب الأدب ٦٦ ، رقم ٤٩٤١ ، باب في الرحمة .

(٤) سورة الذاريات آية : ١٩ .

* - فيما يبدو لي والله اعلم إن هذه التحديدات قد يكون من مبالغات المؤرخين إذ لايعقل ⇦

وكما لم يتوان عن تجهيز بنت صاحبه أبي الحسن القابسي لعلمه بحـال أبيهـا المادية، وهو يمد صديقه ابن شبلون في مرضه بخمسين دينارا ذهبا لينفقها علـى أهله وعلى علاجه وهذه الأفعال وغيرها مما يمثل قمة التضامن الاجتماعي يجمعها ابن ناجي في كلمة بليغة في قوله (وله صنائع مشكورة)[1] وذكر الدباغ في محل آخر : (كان ابن أبي زيد رحمه الله من الأجواد وأهل الإيثار والـصدقة كـثير البذل للفقراء والغرباء وطلبة العلم ، فكان ينفق عليهم ويكسوهم ويزوده.)[2].

وإضافة إلى هذا ، تميز المجتمع القيرواني بكثرة من فيه من العباد ، والزهـاد، والصلحاء ، الذين امتلأت بهم المساجد ، والحصون ، وقصور الرباط ، ولم تظهر لديهم انحرافات عقدية كالقول بالحلول ونحو ذلك من البدع والضلالات ، فقد حافظوا على سنيتهم ، وابتعدوا عن التأويل وما أدى إليه نتيجة لانشغالهم بالعلم إلى جانب العبادة وقد ظل العلماء هم القادة الحقيقيون للشعب وذلك لما غلـب على حالهم من السمت والتقوى والعزوف عن مناصب الدنيا وشواغلها ، مـع الصبر على المحن ، والدفاع عن المظلومين ، والوقوف في وجوه الحكام دفاعا عن

أن الشيخ ابن أبي زيد يسطر بنفسه أعماله الخيرية حتى يذكر . بهذه المثابة وذلك نظرا لتقواه وعلمه بأن الله لايضيع منه شيء وهو حسيبه ، كما أنه أعلم من غيره بأن إخفاء الصدقة أمر مطلوب شرعي لقوله تعالى : { وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ، إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير } سورة البقرة الآية : ٢٧٠ - ٢٧١ .

يقول ابن كثير : يخبر تعالى بانه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعالمين لذالك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده ، (تفسير ابن كثير ٣٢٢/١) وأن الإنسان لايرتقى إلا إذا حسنت سريرته وذلك لما ذكره الإمام الذهبي في مناقب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى .

عن ابن المبارك : مارأيت أحدا ارتفع مثل مالك ليس له كثير صلاة ولا صيام إلا أن تكون له سريرة ، السير ٩٧/٨ ، وأقول إن ماذكر عنه من تحديد الانفاق والاحسان لا أظن إن الشيخ يرضى بذلك حيث إن ذلك يكون ضررا عليه لمنافاته الإخلاص .

(١) المعالم ١١٣/٣ ، وكتاب د. الدرقاش ٢٧٠/١ .

(٢) المعالم ١١٣/٣ .

الدين .

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على الحياة الاجتماعية داخل المجتمع نفسه نجد أن للحياة الاجتماعية هناك نفس السمة التي اتسمت بها الحياة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية العربية الأخرى ، فقد شهد آخر القرن الأول ومطلع القرن الثاني وفود عدة من الدعاة إلى المذهب الخارجي من الإباضية والصفرية ، كما كان بها عدد من المعتزلة ، والشيعة الإسماعيلية وكان كل من هؤلاء يبث فكرته في مسجد عقبة بن نافع رضي الله عنه بالقيروان حتى منعهم الإمام سحنون لما تولى قضاء القيروان سنة ٢٣٤هـ ، وبسبب وجود هذه النحل المختلفة المناوئة للإسلام ومبادئه أثيرت كثير من المسائل الكلامية ، وكثرت المناظرات ، ونهضت كل فرقة في الرد على غيرها ، وقد جلد كثير من العلماء في قضية القول بخلق القرآن[1] [2] ، وشمر العلماء للرد على مزاعم المعتزلة وكان من أبرز المتكلمين خلال القرن الثالث الهجري الإمام محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ) ، الذي حذق فن الجدل والمناظرة عن شيخه محمد بن حضرم فكان إماما في الجدل والكلام ، وعلى يديه بدأ الخوض في المسائل الكلامية حيث كانت له جولات مع مختلف الفرق الكلامية التي عايشها المجتمع القيرواني[3] .

وقد حذا حذوه ابن أبي زيد القيرواني في رده على رسالة علي بن أحمد بن إسماعيل[4] المعتزلي البغدادي مثل ذلك خلافهم حول جواز الاستثناء في الإيمان ، وقد اختلف في ذلك ابن عبدوس وابن سحنون ثم تكرر الخلاف في زمن الشيخ ابن أبي زيد وزميله الشيخ أبو محمد بن التبان ، وهو هل يجوز أن يقول أنا مؤمن

---

(١) انظر مدرسة الحديث في القيروان ١١٥/١ ، بتصرف .
(٢) المصدر السابق ٥٤/١ ، وكتاب أبي زيد للدرقاش ٤٧/١ بتصرف .
(٣) محاضرات ملتقى القيروان ص٤٥٩ ، وانظر المدارس الكلامية من ٣٠ - ٤٥ .
(٤) المدارك ١٤/١ ، و ٤٩٤/٤ .

عند الله أن لا ؟ فجوزه محمد بن التبان وقال بقوله جماعة وخالفه ابن أبي زيد ، وانكر عليه ذلك وقال إنما يقال إن كانت سريرتك مثل علانيتك فأنت مـؤمن ووافقه على ذلك أكثر القرويين[1] .

وهناك خلاف كان أقل حدة من سابقه وهو الخلاف بين المدارس الفقهيـة من مالكية وأحناف وهو خلاف ناتج عن تنوع تلك المدارس الفقهية حـتى إني لأجد في ترجمة الإمام سحنون أنه كان أول من أخرج أهل البدع من المـساجد وأول من ابتنى بيتا في المسجد ليحكم فيه بين المتخاصمين.

وما تقدم يؤكد ما سبق أن ذكرته من أن المجتمع القيرواني كان مجتمعا نظيفا غلب على أهله التعبد وحب الخير مع التمسك بالفضيلة ويقول د. الدرقاش فبي هذا الصدد .. (... وحياة سحنون القاضي وحماس القاضي وجبلة بن حمـود أكبر دليل على أن المجتمع القيرواني كان مجتمعا متقدما فكريا ناضجا إجتماعيـا مطلعا على خفايا الأمور مما جعله يمتلك ثقافة سياسية عميقة وواضحة الرؤية ، هذا بالإضافة إلى تماسك أغلبيته لاشتراكهم في العقيـدة الـسنية واتحـادهم في المذهب الفقهي السني[2] .

(١) انظر : المعالم ٩٥/٣ .

(٢) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٤٨/١ .

المبحث الثالث :

الحياة الاقتصادية في عصر
ابن أبي زيد القيرواني
رحمه الله تعالى

أفاضت كتب تاريخ المغرب في الحديث عما امتن الله به على المغرب العربي من وفرة الغنائم التي أصا ا المسلمون في إفريقية على وجه العموم ، والتي كان يحول كثير منها إلى المناطق الإسلامية ا أورة وقد استمر ذلك طيلـة مـدة الفـتح الإسلامي له فلما استقر الإسلام في بلاد البربر بدأ الناس يـشتغلون بالفلاحـة والتجارة ، غير أن كثرة الثورات والحروب شلت الحركة الاقتصادية في الـبلاد ومنعتها من النمو ، ذلك أن النماء الاقتـصادي يقتـضي بالـضرورة وجـود الإطمئنان الاجتماعي فالإنسان هو المحرك للإقتصاد حيث لا يوجد رغيف بدون فلاح ولا محراث بدون حداد ولا بضاعة بدون تاجر ، ولهذا فتطـور الاقتـصاد متوقف على مدى توفر السلام الاجتماعي وذلك لأن الفلاح والصانع والتاجر هم لبنات مهمة في بنية ا تمع . وإذا سلّمنا ذا فحري بنـا أن نـدرس مـصادر

الاقتصاد ببلاد إفريقية بصفة عامة وشمالها بصفة خاصة . حتى نعرف أهمية مواردها ومدى قدرا على توفير الأمن الغذائي لأهلها ومدى عدالة حكامها في توزيع الثروة الاقتصادية على أفراد هذا ا تمع[1] .

وقد قام الاقتصاد بإفريقية والمغرب على مصدرين هما : الزراعة والتجارة .

أما فيما يخص ا ال الزراعي فقد ساعد على ازدهاره مناخ معتدل وثروة مائية قادرة على ري أراض شاسعة صالحة للانتاج الزراعي ومراعٍ خصبة وفرت لهذا القطر ثروة حيوانية مهمة ولقد عرفت سهول تونس وما جأورها شمالا وجنوبا بالخُضرة الدائمة منذ أقدم العصور حتى نعتها قدماء الرومان بمطمورة رومة وكذلك سهول القيروان وماكانت تزخر به من إنتاج زراعي ، وماكان متوفرا فيها من مياه يجري ا راها : زرود ومرق الليل وقد وصف خصوبتها المؤرخون القدامى من أمثال ابن حوقل[2] ومن بعده البكري[3] والإدريسي[4] با ا مناطق عامرة ذات إنتاج زراعي جيد وغزير حتى قال البكري في حديثه عن سهول القيروان الغربية المعروفة بفحص الدرارة : إ ا تنبِت في بعض الأحيان مائة ضعف لما يبذَر فيها[5] ، أما إذا انطلقنا جنوبا فإننا

---

(١) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٤٩/١ بتصرف .

(٢) محمد بن علي بن حوقل النصيبي (٣٦٧هـ/... - ٩٧٧م) ، البغدادي ، الموصلي (أبوالقاسم) رحالة ، جغرافي ، كان تاجرا ، ورحل إلى بغداد ، ودخل المغرب ، وصقلية ، وجاب بلاد الأندلس وغيرها ، وتوفي بعد سنة ٣٦٧هـ ، من آثاره : المسالك والممالك ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥٠٨/٣ ، وهدية العارفين ٤٣/٣ ، طبعه أولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٣) شمس الدين بن أبي السرور بن محمد بن علي بن عبدالرحمن البكري ، الصديقي ، الشافعي، مؤرخ ، له عيون الأخبار ونزهة الأبصار ، وفيض الجنان بذكر دولة آل عثمان ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨٢٠/١ .

(٤) عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس بن الحسن الاستراباذي ، ويعرف بالإدريسي محدث ، حافظ ، مؤرخ ، رحل في طلب العلم والحديث ، وقدم بغداد وحدث ا ، وسكن سمرقند ، وتوفي ا سلخ ذي الحجة ، من تصانيفه : تاريخ سمرقند ، تاريخ استراباذ ، وتراجم الشيوخ على الأبواب ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١١٩/٢ ، وهدية العارفين ٥١٥/١ .

(٥) كتاب ابن أبي زيد القيرواني للدرقاش ٤٩/١ ، نقلا عن كتاب المسالك والممالك للبكري ⇦

سوف نصل إلى واحات الجريد ونفزاوة وماكانت تزخر به تلك الواحات مـن انتاج غزير من التمور وغيرها من البقول والخضروات في بساتين لاتخترقها أشعة الشمس لتشابك أغصان أشجارها ، حتى قال البكري أيضاً إن ألف حمل مـن التمور يخرج منها يومياً[1] .

وأما الحديث عن التجارة في الشمال الإفريقي فإنه يفضي إلى الوصـول إلى غابات الزياتين من أرض صفاقس وما حولها وهي غابات عرفت منـذ القـدم بغزارة إنتاجها وجودته ، ومثلها في ذلك منطقة الساحل الشرقي ، حتى قيل إن سفن المسلمين والنصارى كانت تزدحم في مياه ميناء صفاقس لشراء الزيـوت والاتجار فيها مع البلدان الأخرى مثل إيطاليا وغيرها بل يقال إن أهل بيزة قـد جعلوا لأنفسهم فندقا بصفاقس لشراء الزيت وغيره من البضائع مما يدل علـى وجود علاقات تجارية نشطة بينهم وبين إحدى حواضر إفريقية كـالقيروان[2] ، ولم يتناقص هذا الإنتاج الزراعي من زيت الزيتون بصفاقس إلا بعد زحف بـني هلال الذين عاثوا في تلك الغابات فسادا .

وقد ارتبطت بالإنتاج الزراعي صناعة متوطرة ومتقنة وجيدة الـصنع هـي صناعة الزرابي والبسط والثياب الصوفية والقطنية والحريرية ، وكانـت تـونس والقيروان والمنصورية وبلاد الجريد وصفاقس وسوسة والمهدية من أهم حواضـر إفريقية في هذه الصناعة التي اشتهرت شهرة عالمية ولا زالت إلى الآن حتى غـدا الطابع القيرواني على الزربية دليل الجودة والإتقان .

كما كانت مدن الشواطيء الإفريقية مصدرا مهما في تجارة الأسماك والانتاج البحري مثل بـ رت وتونس والمهدية وصفاقس وقابس وجربة .. الخ ، فقد ذكر المؤرخون أن مدينة بـ رت مثلا كانت مدينة تجارية جميلة وأن تجارة الأسماك ا كانت تجارة لها رواج .

ص٢٤

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٢) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٥٠/١ ، نقلا عن حياة القيروان لابن رشيوحي ص٧٦ .

وسأشير إشارة سريعة إلى العصور التي سبقت عصر بني عبيد الذي عاش فيه ابن أبي زيد لنعرف مدى ازدهار الاقتصاد أو تدهوره ، ولقد اتسمت سياسة الدولة الأموية بالتعصب للعرب على غيرهم من الشعوب ، كما اتسمت سياستهم الاقتصادية بالشدة ضد الشعوب المغلوبة وتلك السياسة هي من مرسومات الحجاج بن يوسف الثقفي وأنفذها عمال الدولة في كل الأقاليم ، وهي إبقاء الجزية على من أسلم من الموالي ، وذلك لأن امتداد الحركة الإسلامية كان قد اشتد ، وأخذت أعداد كبيرة من أهل البلاد المفتوحة تدخل في الإسلام ، فقلت موارد بيت المال بسبب نقص الجزية ، ولما كانت الدولة في حاجة شديدة إلى المال لتواجه المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تواجهها ، فقد حرصت على إبقاء هذه الموارد ، كما تشددت في جمع الخراج وزادت من مقدار الجزية ، وهذا هو الأمر الذي أغضب أهل البلاد المفتوحة وأثارهم ضد الدولة .

وقد وقع هذا الجور على البربر في شمال إفريقية ، حيث عاملهم عبيدالله ابن الحبحاب عامل هشام بن عبدالملك معاملة قاسية « أراد أن يخمس مسلمي البربر وزعم أنهم فيء للمسلمين » وذلك شيء لم يرتكبه أحد قبله[1] وبما أن البربر قوم غضوبون خشنون أشبه بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية[2] ، افتقدوا ما عوهدوا عليه من المسأواة والعدالة في حكم عمال بني أمية بعد عهد عمر بن عبدالعزيز فانضموا إلى الثوار ضد دولة بني أمية واستمرت الحرب حتى قامت الدولة العباسية ولم يكن خروج البربر على الأمويين والعباسيين يمثل خروجا على الدين ، وإنما كان خروجا على السلطة الحاكمة ، لظلم الولاة وفرضهم الضرائب الفادحة عليهم[3] .

أما في العهد الإدريسي فقد امتد ببلاد المغرب من السوسي الأقصى إلى وهران ، وكانت حاضرتهم مدينة فاس التي بلغت حدا كبيرا من العمران والرقي

(١) ابن الأثير ٧٥/٥ .

(٢) انظر ابن عذاري البيان المغرب ٢٠/٢ .

(٣) العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٤٠٧ ، أحمد إبراهيم الشريف وشريكه .

وأصبحت مركزا من مراكز الثقافة الإسلامية[١] .

وفي عهد الأغالبة ازدهرت الحياة الاقتصادية في إفريقية ازدهـارا كـبيرا لم تشهده منذ القرن الثالث الميلادي ، فقد وفر لها الأغالبة الأمن الذي افتقدته وقتا طويلاً ، وفي ظل هذا الأمن توفر السكان على أعمـالهم ، فـزادت المحاصـيل الزراعية ، وعمرت بالزراعات أراضي لم تكن عامرة وهي الآن تبدو منطقة شبه صحراوية ، فقد عمرت المنطقة الممتدة بين قمودة والساحل بأشـجار الزيتـون والنخيل ، .... كما تقدمت الصناعة وبخاصة صناعة الآلات الحديدية اللازمـة للسفن ، والسيوف والدروع والسروج واللجم ، والذهب والفـضة ... كمـا ازدهرت التجارة وبخاصة في القيروان حاضرة الأغالبة ازدهارا عظيما وكثرت في يد أهلها الأموال بسبب هذه التجارة ، ويصف الإدريسي نمو القيروان ورخاءها بقوله : « أم الأمصار ، وقاعدة الأقطار ، وكانت أعظم مدن الغـرب طـراً ، وأكثرها بشرا ، وأيسرها أموالاً ، وأوسعها أحوالاً ، وأتقنها بناء ، وأنفسها همما ، وأربحها تجارة ، وأكثرها جباية،وانفقها سلعة ، وأنماها ربحا »[٢]

وكان إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ - ١٩٦هـ) تنازل عن الإعانة التي كانت تقدمها مصر لولاة هذا الإقليم ومقدارها مائة ألف دينار ، فوق أنه يمد بيت مال الخلافة بأربعين ألف دينار[٣] . وقد بلغت إفريقية في ظل الأغالبة شأوا عظيما من التمدن والحضارة وظهر أثر ذلك في كثـرة المنـشآت العمرانيـة كالمـساجد والحصون، والقصور ، والحمامات ، والفنادق ، والأسواق ومراجل[٤] الميـاه ، كما أنشيء مستشفى (وهو المعروف بالدمنة)[٥] للعلاج وايواء العجزة ، وكان

(١) المصدر السابق ص٤١٣ .

(٢) المصدر السابق ص٤١٩ .

(٣) المصدر السابق ص٤١٥ ، وكتاب مدرسة الحديث في القيروان ١١٦/١ .

(٤) المراجل هي : خزانات الماء يجتمع فيها المطر للشرب منه عند الحاجة .

(٥) الدمنة : وأول هذه المرستانات هي الدار التي أنشئت بالقيروان في ناحية من أطرافها تسمى ((الدمنة)) تقرب من المسجد ، المعروف بمسجد السبت ، وإنما أطلق على هذا المستشفى اسم الموضع الذي أقيم فيه البناء ، فصار علما له ، فاقتصر في تعريفه على كلمة ((الدمنة)) وأسقط ⇦

من بينهم كثرة من أهل العلم[1] ، وقد بلغ عدد الحصون والمحارس[2] وقصور الرباط التي أنشئت في عهد الأغالبة ثلاثين ألفا ، فإذا حدث أمر توقد النار ، فيتصل الخبر في ليلة واحدة من سبتة إلى الإسكندرية[3] ، وكان أكثر من يؤمها العباد وأهل العلم لحراسة المسلمين ، كما أمن الأغالبة طرق القوافل التجارية وقضوا على قطاع الطرق ، وبالجملة فقد كان عهد الأغالبة عهد عمران ورخاء في تونس .

وهذا الإزدهار لايعني عدم وجود بعض الأزمات الاقتصادية في عهد الأغالبة كما حدث في عهد إبراهيم بن أحمد (٢٦١ - ٢٨٩) حتى اضطر إلى سبك حلي نسائه ، وثار عليه الناس الثورة المعروفة بثورة الدراهم[4] .

فلما جاء العبيديون افتعلوا الأسباب لأخذ أموال الناس بكل طريق ، وكثرت المغارم على الضياع وغيرها ، وحالوا بين الأموال وبين مستحقيها وأعطوها إلى أتباعهم وإلى اليهود والنصارى وأنفقوها في الخمور[5] فأصاب

اسم ((بيمرستان)) أو مرستان أو مستشفى ، وربما عرف كامل الحي باسم ((حارة المرضى)) ، انظر ورقات ٢٧٤/١ نقلا عن رياض النفوس لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي ٦٦/٢ (مخطوط) .

(١) الرياض ٤١١/١ .

(٢) جمع المحرس وهو الرباط ، وهو عبارة عن المكان الذي يحرس فيه علماء القيروان عن الأعداء منعا من الإقتحام عليهم .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٨٨/١٣ .

(٤) البيان المغرب ١١٩/١ - ١٢٠ ، وذلك أن إبراهيم بن أحمد ضرب الدراهم الصحاح ، وقطع ماكان يتعامل به من القطع ، فأنكرت ذلك العامة ، وغلقوا الحوانيت ، وتالفوا ، واروا إلى رقادة ، وصاحوا على إبراهيم ، فحبسهم في الجامع ، واتصل ذلك بأهل القيروان ، فخرجوا إلى الباب ، واظهروا المدافعة ، فوجه إليهم إبراهيم بن أحمد وزيره أبا عبدالله بن أبي إسحاق ، فرموه بالحجارة وسبوه ، فانصرف إلى السلطان إبراهيم بن أحمد ، فأعلمه بذلك ، فركب إبراهيم إلى القيروان ، ومعه حاجبه نصر بن الصمصامة في جماعة من الجند ، فناصبه أهل القيروان القتال ، فتقدم إبراهيم بن أحمد إلى المصلى ، فـ ل ، وجلس ، وكف أصحابه عن قتالهم ، البيان المغرب ١٢٠/١ - ١٢١ .

(٥) المدارك ٧١٤/٣ .

الناس في عهدهم ضيق شديد .

أما في عهد بني زيري فقد أخذت الحياة الاقتصادية تستعيد حيويتها وازدهارها شيئاً فشيئا ، وخاصة بعد مجاعة سنة ٣٩٥هـ ، التي خلت بسببها المساجد ، ومات فيها كثير من العلماء والصلحاء[1] ، فلم يات عهد المعز بن باديس (٤٠٧ - ٤٤٩هـ) حتى بلغت البلاد من الثروة والبذخ والأبهة ما لم يسبق لها أن شهدته ، واستقر الوضع ، وأقبل الناس على ما ينفعهم من التحصيل العلمي والتصنيف في شتى فنون العلم .

ولقد قام الاقتصاد القيرواني على التجارة والزراعة والصناعة ، وبلغ كل منهما شأوا بعيدا ، حتى إن الباب الواحد من أبواب صبرة كان يدخله كل يوم ستة وعشرون ألف درهم ، وكثرت الصناعات ورتبت حتى خصت كل صناعة بسوق ، وبلغ تجار القيروان أقاصي المعمورة[2] ، وخاصة بعد فتح الباري صقلية، وسيطرة الأغالبة على حوض البحر الأبيض المتوسط .

إن هذه النهضة الاقتصادية من تجارة وصناعة وزراعة قد استفاد منها أولا وبالذات الأمير الحاكم حيث يقسم لنفسه نصيب الأمد ومن دار في فلكه بسبب كثرة الضرائب وارتفاع مقاديرها ، وتنوع المكوس والشدة في جمعها يضاف إلى ذلك المصادرات العشوائية لأموال الناس حتى قيل إن جباة الضرائب من العبيدية وغيرها هي التي عمقت كراهية الأفارقة للفواطم بصفة خاصة ولمن جاء بعدهم من دول بصفة عامة ولهذا ، كثرت عديد الثورات والانتفاضات في العهد العبيدي ثم توجت ذلك كله انتفاضة ٤٠٧هـ ، حيث شفوا غليلهم ممن بقي من شيعة الروافض بالقيروان في تلك المذبحة المعروفة[3] .

وكانت القيروان من الأمصار الإسلامية التي يحلو فيها العيش بحكم طيب هوائها وقربها من كل بلاد العالم ، ولهذا كانت أسواق حواضرها زاخرة

---

(١) المعالم ١٢٧/٣ ، البيان ٢٥٦/١ .

(٢) الرياض ١٠١/٢ .

(٣) انظر كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٥٠/١ - ٥١ .

بالبضائع مكتظة بالسلع مما وفر لأهلها ثروة هائلة ، الأمر الذي دفعهم إلى زيادة الإنفاق ومزيد الابداع في الهندسة المعمارية لدورهم ومساجدهم ومؤسـسا م العامة ، ولا أدل على ذلك من الثروة الطائلة التي جمعها المعز لدين الله الفاطمي حتى قيل إنه يوم مغادرته إفريقية إلى مصر سبك الدنانير الذهبية وصـنع منـها طواحين جعل كل اثنين منها على بعير ، وقد بني الأغالبة كذلك مدينة رقـادة وبما فيها من قصور وكذلك أنشأوا مدينة الفستقية بأموال كثيرة بالإضافة إلى ما حمله معه زيادة الله الأغلبي يوم أن غادر القيروان من أموال وجوار ومـا تركـه كان أكثر بكثير سلمه بعد ذلك أبو عبدالله الشيعي إلى عبيـدالله المهـدي رأس الدولة العبيدية بإفريقية[1] ، والذي ساعد على نجاح الاقتصاد بالقيروان - كمـا قلته من قبل - موقع القيروان من العالم وكون أرضها جيدة الانتـاج الزراعـي وكثرة المسالك التجارية وكثرة موانيها وطول شواطئها وقر ا من بلاد أوروبـا التي كانت في ذلك الوقت أقل منها نماء وتحضرا .

إن ما فعله الأغالبة وخاصة آخر أمرائهم زيادة الله أبو مضر الأغلبي ، ومـا فعله من بعده المعز لدين الله الفاطمي لهو الصورة الحقيقية للحالة الاقتـصادية في إفريقية من حيث النماء، وهو أيضاً الصورة الحقيقية لتصرف الحكام إزاء الثروة الوطنية حيث وفروا لأنفسهم أكبر نصيب وغاصوا في الترف ، وقـد ذكـرت كتب التراجم والتواريخ أن لأبي الفتوح بلكين بن زيري أربعمائة جارية حـتى بشر في يوم واحد بميلاد سبعة عشر ولدا من صلبه ، وهذا يحيى بن تميم ا بن المعز يقوم إلى مجلس الطعام متكئا على إحدى جواريه الكثيرات[2] ، ولبعض مشاهير الفقهاء أموال طائلة ويشهد لذلك أنه كان لمحمد بن سحنون تسعة أسرة لكـل سرير سرية[3] .

وما قاله ابن أبي زيد لأحد طلبته عندما زوجه من جاريته ، كما سـبق أن

---

(١) الكامل لابن الأثير ٤٩/٨ .

(٢) وفيات الأعيان ٢١٥/٦ ، ترجمة يحيى بن تميم .

(٣) المدارك للقاضي عياض ١١٤/٣ .

ذكرته في مبحث الحياة الاجتماعية ، وماكان يغدقه من عطاء على طلبته وإعانته لأصحابه المعوزين التي تتمثل في إرساله أموالا وهدايا إلى القاضي عبـدالوهاب البغدادي شيخ من شيوخ المالكية لأقوى دليل على أن هناك من الفقهاء من كان يعيش في بحبوحة من العيش .

وبدلا من شكر الله على هذه النعم الوافرة أغرق الحكام وأتباعهم في الترف حتى إن المعز لدين الله يعقد المباريات بين الشعراء في وصف ساق ـا زغَـب ووصف طعام حفلت به مائدته ويعطي على ذلك الجوائز السخية[1] ، وكما بالغ هو وغيره في هذا التبذير بالغ شعراؤه في مدحه حتى كادوا أن يؤلهوه وديوان ابن هانئ كما سبق في مبحث الحياة السياسية في ص٢٦ لأقوى دليل على ما أقول ، والذين أغرقوا في التبذير واتخذوه منهجا وطريقا هم أغلبية من الشعراء وحاشية الأمراء وأقلية من الفقهاء .

أما أغلبية العلماء والفقهاء فقد رفضوه واعتبروه عملا من أعمال الـشيطان وانبروا لمقاومة المترفين حتى إن بعض القضاة قد أبوا أخذ مخصصا م من خزينـة الدولة تورعا وبعدا عن تعاطي أموال من الدولة في جمعها ريبة منهم أبو كريب وسحنون ، وحماس القاضي وغيرهم بل هناك من الفقهاء من رفض تولي القضاء رفضا باتا للأمر نفسه ، أمثال على بن زياد وعبدالله بن فروخ وجبلة بن حمـود ويحيى بن عمر وغيرهم ، حتى غدت هذه الفصيلة الرافضة لهذا السلوك المتـرف عبارة عن جبهة معارضة قوية الجانب صعبة المراس ، ولذلك كـان الـسلطان يخشاها لتأثيرها في أوساط الجماهير ، ونقل د. الدرقاش عن د. الباغي : « وكان لعنف هذه الطبقة من الفقهاء وقوة معارضتهم سلطان على نفوس الناس لأ م لم يكونوا يقولون بألسنتهم ماليس في قلو م ، إنما كانوا يصدرون عـن قلـوب صادقة ويتخذون لأنفسهم منهجا في الحياة لايتعارض وما يؤمنون به فهم يحبون ما يقولون به،ويقولون بما يحبون دون أن يجد العامـة منـهم تناقـضا أوريـاء

(١) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٥٣/١ .

أومداهنة»[١]

وبناء على ماتقدم فإن ما اتخذه العلماء من المواقف إزاء السلطة العبيدية لما استحوذ عليهم الشيطان ولجأوا إلى ظلم الرعية ليس مجانبا للحق ، حيث إن لهم في ذلك سلفاً صالحا وتؤكد كتب التراجم صحة مواقف ابن اللباد وأبي العرب ، وأبي الفضل الممسي وقبلهم سعيد الحداد وبعدهم أبو إسحاق السبائي الذي جاءه في إحدى المرات رسول الأمير العبيدي كما سيأتي في **ترجمته :** فقال له الشيخ : من هذا ؟ فقال أنا فلان قال: أدخل ياشيطان ما يريد الشيطان ؟ أخو الشيطان فلم يكلمه إلا بالشيطان[٢] .

وحذا حذوهم ابن أبي زيد حيث كان متفرغا للتأليف وكان يأكل من عمل يده حيث كان يمارس التجارة ويزرع الحبوب حتى صار من أغنياء الفقهاء ولم يتول أي منصب حكومي ورعا وزهدا منه وتأسيا بالذين سبقوه .

وغاية القول فيما يتعلق بالحالة الاقتصادية للقيروان أنها كانت إلى هذا الحد كانت القيروان تتمتع بحلو العيش وطيبة وكانت الكعبة للقصاد والسائحين نظرا لتطورها الاجتماعي والاقتصادي وما دام أن حكامها لم تشكر رب هذه النعم فهذا لم يمنع من وجود صورة عكسية نتيجة لما اقترفته السلطة الحاكمة وحواشيها والمتزلقون إليهم ، حيث شاركهم اليهود في مزأولة التجارة بالقيروان، وقد حأولوا ادخال الربا في المعاملات مما أدى إلى الاضطراب الاجتماعي والكساد الاقتصادي في نهاية القرن الرابع مما دفع بأهلها إلى مغادرة أرضها والهجرة إلى غيرها من البلدان والولايات المجاورة ، ومن ذلك أيضاً ما شهدته المهدية أثناء محاصرة أبي يزيد الخارجي لها من قلة الطعام وندرة وسائل العيش حتى إن أهلها تركوها إلى طرابلس وصقلية وغيرهما من البلدان واضطر أميرها الفاطمي عندئذ إلى إظهار ماكان مدخرا من المؤن وتوزيعها على أهل عاصمته الجياع ، ويورد في ذلك المؤرخان ابن الأثير والدباغ أخبارا عن هذا الكساد الاقتصادي ضمن

(١) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٥٤/١ .
(٢) معالم الإيمان ٧٣/٣ .

حوادث ٣٩٥هـ ، فقد ذكر الأول أن غلاء شديدا قد انتاب إفريقية في هـذه السنة أدى إلى تعطيل المخابز وإغلاق الحمامات وذهاب الأموال وانتشار الأوبئة والأمراض من وهلاك الناس حتى كان عدد الموتى يصل يوميا ما بـين ٥٠٠ و ٧٠٠ نفس[١] كما ذكره ابن الأثير أن عدد الموتى يومياً كان يصل إلى خمسمائة فرد .

ويقول الدباغ : (.. ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فكان في هذه السنة قحط شديد وموت ذريع حتى قلت البوادي وأكثر الحواضر مـن النـاس وخلت الأسواق والمساجد وعدمت البهائم ومات في هذه السنة عدد كثير مـن العلماء والصلحاء ، قال ابن ناجي : وتحول كثير من وجوه الناس فـضلا عـن عامتهم وسوقتهم وأهل البوادي إلى جزيرة صقلية لرخاء سعرها وأمن سـبيلها وعدل سلطا ا[٢] .

وقد صدق أبوبكر اللباد (ت٣٣٣هـ) في قوله الذي كان يقوله في مجلسه : « أدركت بالقيروان رجالا أملياء افتقروا ، ما دخلوا فتنا ولا أغـرمهم سـلطان مالا، ولكنهم اتجروا بالحنطة في أيام الشدائد »[٣].

قلت : وفي هذا النص دلالة على وجود الأغنياء في القيروان ، وإنما تبـدل حالهم وعانوا من الفقر نتيجة العديد من الأسباب التى أوصلتهم إلى هذه الحالـة المؤلمة .

وقد مرت ا سنوات سمان وأخرى عجاف وعرفت الغنى وذاقت الفقر بعده كما شهدت الزهد والتعبد والمروق والعصيان ، كما حكمهـا أهـل العـدل والطغيان وهذا التباين هو الذي أعطى للحياة الاجتماعية صفتها المتميزة وهـو الذي أمد الحياة الاقتصادية ، بمقومات ، جعلتها قادرة في بعض الأحيان علـى توفير الرخاء للمجتمع وعاجزة أحيانا أخرى ، وما قدمته هنا بإيجاز إنمـا يمثـل

---

(١) الكامل لابن الأثير حوادث ٣٩٥ .
(٢) المعالم ١٢٧/٣ ، ترجمة عبدالرحمن ابن عبدالله الخولاني الجزيري .
(٣) الرياض ٢٩٢/٢ ، المعالم ٢٣/٣ .

صورة لما كانت عليه الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر الذي عاش فيه ابن أبي زيد القيرواني كما سبق أن ذكرته .

المبحث الرابع :

الحالة الفكرية والعلمية

في القيروان

إن المطلع على تاريخ القيروان أو مدينة عقبة بن نافع كما كانت تسمى يجد أ ا مدينة مباركة وقد امتلأت بالكتب - قديمة وحديثة - كما لم يغفلها أي كتاب تحدث عن الشمال الأفريقي ولم لا وقد أسسها صحابة رسول الله

ﷺوبجهودهم المباركة كان انتشار الإسلام ومبادئه وسنة النبي ﷺ في هذه الأرجاء وقد كان هذا هو غرضهم من الفتح الإسلامي لهذه البلاد لا كما يتشدق أعداء الإسلام بأن غرض المسلمين من حرو م إنما كان التوسع والرغبة في بسط النفوذ

ونظراً لتأسيس الصحابة هذه المدينة ولحسن طويتهم ودعائهم لها ، والكرامات التي ارتبطت بتأسيسها ، وكو ا منطلق جيوش الفتح ، وقاعدة الدعوة إلى الله في إفريقية والمغرب ، بالإضافة إلى أنه لم يعبد فيها غير الله - نظراً لكل ذلك - أصبحت مدينة القيروان مدينة جليلة مباركة ، لها مكانة سامية في نفوس المسلمين حاضرة وبادية ، وسرعان ماغدت عاصمة المغرب السياسية والعلمية والدينية والاجتماعية والاقتصادية ، وكثر فيها الفقهاء والمحدثون ، والشعراء والعباد .

ولقد لهج المؤلفون القدامى بفضل القيروان على سائر بلاد المغرب . قال صاحب المعالم : (أما القيروان فهي البلد الأعظم والمصر المخصوص بالشرف الأقدم ، قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب وقطرهم الأفخر الذي أصبح لسان الدهر عن فضله يعرب)[1] .

وهكذا أصبحت القيروان دار العلم بإفريقية ، برز فيها كبار المحدثين والفقهاء والقراء ، وضربت إليها أكباد الإبل ، ونافح أهلها عن مذهب السلف فصارت دار السنة والجماعة بالمغرب العربي .

ولئن كان الحديث عن الحياة الفكرية أولى بالتقديم عن غيرها إذ هي المؤثر الأول في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأن دور العلماء في ذلك يعتبر اللبنة الأساسية في كل إستقرار سياسي وعدل اجتماعي و ضة اقتصادية كما سبق أن ذكرت . وإنما أخرت الكلام على الحياة الفكرية إلى ما بعد الحالات المذكورة حتى يسهل على ربطها بشخصية المفكر ابن أبي زيد القيرواني

إن دراسة الحياة الفكرية في القيروان وإبراز ملامحها يقتضي التركيز على دراسة ماكان يعلم في دور العلم وماكان منتشرا في ا تمع من نماذج وأنماط

(١) المعالم ١٣/١ ، ٩٨ .

ثقافية يستوي في الإقبال عليها جميع الطبقات من الناس .

وقد ارتأيت الاختصار في هذه المقدمة وعمدت إلى استعراض ملامح الحياة الفكرية من خلال الحديث عن كل فن داخل الإطار العلمي الذي ينتمي إليه مع ذكر مشاهير العلماء دون غيرهم وذكر مناهجهم ونظريا م وإنتاجا م التي دونوا فيها هذه النظريات وبما أن القرآن الكريم يخاطب العقول ويتدرج ا حيث لايتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح .

فقد امتلأت كتب التراجم بما يفصح عن عناية علماء القرويين بالعلوم العقلية لظهور الفرق في عصرهم وإعجاب السذج م مما انعكس أثره - كرد فعل معاكس - على علماء القرويين إلى التسلح بالعلوم العقلية ، فوجدت أن الأولى بالتقديم الحديث عن العلوم الدينية أي التوحيد والفقه والتفسير والحديث.

الخوارج :

ظهرت هذه الفرقة إثر التحكيم بين علي ومعأوية ، رضي الله عنهما ، في موقعة صفين ، وكانوا في جيش علي فخرجوا عليه عندما رضي بالتحكيم ، فقاتلهم علي ، رضي الله عنه ، ومن بعده من الخلفاء حتى تشتت شملهم ، وتفرقوا في الأمصار ، فانقسموا إلى عشرين فرقة[1] ، وقد ساعد على ظهور ال عة الخارجية في المغرب ما تعرض له البربر المسلمون من ظلم بعض العمال في عصر الولاة ، فوجدوا في تعاليم الخوارج سند للخروج على الحكام ، قال السلأوي[2] : (... وحسن موقعها لديهم ، بسبب ماكانوا يعانون منه من وطأة الخلافة القرشية وجور بعض عمالها ، فلقنهم أهل البدع أن الخلافة لايشترط فيها القرشية ، وأروهم ماهم عليه من التصلب في دينهم فظهر للبربر ببادئ الرأي أن ذلك هو عين التقوى المأمور ا شرعاً)[3] .

---

(١) انظر مثلا طبقات الخشني ٢٢٠ ، ومدرسة الحديث في القيروان ص٩٦ .

(٢) أحمد بن خالد الناصري السلأوي ت ١٣١٥هـ .

(٣) الاستقصاء جـ ١٣٦/١ - ١٣٧ . لأحمد السلأوي ، تحقيق جعفر الناصري ، محمد الناصري ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ١٩٥٤م .

وقد دخل المغرب فرقتان فقط من فرق الخوارج هما : الإباضية والصفْرية ، وكان ظهورهما في مطلع القرن الثاني .

الإباضية :

تنسب هذه الفرقة إلى عبدالله بن إباض المري[1] ، ومن أهم مبادئهم :

تكفير مخالفيهم من المسلمين كفر نعمة ، تكفير مرتكب الكبيرة الذي لم يتب منها ، عدم اشتراط القرشية في الخلافة ، نفي رؤية الله في الآخرة ، القول بخلق القرآن ، إنكار الشفاعة لمرتكب الكبيرة ، تكفير بعض الصحابة ، يكثرون من التأويل الباطل كتأويل الميزان بأنه العدل ، وتأويل الصراط بأنه الدين القيم ،ومن مبادئهم تحريم دماء مخالفيهم من المسلمين وسبي ذراريهم ، واعتبار دارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان ، وجوزوا مناكحة مخالفيهم وموارثتهم ، وهذا ما جعلهم أقدر من غيرهم على الاستمرارية في ا تمعات السنية ، وأول من أدخل الإباضية إلى القيروان هو سلمة بن سعد الحضرمي[2] ، وعنه فشب في قبائل المغرب ، ثم وقع إرسال بعثة إلى البصرة ، حيث تم تكوينهم لمدة خمس سنوات ، على يد مسلم بن أبي كريمة زعيم الإباضية ، وسموا طلبة العلم ، وبعد

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١٣١/١ .

(٢) مدرسة الحديث في القيروان جـ ٩٧/١ .

سلمة بن سعد الأسلمي : تثبت كثير من الوقائع ماكان للإباضيين من تأثير في إفريقية ، فقد استقبل أبو صالح الياجراني بالقيروان عددا من أتباع هذه الفرقة (العزابة) ، وأكد أبو نوح أن اثنين وثلاثين شيخا إباضيا قد استقروا في إفريقية ، متعاطين التدريس والقيام بشئون الطلبة ، وحين يتوفى أحدهم يعوضه زميله ، وكان آخرهم أبا عبيدة وشق ، أحد تلاميذ الشيخ أبي الربيع سليمان بن زركون النفوسي صاحب أبي يزيد المشهور ، وكان المعز لدين الله يستحسن أبا القاسم يزيد بن مخلد وصاحبيه أبا خزر وأبا نوح ، فكان يستقبلهم مع كثير من العلماء الأباضيين المقيمين بالقيروان ، وكان يكرمهم ويشرف على مناظرا م عن طيب خاطر، من ذلك أن بعض المصادر قد تحدثت عن أبي نوح وهو يناقش بعض النكارة ، بمحضر الخليفة ، أضف إلى ذلك أن كثيراً من الخوارج كانوا يخفون عقائدهم ، بل كانوا يتصادقون مع رجال السلطة ، ويبدو أن هذه الدعوة السرية كانت نشيطة في الساحل ، انظر كتاب الدولة الصنهاجية لسروجي إدريس جـ ٣٦١/٢ - ٣٦٢ .

رجوعهم تفرقوا بين القبائل ناشرين لأفكارهم ، وكانت ثمرة جهودهم أن قامت في كامل أنحاء المغرب فتن كقطع الليل المظلم ، تمثلت في تلك الحروب التي استمرت أكثر من عشرين سنة تمّ بعدها إقصاء الإباضية عن تونس، فأسسوا دولتهم بتاهرت سنة ١٦١هـ ، ومع ذلك فقد استمر دعا م في إلقاء دروسهم في جامع القيروان إلى أن منعهم سحنون سنة ٢٣٤هـ .

ومن أكبر علمائهم محمد بن أفلح (ت٢٨١هـ) الذي ألف أربعين كتاباً في الاستطاعة لم يبق منها إلا رسالة في خلق القرآن[(١)] ، وأبو خزر الحامي (ت٣٨٠هـ) صاحب كتاب الرد على جميع المخالفين[(٢)] ، وفي تاهرت انقسم الإباضيون على أنفسهم ، وظهرت فرقة النكارية الذين أنكروا إمامة عبدالوهاب ابن عبدالرحمن بن رستم ، ومن زعمائهم : أبو يزيد صاحب الثورة الشهيرة ضد العبيديين ، وقد قام بمنكرات لايفعلها حتى أعداء الدين ، لأن مذهبهم تكفير أهل السنة واستباحة أموالهم ونسائهم[(٣)] .

الصفرية :

اختلف في نسبتهم والراجح انتسا م إلى زياد بن الأصفر[(٤)] ، ويشترك الصفرية مع الإباضية في بعض مبادئهم ، إلا أ م أكثر تشددا مع المخالفين حيث كانوا يستحلّون سبيهم ، ودماءهم ، ونساءهم ، ولذلك لم تطل حياة هذه

---

(١) المدارس الكلامية ١٤٦ .

(٢) المدارس الكلامية ١٤٤ .

(٣) رحلة التجاني ٣٢٨ .

(٤) دائرة المعارف ٢٢٩/١٤ .

* وقد تابعهم في هذا الزعم د. غالب بن علي عواجي حيث يقول : (أنه كان لهذه الفرقة دولة في المغرب ظهرت بسبب وصول عكرمة مولى ابن عباس فكان يدعوا الى ذلك المذهب ، فتأثر البربر كثيراً به إذ كان هو منهم أيضاً ويفهم طبيعتهم وما ينسجم معهم ليكون أدعى لقبولهم ...) ثم استرسل في قوله وعلله بأنه قد أنشأ حلقة تدريس في مسجد القيروان ... مما يدل على أن دعوته كانت سرية وإلا لما تركوه يواصل تدريسه ، ثم أخذت الدعوة تنتشر بكثرة الدعاة حتى شملت كثير من البربر.(الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية ، للدكتور غالب بن علي عواجي ص ٢٢٧.وانظر كتاب ريااض النفوس جـ ١ : ١٤٥-١٤٦.

الفرقة في المغرب *، وتكاد المصادر تجمع على أن أول داعية للصفرية بالقيروان هو عكرمة مولى ابن عباس[1] ، الذي دخلها في مطلع القرن الثاني ودرس بجامع القيروان ، واتصل به بعض رؤساء القبائل خفية ، ومن أشهرهم ميسرة المَطْغَري الذي تزعم الصفرية بعد ذلك ، وهو الذي أعطى إشارة الإنطلاق لثورات البربر بقيادته لثورة سنة ١٢٢هـ .

ضد عبيدالله بن الحبحاب ، وفي سنة ١٤٠هـ ، استولى الصفرية على القيروان فاستباحوها ، وعاثوا فيها فسادا حتى ربطوا دوابهم في جامع عقبة ثم طردوا منها ، فسارعوا بتأسيس دولتهم في سجلماسة في نفس السنة ، واستمر دعاة الصفرية في نشر أفكارهم بجامع عقبة بن نافع بالقيروان إلى أن جاء سحنون ففض حلق المبتدعة .

إن وجود هذه الفرق يجعل أهل القيروان يزدادون تمسكا بالنصوص الشرعية ووقوفا عندها ، وينفرون من التأويل والجدل ، ويرفضون كل دعوة منحرفة ، ومن هنا كان تعلق الناس بسنة الرسول ﷺ سائدا وقف سدا منيعا وحصنا شامخا حال دون انتشار أو استمرار المذاهب المبتدعة في المغرب .

ومن الجدير بالذكر أن العلماء في هذه المرحلة لم يكونوا يلجأون إلى أسلوب الجدل ، فقد أحجموا عن المناظرة بالأساليب الجدلية والخوض في المسائل العقائدية اقتداء بسلف الأمة[2] ، ولذلك لم يدخل علماء القيروان في مجادلات مع الخوارج ، ولم يؤلفوا في الرد عليهم ، فقد كتب عبدالله بن فروخ إلى الإمام مالك : « إن بلدنا كثير البدع ، وإنه ألف كلاما في الرد عليهم، فنهاه الإمام مالك عن ذلك خشية أن يكون ذلك سببا لإظهار طريقة الجدل بإفريقية ... فأراد حسم الباب »[3].

---

(١) الخوارج في بلاد المغرب ٤٦ ، التهذيب ٢٦٧/٧ ، الرياض ١٤٦/١ ، مدرسة الحديث في القيروان ٤٩/١ .
(٢) المسائل الكلامية ١٠ ، ٤١ .
(٣) الرياض ١٧٧/١ .

ودل هذا المنع على بغض الإمام مالك لعلم الكلام وما يفضي إليه .

وقد تمثلت مقاومتهم للخوارج في مقاطعتهم ، فلا يسلمون عليهم ، ولايردون عليهم السلام ، ولايجالسو م ولا يخالطو م ، وينبذون من يجالسهم ، ولايمشون في جنازة من مات منهم ، وقلّدهم العامة في ذلك ، واشتدوا على أهل البدع ، ومن هنا فإن كتب تراجم الأفارقة تثني على المترجم له - ابن أبي زيد - بمباينته لأهل الأهواء ، والمعاداة لهم ، والشدة عليهم[1] .

وفيما بعد قام ابن أبي زيد بتفنيد آرائهم في جل كتبه كالرسالة والجامع بماسوف أتكلم فيه في هذه الرسالة - إن شاء الله .

المرجئة :

الإرجاء على معنيين : -**أحدهما :** التأخير ، قال تعالى : { أرجه وأخاه }* أي أمهله وأخوه .**الثاني :** إعطاء الرجاء ، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح ، لأ م كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وأما بالمعنى الثاني فظاهر ، لأ م كانوا يقولون لايضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة[2] .

وقيل الإرجاء تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة ، أو من أهل النار ، فعلى هذا المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان وقيل الإرجاء تأخير علي - رضي الله عنه - عن الدرجة الأولى إلى الرابعة ، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان[3] .

وهناك تقسيم آخر للإرجاء في باب الإيمان (١- مرجئة الفقهاء ٢-الكرامية ٣-الجهمية) وهذا التقسيم هو المراد في هذا الباب حيث ان الخوارج والمعتزلة والقدرية ليسوا من المرجئة بل هم على الطرف النقيض من ذلك لأ م يرون أن

---

(١) المعالم ٢٦٦/١ ، الرياض ١٧٦/١ ، مدرسة الحديث في القيروان ١٠٠/١ .

۞ سورة الأعراف الآية : ١١١ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١٣٧/١ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٣٧/١ .

الإيمان اعتقاد وقول وعمل ولكنهم لا يرون أنه يزيد وينقص .

إذن ، فالمرجئة هم الذين يؤخرون العمل عن الإيمان[1] ، فالإيمان عندهم مجرد الإقرار ، ولم يعرف لهذه الفرقة بالقيروان أتباع ولامصنفات ، غير أن الذي جعلني أجزم بدخولها إلى إفريقية - وإن لم تطل مد ا - وجود تصنيف في الرد عليها من طرف العلماء السنيين حيث ألف يحيى بن عمر (ت٢٨٩هـ)، كتاب الرد عل المرجئة[2] ، وكتاب الرد على الشكوكية[3] ، كما أن يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ) قد رمي بالإرجاء خطأ فأقسم أنه ماعبدالله على شيء من الإرجاء قط[4] ، وقد ظهرت بعد ذلك براءته .

موقف السلف من الأباضية :

يعتبر السلف الإباضية خارجين عن مذهب أهل السنة ، وقد ذكر ابن أبي زيد أن مالكا وأصحابه لايأخذون قطعا بشهاد م وأن بعض العلماء الآخرين[5] يقبلون بأن يشهدوا فيما بينهم في الأماكن التي يمثلون فيها الأغلبية ، وذلك على غرار صنيع الإمام مالك الذي أقر شهادة الرافضة لفائدة رافضة آخرين[6] .

كما أن الخوارج في جزيرة جربة[7] مثلا : « لايماسحون بثيا م ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم ولا يؤاكلون في آنيته ويجوز المالكية عندالاقتضاء تعليم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الدمشقي بتحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٦٢/٢ .

(٢) اسمه يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني ابن الفرضي ابن عابد البلوي ، المدارك ٢٣٤/٣ - ٢٣٦ .

(٣) المدارك ٢٣٦/٣ .

(٤) مدرسة الحديث في القيروان ١٠٨/١ ، نقلا عن طبقات أبي العرب ٣٧ .

(٥) هذه إشارة إلى الأحناف الذين كانوا يقبلون شهاد م ، حسن حسني عبدالوهاب ٥٥/٢ .

(٦) فتوى ابن أبي يزيد ، المبعار ١٣٨/١٠ ، الدولة الصنهاجية ٣٥٩/٢ . لروجي ادريس .

(٧) جرب : بفتحتين ، وتشديد الباء الموحدة : موضع باليمن ، ذكر في حديث حنش السبيء الصنعاني ، ويروي جربة في حديث حنش الصنعاني : غزونا حربة ومعنا فضالة بن عبيد : كذا ضبطه أبو سعد : والجربة في اللغة : الكتيبة من حمر الوحش ، معجم البلدان للحموي ١١٨/٢ .

القرآن لأبناء الخوارج ، لا الكتابة) [1] .

أما الزواج بين الخوارج وأهل السنة ، فقد استنكره الفقهاء السنيون بشدة ، على الأقل بعد غزوة بني هلال ، من غير أن يأمروا بفسخه ، وحول هذه المسألة التي تشبه قضية الروابط الزوجية بين أهل السنة والشيعة ، يبدو أن الفقهاء كانوا متسامحين أكثر[2] .

وما دمنا بصدد الحديث عن التواجد الإباضي بإفريقية فإننا نعرض بشكل موجز لعلماء الإباضية في المنطقة ومدى أثرهم في ا تمع آنذاك .

تثبت كثير من الوقائع ماكان للإباضيين من تأثير في إفريقية ، فقد استقبل أبو صالح الباجراني بالقيروان عددا من أتباع هذه الفرقة (العزابة) ، وأكد أبونوح أن اثنين وثلاثين شيخاً إباضيا قد استقروا في إفريقية ، متعاطين التدريس والقيام بشئون الطلبة ، وحين يتوفى أحدهم يعوضه زميله ، وكان آخرهم أبا عبيدة وشق أحد تلاميذ الشيخ أبي الربيع سليمان بن زركون النفوسي صاحب أبي يزيد الشهير .

وفي تلك الفترة بالذات أو بعدها بقليل ، تمكن أبو سوريسجي بن يوجين اليراسني من حمل معظم الخلفيين في جربة على اعتناق الإباضية .

أما كبار العلماء الإباضيين في الفترة السابقة للعصر الصنهاجي فهم : (أبو القاسم يزيد بن مخلد بن كيداد - صاحب الحمار - وأبو خرز يعلى بن زلتاف المقيمان بالحامة ، وأبونوح سعيد بن زنفيل ، وهو غني ويترك قدومه إليها أثرا بالغا ، ويتوافد الناس عليه لإلقاء الأسئلة عليه واستفتائه ، وأنه كان يناقش صفات الله مع وراق - إبراهيم المشبه ، والجدير بالملاحظة أن الإباضيين متفقون مع المعتزلة حول بعض المسائل العقائدية الهامة مثل حرية الإختيار وخلق القرآن

---

(١) فتوى ابن أبي زيد ، الميعار ١٥٠/٨ ، وروجي إدريس ٣٥٩/٢ .

(٢) المعيار ٢١٠/٣ - ٢١١ ، ١١٠/١٠ - ١١١ ، ويرى السيوري جواز لعنة جماعة الخوارج لأ م مسلمون مرتكبون للكبائر .

ونفي الرؤية وتخليد صاحب الكبيرة المصر عليها في النار ... الخ .

وقد أدان الشيوخ الإباضيون من يزور الجبابرة ، من ذلك أ م أبعدوا في نفس تلك الفترة تقريباً جابر بن عبدالله الذي ا موه بزيارة أمراء قابس .

وفي آخر العصر الصنهاجي كان كثير من الإباضيين ولاسيما أهل نفطة يذهبون إلى مدينة تونس لطلب العلم ، وأخص بالذكر أبا عمار عبدالكافي بن يعقوب الجنأوني الذي درس أثناء إقامته في تلك المدينة الأدب والنحو .. إلخ ، وكان يعمل ليلا و اراً ، ويتلقى كل سنة من بلده وارجلان ألف دينار ، يعطي نصفها لشيخه ، ثم عاد إلى وطنه وأصبح عالماً مشهورا متضلعا في علم الكلام، وألف عدة كتب[1] ، ويوجد عدد غفير من مشاهير العلماء والإباضيين تركت ذكرهم شريطة الاختصار .

ويلاحظ أن شدة الخلافات الداخلية قد أ كت المذهب الإباضي الإفريقي الذي قوض أركانه تنوع المد السني وقوته المعنوية والمادية على حد سواء ، ولم يستطع تفادي التقهقر الذي بدأ قبل غزوة بني هلال وتواصل بعدها ، ولكنه تمكن من المحافظة على مواقعه مدة أطول في جبال دمر ونفوسه ، وكذلك في منطقة جفاة وجزيرة جربة وبني مزاب[2] .

أما طائفة المعتزلة فقد عرفتها القيروان منذ النصف الأول من القرن الثاني في عهد الأغالبة الذين كانوا يمدو ا بالسلطان والسيف ، وقد شهدت إفريقية ماعرف في علم الكلام بقضية القول بخلق القرآن والتي ذهب ضحيتها علماء كثيرون وبلغت أصداء هذه المحنة مدينة القيروان من ذلك إن سحنون سئل : يقولون إن اسدا قال بخلق القرآن فقال والله ما قاله[3] .

قال دأود بن يحيى : رأيت أسدا يعرض التفسير فتلا هذه الآية : (فاستمع لما

---

(١) الدولة الصنهاجية ٣٧٠/٢ .

(٢) الدولة الصنهاجية لروجي إدريس ٣٧٢/٢ .

(٣) المدارك ٤٧٣/٢ .

يوحى، إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) [1] ، فقال أسد : ويح أهل البدع، هلكت هوالكهم ، يزعمون أن الله خلق كلاما يقول ذلك الكلام - المخلوق - إنني أنا الله ... الآية ، قال يحيى بن سلام : حدث أسد يوماً بحديث الدومة ، وسليمان البراء المعتزلي في آخر ا لمس ، فأنكر فسمع أسد فقام إليه وجمع بين طوقيه ولحيته واستقبله بنعله ، فضربه حتى أدماه وطرده من مجلسه ، وقيل بل كان يقرأ عليه في تفسير المسيب بن شريك { وجوه يومئذ ناضرة إلى ر ا ناظرة } وسليمان حاضر ، فقال : من الانتظار يا أبا عبدالله ، فأخذ أسد بتلابيبه ونعلا غليظة بيده الأخرى ، وقال : يازنديق لتقولنها أولأبيض ا عينيك، تبصر بعينيك فقال سليمان نعم ننظره[2] يعني ننظر ربنا يوم القيامة . وما أثر عن أسد بن الفرات بنفي ما ا م به من القول بخلق القرآن ، وهي رواية ضعيفة ، لا أساس لها من الصحة ، وقد فندها سحنون وهو أعظم تلاميذ أسد - تفنيدا لهذا الإ ام ، كما عضد هذا التفنيد بمقال سحنون نفسه كما تقدم[3] : ولعل الذين أرادوا الصاق هذه التهمة باسد ، إنما أداهم إلى ذلك ، ميل أسد إلى أصحاب أبي حنيفة إذ كان قد التقى بأبي يوسف ، واختص بالأخذ عن محمد بن الحسن الشيباني ، ولكن موقف أسد من القرآن - ومن مسألة رؤية الله تعالى ، يدل دلالة قطعية على اتباعه مذهب السلف ، من إثبات رؤية الله ، ونفي القول بخلق القرآن[4] . وذكر الدباغ في معرض كلامه حول ماعانت منه القيروان من الفتنة الدينية حيث يقول : (وقد أمتحن أهل القيروان بالقول بخلق القرآن في زمن الواثق ، وعزم محمد بن الأغلب على قتل محمد بن سعيد ، فمازالوا على اعتقاد أهل السنة وصبروا على الأذى في دين الله ومازادهم إلا يقينا وبصيرة في دينهم[5].

ثم ذكر القاضي عياض صمود علماء القيروان إزاء المعتزلة مع أ م أصحاب

---

(١) سورة طه ١٣ - ١٤ الآية .

(٢) المدارك ٤٧٤ - ٤٧٥ ، بتصرف وص١٦٤ ، محاضرات ملتقى القيروان .

(٣) انظر أيضاً كتاب المدارس الكلامية بإفريقية ص٥٣ ، للدكتور عبدا يد حمده .

(٤) لمدارس الكلامية في إفريقية ص٥٣ ، عبدا يد بن حمده .

(٥) المعالم ٢٥/١ .

السلطة وأشاد بصبرهم وتجلدهم في تمسكهم بالعقيدة السلفية وهذا موسى بن معأوية الصمادحي قد امتحن من قبل ابن أبي الجواد قاضي القيروان ، وكان معتزليا ، فسأله عن القرآن .

فقال موسى : سمعت فلانا وفلانا وذكر جماعة من أهل العلم ، يقولون لمن قال القرآن مخلوق فهو كافر ، فقال له ابن أبي الجواد : لقد أعمى الله قلبك كما أعمى بصرك[1] .

والواقع أن مادفع هذا الشيخ الجليل للصدع بالحق أمام الحاكم الجائر سوى مارسخ في نفسه من قوة الإيمان بالله ، والانتصار للحق ، والصبر على الأذى في الله ، والجهاد لإعزاز الدين ، والقيام بالرد على أهل الأهواء ، وقد وقع ما شابه ذلك للإمام سحنون حيث إنه حضر جنازة فتقدم ابن أبي الجواد الذي كان قاضيا قبل سحنون . وكان يذهب إلى القول : بأن القرآن مخلوق فصلى عليها ، فرجع سحنون ولم يصل خلفه ، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله ، فأمر بأن يوجه إلى عامل القيروان ، بضرب سحنون خمسمائة سوط . وبحلق رأسه، فبلغ ذلك وزيره - على بن حميد - فأمر الوزير أن يتوقف ، وتلطف حتى دخل على الأمير وقت القائلة ، وقد نام فقال له ماشيء بلغني في كذا . قال : لاتفعل ، فإن العكي إنما هلك في ضربه للبهلول بن راشد ، فقال : وهذا مثل البهلول ، قال : نعم وقد حيست البريد شفقة على الأمير فشكره ولم ينفذ أمره[2] .

وورد أيضاً أنه لما ولي أحمد بن الأغلب الإمارة ، وأخذ الناس بالمحنة بالقرآن وخطب به بالقيروان ، توجه سحنون إلى عبدالرحيم الزاهد يقصر زياد، فارا ، فكان عنده ، فوجه في طلبه إلى هناك رجل يقال له ابن سلطان ، وكان مبغضاً لسحنون ، فظا غليظاً .

فلما وصل إلى سحنون ، قال له ابن سلطان : وجهني الأمير اليك ، وقصدني (فيك) لبغضي فيك ، لأبلغ منك ، وقد حانت بغيتي من ذلك ، وأنا أبذل دمي

---

(١) المدارك ٧/٣ - ٨ .

(٢) المدارك ٦٠٩/٢ - ٦١٠ .

دون دمك ، فاذهب حيث شئت من البلاد فأنا معك ، فشكره سحنون وقال له : ماكنت أعرضك لهذا . بل أذهب معك ، وخرج ، فشيعه أصحابه ، فقال عبدالرحيم للرسول : قل للأمير أوحشتنا[١] من صاحبنا وأخينا في هذا الشهر العظيم ، وكان شهر رمضان - ، سلبك الله ما أنت (فيه) وأوحشك منه ، وفي رواية : عرضتني في ضيفي ، فوالله لأعرضنك على رب العالمين . فلما وصل إلى الأمير جمع له قواده ، وقاضيه ابن أبي الجواد وغيره ، وسأله عن القرآن ، فقال سحنون : أما شيء أبتديه في نفسي فلا ، ولكني سمعت من تعلمت منهم ، وأخذت عنهم ، كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فقال ابن أبي الجواد : كفى فاقتله ، ودمه في عنقي[٢] . إلا أن الله نجى سحنون من هذه المحنة برحمة منه .

وهذه المسألة - خلق القرآن - قد أثيرت بالشدة في القيروان بنفس الشدة التي أثيرت ا في المشرق واشتد النقاش فيها ، وانقسم الناس حولها إلى حزبين، قائلين بخلق القرآن وهم المعتزلة ، ومنكرين لذلك وهم أهل السنة ، وجدت المعتزلة في فرض رأيهم في خلق القرآن ، وذلك في إمارة أحمد[٣] بن الأغلب ، الذي اعتنق مذهبهم ولكن أهل السنة صمدوا ، ونالت المحنة سحنونا ومن انتحى منحاه ، ويدل على مامضى على ان الأمير الأغلبي لديه روح علمية غالبة ، وأن هذه ا الس التي كانت تعقد في حضرة الأمراء كانت دليلاً على الحرية المذهبية ، التي سادت في فترات كثيرة من العهد الأغلبي .

ويظهر أن ابن الحداد وضع كتابا في خلق القرآن ، وكان أبو محمد عبدالله بن أبي زيد من العلماء الذين شاركوا في الرد على الفرق الضالة فقد رد على رسالة المعتزلي برسالة عنوانها رسالة في الرد على القدرية ، ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي[٤] ، وأشار إلى ذلك في مقدمة الرسالة ، قائلاً : إن القرآن

(١) المدارك ٦١٠/٢ .

(٢) المدارك ٦١١/٢ .

(٣) المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية ص٥٠ للدكتور عبدا يد بن حمده .

(٤) ترتيب المدارك ٤٩٤/٤ .

كلام الله ، قديم ، غير مخلوق قال : « القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ، ولاصفة لمخلوق فينفد »[1] .

كما أثارت المعتزلة مسألة الأسماء والصفات .

وأما في عهد الدولة العبيدية فقد اكتظت حلقات الجدل واشتدت المناظرات وحمى وطيسها بين أهل السنة والشيعة الروافض وكان أغلب مواضيعها تدور حول أفضلية علي على غيره من الخلفاء الراشدين وأحقهم بالخلافة وقد ألح الحكام الشيعيون على جماهير القيروان وسوقتهم وعلمائهم من أجل إدخالهم في الغلو[2] الشيعي ولا أدل على ذلك من الحوار الساخن في أول جمعة صلاها عبيدالله المهدي بالقيروان وقتله لشيخين فاضلين من شيوخ أهل القيروان سنة ٢٩٧هـ ، من طرف عبيدالله المهدي وهما ابن البرذون[3] وابن هذيل[4] ويذكر الذباغ سبب قتل ابن البرذون أنه كان يقول : « كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويعينه على أموره ، فلو لم يكن عنده إمام هدى ، مستحقا للتقْدمة ما فعل ما فعل[5] .

وكان من أشد علماء القيروان على الشيعة جبلة بن حمود وأبو الفضل لممسي وربيع القطان وأبو إسحاق السبائي وكان من أقواهم حجة أبو عثمان سعيد بن الحداد وأبو محمد بن التبان وقد ذكر أرباب التراجم نصوص مناظرات

---

(١) الرسالة لابن أبي زيد ص١٠ وشرح الشيخ صالح عن عبدالسميع الآبي الأزهري ، ط٢ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٢) انظر المعالم ٩١/٣ .

(٣) هو أبو إسحاق الرضي الشهيد المعروف بابن البرذون ، سمع من رجال سحنون كعيسى بن مسكين ويحيى بن عمر وكان فقيها يذهب مذهب ابن الحداد في مناظرة الروافض ضربه القاضي الصديني الذي كان يصرح بخلق القرآن ، قتله عبيدالله المهدي ٢٩٧هـ ، ترجمه له المعالم ٢٦١/٢ - ٢٦٥ .

(٤) هو : أبوبكر بن هذيل الفقيه سمع من رجال سحنون كيحيى بن عمر وابن حماد وابن مسكين كان زاهداً يعيش من غزل زوجته ونسجها سعي به القاضي المروذي إلى بني عبيد فقتلوه مع ابن البرذون في نفس اليوم ، ترجمه له المعالم ٢٦٦/٢ - ٢٦٩ ، والرياض ٤٨/٢ - ٤٩ .

(٥) المعالم ٢٦٢/٢ - ٢٦٣ .

ابن الحداد وابن التبان ، وهي مناظرات اتسمت بدقة التعبير وقوة الحجة وعمق الإيمان ، وذكر الخشني في طبقاته أن مجالس ابن الحداد مع الرافضة أربعين مجلسا لم يصلنا منها إلا أربعة[(١)] .

ولابن أبي زيد مساهمات فكريةُ إزاء ترهات بني عبيد الشيعة وورد أنه رد على البدع الشيعية في منعهم قيام رمضان برسالة عنوا ا كتاب في فضل قيام رمضان والاعتكاف ، كما رد على الزنادقة من أمثال ابن مسرة المارق[(٢)] ، كما رد على المتصوفة القائلين بإمكانية رؤية الله في الدنيا ونحو ذلك مما هو عري عن البرهان ولايقره العقل الحصيف فضلا عن الفطرة السليمة وكتب في ذلك رسالتين رسالة ، كتاب الاستظهار في الرد على البكرية ، وكتاب كشف التلبيس[(٣)] .

ولم يزل علماء القيروان يناظرون على مذهب اهل السنة ويرون ذلك من أعظم الجهاد حتى ضعفت شوكة أهل البدع والأهواء ، ورد الله كيدهم في نحورهم .

ازدهار العلوم الدينية والدنيوية بالقيروان

العلوم اللغوية :

لقد كان للمجتمع القيرواني عامة وعلمائه خاصة عناية شديدة بالدراسات اللغوية والذي دفعهم إليها حرصهم على فهم النصوص الدينية وشعورهم بالإنتماء إلى إخوا م في العربية ، ولذاء سجل لنا تاريخ إقبالهم على التزود بالدراسة اللغوية ، ولما جاء أمان بن الصمصامة[(٤)] بن الطرماح بن حكيم الطائي

---

(١) المعالم ١١١/٣ ، وانظر طبقات العلماء للخشني ٩٩ ، ومدرسة الحديث في القيروان ٨٠/١.

(٢) هداية العارفين ٤٤٨/١ .

(٣) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٤) كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم - مخطوط بالزيتونة في نسب بني غوث بن طي وقد أسماه هناك ((أبان)) بدل أمان وهو تحريف من الناسخ - معجم الأدباء جـ ٣١٦/٢ ، بغية الوعاة ص٤٥٩ ، وانظر ورقات جـ ١٦٣/١ .

أمانُ بن الصمصامة بني الطرماح بن الحكيم ابن الحكم بن نفرا بن قيس أبو مالك النحو ، من ⇦

أبو مالك إلى القيروان حسبما ذكر عنه تفرغ للتدريس وكان شباب القيروان يتحلقون حوله ويروون عنه . وتخرج عليه غير واحد في النحو واللغة والأدب[1].

وكان من أثر هذه الحركة العلمية أن نشأت بالقيروان مدرسة لغوية نالت من الشهرة ماجعل أبناء المغرب - من أدناه إلى أقصاه يقصدو ا لتلقي أصول اللغة وفروعها ، وقواعد الأدب وفنونه على أساتذة قادرين حذقوا العلوم اللغوية وتفننوا فيها ، ولا أظن أن واحدا منهم يصل إلى الفهم الدقيق للنصوص الشرعية دون أن يكون متبحراً في تلك العلوم والفنون والقواعد وتأييدا لذلك ذكر أن الكانشي (٣٤٧هـ) وهو أحد شيوخ ابن أبي زيد كان عالماً بالعربية وعلومها[2] وشعر العرب .. ومنهم أبو الحسن المؤدب (ت٣٤٢هـ) الذي قال في حقه صاحب المعالم : « إنه كان عالما بإختلاف العلماء واتفاقهم ، مع المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن[3] » ، ومنهم أيضاً رائد النضال الإفريقي أبو عثمان سعيد بن الحداد الذي يعد الشيخ الروحي لابن أبي زيد ، وهو غاية في علم النحو وحفظ كتاب سيبويه ولم يكن بإفريقية أعلم منه بالنحو في عصره ، وقد سلك نفس طريقته ابن أبي زيد (ت٣٨٦هـ) حيث ذكر عنه الدباغ في معالمه ما يلي :

(... وارتفاع همة ، وعذوبة ألفاظ ، وملاحة إيراد ، وجزالة معان ، ضربت إليه الأكباد من سائر البلدان وزاد ابن ناجي أن كتبه تشهد له بذلك ،

نحاة القيروان ، قال الزبيد : كان عالما باللغة والشعر ، حافظا للقريض ، شاعرا ، أخذ عنه المهري جزءاً من النحو واللغة والشعر ، وكان أبو علي الحسن بن سعيد البصري كاتب المهالبة ، يكرمه أيام ولايتهم إفريقية ، فلما ولى ابن الأغلب طرح أبا مالك لهجاء جده الطرماح بن تميم ، (انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي جـ ٤٥٩/١ ، ومعجم الأدباء أو ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ) جـ ٣١٦/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

(١) ورقات ١٦١/١ .

(٢) المدارك جـ ٣٦٨/٣ ، للقاضي عياض .

(٣) معالم الإيمان جـ ٥٠/٣ .

فصيح اللسان ذا بيان ومعرفة بما يقوله ، ...)[١] ، وقد نقل الدكتور الدرقاش عن الدكتور باغي تعليقه على تلك النهضة اللغوية قائلاً : وهكذا تعرف الثقافة اللغوية والاتجاه اللغوي والمناهج اللغوية التي كانت تصدر عن أمثال هؤلاء من النحويين اللغويين القيروانيين، ومن تراجمهم يتبين لنا أن معظمهم كانوا شعراء إلى جانب علمهم بالنحو واللغة وأن بعضا منهم كانوا يقومون بتعليم أولاد السلاطين ورجال السلطان[٢] .

وكما برعوا في اللغة العربية وعلومها حذقوا الشعر في تلك الفترة التي حفلت فيها كتب تاريخ الأدب العربي بالشعر والشعراء بالقيروان ، بل قد وصل بعض شعراء هذا العصر إلى قمة الإبداع الفني من حيث عمق المعاني وجزالة الألفاظ مع صور بيانية رائعة ويتصدر هؤلاء ، شاعر العبيديين ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢هـ) وقد كان عدد شعراء هذا العصر وافرة حتى قيل إن عدد القصائد التي رثى ا محمد بن سحنون[٣] (٢٥٦هـ) بلغت ثلاثمائة قصيدة وأن إحدى هذه القصائد بلغت ثلاثمائة بيت وهي للشاعر أحمد بن أبي سليمان والتي مطلعها :

ألا فابك للإسلام إن كنت باكيا لحل من الإسلام أصبح واهيا[٤]

وكان ابن أبي زيد قد رثى جل شيوخه كاللباد وأبي الفضل[٥] الممسي بشعر جيد حتى جاد في ترجمته أنه (يقول الشعر ويجيده ..)[٦] .

ومن الجدير بالذكر ما يتميز به شعر علماء القيروان حيث تنوعت أغراضه فلم يكن مقصورا على الرثاء والمدح والتصوف والمعاتبة فحسب ، بل تجأوز هذه ا الات والأغراض إلى غيرها مما هو المعهود من أغراض الشعر ، وقالوا الشعر في

---

(١) معالم الإيمان ١١٠/٣ .

(٢) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٦٦/١ ، نقلا عن حياة القيروان ص٩٦ ، لابن رشيق .

(٣) المعالم ١٣٥/٢ .

(٤) المدارك ١١٨/٣ .

(٥) انظر نماذج من ذلك في تراجم شيوخ ابن أبي زيد كما سيأتي في مبحثه .

(٦) المعالم ١١٠/٣ .

كل ما يتبادر إلى إدراكهم بل وصفوا السفن الجاريات في البحر كالأعلام ، وقلدوا فحول الشعراء بزوهم ، وأرخوا للحوادث التي شاهد ا بلادهم وحتى الصيف وصفوه وحتى الزغب على الساق تحدثوا عنه وخصوه بالنظم ووصفوا الأطعمة ومجالسها ، حتى غدا شعرهم مرآة زما م[1] .

ولم تكن هذه النهضة الفكرية متوقفة على اللغة العربية وعلومها وعلى الشعر وفنونه بل تجأوز ما إلى النثر الفني والنقد الأدبي وقد حوت كتبهم تلك العلوم وبلغت شأوا عظيما في هذا الميدان ككتاب العمدة لابن رشيق ، ورسالة قراضة الذهب له أيضاً ، أو كرسائل ابن شرف صاحب رسائل الانتقاد أو إعلام الكلام وككتاب زهر الأداب لأبي إسحاق الحصري[2] .

كما أود أن أذكر مساهمات مشيخة القيروان إذ لم يكونوا بمنأى عن ميدان اللغة ولهم سعة العلم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولا أدل على ذلك مما ورد في ترجمة ابن اللباد (ت٣٣٣هـ) ، وكان لانظير له في علم القرآن وقراءته وإعرابه وأحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الأنساب وبصر بأسماء الرواة ومعرفة الضعفاء منهم ، والثقات وضربت إليه أكباد الإبل[3] وكذلك أخوه في العقيدة ربيع القطان (ت٣٣٣هـ) ، كان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعر ... ومن شعره :

إذا انقطع الصديق بغير عذر فزاد الله خلته انقطاعـ ـا
إلى يوم التناد بلا رجوع وإن رام الرجوع فلا استطاعا[4]

لتاريخ والتراجم :

وهذان من أجل العلوم المعتبرة وقد لقيا عناية علماء القيروان منذ العصور

---

(١) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش نقلاعن حياة القيروان للرشيق ص٩٨ .
(٢) المصدر السابق ٧٠/١ ، نقلا عن حياة القيروان للرشيق ص١٠٢ - ١٠٣ .
(٣) معالم الإيمان ٢٢/٣ .
(٤) المعالم ٣٥/٣ .

المتقدمة فقد ألف أبو العرب التميمي الفقيه المؤرخ (ت٣٣٣هـ) أحد شيوخ ابن أبي زيد - كتبا كثيرة لم يصلنا منها إلا كتابه طبقات علماء إفريقية[١] ، يقول صاحب المعالم .. (وهو موفق في التأليف ورافع لواء التاريخ بإفريقية مع تقدمه في علم الأثر ..)[٢] ومن كتبه التي لم تصل إلينا إلى الآن كتاب التاريخ سبعة عشر جزءاً[٣] ومن المؤرخين أيضاً ابن الحارث الخشني (ت٣٦٤هـ)[٤] ، له من كتب التاريخ : تاريخ علماء الأندلس ، وتاريخ قضاة الأندلس ، وتاريخ الإفريقيين وهو نفسه كتاب تاريخ علماء إفريقية المطبوع مع كتاب أبي العرب[٥].

ومنهم أيضاً ابنا الأجدابى ، وهما من تلاميذ ابن أبي زيد فقد كان لهما ميل للدراسات التاريخية حتى إن أبا عبدالله الحسين الأجدابي (٤٣٢هـ) ، كان شيخا لأبي بكر المالكي صاحب رياض النفوس[٦] ، ومنهم أبوبكر المالكي الفقيه المؤرخ[٧] .

وذكر ياقوت أنه شاهد لابن الجزار القيرواني كتابا في التاريخ في عشر مجلدات اسمه التاريخ الصحيح[٨] وغير هؤلاء كثيرون تركت ذكرهم قصد الاختصار .

ونظراً لجهود علماء القيروان في حقل العلم فقد ظهرت عنايتهم البالغة بالتاريخ مما أهل به مجتمعهم أن يكون ا تمع المثقف الذي أنجب ابن خلدون

---

(١) ذكر الدرقاش أن الكتاب مطبوع - دار الكتاب اللبناني - وحقق من طرف الدكتور على الشابي في طبعة جيدة متفرد عن غيره .

(٢) المعالم ٣٥/٣ .

(٣) المعالم ٣٦/٣ .

(٤) المعالم ٨١/٣ .

(٥) المعالم ٨١/٣-٨٣ .

(٦) المعالم ١٧٠/٣ .

(٧) المعالم ١٩٠/٣ - ١٩٢ ، أرخ الدباغ وفاته سنة ٤٤٤هـ ، وعارضه ابن ناجي بالنقل عمن لم يسم من المؤرخين ، إنه توفي ليلة الجمعة ٢٨ شعبان سنة ٤٣٨هـ ، ثم دعمه بنقل ماجاء على نفيشة قبره ، وهي توافق - حرفيا - نص الرواية التاريخية . انظر كلام المحقق لكتاب رياض النفوس ١٧/١ .

(٨) معجم الأدباء ١٣٦/٢ .

وإضرابه من العلماء الأجلاء المعتبرين .

علم الطب والرياضيات :

وكانت الحركة نشطة في مجال هذين العلمين فعلم الطب ، وهو علم يبحث في بدن الإنسان من حيث المرض والصحة ، فيحأول صاحبه حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد أن يبين المرض الذي يخُص كل عضوٍ من أعضاء البدن(١) .

وأول طبيب ظهر في البيئة الإفريقية هو الطبيب السرياني (أبو يوحنا(٢)) النصراني النحلة ، فإنه قدم القيروان في صحبة الأمير يزيد بن حاتم المهلبي ، في حدود سنة (١٥٥هـ -٧٧٢م) يكشف على صحة الأمير ، ويجالسه ، ويتنأول الطعام على مائدته ، ويعالج رجال الدولة وأعيا ا(٣) ، وخلفه ابنه يوحنا بن ماسويه الذي اشتهر في الصناعة الطبية وحاز بعد أبيه شهرة تامة في بغداد أيام الرشيد والأمين والمأمون والمتوكل(٤) .

ولقد كان لاسحاق بن عمران البغدادي الذي قدم القيروان زمن زيادة الله الأغلبي دور كبير في إرساء قواعد هذا العلم ، وقد رزق تلاميذ نجباء أمثال إسحاق بن سليمان الاسرائيلي الذي أضاف إلى اتقانه الطب كصناعة وعلم أضاف إلى ذلك بصراً بالمنطق وتبحرا في علوم كثيرة وقد ساعده على هذا الانتاج الغزير وهذه

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٥٤٧/١ .

(٢) ماسويه أبويوحنا : كان يعمل في دق الأدوية في بيمارستان جندي سابور ثلاثين سنة وهو لايقرأ حرفا واحداً بلسان من الألسنة إلا أنه عرف الأمراض وعلاجها وصار بصيرا بانتقاء الأدوية فأخذه جبرئيل بن بختيشوع فاحسن إلسه وعشق جارية لدرأوين سرابيون فابتعها جبرئيل بثمانمائة درهم ووهبها لماسويه ورزق منها ابنه يوحنا وأخاه ميخائيل ، انظر كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة ابن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ١٧١/١-١٧٦ ، ط الأولى بالمطبعة الوهبية سنة ١٣٩٩هـ - ١٨٨٢م .

(٣) ورقات ح.ح. عبدالوهاب ٢٧٠/١-٢٧١ .

(٤) ورقات ح.ح. عبدالوهاب ٢٧١/١ .

الشهرة الفائقة عمره المديد إذ خدم الأغالبة والعبيديين ومات سنة ٣٢٠هـ[١] وقد درس عليه الكثيرون من أبناء القيروان وعلى رأسهم أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار[٢] ، وقد برع في الطب والطبيعة وسائر العلوم ، وفي تطوير وسائل العلاج ونظم العلاقة بين الطبيب والمريض ، وقد بني عند باب داره محلا مستقلا لعيادة الزائرين ، واتخذ فيه قسما خاصا للصيدلة أقعد فيه غلاماً له يسمى « رشيقا » وبين يديه جميع الأدوية من معجونات وأشربة ومراهم وغير ذلك من المستحضرات ، وإذا زاره المريض يفحصه مليا ويكتب له الوصفات يتحول ا المريض إلى غلامه رشيق - فيعطيه الدواء المشار إليه ويقبض الثمن[٣] .

وهذا الصنيع المشار إليه يضاهي ما يفعله الأطباء في عصرنا هذا ، وكان له معروف كثير ، وأدوية يفرقها على الفقراء يعني يوزعها على المعوزين بغير ثمن إحتسابا لوجه الله وتاريخ الطب بالقيروان لم يكن لابن الجزار فحسب بل كان هناك غيره من الأطباء الكثيرون كابن أعين[٤] ، وقد ذكرت ماذكرته سابقا من أخبار الأطباء لأدلل على ماكانت عليه القيروان من الإلمام بعلم الطب في كل الاختصاصات من أمثال طب العيون ، وطب الأطفال وغير ذلك .

ونفس النهضة شاهد ا العلوم الرياضية وما يمت إليها بصلة وكان من أبرز علماء هذا العصر أبو الطيب عبدالمنعم الكندي القيرواني (ت٤٣٥هـ) ، وكما كان إماما في العلوم الشرعية كما كان إماما في العلوم الرياضية حتى قيل إنه فك نظرية أقليدس بذهنه[٥] ، وقد رثاه تلميذه أبو محمد عبدالله بن أبي زكريا يحيى الشقراطسي التوزري (٤٦٦هـ) .

---

(١) انظر كتاب د. الدرقاش ٧٢/١ نقلا عن حياة القيروان ص١٠٥ للرشيق .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار المكنى بأبي جعفر ، ثالث الأطباء من أسرته الفاضلة، ولد بالقيروان في حدود عام ٨٩٨/٢٨٥م ، على عهد الأمير إبراهيم الثاني من بني الأغلب ، وأخذ عن عمه وأبيه ، وصحب كبير أطباء القيروان في عصره إسحاق وبن سليمان الإسرائيلي وغيره ، انظر ورقات ٣٠٦/١ .

(٣) ورقات ٣٠٦/١ - ٣٠٧ .

(٤) المعالم ٦٧/٣ .

(٥) كتاب د. الدرقاش ٧٣/١ نقلا عن عنوان الأريب ٤٢/١ - ٤٣ .

العلوم الشرعية :

وإذا كانت العلوم الأخرى قد نالت حظها من الاهتمام والرعاية والدراسة لدى القيروانيين ، فمن نافلة القول أن نقول إن العلوم الشرعية كان لها قصب السبق في ذلك .

ولقد تنوعت العلوم الشرعية حسب اختصاصات العلماء ، وقد خص القرآن الكريم بالجانب الأوفر من هذه الاهتمامات وبالقدر الأكبر من الجهد منذ أوائل القرن الثالث حين وضع يحيى بن سلام كتابه في التفسير[١] والذي يعتبر الحلقة الرابطة بين التفسيرين الأثري والعقلي وكان هذا الكتاب من أهم المصادر التي استفاد منها محمد بن جرير[٢] الطبري في القرن الرابع إذ ت٣١٠هـ ، وكان ابن اللباد ت٣٣٣هـ من العلماء البارعين في ميدان القرآن وعلومه حيث ورد في ترجمته .. (.. أنه فقيه ، مفسر ، لغوي ، من أهل القيروان ...)[٣] .

وكان لابن أبي زيد اهتمام بالدراسات القرآنية إذ له فيها كتاب البيان في إعجاز القرآن[٤] ، وكذلك الحال بالنسبة لأحد تلاميذه وهو أبو طالب المكي (ت٤٣٧هـ) هو من المبدعين في الدراسات القرآنية إذ له فيها تآليف كثيرة فقد ورد في ترجمته (وصنف تصانيف جليلة في علوم القرآن وغير ذلك ، ومن أشهر تصانيفه كتاب الهداية في التفسير وكتاب الكشف في القراءات وكتاب إعراب القرآن وكتاب الإيضاح في ناسخة ومنسوخه وهو كتاب حسن..)[٥]إلخ.

---

(١) المعالم ٣٢٦/١ .

(٢) محمد بن جرير بن رستم بن جرير الطبري ٢٢٦ - ٣١٠هـ/٨٤١ - ٩٢٣م ، الآملي أبو جعفر من علماء الإمامية ، توفي ببغداد في أوائل شوال ، من آثاره : المسترشد في الإمامة ، دلائل الإمامة الواضحة ، مناقب فاطمة وولدها ، نور المعجزات في مناقب الأئمة الاثنى عشر، والرواة عن أهل البيت عليهم السلام كما في ميزان الاعتدال . انظر معجم المؤلفين لكحالة ١٩٠/٣ .

(٣) معجم المؤلفين لكحالة ٦٩٧/٣ .

(٤) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٥) وفيات الأعيان ٢٧٥/٥ - ٢٧٦ .

أما ثاني علم اعتنى به أهل القيروان وكثر إقبالهم عليه هو علم السنة دراية ورواية وكان منشأ ذلك يرجع إلى كثرة من دخل أرض القيروان من الصحابة والتابعين حيث إن الصحابة الذين كانوا في جيش عقبة قد جلسوا للتدريس فيه على النمط الموجود في مدن الشرق آنذاك ، فقد كان مع عقبة أثناء تأسيس القيروان ثمانية عشر صحابيا[1] وقد مكثوا ا خمس سنوات كاملة ، ولاشك عندي كان عملهم فيها تعليم اللغة العربية ونشر مبادئ الدين في جامع القيروان، أما في غزوات عقبة الثانية ، فقد كان معه خمسة وعشرون صحابيا[2] وسائر جيشه من التابعين ، وقد انتشرت السنة النبوية في تلك الفترة ، مما دفع عقبة أن يوصي أولاده ومن وراءهم من المسلمين أن يتحروا حديث الثقات وعدم كتابة ما يشغلهم عن القرآن[3] ، ومن الصحابة الذين دخلوا أرض إفريقية عبدالله بن عباس حبر الأمة وأبي ذر الغفاري وعبدالله بن عمر وغيرهم كثيرون لذلك كان حظ القيروان من السنة عظيما وزادها وافرا يؤكد ذلك أن المذهب الفقهي الذي ذاع في إفريقية هو المذهب المالكي القائم على السنن ، وكان لمشيخة القيروان معرفة بعلوم الحديث وفنونه ودراية بصحيحه وحسنه وضعيفه إذ لاتخلو ترجمة من تراجمهم من ذكر معرفتهم بالسنة حتى إن كتاب الرسالة لابن أبي زيد يقال إنه يشتمل على أربعة آلاف[4] أثر من الآثار السنية ، ووصفت كتب التراجم شيوخ القيروان عامة بالثقة في التحمل والأداء ، وقد سبق أن عرفنا ذلك فيما وصف به ابن اللباد ، وأما ابن أبي زيد ، فقد وصف بأنه كان إماما في السنة دراية ورواية وغير هؤلاء كثيرون ، ولا أدل على هذه الصفة من إخراج البخاري لبعضهم كابن غانم[5]* ، وكذلك

---

(١) البيان المغرب ٢٠/١ .

(٢) البيان المغرب ٢٣/١ .

(٣) شجرة النور ١٠٠/٢ ، وانظر الرياض ٣٤/١ ، المعالم ٤٨/١ ، الإصابة ٨١/٣ ، مدرسة الحديث في القيروان ٥١/١ .

(٤) كتاب الجامع ص٥٥ ، نقلا من حاشية الأجهوري على الرسالة ١٥/١ب .

(٥) ترتيب المدارك ٣١٦/١ .

* أبو محمد عبدالله بن عمر بن غانم الرعيني ، القيرواني ، ولد سنة ١٢٨هـ ، وتوفى سنة ١٩٠هـ الشجرة جـ ٦٢/١ - لمحمد محمد مخلوف .

فعل غيره من أصحاب كتب السنة المعتبرة .

وأما في ميدان الفقه ، فقد زخرت كتب التراجم بما يفيد إلمام علماء القيروان بالعلم الغزير في ذلك ا ال ، والمذهب المالكي لم يخص بالتدوين الرسمي إلا على أيدي الأفارقة من أمثال أسد في أسديته وسحنون في مدونته وابن أبي زيد في رسالته ونوادره وزياداته والبراذعي في ذيبه والقائمة طويلة بكتبها وأسماء مؤلفيها حتى قيل إن جملة طلبة سحنون قد بلغ سبعمائة طالب منهم من بلغ حد الاجتهاد حتى تزداد يقينا من كثرة علماء القيروان فإنه علينا أن نتصفح كتاب المعالم بادئين بترجمة أسد على اعتبار أنه أول من وضع موسوعة في الفقه المالكي إلى آخر أحفاد عبدالله بن أبي زيد ، وهو أبو الطيب عبدالمنعم بن عمر بن أبي محمد بن أبي زيد (ت٤٩٥هـ) ، ومما يدل على بالغ اهتمام علماء القرويين بمادة الفقه وإقبالهم عليه ما أوردته المراجع التاريخية في واقعة الوادي المالح بالقرب من المهدية ساعة ثورة أبي يزيد الخارجي أن من استشهد خمسة وثمانين فقيها دفعة واحدة[(١)] وتلك الكثرة هي التي أعطت للحياة الفكرية بالقيروان طوال قرون عديدة إيجابيتها التي لاتتوقف عن عطائها الخير المدرار .

وكان الإمام سحنون من هؤلاء العلماء الموهوبين والأكفاء وذلك بما استنه في القضاء من سنن واضحة المعالم ولذلك كان معولهم في الفقه والقضاء وفي تسيير الشئون العامة ويورث لهم من السلطان الخشية والخوف لمالهم من تأثير في العامة وكان من أبرز الفقهاء الذين ورثوا علم سحنون وسلوكه ومجده ابن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ) ، صاحب الرسالة والنوادر والزيادات وغيرهما من نفائس الكتب ، ولقب بمالك الصغير[(٢)] لوفرة علمه وغزير فكره .

ومن الجدير بالذكر ما ذكره الإمام القاضي عياض من وجود الأشعرية في المغرب العربي عن طريق القيروان طبعا ، فكان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب أبو عبدالله الحسين ابن حاتم الأزدي ، تلميذ القاضي الباقلاني ،

---

(١) معالم الإيمان ٣٤/٣ .

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص١٦٠ .

وعبدالواهب بن نصر البغدادي[1] ، وأهل القيروان على اطلاع ومعرفة بعقيدة الأشعري ، فقد سافر أبو الحسن القابسي إلى المشرق وعاش به خمس سنوات بعد موت الأشعري بثلاثين سنة ، ولما كان الحامل للعقيدة الأشعرية أحد كبار مالكية القيروان ، - القابسي - وكبير معلميها الباقلاني ، انتشرت الأشعرية بكامل المغرب والأندلس وصقلية ، على أيدي القابسي ، والبغدادي وأبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي ، وبالأندلس على يد العالم المشهور الأصيلي[2] ، واشتهر بعض علماء المغرب ا في المشرق ونقل د. أحمد بكير محمود عن السبكي في طبقاته أن أبا عبيدالله محمد بن أبي بكر عتيق السوسي الأصل القيرواني المولد سافر إلى بغداد وكان علامة زمانه في فن الكلام ، واسندت له وظيفة التدريس بنظاميه بغداد حيث أدى رسالته كأشعري ، وساق المحقق هذا الكلام ليدل على أن علماء المغرب بما فيهم ابن أبي زيد القيرواني أشعري عقيدة مالكي مذهباً[3] .

وقد تابع الباحث الهادي روجي ادريس[4] قول د. أحمد بكير المتقدم وذكر أقوالا مضطربة حيث دمج أقوالا باطلة بالأقوال الصحيحة وفي اية سرده ناقض نفسه ، وسوف يتضح لنا في المبحث الخاص بعقيدة ابن أبي زيد القيرواني هل هو سلفي كما ذكره عنه المحققون أم أشعري كما زعمه من لايعرف حقيقة فكره وقد ذكرت هذا الكلام لأعرف القارئ بوجود الاتجاه العقدي الأشعري في القيروان وخاصة في عصر وبيئة ابن أبي زيد القيرواني ، ومع ذلك فلم يتأثر ذا الفكر الدخيل خلافا لما ذهب إليه جل الباحثين القيروانيين - قديما وحديثا - ومع ذلك فقد اعتبر علماء المغاربة ابن أبي زيد من الأشاعرة استنادا على تتلمذه

---

(١) المدارك ١٥/١ - ١٦ للقاضي عياض .

(٢) تحقيق د. أحمد بكير لمدارك القاضي عياض ص١٦ ، نقلا عن طبقات الشافعية للسبكي ٢٤٥/٥ .

(٣) ترتيب المدارك ، تحقيق د. أحمد بكير ص١٦ .

(٤) انظر الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن ١٠-١٢م الهادي روجي إدريس ٣١٥/٢ - ٣٢٠ ، دار الغرب الإسلامي ، ط الأولى ، سنة ١٩٩٢م ، بيروت -لبنان.

على أيد بعض علماء الأشاعرة مثل أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي ت٣٥٧هـ/٩٦٧م ، وأبوبكر أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن وان جل تلاميذه صاروا أشعريين مما دل على - حسب قولهم - أنه أشعري عقيدة، وأيد هذا القول أيضاً الدكتور الدرقاش عقب استعراضه لكتب ابن أبي زيد قائلا (.. إذ جاءت رسالته المسماة بـ « الرد على القدرية ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي ») ، مثالا في موضوعها وسيفا قاطعا في مجالها وأنموذجا في الإحاطة بالمقولات الكلامية في العقيدتين الإعتزالية والأشعرية كيف لاتكون هذه خصائصها وهذه ميزا ا وصاحبها كان شيخا عالما في هذا ا ال الحيوي من الفكر الإسلامي وخاصة بعد أن حج وسمع تلك المقالات من أفواه شيوخه وحضر لقاءا م واقتنع بعقيد م بأن الحق مع الأشاعرة السنيين فأقبل على دراسة المذهب وماقام عليه من ركائز وماحفل به من الحجج التي يشد من أزرها كتاب الله وتثبت أقدامها سنة نبيه ﷺ ولا استبعد اطلاع أبي محمد على كتاب مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري وخاصة أن من تلاميذه من كان في الآن نفسه تلميذا لأبي الحسن الأشعري نفسه ، ومنهم أيضاً من تتلمذ على هذا التلميذ ثم ارتحل إلى القيروان وصاحب فيها أبا محمد وجالس أصحابه من علماء أهل السنة وأبلغه ما أخذ من علم في هذا ا ال)[1] .

وسيتضح اعتقاد ابن أبي زيد في المبحث عن عقيدته ومن ثم يدرك القارئ ما عليه ابن أبي زيد ويحكم على النتيجة من تلقاء نفسه .

---

(١) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٢٨٦/١ .

المذاهب الفقهية
بالقيروان



عرضنا فيما سبق الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية ، وفي هذه الدراسة يتضح للقارئ مدى الترابط بين هذه الأحوال وبالإضافة إلى ذلك فقد وجدت خلال اطلاعي على المصادر المعتبرة التي أرخت للقيروان إلى اليوم أ ا كان يسودها مذاهب متعددة ، وفرق متنوعة ، اتخذ كل منها وسيلة عقلية للدفاع عن كيا ا ، فأدى ذلك إلى ظهور المذاهب الفقهية والفرق الكلامية في المغرب العربي ، و ض العلماء للرد على الخصوم الألداء فنتج عن ذلك صراع فكري بين المذاهب والفرق المختلفة فأدى ذلك إلى إلى إثراء الحياة العلمية ، وكثرت المؤلفات التي تتضمن ردود الفرق بعضها على بعض .

ودام الصراع عدة قرون ثم انتهى الأمر بأن وجدت عقيدة أهل السنة والجماعة لها مكا ا في إفريقية في أبحاث كثير من العلماء الإفريقيين ومنهم ابن أبي زيد وغيره .

ولقد انتصر المذهب المالكي على غيره من المذاهب في الفروع ، ولعل هذا يرجع إلى نشاطات رجال المذهب إضافة إلى ما وصفوا به من الأمانة والصدق في المعاملة ، وقد سبق أن تحدثت عن الفرق المنتسبة للإسلام في القيروان ، والأن سأتحدث عن المذاهب الدينية رغم أن المصادر لاتسعفني بشيء كاف في هذا ا ال ، وكما يقال مالا يدرك كله لايترك جله .

لقد تم فتح إفريقية على أيدي الصحابة والتابعين ، فعلموا أهلها القرآن ولغة الضاد ومبادئ الإسلام ، ولقنوهم أحكام الدين كما هي منقولة عن النبي ﷺ ، ولا أدل على ذلك من سؤال أهل القيروان من عندهم من الصحابة فيما يشكل عليهم من أمور الدين ، فإن يزيد بن قاسط - وهو من أهل إفريقية - سأل

عبدالله بن عمر ، كما روي عن ابن عمر ميسرة الزرودي وهو قيرواني، وجاء قوم إلى عبدالله بن عمر بإفريقية « فلما أرادوا أن يفارقوه قالوا : زودنا منك حديثا ننتفع به[1] ... » .

ولاشك أن الصحابة الذين جاءوا مع عقبة وبعده قد علموا الناس بجامع القيروان كما مر ، كما أن القادة الفاتحين كانوا يكلفون من معهم من كبار التابعين بتفقيه الناس في الدين .

ولما شارف القرن الأول على الانتهاء ، وقد كثر المسلمون بإفريقية بعث أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه بعض التابعين الذين أخذوا عن الصحابة ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمور دينهم ومنهم أبو عبدالرحمن الجبلي وعبدالله بن يزيد المعافري المعروف بالصلاح والتقى والفضل روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه جماعة من العلماء ، وذكره المصنفون في كتبهم[2] .

وقد استفاد أهل إفريقية من ابتعاث عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه هذا التابعي الجليل إلى إفريقية ليفقه أهلها في الدين ، فانتفعوا به ، ونصر الله دينه على يده ، وتوفي بالقيروان سنة مائة من الهجرة ، وقد كثر عدد التابعين بالقيروان ، وتضافرت جهودهم مع جهود من سبقهم من التابعين ، فتخرج على أيديهم أفواج من العلماء الأجلاء الذين يعتد بعلمهم وفضلهم .

لقد كان الدين في تلك المرحلة يؤخذ من المنابع الأصلية له من فتأوى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين[3] .

وما تقدم يؤكد ماكان عليه أهل القيروان فإ م كانوا شديدي التعلق بالنصوص بعيدين كل البعد عن أعمال الرأي ، خاصة وقد رأوا المزالق التي أدى

---

(1) الرياض ١٣٧/١ .

(2) الرياض ٩٩/١ - ١٠٠ .

(3) الاستقصاء في أخبار المغرب ١٣٦/١ ، لأحمد السلأوي ، كتاب مدرسة الحديث بالقيروان ٨٩/١ .

إليها التأويل .

ولحرص أهل القيروان على العلم والاستزادة منه والرغبة في التلقي عن العديد من العلماء أيا كان موطنهم ، ونظرا لاستشهاد كثير من العلماء في الحروب الطاحنة مع الخوارج ، توجه العديد من طلاب العلم منهم نحو المشرق ، واتصلوا بكبار المحدثين والفقهاء من أمثال : أبي حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثوري وغيرهم ، ثم رجعوا إلى القيروان ونشروا علم هؤلاء الشيوخ ، وتعتبر تلك الجهود البذرة الأولى لظهور المذاهب في المغرب[1] .

وكما وجدت المذاهب المشهورة في القيروان وجدت فيها كذلك المذاهب غير المشهورة ومالبثت هذه الأخيرة حتى اندثرت ، ولم يكثر الآخذون ا ، مثل : مذهب أبي عمرو الأوزاعي[2] (ت١٥٧هـ) ، وقد روى عنه بعض أهل القيروان[3] ، ومذهب سفيان الثوري (ت١٦١) ، وقد روى عنه كثير من أهل القيروان ، وسمعوا منه جامعيه الكبير والصغير ، وكان بعض أهل القيروان يميل إلى رأيه[4] ، ومذهب داؤود بن علي الأصبهاني الظاهري (ت٢٧٥هـ) أدخله أبو جعفر بن خيرون[5] .

ويقول القاضي عياض في هذا الصدد .. (وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين ، إلى أن دخل علي ابن زياد وبن أشرس والبهلول بن راشد ، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى

---

(١) مدرسة الحديث في القيروان ٨٩/١ .

(٢) اسمه أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي الفقيه الكبير المتوفى سنة ١٥٧هـ ، توفى قبل الإمام مالك بمدة طويلة ، (تقريب التهذيب ٤٩٣/١) .

(٣) رياض النفوس ٢٤٧/١ .

(٤) المصدر السابق ٢٠١/١ .

(٥) انظر المدارك للقاضي عياض ٥٤/١ (ابن خيرون : الإمام أبو جعفر ، محمد بن خيرون المعافري مولاهم القرطبي ، انظر سير أعلام النبلاء ٢١٧/١٤ للذهبي) .

وقتنا هذا ، وكان بالقيروان قوم قلة في القديم أخذوا بمذهب الشافعي ودخلها شيء من مذهب داؤود ، ولكن الغالب إذ ذاك مذهب أهل المدينة والكوفة)[١]

ونظراً لتواجد المذهب الشافعي بالقيروان ولو ان أتباعه ندرة ، إلا أنه وجد مقاومة من الآخرين ولا أدل على ذلك من قيام بعض علماء القيروان بتصنيف كتب في الرد عليه ، وذلك مثل كتاب : « الرد على الشافعي لمحمد بن سحنون ت ٢٥٦هـ »[٢]، وكتاب « الحجة في الرد على الشافعي فيما أغفل من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ليحي بن عمر ت ٢٨٩هـ »[٣]، وكتاب « الرد على الشافعي لسعيد بن الحداد ت ٣٠٢هـ »[٤]، بيد أن أكثر المذاهب أتباعا بالقيروان مذهبا مالك وأبي حنيفة ، أما المذهب الحنفي[٥] فهو أسبق المذاهب في الدخول إلى القيروان ، كما هو الغالب على أهلها وذلك قبل دخول المذهب المالكي ، ولذلك يقول القاضي عياض - كما سبق - فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين ، إلى أن دخل علي بن زياد ...)[٦] وقد كان المذهب الحنفي مذهبا رسميا للدولة ، ثم ضعف عندما أقبل الناس على مذهب مالك ، إلا أنه عاد إلى البروز في عهد بني عبيد الشيعة لموافقته إياهم في مسألة التفضيل وذلك لقول أهل الكوفة بفضل علي على سائر الصحابة وما في هذا المذهب الحنفي من الرخص الفقهية ، واستمر ذلك إلى أن ضعف وجوده في إفريقية[٧] .

وأول من أدخل مذهب أبي حنيفة إلى القيروان : عبدالله بن فروخ (١١٥-١٧٦) ، حيث ذكر المالكي أن الإمام مالك اجتمع مع أبي حنيفة في أحد أسفاره

(١) المدارك للقاضي عياض ٥٤/١ .
(٢) المدارك ١٠٦/٣ .
(٣) ذكر الأستاذ الحسين بن محمد شواط بأن نسخة مصورة بمكتبة القيروان تحت رقم ١٢٨٨ - ١٣١٠ ، انظر المكتبة الأثرية ٣٨ ، (انظر مدرسة الحديث بالقيروان ٩٠/١ في الهامش).
(٤) مخطوط مصور بالقيروان رقم ١١٥٦ - ١٢٢١ ، المكتبة الأثرية ٣٨ ، وقد حققه معالي الدكتور عبدا يد بن حمدة والآن مطبوع .
(٥) انظر عن المذهب الحنفي بالقيروان : الاستقصاء ١٣٦/١ ، المدارك ٥٤/١ .
(٦) المدارك ٥٤/١ .
(٧) سير أعلام النبلاء ٢١٦/١٤ بتصرف ، المدارك ٥٤/١ .

وذاكره وكتب عنه مسائل كثيرة غير مدونة عنه سابقا يذكر أ ا نحو عشرة آلاف مسألة ، وقد لقيه ابن فروخ وانتفع بمذاكرته قبل أن يدون كتبه[1] في المسائل الفقهية .

ويروى أن أبا حنيفة كان يدافع عنه ويحميه من خصومه ، ولهذا يخطيء من ذهب إلى أن أسد ابن الفرات هو أول من نشر المذهب الحنفي بالشدة ومع أنه أصبح بعد ذلك مالكيا بل كان المؤسس الحقيقي للمذهب المالكي في القيروان بدون منازع - فإنه لم يستطع أن يتخلص تماماً من سلطان المذهب الحنفي عليه ، ولهذا كان يعلم الفقهين معا في نفس الحلقة[2] كما كان حال عبدالله بن فروخ وعبدالله بن غانم (١٢٨ - ١٩٠) ، وقد لقي عبدالله بن غانم أبا يوسف[3] صاحب أبي حنيفة حيث كان يخصص يوما في الأسبوع لتدريس كتب الأحناف ، رغم أنه مالكي المذهب ، وزاد إقباله على تدريس كتب الأحناف عندما ترك الناس الأسدية ، وأقبلوا على مدونة سحنون ، وبذلك شاع المذهب الحنفي وانتشر وذكر الأستاذ الحسين شواط بأن المدرسة الحنفية لم تنجب علماء وأفذاذا ، في تلك المنطقة وتلك الفترة ، وإنما كان أتباعها من متوسطي الثقافة وبعض العوام وأصحاب السلطان وحتى الثلاثة الذين تقدم التنصيص على مساهمتهم في نشر المذهب الحنفي لم يكونوا يعتنقونه ، إنما درسوه من باب نشر العلم[4] .

ومع أن الأحناف كانوا قليلين بالقيروان في ذلك الوقت فإ م كانوا يجيدون المناظرة لدى الحكام فقد امتحن على يد أحد قضا م - ابن عبدون - جماعة من فقهاء المالكية من المدنيين وأهل السنة ويتمثل ذلك بالضرب والحبس والمطاردة

---

(١) رياض النفوس للمالكي ١٨٠/١ وما بعدها .

(٢) المدارس الكلامية ص٣٨ .

(٣) هو : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الكوفي القاضي ، من أكثر أصحاب الرأي اتباعا للحديث ، اختلف النقاد في قبول حديثه ، وهو ثقة إن شاء الله لأن مأورد فيه من جرح مفسر مرده إلى الخلاف المذهبي ت١٨٢هـ ، انظر اللسان ٣٠٠/٦ ، الميزان ٤٤٧/٤ ، الطبقات الكبرى ٣٣٠/٧ ، التاريخ الكبير ٣٩٧/٨ ، سير اعلام النبلاء ٤٧٠/٨ .

(٤) انظر مدرسة الحديث في القيروان ٩١/١ .

بل أحيانا كان يفضي إلى القتل[1] .

ولاشك أن هذا الصنيع قد انعكس أثره السيء على النهضة العلمية في القيروان حيث ترك كثير من العلماء التدريس للمذهب المالكي والتأليف فيه وكذلك اختفى بعض العلماء المالكية من وجه السلطة الحاكمة وقضا ا الأحناف فقد اختفى محمد بن سحنون من سليمان بن عمران القاضي الحنفي كما اختفى يحيى بن عمر من محمد بن عبدون القاضي الحنفي واضطر إلى مغادرة القيروان إلى سوسة و ا توفي في ذي الحجة سنة ٢٨٩هـ[2] .

كما امتحن قضاتهم علماءَ المدينة بسبب رفضهم القول بخلق القرآن[3] ، وقد دارت في هذه المسألة مناظرات بين أتباع المذهبين[4] وألفوا في ذلك كتبا، من ذلك أن سعيد بن الحداد المالكي ألف كتابا في الرد على من يقول بخلق القرآن من الأحناف فرد عليه محمد بن الكلاعي[5] الحنفي ، فتولى إبراهيم بن المقتول الانتصار لسعيد بن الحداد في كتاب نقض أقوال الكلاعي الحنفي ، فكان ذلك سبباً في قتله .

كما وجد الخلاف بين أتباع الفريقين في شرب النبيد[6] ، وفي المفاضلة بين الصحابة[7] ، وقد تدخل السلطان في حسم نيران تلك العدأوة .

وإذا أردنا التاريخ لدخول المذهب المالكي بشيء من الإفاضة لأهميته في بحثنا فإنا نقول : إن القيروانيين في أول عهدهم قد تلقوا العلم على يد

---

(١) المدارك ٢٣٣/٣ .

(٢) المدارك ٢٤٠/٣ وطبقات الخشني ص١٣٠ .

(٣) الرياض ٢٨٧/١ ، مدرسة الحديث في القيروان ٩٢/١ .

(٤) المصدر السابق ٩٢/١ .

(٥) محمد بن أحمد بن عبدالله الكلاعي المعروف بابن الرومي وابن النجار ، القرطبي ، أبو عبدالله ، نزيل تونس ، المحدث ، الصوفي الصالح ، روى عن جماعة من أهل الأندلس ، أخذ القرآن والحديث والفقه والأصول عن محمد بن عبدالرحمن الأزدي الأبدي ، توفي في يوم السبت في ٢٠ ربيع الثاني سنة ٦٩٣هـ ، له مؤلفات كثيرة في علم الكلام والتصوف .

(٦) الرياض ٢٨٨/١ ، والمعالم ٣٦/٢ .

(٧) الرياض ٢٨٧/١ .

الصحابة والتابعين ، ويذكر صاحب المدارك أ م كانوا أول أمرهم أوزاعيين مع أهل الشام النازحين[1] ، وحنفيين مع الأغالبة ، ولكن سرعان ماسمعوا أن إماما من أصل يمني من ذي أصبح ، نزل أجداده المدينة قديما وأخذ عن التابعين ، واشتهر بعلمه وتقواه ويجلس الوجهاء في حلقته ليقرأوا عليه كتابه الذي جمع فيه حديث رسول الله ﷺ وهو المعروف بالموطأ تبركا وفخرا ، هذا العالم اليمني هو الإمام مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، وحيث ذاعت شهرة الإمام مالك رحل إليه بعض القيروانيين منهم علي بن زياد القيرواني وأخذ عنه وكذلك أخذ كل من البهلول بن راشد ، والحارث بن أسد القفصي[2] ، وعبدالله بن فروخ ، وعبدالله بن غانم وغيرهم من أندلسيين وأفريقيين آخرين ، وفسر لهم قول الامام مالك ولم يكونوا يعرفونه، وأدخل علي بن زياد (ت١٨٣) الموطأ[3] إلى إفريقية وأُقبل عليه إقبالا منقطع النظير لأنه شفى غليلهم ووجدوا فيه ضالتهم المنشودة لجمعه بين البساطة والأصالة ، واعتماده على الحديث حيث إن صاحب هذا المذهب درس في مدينة الرسول ﷺ ، ويلتزم النص من الكتاب والسنة ، وهو إلى جانب ذلك شديد الورع لايفتي إلا بحذر شديد وينفر من الرأي والتأويل[4] .

ثم جاء الإمام سحنون فجمع في مدونته علم الإمام مالك وفقهه ، واستشهد لمسائله بالآثار ، فأصبحت المدونة بذلك ، عمدة المذهب ، والكتاب الثاني بعد الموطأ ، وقد أخذها عنه أهل إفريقية ، والمغرب والأندلس ، حتى بلغ تلاميذه نحو السبعمائة ، وانتهت إليه الرئاسة في العلم وعليه المعول في المشكلات وإليه الرحلة ومدونته عليها الاعتماد في

---

(١) المدارك ٨/١ .

(٢) المدارك ٩/١ .

(٣) الرياض ٢٣٤/١ ، وانظر المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية لعبدا يد بن حمدة ص٣٨ .

(٤) مدرسة الحديث في القيروان ٩٣/١ .

المذهب[1] ، قال محمد بن الحارث الخشني[2] : كانت إفريقية قبل رحلة سحنون قد عمرت بمذهب مالك لأنه رحل منها إلى المدينة أكثر من ثلاثين رجلاً كلهم لقي مالك بن أنس ، وأخذ عنه ، وإن كانت الفتيا في القليل منهم شأ م في ذلك شأن المفتين في سائر البلاد ، وقد جمع سحنون إلى فقهه في المذهب الورع والتقى والعقل ، والعفاف ، والانقباض عن متاع الدنيا ، فبارك الله تعالى فيه للمسلمين ؛ فمالت إليه الوجوه ، وأحبته القلوب ، وصار زمانه كأنه مبتدأ ، وقد محا ما قبله فكان سراج القيروان[3]

ثم جاء بعده ابن أبي زيد (ت٣٨٦هـ) الملقب بمالك الصغير ، وعلى يديه استقر المذهب ، فهو الذي لخصه وضم ما انتشر من مسائله ، وذب عنه ، وملأت البلاد تأليفه[4] واستمر المذهب في النمو حتى صار في مطلع القرن الخامس هو المذهب السائد بإفريقية ، وهكذا أصبحت القيروان هي المركز الثاني للمذهب المالكي بعد المدينـة النبـويـ ـة الشريفة .

وقد وجد أهل إفريقية في علماء هذا المذهب المثال الصادق للالتزام بالإسلام ، من التقوى والورع والقيام بالحق ، وأحبهم الناس ، فهم كإمامهم مالك يكرهون مداخلة السلطان ولم يكونوا يتمسحون بأعتاب الأمراء أو يقبلون هداياهم ولا يلبون رغبا م إن أبدوها في رخصة أو فتوى ولايحضرون مجالسهم ولا أسمارهم أو أعيادهم ، هذا السلوك المثالي من هؤلاء العلماء جعلهم في أعين الناس أقواما صالحين وعلماء عاملين[5] ،

(١) انظر الشجرة ٦٩/١ لمحمد بن محمد مخلوف .

(٢) هو صاحب كتاب طبقات علماء إفريقية ، وذكر محقق كتاب المعالم أن هذا النص ليس له وجود في النسخة التي بين أيدينا - طبعة الجزائر ولا في طبعة القاهرة ، وهي من اختصار أحمد بن محمد الطلمنكي ، انظر هامش كتاب المعالم بتحقيق د. أبو النور ومحمد ماضور ٨٢/٢ - ٨٣ .

(٣) كتاب المعالم للدباغ ٨٢/٢ - ٨٣ .

(٤) الديباج ٤٢٧/١ ، لابن فرحون .

(٥) المدارك ١٠/١ بتصرف .

فالتحموا معهم في جبهة قوية ، صمدت أمام ظلم الحكام واستبدادهم ، وأمام أهل الأهواء والبدع، حتى انتصروا للسنة ومذاهب السلف الصالح[١].

الفصل الثاني :

اسمه و نسبه واسرته ومولده

وفيه مبحثان :

١) - اسمه ونسبه وأسرته .

٢) - مولده .

(١) مدرسة الحديث في القيروان ٩٥/١ بتصرف .

اسم الشيخ

ابن أبي زيد ونسبه

اسمه ونسبه :

هو أبو محمد عبدالله بن أبي زيد عبدالرحمن النفزاوي القيرواني مولدا ومنشأوحياةً ومدفنا[١] . وذكر صاحب الاكمال أن اسم أبي زيد عبدالرحمن[٢] وقال الأمير : النفزي أوله نون مفتوحة وفاء ثم زاي نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر تنسب إلى نفزأوي لوى[٣] وقيل نسبة إلى نفزة مدينة بالجنوب التونسي[٤] لكن أغلب مترجميه يرون أن اسمه عبدالله ولم يشذ في ذلك إلا بروكلمان حيث حصل له الشك والوهم فقال إن اسمه عبيدالله وسلك مسلكه صاحب دائرة المعارف الإسلامية[٥] .

وكما اختلف في اسمه اختلف في اسم أبيه فقيل هو بلال بن عبدالرحمن بن إسحاق[٦] فيكون عبدالرحمن جده وليس أباه كما هو الشائع .

وقيل هو أبوزيد بن عبدالرحمن ، إلا أن هذا الخلاف ليس له أساس من الصحة إذ من الممكن أنه راجع إلى النساخ وذلك أن كل الكتب التي الفت قريباً من عصره تتفق على أن اسم والده هو عبدالرحمن ، وأسرة أبي زيد - أعني عبدالرحمن - أصيلة في مدينة القيروان غير أنني لم أظفر بما يدل على وقت قدومهم عليها ولا استبعد أن يكون وفودهم إليها قديما جدا حتى غدا لايعرف لها بلد سوى القيروان ونسب إليها ، وقيل « القيرواني » .

وعلى ماذكره بعض مترجميه يتضح لنا أن لأبي محمد نسبة أخرى تسبق نسبته إلى القيروان وهي « النفزاوي » وهذه النسبة ذكرها الأمير ماكولا في

---

(١) المعالم جـ ١٠٩/٣ .

(٢) الاكمال للأمير ماكولا جـ ٥٨٤/١ .

(٣) جمهرة ابن حزم ص٤٥٣ - ٤٦٥ ، والإكمال جـ ٥٨٣/١ .

(٤) كتاب مدارك للعياض جـ ٤٩٢/٣ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية جـ ٨٠/١ سنة ١٣٥٢هـ .

(٦) انظر تحرير المقالة سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م للإمام أبي عبدالله الحطاب ص١٧ ، دعوة الحق عدد ٣ سنة ٢١ ص٥٢ .

الإكمال - قد تعطينا فكرة عن الموطن الأصلي القديم جداً لهذه الأسرة ، وأين تقع ؟ هل بداخل أرض إفريقية أم بخارجها ؟ .

وبالعودة إلى مادونه الرحالة والجغرافيون نجد : ان اسم نفزة موجود بكل من الأندلس وإفريقية ، ففي الأندلس توجد نفزة بمنطقة « جانيفا »(١) .

ولذا ، قال بعض الباحثين ويلقب بالنفزي نسبة إلى أسرة من « نفزة » من أعمال الأندلس(٢) .

وأما بإفريقية فهناك موضعان أحدهما في الشمال حيث نجد في سهول ((باجة)) قرية تسمى نفزة ، والأخرى بالجنوب الغربي حيث نجد جنوب شط الجريد منطقة تتألف من قرى عديدة اسمها نفزاوة يقول محقق كتاب المعالم لابن ناجي في تعليقه على لقب النفزاوي : النفزي ولا سواء بينهما لأنه يوجد بالقطر التونسي شمالاً نفزة وجنوباً نفزاوة، وأكثر النقول النفزي ، وهذا الذي رجحه الأمير ماكولا في الإكمال(٣).

وهناك أقوال أخرى ونقول عديدة حول تحديد مكان نفزة أو نفزاوة التي انتقلت منها عائلة ابن أبي زيد إلى القيروان ، فقد نحا ياقوت في معجم البلدان إلى أن الموطن الأصلي لهذه القبيلة هي منطقة « شاطبة »(٤) بالأندلس بل إن لها فخذين هناك وبذلك فإن أبا محمد الذي لاشك في انحداره من هذه القبيلة هو أصيل الأندلس وإنما استقرت عائلته بالقيروان عقب هجرة القبيلة أو بعضها إليها، وهذا ماتمسك به أحد البحاثة التونسيين(٥) .

وتابعه في ذلك صاحب دائرة المعارف الإسلامية حيث ذكر أنه : ينتسب إلى

---

(١) ذكره د. الدرقاش ص٩٨ ، في كتاب ابن أبي زيد القيرواني حياته وأثره .

(٢) تحرير المقالة ص١٧ .

(٣) الإكمال للأمير ماكولا جـ ٥٨٣/١ ، وانظر المعالم جـ ١٠٩/٣ في قول المحقق والمعلق .

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٩٦/٥ ، ط بيروت .

قال الحموي : نفْزةُ : بالفتح ثم السكون ، وزاي : مدينة بالمغرب بالأندلس ، وقال السلفي : نِفْزة : بكسر النون ، قبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطبة ، ينسب إليها أبو محمد عبدالله بن أبي زيد عبدالرحمن الفقيه النفزي .. جـ ٢٩٦/٥ .

(٥) انظر دعوة الحق عدد ٣ سنة ٢١ ص ٥٢ .

أسرة من نفزة من أعمال الأندلس[1] .

وهناك قول آخر صدر من بعض المؤرخين يرجعون نسبته إلى قبيلة نفزاوة المستقرة بالجنوب التونسي من ذلك ما أثر عن الشيخين الثنائي وزروق من أن نفزاوة قبيلة من قبائل إفريقية تقع شرق شط الجريد وإليها ينسب عبدالله بن أبي زيد[2] .

ويقول د. الدرقاش نقلاً عن روجي ادريس : وعند وضع الرأيين على بساط البحث نجد أن ثانيهما هو أقرب إلى الحقيقة والمنطق التاريخي ذلك أن قبيلة نفزاوة الواقعة أراضيها شرقي شط الجريد وجنوب غربي قابس[3] ، وهي عبارة عن أراضي مترامية الأطراف يغطيها شجر النخيل وتنتشر فيها القرى الوديقة داخل واحات[4] ملتفة حول نفسها مما جعلها رباطات صحرواية تحمي الواجهة البحرية لأرض إفريقية حيث تشغل العمق الاستراتيجي لها ، وخط الرجعة لهذه الواجهة إذا ما اشتد ضغط الغزاة عليها بالإضافة إلى ذلك ، فإن الأغلبية العظمى في سكا ا هم من العرب الذين توافدوا على إفريقية منذ حركة الفتوحات الأولى حيث استقروا هناك بعائلا م ومواشيهم وعبيدهم وهذا يفسره كثرة وجود الزنوج هناك ، وقد وجدوا في هذه المنطقة لما تعودوا عليه من مناخ صحراوي جاف في موطنهم الأصلي ، وتبعا لهذه الخصائص فقد عرف أهل هذه المنطقة بتعلقهم باللغة العربية حتى إن بعض لهجا م تكاد تكون لغة بدو الجزيرة العربية في عصرها الجاهلي يضاف إلى هذا التعلق تعلق ثان هو تعلقهم بتحفيظ القرآن لصبيا م وتدريس علوم الشريعة منذ أقدم العصور مما هيأ هذه المنطقة أن تكون موطنا لكثير من العلماء إذ لقب النفزاوي، والمعافري ، والقابسي ، والجمني ، والمرزوقي والمطماجي تتردد كثيرا في كتب التراجم إضافة إلى كثير من القرى

---

(١) ص٨ ط ١ ديسمبر ١٩٣٣م .

(٢) مقدمة شرح الرسالة جـ ٥/١ ، والحموي جـ ٢٩٦/٢ ، وقال الشيخ زروق : أصل نسبته هو النفزي بل النفزأوي لأنه من نفزى من بلاد الجريد - انظر مقدمة شرح الرسالة جـ ٥/١ لزرق.

(٣) كتاب ابن أبي زيد للدكتور الدرقاش ص٩٩ .

(٤) المنطقة الخضراء وسط الصحراء .

التي كان يحفظ فيها القرآن وتدرس فيها علوم الشريعة والعربية وأدا ا وعندما يتهيأ للطالب حفظ القرآن واكتساب ملكات في علمي المقاصد والوسائل فإن نفسه تشتاق إلى المزيد وليس أمامه سوى الرحيل إلى احدى حواضر إفريقية ، وكانت القيروان حاضرة الحواضر ببلاد إفريقية والمغرب فعاصمة العلماء والنبع الذي استقى منه علماء الواحة ومؤدبوها علما نافعا ومعرفة عميقة ..[1] .

وأرى أن الجمع بين الرأيين الذي ذهب إليه الباحث الأستاذ الهادي روجي إدريس وتابعه الدكتور الدرقاش في ذلك سديد نظراً للعرف العام والعادات والتقاليد التي يتعودها الإنسان حاضرا وباديا ، وذلك أنه من الممكن أن يكون أحد أجداد ابن أبي زيد قد ارتحل إلى القيروان لأسباب معينة فاطمأنت إليه نفسه وارتاحت لما تجد من حفأوة وسعة العيش والتناسب في الجو فاستقر ا وكون فيما بعد أسرة النفزاوي أولا ، وهذا الذي يشير إليه صاحب الإكمال ، وبالقيروان ثانياً وهذا هو المعهود لدى أغلبية الناس قديما وحديثا ، وهذا ما تدعمه الرابطة الدموية التي يقال إ ا موجودة بين أبي الحسن القابسي وابن أبي زيد النفزاوي ، إذ من المعروف وإلى وقتنا الحاضر أن النازحين إلى الحواضر كثيرا مايفضلون السكن في حي واحد ، وبحكم هذه المساكنة صاهر كل من جدي النفزاوي والقابسي إلى عائلة واحدة فكان من بين هذه العائلة نسلهما بالقيروان .

أسرته : -

ومن خلال بحثي عن بعض ترجمة الشيخ ابن أبي زيد وعن مولده وجدت النص التالي:(بالقيروان نشأ ابن أبي زيد وتربى ولم تذكر المصادر المعتمدة شيئاً عن أسرته ولا عن ماضي حياته الأولى ،وكيف تلقى دراسته الأولية إلا ماهو معروف عن طريق التعليم في عصره وبيئته فحفظ القرآن الكريم أولاً في الكتاب)[2]

(١) كتاب ابن أبي زيد للدكتور الدرقاش جـ ٩٩/١ - ١٠٠ ، نقلا عن روجي إدريس ، والمقالة باللغة الفرنسية صدرت سنة ١٩٥٣م ص١٦٣ جـ ١ لروجي إدريس .

(٢) دعوة الحق عدد ٣ ، سنة ٢١ ص٦٠ وكتاب تحقيق تحرير المقالة للدكتور أحمد سحنون ص١٨

الفصل الثالث :

طلبه العلم وشيوخه

وفيه مبحثان :

١) - طلبه العلم .

٢) - شيوخه .

طلبه العلم:

إن من أهم العوامل التي مكنت ابن ابي زيد من احتلال موقع الصدارة بين علماء عصره واحتفاظه بلقب « مالك الصغير » إلى يوم الناس هذا ، مارزقه الله من دقة المواهب ، وما اعتمد عليه على وجه الخصوص من مصادر معرفية قيمة منذ أيام طفولته ، وما ألزم به نفسه من حزم ودقة في التعامل معها ، وإنا لنعجب بابن أبي زيد في حصوله على هذه المعرفة التي وطن عليها نفسه في أيام طفولته المبكرة ، وكيف وفق وتفوق بواسطة ما أثمره تعامله معها في إنارة السبيل لاخوته في الدين ، واقناعهم بضرورة الإسراع بالعودة إلى جادة الصواب في زمن اختلطت فيه السبل وتتالت غَبرة الفتن ؟ .

إن المتفحص لما تبقى من آثار ابن أبي زيد من مخطوط ومطبوع أو ماروواه عنه معاصروه من شيوخه وأقرانه وتلامذته ، وعموم ماذكره أصحاب كتب التراجم والسير وجمهور المؤرخين ، يلاحظ أن ابن أبي زيد قد اعتمد على امتداد سيرته العلمية الطويلة والشاقة على أكثر من مصدر واحتك بأكثر من طرف ، قصد بذلك نصرة عقيدته السنية السلفية وحمايتها من كل مكروه .

أولى تلك المصادر المعرفية التي توجه إليها ابن أبي زيد منذ نعومة أظفاره كان القرآن الكريم ، عملا بما جرت به العادة لدى عموم المسلمين ، قديما وحديثا ، إذ كانوا يتسابقون في حمل أولادهم إلى الكتاب لامتلاك اللغة العربية نطقا وكتابة ، وحفظ القرآن وماتيسر من الأحاديث النبوية والأشعار والحكم وهذا كان نظام تعليم الأطفال في هذا الوقت ومازال سائدا وابن أبي زيد قد اتقن حفظ القرآن منذ أيام طفولته الأولى ، وألزم نفسه الاعتصام به في مختلف مراحل

حياته ، فكرا وممارسة وعقيدة وسلوكا ، حيث كان دائم االرجوع إليه والاقتباس منه في معالجة أية مسألة أو الرد على أي شبهة ، مستدلا بالآيات الأصح دلالة والأصدق تعبيرا عن المراد ساعيا بواسطته إلى تأييد ما توصل إليه من نتائج بنفسه أو ماما ل إليه من أراد لغيره[1] .

لقد بدأ ابن أبي زيد - كغيره من تلاميذ عصره بحفظ القرآن إلا أننا لا نعلم هل خفظه بالكتاب العام أم على يد مؤدب خاص لأن التاريخ لم يلق لنا ضوءا على حالة أسرته إلا شيئاً يسيرا ، قد ندركه من خلال تتبع سيرته واستقرائها وأنه من أسرة أصيلة غنية ، ومن المعروف أن من عادة الأسر الغنية تخصيص مؤدب خاص لأطفالها يقوم بأعباء تحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم أصول الكتابة والمبادئ الأولى لعلوم الوسائل والمقاصد بمكان خاص بم ل العائلة ، وندرك هذه الحقيقة من المسلك الذي سلكه ابن أبي زيد مع أطفاله ونجد أنه ـذا يضاهي مسلك الإمام سحنون في مسلكه مع ابنه محمد وغيرهما كثيرون من العائلات القيروانية[2] .

إن غاية ما بلغ إلى علمنا أنه حفظ القرآن وأجاد تلأوته وتعلم أصول الكتابة واتقنها واستفاد من المباديء الأولية للعلوم استفادة مكنته بعد ذلك من الجلوس إلى حلقات الشيوخ العلماء البارزين في عصره . ومما ساعد على تكوين شخصية ابن أبي زيد العلمية جديته في الدراسة وحرصه عليها ومواظبته على التحصيل العلمي إتقانا وتوسعا يضاف إلى ذلك أن الله رزقه ذاكرة قوية جعلته يحفظ بسرعة ولاينسى شيئا مما حفظ مما ساعد على غزارة مروياته واتساع مجال نفعه لطلابه يضاف إلى ذلك تمكنه من لغة الضاد والبراعة في استعمالها نثرا ونظما وفصاحة لسانه العربي الذي ساعده على استقطاب الطلبة والعلماء والتفافهم حوله والاستفادة من دروسه الهادفة المفيدة في مجالات العقيدة والعلم والعمل

---

(١) انظر الملتقى ص٢٢٨ بتصرف شديد : (محاضرات ملتقى عبدالله بن أبي زيد القيرواني بتاريخ ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ ، شوال ١٤١٣هـ ، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان .

(٢) انظر كتاب بن أبي زيد للدكتور الدرقاش بتصرف جـ ١٠٣/١ .

نتيجة لصبره وتحمله في معاملته الهادئة إزاء مشايخه وشدة ملازمته إياهم في السراء والضراء إبان حالات الاضطراب والخوف والاهتضام والتستر التي مرت بالقيروان[1] .

والذي يتأمل ماأوردته كتب التراجم تستولي عليه الدهشة والعجب من قدرة هذا الشيخ الجليل الجاد في التحصيل العلمي ، وهذه المثابرة التي لم تعرف انقطاعا ولاتكاسلا من ذلك : « أنه لما سجن شيخه ابن اللباد من طرف بني عبيد أياما ثم أطلق سراحه ومنع من الفتوى والاسماع كان أبو محمد ابن أبي زيد وابن التبان يأتيان إليه خفية وربما جعلا الكتب في أوسطيهما وحجزتيهما حتى تبتل بأعرقهما خوفا من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه[2] .

إن ابن أبي زيد لم يكتف ذا ولم يخف لومة لائم إنماكان خوفه من الله - عزوجل - واستمر على صبره وتجلده واجتهاده وتأنيه في طلب العلم مقبلا على دروسه حاضرا مجالس شيوخه حتى إبان الفتن الكبرى من ذلك مادونته لنا كتب التراجم من أنه كان زمن إحتلال القيروان من طرف أبي يزيد الخارجي من الطلبة الذين لم ترهبهم ولم تعجزهم تلك الجيوش ولم تثن عزائمهم عن أخذ العلم إذ ورد في ترجمة شيخه المعروف بابن أخي هشام : « وكان يجتمع هو وأبو الأزهر بن معتب ، وأبو محمد بن أبي زيد ، وابن شبلون ، وابن التبان ، والقابسي ، وجماعة ذكرناهم ، ونذكرهم - في جامع القيروان - للتفقه عندما ظهر أمر أبي يزيد على بني عبيد[3] .

ولم يكتف ابن أبي زيد ذا بل إنه كان في نفس الوقت يجلس إلى حلقات الشيوخ الآخرين من فحول العلماء من أمثال أبي إسحاق السبائي وكثيرا ما كانت السلطة العبيدية اجم هذه الحلقات وكثيرا ماكان أبو محمد يفر[4] مع

---

(١) المدارك للقاضي عياض جـ ٣١٨/٣ .

(٢) معالم الإيمان للدباغ جـ ٢٥/٣ .

(٣) ومدارك عياض جـ ٤٨٨/٣ ، وانظر كتاب د. الدرقاش جـ ١٠٣/١ ، الدباج جـ ٣٤٧/١ .

(٤) لا استبعد فرار ابن أبي زيد حيث إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، بما أن الله ⇦

الفارين ، من ذلك مأورد أيضاً في ترجمة شيخه المذكور آنفا كما ذكره الدباغ وابن ناجي في المعالم قائلاً : (واستأذن عليه يوما صاحب المحرس على ابن اللباد فهرب كل من كان معه - ومنهم أبو محمد بن أبي زيد - ولم يبق معه غير القابسي ، فقال الشيخ : من هذا ؟ فقال أنا فلان قال أدخل ياشيطان ما يريد الشيطان أخو الشيطان فلم يكلمه يومئذ إلا بالشيطان ، فلما خرج رجع من هرب فقال لهم : ما هذا حق الصحبة ربون وتتركوني ؟ ولا مهم على فعلهم.[1]

افترض على المؤمنين عدأوة الكفار الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ وأمرهم بالجهاد والأغلاظ عليهم بالقول والفعل ، وتوعدهم باللعن والقتل لقوله تعالى : { ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً } : وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم وأخبر أن من تولاهم فهو منهم

وكيف يدعى رجل محبة الله ، وهو يحب أعدائه الذين ظاهروا الشياطين على عدوا م وأتخذوهم أولياء من دون الله كما قيل : -

تحب عدوي ثم تزعم أنني   صديقك إن الود عنك لعازب

فالحب في الله والبغض في الله ، أصل عظيم من أصول الإيمان ، يجب على العبد مراعاته ، وأكثر الله من ذكره في القرآن ، قال تعالى : { لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك ، فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة } أل عمران الآية: ٢٨ ، قال بعض المفسرين فهو أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام ، أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادقون ا ويتعاشرون ، ومن يتولّ الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأسا ، وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان . (مجموعة التوحيد لأئمة الدين والهدى ص٨٨٧) ، وقال بعض المفسرين : النهى متنأول للانحطاط في هواهم ، والانقطاع إليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم وزيار م ، ومداهنتهم ، والرضا بأعمالهم ، والتشبه م ، والتزي يزيهم ، ومد العين إلى زهر م ، (مجموعة التوحيد ص٨٩) .

وفرار ابن أبي زيد عن صاحب المحرس فرارا لإيمانه عن عدو الله حتى لايخدش في إيمانه شيء ومن أمور الدنيا ، وعد الشيخ ذلك من القربة إلى الله وطاعته وحبه ودل على ذلك قول رسول الله - ... - ((إن الله يحب من أطاعه ويبغض من عصاه من عباده)) ، كتاب التوحيد لابن منده (ت٣٩٥هـ) ، جـ ٢٠٤/٣ ، بتحقيق د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ، ط الثانية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

(١) المعالم جـ ٧٣/٣ ، ويأتي التعليق على هذا في ص١٠٤ .

وقد يكون هذا الهروب يرجع إلى عوامل السن أو الفطرة ، كما لا أستبعد أن يكون هروب ابن أبي زيد وزملائه من حلقات الشيخ بسبب خوفهم من حملهم على التشيع واستنبط هذا من نص آخر ورد في المعالم بعد ذلك : « كان عبدالله المعروف بالمختال صاحب القيروان شدد في طلب العلماء ليشرقهم[1] ، فطلب الشيخ أبا سعيد بن أخي هشام وأبا محمد بن التبان وأبا القاسم بن شبلون وأبا محمد بن أبي زيد وأبا الحسن القابسي فاجتمعوا في مسجد اللحام - قال الدباغ : وسمعت شيخنا أبا الفضل البرزلي ينقل غير مرة أن اجتماعهم كان بدار أبي محمد بن أبي زيد - فقال لهم ابن التبان : أنا أمضي إليه وأكفيكم مؤونة الإجتماع به ويكون كل واحد منكم في داره[2] .

وبالإضافة إلى هذا الإقبال على حضور حلقات الدرس عند العديد من الشيوخ كان يقضي ساعات فراغه في المذاكرة مع زملائه تارة وتارة على انفراده وطورا بحضور شيخ من شيوخهم لحسم ماقد يقع بينهم من خلاف علمي مثل ما حدث بينه وبين زميله أبي محمد عبدالله بن إسحاق التبان في مسألة الاستثناء في الإيمان كما ذكر ذلك القاضي عياض وغيره من أصحاب التراجم : (قال الدأودي : كان ابن التبان إذا سئل عن غيره ، هل يقول : هو مؤمن عندالله أو يسكت ، فكان يقول : هو مؤمن عندالله ، وقال : يقوله جماعة من علماء القيروان ، وخالف ذلك القول أبو محمد ابن أبي اسحاق وأنكر عليه ذلك ، وقال : إنما يقول : إن كانت سريرتك مثل علانيتك[3] فأنت مؤمن عندالله ، وقال بمثل مقالته : أكثر علماء القيروان سيأتي ذلك في بابه إن شاء الله .

---

(١) المراد فيما يظهر والله أعلم ليجعلهم على مذهب المشارقة وهو التشيع ... انظر : التعليق لمحمد ماضور في معالم الإيمان ٩١/٣ ، وزاد عياض .... واتفقوا على الفرار ... المدارك ٥٢١/٤ ، ويمكن حمل القول على ما انتهى إليه عياض بمعنى ربما يظن ابن أبي زيد ان جميعهم سيهربون حسب اتفاقهم حتى لاينفرد بالبقاء فهرب الشيخ من شرور القادم وهذا الوجه بناء على ما ارتضاه عياض .

(٢) المعالم ٩١/٣ .

(٣) انظر مدارك عياض ٥٢٣/٣ .

وقد ظهر في هذا الطور أن الشيخ ابن أبي زيد من المنارات في الظلام ومعلم في طريق المعرفة ، إذ لم يقف عند التقليد الأعمى بل كان في تفكيره وفي أعماله على بينة من الأمر وجمع الآثار الصحيحة وهو من بين هؤلاء العلماء الذين خدموا السنة وعقيدة السلف الصالح في عصره ساعيا إلى تقديم الدواء الناجع لبعض الأمراض السائدة في مجتمعه ، عارفا بحاجيات هذا ا تمع وبرغباته ، ولهذا توجهت تآليفه إلى تلبية هذه الرغبات وإلى إرضائها إرضاء هادفا متجها إلى نوع المرض مداويا للعلة المقصودة[1] .

إن مؤهلات ابن أبي زيد وصفاته الحميدة لفتت إليه أنظار شيوخه فبجلوه وآثروه لما عرف عنه من حسن الخلق والوفاء والصدق في التوجه وما يغلب عليه من السمت والهدوء و ذه الأوصاف كانوا يقدمونه على أقرانه[2] .

ولذا فقد كان أبو محمد هو الذي يتولى قراءة الملخصات وفصول الكتب وتوجيه النقاش حول المسائل المعروضة ، وندعم هذا القول بما ورد في ترجمة شيخه السبائي كما قال الدباغ : (وأبو إسحاق يسمى عابدا وهو أولى بأن يسمى عالماً لأنه كان يدري العلم ويعرفه ويتذاكر العلماء بحضرته وفي مجلسه ابن أبي زيد وهو الملقى عليهم وأبو القاسم ابن شبلون وأبو الحسن القابسي وسعيد بن إبراهيم وغيرهم كل من يعرف مسألة كان يحضر مجلسه ، وذلك لما منعوا من المواعيد والفتوى وإذا تنازعوا فصل بينهم بأمر يرجعون كلهم إليه[3] .

إذا تأملنا في حال ابن أبي زيد وما يدل على ملكاته العلمية نرى كما ذكر الدباغ في معالمه أن شيخه أبا إسحاق السبائي كان يقلد تلميذه ابن أبي زيد وذكر بما ذكره أبو الحسن علي بن عبدالله القطان : ما قلدت أبا محمد بن أبي زيد حتى رأيت السبائي يقلده[4] ، وليس هناك أقوى حجة على نبوغه إبان

---

(١) محاضرات ملتقى عبدالله ابن أبي زيد القيرواني ص٢١٠ ، بتصرف بقلم د. الطاهر الرزقي .

(٢) قال ابن ناجي : القاء المسائل هو كون الناس يجتمعون على رجل واحد يعلمهم العلم بتكلمه عليهم ، المعالم ٩٤/٣ .

(٣) المعالم ٦٤/٣ .

(٤) المعالم ٦٤/٣ .

تتلمذه من تقليده في آرائه من طرف بعض شيوخه كأبي إسحاق السبائي وغيره ممن هم فوقه سنا وعلماً[1] .

ثم إن اجتماع الصغار مع الكبار في حقل التعليم أمر محبوب شرعا وهذا مما يدل على بالغ أدب ابن أبي زيد واحترامه الكبار وتوقيره إياهم مما جعلهم يحبون الجلوس في الحلقات العلمية معه ، ولاشك أن هذا من سنن الرسول ﷺ حيث كان يحضر في حلقته العلمية الصغير والكبير من أصحابه وأقرب الأدلة على ذلك مارواه الإمام البخاري في كتاب العلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها ، وإ ا مثل المسلم فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبدالله : فوقع في نفسي أ ا النخلة فاستحييت ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يأبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أ ا النخلة ، فقال : ما منعك أن تكلمه ؟ قال لم أركم تكلمونه فكرهت أن اتكلم أو أقول شيئا قال عمر : لأن تكون قلتها أحب الي من كذا وكذا »[2] .

قال ابن حجر العسقلاني : ... وفيه أن العالم الكبير قد يخفي عليه بعض ما يدركه من هو دونه ، لأن العلم مواهب والله يؤتيه لمن يشاء ، واستدل به الإمام مالك على أن الخواطر التي تقع في القلب من محبة الثناء على اعمال الخير لايقدح فيها إذا كان أصلها لله ، وذلك مستفاد من تمنى عمر المذكور ، ووجه تمني عمر رضي الله عنه ماطبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولولده ولتظهر فضيلة الولد في الفهم من صغره ، وليزداد من النبي ﷺ حظوة ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم[3] .

ووجه الدلالة من هذا الحديث اجتماع ابن عمر رضي الله عنه مع كبار

(١) المصدر السابق جـ ٦٤/٣ .

(٢) كتاب التفسير رقم ٤٦٩٨ .

(٣) المصدر السابق جـ ١٤٧/١ ، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم .

الصحابة في مجلس العلم علما بأن ابن عمر دون سن البلوغ حينئذ ، كما ندرك من معاني هذا الحديث حياء ابن عمر وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم وأكابر أصحابه (أبي بكر وعمر)، ونفهم من هذا أن الشيخ ابن أبي زيد كان متبعاً ولم يكن مبتدعا .

والظاهر من ذلك أن الشيخ ابن أبي زيد - والله أعلم - كان يتمسك بالسنة النبوية المطهرة وما أثر عن جيل الصحابة ، وطبقة التابعين رضوان الله عنهم اجمعين ، ونظراً لما لهذا المصدر من أهمية في التشريع الإسلامي وما احتل من مركز الوحي الالهي ولما لابن أبي زيد من إلمام بالحديث رواية ودراية وشرحه كما شهد له بذلك كبار الأئمة وخيرة الحفاظ وتأليفه تشهد لذلك قال عياض : « كان أبو محمد رحمه الله إمام المالكية في وقته ، وقدو م ، وجامع مذهب مالك ، وشارح أقواله ، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك ، فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله[(١)].

لقد برز تمسك ابن أبي زيد بالسنة الشريفة في صور عدة وفي مناسبات متعددة ، ولايعد تعمقه في الاعتماد على ذلك غريبا إذا عرفنا أنه كان من المنتسبين إلى مدرسة الحديث والمؤيدين لها.

لقد رأيناه منفعلا أشد الانفعال ، متألما أشد التألم لما وقع ببعض إخوانه من أذى حيث كانوا يعاملون من الدولة معاملة أهل الذمة وكانوا تحت الإقامة الجبرية وكان ابن أبي زيد يدعو لهم بالخلاص من اذى الدولة، وأن يثيبهم الله عل صبرهم، وكان متشبها م في سلوكهم مقتدياً بأخلاقهم و مدافعا عن آرائهم واختيارا م واصفا إياهم بأحسن الأوصاف مضيفا إليهم أطيب النعوت ملحقا م خير الخصال وأزكى الشمائل ، ونستأنس في ذلك بما ورد في ترجمة أبي الفضل الممسي على لسان الدباغ بقوله : « جمع الفقه البارع ، والورع الحاجز ، والسمت الحسن ، وحسن الإشارة ، والهدى السكينة ، وحكى أن مشيته كانت تشبه مشية عمر بن عبدالعزيز ، وبه كان أبو محمد بن أبي زيد يتشبه في أحواله ،

(١) المدارك جـ ٤٩٢/٤ ، وانظر الملتقى ص٢٣١ .

وكان شديد الورع[1] .

---

(١) المعالم جـ ٢٧/٣ .

شيوخ ابن أبي زيد

القيرواني



شيوخ ابن أبي زيد القيرواني :

١) - أبو محمد عبدالله بن أبي عثمان بن سعيد بن الحداد :

كان من النوابغ ومثل ذلك النبوغ المبكر في العلوم لايكون إلا عن موهبة نادرة واستعداد فطري انضجها جده في الدرس والتحصيل والنظر وتلمذته العلمية بشيوخ من أئمة عصره نخص بالذكر منهم من تلقى عنهم وكان لهم أثر واضح في شخصيته العلمية وأثرائها ومن شيوخه الأفارقة عبدالله بن الحداد ٣٢٠هـ/٩٤١م .

هو أبو بحر عبدالله بن أبي عثمان بن سعيد بن محمد بن الحداد ، كان أبوه سعيد من العلماء البارزين في مجال المناظرات التي وقعت بين الشيعة وأهل السنة في بداية الدولة العبيدية[١] .

ذكر القاضي عياض أن عبدالله شيخ عاقل حصين عالي الهمة سمع من أبيه، وأحمد بن يزيد وغيرهما من شيوخ القيروان ، حدث عنه أبو محمد بن أبي زيد وغيره[٢] .

ذكر الدكتور الدرقاش عن روجي إدريس : قد أمد أبو محمد تلميذه ابن أبي زيد بعلم والده الذي كان منهجه يقوم على النظر والقياس والاجتهاد .

وقال محمد بن الحارث في طبقاته : وكان أبو عثمان أنس للفقهاء مجلساً وأغزرهم خيراً وهذه صفة والده عبدالله إلى اليوم ما رأيت أنس منه مجلساً ، إذا قعد مقعدا لم يطمح أحد في القول ولا في الحديث[٣] .

وهو كما ذكر عنه القاضي عياض .. وكان مليح المجلس كثير الحكاية توفي

---

(١) المعالم ٢٩٥/٢ - ٣١٥ .

(٢) المدارك لعياض ٣٤٠/٣ .

(٣) طبقات علماء إفريقية للخشني ١٥١/٤ .

بعد العشرين وثلاثمائة[1] .

٢) - أبو عثمان سعدون الخولاني :

أبو عثمان سعدون بن أحمد الخولاني كان من العلماء النـا ين والفقهـاء المتعبدين المرابطين بالمنستري ، كان عظيم القدر شهير الذكر أدرك سحنوناً ولم يأخذ عنه وهو من كبار أصحاب ابنه ، سمع في مصر من محمد بن عبـدالحكم وابن رمح وغيرهما ، وسمع منه جماعة منهم أبو عبدالله محمد بن الحارث الخشني وأبو محمد بن أبي زيد وربيع القطان وأبوبكر بن سعدون وابن اللبار ، وكانت له خطوة مع بني عبيد إذ كان يداريهم سعياً وراء مصالح المسلمين[2] .

قال الخشني في طبقاته ... لقيته سنة عشر وثلاثمائة وكتبت عنه حديثاً كثيراً في غير ما فن ، وقال لي رأيت سحنوناً جالساً في مجلـس قـضائه في مـسجد القيروان ولكن لم يسمع منه شيئاً[3] .

وتوفى الشيخ سعدون الخولاني سنة أربع وخمس وعشرين وثلاثمائة وهو ابن مائة سنة ، وهو صحيح العقل والبصر ودفن بالمستير[4] .

٣) - الشيخ اللباد :

أبوبكر محمد بن محمد بن وشاح المعروف بابن اللباد مولى الأقـرع مـولى موسى بن نصير اللخمي[5] .

ولد سنة ٢٥٠ وتوفي يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة ثلاث وثلاثـين وثلاثمائة - وهو ابن ثلاث وثمانين سنة[6] .

---

(1) ترتيب المدارك ٣٤٠/٣ .

(2) ترجمته بطبقات علماء إفريقية للخشني ١٦٦/٥ ، شجرة النور الزكية ٨٢/١ ، تحرير المقالة ص٢١٠ ، رياض التقوى ٢٥١/٢ - ٢٦٠ .

(3) طبقات الخشني ٢٥٢/٢ .

(4) انظر شجرة النور الزكية ٨٣/١ ، لمحمد بن محد المخلوف .

(5) رياض النفوس ٢٨٣/٢ ، الديباج ١٩٦/٢ ، أعاد الكلام صاحب الرياض .

(6) المعالم ٢٦/٣ .

قال أبو عبدالله الخراط : كان أبوبكر بن اللباد رجلاً صالحاً فقيهـا جليـل القدر عالماً باختلاف أهل المدينة واجتماعهم مهيباً مطاعاً ، زاد أبـو العـرب : ورعاً زاهداً ، من الحفاظ المعدودين والفقهاء المميزين[1] وسمع من جميع الشيوخ الذين كانوا في وقته كأبي بكر بن عبدالعزيز الأندلسي المعروف بابن الحـزار ، وحبيب بن نصر وأحمد بن يزيد ، وأبي طاهر محمد بن المنذر الزبيدي ، وزندان وغيرهم[2] وسمع من يحيى بن عمر - وعليه كان معوله - وابن طالب القاضي ، وعبدالجبار بن خالد وحماس ابن مروان ، وسعيد بن الحداد وحمد بـن القطـان وغيرهم من تلاميذ سحنون ، وسمع منه خلق كثير وعليه تخرج ابن أبي زيـد ، وابن القطان ، وابن حارث الخشني[3] .

وممن روى عنه زياد بن عبدالرحمن القروي ، ومحمد بن الناظرور ، ودراس بن إسماعيل[4] ، قال الدباغ : ((.. كان من أهل الحفظ والذكاء والفهم بحراً من بحور العلم وكان لانظير له في علم القرآن وقراءته وإعرابه وأحكامه وناسـخه ومنسوخه مع بسطه في الفصاحة ، وحفظ الغريب والفقه ومـشاركة في علـم الأنساب وبصير بأسماء الرواة والضعفاء منهم ، والثقات ، وضربت إليه أكبـاد الإبل))[5] .

وكانت له تأليف كثيرة في الفقه منها : كتاب الطهاره ، وكتاب عـصمة النبيين وهو كتاب إثبات الحجة في بيان العصمة ، وكتاب فضائل مالـك بـن أنس، وكتاب الآثار والفرائد ، عشرة أجزاء[6] ، فضائل مكة كتاب الرواق عن الصروف الجامعة للأوراق من أوزان الصروف الشرعية والأواقـي وذكـر في

(1) الديباج ١٩٧/٢ ، رياض النفوس ٢٨٣/٢ .
(2) الديباج ١٩٦/٢ .
(3) المعالم ٢١/٣ - ٢٢ ، كتاب العمر ٦٢٩/٢ .
(4) المدارك ٣٠٥/٣ .
(5) المعالم ٢٢/٣ .
(6) الديباج ١٩٧/٢ ، المعالم ٢٢/٣ .

الأعلام أنه مخطوط[1] .

وابن اللباد كان فقيرا ومع ذلك عنده عزة النفس ولم يكن عالة على النـاس وكان مناوئاً للعبيديين ناكراً عليهم ماتخلف قط عن خارج عليهم أو ناقدلهم ولم

يداهنهم ومع ذلك كانوا يطمعون في كسبه وحأولوا استمالته إلا أنه لم يمل لهم ونرى شدة مثابرته وخمصه وعدم جزعه وهلعه حيث دخل علـى عبيـدالله المهدي فقال له : ((يا محمد أنت ملاذ[2] بلدك في كم من العيال أنت ؟ فـأخبره فقال : نفرض لك من بيت المال ما يكفيك من النفقة والكسوة وغيرهما ، فقال : قبلت ولكن أترك ذلك في بيت المال حتى نحتاج إليه ، وعلق على هذا القـول ابن ناجي قائلاً : هذه مسايسة حسنة ومحأولة برفق إذ هو خير مـن رده بـلا محاولة[3] ، كما ظهر صدقه وعفافه وثقته لدى العبيدجيين وعرضوا عليه فكـرة توليته قضاء صقلية ، فاعتذر وقال : صرت في حد لو كنت على القضاء لوجب التأخر إلى فكيف ابتدائي وقد كبر سني فاعفاه ، وهذه أيضاً من حصانة عقله .

وذكائه ودقة فهمه ولطائف شمائله ، وإلاّ فالشيخ الكبير هو أولى بالقـضاء ممن هو دونه لأنه يعلم من نفسه أنه ما بقي إلا على شفا حفرة ، فيكون الخوف عليه أغلب[4] .

وبقدرما ـرب من إغراءات العبيديين بقدر ماتقرب مـن المنـأوئين لهـم والخارجين عنهم وكانت عيون السلطة لم تنم ولم تغفل عنه بل يراقبونه في كل صوب وحدب وكان ابن اللباد من المواظبين على حضور ا الس الأسبوعية التي

---

(1) تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ ٢٠٠/٤ ، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

(2) الفرس ملذا ضيعه وأسرع في العدو ،ملاذة: أرضاه بكلام لطيف دون أن يفعل ما يسره . ملذ فلان : أي أظهر في مودته غير ما يخفي ، وظاهر المعنى هنا والله أعلم أنه من وجهاء قومه الذي يرجع إليه بعد الله عند اللاواء والبؤس والحاجة لقضاء حوائجهم .

(3) المعالم ٢٢/٣ ، انظر كتاب د. الدرقاش ١٤/١ .

(4) المعالم ٢٣/٣ .

كانت تعقد بمسجد السبت[1] .

ولقد كان يصل إليه وهو تخوض من الطين والمطر ولقيه رجل وهو يخـوض في الطين متوجهاً إليه سلم عليه وقال - أصلحك الله - في هذا الطين ؟ يعز على يحيى بن عمر لو رآك ، فقال له أبوبكر اللباد ليس أنا غلام ابن عمر قال الله تعالى : { ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهـم بـه عمل صالح إن الله لايضيع أجر المحسنين }[2] ، وأدرك الشيخ اللباد أن حضوره لهذا الجامع يغيظ بني عبيد ، فكان جميع المشيخة يبيحون حضوره ويحضره مـن يحضره معهم من الصالحين والزهاد وأهل الخير من السبت إلى يوم الـسبت إلا ثلاثه - يحيى بن عمر في زمانه ، والقابسي وأبو عمران ، ولما كان هذا المسجد يحضره الجم الغفير من العلماء النا ين والصالحين كان حضورهم يغيظ بني عبيد لأ م يخافون من اجتماعهم أن يتفقوا على القيام عليهم[3] لهذا فإن ارتياد أبي بكر اللباد للمسجد أوقعه في فخ بني عبيد الغاشم وامتحنه ابن أبي المنهال - قـاض الشيعة - وعقد له مجلساً وكتب محضراً فيما أخذه به منها أنه يفتح بابه للإقـراء وانتصابه للفتوى بمذهب مالك المناوئ لمذهب الأمير - التشيع - وأنـه يلـبس السواد تشبيها ببني العباس ومحبة فيهم ثم أمر بضربه وسجنه فبقـى في حـبس المهدية مدة إلى أن توسط إليه ابن أخيه فاطلق سراحه ، ومن حينئذ أغلق أبوبكر بابه عن طلبة العلم ولم يزل معطلا عن الفتوى والسماع واجتماع الطلبة حولـه إلى ان توفي ، وفي تلك المدة كان ابن أبي زيد وأبومحمد التبان وغيرهما يأتون إليه في خفية وربما جعلوا الكتب في أوساطهم حتى يبتل بالعرق خوفاً على أنفـسهم من بني عبيد وأعوا م أن ينالوهم بمكروه[4] وامتحنه أيضاً على يد القاهر في طلبه

([1]) يسمى بمسجد العربي لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به بنشر فيه شعر بني معدان من الزهد ويقرأ فيه آيات من كتاب الله تعالى وحكايات ، فكان جميع المشيخة يبيحون حضوره من السبت إلى السبت ، المعالم ٢٤/٣ - ٢٥ .

([2]) سورة التوبة آية : ١٢٠ ، المعالم ٢٤/٣ ، الرياض ٢٨٦/٢ - ٢٨٧ .

([3]) المعالم ٢٥/٣ .

([4]) الرياض ٢٨٧/٢ ، المعالم ٢٥/٣ ، كتاب العمر ٦٣٠/٢ .

بوديقه وجلده[1] .

ولم يتوقف ابتلاؤه على هذا الحد فحسب بل أبتلي أيضاً بـأمرأة سـليطة اللسان وشرزة الأخلاق حتى قال له طلبته ذات يوم طلقها ونحن نؤدي صداقها فقال لهم إنما حفظتها من أجل والدها وذلك أني خطبت إلى جماعة من النـاس فردوني وقالوا لي لانزوج صاحب محبرة وقلم ثم خطبت إلى أبي هذه فزوجني ابنته لله عزوجل وكان يفعل معي جميلاً ويرفقني بما قدر عليه ، أفتكون مكافأتي لـه طلاق ابنته ، وقيل له في ذلك أيضاً قال أخشى إن طلقتها أن يبتلى ا مـسلم ، ولعل الله عزوجل دفع عني بمقاسا ا بلاء عظيماً وكان يقول كل مؤمن له محنـة وهذه محنتي[2] .

وهذا المؤدب الأول لشيخنا ابي محمد عبدالله بن أبي زيد والذي كان معوله في الفقه يصاب بالفالج[3] سنة ٣٣٠هـ ، من آخر عمره وقبل وفاتـه بـثلاث سنوات ، قال أبو الحسن علي بن إسماعيل المؤدب : كنت يوماً عنـد أبي بكـر اللباد أعوده مع والدي بعد أن أفلج فقال لأبي : يا أبا علي أقعدني ، فقال لي أبي أعني عليه يا بني فقمنا إليه جميعاً ، فأجلسناه فنظر إلى رجليه وهما ممدودتان وقد تغيرتا ودخلها نفخة ، فبكى وجرت دموعه على شيبته ثم قال اللهم ثبتها علـى جواز الصراط يوم تزل الأقدام ، أنت العالم ما والشاهد عليهما أ ما ماهـشيا لك في معصية[4] .

توفى أبوبكر يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائـة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ، حضر جنازته خلق كثير ودفن بباب سـلم علـى شفير الخفير الكبير ، وقبره مشهور هناك إلى اليوم.

وقد رثاه خلق كثير منهم تلميذه ابن أبي زيد بقصيدة منها : -

---

(1) تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ ٢٠/٤ .

(2) المعالم ٢٥/٣ .

(3) شلل يصيب أحد شقي الجسم طولا ، ولا يستطيع الانسان معه أن يحرك بإرادته يده ورجله أو أحد شقيه الأيمن أوالأيسر .(المعجم الوسيط جـ٣: مادة فلج ص٦٩٩

(4) المعالم ٢٦/٣ ، كتاب العمر ٦٣/٢ .

قل للجفون وللأحشاء إذ نكبا ... لاتبكيا طللا عاف ولادمنـا
ياعين وابكي لمن في فقده فقدت ... جوامع العلم والخيرات إذ دفنـا
ريب الحوادث لاترثي إذا طرقت ... على قبيح ولاتبقي لنا حسنـا
والموت لابد يغشى الخلق كلهم ... لكن بأهل التقى والعلم يفجعنـا
ياطول شوقي إلى من غاب منظره ... وذكره من جوى الأحشاء قد سكنا
لهفي على ميت ماتت به سبل ... قد كان أحي رسوم الدين والسننا
كم محنة طرقته من الإلام فلم ... يحزن لذلك إذ في ربه امتحنا
حتى استنار به الإسلام في بلد ... لولاه مات به الإسلام واندفنا
الفقه حلته والعلم حليته ... والدين زينته والله شـاهدنا
أب لأصغرنا كهف لأكبرنا ... وفي النوازل ملجأنا ومفزعنا[1]
يامن هو العلم المشهور منظره ... ومن تأدب بالتقوى وأدبنا
ومن به نكشف الظلماء إن نزلت ... ومن بدعوته الرحمن ينفعنا

وهي قصيدة طويله جداً[2] .

إن هذه المراثي الصادرة من ابن أبي زيد تكشف لنا صفة أخرى من صـفاته ألا وهي صفة الاعتراف لأصحاب الفضل من مـشيخته والتقـدير لعلـومهم وتقواهم وهو نوع من أنواع الوفاء للصحبة والأدب البالغ الصادر مـن هـذا الشيخ ابن أبي زيد ، حيث إنني لمعجب بسلوكه إزاء مشايخه إذ علمت أنه ليس من السهل معايشة هذا الشيخ اللباد بما اتصف به من حدة في الطبع وانقباض في الأخلاق إذ ذكر الإمام القاضي عياض بخصوص ابن اللباد : ((وكان الغالـب على خلقه الحرج))(٣) .

ومع ذلك إلا أن هذا الطالب القيرواني يتحمل أعباء المشقة الـصادرة مـن

---

(1) المراد به أن شيخه كان يواسيه بالمال كلما نزلت به ضائقه ، لأنه كان يتوسل به ويفزع إليه .

(2) باب في شيرة ابن أبي زيد وترجمته من مخطوط سمط اللئالي للشيخ قويسم ١٦٦/٥ - ١٦٨، والأبيات ٢٥/٦ ، ط رقم مخطوط ١١٤٠١ ، مكتبة دار الكتب الوطنية بتونس ، وانظر المعالم ٢٧/٣ ، كتاب العمر ٦٣٠/٢ - ٦٣١ ، رياض النفوس ٢٨٨/٢ .

(3) المدارك ٣٠٥/٣ .

شيخه اللباد وصار معوله في الفقه وغيره ، وعلى إثر وفاته بادر إلى رثاءه بأجود وأحسن رثائه حيث إن صفة الوفاء للمعارف والأصدقاء والشيوخ هـي مـن الصفات البارزة للعيان في حياة الشيخ ابن أبي زيد وسوف نرى - إن شاء الله - أنه جوزي بنفس صنيعه كما يقال - كما تدين تدان - ولا أدل على ذلك من المراثي الكثيرة التي رثى ا من قبل كل من يحسن الشعر ممن التقى به أو عرفه أو جلس إلى ميعاده حتى أقول أن هذه القصائد لو جمعت لشكلت ديـوان الوفـاء وسجلاً لرابطة قامت على الحب والإخلاص لأهله .

٤) - أبو الفضل الممسي(ت٣٣٣هـ - ٩٤٤م) :

أبو الفضل عباس بن عيسى بن محمد بن عيسى الممسى[١] وقيل العباس بـن عيسى ابن محمد بن عيسى بن العباس أبو الفضل الممسى نسبه إلى قرية ممـس ، نشأ في القيروان ودرس ا وقيل أنه حفظ القرآن وهو ابن ثماني سنوات وحفظ الموطأ وهو ابن خمس عشرة سنة ، وسمع من موسى القطان وجبلة بـن حمـود البجاني وأحمد بن أبي سليمان[٢] وأخذ عنه جماعة من أهل المشرق والمغرب منهم بن المثنان وأبوبكر بن مروان المالكي وخرج إلى الحج سنة ٩٣١/٣١٨م فأقـام عامه ذلك بمصر وسمع في حجته تلك حديثاً كثيراً فسمع بمصر من أحمـد بـن جعفر الحضرمي وأبي عبدالله الجيزي والذهيلي وابن عبدالوارث وأبي الحسن بن سواده[٣] ، وأخذ عنه جماعة منهم عبدالله بن أبي زيد وكان يتشبه به في أحواله،

---

(١) ممس وسماها ياقوت : ممسى (معجم البلدان ١٥٨/٨) وعرفها ابن القيروان بسأقيه ممسى وهى ممس Memsa عند الروم البيزنطيين قرية كبيرة كانت واقعة على وادي الحطب بالقرب من دشره حاجب العيون الآن مابين سبيطله والقيروان ولها ذكر من تاريخ فتح إفريقية حيث التقى القائد زهير بن قيس البلوي بجيش كسيله وقتله في سنة ٦٩هـ (راجع ابن الأثير الكامل ٥٥/٤) وورد اسمها هناك ممسن وهو تحريف واضح من الناسخ انظرها في كتاب العمر ٣٨/١ . المعالم ٢٧/٣، القاضي عياض ٣١٣/٣ .

(٢) المدارك ٣١٣/٣ .

(٣) شجرة النور الزكية ٨٣/١ .

وأبو الأزهر بن معتب وأبو حارث[1] .

عرف به معاصرة ابن حارث الخشني وقد ذكره في جملة من انتحل النظـر وتحلى بالجدل من أهل السنة قال : -

((كان يتكلم في علم مالك كلاماً عالياً ويفهم علم الوثائق فهمـاً جيـداً ويناظر في الجدل وفي مذهب أهل النظر على رسم المتكلمين والفقهاء منـاظرة حسنة وكان لسانه مبيناً وقلمه بليغاً مع حصافة العقل وذكاء الفهم ، وكان في المناظرة والفقه أجزل منه في الكلام[2] وقال في كتاب آخر وكان من أهل المروءة والانقباض والصيانة لم يكن في طبقته أفقه منه ولا أصدق[3])) .

وبعد رجوعه من حجه لزم الانقباض من النسك فكانت تلك حالته إلى سنة قيام مخلد بن كيداد النكاري الخارجي ابن أبي يزيد على بني عبيد في جماعة مـن جلة فقهاء القيروان ، ولهذا كان كما قال ابن الحارث الخشني : ((والناس فيـه فرقتان فرقة تتبرأ منه وتشنع عليه وتمقت أخلاقه وفرقة تحبـه وتواليـه وتـذب عنه))[4].

وقد يحتمل أن يكون المناأوئون له من الشيعة ومن دار في فلكهم وخاض في حياضهم ، كما أن المدافعين عنه هم أولياء الله من أهل الـسنة مـن شـيوخه وتلاميذه عامة لا لمصره كان ينشب الخلاف بين الشيعة الحاكمة والسنة المحكومة حتى أدى الخلاف إلى رفع السيوف بين الطرفين وذلك إبان ثورة الخوارج بقيادة صاحب الحمار أبي يزيد الخارجي ، قال الدباغ : ((وكان أبو الفضل ممن خرج لقتال بني عبيد مع أهل القيروان لما كان يعتقد من كفرهم)) ، وقال ابن ناجي : ((قال أبوبكر المالكي رأى أن الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضاً لأن الخوارج من أهل القبلة لايزول عنهم الإسلام ويرثون ويوثرون ، وبنو

---

(1) ترجمة المؤلفين التونسيين ٣٨١/٤ .
(2) المدارك ٣١٣/٣ ، كتاب العمر ٨٥/١ .
(3) المدارك ٣١٣/٣ .
(4) طبقات علماء إفريقية للخشني ١٧٩/٥ .

عبيد ليسوا كذلك لأ م مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثـون معهـم ولاينتسبون إليهم))[1] .

واستشهد في تلك المعركة فمات بالوادي المالح قرب المهدية ولم توجد لـه جثة ولابغلة حماه الله منهم حياً وميتاً ، ومات أبو الفضل مع خمسة وثمانين مـن أصحابه وذلك يوم الإثنين ٢٢ رجب من سنة ٣٣٣هـ[2] .

قال تلميذه أبو محمد عبدالله بن أبي زيد وددت أن القيروان تسبى ولم يقتـل أبوالفضل ، وهذا منه - رحمه الله - مبالغة لأ ا لاتسبى حتى يموت خلق كثير ، ورثاه الفقيه ابن أبي زيد : -

ياناصرا للدين قمت مسارعاً	وبذلت نفسك مخلصاً وفريداً
وذبيت عن دين الإله مجاهداً	وبعت بيعاً رابحاً محموداً
وعهدى به بين الأسنة لم يكن	لله عن لقاء العدو كنودا[3]
فعليك أبكي بابن عيسى مابكت	قمـرية أو غررت تغريدا
يالوعة طرقت فؤادي إذ أتى	ناع ينعيك وقد فقدت شهيدا
كانت حياتك طاعة وعبادة	سعدت في المحيا ومت شهيدا
لله من شـهدت لـه أحوالـه	وعلت مناقبه فعاش سعيدا
ياقرة للناظرين وعصمة	للمسلمين وعدة وعديدا
جمعت كل فضيلة ونقيته	وحويت علما طارفا وتليدا[4]

قال أبو عبدالله محمد بن قويسم التونسي[5] في وصفه للأبيات التى رثى ـا

([1]) المعالم ٢٩/٣ .

([2]) المعالم ٢٩/٣ ، كتاب العمر ٣٨١/١ .

([3]) في الأصلين : كنوزا والمثبت من المدارك ، الكمدالهم والحزن ، والكمد أيضاً تعبر لون الوجد وذهاب صفائه : ((اللسان كمد)) .

([4]) الرياض ٣٠٠/٢ - ٣٠١ .

([5]) راجع شجرة النور الزكية ص٣٢ .

ابن أبي زيد شيخه أبا الفضل الممسي : ((إ ا حوت علماً طارفاً وتليد))[1] لنـا وقفه أيضاً في صنيع الشيخ ابن أبي زيد مع شيخه أبي الفضل الممسى مما دل على صدق وفاء ابن أبي زيد كما أشرت سابقاً .

وقد ذكر القاضي عياض في مداركه عن الممسى وقال : ((وكان من أهـل المروءة والانقباض والصيانه))[2] .

وعلى الرغم ما اتصف به الممسى من حدة في الطبع وشدة في السلوك تجاه تلاميذه فقد نجح ابن أبي زيد في مباشرته معه وحتى من علمه ما جعله عالم المائة الرابعة بدون منازع وتوجده بلقب مالك الصغير تشريفاً له وتقـديراً لجهـوده وتصدقه في المحبة والإخلاص في القول .

مؤلفاته وإنتاجه : ١) - اختصار كتاب محمد بن المواز ، ٢) - كتـاب في قبول الأعمال ، ٣) كتاب في تحريم المسكر ناقض به كتاب الطحاوي[3] .

٥) - أبو العرب ت ٣٣٣هـ :

أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام ابن تميم التيمي[4] .

كان جده تمام بن تميم من أمراء إفريقية وكان أبوه أحمد ممن سمع من شجرة بن عيسى وسليمان بن عمران وبكر بن حماد[5] .

وبذلك نرى أن أبا العرب من أسرة عريقة جمعت بين العلم والحكم فلـيس غريباً أن يقتدى الولد بوالده كما هو متصف بحصافة العقل وكذلك هـو بـار

---

(1) مخطوط سمط اللئالي ٧/٨ برقم ١١٤٠٣ الكتب الوطنية بتونس .
(2) الترتيب ٣١٣/٣ .
(3) المدارك ٣١٤/٣ .
(4) المدارك ٣٣٤/٣ ، المعالم ٣٥/٣ ، الديباج ١٩٨/١ .
(5) المدارك ٣٣٤/٣ .

بوالديه كما سوف نرى من حديثه هو عن بداية دراسته العلمية فقال : ((قـال أبوبكر المالكي في سبب طلب أبي العرب العلم وملازمته له وتركه ماكان فيـه آباؤه : ((قال : أتيت يوماً وأنا حدث الى دار يحيى بن محمد بن السلام فرأيـت عنده الطلبة ورأيت أمراً أعجبني وركنت إليه نفسي فعادوت الموضع ، وكنـت آتي إليه والطرطور على رأسي، ونعل أحمر في رجلي، في زي أبناء الـسلاطين، وكان الطلبة ينقبضون عني من أجل ذلك الزي ، فقال لي رجل يوماً بجـواري : لاتتزي بهذا الزي فليس هو زي طلبة العلم وأهله ، ورفق بي فرجعت إلى أمي ، فقلت لها نلبس الرداء وثيابا تشاكل لباس أهل العلم والتجار ، فأبت على مـن ذلك وقالت : إنما تكون مثل آبائك وأعمامك ، قال أبوالعرب : فاحتلت حـتى اشتريت ثياباً وجعلتها عند صباغ في باب أبي الربيع فكنت إذا أتيت من القصر القديم أتيت بذلك الزي الذي تحبه أمي ووالدي ، فإذا وصلت إلى باب أبي الربيع ، ودخلت حانوت الصباغ خلعتها ولبست الآخر المرفوعة عنده ، ومضيت إلى دار يحيى بن محمد ابن السلام ، فإذا انصرفت من عنده ووصـلت إلى حـانوت الصباغ ، رفعتها ولبست الثياب التي جئت بها ، ثم قال لي رجل من أصـحابي أراك تلازم هذا المجلس وتسمع فيه العلم ولاتكتب شيئاً مما تسمع بيدك يكـون عندك ، ماهذا حقيقة طلب العلم فقلت له : والداي رغبا عن هذا وعن المعونـة عليه وما ملكناني من شيء اشترى به الرق فقال لي : أنا أعطيك جلـداً تكتبـه لنفسك وتكتب لي جلداً عوضاً منه ، فرضيت له ب١ذلك ، فكنـت أكتـب لنفسي ماشئت وأكتب له من جلده مايحب حتى يسر الله عزوجل لي ما اشتريت به الرق وما قويت به على طلب العلم[1] .

هكذا بدأ الشيخ الرباني حياته العلمية الجادة إذ لم يكن يبلغه خبر عن شيخ من الشيوخ حتى يذهب إليه وينضم إلى حلقته ويصغ إليه ويبلغ شيوخه أكثر من

---

(1) رياض النفوس ٣٠٧/٢ - ٣٠٩ ، نقله صاحب المعالم عن أبي بكر المالكي ٣٧/٣ - ٣٨ ، والقاضي عياض في المدارك باختصار ٣٣٥/٣ .

عشرين ومائة شيخ[1] .

قلت : إن أمر هذا الشيخ غريب وهو من أعاجيب الزمان حيث اعتزل ماكان عليه من الرفاهية في الإمامة وتوجه إلى العلم وبدأ يتمرغ خديه ورجليه على أيد المشايخ الفقراء للاغتنام والفوز عما في أيديهم ، وهذا يدل على إخلاصه في الطلب وعمق الفكر والدراية عن أحوال الدنيا أ ا مهما صفت وتزينت لن تدوم والمرء سوف يسأل يوم التناد عما استرعاه ، ولذلك نرى أن أبا العرب لم يركن إلى الدنيا وما فيها من الزخارف الزائلة وأقبل على العلم وصبر على أعبائه وعداً مما يشار إليه بالبنان ومما مكن هذا الشيخ علمياً كثرة شيوخه ، ومن أبرزهم جماعة من أصحاب سحنون وأكثر رجال إفريقية كأحمد بن عمر وأبي دأود العطار وعيسى ومحمد بن مسكين وابن طالب وعبدالجبار وأبي العباس وسهل القرياني وحماس وحبيب بن نصر وجبلة وابن أبي سليمان وسعيد بن إسحاق[2].

كما أنه ماقصر في حق العلم حيث أدى ما عليه من حقوق العلم وأخذ عنه خلق كثير من طلبة العلم منهم أبومحمد بن أبي زيد والحسين بن سعيد وابناه والشذوني وأبو الحسن بن زياد والحسن بن سعيد الخراط وأمم لايحصون[3] .

قال فيه ابن فرحون : وكان رجلاً صالحاً ثقة عالماً بالسنن والرجال ، من أبصر أهل وقته ا ، كثير الكتب حسن التقييد كريم النفس والخلق كتب بخطه كتباً كثيرة في الحديث والفقه ، يقال إنه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب ، وخمسمائة[4] .

قال ابن ناجي : كان أبو العرب إمام عصره وواحد دهره دأب في طلب العلم وبرع فيه براعة فاق فيها من تقدمه من رجال إفريقياوألف كتباً مفيدة

---

(1) المدارك ٣٣٥/٣ ، المعالم ٣٥/٣ .

(2) المدارك ٣٣٤/٣ ، واعاده ابن فرحون في الديباج ١٩٨/٢ .

(3) المدارك ٣٣٥/٣ ، المعالم ٣٥/٣ .

(4) الديباج ١٩٨/٢ ، وقد يكون من مبالغات المؤرخين وإن كان كما ذكروا فيه فيكون من الكراريس ذات أوراق محدودة .

كثيرة وكان موفقاً في التأليف معافاً عليه وهو رافع لواء التاريخ بافرقية مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث ، وقال ابن أبي دليم كـان حافظـاً للمذهب مفتياً وغلب عليه الحديث والرجال وتصنيف الكتب والرواية والاسماع وألف طبقات علماء إفريقية ، وكتاب عباد إفريقية وسند حديث مالك وكتاب التاريخ سبعة عشر جزءاً ، وكتاب مناقب بني تميم ، وجزءان في موت العلماء ، وكتاب المحن ، وكتاب فضائل مالك ، وكتاب فضائل سحنون وكتاب الطهارة والوضوء ، وكتاب الجنائز وذكر الموت ، وعذاب القبر وكتاباً في الصلاة وغـير ذلك ، ولذلك قال أبوبكر المالكي : كانت أوصافه أوسـع مـن أن يحملـها كتاب[1] ، وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهر نبوغه في الشعر وأتقنه وخير مثال على ذلك ماذكره القاض عياض في مداركه : -

إذا ولّى الصديق لغير عذر فزاد الله خلته انقطـ ـ ـاع
إلى يوم التناد بلا رجوع فإن رام الرجوع فلا استطاع
إذا ولّى أخوك قفاه عنك فول قفاك عنه وزده باعـا
وناد وراءه يارب تمم ولاتجعل لفرقته اجتماعـا
ضعفت حيلتى وقلّ اصطباري وإلى الله التشكي كل مابي
وهن العظم بعد أن كان صلباً وفقدت الشباب أي شباب[2]

كان رحمه الله أحد من عقد الخوج على بني عبيد في أيام أبي يزيـد ودأب يجاهد أبو العرب باللسان والقلم وبالسيف أحياناً إلى أن توفـاه خالقـه في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة هجرية ودفن بباب سلم عند قـبر شـقران وصلى عليه خلق كثير[3]

٦) - ربيع القطان :

(1) المعالم ٣٥/٣ - ٣٦ .
(2) المدارك ٣٣٦/٣ ، الديباج ١٩٩/٢ .
(٣) المعالم ٣٨/٣ .

أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله النوفلي اشتهر بالقطاني ، وينتسب أهله إلى قريش ، كان مولده بالقيروان سنة ٢٨٨هـ ، وقرأ العربية والنحو والفقه على أبي على المكفوف ، وأبي عبدالله الداراني النحويين وأخذ علوم الدين عن أحمد بن نصر وأبي بكر بن اللباد وأبي العرب التميمي[١] .

لقى بمصر أبا حسن الدينوري وبمكة أبا يعقوب الجوهري وأبا سعيد بن الأعرابي وأبا علي بن الكاتب فرجع إلى القيروان وقد تزكى عقله ورق فهمه[٢].

وكانت له حلقة بالمسجد الجامع بالقيروان يحضرها عدد كبير من الطلبة منهم أحمد بن نصر وأبومحمد بن أبي زيد وأبو القاسم بن شبلون وكان ذلك أيام إمتلاك أبي يزيد الخارجي للقيروان[٣] ، قال الخشني : أن ربيع بن سليمان القطان صاحبني في كل مجلس ومساعدي في كل علم طلبت وديوان درست حجج ومتن الأولى في سنة ٣٢٤هـ والتقلا بجماعة من العلماء المتعبدين ، ثم عاد ولازم دكانه في القيروان يبيع فيه القطن حتى لقب باسم حرفته ، وفي دكانه كان يأتيه من يطلب منه العلم والمسائل[٤] .

يقول ابن ناجي : وكان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعر وكان لسان إفريقية في وقته في الزهد والرقائق[٥] ، وقد حتم على نفسه الا يشبع من طعام أو نوم حتى ينقطع دولة عبيد الشيعة[٦] ، ذكر أبوبكر المالكي مامعناه : فلما استنهض أبو الفضل الممسى وأبو إسحاق السبائي الناس بجهاد عبيدالله الشيعي وذكرا فضائل الجهاد وكلما الناس واحدا واحداً فقال ربيع القطان أنا أول من يشرع في هذا الأمر ويخرج فيه ويندب الناس إليه ويحضهم عليه[٧] ، قال ابن

---

(١) كتاب العمر ٤٥١/٢ .

(٢) المعالم ٣٠/٣ .

(٣) المعالم ٣٠/٣ .

(٤) طبقات علماء إفريقية بتصرف ١٧٩/٥ للخشني .

(٥) معالم الإيمان ٣٠/٣ .

(٦) كتاب العمر ٤٢٢/٢ .

(٧) رياض النفوس ٣٤٠/٢ - ٣٤١ .

ناجي : قال أبوبكر النمالكي : وعوتب ربيع في خروجه مع أبي يزيد إلى حرب بني عبيد فقال : وكيف لا أفعل وقد سمعت الكفر بـأذني ؟ فمـن ذلـك أني حضرت اشهاداً وكان فيه جمع كثير أهل سنة ومشارقة وكان بالقرب مـني أر قضاعة الداعي فأتى رجل مشرفي من أهل الشرق من أعظم المشارقة فقام إليـه رجل مشرق وقال إلى هاهنا ياسيدي إلى جانب رسول الله بـني أبـا قـضاعة الداعي، ويشير بيده إليه فما أنكر أحد شيئاً من ذلك فكيف ينبغي أن اترك القيام عليهم ، ووجد بخطه قال : لما كان في رجب سنة إحدى وثلاثين قـام الـصبي المكوكب يقذف الصحابة ويطعن على النبي ﷺ [(1)] ويروى ان ربيع لما رأى ذلك لم يسعه التأخر عن الخروج عليهم ، وكذلك جميع الشيوخ يتأولون أبا إسحاق السبائي وغيره .

ترى أن ربيع هو الذي خرج لانتداب الناس للخروج على بني عبيد الشيعة وكان لربيع ثلاثة بنود[2] وحدة ، ولكل من أبى الفضل الممسى ومروان العابـد بندان وواحد لايراهم الحبشا[(3)] .

فلما اجتمع الناس وحضرة الصلاة - الجمعة - طلع الإمام على المنبر وهـو أحمد ابن محمد بن أبي الوليد وكان أبو الفضل الممسي هو الذي أشار به وخطب الإمام خطبة أجزل فيها وحرض الناس على الجهاد - تركت الخطبة خوفاً مـن الإطالة - قال الدباغ : وكان ممن خرج على بني عبيد فقتـل بغـرب المهديـة بالوادي المالح وقطع رأسه وأتى به إلى أبي القاسم بن عبيدالله في طـست فلمـا كشف عنه فتح الباري الرأس عينيه وفمه فقال أبو القاسم بعدوه عني وتـوفي في رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وقد اختلف أرباب التاريخ في وقت وفاته ، قال أبوبكر المالكي : استشهد ربيع القطان رحمه الله يوم الإثنين في صفر سـنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، والمعتمد لدى المؤرخين أنه توفي سنة ٣٣٣هـ ٢٢ صفر

([1]) المعالم ٣٢/٣ .

([2]) بنود : العلم الكبير ويطلق في اصطلاح المحدثين من رجال القانون علىالفقرة الكاملة من القانون (المعجم الوسيط جـ ١ : ص٧١

([3]) المعالم ٣٢/٣ .

وهو ابن ست وأربعين ورثاه أخوه أحمد وهو أيضاً من الزهاد الجلة بمراث عديدة[1] وقيل إن الممسى استشهد معه في يوم واحد وقيل بينهما مدة ستة أشهر[2] ، والذى ترجح عندي والله أعلم إ ما استشهدا في يوم واحد بدليل ماذكر ابن ناجي : واستشهد معه أئمة وعباد وصالحون وذلك خمسة وثمانون رجلاً ، وقد وردت هذا العدد في تكملة على أبي الفضل الممسي وكذلك قال أبو الحسن القابسي عن شيوخه الذين أدركهم - إن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيدالله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب مابين عابد وعالم ورجل صالح ، والله أعلم أن قائله واهم[3] .

ومما يروي عنه أنه كان متضلعاً في الحديث والتفسير قال الخشني : سلك طريق التصوف ، من ذلك أنه كان ذات يوم ممسكا بالمدونة فقال لقد أبعدتني هذه كثيراً عن الله ، لكن هذا لم يمنعه من مواصلة حمله التجاري المتمثل في بيع القطن في دكانه ، ونفهم من تصرفه هذا أن التصوف عنده لم يمنع عن ممارسة أعماله الدنيوية وهذا يذكرني قول تلميذه النجيب ابن أبي زيد حيث يقول : وكان شيوخهم يحملون كتبهم بأيما م وآلة الحراثة بيسارهم ، ولا استبعد أن يكون ابن أبي زيد قد تأثر بشيخه ربيع بن سليمان في سلوكه حيث أنه كان يمارس التجارة ويرزع الحبوب والقمح حتى أصبح من أغنى طلبة العلم القيروانيين مع أنه لم يهمل الأخذ عن عديد من الشيوخ الأجلاء حتى كثر علمه وزاد فضله[4] وللشيخ ربيع القطان : ١) شعر كثير في معنى الزهد والرقائق أورده المالكي والدبباغ وعياض نتفاً منه ، ٢) رسائل عديدة معقدة على طريق كلام الصوفية ، هذا وصف عياض ولم يورد منها شيئاً . أما المالكي فقد أورد منها الرسالة المذكورة أعلاه رموزهم هنا ، ينقل المالكي في الرياض عن كتاب بخط ربيع ، ويبدوا أنه كتاي في أخبار الزهد والعباد في عصره وعبارته قال : ربيع

---

(1) كتاب العمر ٤٥٣/٢ .

(2) رياض النفوس ٣٤٥/٢ واعاده صاحب المعالم نقلا عن المالكي ٣٤/٣ .

(3) الرياض ٣٤٥/٢ ، المعالم ٣٤/٣ .

(4) كتاب العمر ٤٥٣/٢ .

القطان[1] .

٨) - أبو ميسرة :

أحمد بن نزار يكنى أبا جعفر من الفقهاء العباد المتبتلين الخائفين الـورعين ، روى عن حمدين القطان ، وأحمد بن أبي سليمان وفرات بن محمد وسعيد بن أبي إسحاق وموسى القطان وابن حكمون ومحمد بن عبادة وأبي الغصن[2] سمع منه جماعة من أهل العلم منهم : أبو محمد بن أبي زيد وحسن الخراط ، وأبو القاسم اللبيدي وأبو الحسن ابن الحلاف وأحمد بن سفيان الدرأوردي ، قال أبو محمد بن هبة الله : كان أبو ميسرة من متعبدي شيوخ القيروان ، المـشهورين بالعبـادة منهم[3] .

قال أبو عبدالله الخراط : كان رجلاً صالحاً مأموناً ثقة خيراً فقيهـا حـسن الاتباع لايخالف في فتواه : ((ابن أبي القاسم عبدالرحمن بن قاسم بن خالد بـن جنادة العتقي - بضم المهملة وفتح المثناة بعدها قاف - أبو عبدالله المصري الفقيه صاحب مالك ثقة)) قال ابن وضاح عنه : طلب العلم وهو كبير ولم يخرج إلى مالك حتى سمع من المصريين قال ابن القاسم : أقام بباب مالك سبع عشرة سنة ، قال النسائي : ابن القاسم ثقة رجل صالح ، سبحان الله ما أحسن حديثه وأصحه عن مالك ليس يختلف في كلمة ولم يرو أحد الموطأ عن مالك أثبت مـن ابـن القاسم وليس أحد من أصحاب مالك عندي مثله ، قيل : وحسن الحـديث ، حديثه يشهد له توفى سنة ١٩١هـ[4] ، زاد محمد مخلوف - أثبـت النـاس في مالك وأعلمهم بأقواله صحبه عشرين سنة وتفقه به وبنظرائه وروى عنه الليـث وعبدالعزيز الماجشون ومسلم ابن خالد وغيرهم خرج عنه البخاري في صحيحه

([1]) الرياض ١٣٣/٢ - ١٣٤ ، ٢٠٤ .

([2]) المدارك ٣٥٨/٣ للقاضي عياض .

([3]) رياض النفوس ٣٦١/٢ ، المدارك ٣٥٨/٣ ، المعالم ٤١/٣ .

([4]) اتحاف السالك ق: ٤٠ - ٤١ ، التهذيب ٢٥٢/٩ - ٢٥٤ ، التقريب ص٣٤٨ ، كتاب الإمام مالك في إثبات العقيدة .

، أخذ عنه جماعة منهم أصبغ ويحيى بن دينار والحارث بن مسكين ويحيى بن يحيى الأندلسي وابن عبدالحكم وأسد بن الفرات وسحنون وجماعة، مولده سنة ثلاث أوثلاثين وثمانية وعشرين ومائة ومات بمصر في صفر سنة ١٩١هـ ـ ، وقـبره خارج باب القرافة قبالة أشهب[١] ، وقد رجح القاضي أبو محمد عبـدالوهاب مسائل المدونة برواية سحنون لها عن ابن القاسم وذكر أنه أقعد الناس بمـذهب مالك[٢] .

وكان أبو ميسرة مجانباً لأهل الأهواء كثير الصلاة والذكر[٣] وكان يختم كل ليلة ختمة في مسجده ، فبينما هو ليلة في جده وبكائه ، بعـدما أتـى علـى صلاته، إذا بنور عظيم خرج له من حائط المحراب وبوجهه كأنه البدر فقال له: تملأ من وجهي يا أبا ميسرة فأنا ربك الأعلى فبصق في وجهه وقال له إذهب يا ملعون فعليك لعنة الله تعالى ، فطفئ ذلك النور من ساعته كسراب بقيعة وإذا به إبليس لعنه الله أراد أن يفتنه فحماه الله تعالى منه بمنه وكرمه[٤] فانظر إلى هـذا الولى الصالح الصادق في عبادته والعارف بمقامه والذي على الرغم من المفاجـأة التي فاجأه ا إبليس لم يفقد توازنه الروحي ولم يغره بالله الغرور ولأنه يعلم حق العلم أن الله تعالى لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، إن مثل هذه الواقعـة لابد أن تكون قد بلغت ابن أبي زيد وخاصة إنه كان طالباً في حلقة هذا الشيخ الولي ، ولما كثر الحديث عن كرامات الأولياء وانقلاب الأعيان لـدى بعـض السذج في ا تمع رفض ابن أبي زيد هذه الترهات الدخيلة في مجتمع القـيروان قلمه كما هو دأبه للرد على زيغ الصوفية وهو من أدل الـدليل الـذي يـبرز شخصية ابن أبي زيد كما أرشدنا ذلك إلى مدى استفادته من شيخه هذا في مجال

---

(١) الشجرة ٥٨/١ فرع مصر .

(٢) ابن حجر ذيب التهذيب ٢٥٦/٦ ، ابن عبدالبر الانتقاء ، عياض المدارك ٤٤/٣ ، الملتقى لابن أبي زيد ص٢١٧ .

(٣) المدارك ٢٥٨/٣ .

(٤) الرياض ٣٦١/٢ - ٣٦٢ .

العقيدة وسوف نرى ذلك إن شاء الله[1] .

ومما يدل على رفقه بالناس وشدة تمسكه بالعقيدة السفلية كـان رحمـه الله بجواره رجل أسود فكان ينقب ويسرق ولايبالي ما ارتكب فمضى إليه الجـيران وقالوا له ارحل عنا فشتمهم وسبهم فلما صلوا العشاء الآخرة قالوا له يـا أبـا ميسرة ادع الله تعالى عليه فقال اللهم إنه عبد من عبيدك ونحن نخافه لأنه لايخافك فأصلحه وإن لم يسبق في علمك إصلاحه فخذه بعلمـك وفاجئـه بـسطوتك ونقمتك . قال : فلما أصبح الصبح جاء الشرطة فأخرجوه من داره ومـضوابه فضربوا عنقه[2] ، وهذا من فقهه وتبصره في العقيدة أنه لم يدع على الجاني بعينه لأنه لايدري ماذا يؤول إليه أمره بل أرجعه إلى علم الله وكما أنه من عقيدة أهل السنة والجماعة الرجاء للمحسنين والخوف على المسيئين[3] .

وروى ابن أبي زيد عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن أهل الذنوب مؤمنون مذنبون[4] وكان أبو ميسرة يقول معرفة الصالحة تـورث الفـردوس الأعلـى[5] وشكى له بعض أصحابه بعد عهده به ، فقال له : يا أخي إنما فائدة الاجتمـاع الدعاء فإذا ذكرتني دوت لي وإذا ذكرتك دعوت لك فتكون كأنا التقينا وإن لم نلتق ، ولا استبعد أن يكون ابن أبي زيد قد تأثر ذا الشيخ في مجـال العقيـدة حيث رفض المغالات في المحبة والتقديس الذي يقع من بعض الأشخاص .

قال الدباغ ومسجد أبي ميسرة مشهور بالقيروان إلى اليـوم وهـو أحـد المساجد السبق القديمة الفاضلة ، قال ابن ناجي ويعرف الآن بمسجد ابن غلاّب وهو عن يسار الداخل للقيروان من باب تونس وداره هي التي تعرف بدار الشيخ العدل أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن غلاب المسراتي[6] ، قال الدباغ : وتوفي

([1]) كتاب الدرقاش ٢٩٣/١ .

([2]) الرياض ٣٦٢/٢ - ٣٦٣ ، المدارك ٣٦/٣ ، المعالم ٤٢/٣ .

([3]) انظر شرح العقيدة الصحاء بتحقيق د. التركي ٥٣٨/٢ .

([4]) انظر كتاب الجامع ص١٥٥ تحقيق عبدا يد تركي .

([5]) المعالم جـ ٤٢/٣

([6]) المعالم ٤٤/٣ .

يوم الإثنين في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة يعني منتصف ربيع الآخـر كما صرح به غيره ودفن بباب السلم قرب شقران[١] .

٩) - أبو إسحاق السبائي :

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي الفقيه الزاهد أحد العلماء العاملين ومن أولياء الله المعدودين الذين يـ ل بدعائهم القطر[٢] .

سمع من أبي جعفر أحمد بن عبدالرحمن القصرى وعليه كان معوله ومن أحمد بن نصر ومن محمد بن مرزوق الطيار ومن إلى اليسر التونسى[٣] .

وأخذ عنهم علماً جماً وصحب جماعة مـن المتعبـدين ، وكـان العلمـاء يتذاكرون بحضرته ومجلسه كأبي محمد بن أبي زيد وهو الملقـى علـيهم وأبي القاسم بن شبلون ، والقابسي وغيرهم ، فإذا تنازعوا فصل بينهم فيرجعون إليـه يستشيرونه في جميع أمورهم[٤] وهذا الشيخ قد اشتهر في كتب التراجم بالزهـد والورع مع كونه عالماً فحلاً من ذلك قول الأجدالي : ((بلغني أن بعض العلماء أنه كان يقول بالقيروان رجلاً يدعى كل منهما باسم صاحبه وهما أبو الحـسن الدباغ وأبو إسحاق السبائي يقول ان الدباغ عالم وهو أولى بأن يسمى عابـد لكثرة حنانه وسمعته وسكوته وأبو إسحاق يسمى عابدا وهو أولى بأن يـسمى عالماً لأنه كان يدري العلم ويعرفه ويتذاكر العلماء بحضرته[٥] وبذلك أصبح مـ له مقصد طلبة العلم وملتقى العلماء وكان مجانباً لأهل البدع شديد الغلظة علـيهم قليل المداراه لهم وكان أحد من عقد الخروج على بني عبيد الشيعة وكـان ممـا شغل به نفسه ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم لانتشار أمر الشيعة فما كـان أحد يذكر الصحابة إلا في داره ، فكان يقول رأيت عمر بن الخطاب في المقـام

---

(١) المعالم ٤٤/٣ .
(٢) المدارك ٣٧٦/٣ ، الديباغ ٢٦٢/١ .
(٣) المعالم ٦٣/٣ .
(٤) الديباج ٢٦٣/١ .
(٥) المعالم ٦٤/٣ .

فأمنني[1] ومن الأدلة على ذلك مأورد في المعالم أنه استأذن عليه يوماً صـاحب الحرس ولعله من حواش القوم بدليل ماذكره القاضي عياض .. وكان لايـدخل على أبي إسحاق أحد من حاشيته ولا قضا م إلا ابن هاشم لاغيره لأنه كـان يشتم بني عبيد الشيعة عنده))[2] .

فهرب كل من كان معه ومنهم أبو محمد أبي زيد ولم يبق معه غير القابسي فقال الشيخ من هذا فقال أنا فلان قال أدخل الشيطان ما يريد الشيطان أخـرج الشيطان ماكلمه يومئذ إلا بالشيطان فلما خرج رجع من هرب فقال لهم ما هذا حق الصحبة ، ربون وتتركونني ولامهم على فعلهم[3] وذكر الشيخ أبو محمـد بن أبي زيد أن أبا إسحاق كان مستجابا : رأينا استجابته في كل شيء من ذلك أنه كانت لي ابنة أصا ا في عينيها شيء انتهى ا إلى أمر عظيم فعالجتها بكـل علاج فلم ينجح فذكرت لأبي إسحاق أن يدعو لها وقلت لـه : إني كرهـت عرضها على الطبيب وكشفها عليه فقال لي ابعث ا إليّ ارقها ثم رجع فقـال : من هاهنا أرقها حتى أقامت لثلاث . فكأنه ماكان ا شيء . وكانت عنـدي طفلة استرخت وركها ((فخذها)) فمضت ا امرأة إليه فرقاها قامت صحيحة وذكر أنه كان يرقي الناس الذين يأتون إليه جملة ويجد كل إنسان منهم برء نفسه على وجهه ، فدخل فيهم رجل مشرقي غطى وجهه فلما رقاهم وخرجوا ، أعلم بذلك أبو إسحاق ، فقال الليلة يعمى ، فسئل عنه فقيل مامرت عليه أشد مـن تلك الليلة ، قال ابن شبلون : وكانت رقيته بالحمدلله ، وقـل هـو الله أحـد والمعوذتين كل ذلك سبعاً[4] .

و ذا يتبين جلياً أن ابن أبي زيد كان مؤيداً لآراء السلف الصالح في كثير من المواقف فقد سئل عن الرقى فأجاب ابن أبي زيد بمأورد في الأحاديث الـصحاح

---

(1) المدارك ٣٧٧/٣ - ٣٧٨ .

(2) المدارك ٣٨٨/٣ .

(3) المدارك ٣٨٨/٣ ، المعالم ٧٣/٣ .

(4) المدارك ٣٨٢/٣ وما بعدها .

وغيرها من الدعاء الذي أتى في القرآن ومأورد عن النبي ﷺ من طريـق الثبـت أحب إلينا أن يدعى به كالرقى الظاهرة الحسن كرقية سيد الخلق فاتحة ونحوها[1] ، والحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال انطلق نفر من أصـحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستـضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء ، لاينفعه شـيء فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتواهم فقالوا:يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لاينفعه فهـل عند أحدكم من شيء فقال بعضهم نعـم والله انى لأرقـى ولكـن والله لقـد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ { الحمدلله رب العالمين } فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى وما به علة ، قال فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم إقسموا فقال الذي رقى لاتفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان من أمره فيأمرنا،فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ذلـك فقـال ومـا يدريك أ ا رقية ؟ ثم قال لقد اصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهماً فـضحك النبي ﷺ [2] .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني وفي الحديث جواز الرقية بكتاب الله ماكان بالذكر والدعاء المأثور وكذا غير المأثور مما لايخالف مافي المأثور وأما الرقى بمـا سوى ذلك فليس في الحديث ما يثبته ولا ينفعه بنصه))[3] .

وكان تلاميذه شديد العناية بأنفسهم عندما يدخلون عليه خوفاً من ملاحظته الدقيقة فقد ورد عن أبي محمد بن أبي زيد قوله : ((كنا إذا أردنا الدخول إلى أبي إسحاق السبائي يقول بعضنا لبعض تعالوا نجدد التوبة قبل الدخول إليه خوفاً أن ينطقه الله علينا)) قال ابن ناجي ودخل عليه رجل في جملة الناس من المـشارقة

---

(1) انظر فتاوى الدزلى ٢٦٥/٤ مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٤٨٥١ .
(2) البخاري الفتح ٤٥٢/٤ - ٤٥٣ م السلفية .
(3) الفتح ٤٥٧/٢ مسند الإمام أحمد جـ٣ .

فلما دخل سلم رفع الشيخ رأسه وقد احمر وجهه وقام شعره وقال الـشيطان في داري ثلاث مرات فقر المشرقي[1] .

ولهذا العلم والصلاة وصفاء الرؤية والفراسة أحبه التلاميذ وقلده الناس حتى لقد كان اهل العلم في القيروان إذا نزل الحوادث والمعضلات يقتدون بـه فـإن أغلق بابه فعلوا مثله وإن فتح بابه فعلوا مثله وإن تكلم تكلموا لتقدمه عنـدهم ومكانته من العلم والعقل والمعرفة[2] .

كما أن تلاميذه أشد حباً له حيث إن ابن أبي زيد كان يحبـه حبـاً جمـاً ويعترف بفضله ويصفه بكثر العلم والعقل ويقول:(ماهذا الذي نحن فيه إلا من بركته)[3] وقال أبو الحسن القابسي : ما انتفعت إلا بدعاء أبي إسحاق قال لي أعلى الله تدرك في الدنيا والآخرة[4] وقال أحمد ابن نصر لاتعارضوا أبا إسـحاق السبائي فلو وزن إيمانه بإيمان أهل المغرب لرجعهم[5] .

وسئل ابن أبي زيد فقيل له : أصلحك الله هل تعرف أحداً في أقطار الأرض يشبه أبا إسحاق السبائي فقال أما في إيمانه فما علمت أحداً يشبهه أى في وقته[6] فكانت علاقة ابن أبي زيد بشيخه أبي إسحاق علاقة الإبن بالوالد حتى قيل إن أبا إسحاق هو الذي طلب من أبي محمد أن يضع كتاب الرسالة لما عرفه فيه مـن نبوغ علمي ، وكان أبو إسحاق من أشد الفقهاء مناوؤة لبني عبيدمنناوؤة الـشيعة كما ذكرت سابقاً ، فقد كان ضمن جيش الفقهاء بموقعة الوادي المالح بيـد أن الله نجاه على الرغم من عيو م المبثوثة حول داره [7] .

قال فيه الدباغ : كان واحد زمانه ورعاً وزهداً وعقلاً يوالي في الله ويعادي

---

(1) المعالم ٦٥/٣ .
(2) الديباج ٢٦٣/١ .
(3) المعالم ٦٣/٣ - ٦٤ .
(4) المعالم ٦٤/٣ .
(5) المعالم ٦٤/٣ .
(6) المعالم ٦٤/٣ .
(7) المعالم ٧١/٣ .

في الله قوياً في إيمانه جلداً في نفسه نزيه النفس كثير الجد والاجتهاد سريع الفهم فيما ظهر من العلم له كرامات كثيرة واستجابات[١] .

وروى صاحب الديباج أنه كان مشهوراً بالعلم والصلاح والعبادة والاجتهاد كثير الورع وقافاً عن الشبهات رقيق القلب غزير الدمعة مجاب الدعوة متواضعاً حسن الأخلاق حميد الأدب طلق الوجه مباينا لأهل البدع شديد الغلظة عليهم[٢].

وقد توفي يوم الثلاثاء النصف من رجب سنة ٣٥٦هـ من ضحى الأربعاء[٣] مولده كان سنة ٢٧٠هـ[٤] وصلى عليه صاحبه أبو الحسن الدباغ ودفن بباب نافع، تغمده الله برحمته[٥] .

وقد سبق وأن ذكرت مالابن أبي زيسد من عديد من المشايخ المعروفين البارزين وأنه لم يقتصر علماؤه على قطر واحد فحسب بل كان له اساتذة من كثير من أقطار العالم ولذلك تنوعت لديه أصناف المعارف وقد ذكرت بعض شيوخه الإفريقيين لنرى بعض موارد ابن أبي زيد مع الوقوف على مسوغات تمكنه في العلم والادراك كما أن له شيوخاً من المشارقة وسأذكر أبرزهم على سبيل الاختصار لترى مدى استفادة الشيخ ابن أبي زيد منهم لتلقى بذلك مزيداً من الضوء على حياته العلمية منهم : -

١١) - ابن عبد المؤمن :

أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالمؤمن مكي من المتكلمين على مذهب أهل السنة دخل العراق فأخذ ا عن أبي عبدالله بن مجاهد البصري وغيره ، وسكن أخيراً القيروان[٦] وصحب أبا محمد بن أبي زيد وابا الحسن القابسي وغيره من

---

(١) المعالم ٦٣/٣ .
(٢) الديباج ٢٦٣/١ .
(٣) المعالم ٧٣/٣ .
(٤) الديباج ٢٦٤/١ .
(٥) المعالم ٧٣/٣ .
(٦) المدارك ٤٦٥/٤ .

أئمتها وناظرهم وذاكروه وأثنوا عليه وأخذوا عنه[1] قال الأجدابي : -

كنت جالساً عند أبي محمد بن أبي زيد وعنده أبو القاسم عبدالرحمن ابـن عبدالمؤمن المتكلم فسألهما انسان عن الخضر عليه السلام هل يقال إنه بـاق في الدنيا مع هذه القرون ثم يموت لقيام الساعة هل يرد هذا لقوله تعالى : { ومـا جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم الخالدون } فأجاب ان ذلك ممكـن جائز وإن يبقى الخضر عليه السلام إلى النفخ في الصور[2] وإن الخلود إنمـا هـو اتصال بقائه ببقاء الآخرة وإن البقاء إلى النفخ ليس بخلود : ألا ترى إن إبلـيس

([1]) المدارك ٤٦٥/٤ .

([2]) تعليق : ذهب الصوفية الى أن الخضر رحمه الله لم يزل على قيد الحياة وتمسكوا ببعض الآثار الضعيفة بل الواهية مثل قولهم اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم سمع وهو في المسجد كلاما فقال : ياأنس اذهب الى هذا القائل فقل له يستغفر لي ، فذهب اليه فقال : قل له إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل به رمضان على الشهور ، قال فذهبوا ينظرون فاذا هو الخضر ، اسناده ضعيف .و حديث اجتماع الخضر وإلياس كل عام ..الخ أيضاً لاأساس له من الصحة (الفتح جـ ٦ : ٤٣٤-٤٣٥). وذهب السلف خلاف مسلك الصوفية ، وقالوا إنه قد مات وهو ولي ، واستدلوا بالحديث الذي رواه جابر بن عبد الله (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن الساعة قبل أن يموت بشهر فقال :تسألوني عن الساعة ، وإنما علمها عند الله عز وجل فو الذي نفسي بيده ما أعلم اليوم نفساً منفوسة يأتي عليها مائة سنة (أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ ٣ : ٣٢٦) ، وقال صلى الله عليه وسلم في آخر حياته "لايبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد ، قال ابن عمر : أراد بذلك إنخرام قرنه . ومن حجج من قال بموته قوله تعالى {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون } . وحديث ابن عباس (ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه ميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنه) أخرجه البخاري . ولم يأتي في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا قاتل معه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض ،/فلو كان الخضر موجوداً لم يصح هذا النفي . وقال صلى الله عليه وسلم (رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما). فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا النفي ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لاسيما أهل الكتاب . فتح الباري جـ٦ : ٤٣٤. وما قلته هو الذي انتهى إليه المحققون في حياته وأنه ولي الله وقد مات .

لعنه الله لايسمى خالداً وإن كان من المنظرين إلى الوقت المعلوم[1] ، قلت : وقد استفاد أبو محمد بن زيد وأبو الحسن القابسي وفيها من أئمة القيروان ومنهم ابن عبدالمؤمن وخاصة إن مجتمعه كانت تتجاذبه تيارات عقائدية متنوعة وكان أقوى هذه التيارات في وقتهم التيار الباطني الشيهي ونظراً لهذه الفوائد الجمة التي تلقفها ابن أبي زيد من شيخه المذكور وقد نسبه إلى الأشعري مستدلين بتوافق الإجابـة الصادرة من ابن أبي زيد وشيخه ابن عبدالمؤمن الأشعري فأقُول : إن ما قـالاه رأى أهل السنة والجماعة ومن سيمتهم التمسك بالحق أينما أتى ولـيس هنـاك محال على الله بل كل الأمور تمشي وفق إرادته وتدبيره وسنته وبـذلك أجابـا بالجواز وبالإمكان ، ثانياً : لو وافق رأي واحد مـن آراء ابـن أبي زيـد رأي الأشاعرة لم يصيره أشعرياً وإنما يكون أشعرياً لو وافقهـم في جميـع آرائهـم الاعتقادية وهذا لم يكن ، ومن أطلع على كتبه مثل مقدمة الرسـالة والجـامع والنوادر والزيادات يجد أنه مناوئ للأشعرية ويقول في مقدمة النوادر : هذا بيان ماكان الناس عليه في عصر مالك وغيره من الأئمة على أ ـم علـى طريقـة السلف[2] وجعل الرسول توقي الشبهات إبراء للمرء في لاسمة دينه وعرضـه[3] وقال : جعل النجاة للمتأخرين في اتباع سبيل المتقدمين ولم يوسع لهم لمن بعدهم أن يرغبوا عن إجماعهم أو بخروج عن اخـتلافهم أو يعـدلوا عـن تأويلـهم ومنهاجهم[4] ويقول أيضاً : وكل قول نقوله أو تأويل محتمل تناوله فعند سلف سابق قلناه أو من أصل من الأصول المذكورة استنبطناه عصماء الله وإياكم مـن زيغ الهوى والعدول من طريقة المثلى[5] و ـذه النقول ندرك براءة ابن أبي زيد من

---

(1) المدارك ٤٩٦/٤ .

(2) السلف : يطلق على الجماعة المتقدمين لقوله تعالى : { فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين } سورة الزخرف آية : ٥٦ . وفي اصطلاح العلماء : اسم لكل من يقلد مذهبه في الدين ويتبع أثره كأبي حنيفة ومالك والشافعي .

(3) النوادر ١/١ظ ١٢٣٧١ دار الكتب الوطنية تونس .

(4) النوادر ١/١ط .

(5) النوادر ٢/١و .

الأشاعرة حيث ذكر أن ماعليه الناس في عصر مالك طريقة السلف وطريقة الأشاعرة خلف وعد ابن أبي زيد ذلك من الزيغ والميول عن الحق الذي هو طريق السلف ولذلك تعوذ الشيخ من ذلك القول بأن ابن أبي زيد قد صحب ابن عبدالمؤمن لايستلزم أن يكون قد أخذ وتبنى آراءه وكم طالب ينأوئ آراء استاذه وسلك ابن أبي زيد طريقة مالك ولايعقل أن ينسب الإمام مالك إلى الأشعرية كما أن ابن أبي زيد ليس من الأشاعرة ، وقد صح عن الإمام مالك رحمه الله : ولن يأتي آخر الأمة بأهدى مما كان عليه أولها[1] . ويمكنا أن نفهم من نص الشيخ ابن أبي زيد كما مضى ضرورة الاعتقاد الجازم بأنه لامجال لتأصيل سديد وتحديث رشيد في البلاد الإسلامية إلا بالعودة إلى دراسة آثار السلف الصالح دراسة واعية للوقوف على الأصول التي أقاموا عليها صرحهم العلمي وبنوا عليها مناهجهم في تحقيق المسائل الاعتقادية و بهذا حققنا قول سلفنا الصالح في تلقي العقيدة .

مفهوم السلف لدى ابن أبي زيد : يطلق على الجماعة المتقدمة لقوله تعالى : { فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين } سورة الزخرف آية : ٥٦ ، وفي اصطلاح العلماء : اسم لكل من يقلد مذهبه من الدين ويتبع أثره كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل فإنهم سلف لنا ، وأما الصحابة والتابعون فإنهم سلف لهم[2] .

وقد ورد أيضاً قريباً من هذا التعريف ان المراد بالسلف كل من يقلد أو يقتفى أثره كأبي حنيفة وهو من أجلاء التابعين والصدر الأول من التابعين يسمون السلف الصالح ومنه حديث مرجح : ((نحن عباب سلفنا))[3] .

وأما السلف من الناحية العقلية : فالمراد بهم الصحابة والتابعون وتابعوهم والعلماء بأصول السنة وطرائقها وهم حراس العقيدة وحماة الشريعة الواعون

---

(1) المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ١١٢/١١ .
(2) العقيدة السلفية بين الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية د. سعيد عبدالعزيز السيلي ص٢٥ - ٢٦.
(3) تاج العروس للزبيدي مادة السلف .

لأصولها العاملون ا قولاً وعملاً واعتقاداً ظاهراً وباطناً[1] .

والسلفيون هم الذين قالوا نؤمن بما آمن به المسلمون الأوائـل أصـحاب الرسول ﷺ وما آمن به أئمة الديسن المشهود لهم بالخير والبر والتقوى والفهـم السليم لدين الله عزوجل فهم الذين سلكوا طـريقهم واقتفـوا أثـرهم وهـم المتمسكون بالكتاب والسنة وأصحاب الحديث المقتفون شـرع الله ورسـوله ، والسلف : هو من سلك طريقهم ونسبه إليهم في إجماع الأحكام الـشرعية إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويقول أبو الحسن الأشعري في الديانة : قولنا الـذي نقول به وديانتنا التي ندين ا التمسك بكتاب ربنا عزوجل وبسنة نبينا ﷺومـا روى عن الصحابة والتابعين ، وهذا يدل على احترام الشيخ للنصوص التوفيقيـة وإعتبارها مصدراً أول لأقامة وبناء العقيدة[2] .

وأما الذين سوى هؤلاء من الأشاعرة يسمو م الخلف : وهم الـذين خلفـوا المسلمين الأوائل واختلفوا معهم في المنهج والتطبيـق وتـأثرو بمنـاهج الفلاسـفة والمتكلمين فقدموا العقل على النقل وصرفوا النصوص عن ظواهرها وعـدلوا عـن الوقوف عن ظاهر النص ، ويعللوا في عدولهم عن طريق السلف بأن طريق الـسلف سليم ولكنه غير عليم فجعلوهم بم لة الأمين وسموهم خطأ مفوضين ، مع أن حقيقة السلف أ م فقهاء في المعاني يفقهو ا ويعملو ا أكثر مما يعلمها غيرهم ومـع ذلـك يقولون عنهم :((طريق السلف أسلم وطريق الخلف أعلم وأحكم))[3]

وهذا التعبير ليس صوابا بل هو التحكم ومصادرة الحكم بدون مـبررات إذ لايعقل أن يكون الخلف أعلم من السلف وأحكم منهم مع علمنا أن السلف هم الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان ، وهل يتصور أن أحداً أعلم من الصحابة وأحكم في أمور الدين أكثر ماكانوا عليه ؟ وتلقينا الحجة أ م لوا من موارد الوحي الأمين وعاشوا في القرون المفضلة الخيرة ويكفينا ما قالـه شـيخ

---

(1) عقيدة السلف الصابوني ص٢٣٦ .

(2) الأبانة عن أصول الديانة ص٨ لأبي الحسن الأشعري ، ط أولى ١٩٩٣-١٤١٣هـ ، المنار للطبع والنشر والتوزيع القاهرة .

(3) الفتوى الحموية لابن تيمية ص٤ .

الإسلام ابن تيمية ان نجاة المتأخرين مقرونة في اتباع سبل المتقدمين فالصواب أن يقال إن السلف أسلم وهم أعلم وأحكم .

الفصل الرابع :

توليه التدريس وتلاميذه ومؤلفاته .

وفيه خمسة مباحث :

١)توليه التدريس.

٢)منهجه في التدريس.

٣)أهم تلاميذه.

٤)ثقافته.

٥)مؤلفته.

المبحث الأول:

توليه للتدريس رحمه الله تعالى :

سبق القول بأن بلوغ ابن أبي زيد هذه الدرجة إنما يرجع إلى عوامل أهمهـا تبحر ابن أبي زيد في علوم الدين وخاصة الفقه والعقيدة وتوسعه فيها وحرصـه الكامل على التمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة مع ما وهبه الله من ذاكرة قوية جعلته يحفظ بسرعة ولا ينسى ، مما ساعد على غزارة مروياته واتساع مجال نفعه لطلبته ، يضاف إلى ذلك تمكنه من لغة الضاد مع البراعة في استعمالها وفـصاحة لسانه التي ساعدته على استقطاب الطلبة والعلماء والتفافهم حوله والاستفادة من دروسه الهادفة في مجالات العقيدة والعلم والعمل ، ولذا اهتبل ابن أبي زيـد مـا وهبه الله من القدرة على التعليم والتدريس وسيلة لنشر العلم عملاً بما تقتـضيه

الأمانة العلمية وهذا يدل على تمسكه بمذهب أهل السنة تجنب غيره من المذاهب الهدامة البعيدة عن الاتجاه السني ويقول د. الدرقاش :

((مما يلفت نظر الباحث وهو يدرس المراحل الحياتية التي مر ا ابن أبي زيد أثناء تحصيله العلمي حتى يخامره الشك من السرعة الزمانية التي اجتاز ا ابن أبي زيد ليصبح أهلاً ومؤهلاً لأداء ما تعلمه من علوم شتى ومعارف متنوعة وبخاصة الفقه الذي يعتبر من أدق العلوم وأعوصها بل وصل في مرحلة مبكرة من عمـره إلى حد أن يطلب منه العلماء تدوين الكتب الدراسية لتعليم أبناء المسلمين مـا يستقيم به دينهم وما تصلح به دنياهم ، ويزداد هذا الشك ضغطاً علـى فكـر الباحث المنصف عندما تكون باكورة الإنتاج كتابا من مستوى كتاب الرسـالة والذي استقبله الطلاب بمثل ما استقبله به شيوخهم من حيث تميزه بميزات قـد لاتوجد حتى في مؤلفات شيوخه فقد أحاط كتاب الرسالة بالجـانبين الفقهـي والعقدي مع وضوح في المنهج وسلامة في اللغة وجمال في الأسلوب مع ثروة ثرية يزخر ا كل موضوع من مواضيعه وكل باب من أبوابه[1])) .

وإني لا أجد لهذا الاتفاق والإبداع تحليلاً سوى ما وهب الله به الشيخ ابن أبي زيد من ذكاء متوقد وعبقرية مبكرة وحسن خلق واخلاص نية في طلـب العلم وتعليمه .

ولا استبعد أن يكون ابن أبي زيد قد جلس للأداء قبل أن يضع الرسالة وقبل أن يدو ا بدليل ماد ا وكيفية عرضها ، إذ لايمكن أن يصدر مثل هذا التـأليف من غير من باشر المهنة التعليمية وأتقن كيفية عرض المادة العلمية وما يحتاج إليه الصبيان من معلومات تتناسب تناسباً طرديا مع عقولهم ، وسأشير إلى هذا عنـد دراستي لكتاب الرسالة ضمن مؤلفات ابن أبي زيد لألقى مزيداً من الضوء على استاذيته وأسلوبه في التدريس والتدوين .

ونلاحظ في مقدمة الرسالة أن الشيخ ابن أبي زيد بين موضعها فقـال : ((أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه فإنك سألتني أن

(1) كتاب ابن أبي زيد ١٧٦/١ .

أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة بما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعلمه الجوارح وما يتعلق بالواجب من ذلك و من السنن الكبرى مؤكدها نوافلها ورغائبها وشيء من الأداب منها وجمل من أصول الفقه وفنونه على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى وقد فصلت تعليم الأحكام الفقهية لتيسير تعليمها للولدان كما تعلمهم حروف القرآن ليسبق إلى قلوبهم فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته فأجبتك إلى ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علم دين الله أو الدعاء إليه))[١] .

ويعلق العلامة ابن خلدون على هذا فيقول : ((اعلم إن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم ، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبي عليه ما يحصل بعده من الملكات ، وسبب ذلك أن تعليم الصغار أشد رسوخاً ، وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه))[٢] .

ومما يدل على بالغ اهتمام ابن أبي زيد بالتعليم وجود ثلاثة كتب بين مؤلفاته لها صلة بمهنة التدريس ، كما لا أكون مبالغاً لو قلت إنه وضعها خصيصاً لتطوير المهنة التعليمية والمنهج التربوي وهذه الكتب على التالي : رسالة في طالب العلم[٣] ، رسالة فيما نأخذه عن قراءة القرآن[٤] كتاب أحكام المعلمين والتعلمين[٥] ، وقد ورد ذكره في مقدمة ابن خلدون متبعاً ذلك بفقرة منه تتحدث عن الضرر الحاصل للتلميذ من وراء استعمال التأديب المادي معه جاء في

---

(١) متن الرسالة ص٢ - ٣ط ، بتصرف دار الفكر .
(٢) تاريخ ابن خلدون ٦٢٣/١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
(٣) المدارك ٤٩٤/٤ .
(٤) مقدمة ابن خلدون ص٦٢٦ .
(٥) مقدمة ابن خلدون ص٦٢٦ الفصل الأربعون .

تلك الفقرة ما يلي : ((لاينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضرم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً))[1] .

وهذا يدل على حرص ابن أبي زيد على تعلم أحكام الفقه بأسلوب ميسر الأمر الذي حدا بطلاب العلم إلى الرحلة اليه .وكما أنه لم يتول القضاء ورعاً منه وخوفاً من ربه ومع ذلك فقد بدل كل جهوده وطاقاته لنشر العلم عن طريق التدريس حتى غدا كأنه ولد معلماً بفطرته وسلفيته وتفوق في تلك المهنة على اقرانه على الرغم من أنه كان قاضي القضاة يستشار ويفزع إليه ساعة انغلاق النوازل ، وتقديم الحلول للقضايا المعروضة على القضاة ولا أدل على ذلك من قصته مع شيخه ابن أبي الأزهر[2] يقول د. الدرقاش : -

"إن هذ الإلختيار المهني هو الذي جعل كتب ابن أبي زيد تتسم بسمة الوضوح والجلاء وحسن التبويب ودقة الترتيب مما مكنها من سعة الإنتشار في دور العلم وبين أيدي العلماء ، إن ما حظيت به هذه الكتب من عناية يرجع إلى كتابتها من طرف من كان مربياً بسلفيته ، وذلك أن الكتاب في واقعه هو معلم يأخذ بأيدينا برفق وأناه ويتسم بجلاء تام وواضح في أسلوبه ، وقد عم نفعه وتلقته الأمة بالقبول قاطبة[3] " .

وهو يستعمل للوصول إلى هذه الأهداف السامية إلى جانب التأليف والتدريس مطبقاً بما يسمى الآن بالطرق التربوية الحديثة فيثير المشكل أو يضع السؤال في بداية الدرس وبذلك يوقظ الهمم ويحرك الضمائر ويثير الانتباه ، وبعد حوار مع طلبته يعرض عليهم المسائل المقررة عرضاً شيقاً في لغة عربية فصحى مركزاً على أدق المسائل وأخفاها ، محللاً لها ، شارحاً لمختلف جزئيا ا محأولا إثراء المذهب المالكي وعقيدة السلف الصالح ويؤكد ما قلته الدكتور الظاهر الرزقي حيث يقول :

---

(1) المصدر السابق ص٦٢٦ .

(2) انظر ترجمة ابن الأزهر ، المعالم ٩٨/٣ ، المدارك ٥٢٩/٤ .

(3) د. الدرقاش ص١٧٨ بتصرف شديد .

((وقد كان ابن أبي زيد في تدريسه يحلل المسائل تحليلاً شافياً مركزاً مـدققاً عميقاً ، مبيناً أصولها ويربطها بقواعدها ويشرحها مبيناً المراد منها وتفاصـيلها مقدما كل ذلك في لغة عربية فصحى خالية من التعقيد تتسم بوضوح العبـارة وسهولة الفهم ، وهذا ما جعل طلبة العلم صغاراً وكباراً من القـيروان ومـن خارجها يتعلقون بدروسه ويتوافدون على حلقات تدريسه ليكرعوا من حياض علمه ويستنيروا بآرائه الصائبة في مجالى العقيدة والفقه))[١] .

وانتشرت إمامته فرحل إليه الناس من الأقطار[٢] لما عرف به من النبـوغ في العلم من الحديث والفقه وعلوم القرآن واللغة ونحوها ، وجلس ابـن أبي زيـد للتدريس وفتح باب داره للطلبة فأقبلوا عليه اقبالاً منقطع النظير ، وكان شـديد الحفأوة بطلابه مهتما بأمورهم الخاصة متفقداً لحاجا م ، ساعده على ذلك مـا آتاه الله من الخير فكان يسكن الغرباء منهم في بيوته الخاصة ، وينفق عليهم[٣].

وقد تخرج على يدي ابن أبي زيد مئات الطلاب مـن القـيروان وإفريقيـة والمغرب والأندلس[٤] حتى قيل أنه لم ينجب أحد من الأصحاب من بعد سحنون ما أنجب ابن أبي زيد[٥] ، أقول إن ابن أبي زيد نتوأ بعلمه التدريسي هذا مكانـة مرموقة بين أعلام المدرسة التونسية النبلاء الذين خدموا الفقه المالكي وعملـوا على تركيزه في إفريقية وبقية بلدان المغرب وفي الأندلس وصـقلية ، وكتـب التراجم مكتظة في وصف فقه ابن أبي زيد بالصفاء والوضوح ويدل على ذلك ما يشاهده الإنسان في تحريره وعرضه للمسائل الدينية بما أتسمت به دقة في التعبير وتحرير للأقوال المتعلقة بالمسائل تحريراً يعين على سرعة التصور ، وبين العناصـر التي اعتمد عليها كل فقيه في بيان موقفه من المسألة .

(١) محاضرة ص٢١٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/١٧ .
(٣) المعالم ١١٣/٣ - ١١٥ ، سير أعلام النبلاء ١١/١٧ .
(٤) المعالم ١٠٩/٣ ، أعلام ابن عاشور ٤٧ .
(٥) كتاب مدرسة الحديث في القيروان .

المبحث الثاني :

منهج ابن أبي زيد في التدريس :

أشادت كتب التراجم وأربا ا بجهود ابن أبي زيد التي لامثيل لها في عصره ، وقد بلغ من العلم شأواً عظيماً وأعاد إلى السنة اعتبارها ، بعد أن كانت أُمتـت في عهد العبيديين .

ومما لايخفى على اللبيب أن التعليم فن ، وكل فن يحتاج إلى منهج وأسلوب فليس هناك فائدة لأية معلومات إذا كان صاحبها عاجزاً عن تصريفها وقاصـراً عن إبلاغها إلى غيره بطريقة سهلة مثيرة وجذابة ، وكلما طال عمر العالم نمـت علومه وزاد إتقانه ، ذلك أن الثقافة هي كل ما يبقى للإنسان من معارف بعد أن يكون قد نسي كل شيء ، ولذا فإن الحاجة إلى المثقفين لبناء الحضارة الإسلامية من جديد قائمة .

وأبو محمد بن أبي زيد قد نجح في هذا الميدان فبدع من كل علم تحملـه أو درسه بل ترك بصماته بارزة على الفكر الإسلامي عامـة والحيـاة بـالمغرب والأندلس خاصة وقد سبق أن قلت إنه إذا أمسك القلم أبـدع ، وإذا انتـصب للتدريس أقنع وأعجز أقرانه وأتعب من بعده ، وإن هذه الناحية العلمية والخلقيه والثقافية لأبي محمد ابن أبي زيد تعود إلى جملة من المميزات ميزته عن غيره مـن العلماء سواء من الذين سبقوه أو عاصروه أو جاءوا من بعده ، ولهذا لما أجمـع العلماء على تلقيبه بمالك الصغير والفقيه الأول ، وقطب المذهب ، لم يكونـوا مجانبين للحقيقة ، وذلك نظراً لما وهبه الله من ملكة في التأليف وكثرة الـراحلين إليه ووفرة الطالبين للإجازة منه والذين منهم من وصل إلى أعلى مراكز الإفتـاء والتدريس كثافة تراجم تلاميذه تثبت وتؤكد صحة ماذهبت إليه . وبناء علـى ماسطر عن ابن أبي زيد ، ومع إمعان النظر في تأليفه وجدنا أنـه بالإضـافة إلى جمال أسلوبه وبلاغة لغته وجزالة ألفاظه ذو منهج واضح ومبدأ ساطع يبتـدئ المسألة من أولها ثم لايتركها إلا بعد ان ينتهي منها إلى نتيجة تقنع مطالعها مجنبـاً في ذلك الصعوبات والاعتراضات التي جعلت من كتب الفقهاء طلاسم يصعب حلها ويندر الوصول عن طريقها إلى حكم يقنع الطالب ويشبع عقل الباحث ، وخير مايضرب لهذا مثلاً كتابه الرسالة ، وكتابه ((النوادر والزيادات)) وكتابـه الجامع ، وعلأوة على هذا المنهج الجذاب الذي برز عليه تواليفه فقد كان لطيفاً مع طلبته إذ كان يزورهم في مساكنهم ويستـضيفهم في بيتـه ويراسـلهم في أمصارهم ويقف إلى جانبهم عند أزما م كما فعل مع الشقراطـسي وابـن أبي العباس الصقلي(1) .

ولا شك أن معاملته لطلبته تعتبر لبنات قوية في صرح هذه المنهج التربـوي الذي عرف به أبو محمد وتميزه عن غيره من معلمي عصره .

وهكذا كان الشيخ ابن أبي زيد ومنهجه مما جعل طلابه نشطين ساعة الأخذ عنه معظم حصيلتهم العلمية ويمتلكون منهجاً سليماً محبباً إلى النفوس مما يؤهلهم

---

(1) انظر كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ١٧٩/١ بتصرف .

للإبداع في كل مهنة يمتهنو ا عقب انتهائهم من تحصيلهم العلمى على يديه .

ولهذا كانوا رسل ودعاة إصلاح دعوا أبناء بواديهم وأمصارهم وحواضرهم إلى شد الرحال إلى مدينة القيروان للأخذ عن ابن أبي زيد والجلـوس في فنـاء وعرصات بيته في حلقته العلمية وملازمة ميعاده .

فكما سبق أن قلت كان مالك ابن أنس في القرن الثاني بالمدينة النبوية مناراً ورمزاً للعلم والصلاح والتقوى وكذلك كان عبدالله ابن أبي زيد بـالقيروان في القرن الرابع رمزاً ومناراً وكما كان تلاميذ القرن الثاني يفخرون بتتلمذهم على مالك كان طلاب القرن الرابع يباهون غيرهم بأخذهم عن مالك الصغير[1] . وقد يسأل السائل كيف كان عبدالله بن أبي زيد دروسه ؟ وكيف كان ينجزهـا ؟ وكيف كان يسيرها ويختمها ؟ وقد أجاب على هذه الأسئلة صـاحب المعـالم قائلاً:((كان رحمه الله تعالى يفتح مجلسه بجواب سؤال السائلين عـن غـوامض المسائل ودقائقها))

إن هذا النص ليوضح لنا طريقة ابن أبي زيد ، فهو بادئ ذي بدء يبدأ درسه بسؤال طلبته عما غمض على أفهامهم من مسائل الدرس السابق حيـث يقـوم بتقريب تلك الغوامض إلى أذها م وهذا يؤدي إلى تعرفة على حقائق تربوية منها تعرفه على مدى ماحصل عليه طلابه من معارف لقنوها أثناء الـدرس الـسابق ومدى عمق فهمهم لدقائقها ومدى إحاطتهم بلطائفها .

ومنها أيضاً ربط مسائل الدرس الجديد بمسائل الدرس القديم وفي ذلك ربط تقوية لدعائم العلم الذي يدرسه لهم و ج ابن أبي زيد هذا له حظ وافر في علوم التربية الحديثة حيث يؤكد العلامة الشيخ / عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني هذه الحقيقة فيقول : -

((بحامل الرسالة المعلم أن يستثير في نفوس المتلقين عنه ما يجعلهم يـسألونه عما يريد أن يعرفهم به ويهديهم إليه حتى يكون ما يلقيه إليهم جوابـاً علـى

([1]) إمام المالكين بعصره الذي لقبه الشيرازي بالطبقات ص١٣٥ .

مطلوب لهم أو تساؤلات يطرحو ا أو يرغبون في طرحها))[1] .

ويقول : ((وينبغي له أن يترك لهم فرصة لطرح بعض التـساؤلات حـول الموضوع الذي يريدا إعلامهم به ، وشرحه لهم ليكون البيـان جوابـاً لـسؤال مطروح أو حلاً لإشكال قائم))[2] .

وذكر عنه أنه كان يقرر المسألة ثلاث مرات ويحللها بسلاسة ولايـستعجل في سرد الكلام والحديث ، وكان سرده لوعده العادة لأحصاه وهذا الأسـلوب هو الذي دفع الطلاب إلى ملازمة ميعاده حيث لايقوم ابن أبي زيد من حلقاتـه العلمية إلا بعد أن يفهم الطلاب المسألة ، ولاشك أن لابن أبي زيد سلفاً في مثل هذا الأسلوب ، ورد في الصحاح بمسند عائشة رضي الله عنـها قالـت : ((إن النبي ﷺكان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه)) ، وعنها رضي الله تعالى عنها قالت : ((إن رسول الله ﷺلم يكن يسرد الحديث كسردكم))[3] .

وهذا هو دأب رسول الله ﷺ في بدء درسه مع أصحابه الكرام كما مر بنـا في حديث ابن عمر عن النبي ﷺ: ((إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها ...)) الحديث[4] ، طرح الرسول ﷺهذا السؤال : شحذا للهمم وحضا على الـتفكير واستحضارا لما يمكن أن يكون جواباً منهم إضافة إلى كونه فيه شيء من بـاب الدعابة ورفع الحرج حين يستخدم الرسول أسلوب الأحاجي . وينبغـي هـذا الأسلوب علماء التربية الحديثة وعدوه من وسائل الطرق التربوية الحديث بل من أجودها حيث يثير المؤدب المشكل أو يضع السؤال أياً كان في بدايـة الـدرس وبذلك يوقظ الهمم ويحرك الضمائر ، ويثير الإنتباه ويعرض عليهم المسائل المقررة

([1]) فقه الدعوة إلى الله ٢٨٢/١ .

([2]) فقه الدعوة ص٢٨٢ .

([3]) رواه البخاري في كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٣٥٦٨ البخاري مع الفتح جـ٦ : ٥٦٧ ومسلم فضائل الصحابة ١٦٠ ، الترمذي في المناقب ٩ ، ومسند الامام أحمد ١١٨، ١٥٧،٢٥،١٣٨ ، م/جـ٢: ٤٥٢.

([4]) تم تخريجه في فصل ((طلبه العلم)) ، أخرجه البخاري في كتاب العلم ١٥٦/١ .

عرضاً شيقاً في أوجز الألفاظ ليذكرهم بما غاب عن عقولهم ونـسي أو بمـا لم يستوعب من الدروس الماضية .

وقد يستفيد الأستاذ من جواب الطلبة وتكون الاسـتفادة متبادلـة لـدى الطرفين كما صرح بذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح : ((... إن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض مايدركه من هو دونه لأن العلم مواهب والله يؤتي لمن يشاء..))[1] .

وأرى في منهج ابن أبي زيد أيضاً في اقتدائه بالنبي ﷺ في أسلوب التعليم متبع وليس مبتدعاً ويؤكد الدكتور الدرقاش على هذا قائلاً : ((إن مثل هذه المنهجية الطلائعية يصل الطالب بعد إتيانه دراسة على مسائل العلم إلى درجة العالم ـا المثقف فيها لا إلى درجة المتعلم الذي قد تخونه الذاكرة فينهدم البناء في لحظة من لحظات النسيان ، وقد يعمد الشيخ أبو محمد في درس آخر إلى أساليب أخـرى لجلب الانتباه وتنشيط حوافز الأخذ فيهم وتحريك سواكن مداركهم وتـسريح ملكا م من عقالها ولتحقيق هذا كله يقوم بالتركيز على أدق المسائل وأخفاهـا ويصوغها في شكل أسئلة ليقول بعد ذلك للتلميذ فأيكم صاحب هذا السؤال ؟ رأيهم يرفض أن يكون صاحباً لسؤال وجيه ؟ وعندئذ يتحرك الملكات وتنهض الهمم ويبدأ الدرس من سؤال لينتقل بعد ذلك إلى تفريعات واستفسارات وأخذ وعطاء كل يريد أن يشارك وكل يريدج أن يبدع في الفهم كما أبدع شيخه في العطاء لدقة الأداء))[2] .

وإذا نظر الإنسان فيما تركه ابن أبي زيد من آثار في هذه المهنـة فعندئـذ سوف يجد صورة أدق وأوضح دالة على منهجه التعليمي الذي كـان سـبباً في تجديد الفكر في مجال الفقه المالكي في المائة الرابعة ويدل على ذلك كتابه ((النوادر والزيادات)) والرسالة ، يجد الباحث حلأوة اسلوبه وتبويبه للكتـاب وشـرحاً

---

(1) البخاري مع الفتح ١٥٦/١ .

(2) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ١٨١/١ .

لمختلف جزئيا ا محأولاً إثراء المذهب المالكي وتوضيح أحكامه وجمـع شـتا ا والترجيح بين أقوال علماء المذهب .

وبما أدرجه مجدد المائة الرابعة ورئيس المدرسة الفقهية القيروانيـة في القـرن الرابع هو اية طور من أطوار التشريع الإسلامي وهو طور نمو الفقه وازدهـاره ونضجه إذ ظهر فيه فقهاء وضعوا الأحكام الشرعية للقضايا والمـشاكل الـتي واجهتهم معتمدين في ذلك على النصوص الشرعية من كتاب وسـنة وعلـى القياس والإجماع رابطين الفروع بأصولها وقد زودوا بعملهم هذا الحياة العلميـة بالأحكام الفقهية التي تحتاج إليها[1] .

قلت : إن ابن أبي زيد استحق ما وصفه اقرانه نظراً لجهوده المتمثلة في إثرائه هذا المذهب المالكي وتمسكه بالعقيدة السلفية في عنفوان دول بني عبيدالله الشيعة ، وتوضيحه أحكام المذهب وجمع شتاته والمترجح بين أقـوال العلمـاء فيهـا بأسلوب سهل ممتع مصحوب بمنهج سليم واضح مما أكـسبه حـسب الكـل واحترام الجميع فأطلقوا عليه لقب مالك الصغير ، وهو أهل لهذا الاطلاق لكونه خير خلف لخير سلف ، رحمه الله تعالى آمين .وهو في مجال دروسه إنمـا كـان يكثر من الاستدلال على ما يذهب إليه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم في المقام الذي يتحدث فيه .

وفي مصنفات ابن أبي زيد نسبة كبيرة من تفسير التابعين رضوان الله عنـهم ومن شواهد ذلك قول ابن أبي زيد : وقال مجاهد في قوله تعالى : { ومن الناس من يشتري لهو الحديث .. }[2] قال الغناء .

هذا ولم يفُت ابن أبي زيد الموازنة بين الآراء وترجح الاسلم لديه قـال : ((ونصدق بما جاءنا عن الله عزوجل ، في كتابه ، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ مـن أخباره ، نوجب العمل بمحكمه ، ونقر بنص مشكله ومتشا ه ، ونكل ماغاب

---

(1) د. زيد عبدالكريم : المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ١٤١ ، الفقره مأخوذه بتصرف ، وانظر : ملتقى عبدالله بن أبي زيد ص٢١٤ بتصرف ، وانظر : الدرقاش ص١٨١ط .

(2) سورة لقمان الآية : ٦ ، الجامع ٢٨٩ .

عنا من حقيقة تفسيره إلى الله سبحانه ، والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه{والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا }[1] ، وقال بعض الناس : والراسخون في العلم يعلمون مشكله ، ولكن القول الأول قول أهل المدينة وعليه يدل الكتاب[2] .

وأحيانا يعمد ابن أبي زيد إلى تفسير آي القرآن بأسباب نزول بعض الآيات، قال ابن أبي زيد : ((وفي رجب بعث عبدالله بن جحش لدى نخلة فلقى العير وقتل ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب ، وفي ذلك نزلت : { ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه .. } الآية[3] . معرفاً بأول مانزل من القرآن في بعض المسائل كالجهاد مثلاً قال أبو محمد : ثم كانت أول آية أنزلت على النبي عليه السلام في الجهاد قول الله سبحانه وتعالى : { أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير }[4] .

الفصل الرابع :

طلاب ابن أبي زيد :

تمهيد :

أوضحت فيما سبق عرضه مقدرة ابن أبي زيد الفائقة في التعلم واتباعه وسائل ماكانت مشتهرة في زمنه تحدث عنها علماء التربية في وقتنا الراهن مكنته هذه الطرق وتلك الوسائل من التأثير البالغ في تلامذته مما جلب له شهرة فائقة وصيتا ذائعا في التعليم إضافة إلى ما وهب من قوة ذاكرة ، وشدة حرصه على التحصيل العلمي مع وفرة المصادر الموثوقة واساتذته من العلماء المخلصين الأجلاء الطاهرين من مختلف البلدان الإسلامية مع تنوع اختصاصاتهم وتباين طرقهم ومناهجهم وميولهم العلمية ، وفيهم البغدادي ، والمكي ، والمصري ،

---

(1) سورة آل عمران الآية : ٧ .

(2) الجامع : ١٤٦ .

(3) سورة البقرة الآية : ٢١٧ ، الجامع ٢٩٧ .

(4) سورة الحج الآية : ٣٩ .

والإفريقي والصقلي ، والأندلسي ، والسجلماني ، وكما تعددت بلدان الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن أبي زيد فقد تعددت بلدان الذين تلقوا عنه العلم وتنوعـت طرق أخذهم عنه إذ منهم من ارتحل إلى القيروان وسمع منه مباشرة ومنهم مـن استجازه فاجازه كما سوف اذكر ذلك إن شاء الله .

وقد أمدهم ابن أبي زيد ما وسعه من العلم حسب طاقا م إذ كان يرى فيهم الامتداد الطبيعي لجهاده وجهاد شيوخه من قبل ويرون فيه القدرة الخيرة والنبـع الذي لايغيض ماؤه ولاينضب معينه الذي أمدهم بالزاد العلمي الذي جعل منهم القضاة والمعلمين والعلماء الذين آثروا بأقوالهم واجتهادا م بمختلف ميادين الحياة في بلدا م إضافة إلى ما اكتسبوه من عالم المائة الرابعة من خلق فساروا على هديه وتخلقوا بأخلاقه ، فكم قاض منهم أصبح مضرب المثل في عدلـه واسـتقامته ، وكم عالم منهم أصبح فنهلاً عذباً من زلاله يرتوى وعلى علمه يعول .

وتلك العاقبة الخيرة بدأها أبو محمد بن أبي زيد منذ أن تولى التدريس بمدينة عقبة بن نافع ، وسوف أحأول ما وسعنى الجهد أن استعرض ما أمكنني الحصول عليه مما يخص حياة هؤلاء التلامذة مع ذكر علاقتهم بشيخهم أولاً ، وعلى مدى استفاد م منه ثانياً مع إعطاء البارزين منهم أكبر قدر ممكن من هذه العناية وقد اختصرت في ذكر أبرز تلاميذ ابن أبي زيد على من له دور بارز في نشر العقيدة السلفية غالباً خوفاً من الإطالة وإن كانوا أكثر مما ذكرت، وكمـا جـت في توزيع مشيخة ابن أبي زيد سأعمد أيضاً إلى توزيعهم على مجموعـات بحـسب أمصارهم مرتباً إياهم بحسب تواريخ وفا م وذلك لأن هـذا المنـهج سـوف يساعدني على إبراز مدى إشعاع شيخنا العلمي عند وضعه في الميزان ، وعندئذ يتضح لنا مدى انطباق الأوصاف ا عليه أو عدم إنطباقها .

وكان الشيخ لطيفا مع تلاميذه يأخذهم برفق ولين ويهتم بمشاغلهم ويسعى لحل مشكلا م يتواضع لهم في غير ضعف ويتسامح ويعدل حتى مع المشاكسين منهم فيذكر المؤرخون أن أحد تلاميذه الكبار وهو أبو سعيد البراذعي[1] ، كان

---

(1) وقد ذكرت القصة مرارا انظر ص.... من هذه الرسالة والمعالم ١١٤/٣ - ١١٥ .

يعترض عليه وينبه على أدهانه ويرزي بعض كلامه[1] .

وهذا السلوك وإن كان غير محمود بين تلميذ وأستاذه لكنه يدل على سـعة صدر الشيخ ابن أبي زيد ونسامحه مع تلاميذه مما شجعهم على ابداء استقلاليتهم في التفكير والجرأة في التعبير ، وهذا الموقف وأمثاله جعل البراذعي يظهر اللوعـة والأسى حينما بلغه نبأ وفاة شيخه[2] .

ويجدر بالذكر أن علاقة الشيخ بتلاميذه لاتقتصر على حلقة الدرس فحسب بل كان يعتنى م أيام تحصيلهم يرعاهم بعد عود م إلى بلدا م وكثيرا ماكـان يتدخل بالحسنى بين طلابه والشيوخ من أهل بلدا م إذا طرأ ما يعكـر العلاقـة بينهم ، من ذلك تدخله ووساطته بين أهل تؤزر وقاضيهم وشيخهم الشقراطسي فبعث إليهم رسالة[3] [4] ، كما كان شديد المتابعة لأخبار طلابه القضاة ، وكان هؤلاء يستفتونه فيما يعترضهم من قضايا عويصة ، وكتب التراجم حافلة بأخبار هذه المراسلات[5] .

أبرز تلاميذ ابن أبي زيد القيرواني :

١) - أبو القاسم البراذعي ، بعد ٣٨٦هـ :

أبو القاسم خلف بن أبي القاسم الأسدي المعروف بالبراذعي ، ويكنى أيضاً بأبي سعيد ، من كبار أصحاب ابن محمد بن أبي زيد ، وسمع أيضاً من أبي الحسن العدسي ، الذي كان من كبار تلاميذ ابن أبي زيد ومن حفاظ المذهب المـالكي والمؤلفين فيه[6] .

---

(١) انظر حوله المدارك ٧٠٨/٣ ، معالم ١٨٤/٣ ، الشجرة : ١٠٥ .

(٢) قال الدأودي : ((كان سريع الإنقياد إلى الحق)) المدارك ٤٩٢/٣ .

(٣) معالم الإيمان ١٤٨/٣ .

(٤) ونص الرسالة في ترجمة الشقراطسي انظر ص......؟.؟.

(٥) انظر على سبيل المثال : الصلة : ترجمة عدد ١٣٩٧ ص٦٢٢ ، المدارك ٧٦٣/٤ ، وانظر : محاضرات ملتقى عبدالله بن أبي زيد القيرواني ص١٩١ .

(٦) انظر المدارك ٧٠٨/٤ .

وأما في المعالم والديباج فإنهما يذكران بعدها الأزدي[1] .

وكان البراذعي حاد الطبع جريئاً ، ولهذا أكثرت مصادماته مع مشيخة القيروان وغيرهم من الوافدين عليها وقد مرت*.* بنا صورة من هذه المصادمات مع الأصيلي الشيخ الأندلسي[2] مما دفع هذا الأخير إلى مغادرة حلقة المناظرة ، كما أن شيخه أبا محمد نفسه لم يسلم من جرأة تلميذه أيضاً ، إذا كان كثيراً ما ينبه غيره إلى أوهام شيخه مع الأزراء لبعض كلامه ، حتى قيل أن أبا محمد دعا عليه وكان ذلك سبباً في لفظ القيروان له[3] . قيل في هذا أنه كان ينتقص قدر أستاذه ابن أبي زيد وينقب عن مثالب له لينشرها ، فدعى عليه ، فلفظته القيروان، ولم يستقر بها فخرج إلى صقلية ومصر أميرها فحصلت له عنده مكانة، وفي صقلية ألف كتبه التي سوف أذكرها .

وقيل إنه ألف كتاباً في تصحيح الفروع نسب عبدالله الشيعي ، وأنه كانت تأتية هداياه ، ولذلك لحقه في هذا دعاء الشيخ ابن أبي زيد[4] .

يقول ابن ناجي في توضيح ما سبق : ((وعلى كل حال فخروج البراذعي من القيروان ولم يكن شيخا بها كان في الدلالة على إجابة دعاء الشيخ أبي محمد فحذاري من ذلك))[5] .

ولهذه الأسباب كلها لم تكن له رئاسة بالقيروان فارتحل إلى صقلية ووجد حظوة لدى أميرها أبي الفتوح يوسف بن أسرة بن أبي الحسين الكلبي وتفرغ

---

(1) انظر : المعالم ١٤٦/٣ ، الديباج ٣٤٩/١ .

* انظر ص......................؟.

* ترجمته بـ - ترتيب المدارك ٧٠٨/٤ - ٧٠٩ ، معالم الإيمان ١٤٦/٣ - ١٥٠ ، الديباج ٣٤٩ - ٣٥١ .

(2) المدارك ٦٤٧/٤ .

(3) انظر : الديباج ٣٥٠/١ .

(4) انظر : المدارك ٧٠٩/٤ ، المعالم ١٤٩/٣ .

(5) انظر : المعالم ١٤٩/٣ .

للدرس والتأليف ووضع جلّ مؤلفاته ، وقد اشتهرت هذه الكتب شهرة أنست الناس غيرها ، على الرغم من التشنيع الذي قام به علماء القيروان على صاحبها ومنع الناس من تدأولها، وكان أشهر هذه الكتب : كتاب التهذيب : وهو عبارة عن مختصر للمدونة ، فقد رخص علماء القيروان في استعماله لشهرة مسائله[1]، وقد لاقى هذا الكتاب قبولاً لدى كل الطلبة ، من ذلك أنه كان عليه المعول بالمغرب والأندلس[2] .

وذكر أن المناظرة في جميع حلق الدرس في بلدا ا إنما كانت بكتاب البراذعي التهذيب[3] .

وكتاب التهذيب هذا إنما هو عبارة عن اختصار للمدونة على شاكلة مختصر المدونة لابن أبي زيد إلا أن البراذعي حذف زيادات شيخه وظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه ، وتيمنوا بدرسه وحفظه وعليه معول أكثرهم بالمغرب والأندلس[4] ، ويقال إن البراذعي لما انتهى من تأليفه هذا حمله إلى شيخه وأطلعه عليه فأمر بحرقه أو محوه فعاد البراذعي إلى شيخه ثم عرضه عليه مرة ثانية وقد أنشده :

خذ العلوم ولاتعبأ بناقلها ... واقصد بذلك وجه الخالق الباري

أصل الرواية كالاشجار مثمرةً ... اجن الثمار وخل العود للنار

فتركه أبومحمد ولم يعرض له[5] .

وقال الدباغ ت٦٩٦هـ أيضاً : ((له كتاب التهذيب في إختصار المدونة اتبع به إختصار أبي محمد بن أبي زيد جاء به على نسق المدونة وحذف مازاده أبو

---

(1) انظر : المدارك ٧٠٩/٤ .

(2) انظر : المدارك ٧٠٨/٤ .

(3) انظر : الديباج ٣٥١/١ .

(4) انظر : المدارك ٧٠٨/٤ .

(5) انظر : المعالم ١٥٠/٣ .

محمد))[1] غير أن ابن ناجي ت٨٣٩هـ يرد على هذا بقوله : ((ماذكر كونه تبغعه غير صحيح ، وكثيراً ما يختصر خلاف ماي مختصر إلى قوله وصححتها على أبي بكر بن أبي عقبة عن جبلة بن حمود عن سحنون[٢] .

وهو ما عناه عندما قال في خطبة التهذيب أنه منشيء مستقل لا تابع لغيره ، وقد ضرب ابن ناجي عدة أمثلة لدعم ما ذهب إليه من كون البراذعي في تهذيبه كان مستقلاً لا على غرار آخر وليس مقلداً[٣] .

قلت : أميل إلى رأي بن ناجي ، وذلك بموجب ما يقتضيه العقل حيث إن البراذعي أثر عنه مناوأته لشيخه ابن أبي زيد فكريا وسلوكيا وينبه الطلبة على أوهام ابن أبي زيد ولو كان يؤيد استاذه في تأليفه لما أمر شيخه بحرق كتبه ولا سيما أنها كانت إشعاعاً لرأي شيخه حسب ما يزعم وقد ذكر أبو سعيد في غرة خطبة الكتاب أنه منشيء مستقل لا تابع لغيره ، ولاشك عندي أن شيخه أبا محمد داخل في هذا النفي العام ، كما لااستبعد استفادته من تواليف شيخه ولاسيما وأنه كان من كبار تلاميذه بدليل ما ذكره أصحاب التراجم أنه لما مات ابن أبي زيد حضر البراذعي جنازته فقال له بعض أصحابه مات ابن أبي زيد يشير إلى راحته منه ، فقال له : هيهات وان مات ابن أبي زيد فلم يمت كتابه الكتاني ، قال ابن سعيد : فضرب الدهر بضرباته إلى أن هجر الناس مختصر ابن أبي زيد وأقبلوا على مختصر البراذعي[٤] ، ويقصد بذلك والله أعلم أن كتاب التهذيب قد حقق ما تمناه مؤلفه إذ لم يمر وقت طويل حتى استقطب انظار الطلبة والعلماء فأقبلوا عليه وتركوا مختصر المدونة لابن أبي زيد ولعل هذا ماعناه ابن سعيد[5] .

قال العلامة ابن خلدون في مقدمته : ((ولخصها أي مدونة سحنون - أبو

---

(١) انظر : المعالم ١٤٦/٣ .

(٢) انظر : المعالم ١٤٧/٣ .

(٣) المعالم ١٤٧/٣ .

(٤) المعالم ١٤٩/٣ .

(5) انظر : كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ١٨٥/١ .

سعيد البراذعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب ، واعتمده المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه))[1] ، وكان القاضي عياض معجباً بهذا الكتاب وفضله على ما سواه من الكتب حيث يقول : ((ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه وتمنوا بدرسه وحفظه ، وعليه معول أكثرهم في المغرب والأندلس))[2] بينما عقب ابن ناجي على إثر كلام القاضي عياض فقال : ((هذا في زمان عياض ، وأما في زماننا فما المعول إلا عليه شرقاً وغرباً ، ومن ينظر مدونة سحنون الذي هو إختصارها يعلم فضيلة البراذعي في اختصاره))[3] .

ولم يقتصر الإنتاج العلمي للبراذعي على كتابه التهذيب : بل له مؤلفات أخر منها :

١) - كتاب تمهيد مسائل المدونة على صفة اختصار أبي محمد وزياداته[4] ، غير أن هذا الكتاب لم يلق قبولا ولا انتشارا وذيوعا نظراً لانحصار محتواه فيما ورد عند ابن أبي زيد في مختصره .

ويقال إن البراذعي لما تم كتاب التهذيب جاء بعض الطلبة ليسمعه عليه فلما أتم الصدر بالقراءة أغلق كتابه وقال قد سمعت الباقي على أبي محمد فقال البراذعي إقرأ فقال قد سمعته على ابن أبي زيد وهل زدت في المختصر أكثر من الصدر ؟[5].

يقول حسن حسني عبدالوهاب : ومن هنا يتبين موجب التقاطع بينهما وأن مكانه ابن أبي زيد العلمية ورسوخ قدمه وبعد صيته من سائر الأقطار الإسلامية

---

(1) المقدمة ص٤٣٦ ، ط : بولاق ، ص٨٠٧ ، ط بيروت .
(2) المدارك للقاضي عياض ٧٠٨/٤ .
(3) كتاب المعالم ١٤٧/٣ ، وانظر كتاب العمر لعبدالوهاب ٦٥٢/٢ ، قال عبدالوهاب : تهذيب التهذيب المدونة والمختلطة إختصار البراذعي وهو كتاب مشهور في الفقه المالكي أتم تحريره بالقيروان سنة ٣٧٢هـ .
(4) الديباج ٣٤٩/١ .
(5) المدارك ٧٠٩/٤ .

لاتقاس بدرجة مزاحمة البراذعي كما يعلم ذلك من يتبع آثارهما[1] .

٢) - وله أيضاً كتاب ((الشرح والتمامات لمسائل المدونة))[2] أدخل فيـه تعليقات الشيوخ المتأخرين على المسائل التي تضمنتها .

٣) - وله أيضاً كتاب ((إختصار الواضحة))[3] ذكر ذلك ابن نـاجي في المعالم ويقال أيضاً إن له ثلاث مختصرات على المدونة وأحـدهما أطـول مـن التهذيب وثانيهما أصغر منه ولم تثبت فيه رواية الشيخ .

قال شيخنا ابن عرفة[4] وما ذكره من الاختصار لم اره لغيره بعد البحـث عنه،وما ذكره من كونه لم تثبت فيه رواية فإن من لقيت مـن عـدول بلـدنا الموثوقون م قائل بثبوت رواية بالسند الصحيح[5] .

توفى أبو القاسم البراذعي بصقلية ، إلا أن ابن ناجي ذهب إلى القول بأنـه مات بالقيروان اثناء احدى زيارته لها ودفن ا بمقبرة ابي الحسن القابسي قبله قبر الشيخ ابن دأود الرهراني حسب ما سمعخ ابن ناجي من شيخه البرزلي في إحدى زياراته للقيروان[6] .

أما تاريخ هذه الوفاة فلم يذكرها أحد من المؤرخين والثابت أ ا وقعت بعد ٣٨٦هـ وهو تاريخ وفاة شيخه ابن أبي زيد رحمه الله .

٢) - الشقراطسي : ٤٢٩هـ - ١٠٣٦م :

---

(١) المدارك ٦٥٠/٢ .

(٢) الديباج ٣٥٠/١ .

(٣) المدارك ٧٠٩/٤ .

(٤) الإمام ابن عرفة هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن عرفة أحد أعلام المذهب المالكي بالقطر الافريقي ، ولد هذا الحبر التونسي سنة ٧١٦هـ وأصله من قبيلة وغمه القاطنه بالجنوب التونسي واليها ينسب ، وأقبل على درس العلوم الدينية بجامع الزيتونة الأعظم فقرأ على الشيخ محمد بن سلامة ومحمد بن عبدالسلام وغيرهما حتى برع في العربية والفقه وأصول القرآن والفرائض واتقنها ، توفى سنة ٨٠٣هـ كتاب العمر ٧٦٢/٢ .

(٥) المعالم ١٤٨/٣ .

(٦) المعالم ١٥٠/٣ .

هو أبوزكريا يحيى بن علي بن زكريا التوزري المعروف بالشقراطسي[1] ولد ونشأ ثم ارتحل إلى القيروان .

تفقه بابن أبي زيد الذي كان يكن له تقديراً كبيراً ، وسمع أيـضاً مـن أبي الحسن القابسي وغيرهما ، ثم ارتحل إلى المشرق حين أدى فريضة الحـج وسمـع الحديث من مشاهير علماء الرواية بالمشرق[2] .

ثم عاد إلى توزرحيث تصدر للتدريس والفتوى ، وحدث أن وقع خـلاف بينه وبين أهل توزر فرفع إلى الشيخ ابن أبي زيد بالقيروان فما كان منـه إلا أن بعث برسالة إلى توزر جاء فيها : ((ولقد كان لكم فيما بينت لكم من النصيحة صاحبنا أبو زكريا يحي بن على حفظه الله كفاية بالغة فلا ينبغي لكم أن تتخذوا من أبي زكريا بلالا ولا تبغوا عنه حولا فلقد جعل الله لكم فيه الخير والفهم مـا وسعكم وأوسع فيكم ، أعاذكم الله من فتنة خفيت عنكم))[3] .

قال فيه ابن شباط ((وكان إماما في العلـم مقـدماً ورئيـساً في الـدين معظماً))[4]، ولما توفى شيخه بن أبي زيد رثاه بقصيدة رائعة يقول فيها : -

خطب الم فعم السهل والجبلا وحادث جلل أنسى الحادث الجللا
ناع نعى بن أبي زيد فقلت له أشمسناً كسفت أم بدرنا أفلا

توفى سنة ٤٢٩هـ ، ودفن بمدينة نوزر .

٣) - أبوبكر الخولاني : ٤٣٢هـ - ١٠٤٠م :

هو أبوبكر أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله الخولاني الفقيه الحـافظ وشـيخ إفريقية ، وشيخ فقهائها في وقته ، مع صاحبه أبي عمران الفاسي[5] ، سمع من أبي

---

(1) شقراطس : حصن ثديم بالقرب من ققصه حسب ما ذكره ابن شباط .
(2) مجلة الثريا عدد حالقي ١٩٤٥م ص٥ .
(3) مجلة الثريا عدد حانفى ١٩٤٥ ص٥ ، وانظر كتاب ابن أبي زيد ص٩ .
(4) مجلة الثريا عدد خانقى ١٩٤٥ ص٥ .
(5) المدارك ٧٠٠/٤ - ٧٠١ .

محمد بن أبي زيد ، وأبي الحسن القابسي وأبي بكر أحمد بن أبي بكر الـدويلي ، وأبي محمد بن خالد السوسي المعروف بالبادلي ، وأبي بكر عتيق بـن موسـى الحاتمي ، وبمصر من أبي بكر القفال وغيرهم ، وبالأندلس من ابن الأشج وأحمد بن قاسم وابن عمر الباقي[1] .

وقد أجازه شيوخ المصريون إجازة تامة وعامة[2] ، وقد تفقه على علمـاء كثيرين يناجزون المائة والعشرين كلهم يقتدي بهم ، قال ابن ناجي : ((منهم أبو القاسم بن محرز ، وأبو حفص العطار ، وعبدالواحد الكفيف ، وأبـو إسـحاق التونسي ، وأبو القاسم السيوري ، وأبو الفضل ابن بنت ابن خلـدون ، وأبـو عبدالله محمد بن سعدون ، وأبو محمد عبدالحق وأبو حفص عمر بن صـيبون ، وأبوبكر عبدالله بن محمد المالكي[3] .

وكان قد برع في العلم منذ صغر سنة لفطنته وذكائه واجتهاده في التحصيل حتى قيل إن أبا الحسن القابسي أباح له الفتوى في حياته وهي إجازة لم يفز بهـا من قبله أو من بعده حتى قال فيه ذات يوم : ((إذا ذكر العابدون فأبوبكر بـن عبدالرحمن أولهم وإن ذكر المجتهدون فأبوبكر أولهم وإن ذكر المتفقهون فأبوبكر أولهم)) وقال أبو القاسم السيوري : ((ما رأيت أبابكر بن عبدالرحمن أخطأ في مسألة واحدة من المدونة))[4] .

وهذا الطالب قد اقتدى بأستاذه ابن أبي زيد في الاجتهاد كما إمتاز بقـوة الحفظ والذاكرة التي لا يلحقها الخلط ولا النسيان ، من ذلك ما ورد أن أصحابه تعجبوا من حفظه وذكره في آخر عمره فقال بعضهم : نراه يواظب على الدرس في الميعاد ، أو يتكلم على قديم حفظه ، فاتفقوا على اختباره ، فلما كان من الغد أخذوا غير الكتاب الذي كانوا يتذاكرون فيه وكانـت مـذاكرتهم إذ ذاك في

([1]) المدارك ٧٠٠/٤ - ٧٠١ .

([2]) المعالم ١٦٥/٣ .

([3]) المعالم ١٦٥/٣ - ١٦٦ .

([4]) المعالم ١٦٦/٣ .

كتاب محمد بن المواز ، فلما أخذوا الكتاب قال الشيخ لهم ليس كتابنـا هـذا فجمعوا له وأروه أنه هو الذي وهم ، وأنه إذ حضر فالمذاكرة فيه أولا ، ففطـن الشيخ لمرادهم وأخذ الكتاب ونظر فيه ثم طواه فألقاه عليهم من حفظه وقال : ((علمت ما أردتم . لوعدم هذا الكتاب لأمليته من حفظي))[1] .

ومما يذكر أنه كان يدرس المدونة وكانت مواعيده ا يوم الإثنين والأربعاء والجمعة[2] .

وكانت علاقته بالسلطة العبيدية مثل غيره من علماء أهل السنة متوترة جدا حتى أن المعز العلوي كان يبعث له بالعيون للايقاع به ولما فطن أبوبكر إلى ذلك بعث له مع أحد عيونه قائلاً له : ((تتبع العلماء هذا التتبع وتستقصى عليهم والله لئن لم تتركني لأعرضنك على الله عزوجل فلم يعرض له بعد ذلك بشيء))[3] ، وكان بينه وبين ابي عمران الفاسي ٣٩٣هـ-٤٣٠هـ تباعد في المنهج وقـد حأولت السلطة الإيقاع بينهما بضرب الصف السني إلا أن قوة إيما ما أضعفت هذه السلطة وأفشلت أمرها المبيت بليل ، ولذلك قال القاضي عياض ((وكـان الذي بينهما متباعداً ، حتى طمح بذلك صاحب إفريقية ، ليجد الحجـة علـى العامة ، طوعهما ، فلما أختبرهما في ذلك وجد عندهما ما يوافقه ، ووجد دينهما أمتن مما يظن))[4] .

([1]) المدارك ٧٠١/٤ ، المعالم ١٦٨/٣ .

([2]) المدارك ٧٠٢/٤ .

([3]) المعالم ١٦٨/٣ ، وانظر إلى هذا التهديد الصادر من شيخ العقيدة المخلص ولما كان هذا هو صفتهم خوف الله منهم عدوهم وانتصروا عليهم بإيما م واعتقادهم السليم لأن الأصل عندهم حفظ دينهم ولا يعباؤن بأمور دنياهم وجودها عندهم كالعدم ، ابتلوا في دنياهم فصبروا وثبت الله أقدامهم على هذه المحن ، ونحن لما كانت الدنيا أكبر همنا ومبلغ علمنا - والعياذ بالله - سلط الله علينا أعدائنا .

([4]) المدارك ٧٠١/٤ .

* تعليق : وقد جاءت عدة احاديث على كراهية صوم الدهر ، فعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺقال : (صم في كل شهر ثلاثة أيام ، قلت : اني أقوى أكثر من ذلك فلم يزل يرفعني حتى ⇦

كان أبوبكر يمشي للمستنير كل سنة في رمضان فكان طول رمضان لاينام الليل ، وكان يصوم الدهر فلا يفطر إلا الأيام المحرمة للصوم*وكان كثير الصدقة لايخلوا ميعاده من صدقة أبداً[1] واستمر أبوبكر في عمله العلمي وفي عبادته الصادقة المخلصة إلى أن لبى داعي ربه يوم الإثنين لثلاث بقين من شوال سنة ٤٣٢هـ[2] وزاد القاضي عياض أن هذا التاريخ على ماذكره الشيرازي أبو إسيحاق وابن سعدون ويرى غيرهم خلاف ذلك ، وقالوا سنة خمس وثلاثين[3].

٤) - أبو سعيد الخولاني :

أبو سعيد خلف بن محمد الخولاني الخياط ، تتلمذ على يد ابن أبي زيد ولازمه ، وكذا من زكريا بن يحيى بن سلام[4] ، قال فيه صاحب المعالم : ((جمع العلم والزهد والقناعة والنزاهة وكتم الفاقة وكان حافظاً))[5] ، كان يشتغل خياطاً ورأس ماله مقص بنصف درهم وحلقة بربع وإبرة بخروبه ، وكان إذا خاط بدرهمين لايخيط شيئاً حتى ينفقها في اثنين وثلاثين يوماً ، كل يوم خروبة[6]

قال صم يوماً وأفطر يوماً فانه أفضل الصيام ، وهو صوم أخي دأودعليه السلام). وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : لا صام من صام الأبد) نيل الأوطار جـ٤: ٣٢٥ . قال ابن التين (استدل على الكراهية من وجوه نهيه ﷺ عن الزيادة ، وأمر عبد الله بن عمرو ان يصوم ويفطر . وقوله ﷺ لا أفضل من ذلك ، ودعائه على من صام الأبد ، دليل على عدم مشروعيته) نيل الأوطار جـ٤ : ٣٢٦ . قال الحافظ العسقلاني في الفتح :- (ليس كل عمل صالح اذا ازداد العبد منه ازداد من الله تقربا، بل رب عمل صالح اذا ازداد منه ازداد بعدا، كالصلاة في الأوقات المكروة) المصدر السابق ص ٣٢٧.

(1) المعالم ١٦٦/٣ .

(2) المدارك ٧٠١/٤ ، المعالم ١٦٩/٣ .

(3) المدارك ٧٠١/٤ ، وانظر كتاب د. الدرقاش ١٩١/١ - ١٩٣ .

(4) المعالم ١٥٦/٣ .

(5) المعالم ١٥٦/٣ .

(6) خروب : شجر مثمر من الفصيلة القرنية ثماره قرون تأكل ، وتعلفها الماشية، المعجم الوسيط جـ ١: ٢٢٣.

فإذا فرغ من ذلك عاد فخاط كذلك بدرهمين ولو قيل له تخيط ثوباً بمائة دينار لم يفعل حتى تفرغ الدرهمان ، وكان يدرس الشهر كله ، وانصرف يوماً من مجلس أبي محمد بن أبي زيد وعليه أطمار كأنما نبشت من القبور فنظر إليه أبومحمد وإلى ثيابه وسأل عنه ؟ فقيل له : والله ما يلبس هذه إلا يتجمل ا في الميعاد ، وأما يقطع به الأيام فغدو يسأوي درهمين ، فبعث إليه أبو محمد بن أبي زيد بصرة فيها خمسون ديناراً ذهباً فأبى أن يقبلها على شدة فقره وحاجته ، وقال : إنما قوتي كل يوم خروبة آخذ ا خبزاً تصب عليه الوالدة مرق بقل أو ماتيسر و يأ به[1] رحمه الله تعالى .

المتأمل في هذا الطالب يجده مقتفيا آثار شيخه بن أبي زيد ويتأسى به في القناعة والزهد ، ولما كان هذا هو حالهم بارك الله فيما عندهم وأصبح كثيراً ، وهذا النص يبرز شخصية ابن أبي زيد الأخلاقية والاجتماعية حيث إنه يتفقد أحوال تلاميذه ويقف معهم عند زما م كما سبق أن ذكر منه في موقفه مع أحد تلاميذه الشقراطسي ، وكما سوف يأتي أيضاً في بعض مواقفه إزاؤ تلاميذه البررة حيث إن ابن أبي زيد لم يلبث حتى بعث إلى بعض المعوزين من تلاميذه مايسددون به حوائجهم وكذلك ترى صورة مثالية من سلوك هذا الطالب إنه لم يقبل تلك الصره التي فيها خمسون ديناراً ذهباً لورعه وزهده وقناعته لأنه استكثره واستعظمه حيث إنه يفوق حاجته اليومية ومن فقه المرء ألا يتلقى فوق حاجته ، ولذلك قال إنما قوتي كل يوم خروبة أى إن مصروفه الدرهم في ذلك العصر ست عشرة خروبة وكذلك كان الريال عندنا لعهد قريب[2] ولم تذكر المصادر العلمية تاريخ وفاته .

٥) - أبو القاسم اللبيدي ٣٦٠هـ - ٤٤٠هـ :

أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المعروب باللبيدي ، ولبيد من قرى

---

(1) المعالم ١٥٦/٣ .

(2) انظر المعالم التعليق ١٥٩/٣ .

الساحل[1] .

تفقه بأبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وسمع من علماء إفريقيـة، وعباد أهل رباط المنتشرين كأبي الحسن اللواتي وأبي إسحاق الساحلي وأبي بكر بن مسلم وأبي حفص بن مثى وأبي إسحاق الجبنياني[2] .

قال الدياغ : ((وسمع منه أبو عبدالله بن محمد بن سـعدون وغـيره مـن القرويين والأندلسين ، ووجهه أبو الحسين القابسي لتفقيه أهل المهديـة وامتـد عمره بعد أقرانه فحاز رئاسة العلم والتشيخ به بالقيروان))[3] .

وللبيدي تأليف كثيرة منها : كتاب الجامع في المذهب كبير ، أزيد من مائتي جزء كتاب في مسائل المدونة مضيفاً إليها نوادر ابن أبي زيد وموطأ مالك[4] .

وله أيضاً زيادات الأمهات ، ونوادر الروايات وأخبار مشيخة أبي إسـحاق الجبنياني المتوفى سنة ٣٦٩هـ .

وزاد محمد محفوظ على هذا قائلاً : ((ترجمة فيه الكـثير مـن تلامـذه أبي إسحاق الجبنياني وأصحابه حققه وترجمه إلى اللغو الفرنسية الاسـتاذ الهـادي روجي إدريس مع مناقب محرز بن خلف لأبي طاهر الفارسـي : ((أطروحـة تكميلية)) من منشورات كلية الأداب بجامعة الجزائر ، ط بتونس ١٩٥٩م[5] .

وكتاب الملخص وهو عبارة عن مختصر المدونة[6] .

وبالإضافة إلى عمله وكان أيضاً ينظم الشعر ويجيده ويحسن القول في أوجز الألفاظ ، فمما أنشده لنفسه قوله[7] :

---

(1) المدارك ٧٠٧/٤ .

(2) الشجرة ص١٠٩ .

(3) المعالم ١٧٥/٣ .

(4) المدارك ٧٠٧/٤ ، المعالم ١٧٥/٣ .

(5) تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد بن محفوظ ٢٠٩/٤ .

(6) المدارك ٧٠٧/٤ .

(7) المدارك ٧٠٧/٤ ، والديباج ٤٨٤/١ .

أنت العلى وأنت الخالق الباري — أنت العليم بما تخفيه أسراري

أنت العليم بما في الخلق مقدرة — في وسع عيش وفي بؤس واقتار

توفي بالقيروان سنة أربعين وأربعمائة[1] .

وقال القاضي عياض وتابعه الدباغ أنه توفي بالقيروان سنة أربعين وأربعمائة لليلتين بقيتا من شوال منها وسنه ثمانون سنة ، وصلى عليه إبنه أبوبكر - وكان من أهل العلم - وحضر جنازته صاحب إفريقية وجميع رجاله . ودفـن في داره ورثى بمراث كثيرة[2] .

٦)- ابن عذرة الأيدي :

هو أبوبكر إسماعيل بن إسحاق بن عذرة الأيدي ، فقيه زاهد قيرواني سمـع بإفريقية من ابن أبي زيد وغيره[3] .

ورحل إلى المشرق فلقي ابن مجاهد الطائي المتكلم وأخذ عنه وأبابكر الأبـهري وأبابكر محمد بن أحمد البغدادي ، وكان الغالب عليه الزهد والعبادة، وقد سمـع منه الناس روى عنه حاتم الطرابلسي وأبو مروان الطلبني[4] .

وقد أثنى عليه ابن أبي زيد ، وهو الذي بعثه مع أبي على محمد بن خلـدون إلى بغداد لإيصال كتاب مختصر المدونة إلى الأبـهري وابن مجاهد الطائي فقد سبق أن ذكرت ذلك . ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته .

تلاميذه الطرابلسيون :

١) - أبو الحسن المنمر ٣٤٨هـ - ٤٣٢هـ :

هو أبو الحسن على بن محمد المنمر الطرابلسي القرطبي ، يذهب عيـاض إلى

---

(1) الديباج ٤٨٥/١ .

(2) المعالم ١٧٥/٣ .

(3) المدارك ٧١٨/٤ .

(4) المدارك ٧١٨/٤ - ٧١٩ .

القول بأنه المعروف بالهمر من أهل طرابلس[1] .

تفقه بطرابلس على بكرون ثم ارتحل إلى المشرق فسمع بمصر من محمد بن عبيد الوشاء وأبي القاسم الجوهري وبمكة من ابن رزين .

وقد لقى الشيخ أبا محمد بن أبي زيد وقرأ عليه وارتحل إلى مكة سنة تسع وثمانين وأربعمائة فلقى ا أحمد بن رزيق البغدادي ، وروى عن أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الجوهري ثم عاد إلى طرابلس فلم يزل ا إلى سنة ثلاثين وأربعمائة[2] ، ويذكر التيجاني : أن ابن المنمر هو أول من أظهر السنة بطرابلس لما كانت من إفريقية الواقعة المعروفة بوقعة المشارقة سنة سبع وأربعمائة ، قتل فيها الشيعة وأشياعهم سنة ٤٠٧هـ حيث نكل بالشيعة وأعاد الأذان السنى إلى سالف عهده وأحيا سنة قيام رمضان بعد أن محى رسمه في إفريقية ، وأول من أطلق للناس صلاة الضحى جهاراً ولم يكن أحد من مدة بني عبيد يعليها إلا مستخفياً ا فإن ظهروا عليه قتلوه ، ومر بعض عمالهم برجل على شاطئ البحر يصلي وقت الضحى فسأله عن صلاته فذكر أنه كان جنباً فلما مر بالبحر نزل واغتسل وقضى صلاة الصبح ، فلم يقبل ذلك منه وأمر به فألقى في البحر إلى أن مات))[3] .

وفي شهر ربيع الأول سنة ٤٣٠هـ طرده المستنصر بن خذرون من طرابلس وصادر أملاكه واضطهد عدداً كبيراص من أفراد أسرته فاستقر بن المنمر بغانيمة، إحدى قرى مقاطعة وسلاته ، حيث توفى بعد سنتين[4] .

---

(1) كتاب د. الدرقاش نقلا عن عياض ١٩٩/١ .

(2) رحلة التيجاني ص٢٦٥ - كتاب رحلة التيجاني - تونس طرابلس ٧٠٦ - ٧٠٨هـ لأبي محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التيجاني قدم لها العلامة حسن حسنى عبدالوهاب دار العربية للكتاب ، ليتسات تونس ١٩٨١م .

(3) رحلة التيجاني ص٢٦٦ .

(4) كتاب د. الدرقاش ٢٠٠/١ .

٢) - أبو عبدالله الخشاب :

هو أبو عبدالله الخشاب سمع من ابن المنمر ، ومن ابي محمد بن أبي زيد وغيره بالقيروان ، قال الشيخ أبو عبدالله الخشاب القاضي رحمه الله تعالى : خرجت مع أبي الحسين بن المنمر من طرابلس لزيارة الفقيه أبي محمد بن أبي زيد رحمـه الله تعالى وسماع العلم عنه ، فبينما نحن عنده يوماً إذ تحدث أبو الحسن فقـال أراد الشيخ أبو عثمان لجسائي مرة الحج فاتفق مع جماعة من إخوانه أهـل الـدين والفضل وكنت معهم فخرجنا على الوحدة وقطعنا صدراً من الطريـق وأقمنـا ثلاثاً لم نطعم فأتى الشيخ أبو عثمان إلى ربوة فمسح وجهها بيده وجعل يأخـذ من ترا ا ويجعله في إناء كان معه ثم ثراه بشيء من ماء وقرأ عليه وسمى وقال لنا ، سمو اللعه وكلوا ، قال : فجعلنا نأكل ونطعم طعم السويق ، قال : فـأطرق الشيخ أبو محمد بن أبي زيد ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا داخل في الإمكـان لاسيما وقد ذكرتم أنكم أقمتم ثلاث أيام لم تطعموا ، وقرأ قوله تعالى : { أمن يجيب المضطر إذا دعاه }[1] .

٣) - أبوبكر بن وافد ٤٠٤هـ - ١٠١٣هـ :

أبوبكر يحيى بن عبدالرحمن بن وافد اليحصبي ، قرطبي ، قاض القضاة سمـع بقرطبة من أبي عيسى وغيره من علماء قرطبة ثم ارتحـل إلى المـشرق ولقـى بالقيروان أبا محمد بن أبي زيد وصاحبه في رحلة للحج فناظره وأعجب به أبـو محمد لحفظه ومعرفته ، وبعد عودته إلى الأندلس ولّى القضاء والخطبة عند صرف ابن ذكوان عن القضاء في الفتنة البربرية حيث لقب ابن واقد بقاضي القضاة[2] .

ذكر القاضي عياض ابن أبي وافد أحد الأشداد على البرابـرة ، وخليفتـهم

---

(1) كتاب رحلة التيجاني ص٢٥٠-٢٥١ ، وكتاب د. الدرقاش ٢٠٠/١ - ٢٠١ سورة النحل : ٦٢ .

(2) المدارك ٦٦٨/٤ - ٦٦٩ ، وكتاب د. الدرقاش ٢١٤/١ .

المستعين سليمان ، وأكثر الناس نفاراً منهم ، ومن البيعة لصاحبهم[1] .

ولما تغلب المستعين سليمان على قرطبة وخلع أميرها هشان المؤيد طلب بن وافد ماستخفى وجد في طلبه إلى أن عد عليه مستخفياً عند إمرأة فأخذ مكشوف الرأس مهاناً ومنادى البرابرة ينادي عليه : ((هذا قاض النصارى ، مسبب الفتنة ، وقائد الضلالة)) وكان ابن وافد يقول : ((كذبت ، بفيك الحجر بل والله وليّ المؤمنين ، وعدو المارقين .. أنتم والله شر مكاناً ، والله أعلم بما تصفون ، والناس تتقطع قلو م بما نزل به))[2] فحكم عليه بالسجن وكاد صاحب السلطة أن يفتك به لولا تدخل فقهاء الأندلس فرفع عنه الصلب والمثلة، فكان شديد الصبر في محبسه كثير التبسم والحديث متعاهداً لصلاح نفسه وجسمه من الاغتسال والاستياك والاستجداد))[3] .

ولم يبعد أن اعتل محبسه فمات ، فأخرج ميتاً في نعش منتصف ذي الحجة سنة أربع وأربعمائة[4] .

٤) - أبوبكر الحصار : ٤٠٦هـ :

هو أبوبكر محمد بن موهب التجيبي الحصار المعروف بالقبري[5] .

وهو جد القاضي أبو الوليد الباحي ، تفقه بالأندلس على أحمد بن ثابت ، وابن قطن ، وأحمد بن هلال ، وأبي محمد الباجي ثم ارتحل إلى القيروان ، فسمع من رجاله فصحب أبا محمد بن أبي زيد رحمه الله ، واحتفى به وحمل عنه تواليفه[6] .

كما سمع من أبي الحسن القابسي ، كما أخذ عن غيرهما من القيروانيين ثم

---

(1) المدارك ٦٦٩/٤ .
(2) المدارك ٦٦٩/٤ .
(3) المدارك ٦٧٠/٤ .
(4) المدارك ٦٧٠/٤ .
(5) المدارك ٦٧٤/٤ .
(6) المدارك ٦٧٥/٤ .

عاد إلى الأندلس في أيام الدولة العامرية حيث تخرج عليه علماء كثيرون منـهم أبوبكر بن الغراف وإسماعيل بن حمزة السبتي الذي سلمه الحصار القبرى كتبـه وكتب شيخه أبي محمد بن أبي زيد[١] .

ذكر القاضي عياض : ((أن القاضي بن ذكوان يقدمه على فقهاء وقته وعلى نفسه ويرغب في دعائه)) ، وكان الأصيلي يعرف حقه ويثنى عليه ، وغلب على اختصاصه علم الكلام والجدل دفاعاً عن مذهب أهل السنة[٢] ، وكان من الذين يقلدون شيخهم في مسألة العقيدة وهو من الذين ينكرون الغلو في الاعتقـاد في كرامات الأولياء مثل شيخه ابن أبي زيد ، ولاشك عندى أنه كان حاضراً فيما احتدم بين بن أبي زيد وغيره من شيوخ القيروان حول كرامات الأولياء .

ولذلك يقول القاضي عياض : ((فإن أبي موهب كان يذهب فيها مـذهب شيخه أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله ، في إنكار الغلو في الكرامـات ، ويـرى صحة نبوة النساء ، ويقول بصحة نبوة مريم ، وباحالة بقاء الخضر عليه الـسلام أبد الآبدين))[٣] .

وهي آراء شيخه ابن أبي زيد وتوفى بقرطبة سنة ست وأربعمائة[٤] .

٥) - ابن السعدي : ٤١٠هـ - ١٠١٩م :

هو أبوعمر أحمد بن محمد السعدي الأندلسي الإشبيلي[٥] .

وذكر الحميدي أنه ارتحل إلى المشرق قبل الأربعمائة حيث لقى أبا محمد بن أبي زيد القيرواني بالقيروان[٦] ، ولازم أبابكر الأ ـري وحمل عنه كتبه وتفقه عليه

---

(١) انظر : المدارك ٦٧٥/٤ ، انظر كتاب د. الدرقاش ٢١٥/١ .
(٢) المدارك ٦٧٥/٤ .
(٣) المدارك ٦٧٦/٤ .
(٤) المدارك ٦٧٦/٤ .
(٥) المدارك ٦٢٢/٤ .
(٦) حذوة المقتبس ١٠٩/٢ .

وسمع من جماعة بمصر والعراق ولقى أيضاً من المالكية أحمد بن أبي يعلى الحمادي وأبا القاسم الجوهري وبن الوشاء وأبا إسحاق التمار ، وأبابكر الباقلاني[1] .

ويقول القاضي عياض أنه نزل المهدية ، وعليه دارت الفتيا بها وكان فقيهـا صالحاً[2] ، ويمكننا القول بان استقراره بالمهدية إنما كان بعد عودته ثانيـة مـن المشرق ، وأما في عودته الأولى من المشرق فيذكر أنه اجتمع بأبي محمد بـن أبي زيد حيث روى عن شيخه ما شاهده في حلقات الكلام ببغداد ، يقول الحميدي : ((سمعت أبا عبدالله بن الفرج بن عبدالله الولى الأنصاري يقول : ((سمعت أبـا محمد عبدالله بن أبي زيد يسأل أبا عمر أحمد بن محمد بن سعدي المالكي عنـد وصوله إلى القيروان من ديار المشرق وكان أبوعمر دخل بغداد في حياة أبي بكر محمد بن عبدالله بن صالح الأبهري : فقال له يوماً هل حضرت مجالس أهل الكلام فقال بل حضرتهم مرتين ثم تركت مجالسهم ولم أعد إليها فقال له أبو محمد ولم ، فقال : أما أول مجلس حضرته فرأيت مجلساً ، قد جمع الفرق كلها المسلمين من أهل السنة والبدعة والكفار والمجوس والدهرية والزنادقة واليهـود والنـصارى وسائر أجناس الكفرة ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه ويجادل عنه فإذا جاد رئيس من أي فرقة قامت الجماعة إليه قياماً على أقدامهم حتى يجلس فيجلـسون بجلوسه فإذا غص المجلس بأهله ورأوا انه لم يبق لهم أحد ينتظرونه قال قائل مـن الكفار : قد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيهم فإنا لانصدق بذلك ولا نقر به وإنما نتناظر بحجج العقل ومـا يتحملـه النظـر والقياس فيقولون نعم لك ذلك ، قال أبوعمر : فلما سمعت ذلك لم أعد إلى ذلك المجلس ثم قيل لي ثمّ مجلس آخر في الكلام فذهبت إليه فوجـدتهم مثـل سـيرة أصحابهم سواء، فقطعت مجالس أهل الكلام فلم أعد إليها .

فقال ابن أبي زيد : ورضى المسلمون بهذا من الفعل والقول ، قال أبو عمر هذا الذي شاهدته فيهم فجعل أبو محمد بن أبي زيد يتعجب من ذلك وقـال :

([1]) المدارك ٦٢٢/٤ .

([2]) المدارك ٦٢٢/٤ .

ذهب العلماء وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه ، وكيف يبيح المسلمون المناظر بين المسلمين وبين الكفار ؟ وهذا لايجوز ان يفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالإسلام وبمحمد ﷺ وإنما يدعى من كان على بدعة من منتحلى الإسلام إلى الرجوع إلى السنة والجماعة فإن رجع قبل منه وإن أبى ضربت عنقه ، أما الكفار فإنما يدعون إلى الإسلام فإن قبلوا كف عنهم وإن أبو وبذلوا الجزية في موضع يجوز قبولها كف عنهم وقيل منهم ، وأما أن يناظروا على أن لايحتج عليهم بكتابنا ولانبينا فهذا لايجوز فإنا لله وإنا إليه راجعون))[1].

ووجه الغرابة لدى ابن أبي زيد وإن كان لايجوز لنا أن نحتج على المخالف بحجة لايؤمن ا فالذي يجحد النصوص الدينية لايستدل لإقناعه ا كذلك لايجوز لنا قبول حججهم الداحضة ولايرضى لنا ديننا الحنيف السكوت عليه واعتبر ابن أبي زيد ذلك السكوت تنقيصاً لحرمة الإسلام وأهله[2] .

يقول الحميدي : من هذا النص المأخوذ علمنا تتلمذ ابن السعدي على ابن أبي زيد ، كما لمسنا مدى تألم أبي محمد على مايقع في مجالس الكلام من مروق على الدين ومن تحد لتعاليمه. وتوفى بالمهدية في سنة ٤١٠هـ[3].

٦) - أبو عمر الطلمنكي ٣٤٠ - ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م :

اسمه أحمد بن محمد بن أبي عبدالله أبي عيسى المعافري أبو عمر الطلمنكي ، أصله من طلمنكه بفتح الطاء المهملة واللام والميم وسكون النون وفتح الكاف وهاء ساكنه ، من ثغر الأندلس الشرقي[4] سمع بالأندلس ابن مفرج القاضي وابن عون الله وابن ناصر السبتي وابن ررب الأمطاكي والزبيدي وغيرهم ثم ارتحل إلى المشرق فسمع بالقيروان من أبي زيد وطبقته[5] ، وبمصر من ابن غلبون والأوفوي

---

(1) جذوة المقتبس للحميدي ص ١٠١-١٠٢، فقه الدعوة لحبنكة ٢٨٢/١.
(2) المصدر السابق ونفس الصفحة .
(3) حذوة المقتبس ص١٠٢.
(4) الديباج ١٧٨/١ - ١٧٩ .
(5) حذوة المقتبس ص١١٤ .

وابن أبي غالب وابن سنجر وابن المهندس وابن عراك وغيرهم[1] سمع منه وحدث عنه الجلة سماعاً وإجازة ، منهم حاتم الطرابلسي وأبوعبدالله ابن عتـاب وابـن المرابط فوريش والموفشى وأبو عمر الحرار[2] .

وكانت له عناية كاملة بالحديث ونقله ، ورواية وضبطه ، ومعرفة رجالـه وحملته ، حافظاً للسنن ، جامعاً لها ، إماما فيها ، عارفاً بأصـول الـديانات ، مظهراً للكرامات على هدى وسنة[3] .

وكان من الذين أنكروا على بن أبي زيد موقفه المتمثل في رفضه الغلـو في الاعتقاد في كرامات الأولياء ، إذ ورد قوله عقب انتهاء هذه القضية : ((كانت تلك من أبي محمد نادرة ، لها أسباب أوجبها التناظر الذي يقع بين العلماء..))[4]. وقد وقف نفس الموقف المعارض من القبرى عندما قال مثل قول شيخه ابـن أبي زيد في كرامات الأولياء بحيث كان الطلمنكي في صف الفقهاء والمحدثين الـذين شنعوا على القبرى موقفه المعلن والرافض الإغـراق في الإعتقـاد في كرامـات الأولياء في حين كان الأصيلي وابن ذكوان القاضي مع القبري[5] .

وفي مجال العقائد فقد ألف رداً على ابن مسرة المارق مقتفياً أثر شيخه ابـن أبي زيد ، والزبيدي من قبله ٣٧٩هـ ، ويقال إن الجالطي* هو الذي أمد شيخه

(1) المدارك ٧٥٠/٤ .

(2) المدارك ٧٥٠/٤ .

(3) الديباج ١٧٩/١ - ١٨٠ .

(4) المدارك ٤٩٥/٤ .

(5) كتاب ابن أبي زيد د. الدرقاش ٢٢٦/١ .

* الجالطي: أبو عبدالله محمد بن قاسم بن محمد الفراء المعروف بابن الجالطي ولد سنة ٣٣٦هـ ، سمع بالأندلس من القرشي وابن الأحمر وطبقته بقرطبة ثم ارتحل إلى الشرق مصاحباً في رحلته ابن الحذاء وكان ذلك في سنة ٣٧٠هـ . ولي بقرطبة الحكم بالشرطة والصلاة والخطبة بالزهراء مدينة السلطان وقد قدم إلى الشورى أيام المظفر ، قال ابن الحصار كان ممن عنى بالعلم وشهر بالفهم وكان نظاراً معدوداً في الحذاق ، توفي سنة (٤٠٣هـ = ١٠١٢م) انظر : ترتيب المدارك م٢ جـ٤ ص٦٨٣ – ٦٨٤ ، الصلة ١١ ص٤٦٥ ترجمة ١٠٦٠ .

ابن أبي زيد بكتاب الزبيدي في هذا الموضوع[1] ، ولايستبعد الإنسان أن يكون رد الطلمنكي هو اجتزاء لما خطه الشيخ ابن أبي زيد القيرواني ، وذكر القاضي عياض ومن تأليفه ((كتاب الدليل في معرفة الجليل)) نحو مائة جزء ، وكتابه في تفسير القرآن نحو مائة جزء ، وكتاب البيان في إعراب القرآن وفضائل مالك ورجال الموطأ ، وكتاب الرد على ابن مسرة ، وكتاب الوصول إلى معرفة الأصول))[2].

قال ابن الحصار الخولاني : ((كان من الفضلاء الصالحين ، على هدي وسنة قديم الطلب للعلم ، مقدماً في الفهم مجوداً للقرآن حسب اللفظ ، فضائله جمة أكثر من أن تحصى))[3] .

قال أبو عمر المقرئ : ((وكان خيراً فاضلاً ، ضابطاً لما روى ، قال ابن الحذاء : ((وكان فاضلاً شديداً في كتاب الله تعالى ، سيفاً على أهل البدع ، سكن قرطبة وأقرأ ا ، ثم عاد إلى بلده طلمنكة مرابطاً ، فتوفى ا صدر محرم سنة تسع وعشرين ، وقيل في ذي الحجة سنة ثمان ، وقد قارب التسعين ، وصحبه ذهنه ، ومولده سنة أربعين وثلاثمائة[4] .

طلابه المشارقة :

تمهيد : ذكر أرباب التراجم عدم وجود طلاب من المشارقة غير ابن عبد المؤمن الذي كان أحد تلاميذ ابن مجاهد الأشعري ، وقد ورد في سيرة ابن عبدالمؤمن أنه أحاط أبا محمد علماً بنظريات علم الكلام وقضاياه في ا تمع الشرقي وكيفية الرد على علماء الكلام في آرائهم الكلامية وبذلك كان بن عبدالمؤمن المتكلم الأشعري بمثابة الشيخ في هذا الميدان لأبي محمد وغيره من القيروانيين وبمثابة التلميذ له في غير هذا ا ال من مجالات المعرفة ، أما بقية المالكية ممن كانت لهم علامة علمية بابن أبي زيد فقد تتلمذ على ابن عبدالمؤمن أو تفقه به بعضهم عن طريق المراسلة أو الإجازة ، وكان من هؤلاء من تبادل

---

(1) كتاب الدرقاش نقلا عن الهادي إدريس ٢٢٧/١ .

(2) المدارك ٧٥٠/٤ .

(3) المدارك ٧٥٠/٤ .

(4) انظر كتاب د. الهادي للدرقاش ٢٣٧/١ بتصرف .

معه الإجازة في رواية كتبهما عن بعضهما كما هو حاله مع أبي بكر الأ ـري .

ولهذا كانا شيخين وتلميذين كل منهما للآخر ، ومنهم من أجازه ابـن أبي زيد فقط فكان حاله معه حال الشيخ مع تلميذه وينطبق هذا على إبـن مجاهـد البصري البغدادي ومن البغداديين من تولى شرح بعض كتب ابن أبي زيد وعمل على نشرها ، وهذا كالقاضي عبدالوهاب وحال ابن أبي زيد معه حال الشيخ مع تلميذه أيضاً كما سأذكر فيما بعد ، ومنهم من درس كتبه عـن طريـق أجـر تلاميذه بالإجازة فأعجب لعلم ابن أبي زيد وأثنى عليه وعلـى فـضله وهـذا كالباقلاني وحال ابن أبي زيد معه حال الشيخ مع تلميذه أيضاً[١] وحـتى تـتم الفائدة للقارئ وتكتمل له صورة واضحة المعالم لمظاهر التبادل العلمي والتلاقح الفكري بين الفرعين : القيرواني والبغدادي للمدرسة المالكية ، ارتأيت أن أعرض تراجم هؤلاء العلماء من المشارقة مع إبراز مظاهر التبادل العلمي ، وإلقاء مزيـد من الضوء على مدى تبادل تأثير الآراء الفقهية والعقدية بين المالكية القيروانيـة والبغدادية .

١) - أبوبكر الأ ـري ٢٨٧هـ - ٣٧٥هـ :

هو أبوبكر محمد بن عبدالله بن صالح الأ ـري[٢] ، وقد ترجمته عند ذكـرى مشيخه بن أبي زيد بمعنى أن ابن أبي زيد قد إستجاز أبـابكر الأ ـري وغـيره فأجازوه ، كما أن الشيخ أبابكر الأ ـري عني برسالة ابن أبي زيد ببغداد وأن أول نسخة منها تباع بألف مثقال ذهباً .

وهو شيخ ابن أبي زيد بالمراسلة ، وكذلك كان تلميـذه أيـضاً بالمراسـلة وبالنظر إلى هذه العناية البالغة من طرق شيخ مشيخة المالكية ببغـداد بكتـاب الرسالة كثر الإقبال عليها وعلى غيرها من كتب ابن أبي زيد من طرف العلمـاء والطلاب المشارقة ، مما ساعد على انتشار اسم صاحبها وعلو صـيته وارتفـاع

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي ص١٦٧ ، ط بيروت ١٩٧٠م ، تحقيق : حسان عباس .

(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٦٧،ط بيروت ١٩٧٠م، تحقيق : حسان عباس .

مركزه العلمي كما أن المراسلة لم تنقطع بينهما ، وهذا يؤكد ما روى مـن أن الأبهري قد طلب في إحدى هذه الرسائل المتبادلة من ابن أبي زيد إجازة في رواية وتدريس كتبه ، وأخص بالذكر مختصر المدونة .

ومن مناقب أبي بكر الأبهري انه كان له عناية دقيقة بأمهات كتب المالكيـة حيث إنه أحد أقطاب المدرسة المالكية من طبقة الإمام سـحنون في وقتـه وأبي محمد بن أبي زيد في وقته حتى ورد أنه لم ينجب أحد من الأصحاب بعد إسماعيل القاضي ما أنجب أبوبكر الأبهري كما أنه لاقرين لهما في المذهب بطقرين مـن الأقطار إلا سحنون بن سعيد في طبقته بل هو أكثر الجمع أصـحاباً وأفـضلهم اتباعاً وأنجبهم طلاباً ثم أبومحمد بن أبي زيد في هذه الطبقة أيضاً[1] .

ولهذا كان أبوبكر كثير المطالعة لهذه الأمهات والتي كان من بينها المدونـة التي يقال : ((إنه قرأها خمساً وسبعين مرة))[2] ولاشك عندي أن هذا التعليـق الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ بالمدونة جعله يقبل بنفس الجمـاس علـى مختصرها الذي كتبه ابن أبي زيد وخاصة أن من كتبه العالم المـالكي القـيرواني الذي درس واستفاد من الشيوخ القيروانيين الأجلاء ، ومن هنا كانت العلاقـة المثبتة إلى أبعد الحدود بين ابن أبي زيد وأبي بكر الأبهري .

وقد ورد في المدارك أن ابن أبي زيد قد بعث تلميذيه محمد بـن خلـدون وإسماعيل بن عذرة من مكة إلى بغداد ومعهما كتاب المختـصر إلى أبي بكـر الأبهري وابن مجاهد الطائي مجيزاً روايته لهما ولمن رغب في ذلك ، وقد سبق ذلك في ترجمة محمد بن خلدون وإسماعيل بن عذرة في هذه الأطروحة[3] .

٣) - أبوبكر الباقلاني ٤٠٣هـ :

هو أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بالباقلاني سمع من أبي بكر بن مجاهد الأصول ، وعلى أبي بكر الأبهري الفقه وغيرهما من الأئمة العلماء

---

(1) المدارك ٤٧٠/٤ .

(2) المدارك ٤٦٨/٤ .

(3) انظر المدارك ٤٧٨/٤ .

كالقطيعي وابن ماشا وسكن بغداد وإليه رئاسة المالكيين في قته[1].

وكان حسن الفقه عظيم الجدل ، وكانت له بجامع المنـصور - ببغـداد - حلقة عظيمة ، وكان ورده في كل ليلة عشرين ترويحة ، ماتركهـا في حـضر ولاسفر ، وكان إذا قضى ورده جعل الدواة أمامه ، وكتب خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه ، وكان الكتب بالمداد أسهل عليه من الكتب بالحبر[2] .

قال القاضي عياض : ((وتخرج على يده كثير من علماء القرن الخامس منهم أبو محمد عبدالوهاب بن نصر المالكي من البغداديين ، وعلى بن محمد الحـربي ، وأبوجعفر السمناني ، وأبو عبدالله الأدري ، وأبو الطاهر الواعظ ، رحمهم الله ، ومن اهل المغرب أبو عمر ابن سعد ، وأبوعمران القاسي[3] وأميل إلى مـاذكره المؤرخون ضمن تلاميذ ابن أبي زيد وان لم يجلس إليه ولم يطلب منه إجازة لكنه اطلع على كتبه ودرسها على يدي بن مجاهد الطائي ا از فيها من طرق ابن أبي زيد وبحكم معرفة الباقلاني بعلم ابن أبي زيد وفضله ، فقد اثنى عليه عندما حكمه اهل القيروان في الخلاف الذي جد بينهم وبين ابن أبي زيد حول قضية كرامات الأولياء ونفى أبي زيد لقول بعض المتصوفة من إمكانية رؤية الله في الـدنيا بمـا أثارهم عليه فشنعوا عليه موقعه هذا وانطلقوا إلى بغداد لتحكيم الباقلاني لأنـه كان من المتبحرين في علم الكلام وقد كتب كتاباً في هذا الموضوع إثـر هـذه الحادثة ذكر فيه أبا محمد وأثنى عليه واعتذر عما نسب إليه من إنكار الكرامات ، ويقول القاضي عياض في وصف فطنة وذكاء الباقلاني : ((وكان أرشـدهم في ذلك وأعرفهم بغرضه ومقداره ، إمام وقته القاضي أبوبكر بن الخطيب الباقلاني فإنه بين مقصوده))[4] .

---

(1) الديباج ٢٢٨/٢ .

(2) الديباج ٢٢٨/٢ - ٢٢٩ .

(3) المدارك ٥٨٦/٤ - ٥٨٧ .

(4) المدارك ٤٩٥/٤ ، وانظر كتاب د. الدرقاش ٢٤٢/١ .

وله تواليف كثيرة في الكلام وأصول الفقه ، وإعجاز القرآن وغيرها كثير[1].
توفى في يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة[2] .

المبحث الرابع :

---

(1) المدارك ٦٠١/٤ - ٦٠٢ .
(2) الديباج ٢٢٩/٢

ثقافة ابن أبي زيد :

سبق أن ذكرت موجزاً يعرف بابن أبي زيد وأنه أحد أبناء تونس ، أصلاً ومنبتاً ونشأة ، عاش بالقيروان وتعلم ا وقام برحلات إلى البلاد العربية لأغراض مختلفة زادته علماً وثقافة . تفاعل مع أهل عصره وناصر بعض الحركات يقوده في ذلك حصافة العقل وسداد الرأى . واجتهد في علمه وتبنى ثقافته على المنطق والبرهان ، وعمل على ذلك حتى اعتبره العلماء والمؤرخون صاحب عبقرية وموهبة نادرة ، ويتحدث في هذا الاتجاه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور واصفاً ثقافة ابن أبي زيد فيقول : « ... وكات اتجاهه إلى تفريع الفقه وتحقيقه وضبط مبادئه ، التقدمية ، فعقد صلاته الفكرية منذ نشأته الأولى بمراكز الثقافة الفقهية وارتوى من منابعها فكانت صلات أخذه وتخرجه على شيوخ إفريقية ، وأخصهم به أبوبكر بن اللباد ، وشيوخ الأندلس وأخصهم الأصيلي ، وشيوخ فاس وأخصهم دراس بن إسماعيل ، وشيوخ مصر وأخصهم ابن شعبان صاحب الزاهي ،فاجتمعت لديه بذلك نفائس الآثار وتلاقى في كنفه متباعد الأنظار[1] » وزاد الشيخ في قوله وقد أعانه ذلك التكوين الممتاز على أن يرجع بالفقه إلى صفائه العلمي ويفكه من قيود الجدليان والعصبيان وأن يسلك في خدمة المذهب المالكي مسلكاً فريداً بضبط ماتناثر في مصادره من الأقوال[2] كان تكوين ابن أبي زيد الفقهي تكويناً علمياً ممتازاً يتضح ذلك من كثرة الشيوخ الذين أخذ عنهم وتعدد المنابع التي استقى منها ويبدو أن دافعه لذلك التكوين الممتاز فترة التحدي التي عاشها والإستفزاز الذي بدأ من العبيديين حيال المذهب المالكي والمذاهب السنية بعامة ، وهذا هو الذي دفع ابن أبي زيد للحرص على طلب العلم ليذود عن المذهب المالكي ويدافع عنه كما اشتهر عنه.

وقد كان شأنه في أخذ العلم شأن سلفه الأوائل كعلي بن زياد ، وأسد ابن

(١) إعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ص٤٧ ، وانظر مقال الاستاد حسين المزدغي في الملحق الثقافي التونسي بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة ابن أبي زيد يوم الخميس ٢٩/أوت ١٩٩٦م ص٢ .

(٢) المصدرين السابقين بنفس الصفحة .

الفرات ، وسحنون ، إذ ضم إلى شيوخه القيروانيين شيوخاً أخرين من فاس والأندلس عند وصولهم للقيروان ، كما لم يفته مع ذلك أن يأخذ عن شيوخ الحجاز والعراق إبان وجوده في مكة ، كما أن شيوخه كانوا مزيجاً من العالمين بالفقه ، والحديث ، واللغة ، والأدب والعقيدة وعلم الكلام ، وعلوم القرآن ، والرقائق إضافة لما اسسموا به من الزهد والورع ، و ـذا انعكس التكوين العلمي الممتاز لابن أبي زيد القيرواني على كثرة إنتاجه وخصوبته وتعدد نواحيه ، إذ تذكر التراجم أن له كتباً في العقيدة ، والمواعظ ، والنصح ، والرقائق وعلوم القرآن ، والحديث ، وعلم الكلام ، والفقه .

كما كان شاعراً ، رثى شيوخه بقصائد بليغة[1] وفي ذلك يقول ابن أبي زيد «العلم لايأتي إلا بالعنان والمباحثة والملازمة مع هداية الله تعالى وتوفيقه » ، ثم قال عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، العلم بالتعلم والحلم بالتحلم وذكر ابن أبي زيد حال ابن المسيب على أنه يسير الليالي في طلب الحديث الواحد وقد كان يرحل إلى المدينة في المسئلة الواحدة[2] .

وأن الدارس لما هو موجود من تأليف ابن أبي زيد مخطوطاً كان أو مطبوعاً أو ماتناقله عنه تلاميذه وما أوردته عنه كتب التاريخ والتراجم والطبقات من مواقف وآراء في بعض القضايا التي عاشها مجتمعه ليدل دلالة واضحة ويقينية على ابن أبي زيد لم يكن من الفقهاء العاديين الذين يكتفون بالنقل عمن سبقهم ويفتون به بدون أعمال فكر وشحذ نظر وعقل .

بل كان ابن أبي زيد من العلماء الذين لايقبلون الأحكام على عواهنها والأمور على ظواهرها ، وإنما كانت طريقته تقوم على الإلتزام بمنهج الإمام مالك يرده إلى صفائه العلمي وتخليصه من أوشاب الجدل والايغال في النظريات ، بما امتاز به من دقة النظر التي مكنته من أن يضع كل حكم في نصابه مع ضبطه لأركانه وشروطه في استخراج أحكام الجزئيات من الكليات والفروع من

(١) رسالة د. خليفة بابكر الحسن ص٦٧ - ٧٤ ، ملتقى ابن أبي زيد .

(٢) مقدمة النوادر والزيادات الصفحة ١ ط مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس .

الأصول سالكاً في هذا الاستخراج منهجاً يقوم على الاعتماد على ماصح من النص الشرعي من قرآن وسنة وقياس واجماع مرجحاً لبعض الأحكام على بعض تبعاً للمصالح ماكان منها مرسلاً وماسدت به الذرائع مع اعتباره للأعراف وماجرت عليه عادة القوم في العصر ، ولهذا فإبن أبي زيد يمكن اعتباره من المجتهدين داخل المذهب المالكي[1] .

وقد وازى بصنيعه هذا القاضي أبابكر الأبهري بالعراق وابن عبدالبر في الأندلس من فقهاء المالكيةكما وازاه بالكرخي ، والجصاص والسمرقندي من فقهاء الحنفية[2] ، ويزيد د. الدرقاش على ذلك فيقول : « ومثله في ذلك مثل أبي يوسف القاضي داخل المذهب الحنفي والبويطي (٢٣١هـ) داخل المذهب الشافعي ، وابن هانئ الأثرم داخل المذهب الحنبلي »[3] .

ومما ساعد ابن أبي زيد بعد توفيق الله عزوجل على هذه النشاطات العلمية الحرة حفظه جيداً للقرآن ومعرفة دقيقة بعلومه وتمكنه من السنة ، وسعة اطلاعه على نصوصها ولا أدل على ذلك من إيراده لأكثر من أربعة آلاف حديث في كتابه « الرسالة »[4] .

كما أبان نبوغه صنيعه في النوادر والزيادات التي جمع فيها ماتفرق في كتب المذهب المالكي قبله مع إضافة الزيادات التي هي عبارة عن الحوادث التي حدثت في عصره وتنزيلهما في ضوء ماجاء في تلك الكتب[5] .

وإن مافي النوادر والزيادات أضعاف عدد مافي الرسالة ، ولهذا وصفه ابن فرحون في الديباج بأنه جامع مذهب مالك وشارح أقواله[6] ويضاف إلى هذا كله تبحره في العربية وعلومها حتى غلب الأسلوب الأدبي على كتبه الفقهية

(١) انظر كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٨٣/١، وانظر: الملتقى ٧٥ ، كتبه د. خليفة بابكر الحسن.

(٢) وانظر المصدر السابق بنفس الصفحة .

(٣) أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني حياته وآثاره للدكتور الدرقاش ٢٨٣/١ .

(٤) انظر : الجامع من السنن ص55 ط بيروت .

(٥) انظر أعلام الفكر الإسلامي ص٤٨ .

(٦) الديباج المذهب ٤٢٧/١ ، دار التراث ، القاهرة .

ورسائله العلمية في شتى مجالات المعرفة .

إن كل هذه المميزات وكل هذه المؤهلات قد تجمعت واتحدت وتعاونت في بناء شخصية أبي محمد بن أبي زيد العلمية ، مما جعله بحق عالم المائة الرابعة ومجددها وقد لاحظ الحجوى ذلك في كتابه حيث قال : « يعتبر ابن أبي زيد من الطبقة العالية من المؤلفين وعندي إنه أحق من يصدق عليه حديث : يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل سنة من يجدد لها أمر دينها »[١].

وقد كان في علمه نشيطاً في تصرفاته الإصلاحية غزيراً في إنتاجه حتى قال أحد الباحثين إن عدد مصنفاته واحد وأربعون كتاباً وقال:« إن مصادرنا المدارك والمعالم والديباج لاتدعى أ ا أعطت قائمة كاملة لمؤلفات مترجمنا ويشير من ناحيه ثانية إلى أنه ألف عدداً كبيراً آخر لايقل أهمية عن المذكور منها »[٢].

وبما تقدم يثبت لنا مالهذا ا ـدد من دور فعال في إثراء الفكر الإسلامي في القرن الرابع وتوجيهه والعمل على صموده ، وخاصة بعد أن بدأت علامات الانحلال السياسي تدب في هياكل الدولة العباسية ببروز الدويلات ، وبعدد الإمارات وتنوع الألقاب ، واختلاف المشارب والأهواء ، وتعاكس الطموحات والأغراض ، وبذلك بدأ العد التنازلي لقوة الدولة العباسية السنية تتراجع أمام القوى المتدفقة من المشرق الأعجمي ومن المغرب العبيدي .

إن الحركة التجديدية التي قادها أبو محمد في القرن الرابع ماهي إلاّ لمحاربة ترهات الروافض وتمحلات المعتزلة وتمنطقهم وغلو بعض دعاة التصوف فيما يعارض العقل والدين والفطري السليم .

إن الكلام بمثل هذه القضايا الثلاث كنماذج لما حدث في ا تمع القيرواني في القرن الرابع كفي بإعطائنا صورة صادقة عن هذه الحركة التجديدية لأبن أبي زيد والتي كان قوامها عقيدة فطرية سمحة موردها قرآنٌ كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، وسنة شريفة طاهرة نقية من الأكاذيب وطهرت من

---

(١) الفكر السامي ١٢٠/٣ .

(٢) كتاب ابن أبي زيد ٢٨٤/١ د. الدرقاش .

الأراجيف ، وثبتت أسانيدها وصححت متو ا[1] .

ولئن كان ابن أبي زيد فقيها مجتهداً غلبت عليه الصفة الدينية فإنه كان أيضاً ذواقاً للأدب والشعر بل إن له تأليف في ذلك مايزال بعضها موجوداً إلى اليوم محفوظاً في خزائن الكتب الأجنبية بعد أن وقع ريبه إليها في عهود التخلف والانحطاط ، وسأذكر نماذج منه عند ذكري مؤلفات ابن أبي زيد . وكذلك كان له إلمام بعلم الحديث وتوثيقه حتى استحق به ثناء العلماء عليه في هذا الفن بسعة العلم وكثرة الرواية . لقد كان ابن أبي زيد من كبار المحدثين ، وإن غلب عليه لقب الفقيه ولا أدل على ذلك مما تقدم على الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال[2] .

يقول العلامة ابن خلدون في تاريخه : « وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فتجرد العلم وتعلم إ ا اتخاذ تعليم وطرق توصيل ، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام من الملكات ، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثر مما من المشيخة عن تعددهم وتنوعهم . فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»[3] .

وكان ابن أبي زيد ممن يقول بالإجازة[4] ، ويتوسعون فيها ، وقد استجاز كثيراً من شيوخه واجاز عدداً من تلاميذه كما تقدم ذكر ذلك ، ولهذا يرى صحة الإجازة للمجهول إذا كان موجوداً ومعينا من حيث الجملة[5] .

أما من حيث التوثيق فقد عرف ذلك لابن أبي زيد بالشهرة والاستفاضة ، وتدعم بأقوال النقاد والمصنفين الذين لهجوا بالثناء عليه ، وذكر فضائله وعلمه .

---

(١) أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني حياته وآثاره وكتاب النوادر والزيادات للدكتور الدرقاش ٢٨٥/١ .

(٢) تاريخ ابن خلدون ٦٢٧/١ ، الفصل الحادي والأربعون .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٦٢٧/١ ، الفصل الحادي والأربعون .

(٤) انظر اتحاف ذوى البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه ٣١٧/٣ - ٣١٨ .

(٥) انظر مدرسة الحديث بالقيروان ٦٤٢/٢ .

ولقد بالغ العلماء في الثناء عليه . قال الإمام القابسي (ت٤٠٣هـ) العالم بالحديث والرجال« كان أبو محمد إماماً مؤيداً،وموثوقاً به في الدراية والرواية »[1] والإشادة بعلمه وإلمامه بالحديث وعلومه ، وكثرة الرواية قال الدباغ : « كان متفننا في علوم كثيرة منها : حديث رسول الله ﷺ، ومعرفة رجاله ، واسانيده وغريبه »[2].

له مؤلفات في السنة ، منها كتابه : « الجامع في السنن والآداب » ، وقد احتوى على ١٦٩ حديثاً منها ٣٥ حديثاً في الصحيحين ، و٤٢ حديثاً في الموطأ، وكتاب الاقتداء بأهل السنة ، وله كتاب دون فيه مروياته الحديثية يوجد بعضه في المتحف البريطاني[3] .

كما كانت مصنفاته الأخرى مشتملة على أحاديث كثيرة .

وخاصة كتاب النوادر والزيادات . كما يروى كثيراً من كتب السنة مثل : الموطأ ، وتفسير غريب الموطأ وغيرها[4] .

ولقد اشتمل باب العلم من كتاب الجامع على مسائل متعلقة بأصول الحديث كمسألة التحديث بخبرين مختلفين وأنه لايقع من الأئمة والرواية بالمعنى وزيادة الحرف ونحوه في الحديث وهل يؤخذ الحديث عن الثقة إذا لم يكن يحفظ حديثه ؟ وصيغ التعبير عن القراءة على العالم وماذا يقول من حضر القراءة على المحدث والمناولةالمعتزله بالإجازة ونحو ذلك كما أشار إلى أنه طرق عدة مواضيع متشا ة

المبحث الخامس :

مؤلفات ابن أبي زيد :

أشاد د. بو الأجفان على اهتمام ابن أبي زيد بالتصنيف والتأليف مما أدى إلى نجاح عمله قال : « وقد اثمر هذا البذل عديداً من المؤلفات في الفقه وأصول

---

(١) المعالم ١١٠/٣ .

(٢) انظر المدارك ٤٩٢/٣ ، المعالم ١١٥/٣ .

(٣) مكتبة المتحف البريطاني ٨٨٨/٢ ، ٨ .

(٤) انظر سير أعلام ١١/١٧ ، فهرس ابن خير ٩١ ، الجامع ١٤٥ .

الدين، والقرآن الكريم، والزهد ،والرقائق، والرد على المبتدعين المتأوئين للسنة ويمكن تنويعها - بصفة عامة - إلى نوعين أولهما الكتب التي تتناول مسائل الفن الذي يكون موضوع التأليف ، وثانيهما الكتب التي تم بمواضيع معينة تبحثها وتعرض أحكامها ، وهذه الأخيرة كثيراً مايكون تأليفها استجابة لظرف خاص ومعالجة لأمر استدعى البيان والتفصيل »[1].

وإذا كان يعتد في وزن الرجال وتقدير مكانتهم العلمية بشهادة العلماء لهم وآرائهم فيهم فذلك يتمثل في قول القاضي عياض : « وملأت البلاد تواليفه ، عارض كثير من الناس أكثرها ، فلم يبلغوا مداها مع فضل السبق ، وصعوبة المبتدأ »[2].

إن هذه التواليف التي ملأت الدنيا حسب قول القاضي عياض لانعرف إلا القيليل من اسمائها ولم يصلنا منها إلا الأقل ، ولعل هذا يرجع إلى ماشاهدته القيروان من الحروب الطاحنة وخاصة الهجمة البربرية لبني هلال ، وقد اهتبل أعداء الإسلام وقت غفلة المسلمين عن تراثهم ونقلوها -التراث- الى ديالرهم وصاروا يتاجرون به . لقد كانت بلادنا الإفريقة والمغرب مثل أخوا م العرب في شدة الإهتمام والعناية بمؤلفات علمائهم ، ظهر ذلك من خلال اهتمامهم بروايتها و نسخها والمحافظة عليها حسب جهدهم وطاقا م .

وذكر الباحث د. الدرقاش عن العلامة الموريتاني مختار ولد حامد : « لقد بلغ كتاب الرسالة إلى هذه الاصقاع في أواخر القرن الرابع حيث كان كتاب التدريس الأول الذي كون النخبة المتعلمة من اجيال هذه المنطقة ، وقد لاقت كتبه الأخرى نفس الأمر من حسن القبول ،ومن شدة الإقبال وذلك لأمرين هما:

أولهما : ارتباط موضوعات هذه الكتب بقضايا العصر الأمر الذي يجعل لها أبعاداً مستقبلية .

والثاني : سهولة العرض ووضوح المنهج والإحاطة بالموضوع المعروض في

---

(١) كتاب الجامع بتحقيق بو الأجفان ص٤٣ .

(٢) المدارك ٤٩٣/٤ .

كل جوانبه والإجابة عن كل ماقد يخامر ذهن المطالع أو القارئ »[1].

وأرى أن هذين الأمرين من الأسباب التي دفعت أهل المغرب وغيرهم أيضاً لمزيد العناية بمؤلفات ابن أبي زيد ولم يتقاعسوا لحظة عن دراستها وتدريسها والرجوع إليها بحيث إن هذه الكتب قامت في القرن الرابع بما كانت تقوم به المدونة في القرن الثالث فإن أغلب مؤلفات ابن أبي زيد ماعدا : « النوادر والزيادات والرسالة ، والمختصر والتهذيب كانت عبارة عن إجابة عن حادثة معينة أو رد على بدعة شيعية أو نقضاً لمزاعم كلامية أو تكذيبا للشعوذة » ، و ـذا نرى أ ـا ذات أهمية لتضمينها اهم الموضوعات في العقيدة التي تحمى ا ـتمع من الآفات ، الانحرافات العقائدية الضالة المضللة .

يقول الشيخ النيفر : « وبالجملة فقد بلغ أبو محمد من العلم شأواً عظيماً وأعاد إلى السنة اعتبارها »[2] ، بعد أن كانت أميتت في عهد العبيديين ، وقد عاش ابن أبي زيد بعد خروج الرافضة من إفريقية ثلاثاً وعشرين سنة ، لكنها دأب ونشاط في نشر العلم فأنسى أهل إفريقية السنوات الكالحة التي عانوها تحت نيران الاستعمال الباطني ، حتى إن صاحب الفكر السامي قد اعتبره ا ـدد الذي بعثه الله لأهل إفريقية وماجأورها[3] أما بقية مؤلفاته الأخرى فهي من صنف آخر وهي الكتب التي الفت في ميدان اختصاصه وفي مجال نبوغه وهو علم الفقه . وهذه الكتب عبارة عن موسوعات فقهية لمختصر المدونة الذي يقول فيه ابن النديم في الفهرست بأن فيه خمسين ألف مسألة وإن شكك في هذا العدد ، وكتهذيب العتبية وكالنوادر والزيادات الذي جاء جامعاً لأقوال الأئمة وآراء العلماء وتخريجات المرجحين مع بروز شخصية مؤلفه بروزاً واضحاً ، وسأتكلم عن هذا - إن شاء الله - في موضعه في هذا البحث .

يقول العلامة محمد الفاضل بن عاشور عن كتابه النوادر والزيادات : « لم

(١) كتاب ابن أبي زيد ٣٣٥/١ - ٣٣٦ .

(٢) مدرسة الحديث بالقيروان ٦٣٩/٢ .

(٣) الفكر السامي ١١٦/٢ .

يزل على قلة نسخه الخطيه من أعظم الكتب الفقهية وأعو ا على تكوين الملكة الفقهية الحق ، والتخريج على حسن الفهم ودقة الت يل وبراعة التعليل ، فقد جمع فيه صور الحوادث التي لم تنص أحكامها في المدونة ، واهتم بأكثر الصور التي لم تنص أحكامها في المدونة ، وأهتم بأكثر الصور التي تعرض في عصره في القيروان ، فبين أحكامها بحسب ت يل النقول وتحقيق مناطها أو بالجواب عنها مما يتخرج من الأصول أومن النقول على سنة الاجتهاد في المسائل[1] .

وابن أبي زيد يؤثر ـذا الكتاب الضخم ذوى الدراية والملكة الفقهية والاختصاص في الشريعة حيث قال في مقدمة النوادر : « إعلم أن أسعد الناس ـذا الكتاب من تقدمت له عناية بالعلم واتسعت له دراية ، لأنه إشتمل على كثير من اختلاف العلماء المالكية . ولاينبغي الاختيار من الخلاف للمتعلم ولا للمقصر ومن لم يكن فيه محل لاختيار القول فله في اختيار المتعقبين من أصحابنا مقنع »[2] .

وبالإضافة إلى النقول الفقهية والفقه المقارن داخل المذهب فإن في هذا الكتاب شذرات من الأخبار والسير وآراء مالك في العقيدة ووصفاً لأحداث وأدوات وامتعة مما كان متعارفاً في عهود الإسلام الأولى . وهذا ما يجعل منه مادة صالحة للباحث التاريخي والاجتماعي[3] وذكر القاضي عياض قائمة كتب ابن أبي زيد فقال : « له كتاب النوادر والزيادات على المدونة مشهور أزيد من مائة جزء ، وكتاب مختصر المدونة مشهور ، وعلى كتابيه هذين المعول بالمغرب في الفقه وكتاب الاقتداء بأهل السنة ، وكتاب الذب عن مذهب مالك وكتاب الرسالة مشهور ، وكتاب التنبيه على القول في أولاد المرتدين ، ومسألة الحبس على ولد الأعيان ، وكتاب تفسير أوقات الصلوات ، وكتاب الثقة بالله ، والتوكل على الله سبحانه، وكتاب المعرفة واليقين ، وكتاب المضمون من الرزق،

---

(١) أعلام الفكر الإسلامي لابن عاشور ص٤٨ .

(٢) النوادر ٢/١ب .

(٣) كتاب الجامع لابن أبي زيد ، تحقيق بو الأجفان وعثمان بطيخ ص٤٥ .

وكتاب المناسك.ورسالة فيمن تأخذه عند قراءة القرآن والذكر حركه. وكتاب رد المسائل ، وكتاب حماية عرض المؤمن ، وكتاب البيان عن إعجاز القرآن ، وكتاب الوسأوس ، ورسالة إعطاء القرابة من الزكاة ، ورسالة النهي عن الجدال ورسالة في الرد على القدرية ، ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي، وكتاب الاستظهار في الرد على البكرية ، وكتاب كشف التلبيس في مثله ، ورسالة الموعظة والنصيحة، ورسالة طلب العلم ، وكتاب فضل قيام رمضان ، ورسالة الموعظة الحسنة لأهل الصدق ، ورسالة إلى أهل سجلماسة في تلأوة القرآن ورسالة في أصول التوحيد وقد عقب القاضي عياض على هذا بقوله : وجملة تواليفه كلها مفيدة بديعة غريزة العلم(١) .

أن ماذكره القاضي عياض ومن جاء بعده كالدباغ وابن ناجي وابن فرحون عن تأليف ابن أبي زيد لايعتبر عدداً حقيقياً لها ، وإنما ذكروا مابلغ علمهم فقط إذ أن ماذكروه ليس جامعاً . ومن الممكن ان تكون القائمة أطول مما ذكروا ، ولا أدل على ذلك من كتاب أحكام المعلمين الذي ذكره ابن خلدون في المقدمة وأورد منه فقرة تبين الضرر الحاصل من وراء المبالغة في عقاب الأطفال عند تعليمهم ، وإعجابه بما ذكره الأستاذ احمد سحنون بعد ذكره تسعة وعشرين عنواناً من عنأوين كتب ابن أبي زيد عزا كلامه إلى النديم في الفهرست ص٢٩٧ ثم يقول : « ومما يلاحظ ان في المخطوطات التي وجدت له والمشار إليها سابقاً ماليس مذكوراً هنا ، كأحكام المعلمين والمتعلمين لذي ذكره ابن خلدون وجملة مختصرة من واجب أمور الديانات التي ذكرها المستشرق الأسباني كازيري ، والعقيدة التي شرحها أحمد زروق ، وذكر بروكلمان وجودها بمكتبة يني بتركيا وبذلك تكون مؤلفات ابن أبي زيد قاربت الأربعين لا ثلاثين كما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية(٢) .

وقد أشارت هذه الدائرة إلى الكتب الأخرى لابن أبي زيد زيادة عن كتاب

(١) المدارك ٤/٤٩٤ .

(٢) تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة لمحمد الخطاب تحقيق د. أحمد سحنون ص٣٤ .

الرسالة : أ) - مجموعة أحاديث بمكتبة المتحف البريطاني (فهرست المخطوطات الشرقية ٢/رقم ٨،٨٨٨ب ، (ب) - قصيدة في مدح النبي ﷺ : « انظر الفهرست مذكورة رقم ١٦١٧ : ١ »[١].

وأما بروكلمان فقد ذكر ماهو موجود بالمتحف البريطاني ، ثم أضاف أن المستشرق كازيري ذكر أن لابن أبي زيد كتاباً آخر هو : « المدخل إلى علم الدين والديانة » وهو مخطوط موجود بأسكوريا أول « ١٢٤١ » غير أن بروكلمان يشك في إضافة هذا الكتاب إلى ابن أبي زيد وذلك حسب البيانات الواردة عن مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض نقلا عن بروكلمان بصيغة التشكيك قائلاً : ولعله كان لابنه لا لأبيه[٢] وقد رجعت ترجمة ولديه أبي حفص عمر وأبي بكر أحمد فلم أجد أحدا ممن كتب عنهما ينسب الكتاب المذكور إلى ابن ابن أبي زيد وهذا جعلني أتشكك في صحة كلام بروكلمان ولعله وهم .

وقد طلبت نسخة من ذلك المخطوط عن طريق بيت الباحث العربي بالرياض وأفاد المركز بوجوده في اسكوريال أول ويحمل اسم عبدالله بن أبي زيد وليس اسم ابنه ، ولو كان الأمر كما ذكرؤه لذكروه ، وهذا الذي جعلني أميل إلى تصديق كازيري زيادة على ذلك ماذكره أغلب من ترجم لابن أبي زيد قولهم : «بأن تواليفه ملأت البلاد »[٣].

وبما أننا لانملك القائمة النهائية لمؤلفاته إذ من المحتمل أن يكون هذا الكتاب مما نسي ذكره بالقائمة . كما يوجد أيضاً بعض كتيبات من المتحف البريطاني ووريقات من منظومات ابن أبي زيد بدون رقم .

والآن سأعرض جملة ما وصلني من أسماء كتب ابن أبي زيد مع تقديم مجموعات الرسائل قبل مجموعات المؤلفات الموسوعية للفقه لتجنب التكرار ولإعطاء المزيد من المعلومات التي حصلنا عليها حول هذه الموسوعات وليسهل

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٨٨ط ديسمبر ١٩٣٣ .
(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢٩٠/٣ .
(٣) كتاب المدارك للقاضي عياض ٤٩٣/٤ .

الرجوع إليها مع مزيد الحصر لها ، نظراً لكثر ا ولتنوع مواضيعها .

كتب التربية والتعليم :

أحكام المعلمين والمتعلمين ، وقد انفرد ابن خلدون بذكر هذا الكتاب من بين المؤرخين ، وقد نقل د. الدرقاش مذهباً منأوئاً للهادي روجي إدريس قائلاً : « إن مثل هذه النسبة تبدو مشكوكاً فيها ولعل ابن خلدون أراد الحديث عن الكتاب المماثل الذي ألفه ابن سحنون أو ذلك الذي ألفه القابسي ، بيد أن د. أحمد سحنون أشار إلى الكتاب دون ذكره من جملة مؤلفات ابن أبي زيد»[1] وأؤيد د. الدرقاش فيما ذهب إليه بأن شك الهادي روجي إدريس ليس في محله لفقدان الحجة لديه فقد شكك روجي إدريس من قول ابن خلدون ثم شكك في إضافته لغير ابن أبي زيد وجعل الإضافة بتنازعها شخصان إذن فهو قد شك ثم دفع شكه بشك .

وليس من الغريب ان ينقل المتأخرون عمن سبقهم مع الزيادة بحكم التطور الذي شاهدته المناهج التعليمية من فترة إلى أخرى ، وكتاب أحكام المعلمين والمتعلمين الذي نسبه ابن خلدون لابن أبي زيد لاشك في نسبته إليه ، حيث إن الحسن القابسي من تلاميذ ابن أبي زيد وهو أصغر منه سناً ومن الذين امتهنوا نفس مهنة ابن أبي زيد ، فمشى على منواله ووضع كتابه : « الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين »[2] .

إضافة إلى ابن خلدون من المؤرخين المحققين الموثوق بنقلهم ، وقد أشار إلى اطلاعه على الكتاب وقرأه ولا أدل على ذلك من ذكره لفقرة منه جاء فيها : « وقد قال أبو محمد ابن أبي زيد في كتابه الذي الفه في حكم المعلمين والمتعلمين : لاينبغي

(١) كتاب أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني ، حياته وآثاره وكتاب النوادر والزيادات للدكتور الهادي الدرقاش ٣٣٩/١ .

(٢) معالم الإيمان ١٣٦/٣ .

لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضر م إذا أحتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً »[1] .

٢) - رسالة طلب العلم : ولاشك إن موضوعها هو طلب المعارف والسعي إليها والترحال من أجلها ، وقد كان أبو محمد في شبابه مثالا للرحالة من أجل طلب العلم .

٣) - رسالة فيمن تأخذه عند تلأوة القرآن والذكر حركة[2] .

ب) - المناظرات وا ادلات :

٤) - رسالة النهي عن الجدل[3] .

٥) - رسالة الرد على القدرية ومناقضة البغدادي المعتزلي[4] .

٦) - كتاب الذب عن مذهب مالك[5] .

٧) - كتاب الاستظهار في الرد على البكرية : « أتباع أبي بكر الصقلي»[6].

٨) - كتاب كشف التلبيس في الرد على البكرية[7] .

٩) - جزء في إثبات كرامات الأولياء[8] وابن أبي زيد كما اتجه في أغلب مؤلفاته إلى دعم مذهبه ونصرته وتوضيح أحكامه فإنه اتجه إلى مقأومة ماظهر من انحرافات عن المنهج الإسلامي الرشيد في عهده ومن ذلك أنه ألف « كشف التلبيس » وكتاب « الاستظهار في نقص كتاب لعبد الرحيم الصقلي »[9] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٦٢٦/١ الفصل الأبعون ، وانظر كتاب د. الدرقاش ط : ٣٣٩ .

(٢) المدارك ٤٩٤/٤ ، ولم أعثر على ما يفيدنا في معرفة موضوع الكتاب .

(٣) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٤) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٥) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٦) الديباج ٤٣٠/١ . ولعله أجاب أيضاً من خلال التأليفين على إسماعيل صوفي أ م بالزندقة وهو محمد بن عبدالله بن مسرة المارق ت٣١٩هـ ، والذي غالى في أقواله وسار في اتجاه الصقلي) الزركلي ، الأعلام ٩٥/٧ - ٩٦ ، والملتقى ص٢٦٩ - د. صادق الخوني .

(٧) الديباج ٤٣٠/١ .

(٨) المعالم ١١٣/٣ .

(٩) الديباج ٤٣٠/١ .

وقد انتهى المذكور إلى الخلط بين كرامات الأولياء الصحيحة وخوارق الشياطين الدجلة وبينما تزعمه الصوفية من خوارق العادات وليس كذلك كما أن الشيخ يدعو إلى التوكل على الله لأن التقليل من أهمية ربط الأسباب بمسببا ا وذلك بخلاف مسلك الصوفية الذي يدعو إلى فكرة التواكل وتقليل من أهمية ربط الأسباب بمسببا ا في هذا الكون ومن السنن الطبيعية فيه .

وقام البعض بالتأليف في الرد عليه من الأندلسيين والمشرقيين مثل أبي الحسن بن جهضم الهمداني ، وأبي عبدالله بن شق الليل ، وأبي عمر الطلمنكي. ولكن ابن أبي زيد لم يكن ينكر الكرامات الثابتة للأولياء الصالحين. وقد أوضح هذه الحقيقة وانصف ابن أبي زيد من المؤلفين في هذه القضية المثارة القاضي أبوبكر الباقلاني .

يقول القاضي عياض ، كان أرشدهم في ذلك ، وأعرفهم بغرضه ومقداره إمام وقته القاضي أبوبكر بن الخطيب الباقلاني ، فإنه بين مقصوده ، حيث حأول إيجاد تبرير لابن أبي زيد لمكانته العلمية ، فأشار إلى أن مادفع ابن أبي زيد إلى القول بما يفهم منه نكران الكرامات فهو انتقاد وضجر مما يصاحب ظاهرة الولاية والتصرف من مغالاة ومن ابتزاز للأموال وشعوذة . وهذا الطرح أو التبرير هو الذي ذهب إليه عالم مالكي من الأندلس يدعى أبا عمر الطلمنكي أحمد بن محمد بن عبدالله ت٤٢٩هـ ، والمتعاطف على ما يبدو - مع ابن أبي زيد[١] .

١٠) - كتاب الرد على مسرة المارق[٢] هذا العنوان من أطروحة هـ.ر. إدريس[٣] .

وفيها تعريف موجز ـذا المالكي القرطبي المشهور ٩٣١/٣١٩ الذي اهتم بالفلسفة والتصوف وتأثر بالتشيع ، كما نقل أيضاً روج إدريس نقلا عن فؤاد

---

(١) انظر المدارك ٤٩٥/٤ ، وكتاب الجامع بتحقيق ، أبو الأجفان ٤٥ - ٥٠ .

(٢) هو محمد بن عبدالله بن ميسرة المارقة ت٣١٩هـ ، لذى سخر جهوده للفلسفة والتصوف ، وتأثر بالمذهب الشيعي وأشارت المصادر إلى مروره بالقيروان . وانظر محاضرات ملتقى لابن أبي زيد ص٢٧١ ، ابن أبي زيد والصوفية د. الصادق الخوفي . وانظر الدولة الصنهاجية ٣٣٤/٢ .

(٣) اطروحة روجي إدريس ٣٣٤/٢ .

سزكين أن طبقات أبي العرب التميمي قد تضمنت قطعة من كتاب ابن أبي زيد المشار إليه ، وكنت لم أجد فيما نقل غير الإرشاد للكتاب دون أى بيان يتعلق بمضمونه .

جـ - دراسات قرآنية :

١١) - البيان في إعجاز القرآن[١] .

١٢) - رسالة إلى أهل سجلماسة في تلأوة القرآن[٢] .

د- دراسات فقهية لحماية ا تمع من البدع :

١٣) - كتاب الإقتداء بأهل المدينة[٣] وفي المدارك بأهل السنة[٤] .

وكتاب شجرة النور الزكية ، بأهل المدينة ، وفي كتاب العمر[٥] نقلاً عن فهرسة ابن خير ص٢٤٦ كالأمر والإقتداء ، والنهي عن الشذوذ عن العلماء وإيجاب الإئتمام بأهل المدينة ، وقد ذكرها حسن حسنى عبدالوهاب على أ ا ثلاثة كتب[٦] .

١٤) - كتاب أوقات الصلاة[٧] .

١٥) - كتاب فضل رمضان والاعتكاف[٨] .

١٦) - رسالة في إعطاء القرابة من الزكاة[٩] .

١٧) - مسألة الحبس على أولاد الأعيان[١٠] .

---

(١) المدارك ٤٩٤/٤ .
(٢) المدارك ٤٩٤/٤ .
(٣) فهرس ابن خير ص٢٤٦ .
(٤) المدارك بأهل السنة ٤٩٤/٤ .
(٥) كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين لحسن حسني عبدالوهاب .
(٦) انظر تحقيق عبدا يد تركي ص٦٥ في الهامش .
(٧) المدارك ٤٩٤/٤ .
(٨) المعالم ١١١/٣ .
(٩) المدارك ٤٩٤/٤ .
(١٠) الديباج ٤٢٩/١ .

١٨) - كاب التنبيه على أولاد المرتدين[١] .

١٩) - كتاب التبويب المستخرج[٢] .

٢٠) - كتاب مسألة النكاح بغير بينة[٣] .

هـ - دراسات عقائدية :

٢١) - رسالة في الكلام وقد شرحها أحمد رزوق وبذكر بروكلمان أن نسخة من هذا الشرح موجودة بمكتبة يني تحت عدد ٧٤٤ ، وقد حصلت على نسخة من المخطوط المذكور عن طريق مركز بيت الباحث العربي بالرياض وتمثل هذه الرسالة الفصل الأول من كتاب الرسالة المعروف لابن أبي زيد .

٢٢) - رسالة في أصول التوحيد[٤] .

٢٣) - كتاب المعرفة واليقين أو كتاب المعرفة واليقين والتوكل[٥] .

٢٤) - كتاب المدخل إلى علم الدين والديانة[٦] .

٢٥) - كتاب الثقة والتوكل على الله[٧] .

٢٦) - كتاب رد الكثير من الوسواس أو كتاب الوسواس[٨] .

(و) - مواعظ وتوجيهات :

٢٧) - كتاب الرد السائل أو رسالة في رد المسائل[٩] .

٢٨) - رسالة الموعظة والنصيحة[١] .

---

(١) الديباج ٤٢٩/١ .

(٢) هداية العارفين ا لمد الأول ص٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٣) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش عن الهادي روجي إدريس .

(٤) شجرة النور الزكية ص٩٦ .

(٥) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٦) بروكلمان ٢٩٠/٣ .

(٧) الديباج ٤٢٩/١ .

(٨) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٩) الديباج ٤٢٩/١ .

٢٩) - رسالة الموعظة الحسنة لأهل الصدق[٢] .

٣٠) - رسالة وعظ ا محمد بن الطاهر القائد[٣] .

(ز) - آداب وسنن :

٣١) - الكتب في الأحاديث والسنن[٤] .

٣٢) - الجامع في السنن الكبرى والآداب[٥] .

٣٣) - جملة مختصرة من واجب أمور الديانة[٦] .

حـ) - كتب أخلاقية :

٣٤) - المضمون من الرزق[٧] .

٣٥) - حماية عرض المؤمن[٨]

ط) - حكايات وأدعية :

٣٦) - حكايات عن ابن الحداد ، قد يكون هذا الكتاب حوى مناظرات أبي عثمان بن الحداد مع العبيديين وصلت إلى ابن أبي زيد عن طريق شيخه عبدالله بن سعيد ابن الحداد حيث أن ابن أبي زيد كان تلميذاً لأبي عثمان بن الحداد ٣٠٢هـ[٩] .

٣٧) - كتاب الدعاء ، ذكره حسن حسني عبدالوهاب في ذات المكان من الكتاب المذكور مع الإحالة إلى مخطوط المتحف البريطاني في ثلاث ورقات برقم

---

(١) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٢) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٣) المعالم ١١١/٣ .

(٤) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٥) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٦) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٧) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٨) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٩) المعالم ١١١/٣ ، ٦٤٨/٢ كتاب العمر .

٢٦٨٨٢ ، وأضاف فؤاد ، سزكين - (تاريخ التراث ، ج ، ص١٦٠) وبعد أن قال : شعر في مدح النبي ﷺ أن التأليف من مجموع من ورقة ٨٠ظ إلى عدد ٨٢ وأن رقمة القائم هو : المتحف البريطاني ١٦١٧ ، الملحق ٢٦٨٨٢ ، وأن تاريخه هو القرن الثاني عشر للهجرة(١) .

٣٨) - مجموعة من القصائد في مدح الرسول ﷺ (٢) .

٣٩) - قصيدة في البعث نقل عبدا يد تركي عن روجي إدريس مقالة في الدائرة التونسية وفيه إحالة على مخطوط رقم ٥٦٧٥ من المكتبة الوطنية بباريس. وقد تحصلت على نسخة منها مصورة من باريس عن طريق ا. د. محمد بو الأجفان القيرواني .

هذه جملة من الكتب والرسائل التي دونت في مواضع متنوعة ولأسباب متعددة وفي ظروف مختلفة ، وهناك كتب أخرى لابن أبي زيد وسأفصل فيها القول فيما يلي إن شاء الله .

٤٠) - ذيب العتبية : من أمهات الكتب المالكية التي عكف عليهاأهل الأندلس في حين عكوف أهل القيروان على المدونة ، وكتب أهل الأندلس عليه ما شاء الله ان يكتبوا ، مثل ابن رشد وامثاله(٣) ذكر ابن فرحون أن العتبيه والمستخرجة من كتب الفقه المالكي الأندلسي الفها الفقيه القرطبي المعروف بالعتبي (ت٢٥٥هـ) وأنه مصدر من مصادر النوادر والزيادات قام ابن أبي زيد بتهذيبها فوضع مايعرف بكتاب ذيب العتبية قال : ونقل الدرقاش عن روجي إدريس أن ذيب العتبية نفس الكتاب المذكور في الفهرست بعنوان : «التبويب المستخرج » وهذا الكلام عارى عن البرهان ، إذ من الممكن أن يكون كتاب «التبويب المستخرج » هو كتاب منفرد لابن أبي زيد وما أكثر كتبه التي فقدت

(١) انظر تحقيق عبدا يد تركي ص٦٩ .

(٢) بروكلمان ٢٨٩/٣ ، توجد مجموعة منها من ضمن مخطوطات دار الكتب الوطنية بتونس عدد ٢٥٠٩ .

(٣) انظر المقدمة لابن خلدون ٤٨٢/١ .

وضاعت بضياع اسمائها[1] ، ذكر حسن حسني عبدالوهاب أن منه مخطوطات لمكتبة العتيقة بالقيروان يتمثل في قطعة منها مصورة على الميكرو فيلم بمعهد الآثار بتونس[2] .

٤١) - مختصر المدونة هو تلخيص الحبير لكتابين من كتب الأمهات في المذهب المالكي وهما الأسدية المعروفة بالمختلطة ومدونة سحنون المنقحة واعتمد على ذلك بما قاله ابن خلدون « ثم اختصر ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر »[3] ، ولهذا صار هذا الكتاب حافلاً بالمسائل ثرياً بأقوال الشيوخ والعلماء . وقد ذكر النديم ان المختصر كان يشتمل على خمسين ألف مسألة[4] بزيادة أربع عشرة ألف مسألة على مافي المدونة والتي تبلغ عدد مسائلها ستة وثلاثين ألف مسألة[5] ، فالأربع عشر ألف مسألة الزائدة هي جملة المسائل التي أتى ا ابن أبي زيد من مختلطة أسد وغيرها . وبذلك ترى أن صاحب المختصر لم يتوقف على مسائل المدونة بل تجأوزها إلى غيرها وإذا ماعلمنا ذلك انتفى شك الباحث الهادي إدريس في عدد مسائل المختصر لأنه لو انتبه جيداً إلى نص ابن خلدون لعرف أن مختصر المدونة هو حقيقة مختصر لكتابين لا لكتاب واحد وإن اشتهر باسم أحدهما نظراً لكثرة المسائل التي أخذها منه ، فقيل مختصر المدونة[6] . وقد لاقى كتاب المختصر حسن القبول من علماء المشرق والمغرب كما ذكرت

---

(١) كتاب الدرقاش ٣٤٤/١ .

(٢) تحقيق عبدا يد التركي ص٦٥ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٤٨٢/١ .

(٤) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٥) المدارك ٥٢٦/٢ .

(٦) انظر : كتاب ابن أبي زيد ٣٤٥/١ .

سابقاً أن ابن مجاهد الطائي كاتب أبا محمد طالبا منه إجازته في تدريس مختصر المدونة والنوادر والزيادات وذلك في سنة ٣٦٨هـ . كما أن أبا إسحاق الجبنياني ٣٦٩هـ وهو من شيوخ ابن أبي زيد كانت له معرفة ـذا الكتاب[١] .

ومن علماء العراق الذين اعتنوا بمختصر المدونة القاضي عبدالوهاب ٤٢٢هـ ، حيث قام بشرحه أسماه « كتاب المهدي في شرح مختصر الشيخ أبو محمد صنع منه نحو نصفه »[٢] ، ويقول ابن خلدون أيضاً : يلاحظ أن المشيخة من أهل إفريقية لما ظهر تلخيص الخبير أبي سعيد البراذعي من فقهاء القيروان ، والمسمى بالتهذيب أخذوا به واعتمدوه وتركوا ما سواه ، وذكر عقيدة ابن أبي زيد وهي عقيدة بدت له تحوم على معنى : « اعتقادات السلف ومذاهبهم والإيمان ا كما هي بلاتأويل[٣] .

أما عدد مخطوطاته التي وصلت إلينا فقد ذكر فيها فؤاد سزكين بعنوان مختصر المدونة والمختصرة مما احتفظت به مكتبة القيروان بفاس ٣٣٩ ، وكذلك بتيمور بالقاهرة (فقه ٣٣٧) وأخيراً مكتبة القيروان مع قطع مختلفه[٤] .

وقد نقل الباحث المحقق عبدا يد تركي عن معلم موراني أن البحوث بتمور (فقه مالكي) هو عبارة عن قطع ، يحوي بعض ماتضمنه « النوادر » ، وذكر بالإحالة علىا لمد الأخير منه في مكتبة الأوقاف بالرباط في ٢٦٠ ورقة « رقم ٤٠٠ » . وأما عن القيروان فقد قال : إن هناك الكثير من الأوراق غير المرتبة وكراسات من الكتاب لاتزال موجودة في معهد أبحاث رقادة وأن البعض من الأوراق والكراسات قد تم تدوينه في القيروان في حياة المؤلف . ولاحظ في النهاية أن ما أورده سزكين عن السنن أو كتاب الجامع في السنن الذي تم تحقيقه من الشيخ محمد أبو الأجفان والشيخ عبدا يد تركي وأعوا ما - على أنه عنوان

---

(١) انظر المدارك ٥٠٠/٤ .

(٢) انظر المدارك ٦٩٢/٤ .

(٣)انظر المقدمة ٤٩٦/١وانظر كتاب الجامع لابن أبي زيد بتحقيق د.عبد ا يد تركي ص٦٣و٦٤ بتصرف

(٤) انظر : تاريخ التراث ١٤١/٢ ، وتتمثل هذه القطع المختلفة في الأوراق : ١٣٧ ، ١٥٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ - ٢٦٥ ، ٢٧٨ ، ٣٣٢ .

مستقل ليس في الحقيقة كما وصف ، إنما هو الجزء الأخير من مختصر المدونة واستشهد على ذلك بنهاية مخطوط القرويين رقم ٦٤٥ .

قلت : وإن هذا الأمر جار في القيروان إلى وقت سفرى إليها بتاريخ ١٤١٧/٢/٥هـ ، حيث جرى الحديث في جلسة بيني وبين بعض المسؤولين القيروانيين في حي سيدي عبيد برئاسة الأستاذ مراد بن مصطفى الرماح والشيخ الصادق مالك ، مفهرس المخطوطات برقادة فأفادوني بمثل ماتقدم من كلام الأستاذ عبدا يد تركي .

والذي يبدوا لي والله أعلم إن كل من خاض هذا الموضوع لم يجانب الصواب حيث إن كتاب الجامع هو عنوان مستقل كما صرح بذلك الأستاذ التركي والألماني في صدر كتابيهما كما أن بعضه يمثل الجزء الأخير من المختصر كما في تصريح المؤلف .

ويوضح هذه الحقيقة أيضاً العلامة حسن حسني عبدالوهاب في كتابه العمر: أن من مخطوط القيروان قطعة مصورة على الميكرو فلم بمعهد الآثار بتونس[(١)] ، وإن من المختصر ثلاث مخطوطات محفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس[(٢)] .

وإن بفاس جزءاً كبيرا في ٢١٥ ورقة من أول الكتاب إلى كتاب « إرخاء الستور » وذلك تحت رقم ٣٣٩ .

أما بقية بيانات العالم التونسي فتتعلق بكتاب الجامع لابكتاب المختصر[(٣)] وباعتبار أن جل كتاب مختصر المدونة قد فقد ولحفظ الله عزوجل لسنته قام الأستاذان من أبناء القيروان الشيخ محمد أبو الأجفان والشيخ عثمان بطخ بتحقيق كتاب الجامع ، وهو الباب الأخير من مختصر المدونة وقد أهداني المحقق بوالأجفان نسخة من تحقيقه على إثر زيارتي إياه في داره بتونس ، ويقول الشيخ

(١) ولوحتها من ١٣٧ إلى ١٥٨ ومن ١٩٩ إلى ٣٣٢ ، المصدر المذكور ص٦٤٦ .

(٢) رقم ١٢٥٣ (قطعة صغيره) ١٤٨٩٠/٣ (٣٢٠٩/٣ أحمديه) ١٤٨٩٤/٢ (١٣٢٣١/٢ أحمديه) .

(٣) كتاب العمر ص٦٤٥ و٦٤٦ وانظر تحقيق كتاب الجامع لعبدا يد تركي ص٦٥ .

بو الأجفان عقب تحقيقه : وهذا الكتاب كأنه مستقل غير مرتبط بكتاب آخر ، وهذه بدايته « الحمدلله الذي شمل الخلق بنعمة وبعث محمداً في أعقاب المرسلين برحمته بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فهدى الله عزوجل من أحب هداه فبعثه وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم به ، فقام في البلاد بحق الله حتى قبضه الله إليه قبضاً جميلاً صلوات الله عليه وبركاته..».

وهذه نهايته : « ... ثم كتاب الجامع من مختصر ابن أبي زيد رحمه الله ، وبه كمل جميع مختصر المدونة والمختلطة بحمدالله وعونه في السادس من شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة[1] .

وقد اعتمد الأستاذان محمد بو الأجفان وعثمان بطيخ في تحقيق الجامع نسخة الخزانة العامة بالرباط رقمها ١٧٨١ ، وأوراقها ٥٨ مسطر ا ٢٣ ، خطها مغربي ونسخة خزانة القرويين بفاس رقمها ٦٤٥/٤٠ أوراقها ٣٩ مسطر ا ٢٠ خطها أندلسي تم نسخها سنة ٥٣٢هـ[2] .

الرسالة : وهي من انفع التأليف لابن أبي زيد في الفقه المالكي ولعل هذا يرجع إلى مكانة مؤلفها العلمية من ناحية ، وبما امتازت به الرسالة من الخصائص من ناحية أخرى ، وبما حو ا من الفنون المتنوعة مثل العقيدة والفقه والآداب وعلم التربية .

ألف الشيخ ابن ابي زيد القيرواني الرسالة في فترة مبكرة من حياته إذ ألفها وكان عمره سبع عشرة سنة وكان ذلك في سنة ٣٢٧هـ[3]، قبيل إنتفاضة الفقهاء ، إبان ثورة يزيد الخارجي المعروف بصاحب الحمار[4] ، وعلى هذا لاشبهة فيها ولاغبار على نسبتها إلى مؤلفها

(١) انظر ص٣٠١ - ٣٠٢ ، تحقيق بو الأجفان لكتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني وكتاب الدرقاش ٣٤٧/١ .

(٢) كتاب الدرقاش ٣٤٧/١ .

(٣) المعالم ١١١/٣ ومقدمة كتاب الجامع ص٥٠-٥١ .

(٤) رسالة د. الدرقاش ٣٤٨/١ .

عبدالله ابن أبي زيد كما سلمت من الإعتراض على تاريخ تأليفها إلا أن الأقوال اختلفت في شخصية من طلب منه تأليفها ، الرواية الأولى تقول : إن ابن أبي زيد ألف الرسالة استجابة لطلب محرز - بفتح الراء -[1] بن خلف[2] الذي كان يشتغل بتعليم القرآن للصغار وينهض بمهنة تأديبهم وتربيتهم وتنشئتهم ومن ثم نزع إلى أن يشفع القرآن بالفقه فطلب إلى ابن أبي زيد أن يؤلف الرسالة التي تحتوي على ما يحتاجه الناشئة من أحكام أولية فأجاب ابن أبي زيد لذلك فكانت الرسالة .

وأما الرواية الثانية ، فهي مانقل عن الدباغ ت ٦٩٦هـ ، حيث قال : وأول تواليفه « الرسالة » كان الشيخ أبو إسحاق السبائي سأله وهو في سن الحداثة أن يؤلف له كتابا مختصراً من إعتقاد أهل السنة مع فقه وآداب ليتعلم ذلك أولاد المسلمين فألف الرسالة سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وسنه إذ ذاك سبع عشرة سنة[3] .

وقد رجح ابن ناجي ت ٨٢٩هـ مانقل أولاً وخطأ الدباغ فيما ذهب إليه.

إنما سأله تأليفها الشيخ المؤدب محرز بن خلف التونسي - وهذا هو الصحيح عندي - لأن في قول الشيخ أبي محمد (كما تعلمهم حرف القرآن) يدل على ذلك لأني لا أعلم أن أحداً ممن تعرض إلى مناقب أبي إسحاق السبائي ذكر أنه كان مؤدباً ولايقال : لامانع أن يكونا معاً سألاه وأسعفهما لأن إفراد الضمير في قوله (وإياك) يأباه[4] وإذا نظرنا في مجموع النصين نجدهما متفقين في كون كل واحد منهما منقطع الإسناد ، فالدباغ ذكر روايته بدون أن يذكر المصدر الذي

(١) انظر شرح مقدمة الرسالة للأستاذ الأمين الحاج محمد أحمد ص٩ .

(٢) هو أبو محفوظ أو أبو محمد بن خلف بن أبي رزين يربوع بن حنظله بن إسماعيل ابن أبي بكر الصديق كان صالحاً ، عابداً يقوم على التدريس بمدرسته ت سنة ٤١٣هـ ، انظر الملتقى ص٧٥ في الهامش .

(٣) المعالم ١١١/٣ .

(٤) المعالم ١١١/٣ .

استقى منه الخبر مع العلم أن الفاصل الزمني بين وفاته ووفاة أبي محمد هو عشرة وثلاثمائة سنة إذ توفي الدباغ سنة ٦٩٦هـ ، ولاشك عندي أن هذا يمكن فيه الشك في صحة مايراه ولاسيما أن القاضي عياض وهو أقرب زمناً إلى أبي محمد لم يذكر شيئاً من هذا .

بينما نرى أن رواية ابن ناجي ت ٨٣٩هـ أكثر انقطاعاً وأشد إغراقاً في الضعف وذلك لأن الشخصين اللذين أورد قوليهما واعتمده دون قول الدباغ هما شخصان لم يلتقيا معاً إذ توفى ابن سلامة التونسي سنة ٧٤٦هـ وتوفى البجائي سنة ٧٣١هـ[1].

وبالمقارنة بين الروايتين والوجهين نجد أن رواية الدباغ هي أقرب إلى التصديق من رواية ابن ناجي من حيث المبدأ ، وأما إذا نظرنا في النصين من حيث المتن فإنه يمكن لنا أن نسجل الحقائق التالية :

بالنسبة لنص الدباغ فإنه لايتضارب مع ماهو معروف من علاقة متينة بين أبي إسحاق السبائي وابن أبي زيد ، وذلك أن السبائي (٢٧٠ - ٣٥٦ هـ) كان من الشيوخ الذين انتبهوا مبكراً لذكاء تلميذه منذ سني دراسته عليه حتى أنه كان يقدمه على غيره ويستأنس بآرائه بدون أن يرى في ذلك حرجاً وهذا يدعم صحة ماجاء في متن رواية الدباغ من كونه طلب من ابن أبي زيد تأليف كتاب الرسالة سنة ٣٢٧هـ .

كان عمر السبائي وقتئذ ٥٧سنة ، أما لو انتقلنا إلى متن رواية ابن ناجي فإننا نجد أنه عندما الف ابن أبي زيد كتاب الرسالة سنة ٣٢٧هـ فإن المؤدب محرز بن خلف لم يولد بعد فقد أجمعت كتب التراجم على أنه ولد حوالى ٣٤٠هـ وقيل سنة ٣٤٣هـ[2] ، وذلك بعد تأليف الرسالة بحوالي ثلاث عشرة سنة أوست عشرة سنة على القول الثاني ومن هنا يستحيل أن يكون قد طلب تأليفها كما لايعقل

---

(١) انظر كتاب الدرقاش نقلا عن روجي إدريس ص٣٤٩ .

(٢) انظر بيبلو غرافيا عن الشيخ محرز بن خلف للأستاذ جمال حماده ص٢٥١ .

أن دى إليه وهو لايزال في عالم الغيب ، وبالعودة إلى كتاب الرسالة ذاته وإلى مقدمته خاصة نجد أن لغتها وأسلو ا هي لغة وأسلوب من مارس المهنة وخبر خصائصها فحصلت له من وراء ذلك تجربة عميقة وثرية وهذا ما لاينطبق على من كان عمره سبعة عشرة عاماً. وبذلك نصل إلى حد عدم وجود مرجحات ترجح من منهما طلب؟ ومن منهما أهديت إليه ؟ وهل وقع الطلب مرة واحدة أو مرتين .

وللخروج من هذا المأزق لابد من العودة ثانية إلى مقدمة الرسالة وإلى خاتمتها ، عندما نمعن النظر في المقدمة يجعلنا هذا الإمعان نتيقن ان كاتبها ليس حديث السن بل كان شيخاً قد عركته السنون وصقلته التجارب وانضجت خبرته التربوية وعملت معارفه العلمية حتى أصبح الفقه عنده ملكته .

ومن هنا جاءت الرسالة آية في الدقة تعبيراً وأسلوباً ومنهجاً مع شمول المسائل واحاطة بالأحكام نظراً لخلوها من تضارب الأقوال وكثرة الاختلافات حتى أ ا تظهر لقارئها أ ا أقرب ماتكون إلى النصوص الأدبية منها إلى الكتب الفقهية هذا بالإضافة إلى ماكتبه أبو محمد في مقدمتها حيث قال : « أما بعـ ـ ـ ـ ـ ـد: « قد أتينا على ما شرطنا أن نأتي به في كتابنا هذا مما ينتفع به إن شاء الله تعالى من رغب في تعلم ذلك من الصغار ومن احتاج إليه من الكبار وفيه ما يؤدي الجاهل إلى علم ما يعتقده من دينه ويعمل به من فرائضه ويفهم كثيراً من أصول اللغة وفنون ومن السنن والرغائب والآداب ... »[1].

و ذا كثر الإقبال عليها نظراً لموضوعها وما تحتويه من المعرفة الدينية حسب منهاج المذهب المالكي . ومن ثم فإنني لا استبعد أن يكون تأليفها بعد انتقال السلطة العبيدية إلى القاهرة لأن أهل السنة بعد هذا الانتقال انكبوا على التأليف في المذهب بعد أن كانوا مجندين للرد على بدع الروافض وكان أبو محمد في

---

(١) الثمر الداني في تقريب المعاني للشيخ صالح عبدالسميع الآبي الأزهري ص٥٢٧ - ٥٢٨ ، ط الثانية .

مقدمة هؤلاء ا ندين لهذه المهمة حيث ألف في ذلك رسائل عديدة فعلى هذا يمكن الإطمئنان إلى أ ا ألفت بعد ٣٦٢هـ ويكون عمر المؤدب محرز بن خلف وقتئذ حوالي العشرين سنة وهي سن تمكنه من أن يكون مدرساً للصبيان قبل انتقاله إلى تونس ، وأن يطلب من ابن أبي زيد تأليف مثل هذه الرسالة التي بين أيدينا الآن . أما القول بالنسبة لطلب السبائي من تلميذه ابن أبي زيد وضع كتابه لتعليم أبناء المسلمين جملة من العقائد والفقه سنة ٣٢٧هـ .

فالغالب على الظن أن الرسالة التي ألفها أبو محمد استجابة لطلب شيخه السبائي هي غير الرسالة التي طلب منه المؤدب محرز إذ من الممكن أن تكون رسالته الأولى مركزة أساساً على الناحية العقائدية في حين أن الرسالة الثانية وهي التي بين أيدينا الآن لاتشتمل إلا على باب واحد من الناحية العقائدية وهو تحت عنوان باب ماتنطق به الألسنة وتعتقده القلوب وتعلمه الجوارح من واجب أمور الديانات ، وقد شملتها خمس صفحات فقط من الكتاب تعرض فيه إلى الإيمان بالله وصفاته والرسل والكتب واليوم الآخر والجزاء والقدر خيره وشره .

والنظر الدقيق لايستبعد أن يكون هذا الجانب العقائدي هو عبارة عن تلخيص الحبير لما كتبه سابقاً عندما كان الصراع العقدي محترماً بين أهل السنة والروافض[(١)] .

و ذا الفرق يمكنني أن أقول إن الرسالة التي ألفها بطلب من السبائي هي غير الرسالة التي ألفها بطلب من المؤدب محرز بن خلف والتي توجد منها نسخة في المتحف البريطاني أو قد تكون رسالة العقيدة التي شرحها « أحمد رزوق » هي الرسالة التي ألفها ابن أبي زيد سنة ٣٢٧هـ بطلب من السبائي وذلك أن في ذلك الوقت كان عصر الشيعة العبيدية ولديهم السلطة والباع واسع في اضطهاد أهل السنة ولما كان الشيخ ابن ابي زيد يعرف مقدار قوة تلميذه فأمر تلميذه - ابن أبي زيد – بأن يتعرض لهؤلاء الشيعة لدحض حجتهم تفنيد عقائدهم ، وحينئذ لم يكن لخلف بن محرز وجود وذكر د. الدرقاش عن الهادي إدريس أن

(١) انظر كتاب الدرقاش ٣٥٢/١ .

الرسالة جزءان عقائدي وعملي والجزء العقائدي هو ما يعرف بكتاب « العقيدة » والذي قلت إن عليه شرحاً لزروق ، أما الجزء العملي فهو الجزء المتداول المعروف والذي بلغت شهرته حداً لم يبلغه كتاب آخر عدا الموطأ والمدونة من كتب المالكية[1] .

وما ذكرته هنا من إحتمال تأليف ابن أبي زيد لرسالتين جمعاً بين الأقوال المختلفة في ذلك أقول : إن هذه النتيجة التي انتهت إليها يوردها د. الدرقاش مورد القطع واليقين حيث يقول : لاشك في أن أول من طلب من ابن أبي زيد وضع كتاب الرسالة هو شيخه أبو إسحاق السبائي ، وقد حقق له أبو محمد طلبه سنة ٣٢٧هـ ، وله من العمر سبع عشرة سنة وليس في ذلك أية غرابة لأن السبائي كان من شيوخ أبي محمد بيد أن هذه الرسالة لم تصلنا وإنما وصلتنا منها خلاصة في خمس صفحات جاءت عقب مقدمة الرسالة مباشرة ، كأن ماجاء فيها هو تلخيص الحبير لأثر سابق إذ اكتفى صاحبه بذكر رؤوس المسائل، ثم ألف أبو محمد رسالة ثانية بعد انتقال سلطة العبيديين إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ وركزها ناحية الأحكام الفقهية العملية ، وذلك بطلب من قريب المؤدب محرز بن خلف التونسي .

وكان له من العمر حوالي العشرين سنة أو تزيد . كما أن تأليفها كان قبل كتابيه « المختصر والنوادر » ، وبعد خروج العبيديين إلى القاهرة ، والملاحظ أن تأليف أبي محمد جاءت بعد هذا الانتقال لما عرف من اقبال على كتابة الردود على البدع الرافضية وعناية باعداد الأطر وتثقيف الجماهير ليمكن لها الثبات أمام المغريات . أما بعد أن استراح من الروافض فقد أقبل على تجديد الفكر الفقهي المالكي وذلك بتجديد أمهاته فوضع موسوعاته الفقهية وبدأها بالرسالة التي أهدى منها نسختين إلى الأ .ري ببغداد وإلى ابن أبي زرب بالأندلس وما ذكرته هنا من احتمال تأليف ابن أبي زيد الرسالتين جميعاً بين الأقوال المختلفة في ذلك ، وهذا الذي انتهى إليه د. الدرقاش وهو أيضاً اختيار الباحث الهادي روجي

(١) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٣٥٣/١ .

إدريس من أطروحته[1] ، كما نقله عنه عبدا يد تركي في تحقيق الكتاب الجامع لابن أبي زيد حيث يقول : « لما ألف ابن أبي زيد الصيغة الأولى من الرسالة وكان سنه إذ ذاك سبعة عشر عاماً قصد إلى نشر المذهب المالكي ، فكان كتابه عبارة عن دعوة سنية لرد الدعوة الشيعية. كما أن التأليف كان سابقاً على ثورة أبي يزيد الخارجي وعلى السياسة التي إنتهجها العبيديون قصد إخفات أصوات دعا م[2] .

أسباب شهرة الرسالة :

تعود أسباب شهرة الرسالة إلى الأمور التالية : -

أولاً : كانت العمدة في تعليم الناشئة الأحكام التي يحتاجو ا وهم في بداية حيا م ليسلم تكو م ، ويصح إعدادهم ، وبذلك سدت فراغاً كان يحسه الناس قبلها حيث إن كتب المذهب المالكي التي سبقتها كانت كتباً للخاصة يغلب عليها كثرة التشقيق والتفريع والتفصيل في بحث المسائل التي تدخل تحت الفن المدون فيه لافرق في ذلك بين علم الفقه أو علم العقيدة . فكانت بذلك أول مختصرة ظهرت في المذهب المالكي بعد : « التفريع لابن الجلاب » لأنه لم يوجد في ذلك للزمن المالكية إلا الأمهات الكبار فسمي التفريع مختصرا بالنسبة لها[3] . كما أ ا كانت من هذه الجهة بداية للتأليف على هذا النمط الذي يناسب الصغار ويسد حاجتهم وقد استفاد خلق كثير من كتبه حيث إ ا مبسطة في المذهب المالكي كالعزية والعشماوية وغيرها .

ثانياً : كانت الرسالة جامعة للعقيدة والفقه والآداب وبذلك سهلت على الناشئة تعلم مسائل هذه العلوم في ديوان واحد فكان هذا عاملاً من العوامل التي أدت إلى شهر ا .

ثالثاً : ما أمتاز به كاتبها ابن أبي زيد من وضوح العبارة وتركيزها ودقتها في

---

(1) انظر أطروحته ٧١٨/٢ .

(2) تحقيق عبدا يد تركي ص٣٠ .

(3) الجامع ٥٣ - ٥٤ .

إعطاء المراد وهي في ذلك لاتحتاج إلى كبير شرح أو توضيح .

رابعاً : التكوين العلمي والنفسي والذهني لابن أبي زيد القيرواني جعل الرسالة مؤهلة لتلك الشهرة ، وذلك أن ابن أبي زيد كان يعرف ماذا يريد ويدرك ما يطمح إليه من هدف محدود وهو تنشئة أبناء المسلمين تنشئة سوية صالحة ، وتحديد الهدف دائماً عامل من عوامل النجاح الأكيد .

خامساً : القبول الذي حظى به ابن أبي زيد في عصره كان سبباً من الأسباب التي أدت إلى شهرة الرسالة ذلك أن شهر ا بدأت تتأكد في عصره وحال حياته انعكاساً لثقة الناس فيه وفي دينه وورعه وإخلاصه قال القابسي : « هو إمام موثوق به في ديانته وروايته »[1] . وقال أبو عبدالله الميورقي : « اجتمع فيه العلم والورع والفضل »[2] . قال الداؤدي « كان سريع الانقياد والرجوع إلى الحق »[3]

ولاشك أن رجلاً هذه صفاته وتلك خلاله جدير بأن يتلقى ما يؤلفه بحسن القبول كما لايفوتني أن أذكر بما تتميز به تلك الرسالة من خفّة مؤنة إذا أراد الناس حملها أو نسخها أو النظر منها فإن خفة المؤونة تشجع على ذلك .

شروح الرسالة : ومن الجدير بالذكر قبل أن نمضي قدماً في الحديث عن الشروح التي وردت على الرسالة لابد من أن نشير إلى حقيقة علمية هامة تعكس مكانة الرسالة ، واهتمام الأوساط الأكاديمية العالمية ا وهي ترجمتها إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية حيث طبعها : « سل عبدالله المأمون السهروردي طبعة مقترنة بطبعة إنجليزية وتعليقات وتراجم ومقدمة لها وكان ذلك في لندن سنة ١٩٠٦م » كما ترجمها المستشرق فافيان إلى الفرنسية في باريس سنة ١٩١٤م »[4] .

---

(١) المدارك ٤/٤٩٣ .

(٢) المصدر السابق ٤/٤٩٣ .

(٣) المدارك ٤/٤٩٣ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ١/٨٠ ، وانظر الملتقى لابن أبي زيد ص٧٨ .

أما شروحها باللغة العربية فهي كثيرة ومنبئة بشكل قاطع بأهمية الرسالة ودورها المقدر في الفقه الإسلامي كما أن طبع تلك الشروح أدى دوره في خدمة الحقيقة العلمية على مستوى التعليم والتدريس وعلى مستوى البحث والقضاء في الأقطار الإسلامية التي تنتهج مذهب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس خاصة وفي غيرها من الأقطار الإسلامية عامة .

وقد بدأ التوجه لشرح الرسالة عند المالكية في وقت مبكر يتعد العشر سنوات من تأليفها .

أول من شرح الرسالة :

تشير بعض المصادر إلى أن أول شارح لها هو القاضي عبدالوهاب[(١)] البغدادي ، لكن الصحيح أن أول شارح لها هو المقبري أبوبكر محمد بن موهب القرطبي المعروف بالمقبري ت ٤٠٦هـ كما ذكره المؤرخون في ترجمته [(٢)] إلا أنه مفقود وهو شرح أقدم من شرح القاضي عبدالوهاب ت ٤٢٢هـ إذا ما أخذنا بعين الإعتبار وفاة القبري السابقة على وفاة القاضي عبدالوهاب ، وعلى ذلك يكون ترتيب شروح الرسالة على النحو الآتي :

١) - شرح أبي بكر الأ ري (ت ٣٧٥هـ) الذي سماه « مسالك الجلالة في مسند الرسالة »[(٣)] .

٢) - شرح أبي بكر محمد بن موهب القرطبي المعروف بالقبري (ت ٤٠٦هـ) .

٣) - شرح القاضي عبدالوهاب البغدادي[(٤)] وهذا الشرح يتألف من ألف ورقة وأن أول نسخة منه بيعت بألف مثقال ذهب وهو مفقود . قال الأستاذ أحمد سحنون : « ... ولم يشر إليه بروكلمان عند استعراضه لشروح الرسالة

---

(١) شرح الرسالة للفلشاني ٣/١ نقلا عن الجامع ص٥٦ .

(٢) المدارك ٦٧٥/٤ .

(٣) الجامع ص٥٥ .

(٤) المدارك ٦٩٢/٤ .

الكثيره »[1] .

٤) - شرح للشيخ عبدالله بن طلحة[2] .

٥) - شرح للشيخ جلال الدين التباني[3] .

٦) - شرح للشيخ القاضي أبي الحسن على بن محمد الرويلي المعروف بالصغير ٧١٩هـ .

٧) - شرح لداؤد المالكي ٤٧٣١هـ منه نسخة بالقاهرة .

٨) - شرح لأبي على ناصر الدين البجائي ٧٣١هـ ولم يتممه[4] .

٩) - شرح لأبي حفص عمر بن على الإسكندري المعروف بالفاكهاني ٧٣١هـ المسمى « بالتحرير والتحبير »[5].

١٠) - شرح لأحمد بن عبدالرحمن الشاذلي الفاس ٧٤١هـ في ثلاثة اسفار كبار[6] .

١١) - شرح لأبي زيد عبدالرحمن بن عفان الجذولي ٧٤١هـ وهو عبارة عن تقاييد على الرسالة جمعها من بعده من تلاميذه توجد نسخ منها ، بالجزائر والقرويين وميونيخ والمتحف البريطاني[7] .

١٢) - شرح لأبي سالم إبراهيم المتولى من أهل تـ ى يعرف بابن يحيى ٧٤٨هـ قال ابن فرحون شرح عظيم الفائدة[8] .

١٣) - شرح لأبي الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي ٧٦١هـ توجد نسخ

---

(١) رسالة ابن أبي زيد للدرقاش نقلا عن أحمد سحنون ٣٦١/١ .

(٢) كشف الظنون ٨٤١/١ المطبعة البهية رقم : ١٣٦ .

(٣) كشف الظنون ٨٤١/١ المطبعة البهية رقم : ١٣٦ .

(٤) رسالة د. الدرقاش ٣٦١/١ .

(٥) الديباج ٨٠/٢ - ٨١ .

(٦) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٧) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٨) الديباج ص٨٩ - ٩٠ ، ورسالة الدرقاش ٣٦٢/١ ، ودعوة الحق لأحمد سحنون ص٣٩ .

من شرحه بالقيروبين إحداها وقع الفراغ منها سنة ٩٤٧هـ كما توجد أخرى بميونخ برقم ١٣٤٧ والمتحف البريطاني ١٦٤ ، والأسكوريال برقم ١٠٥٩[١].

١٤) - شرح على بن يوسف البلوي الشبيبي المتوفى سنة ٧٨٢هـ ذكره بروكلمان أنه يوجد نسخة من شرحه بمكتبة الزيتونة بتونس نسخة أخرى بمكتبة الإسكندرية[٢] .

١٥) - ولأبي الفضل قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني المتوفى سنة ٨٣٨هـ شرح على الرسالة مطبوع ذكر الأستاذ أحمد[٣] انه طبع بمصر سنة ١٣٣٢هـ ١٩١٤م ، اعتمده الخطابي كثيراً في شرح النظائر وأكثر من النقل عنه وقد اعتمده كذلك في تحرير النصوص ونقله في التعاليق على نصوصه التي أشار إليها الخطابي[٤] .

١٦) - كذلك فإن لأبي العباس أحمد بن محمد بن عبدالله الفلشاني المتوفى سنة ٨٦٣هـ[٥] شرح سماه تحرير المقالة في شرح الرسالة توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط في جزءين تحت رقم ٨٤١د و١٥٢د ، فرغ من تأليفه في ٨٢١/٢/٢٩هـ[٦] .

ونسخة أخرى بتطوان ، وهاتان النسختان لم يشر إليهما بروكلمان وإنما أشار إلى وجود نسخ بمكتبة القرويين بفاس ، وبمكتبة الزيتونة بتونس ، وخزانة الناتيكان[٧] .

١٧) - شرح لسعيد بن الحسين الحميري أتمه سنة ٨٦٤هـ وسماه بمرشد

(١) تحرير المقالة ص٤٠ .
(٢) بروكلمان ٢٨٧/٣ .
(٣) أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الطرابلسي المغربي المعروف .
(٤) تحرير المقالة ص٤٠ ، أحمد سحنون التونسي .
(٥) شجرة النور الزكية ص٢٥٨ .
(٦) تحقيق أحمد سحنون ص٤١ .
(٧) المصدر السابق بنفس الصفحة .

المبتدئين[١] منه نسخ بالزيتونة بتونس وكذا الإسكندرية .

١٨) - شرح لأبي الحسن القلصاوي ٨٩١هـ ذكره صاحب نبل الإبتهاج ص٢٠٩ وصاحب شجرة النور الزكية ص٢٦١ .

١٩) - شرح لأبي العباس أحمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق ت ٨٩٩هـ[٢] له شرحان على الرسالة أحدهما مطبوع مع شرح ابن ناجي والآخر مخطوط توجد نسخ منه بالقرويين والإسكندرية[٣] قال فيه صاحب نيل الإبتهاج « استمر كره في الآفاق وعم النفع به[٤] منه نسخ بمكتبة جامع الزيتونة »[٥] .

٢٠) - ستة شروح لأبي الحسن على بن محمد المتوفى الشاذلي المصري ٩٣٩هـ[٦] وهي غاية الأماني ، ٢ - تحقيق المباني ، ٣ - توضيح الألفاظ والمعاني ٤ - تلخيص الحبير التحقيق ، ٥ - الفيض الرحماني ، ٦ - كفاية الطالب وهذا الأخير مطبوع متداول بين الطلبة وهو المعروف عند الطلبة بشرح أبي الحسن ، وعليه كان الاعتماد في تدريس الرسالة بجامع القرويين .

وقد وضع عليه الشيخ على بن أحمد الصعيدي العدوي[٧] المتوفى سنة ١١٨٩هـ على الشرح الأخير لأبي الحسن حاشية مهمة لتوضيح مشاكله وتفسير غامضة ، وهي مطبوعة مع الشرح عم النفع ا كما جمع الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبادة المتوفى سنة ١١٩٣هـ تقريرات شيخه الصعيدي على أبي الحسن ، أضافها إلى الحاشية المذكورة . وزاد عليها نكتاً مفيدة ذكر الأستاذ أحمد سحنون وقوفه عليها بمكتبة تطوان برقم ٢٠٩[٨] .

---

(١) بروكلمان ٢٨٧/٣ .

(٢) نيل الإبتهاج ص٨٥ ، وقد ترجم له صاحب شجرة النور الزكية ، انظر ٢٦٧/١ .

(٣) بروكلمان ٢٨٧/٣ .

(٤) نيل الإبتهاج ص١١٦ .

(٥) بروكلمان ٢٨٧/٣ .

(٦) نيل الإبتهاج ص٢١٢ .

(٧) شجرة النور الزكية ص٣٤١ .

(٨) تحقيق أحمد سحنون ٤٢ .

٢١) - شرح لعبدالله أحمد الفاكهاني ت ٩٧٢هـ توجد له نسخة برامبور[١] .

٢٢) - شرح لعبدالرحيم السيوطي[٢] .

٢٣) - شرح ا هول له نسخ بالمتحف البريطاني وباريس وميونخ والجزائر ومدريد اسبانيا والقرويين[٣] .

٢٤) - حاشية على أحد شروح الرسالة لمحمد بن عبدالملك أ ى من تأليفها سنة ١١٢٩هـ ١٧١٧م ، له نسخة بالجزائر[٤] . وذكر د. الدرقاش ما استفاده من مكتبة العلامة مختار بن حامد المولود سنة ١٣١٥هـ واطلاعه على موسوعته التاريخية والثقافية والاجتماعية التي وضعها للتعريف ببلاده وتاريخها وهي موسوعة لاتزال مخطوطة مصورة ، وتتألف من ثلاثة مجلدات :

أحدهما : الثقافي والذي تعرض فيه للفقه المالكي وجهد الموريتانيين في شرحه وتنميته في ربوع إفريقية الغربية حيث تجده في الصفحة الثانية يتعرض لشراح الرسالة من الموريتان .

٢٥) - شرح الطالب أحمد بن أبي بكر بن الحاج عبدالرحمن ١٢٠٨هـ سماه مرشد الطالبين[٥] .

٢٦) - شرح الطالب محمد بن الطالب أبوبكر الصديق البرتلي ١٢١٩هـ له شرح الربع الأول والثالث من الرسالة[٦] .

٢٧) - شرح سيدي عثمان بن أعمر بن سيداتي التونسي ١٢٣٧هـ له

---

(١) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٢) دائرة المعارف البستاني ٣١٢/٢ .

(٣) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٤) بروكلمان ٢٨٨/٣ .

(٥) انظر موسوعة الشيخ محمد بن أحمد الداه المختار الشنقيطي ، وهو إمام جامع الحتمية بالأبيض جـ ٢ القسم الثقافي ص٢ مخطوط .

(٦) المصدر السابق بنفس الصفحة .

شرحان لها « باكورة مذهب مالك وهو المطول »[1] .

٢٨) - شرح سيدي أحمد بن محمد بن يوكفة المجولي ت١٢٤٠هـ[2] .

٢٩) - شرح الطالب محمد عبدالله بن الطالب أحمد بن أبي بكر البرتلي ١٢٦٣هـ[3] .

٣٠) - شرح محمد عبدالرحمن بن المبارك القناني ت١٣٢٣هـ[4] .

٣١) - شرح أحمد بن البشير الفلادي ت١٢٧٧هـ سماه بموارد النجاح[5].

٣٢)شرح مقدمة ابن ابي زيد القيرواني في العقيدة ، للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد .

٣٣) عقيدة السلف مقدمة ابن ابي زيد القيرواني ت ٣٨٦ هـ ، لكتابة الرسالة ونظمها لأحمد بن مشر ف الأحسائي المالكي المتوفي سنة ١٢٩٨ هـ ، تقديم فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله ابو زيد عن ابن ابي زيد ورسالته ، وعبث بعض المعاصرين ا .

الرسالة والدراسات اللغوية :

ومثل ما اعتنى بالرسالة من الناحية الفقهية اعتنى ا من الناحية اللغوية من حيث شرح الفاظها وتوضيح معاني مبانيها ومن حيث اسلو ا وتراكيبها حتى جعلوا منها شبه معجم ومن هؤلاء : -

١) - أبو محمد الكرامي السملالي الجزولي ت ٨٦٢هـ . سماه مرشد المبتدئين لمعرفة ألفاظ الرسالة . توجد نسخة منه بمكتبة تطوان في جزء واحد تحت عدد ٣٥[6] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

(٦) مجلة دعوة الحق ٣٤ ص٦٢ .

٢) - أبو الحسن علي المتوفى الشاذلي ٩٣٩هـ/١٥٣٢م الذي قلنا إن له ستة شروح أحدها لغوي وهو توضيح ألفاظ الرسالة[(١)] .

٣) - أبو عبدالله شمس الدين محمد بن إبراهيم التتائي ٩٤٢هـ[(٢)] . له تنوير المقالة بحل ألفاظ الرسالة منه نسخ بباريس الجزائر والرباط ومكتبة الزيتونة والقاهرة والإسكندرية[(٣)] .

٤) - محمد الحطاب ٩٩٣هـ له مايعرف لـ « تعليقات الخطاب »[(٤)] التي جمعها من بعده ولده يحيى وأخرج منه تأليف ذكر في مقدمته انه ليس له منه إلا الجمع والترتيب[(٥)] .

٥) - على بن محمد الأجهوري (١٠٦٦هـ/١٦٥٦م) له حاشية على تنوير المقالة بحل ألفاظ الرسالة للتائي ٩٤٢هـ توجد منه نسخ بكل من الرباط والزيتونة والقاهرة[(٦)] .

٦) - على التيتاني تلميذ الأجهوري له أيضاً حاشية على تنوير المقالة توجد لها نسخة بنكيبور[(٧)] .

٧) - أبو عبدالله محمد بن منصور بن حمامة الزناني له غرر المقالة في شرح غريب الرسالة[(٨)] .

٨) - أبو العباس أحمد غنيم النفزاوي ١١٢٥هـ له الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني مطبوع في جزءين بمصر ١٣٥٥ ومتداول[(٩)] .

٩) - أبو عبدالله محمد بن قاسم جسوس ١١٨٢هـ له بشرح ألفاظ

---

(١) بروكلمان ٢٨٨/٣ دعوة الحق ص٦٢ .

(٢) دعوة الحق ص٦٢ - ٦٣ .

(٣) بركلمان ٢٨٨/٣ .

(٤) دعوة الحق ص٦٣ .

(٥) رسالة د. الدرقاش ٣٦٦/١ .

(٦) بروكلمان ٢٨٨/٣ .

(٧) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٨) بروكلمان ٢٨٩/٣ .

(٩) بروكلمان ٢٨٩/٣ ، ودعوة الحق ص٦٣ .

الرسالة مطبوع طبعة حجرية بفاس في أربعة مجلدات متداولة . ويعتبر من الشروح المهمة بالقيروان كما توجد نسخة أخرى في مكتبة النيفر بتونس .

نظم الرسالة :

وقد قام بعض العلماء الأجلاء بنظم الرسالة شعراً وتسهيلاً لحفظ مسائلها :

١) - نظم الرسالة لمحمد بن أحمد بن الغازي العثماني المكناس ٩١٩هـ ١٥١٣م صنفه سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢م[١] سماه بتنظيم مشكلات الرسالة[٢] .

٢) - شرح نظم مشكلات الرسالة أبو عبدالله محمد بن الحطاب ٩٥٤هـ في شرح سماه تحرير المقالة في شرح نظائر الرسالة[٣] .

٣) - عبدالله بن الفقيه الطالب أحمد بن الحاج الفلاوي الشنقيطي توفي ليلة النصف من ربيع النبوي سنة ١٢٠٩هـ[٤] .

٤) - شرح هذا النظم محمد الأمين بن عبدالوهاب الفلالي ١٢٥٤ بشرحين مطول وموجز يسمى التلخيص[٥] .

٥) - شرح لمحمد بن يحيى بن سليمة ١٣٥٤هـ[٦] .

٦) - شرح لعبدالرحمن بن محمد الأمين بن الطالب السيد أحمد العلاوي[٧]

.

٧) - شرح لمحمد أحمد الداه الشنقيطي ، إمام جامع الحتمية بالأبيض ، إ ى من تصحيحه يوم الإثنين الخامس من ربيع الأول سنة ١٣٧٩هـ مطبوع دار

---

(١) دعوة الحق ص٦٣ .

(٢) دعوة الحق ص٦٣ .

(٣) دعوة الحق ص٦٣ .

(٤) كتاب الدرقاش نقلا عن الشيخ محمد المختار نشر الجامعة التونسية الملحق الأول ص٧٥ - ٧٨

(٥) ا لمد الثقافي في موسوعة ولد حامد .

(٦) المصدر السابق بنفس الصفحة .

(٧) المصدر السابق بنفس الصفحة .

الفكر بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٩ - ١٩٧٩م[١] .

٨) - شرح لمحمد بن محمد بن محمد المصطفى بن أحمد - بدأ تأليفه سنة ١٣٦٤ وأ ى سنة ١٣٧٠هـ بمدينة ألاق عاصمة ولاية البراكنة على بعد ٢٦٠كلم من نواق الشط والشارح يعمل في التعليم الإبتدائي جزء واحد الأول عدد صفحاته ٥٦٥ صفحة آخر باب من الأبواب المشروحة هو باب النفقات موجود بقسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي ٢٦٩٠[٢] .

٩) - شرح الشيخ القاضي ولد الشيخ محمد الحجاجي بولاية البراكنة لايزال منكباً على تأليفه حتى الآن « ١٩٨٢م »[٣] .

الغرب الأوروبي ورسالة ابن أبي زيد :

لم يتوقف أمر العناية بالرسالة على المحافل الإسلامية فحسب بل تجاوزت ذلك إلى المحافل العلمية بأوروبا حيث لاقت اهتماماً بالغاً من طرف العلماء هناك. يقول الأستاذ أحمد سحنون « لم يقف انتشار الرسالة عند حدود العالم الإسلامي على اتساع أرجائه وتعدد أقطاره . بل عبرت إلى ما وراءها من آفاق، فكانت من ذخائر تراثنا الفقهي الذي عنى به المستشرقون وحرصوا على ترجمته ودراسته[٤] .

ومما يؤكد هذا الاهتمام بالرسالة لدى الغرب قيام العديد من الهيئات العلمية بدول مختلفة ترجمة الرسالة إلى لغا ا وطباعتها وأذكر على سبيل المثال :

١) - ترجمت الرسالة إلى الإنجليزية تحت عنوان باكورة السعد مع نشر النص العربي . فقد قام كل من المستشرق روسل وعبدالله المأمون السهروردي بترجمة الرسالة ونشرها بلندن سنة ١٩٠٦م[٥] .

---

(١) رسالة الدرقاش ٣٦٨/١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) دعوة الحق ص٤٥ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ط ١٩٣٣ ص٨٠ دائرة المعارف البستاني ط - بيروت ١٩٥٨م مجلد ٢ ص٣١٢ .

٢) - ترجمت الرسالة إلى الفرنسية ، وقد قام بهذا العمل المستشرق فانيان ونشرت هذه الترجمة سنة ١٩١٤م بباريس[١] .

٣) - ترجمة ثانية إلى الفرنسية من طرف السيد بارستي (مع تعليق) ، نشرها بالجزائر سنة ١٩٤٥م[٢] نقلا عن بحث حول ابن أبي زيد نشره بمجلة الثريا بتونس[٣] .

وقد أشار الدكتور الدرقاش إلى هذه الترجمات ثم علق قائلا : « هذا قليل من كثير لأننا لو تتبعنا ماكتب عن الرسالة وما شرحت به ومانظمت فيه وما وضع حول تلك الشروح من حواش وما وضع من شروح حول تلك المنظومات لكان هذا العمل مدعاة إلى تأليف سفر عظيم خاص بالرسالة وما أحدثته من حركية في الأوساط الطلابية والمحافل العلمية على حد سواء »[٤].

ثانياً : كتاب « النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من المهمات مسائل مالك وأصحابه »[٥] وهو الاسم الكامل لهذه الرسالة العلمية الفقهية التي وضعها ابن أبي زيد قبيل سنة ٣٦٨هـ يقول عنه عياض[٦] : مشهور يزيد على مائة جزء - زاد ويفهم من مائة جزء أنه مائة مجلد بل إن الجزء كراس به موضوع معين قد يطول وقد يقصر ، ومن الجدير بالملاحظة أن كتاب النوادر الآن قد تم طبعه في دار الغرب الإسلامي تحت عناية الشيخ الحبيب اللمسني بتحقيق د. عبدالفتاح محمد الحلو ، ويقع في خمسة عشر مجلدا كما أطلعني على قوائم الكتب التي تحت الطبع ابتداء من عام ١٩٩٦م ، الأستاذ طارق صالح العسلى في حانوته الواقع في سوق العطارين بتونس أثناء رحلتي العلمية إلى

---

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) كتاب الدرقاش ٣٦٩/١ .

(٣) تحقيق أحمد سحنون ص٤٥ .

(٤) الدرقاش ٣٦٩/١ - ٣٧٠ .

(٥) المدارك ٤٩٤/٤ .

(٦) المدارك للقاضي عياض ٤٩٤/٤ .

تونس[1]ويضيف أنه قد عول عليه وعلى مختصر المدونة أهل المغرب في التفقه ، وتعرض له ابن خلدون في المقدمة فقال : « وجمع ابن أبي زيد جميع مافي الأمهات من المسائل والخلافات والأقوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع أقوال المذاهب وفرع الأمهات كلها في هذا الكتاب . ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على المدونة « وزخرت بحار المذهب المالكي في الأفقين إلى انقراض دولة قرطبة والقيروان[2]. ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو ابن الحاجب ... » .

وذكره صاحب المعيار الونشريشي « ٩١٤هـ/١٥٠٨م » بأسماء متعددة فمرة عبارة بعنوان النوادر ، وأخرى بعنوان نوادر ابن أبي زيد وثالثة نوادر القرويين[3].

من خلال هذا النص فتيقن أن أبا محمد قد ألف النوادر قبل سنة ٣٦٨هـ بكثير بدليل اشتهار أمره وبلوغ ذكره إلى بغداد ، وتشوق المالكية هناك لتحمل هذا الكتاب وآرائه[4] .

كما يفهم من عنوانه أنه كتاب جمع فيه صاحبه الفقه المالكي ورتبه وبوبه ولمّ فيه شتات الآراء وما تفرق من أقوال العلماء سواء من خلال مؤلفاتهم التي بلغته كتابة أو ما تلقاه مشافهة من شيوخه الذين أخذ عنهم مادة الشريعة . وكان هدفه من ذلك إكمال النواقص الموجودة في كتب من سبقه من العلماء وتسجيل ماجد من الآراء في ميدان الفقه بالمدونة المالكية بالقيروان[5] .

أن من اطلع على كتاب النوادر والزيادات يجد مدى استفادة ابن أبي زيد من

---

(١) بتاريخ ٢٢/جوان/١٩٩٦م . وانظر أيضاً تحقيق تركي عبدالمجيد ص٦٣ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ٤٥٠/٦ ، الفصل السابع في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض .
(٣) المعيار في طبعه بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، الجزء ، ١٣ الخاص بالفهارس ، ص٤٧٠ وقد ذكر الونشرتشي ابن أبي زيد في كل واحد من الأجزاء الإثنى عشر الباقية ، انظر تحقيق عبدالمجيد لكتاب الجامع .
(٤) انظر : مكتبة الوطنية مقدمة النوادر المجلد الأول رقمه ١/أ مخطوط انظر عدد ٥٧٢٨ .
(٥) مقدمة النوادر ورقة ٣ .

أمهات الكتب في المذهب المالكي سواء ما ألف منها في المشرق أو مادون منها في المغرب والأندلس وبالأخص كتب الأسدية للأسد والمدونة لسحنون والواضحة لابن حبيب والمستخرجة للعتبي والموازنة لابن المواز وغيرها من المختصرات والشروح التي وضعت على هذه الكتب وغيرها .

كما استفاد من كتب ابن سحنون وابن عبدوس مضيفاً إلى هذا كله آراء من سبقه من الأئمة وأقوال الفقهاء في المذهب المالكي .

وكان يتعامل مع هذه المنقولات تعامل الفقيه العالم الذي يرجح بعضها على بعض وهدفه من وراء ذلك تنقية الفقه المالكي من اضطراب الأقوال وتعارض الآراء(١) .

وبناء على ماتقدم يعتبر كتاب النوادر والزيادات على المدونة من أهم مؤلفات ابن أبي زيد على الإطلاق .

ويقع في مائة جزء وقيل فيه أنه أجمع كتاب في المذهب ، لأنه اشتمل على جميع أقوال المذاهب وفرع الأمهات كلها في هذا الكتاب كما قال ابن خلدون(٢) ونقل ابن يونس معظمه في كتابه الجامع على المدونة وعليه كان المعول في التفقه ، إلا أنه لم يبق من أجزائه المائة إلا نسخ متفرقة هنا وهناك(٣).

وفي هذا وما ذكرته سابقاً من جهود علماء المالكية السابقين دلالة قاطعة على شدة الإقبال من علماء المشرق وغيرهم على كتاب النوادر والزيادات حتى أن بعضهم قد راسل أبا محمد طالباً إجازته في تدريسه وروايته وهو نفس الأمر الذي لقيه من علماء المغرب والأندلس بحيث اقبلوا عليه دراسة وتدريساً حتى قال القاضي عياض عند حديثه على النوادر وعلى مختصر المدونة .« وعلى كتابيه هذين المعول بالمغرب في التفقه »(٤).

---

(١) انظر مقدمة النوادر والزيادات ٢-٣ط مخطوط رقم ١٢٣٧١ .

(٢) انظر المقدمة ٤٥٠/١ .

(٣) المقدمة ابن خلدون ٤٥/١ ، وانظر كتاب تحقيق أحمد سحنون ص٣٥ .

(٤) المدارك ٤٩٤/٤ .

ومن الذين اعتنوا به في أوائل القرن الخامس :

١) - أبو عبدالله محمد بن عمر المعروف بابن الفخار والمشهور بابن بشكوال القرطبي ٣٣٩هـ-٤١٩هـ » حيث وضع عليه مختصراً ورد على بعض مسائله[١] .

قال القاضي عياض .. « دون اختصار في كتاب النوادر الشيخ أبي محمد بن أبي زيد ، ورد عليه في بعض مسائله »[٢] .

٢) - أبو إسحاق أحمد بن أبي جعفر الزهري المعروف بابن الأثير من سرقطة ٤٣٥هـ له عليه تلخيص[٣] .

٣) - أبو عبدالله بن يونس الصقلي الفقيه الفرضي ، صنف شرحاً كبيراً على المدونة وضمنه قدراً كبيراً من النوادر[٤] .

ولاشك عندي أن تأليف ابن أبي زيد المطبوعة على الأقل أو حتى المخطوطه التي قد تصل إليها الأيدي ببعض اليسر أوما حفظت حتى لاتتعرض لسطوات الزمن ، لاشك عندي أ ا من الكتب القيمة حيث تصور لنا مشاكل عصر المؤلف إذ هي عبارة عن أجوبة الأسئلة واقعية أو ظروف خاصة تمس شئون الحياة اليومية في ذلك العصر ، وكذلك ما يتعلق بشواغلهم الدينية من عقدية وفقهية . كما تعطينا صورة دقيقة عن اجتهاد ابن أبي زيد في الوصول إلى حلول استنبطها من القرآن والسنة ومستوحاة من عمل السلف الصالح وفي الوقت نفسه كانت ملبية لحاجيات معاصرية من سكان إفريقية خاصة والعالم الإسلامي عامة

(١) انظر المدارك ٧٢٥/٤ .

(٢) الشجرة ص١١٢ ترجمة ٣٠١ .

(٣) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٣٧٤/١ .

(٤) المدارك ٨٠٠/٤ بتصرف .

الفصل الخامس :

شخصيته ومكانته العلمية

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

١) - أخلاقه الاجتماعية .

٢) - شخصيته الدينية .

٣) - مكانته العلمية

وثناء العلماء عليه .

الفصل الخامس :

تمهيد : -

يرى ابن أبي زيد وجوب المبادرة إلى هذا العمل الدعوي التربوي في سن مبكرة ، والمسارعة إلى العناية بإيصال الخير إلى نفوس النشئ ، وهذه العناية تجعل المربين يسبقون المفاسد ولايتركون لها سبيلا إلى القلوب الغضة الفتية التي تزكوا بقدر ما تعي من الفضائل والمحامد فهو يقول : « واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير مالم يسبق الشر إليه ... »[1].

ويرى ابن أبي زيد بقولته هذه أن وسيلتنا في تقويم سلوك الإنسان وتربيته تلقين الشريعة الإسلامية السمحة وتحبيب تعاليمها إليه .

وفي جانب الأخلاق - وقد أدرك الشيخ ابن أبي زيد أهميته - فإنه يدعو إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة وترغيب الناس فيها ولذلك نراه يربط العلم بالعمل ومن فقهه أن للهداية الإلهية أثرا في نفوس الأتقياء الصالحين إذ يئهم للطاعة و ون عليهم الامتثال للتعاليم الإلهية فيجمعون بين عقيدة صحيحة تشرح صدورهم ومعرفة بشئون دينهم تنير عقولهم وتطبيقا للأحكام يجعل سلوكهم قويا يقول ابن أبي زيد : «

(١) شرح أبي الحسن للرسالة ٣٠/١ ، ٣١ ط مصر .

إن الله يسر المؤمنين لليسرى ، وشرح صدورهم للذكرى فآمنوا بالله ، بألسنتهم ناطقين ، وبقلو م مخلصين ، وبما أتتهم به رسله وكتبه عاملين »[1] .

وعندما تحدث ابن أبي زيد عن مسائل كتابه « الرسالة » وصفها بأ ا تنفع الدارسين لاحتياجهم إلى تطبيق الأحكام الفقهية المتعلقة بالعبادات والمعاملات وبأ ا تشرفهم لأن المعرفة قيمة صاحبها وتسعده ، وبأ ا يئ لهم أن تتركز عندهم عقيدة صحيحة مقرونة بعمل صالح . يقول ابن أبي زيد مخاطباً محرز ابن خلف الذي يوجه إليه « الرسالة » بعد أن طلبها[2] : « ... وقد مثلت لك ماتنتفعون إن شاء الله بحفظه ، وتشرفُون بعمله وتسعدون باعتقاده والعمل به .. »[3] .

ويمضى ابن أبي زيد في تأكيد صلة العلم بالأخلاق فينقل في مقدمة كتابه « النوادر والزيادات » عن الحسن البصري قوله : « إن هذا الدين ليس بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال »[4] .

ولاشك أنه يقصد بالأعمال هنا . والسلوك الذي يوجهه خلق فاضل .

وقد لاحظ بعض الشيوخ في قول ابن أبي زيد : « تعلموا ما علمهم ووقفوا عندما حد لهم » لاحظ حسن ترتيب : « أن العلم مقدم على العمل »[5] .

ويرى الشيخ ابن أبي زيد أن من تعاليم ديننا الحنيف إحكام الصلة بين العلم والعمل والأخلاق الفاضلة واعتبر ذلك منهجا سليما وأن غيره بعيد عن الصواب والواقع أن هذه المبادئ التي نقلتها عن ابن أبي زيد كانت تتمثل بدرجة أوضح ليس في تقريره لها فقط بل في أخلاقه الرائعة ، وسجاياه الفاضلة التي كان يمارسها في حياته الاجتماعية وفيما يلي أذكر بعض نماذج لما تحلى به من أخلاق : -

---

(١) المصدر نفسه ١٩/١ ، ٢٠ ، ٢١ .

(٢) قيل إن طالب التأليف من عبدالله بن أبي زيد هو أبو إسحاق العبادي . انظر شرح القلشاني للرسالة - ظهر٣ ، مخطوط المكتبة الوطنية بتونس .

(٣) شرح أبي الحسن ، ٣٣/١ ، رقمه ٥٧٢٨ ، مكتبة دار الكتب الوطنية بتونس .

(٤) انظر مقدمة النوادر والزيادات لابن أبي زيد ورقة ٢/١ظ ، رقمه ١٢٣٧١ .

(٥) المصدر السابق ونفس المصدر .

أولاً : جوده وكرمه :

لقد كان الشيخ ابن أبي زيد شديد الالتصاق بمجتمعه ويعنى بقضاياه ويعاشر الناس بأخلاقه النبيلة ولا أدل على ذلك من حنوه على ضعيفه ولطفه ورحمته بصغيره واحترامه لكبيره وعطفه على فقيره وعيادة مريضه ، وصلاته على ميته وكان يتألم لكل فرد نزلت به مصيبة ويفرح لكل فرد مسته مسرة أو حل به خير ، ولما توفى ابن شيخه لم يخرج ابن أبي زيد إلا بعد أن غسله وهيأه لاستقبال ربه[(١)] . ولاشك أن مثل هذا العمل من خصال الوفاء والاعتراف بالجميل الذي يعتبر من أهم مميزات ابن أبي زيد القيرواني ولم تكن تلك المعاملة الطيبة موقوفة على الشيوخ ووجهاء البلد بل كانت مع الناس عامة فمن ذلك ماورد في ترجمة ابن قمرة الذي كان فقيها صالحا فقيرا فلما توفي لم يجدوا ما يكفنونه به فكفنه أبو محمد ابن أبي زيد ومن المصادفات الغريبة أن يموت أبـ ـو محمـ ـد بعـ ـد مـ ـوت هـ ـذا الفقيـ ـه بثلاثـ ـة أيام[(٢)] . وقصته مع طالبيه وتزويجهما والإنفاق عليهما لهي أكبر دليل وأقواه على هذه الروح الاجتماعية الصادقة[(٣)]* كما أنه لم يتوان في إرسال ألف دينار عينا إلى القاضي عبدالوهاب المالكي لما بلغته شدة إحتياجه ، كما أعان ابن عبدالله المغربي حين وفوده على القيروان بمائة وخمسين دينار ذهبا ليستعين ا في مدينة هو غريب عن أهلها كذلك لم يتأخر ابن أبي زيد عن تجهيز بنت صاحبه أبي الحسن القابسي لعلمه بحال أبيها المادية ، وهو يمد صديقه ابن شبلون في مرضه بخمسين دينارا ذهبا لينفقها على أهله وعلى علاجه .

هذه الأفعال وغيرها مما يمثل قمة التضامن الاجتماعي . ويجمع ابن ناجي هذه الوقائع تحت كلمة بليغة في قوله : « وله صنائع مشكورة »[(٤)] . وقال أيضاً ،

---

(١) معالم الإيمان ٥١/٣ - ٥٢ .

(٢) معالم الإيمان ١٠٨/٣ - ١٠٩ .

* – وقوفه مع أحد طلابه عند أزماته المادية – إرساله إياه خمسين ديناراً ذهباً لجبران خاطره .

(٣) راجع ص ١٧٠ من الرسالة .

(٤) المصدر السابق ١١٣/٣ .

كثير البذل للفقراء والغرباء ، وطلبة العلم كان ينفق عليهم ويكسوهم ويزودهم .. » .

فقد أجهز ابنة الشيخ أبي الحسن القابسي بأربعمائة دينار قائلا : كنت أعدد ا من حين إملاكها لئلا يشتغل قلب أبيها من قبلها .

ثانياً : تواضعه :

ومع رفعة قدره وم لته العالية فقد كان شديد التواضع كثير المراقبة لنفسه غير مزك لها ويتضح ذلك من خلال موقفه مع العابد الزاهد عيسى بن ثابت فقد جرى بينهما بكاء عظيم وذكر »[1] وعندما حانت لحظة الوداع طلب عيسى من الشيخ ابن أبي زيد أن يكتب اسمه في البساط الذي تحته ليدعو له كلما رآه ، عندها بلغ التأثر بأبي محمد غايته وبكى تاليا قوله تعالى : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه }[2] .

ثم توجه بالخطاب إلى عيسى قائلا له :فهبني دعوت لك فأين عمل صالح يرفعه ؟

إن ما يصدر من ابن أبي زيد من مثل هذا الكلام ليبرز بوضوح ما يتحلى به من سجايا محمودة يمثلها والإخلاص والتواضع والتجنب للغرور .

ومن نبل أخلاقه ومشاعره الطيبة كان يتجنب كل تصرف يترتب عليه تعكير صفو العلاقات مع من يعرفهم أولا يعرفهم من الناس ولهذا كان أصحابه لا يطيقون التخلف عن زيارته والالتقاء به ولا أدل على ذلك من زيارات المؤدب محرز بن خلف المتكرره له والتي كان يستقبله فيها ابن أبي زيد وعائلته بفرح لايعادله فرح ولا يحسده بما يقع له من كرامات وما يحدث من نوادر[3] .

عندما يلتقى صباحا بطلابه وأصحابه ومن ذلك روى أن ابن محرز زار ابن أبي زيد بالقيروان فبات عنده ليلة وبعد منتصف الليل قام محرز لحزبه ، فلم يجد ماءا ، فقال لأبي محمد ابن أبي زيد : قل للخادم تكنس السطح وتفتح الميزاب

---

(١) انظر المدارك ٤٩٦/٣ .

(٢) سورة فاطر آية : ١٠ .

(٣) المدارك ٤٩٦/٣ .

ففعل ، ورقى محرز السطح ودعا ماشاء الله فأقبلت سحابة بماء غزير وامتلأ ما جل الدار ،ثم نزل محرز واستقى الماء وتوضأ وقضيا وردهما ، فلما أصبح خرج أبو محمد لمسه فأخبر أصحابه بما نزل من المطر : فقالوا ما نزل عندنا منه شيء ولم يكن المطر إلا بمقدار دار الشيخ ابن أبي زيد ولم يـ ل بالدار الملاصقة لها شيء »[1].

كما أنه كان يقول في فضائل أصحابه وزملائه في الدراسة : « لو كان عبدالله بن نظيف مقيما بالقيروان لم يسعني أن أجلس هذا المـ لس ، لأنه أولى به مني لحفظه ، وفهمه ، وفقهه ، ودينه ، وورعه »[2].

وهو كما قال ابن أبي زيد في حق هذا الشيخ المذكورحيث إنه قد فر من القيروان إلى المشرق لما ظهر بالقيروان من سب السلف عند اشتداد أمر بني عبيد »[3]

إن هذه الحادثة تكشف صفة أخرى من صفات أبي محمد ألا وهي صفة الاعتراف بفضل أصحابه وبعلمهم وتقواهم وورعهم ولذلك فقد كان الشيخ ابن أبي زيد إذا دخل عليه غريب لم يشتغل بشيء إلا به كما أنه يخرج بنفسه لاستقبال من جاءه زائرا على أي حال يكون عليه .

وبسبب تواضعه لطلاب العلم والعلماء كان أبو الحسن القابسي يأمر أصحابه بزيارته ويتحفهم برؤيته ، وكان القابسي يعده من عمد الدين[4] ، ولذلك رأينا هؤلاء الأصحاب يبكونه بدموع حرى صادقة يوم وفاته ، ولا أدل على ذلك من الإغماء الذي أصيب به القابسي منذ بلوغ خبر الوفاة إليه .

إن هذا الاعتراف بالفضل هو نوع من أنواع الوفاء للصحبة وكثيرا ماكان يورد آراء أصحابه في كتابه « النوادر والزيادات » مفتتحا بقوله : « وقال البغداديون من

---

(١) معالم الإيمان ١١٦/٣ - ١١٧ .

(٢) رياض النفوس ٤٦٨/٢ لأبي بكر المالكي تحقيق بشير البكوش .

(٣) المصدر السابق ٤٦٨/٢ .

(٤) انظر نبذة من تاريخ الشيخ محرز بن خلف الصديقي ، مذكرة خاصة ، لفضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر ص٤٥ .

أصحابنا كذا وكذا[١] وقال أصحابنا الأندلسيون[٢] كذا وكذا ، وقال :وإليه ذهب غير واحد من أصحابنا »[٣]. ويدل على ذلك أمانته في ذكر مصادره .

وفي هذا الإثبات كله ما يدل على اعترافه بفضل من نقل عنهم العلم كما كان يذكر في أكثر من مناسبة كيفية أخذه وتحمله لما اعتمده مما تضمنته كتبه من أخبار وأقوال واجتهادات،قال ابن أبي زيد في مقدمة كتابه « النوادر والزيادات » : فأما المستخرجة من السماعات فقد حدثني ا أبوبكر بن محمد عن يحيى بن عبدالعزيز عن العتبي محمد بن أحمد ، أما ا موعة فقد حدثني ا حبيب بن الربيع عن محمد بن بسطام عن محمد بن عبدوس عن سحنون عن رجال مالك ، وأما كتاب ابن المواز فمن روايتي عن دراس بن إسماعيل عن علي بن عبدالله بن أبي مطر عن محمد بن إبراهيم بن المواز وبعضها عندي إجازة[٤] .

ولقد أخبر ابن أبي زيد كذلك في كتابه الجامع بطرق متعددة إلى مختلف مصادره الغزيرة ، إضافة إلى ما سبق ذكره في مقدمة النوادر : وكل ماكان في هذا الكتاب من المدونة فقد حدثني به أبوبكر بن محمد عن يحيى بن عمرو وأحمد بن داؤد عن سحنون عن ابن القاسم ، وما ليس في رواية يحيى بن عمر فقد نبهت إليه[٥] .

ونرى أن الشيخ ابن أبي زيد كان يشيد بجهود العلماء المالكية من غير أهل القيروان الذين سبقوه ، معرفا بما ذهبوا إليه في أغلب الأحيان ، ومعترفا بفضلهم عليه واعتبر ذلك من شكر النعم ومن ذلك قوله : « وقال بعض البغداديين من أصحابنا[٦] ، ومن كتاب آخر لبعض أصحابنا من الأندلسيين»[٧] .

ثالثاً : أدبه مع شيوخه :

---

(١) النوادر والزيادات ا لمد الأول الورقة ١٠/و ، رقمه ١٢٣٧١ .
(٢) المصدر السابق ا لمد الأول الورقة ٦٠/ب رقمه ١٢٣٧١ .
(٣) المصدر السابق ا لمد الأول الورقة ١٥٥/و .
(٤) النوادر والزيادات الورقة ٣/أ .
(٥) محاضرات ص٢٤٠ .
(٦) انظر محاضرات ص٢٤٢ .
(٧) المصدر السابق ص٢٤٣ .

لقد كان ابن أبي زيد يعرف لشيوخه قدرهم حيث كان لايدخل عليهم إلا بعد الاستئذان مع التزامه بما تفرضه واجبات التلمذة نحو المشيخة من مظاهر التقدير والاحترام ولم يحصل منه قط جرأة غير أدبية إزاء أى شيخ من شيوخه وحتى حادثته مع شيخه أبي الأزهر عبدالوارث إنما كانت بدافع المحافظة على كرامة شيخه حيث قال له : « إنما فعلت ذلك إجلالا لك إذ أنت من شيوخنا»[1] ولهذا نراه يؤدب تلميذه البراذعي[2] عندما هاجم أمامه بعنف الأصيلي وغلا في إحراجه ؛ وكان البراذعي قد فعل ذلك ابتغاء مرضاة شيخه ابن أبي زيد وانتصارا له ولكن لم يلق ابن أبي زيد لذلك بالا وبدل من أن يشكره على إنتصاره له قال له : « ... لقد حرمتنا فوائد الشيخ بإسرافك في الرد عليه »[3].

لقد تتبعت تراجم الشيخ ابن أبي زيد في مختلف مصادرها فلم أقف على ما صدر منه من موقف حاقد أو انتقاص من حق أي شخص شريف أو وضيع عالم من العلماء ، أو أحد من الناس رغم ما شهده عصره من محن وتقلبات فكانت شخصية ابن أبي زيد شخصية فذة شخصية العالم المتزن المترفع عن الصغائر فضلا عن الكبائر فحاز صداقة الجميع وحقق بسلوكه شخصية العالم العامل .

وقد أصاب القاضي عياض في وصفه الدقيق حينما قال عنه في ترجمته : « إنه حاز رياسة الدين والدنيا »[4].

وكيف لاوهو كما قال القاضي عياض وقد حاز رياسة الدين بفضل علمه وورعه وجاز رياسة الدنيا بفضل مشاعره الوجدانية المرهفة ومواقفه الإنسانية النبيلة .

إن كل هذه المميزات وكل هذه المؤهلات قد تجمعت واتحدت وتعاونت في بناء شخصية ابن أبي زيد مما جعله حقا عالم المائة الرابعة ومجددها .

---

(١) معالم الإيمان ٩٨/٣ .

(٢) انظر ص١٦٠ من الرسالة .

(٣) المدارك للقاضي عياض ، المجلد الثاني ٦٤٧/٣ .

(٤) المدارك ٤٩٦/٣ .

وقد لاحظ الحجوي ذلك في كتابه حيث قال : « يعتبر - ابن أبي زيد - من الطبقة العالية من المؤلفين وعندي أنه أحق من يصدق عليه حديث : « يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها .. »[1].

وعلى هذا الأساس يظهر من حال الشيخ ابن أبي زيد أنه ليس مجددا لمذهب المالكي فحسب بل كان مجددا للفكر الديني والمنهج الفقهي في عامة العالم الإسلامي كما أنه كان نشطا في حركته الإصلاحية غزيرا في إنتاجه العلمي ولا أدل على ذلك من كثرة المصادر التي تذكر مؤلفاته[2] .

المبحث الثاني : شخصيته الدينية :

إن الدارس لحياة أبي محمد ابن أبي زيد القيرواني يلحظ بوضوح أنه لم يتخلف عن أي نشاط ديني يقع داخل المجتمع ، ولا أدل على ذلك من حضوره المستمر لمجالس مسجد[3] السبت الأسبوعية حيث كانت تعقد اللقاءات بين الشيوخ الكبار فيتدارسون أثناءها القضايا العلمية ويبحثون فيها أوضاعهم السياسية نتيجة للقطيعة الفكرية والسياسية بينهم وبين السلطة الشيعية المتحكمة ولذلك كان حضور هذه المجالس مما يثير حنق وغضب العبيديين[4].

يقول ابن ناجي : « وقد تقدم أن مسجد السبت الذي يسمى عندنا بمسجد العربي لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد فيه شعر بني معدان في الزهد ويقرأ فيه آيات من كتاب الله تعالى وأحوال الصالحين وأقوالهم ما يسمى عندنا اليوم بالرقائق - فكان جميع المشيخة يرغبون الناس في حضوره يحثون من يحضره معهم من الصالحين والزهاد وأهل الخير من يوم السبت إلى يوم السبت إلاثلاثة : يحيى بن عمر في زمانه - فكان لايحضره وألف تأليفا في عدم حضوره

(١) الفكر السامي ١٢٠/٣ .

(٢) انظر رسالة الدكتور الدرقاش ٢٨٤/١ .

(٣) وهو المسجد الذي يجتمع فيه العلماء وطلاب العلم للدرس والمناقشة في القضايا الدينية العامة كما سيأتي الكلام عنه إن شاء الله .

(٤) معالم الإيمان ٢٤/٣ - ٢٥ .

لكونه يرى ذلك بدعة - ولما كان هذا المسجد يحضره الجم الغفير من العلماء والصالحين كان حضورهم يغيظ بني عبيد لأ م يتخوفون من الاجتماع فيه لما قد يترتب عليه من قيام الناس ضدهم[1] .

والواقع أن هذا المسجد كان يذهب إليه ابن اللباد - شيخ ابن أبي زيد - على الرغم من العيون المبثوثة حوله ومع ذلك فلم يكن ابن أبي زيد يتخلف عن حضور مجالسة فيه ولا يمنعه من ذلك مطر ولا وحل[2] .

أشرت فيما سبق الاجتماع الذي وقع بمسجد اللجام بمحضر ثلة من كبار علماء القيروان من ضمنهم ابن أبي زيد نفسه عندما بعث في طلبهم المختال صاحب القيروان من قبل العبيديين ليشرفهم ويحملهم على التشيع وهناك رواية أخرى تقول إن هذا الاجتماع كان بدار أبي محمد بن أبي زيد ولا استبعد وقوع الاجتماعين في وقتين متلاحقين وذلك أن ا تمعين لما بلغ علمهم طلب ابن المختال لهم اتفقوا على طريقة للخلاص فبعثوا له بنائب عنهم وانتقلوا إلى دار أبي محمد ابن أبي زيد ، ولاشك أن وقوع الاختيار على دار ابن أبي زيد دون غيرها لدليل قاطع على أ ا كانت بمثابة نقطة اللقاء بين المفكرين والعلماء قيروانيين كانوا أو غير قيروانيين .

وقد ذكر القاضي عياض سبب اجتماعهم[3] فقال : « كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر كأ م ذمة تجرى عليهم في كثرة الأيام محن شديدة ولما أظهر بنو عبيد أمرهم ونصبوا حسينا الأعمى السباب - لعنة الله عليه - في الأسواق للسب بأسجاع لُقنها . يوصل منها إلى سب النبي - ﷺ- ، في ألفاظ حفظها . كقوله لعنة الله تعالى : إلعنوا الغار وما وعى ، والكساء وما حوى . وغير ذلك ، وعلقت رؤوس الأكباش والحمر ، على أبواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة ، مكتوب فيها أسماء

---

(١) المدارك م٢ ج٤ ص٤٩٣ .

(٢) معالم الإيمان ٢٥/٣ .

(٣) انظر المدارك م٢ ٣١٨/٣ .

الصحابة ، اشتد الأمر على أهل السنة . فمن تكلم أو قام قتل ، ومثل به . وذلك في أيام الخليفة الثالث من خلفاء بني عبيد ، وهو إسماعيل الملقب بالمنصور،لعنة الله تعالى عليه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة(1) وإزاء كل هذه المنكرات التي حدثنا من العبيديين تشاور العلماء فيما يجب عليهم وما ينبغي عليهم القيام به إزالة للمنكر وأهله وكان ممن حض على الاجتماع والدعوة إليه شيخنا ابن أبي زيد .

وهذا يكشف لنا عما كان له من جرأة وصلابة في الحق لاتلين ومجا ة لما يحدث في إفريقية والقيروان بصفة خاصة ، والذي وقف عليه ابن أبي زيد في بعض المساجد التي كان يتردد عليها ، ويصل إليه صداها من هنا وهناك .

ولعل هذا الذي كان يقع قد أقض مضجع ابن أبي زيد خاصة وأنه كان يقرن بالشعوذة وابتزاز الأموال باسم الولاية والكرامات .

وابن أبي زيد - على ما يبدو من شيمه - كان متزن التفكير بعيدا عن الغلو، يحرص على الوسطية في كل أموره ، وينتهج بموضوعية منظومة التفكير السني .

ولقد كان مما أفزع ابن أبي زيد ظهور بعض المتصوفة بإعلان آراء فاسدة تمس العقيدة من ذلك ما أقدم عليه متصوف يدعى عبدالرحيم البكري الصقلي(2) (ت ٣٨٠) ومن جملة آرائه أنه ادعى رؤية الله في اليقظة وانتشر رأيه في الأرجاء لذا سارع ابن أبي زيد إلى وضع رسالتين بعنوان « كتاب الإستظهار في الرد على البكرية » وكتاب « كشف التلبيس » ولعله أجاب أيضاً من خلال هاتين الرسالتين على الإسماعيلي الصوفي المتهم بالزندقة وهو محمد بن عبدالله بن مسرة المارق (ت ٣١٩هـ) ، والذي غالى في أقواله وسار في اتجاه الصقلي(3) الذي ادعى رؤية الله

---

(1) المدارك للقاضي عياض م٢ ٣١٨/٣ .

(2) لهذا المتصوف مؤلفات في التصوف والكرامات مثل الأنوار في علم الأسرار ومقامات الأبرار - صفة الأولياء ومراتب أحوال الاصفياء الخ . انظر فؤاد سيزكين / تاريخ التراث العربي ١٦٧/٤ البغدادي إسماعيل باشا / هدية العارفين ٥١٤/١ .

(3) كتاب الدولة الصنهاجية للهادي روجي ادريس ص ١٤٦
Idris ; Deux Juristes P146.

في اليقظة كما مر .

ورغم أن مؤلفات ابن أبي زيد هذه ليست في متناولنا - لصياغتهما - حتى نقرأ نصوصهما بـأنفسنا إلا أنه من الواضح أنه قد تعرض فيهما للرد على ما شاع من غلو ومبالغة في ذكر كرامات الأولياء التي ادعاها البعض ونسبها للكثير من الممخرقين والمشعوذين ، إضافة إلى ما دعاه البعض من رؤية الله في اليقظة وادعاء القدرة على تغيير طبائع الأشياء إلى غير ذلك من الأمور الخطيرة التي دفعت إلى تأليف هاتين الرسالتين .

وللأسف الشديد عكس معارض ابن أبي زيد مقصوده من تأليفه لهاتين الرسالتين وكتبوا ضده وزعموا أنه يقصد ما إنكار كرامات الأولياء ، وأنه بذلك ينتمي إلى الاعتزال الذي ينظر إلى أهله على أ م غير مقيدين بأفكار أهل السنة.

وما روج عن ابن أبي زيد يثير مشاعر ا تمع ويعتبره مة خطيرة لايتسامح معها . وهي تؤدي إلى تلطيخ صورة الرجل في أذهان أشياعه وبعد كل هذا وقع الالتجاء إلى تحكيم عالم زمانه المالكي المذهب ، وهو أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)(١) فقد راسله ابن أبي زيد وآخرون - من أجل البت في هذه المسألة . فوجدوا منه تبريرا لما أقدم عليه ابن أبي زيد لمكانته العلمية لأنه شيخه(٢) ، وبعد التهدئة النسبية للنفوس بواسطة هذه الردود التي كان لأصحا ا وز م في هذا ا تمع تحرك ابن أبي زيد ليؤلف رسالة في الموضوع بعنوان « جزء في إثبات كرامات الأولياء »(٣) . ولعله أراد من خلال ذلك نقض بعض الغبار الذي علق بصورته من جراء الحملة التي شنت ضده وأ م فيها بأنه منكر كرامات الأولياء إنكارا مطلقا(٤) .

(١) المدارك للقاضي عياض ٤٩٥/٤ ، وانظر المعيار للونشرسي ٤٤٣/٢ .

(٢) معالم الإيمان ١٤٠/٣ ، المعيار ٤٤٣/٢ ، تطور موقف علماء المالكية بإفريقية للهنتاتي ١٩٩٢/٢م ص٣٠٧ .

(٣) Idris ; Deux Juristes P148 - 149.

(٤) كتاب الديباج المذهب ٤٢٨/١ .

وعلى كل فيظهر أن الحملة المذكورة آنفا لم تفقد الرجل توازنه ، بل ظل مواصلا طريقه حاملا لرصيد هام من الأعجاب والتبجيل لشخصه[1] .

وما قام به ابن أبي زيد إزاء رفض المنكرات العقدية يعكس موقفه الرافض لما كان يحدث في مجتمعه من كثرة أدعياء التصوف المشعوذين والمغالين في القول بالكرامات ، وما ينتج عن كل ذلك من تعطيل لاتخاذ الأسباب وبذل الجهد في الأعمال لكسب الأرزاق .

وفي عصره تعرض العلماء من المعارضين للحكم الفاطمي إلى التنكيل والتصفية إلا أ م لم يرضخوا لهم ولم « يتشيعوا » بل ظلوا متشبثين بالمذهب السني ومن هؤلاء العلماء ابن أبي زيد.

وكان هؤلاء العلماء يستغلون المناسبات للتعبير عن رفضهم للأمر الواقع وذلك بطرق مختلفة : مثل مقاطعة صلاة الجمعة أو المشاركة في المناظرات أو بالانضمام إلى الحركات الداعية إلى التغيير كثورة أبي زيد الخارجي صاحب الحمار (٣٣١ - ٣٣٦)[2] .

تعقيب :

ولعل ذلك يظهر فيما سطرته هنا عن شخصية ابن أبي زيد الأخلاقية والاجتماعية والدينية أنه رجل داعية حركي ومصلح لما في مجتمعه من الانحرافات باحث بحرص وصدق عن العلاج والحلول البديلة المناسبة لها ، كما أثر عنه أنه كان ناصحا لولاة الأمور والمسئولين ، وعامة الناس وأنه كان يعتبر ذلك من ضرورات الدين ، كما رأيناه يربط بين رعاية العباد بتقوى الله تعالى وخشيته ، والصدق في المعاملة والإخلاص في العمل وعنايته بالفئات غير القادرة على الكسب وبذله لهم من أمواله الخاصة وذلك من أبرز الأدلة على حبه للمساكين و تمعه الذي ينتمي إليه[3] [1] .

---

(١) رياض النفوس للمالكي ٣٨٣/٣ - ٣٨٤ .

(٢) البيان المغرب ابن عذاري ٢١٧/١ - ٢١٨ .

(٣) روجي إدريس ٦٩٣/٢ ، محاضرات ص٢٧٦ .

ويتجلى من استقراء سيرة ابن أبي زيد في جميع الزوايا أنه يعود إلى الكتاب والسنة ويستمد منها ما تدعو إليه الحاجة لإصلاح أحوال ا تمعات الإسلامية كي تنتهي إلى ماكتب الله في الأزل من عزة ونضر للمؤمنين لايتحققان إلا حين يكون روح التشريع الإسلامي موجها لتلك ا تمعات سائدا فيها ، داعية لها إلى التنافس في الخير والتسابق في العمل الصالح ، ولذلك نجد مقالاته وفصوله في كتابه[2] تعود بنا دائما إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة .

المبحث الرابع :

مكانة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني العلمية وثناء العلماء عليه رحمه الله تعالى

(١) الرسالة لابن أبي زيد القيرواني مع شرح عند السميع الآبي ص١٩ ، النوادر والزيادات ورقة ١٨ جـ ا لد الأول . مخطوط . وانظر نصيحته لولاة الأمر وتحريه للحق وحبه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدالته بين البشر . كتاب معالم الإيمان للدباغ ١٠٣/٣ .

(٢) **وقد ألف الشيخ ابن أبي زيد في موضوع الأخلاق كتابين ، كتاب المضمون من الرزق وكتاب حماية عرض المؤمن . انظر ترتيب المدارك ٤٩٤/٤ ، والمعالم ١١١/٣ ، يسميه المضمون من الرزق . وانظر محاضرات لابن أبي زيد القيرواني ص٢٨ .**

المبحث الرابع : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

فقد اجتمعت لدى الشيخ ابن أبي زيد بفضل الله ثم جهود هؤلاء الشيوخ ذخائر العلم ونفاس الآثار وثلاثي في كنفه متباعد الأنظار .

ذكر فضيلة الدكتور بو الأجفان التونسي القيرواني في إحدى مقالاته في دائرة المعارف التونسية مبينا بعض مسوغات لنيل ابن أبي زيد هذا مستواه العلمي قائلاً:(... لولا اكتسابه لهذه الصفة من محيطة العلمي والثقافي باعتبار أن القيروان كانت دار علم واجتهاد أخرجت أعلاماً مجددين كبارا كالإمام سجنون - رحمه الله - وغيره ، كما أن بعض رحلاته كان لها أثر على تكوينه العمق فبفضل المناخ العلمي القيرواني والرحلة المشرقية لابن أبي زيد والصلات العلمية والمذاكرات اجتمعت لمترجمنا ثروة زاخرة من النقول والمأثورات،وخدم االعقيدة

السلفية)[1]

وهناك شيوخ مشارقة قد أجازوه لما بلغهم عنه من علم ومعرفة كابن شعبان المصري ، وأبي سعيد بن الأعرابي ، وأبي بكر الأ ـري ، والمروزي وغيرهم من البغداديين[2] .

ومن تمام الفائدة ان أذكر أبرز العلوم التي تلقاها ابن أبي زيد : -

أولاً : علوم القرآن ، إذ بعد أن من الله عليه حفظه للقرآن أخذ عن شيوخه علومه مما ساعده على فهمه وتفسيره وتدبره باعتباره المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي كما أمكن له الإبداع في علوم أخرى ، كالعربية وعلومها ، والفقه ومذاهبه وأقواله معبرا عن ذلك بأسلوب رائع ، ولعة كتب الأدب والنقد، وبفضل الله عزوجل ثم هذه الدراسة الجادة للقرآن أمكن له فيما بعد ان يضع كتاب البيان في إعجاز القرآن وهو من الفنون التي كان علماء القرن الرابع يتبارون في التأليف فيها ، ومع عناية بالقرآن اعتنى بالسنة النبوية المطهرة دراسة ورواية ، ورحل في طلب نصوصها داخليا وخارجيا ، وكيف لايبرع فيها ومن شيوخه ابن اللباد (ت٣٣٣هـ) ، وأبي العرب التميمي وهما أشهر من اعتنى بدراسة علوم السنة ومن أكثر شيوخ القيروان ضبطا وتحقيقاً إلا أن العلم الذي أخذ بمجامع قلبه هو علم الفقه والعقيدة السلفية نتيجة لما عليه علماؤه السنيون[3]

فإن من لوازم الحياة العلمية أن يتزود العالم بالعلوم والمعارف الدينية التي ينبغ في تحصيلها وحسن فهمها في عصره من آفاق الا يكون ضيق الأفق وللأسف الشديد فإن نبوغ العالم قلما يتخطى ميدانا أو اثنين من ميادين المعرفة ، فتبرز شخصيته بروزا واضحا فيما قدر له من اختصاص ، تبعا لمؤهلاته الذاتية ولظروفه وطموحه .

فالشيخ ابن أبي زيد القيرواني ، من أفذاذ العلماء من تتسع عبقريتهم فينبغون

---

(١) الملحق الثقافي يوم الخميس ٢٩/أدت ١٩٩٦م ص٢، بقلم د. حسين المزوغي .

(٢) انظر كتاب ابن أبي زيد للدكتور الدرقاش ص٢٣٧ .

(٣) انظر كتاب الدرقاش ١١٠/١ بتصرف .

نبوغا عجيبا في ميادين كثيرة ، فهو مفسر ، محدث ، فقيه ، متكلم داعية إلى الله على بصيرة ، مقاوم لكل فئة من أهل الزيغ والضلال ، أديب ، شاعر ، وقد ظهرت شخصيته في كل ميدان نزل به ، ونازل ، فكان في كل ذلك طيب الذكر موفور الأجر .

يعتد الشيخ ابن أبي زيد في وزن الرجال وتقدير مكانتهم العلمية ، بشهادة العلماء لهم وآرائهم فيهم ، مماجعل نقد الرجال ، وبخاصة في رواية الحديث والفقه ، علما له شأنه الخطير في تاريخ الإسلام العلمي ، وكتبه معتمدة ، وأنقل من شهادات العلماء له إبتداء من مقالة معاصره وتلميذه الشيخ أبي الحسن القابسي : (كان أبو محمد إماما مؤيدا موثوقاً به في درايته وروايته)[1] .

وقال أبو الحسن علي بن عبدالله القطان : ما قلدت أبا محمد حتى رأيت السيائي يقلده[2] .

وقال أبو العباس عبدالله بن أحمد الإبياني (ت٣٥٢هـ) فيه : (وأما الثاني من الإثنين فإني رأيت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له عبدالله بن أبي زيد القيرواني[3] وقال عنه الباقلاني (ت٤٠٢هـ) في صدر الكتاب - الفرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء - شيخنا أبو محمد ابن أبي زيد - رحمه الله - متسع العلم في الفروع مطلع على جمل من الأصول لاينكر كرامات الأولياء ، ولايذهب مذهب المعتزلة[4] .

قال الإمام الشيرازي (ت٤٧٦هـ) ، كان يعرف بمالك الأصغر ، وزاد غيره: وبقطب المذهب وكان إذا أشكل عليه شيء من كلام السلف يرى بيانه في النوم[5] .

---

(١) معالم الإيمان ١٣٦/١ .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ١٠٠/٣ .

(٤) الجامع لابن أبي زيد - تحقيق محمد بو الأجفان ص٣١ نقلا عن رشاد واللبيب إلى مقاصد الحبيب لابن غازي (كتاب أخبار الأنبياء) مخطوط خاص .

(٥) طبقات الفقهاء للشيرازي ص١٦٠ ، ومعالم الإيمان ١١٠/٣ .

قال القاضي عياض : وكان أبو محمد ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - إمام المالكية في وقته ، وقدو م ، وجامع مذهب مالك ، وشارح أقواله ، وكان واسع العلم ، كثير الحفظ والرواية ، فصيح القلم ، ذابيان ومعرفة بما يقوله ، ذابا عن مذهب مالك ، قائما بالحجة عليه ، بصيرا بالرد على أهل الأهواء ، يقول الشعر ويجيده ، ويجمع إلى ذلك صلاحا تاما ، وورعا وعفة ، وحاز رئاسة الدين والدنيا وإليه كانت الرحلة من الأقطار ، ونجب أصحابه ، وكثر الآخذون عنه ، وهو الذي لخص المذهب ، وضم كسره ، وذب عنه ، وملأت البلاد تواليفه ، عارض كثير من الناس أكثرها ، فلم يبلغوا مداه ، مع فضل السبق ، وصعوبة المبتدأ ، وعرف قدره الأكابر[1] .

قال الشيخ عبدالرحمن الدباغ في معالمه : كان من أهل العلم والعبادة والورع والفضل والإحسان بالمحل الأعلى انتشرت إمامته في العلم شرقا وغربا، وظهرت فضائله وفواضله بعدا وقربا ، واحد الزمان جلالة وعلما ، وفريد
العصر عقلا وفهما ، مع ورع حاجز ، وحسن سمت ووقار ، وارتفاع همة ، وعذوبة ألفاظ ، وملاحة إيراد ، وجزالة معان ، ضربت إليه الأكباد من سائر البلدان[2] . ثم استرسل ابن ناجي في كلامه وذكر نحو ماذكره القاضي عياض في مداركه[3] .

ثم ذكر أيضاً الدباغ بصيغة التمريض ما يقال عن الشيخ ابن أبي زيد من فضائله وقال : (ويقال : لولا الشيخان والمحمدان والقاضيان لذهب المذهب) ، فالشيخان أبو محمد بن أبي زيد وأبوبكر الأ ري ، والمحمدان محمد بن سحنون ومحمد بن المواز ، والقاضيان أبو محمد عبدالوهاب وأبو الحسن بن القصار ، وكان مؤيدا في فتاويه وتواليفه من ذلك ماذكره ابن بريزة في تفسيره لقوله تعالى{ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات

---

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض م٢ ٤٩٢/٤ – ٤٩٣.

(٢) معالم الإيمان ١١٠/٣ .

(٣) ترتيب المدارك للقاضي عياض م٢ ٤٩٣/٤ .

بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين }[١] قال سمعت بعض شيوخنا يحكي:توفيت امرأة بالقيروان كانت مشهورة بالزنا ، فلما جاءت الغاسلة لتغسلها - وهي ميتة - ضربت بيدها على فرجها وقالت : قد طالما عصيت الله سبحانه ذا الفرج : فالتصقت بد الغاسلة بفرج الزانية : فجاء الناس إلى أبي محمد ابن أبي زيد فأخبروه بالقضية فأمر بأن يقام على الغاسلة حد القذف ، ففعل ذلك فزالت يدها[٢] .

ويقول الدباغ أيضاً في شأن ابن أبي زيد : كان رحمه الله تعالى - متفننا في علوم كثيرة منها علوم القراءات وتفسير القرآن وحديث رسول الله ﷺ ، ومعرفة رجاله وأسانيده وغريبه والفقه البارع وآثار العلماء وكتب الرقائق والمواعظ والآداب[٣] .

وشيخ الإسلام ابن تيمية ت٧٢٨هـ ، ذكره من ضمن أعلام طوائف أهل السنة والجماعة[٤] .

وقال عنه الإمام الذهبي (ت٧٤٨هـ) في السير عن ابن أبي زيد أنه الإمام العلامة القدوة الفقيه ، عالم أهل المغرب ، أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي ، ويقال له مالك الصغير ، وكان أحد من برز في العلم والعمل[٥] .

وقال أيضاً الذهبي : وكان ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - على طريقة السلف في الأصول ، لايدري الكلام ، ولا يتأول[٦] .

وأما أبو محمد عبدالله اليافعي (ت٧٦٨هـ) ، فيقول عنه : الإمام الكبير

(١) سورة الأنفال آية : ١ .
(٢) معالم الإيمان للدباغ ١١٠/٣ - ١١١ .
(٣) المصدر السابق ١١٠/٣ .
(٤) انظر مختصر منهاج السنة للذهبي (ت٧٤٨) ، ص١٨٧ - ١٨٨ .
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/١٧ ، وانظر الفهرست لابن النديم ص٢٥٣ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص١٣٥ .
(٦) سير أعلام النبلاء ١٢/١٧ .

الشهير شيخ المغرب وإليه انتهت رئاسة المذهب[(١)] .

وأبو المحاسن جمال الدين بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ) ، فيحليه بقوله : كان واسع العلم كثير الحفظ ذا صلاح وعفة وورع[(٢)] .

قال الأجهوري عنه (ت١٠٦٦هـ) : كان واسع العلم كثير الحفظ والديانة جمع مع ذلك صلاحاً تاما وورعا وعفة وكرما ، وصله الله بثلاثة أشياء : صحة البدن ، والسعة في المال والعلم[(٣)] .

وأما أبو العباس ، أحمد النفراوي(ت١١٢٥هـ)[(٤)] ، فيقول عنه في مناقبه : إ ا كثيرة شهيرة منها كثرة حفظه وديانته وكمال ورعه وزهده[(٥)] .

وقال العلامة محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج (ت١١٤٩هـ) ، وكان عبدالله بن أبي زيد هو المعبر عنه بمالك الصغير لغزارة علمه وتحقيق تدقيقه ، وتدقيق تحقيقه ، وغريب نقله ، وبليغ عباراته وواضح إشاراته ، ولطيف فهمه وزاخر علمه[(٦)] .

قال الحجوي في كتابه الفكر السامي : (يعتبر من الطبقة العالية من المؤلفين وعندي أنه أحق من يصدق عليه حديث : « يبعث الله على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها »[(٧)] .

---

(١) مرآة الجنان ٤٤١/٢ .

(٢) النجوم الزاهرة ٢٠٠/٤ .

(٣) حاشية : أبو الإرشاد نور الدين على بن زين العابدين بن محمد بن زين العابدين بن الشيخ عبدالرحمن الأجهوري على شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ٦/١ب ، مخطوط دار الكتب الوطنية ، وانظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف ٣٠٣/١ .

(٤) انظر شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ٣١٨/١ .

(٥) الفواكه الدواني ٨/١ ، وانظر كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني ، بتحقيق أ.د. محمد بو الأجفان ص٤٠ .

(٦) الحلل السندسية في الأخبار التونسية لمحمد الوزير السراج ، بتحقيق أ.د. محمد الحبيب الهيلة ٣٤٤/٣ .

(٧) أخرجه أبو دأود في سننه ، جـ٢:٤٢٤ رقمه ٤٢٩١ والحاكم في المستدرك جـ٤ ص٥٢٢ ، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ص٥٢ ، وأبو عمرو الداني في الفتن جـ١: ٤٥ ، والخطيب في تاريخ بغداد جـ٦١/٢، وابن الحجر في توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس ص٤٦، والألباني في ⇦

وأما الشيخ محمد الفاضل بن عاشور التونسي القيرواني فيتحدث عن خصائص شخصية ابن أبي زيد قائلا : وقد زكى سمعته العلمية الذائعة مازان سلوكه الشخصي من الزهد والورع مع العقل الراجح والأدب البارع ، فكانت قوة عارضته وجزالة رأيه ، مع ما أوتى من فصاحة اللسانين الشفهي والكتابي ممكنة له مقدرة في خدمة الفقه تدريسا وتأليفا يعز أن تتاح لغيره ، حتى عرف في عصره بشيخ المذهب ، ولقب بمالك الأصغر ، وقد بدأ ذلك الاعتبار واضحا محسوسا في ماتنا قلت عنه الأجيال إلى اليوم من تراث خالد في العلم وفي الأدب ، فقد عدله مترجموه نيفا وثلاثين كتابا وهم يعتبرون ذلك على سبيل الإختصار والتمثيل لا على سبيل الاستقصاء[(١)] .

وقد عبر الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عن نوع الخدمة التي أداها مترجمنا للفقه المالكي فقال : (وقد أعانه ذلك التكوين الممتاز على أن يرجع بالفقه إلى صفائه العلمي ويفكه من قيود الجدليات والعصبيات وأن يسلك في خدمة المذهب المالكي مسلكا فريدا يضبط ما تناثر في مصادره من الأقوال مما قاله مالك وخالفه فيه أصحابه ، أو ما وافقوه فيه ، أوما انفرد أصحاب مالك ومن بعدهم بتقريره من الأحكام ، فدرس الأقوال الفقهية وحقق الصور التي تتعلق ا حيث كانت صورة واحدة واختلفت فيها الأنظار ، أو صورا مختلفة يرجع كل قول إلى واحد منها ، واهتم بوضع كل حكم في نصابه وذلك بضبط الأركان والشروط التي تتحقق ا ماهية كل موضوع من مواضيع الأحكام الفقهية ، فكان بذلك عمادا متينا لدور التطبيق في المذهب المالكي يوازي من معاصرته المالكية الأ ري بالعراق ، وابن عبدالبر وابن أبي زمنين بالأندلس كما يوازي من معاصريه في المذهب الحنفي الكرخي والجصاص وأبا الليث السمرقندي[(٢)] .

قلت : لم يكن الشيخ ابن ابي زيد يمنح هذا اللقب والثناء من أقرانه الا بعد أن بذل جهداً نادراً فذاً في خدمة الإسلام وتطور هذا المذهب المالكي وذلك

سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ١: ١٥٠ رقم ٥٩٩ ، والحديث صحيح صححه الألباني .

(١) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ص٤٨ ، لمحمد الفاضل ابن عاشور .

(٢) المصدر السابق ص٤٧ .

بتلخيص مسألة والذب عنه واقتحامه في ميدان التأليف الفقهي والعقدي اقتحاما أثمر إنتاجا زاخرا ولذلك شاع عند الناس قول بعضهم كما أسلفت[1] في ذكر من رواية عبدالرحمن الدباغ : (لولا الشيخان والمحمدان والقاضيان لذهب المذهب ..)[2] .

فإذا كانت هذه هي مواقف الموالك القدامى فإننا نجد مثيلها عند موالك العصر الحديث كما ذكرته في قول ابن عاشور والحجوي ونحى نحواهم الشيخ محمد النيفر الشاذلي في كتابه عنوان الأريب : (.. فبرع في علوم الشريعة وفاق الأقران فاشتهر علمه وانتفع الناس بعلومه وضربت له أكباد الإبل من الأقاصي للأخذ عنه)[3] .

ولم تكن هذه الأقوال المعبرة عن مواقف أصحا ا من عبقرية أبي محمد العلمية عامة وإبداعه في ميادين عديدة خاصة بمقصورة على علماء الإسلام بل تجاوز م إلى غيرهم ممن ليسوا على الإسلام .. إن من يطلع على ما كتبه الهادي روجي إدريس لاشك أنه سيتحقق من صدق الآراء وصحة المواقف التي استعرضنا بعضها في أماكن متعددة من هذا البحث ومن المعلوم أن شهادة المخالف عادة مايكون منطلقها العقل دون العاطفة وخاصة إذا كانت معترفة بما هو حق وبما هو صدق في المشهود عليه لأن صاحبها سوف لايوصف بالمذهبية الفقهية أو العقدية ولاغيرها لأنه ليس بمسلم ولاينتمي للمالكية بصلة ما وشهادة الهادي روجي إدريس من هذا القبيل ولقد جاء في شهادته قوله: (كان أبو محمد عبدالله بن أبي زيد عبدالرحمن النفزي شخصية فذة إذ يبدو من المؤكد أنه هو الذي ضمن الانتصار النهائي للمذهب المالكي بإفريقية فقد جمع من جهة عناصر عمل الإمام سحنون ومدرسته وكون منها بعد دراسة تمحيصية المبادئ العامة للمالكية القيروانية ولخص هذه المادة من جهة أخرى في كتاب صغير أشبه

---

(١) انظر ص٢٤٨ من هذه الرسالة .

(٢) معالم الإيمان ١١٠/٣ .

(٣) عنوان الأريب ص٣٤ .

بالمختصر ليضمن لها انتشارا كبيرا في جميع الأوساط وقد كان هذا المنظر والمبسط للمذهب المالكي بعد تنظيمه وإعمال الفكر فيه أيضاً قاضيا مفتيا نبيها ومسموع الكلمة وأن مناقبه التي لاتحصى لتشهد على حصافة فكر قادر على النبوغ في كل من الأمور ا ,ردة والمحسوسة أن الأسباب التي تفسر شهرة ابن أبي زيد وعمق عمله واستمراره هي أساسا قيمة شيوخه وتنوعهم وغزارة إنتاجه ومواهبه الكبيرة في الكتابة طول المدة التي قضاها في النشاط والتي وصلت الستين سنة خصوصية تفكيره[١] .

إن شهادة هذا الباحث وغيرها لكافية في إنزال أبي محمد مكان الصدارة بعد مالك في رحاب مدرسة الفقه المالكي خاصة ومدرسة الفقه السني عامة .

يقول أحد الباحثين عند تعريفه بابن أبي زيد القيرواني : (فقيه مفسر مشارك في بعض العلوم)[٢] ، ومن المعروف أن مفهوم هذه المشاركة لم تكن بمشاركة الهاوي بل كانت مشاركة العالم ، إذ أن أبا محمد هو أول من بسط أصول الفقه في جلاء ووضوح وأعتقد أن من يستطيع أن يبسط علما من العلوم إنما مرد ذلك إلى ما اكتسبه فيه من ملكة جعلته قادرا على هضم مسائله ولم شتات جزئيات مسائله ، إن هذه الملكة الأصولية هي التي كانت وراء إبداعه الفقهي بما فيه من تخريجات ذكية ومتينة ثم التأليف فيه تأليف عظيمة لايزال عليها المعول في الفقه المالكي إلى عصرنا هذا .

---

(١) ابن أبي زيد القيرواني حياته وآثاره للدكتور الدرقاش ص٣٢٤ ، نقلا عن روجي إدريس JeuxJuristes uanaisPage125.

(٢) معجم المؤلفين ٧٣/٦ .

الفصل السادس :

وفاته ورثاء العلماء له .

يروى القاضي عياض أن ابن أبي زيد رئي يوما في مجلسه وهو مستغرق في التفكر وعليه مسحة كآبة ، فسئل عن سبب ذلك فأجاب بقوله : رأيت باب

داري سقط وقد قال فيه الكرماني : إنه يدل على موت صاحب الدار ، فقيل له - الكرماني - مالك في علمه ؟ قال : نعم هو مالك في علمه أو كأنه مالك في علمه ولم يلبث ابن أبي زيد إلا يسيرا ، ثم فارق هذه الحياة الدنيا[١] .

وقد احتلف المؤرخون في تعيين سنة وفاة الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله، فالشيخ على الأجهوري[٢] يسوق روايتين احداهما تجعلها سنة ٣٩٦هـ وثانيهما تجعلها سنة ٣٨٦هـ ، وتوسط طائفة من المترجمين فقالوا إ ا سنة ٣٨٩هـ وفي هذه الطائفة أبو محمد عبدالله اليافعي[٣] ، وأبو المحاسن يوسف بن تغري بردي[٤] وأبو الفلاح عبدالحي بن العماد[٥] ، وتابعهم حاجي خليفة[٦] .

والصحيح أن وفاته كانت في الثلاثين من شعبان سنة ٣٨٦هـ ١٤ سبتمبر ٩٩٦م . وهو التاريخ الذي ارتضاه القاضي عياض[٧] ، وابن فرحون[٨]،والدباغ وابن ناجي[٩] ، وأحمد زروق[١٠] ، ومخلوف[١١] وأصحاب دائرة المعارف الإسلامية[١٢] وكحالة[١٣] ، والزركلي[١٤] . وكذلك ذهب الدكتور الدرقاش إلى نحو هذا المسلك وقال : « ... بعد جهاد علمي مجيد شمل حلقات الدرس ومساجد القيروان وميادين المناظرة ومجالات التأليف لبى مالك الصغير داعي ربه

---

(١) المدارك ٤٩٧/٤ .

(٢) حاشية الأجهوري على الرسالة ٦/١ب .

(٣) مرآة الجنان ٤٤١/٢ .

(٤) النجوم الزاهرة ٢٠٠/٤ .

(٥) شذرات الذهب ١٣١/٣ .

(٦) كشف الظنون ٨٤١ .

(٧) المدارك ٤٩٦/٤ .

(٨) الديباج ٤٣٠/١ .

(٩) معالم الإيمان ١١٨/٣ .

(١٠) شرح الرسالة ٥/١ .

(١١) الشجرة ٩٦/١ .

(١٢) دائرة المعارف الإسلامية ٢٠٥/١ .

(١٣) معجم المؤلفين ٧٣/٦ .

(١٤) الأعلام ٢٣٠/٤ .

وذلك مساء الإثنين ثلاثين شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة على سن بلغت ستا وسبعين سنة وهو ماذكره عياض ومن جاء بعده ممن أرخ لحياة مالك الصغير خلافا لما ذكره صاحب شذرات الذهب وكشف الظنون وغيرهما من أصحاب دوائر المعارف غيرالإسلامية في العصر الحديث من حيث كونه توفي سنة٣٨٩ »(١).

قلت : وقد اعتمد المحققون على ما ذهب إليه عياض والدباغ وما نقلته عنهما دائرة المعارف الإسلامية وكارل بروكلمان على أساس أن الإمام عياض هو أقرب من غيره لعصر أبي محمد بالإضافة إلى كونه من أئمة المذهب المالكي الذين لهم إلمام بتراجم أعلام المالكية .

وقد دفن بداره بالقيروان خلافا لما زعم بروكلمان من كونه دفن بفاس وهو زعم باطل لم يقل به غيره قال صاحب المعالم « توفي أبو محمد يوم الإثنين عند الزوال ثلاثين من شهر شعبان (سنة ٣٨٦هـ) وعاش ستا وسبعين سنة . قال وصلى عليه الشيخ أبو الحسن القابسي بالريحانية عند باب أصرم يوم الثلاثاء في جمع لايحصون ودفن بداره وروى عنه أنه لما سمع بوفاته سقط إلى الأرض وقال الآن انكشف عورتي لما كان ينوب عنه في الفتوى وبكى عليه حتى كاد أن يغمى عليه »(٢) .

لقد أثار موت هذا العالم الجليل حسرة في نفوس العلماء والطلبة والعامة على حد سواء .

إن صفة الوفاء للمعارف والأصدقاء والشيوخ لهي من الصفات البارزة للعيان في حياة ابن أبي زيد وقد جوزي بنفس صنيعه ولا أدل على ذلك من المراثي الكثيرة التي رثي ا من قبل كل من يحسن الشعر ممن التقى به أو عرفه أو استمع إليه في مجلس درسه .

إن هذه القصائد لو جمعت لشكلت ديوانا للوفاء وسجلا لرابطة قامت على

(١) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ٣٢٩/١ .
(٢) معالم الإيمان ١١٨/٣ .

الحب والإخلاص للعلم وأهله وللمجتمع وقضاياه ، إن موجة الاستياء والحزن هذه قد عبر عنها عشرات الشعراء الذين رثوه بقصائد أبقت ذكراه حية متجددة دائما وبكت فيه فضائل العالم ا اهد بالفكر والقلم وبالتصرف والسلوك ، وإن ما ذكرته كتب التراجم من هذه القصائد لهو ال ر اليسير مما قيل فيه وصدق قول القاضي عياض فيه حيث يقول: « ورثاه كثير من أدباء القيروان بمراث مشجية »[1]

وجاءت قرائح الشعراء بمراث مؤثرة تشيد بفضائله وتعدد مناقبه وتعبر عن لوعة فقده ، من ذلك مرثية أديب القيروان أبي الخواص الكفيف التي منها :

كادت تميد الأرض خاشية الربى ... وتمور أفلاك النـ ـجوم الطلع
عجبا أيدري الحاملون لنعشـ ـه ... كيف استطاعت حمل بحر مترع
علما وحكما كاملا وبراءـ ـة ... وتقىء وحسن سكينة وتورع[2]
وسعت فجاج الأرض سعيا حوله ... من راغب في سـ ـعيه متبرع

ومما قاله أبو على بن سفيان في رثائه :

غصت فجاج الأرض حتى ماترى ... أرض ولا علم ولا بطـ ـحاء
مازلت تقدم جمعهم هربا لـ ـهم ... في مركب حفت به النجباء

وقال الشقراطسي : وهو تلميذ ابن أبي زيد واسمه أبو زكريا يحيى الشقراطسي :

خطب ألمّ فعم السـ ـهل والجبلا ... وحادث حلّ أنسى الحادث الجللا
ناع نعي ابن أبي زيد فقـ ـلت له ... أشـ ـمسنا كسفت أم بدرنا أَفَلَ
أم مادت الأرض وأرتجت بساكنها ... أم الحـ ـمام بعبدالله قد نـ ـزلا
فإن يكن صـ ـدرنا حام الحمام به ... فالصدر صاد ومن نار الأسى شعلا
رزية عظمت أتراحـ ـها : أفلا ... أبكى؟ وهل سلوة والبدر قد أفلا؟

(١) المدارك ٤/٤٩٦ .
(٢) المدارك ٤/٤٩٦ - ٤٩٧ .

رجت لموقعها الأرجـاء وارتجفت وزلزلت لضـجيج بالعويل علا
والناس من فَرقٍ سكرى على فَرق وكلهـم كلهم خطب به ذهلا
على الجليل الذي جلت مفاخره ومن مآثره أضحـت لنا جملا
كل البسيطة بسط الحزن قد بسطت وقبره بسـنا أنواره ابتهـ ـلا
وكـيف لاوولي الله حـل بـه قطب المشايخ نور للهدى اكتملا
مابالصـلاة ولا بالصـوم فا م لوكان هذا المكان الأمر قد سهلا
لكن بسـر من الرحـمن أوقره بصدره قَلْيهن الصدر ماحملا[1]
ياعين سحي دمعانا فالدمع فاض لما أصابني وهما سـحا ومنهـملا
لاتعجبوا من شـ ـجي في تولهه بل اعجبوا لخلي البال كيف خلا[2]

رحم الله أبا محمد ابن أبي زيد القيرواني على ما قدمه للإسلام وخدمة المسلمين[3] .

الباب الثاني

(١) المدارك ٤٩٧/٤ .
(٢) المعالم ١١٨/٣ .
(٣) المصدر السابق ١١٨/٣ ، وعنوان الأريب ٤١/١ - ٤٢ .

عقيدة ابن أبي زيد ، ويتضمن الفصول الآتية

الفصل الأول : وفيه ثمانية مباحث :

١) - أسماء الله تعالى وصفاته .

٢) - السمع ، والبصر والعلم والكلام والحياة والمعية وهذه بعض الصفات المعنوية .

٣) – اليد، الساق ، الصورة ، وهذه بعض الصفات الذاتية .

٤) – الأستواء ، ا ئ ، والإتيان ، وال ول وهذه بعض الصفات الفعلية الإختيارية .

الفصل الثاني:رؤية الله تعالى يوم القيامة .

الفصل الثالث : القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق .

الفصل الرابع : الإيمان وعلاقة العمل به ونواقضه .

الفصل الخامس : القضاء والقدر .

الفصل السادس : اليوم الآخر وما فيه .

الفصل الأول :

وفيه تمهيد وثمانية مباحث

عقيدة ابن أبي زيد في أسماء الله وصفاته .

تمهيد :

كان علماء السلف يقتصرون في باب العقائد على مجرد تقريرها طبقا لما جاء به الكتاب والسنة مع ذكرهم الشواهد عليها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتضمن إثبا ا على نحو ماكان يعتقده الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم أجمعين - ولم يكونوا يدخلون في أول الأمر - مع أرباب المذاهب الكلامية المنحرفة في جدال حول انحرافا م العقدية للرد عليهم وإبطال مذاهبهم منعالانتشارها بين الناس .

ولكن لما انتشرت المذاهب الكلامية بالقيروان والمغرب الاسلامي على نطاق واسع وانتشرت بذلك شبها م بين الناس اضطر بعض علماء السلف الى تتبع هذه الشبهات وإبطالها وكان هذا المسلك تطوراً جديداً عندهم ولاسيما في بداية القرن الثالث ،فابن سحنون توفى ٢٥٦ هـ وكان ذا باع طويل في الرد على المخالفين ، وكان نشاطه في النصف الأول من القرن الثالث الهجري .

إذا نظرنا إلى القيروان وعلمائها خلال القرن الرابع الهجري نراهم - قد عاشوا أيضاً هذا الطور الجديد للمدرسة السلفية - طور مشاركة علماء السنة في الجدل ومناظرة المخالفين من شتى الفرق في مختلف المسائل العقدية بعد الإحجام عن الخوض في الكلام . لقد يأ لعلماء القيروان السنيين في تلك الفترة على علم الجدل وعرفوا مداخله ، وأسرار المسائل الكلامية السائدة في عصرهم ، فانبروا للرد على المخالفين من معتزلة ، وخوارج ، وشيعة إسماعيلية، وغدت القيروان تزخر بالعديد من علماء السنة مثل محمد بن نصر بن حضرم شيخ ابن سحنون ، وأبو العباس عبدالله بن طالب ت ٢٧٦ ، ومحمد بن محبوب ت ٣٠٧ ، وأبوبكر بن القمودي ومحمد بن فتح الرقاوي ت ٣١٠ ، وعلى بن منصور الصفار ، وأبوبكر اللباد ت ٣٣٣ ، وغيرهم[١] .

ولكن أبرز من يمثل عقيدة أهل السنة في إفريقية - خلال الفترة التي تناولناها

---

(١) المدارس الكلامية ص٤٢ نقلا عن طبقات علماء إفريقية للخشني .

بالدراسة - محمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ) ، وسعيد بن الحداد ت ٣٠٢ ، وابن أبي زيد القيرواني ت ٣٨٦ هـ ٩٩٦م .

١) - سلفية ابن أبي زيد في العقيدة :

إن من يمعن النظر في كتابي « الرسالة » و «الجامع »وغيرهما من الكتب لابن أبي زيد سيدرك عقيدته السلفيةوقد ذكر في مؤلفاته المختصرة في أصول العقيدة دون أن يقوم تحليل قضاياها فيدخل فيما يسميه المتكلمون « بجليل الكلام ودقيقه »[١] . في المقدمة الوجيزة لكتابه « الرسالة » عرض عقيدة أهل السنة عرضاً ذكياً أوضح فيه خصائص هذه العقيدة وأصولها بإيجاز محكم ، وأسلوب رائع وذلك على النحو الآتي :

إجمال القول في إثبات أسماء الله تعالى وصفاته وبيان خصائصها .

وفيما يتعلق بإثبات أسماء الله وصفاته تعالى .

نجد أن السلف الصالح يثبتون ما أثبته الله لنفسه منها . لأنه أعلم بنفسه وبما أثبته له رسوله ﷺ لأنه مبلغ عن ربه . إذن ، فطريقة السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - في أسماء الله تعالى وصفاته هي : إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، من غير تحريف ولا تعطيل ولاتمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ، كما قال تعالى : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }[٢] .

وقال تعالى : { ولله الأسماء الحسنى فادعوه ا }[٣] وقال : { هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم }[٤] .

وقد بني السلف الصالح مذهبهم - في إثبا م أسماء الله تعالى وصفاته على أسس واضحة صحيحة .

---

(١) المدارس الكلامية ص٤٥ .

(٢) سورة الشورى آية : ١١ .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(٤) سورة الحشر آية : ٢٢ ، وما بعدها من الآيات .

١) - الا يسمى الله إلا بما سمي به نفسه وسماه به رسوله ﷺ الذي لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى - ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ أي أ ا توقيفية[١] . وذلك لما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة »[٢] ولا يعني هذا حصرها في ذلك العدد ، لقوله عليه السلام في الحديث الآخر : أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك »[٣] .

٢) - الإيمان بمعانيها التي تدل عليها ، وإثبا ا من غير تمثيل ، وت يهها من غير تعطيل كما قال تعالى : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }[٤] {قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد }[٥] وقال تعالى : { فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لاتعلمون }[٦] .

٣) - عجز البشر عن إدراك حقيقة هذه الأسماء والصفات ، فهم يثبتون معاني هذه الصفات ويعترفون بعجزهم التام عن إدراك حقيقتها . وهذا هو ما يذهب إليه الشيخ ابن أبي زيد في أسماء الله تعالى وصفاته .

حيث يقول في كتابه « الرسالة » «إن الله تعالى لاشبيه له ، ولانظير له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا شريك ، ... »[٧]، وهذا رد على الذين يلحدون في أسمائه بزعم المشا ة بينه وبين خلقه ، وأن اشتركا في التسمية فالحقيقة تختلف ولذلك أوجب السلف الصالح الإيمان بجميع أسمائه التي

---

(١) ضمن رسائل مجموعة التوحيد ص٣٤ .

(٢) رواه البخاري الفتح ٣٧٧/١٣ .

(٣) رواه أحمد ٣٩١/١ ، والحاكم في المستدرك ٥٠٩/١ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٣٦/١ رقم ١١٩ .

(٤) سورة الشورى من آية : ١١ .

(٥) سورة الإخلاص .

(٦) سورة النحل آية : ٧٤ .

(٧) شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص٩ ، للشيخ صالح عبدالسميع الآبي الأزهري .

وردت في القرآن والسنة مع تفويض الكنه والحقيقة والكيفية لله عزوجل .

٤) - يستفاد من كلام الشيخ ابن أبي زيد قاعدة من قواعد السلف في مسألة الإيمان بأسماء الله وصفاته ، وذلك للتفريق والتمييز وعدم الخلط بين الرب والعبد وأن وجود التشابه في إطلاق الأسماء والألفاظ لايدل على التشابه في الحقيقة ، فإذا كان البشر يتفاوتون في صفا م فيما بينهم فيتفاوتون في مقدرة سمعهم وأبصارهم وفي علمهم وإراد م ونحو ذلك ، فكيف بالخالق جل وعلا ؟ فليس هناك من تشابه إلا في ألفاظ الأسماء . والصفات دون حقائقها(١) .

كما يرى ابن أبي زيد أن أسماء الله غير مخلوقة ، أما الألفاظ التي تخبر عنها ، فهي مخلوقة وجدت بعد أن لم تكن وفي هذا يقول ... « وله الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه[٢] تعالى الله أن تكون صفاته مخلوقة[٣] وأسماؤه محدثة ... »(١) وفي هذا رد على الذين يذهبون إلى أن الله كان

---

(١) شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة للأستاذ الأمين الحاج محمد أحمد ص٦٠ - ٦١ بتصرف .

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله يمكن إجماله في النقاط التالية : - ١) الإيمان بثبوت الأسماء الحسنى الواردة في القران والسنة ، من غير زيادة ولا نقصان .٢) الإيمان بأن الله هو الذي يسمي نفسه ولا يسميه أحد من خلقه ، فالله عز وجل هو الذي تكلم ذه الأسماء ، وأسماءه منه وليست محدثة مخلوقة كما يزعم الجهمية ، والمعتزلة ، والكلابية ، والأشاعرة ، والماتوريدية.٣)الإيمان بأن هذه الأسماء دالة على معاني في غاية الكمال ، فهي أعلام وأوصاف ، وليست كالأعلام الجامدة التي لم توضع باعتبار معانيها ، كما يزعم المعتزلة .٤) إحترام معاني تلك الأسماء وحذف مالها من حرمة في هذا الجانب ، وعدم الترض لتلك المعاني بالتحريف والتعطيل كما هو شأن اهل الكلام .٥) الإيمان بما تقتضيه تلك الأسماء من الآثار وما ترتب عليها من الأحكام . (كتاب العرش للذهبي ، تحقيق د. محمد خليفة التميمي ص ٣٠) .

(٣)وقد عبر الشيخ ابن ابي زيد القيرواني "بلفظ غير مخلوق " وقد ذكر العلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد كلام سلف الأمة في هذا وقال : (والمسلمون أهل السنة ، يعتقدون ويثبتون أن القران كلام الله -تبارك وتعالى-لايزيدون على ذلك . فلما واجهت الجهمية الأمة ببدعة القول بخلق القران وشايعهم المعتزلة على هذه المقولة الكفرية فقالوا عن القران مخلوق ، ورد عليهم علماء السلف بالنفي والإنكار فقالوا القران كلام الله غير مخلوق) . وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد –رحمه الله تعالى – كما في مسائله رواية أبي داود عنه (ص٢٦٣-٢٦٤) ، اذ سأل عن ⇦

في أزله « بلا اسم ولا صفة ، عباده هم الذين خلقوا له الأسماء والصفات » .

المبحث الأول :

تفصيل القول في صفات الله تعالى

تمهيد:

سبق لنا القول بأن الشيخ ابن أبي زيد كان سلفياً في أسماء الله تعالى وصفاته - وقد كان - منهجه في هذا الموضوع الإمساك عمالم يرد ذكره في كتاب الله تعالى ولافي سنة رسوله ﷺ من المباحث والمصطلحات العقدية ، ولهذا جاءت كتبه خالية من نظريات المتكلمين ، كقولهم : هل الصفات زائدة على الذات ؟ أم هي عين الذات ونحو هذا من المباحث التي لم تعرف عند علماء السلف الأوائل[٢]رضي الله عنهم . وقد أفادت كتب التراجم أن ابن أبي زيد مشهور بردوده على أهل الأهواء والبدع ، وبعمق مناقشاته لهم ، وإقامة الحجة عليهم ، في كتبه التي خصصها لمناقضة آراء المخالفين حسبما يستفاد من المصادر التي ترجمت له ، وللأسف الشديد فقد فُقدت هذه الكتب النفيسة فلم يبق له من كتاباته في العقيدة إلا ماسطر في مقدمته لكتابه « الرسالة » وماجاء متناثراً من كلامه في العقيدة في كتبه الأخرى ، ككتاب النوادر والزيادات ، وكتاب الجامع ، واختصاره لمدونة الإمام سحنون .

ولو عثر على كتبه العقدية لاعطتنا صورة جلية عن مدى مساهمته في دعم المدرسة السلفية في ا ال العقدي ، مثلما فعل في ا ال الفقهي .

وإذا لم يكن قد بقي من كتب ابن أبي زيد الخاصة بالعقيدة شيء فقد جاءت

الواقفة الذين لا يقولون في القران إنه مخلوق أو غير مخلوق ، هل لهم رخصة أن يقول الرجل كلام الله ثم يسكت ؟ قال: ولمَ يسكت ؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شئ لا يتكلمون ؟ (عقيدة السلف مقدمة ابن ابي زيد القيرواني تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد ص٣٥-٣٦ نقلاً عن مقدمة مختصر " العلو " للألباني ص ١٩).

(١) شرح الرسالة ص١٠ ، للشيخ صالح عبدالسميع الأبي الأزهري .

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص١٥٨ ، وعقيدة الإمام ابن قتيبة للدكتور على بن نفيع العلياني ص١٥٤ .

مقدمة « الرسالة » التي ذكرناها - آنفاً - خاصة بالمباحث العقدية وقد وضعها ابن أبي زيد لتصحيح الاعتقاد وبيان ما يجب على المسلم أن يتحلى به، وبيان معتقد السلف أو بيان معتقده في مقابل معتقد المعتزلة وغيرهم من الأشاعرة الذين يؤلون بعض الصفات وكان يقرر مذهب الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ورأي الإمام مالك .

٤) - وإن كلام ابن أبي زيد في صفات الله تعالى يدور حول الصفات التي كثر فيها الجدال بين علماء السلف وخصومهم غالباً وهي :

- صفات المعاني العلم والسمع ، والبصر ، والكلام .

- الصفات الذاتية الخبرية اليدين ، الصورة ، الأصابع ، المعية ، العلو ،ورؤية المؤمنين لله يوم القيامة .

- الصفات الفعلية الإختيارية ا ول ، الإستواء ، وا ئ ، والإتيان .

ولم يستوف الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - جميع الأدلة ولم يبين شبهات المخالفين في مسائل الصفات وإنما اقتصر على بيان منهج السلف الصالح وقرر عقيد م . وقبل أن أعرض موقفه من هذه الصفات أود أن أبين مذاهب الناس في نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة وهم ست فرق :

١) - فريق منهم ظنوا أن آيات الصفات أنزلت للتلاوة والتعبد ا دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها وقالوا نصوص الصفات لاتعقل معانيها ولايدري ما أراد الله ورسوله عنها ولكن نقرؤها ألفاظا ونعلم أن لها تأويلا لايعلمه إلا الله وهؤلاء هم الذين يسمون عند علماء السلف أهل التجهيل[1] .

٢) - وفريق اعتقدوا أن الرسل - عليهم صلوات الله وسلامه لم يفصحوا للخلق عن حقائقها إذ ليس في قواهم إدراكها فقربوا لهم الحقائق المعقولة بإبرازها في الصور المحسوسة وقالوا لايحل لأحد أن يتأول ذلك على خلاف ظاهره للعامة لأنه يفسد ما وضعت له الشرائع والكتب الإلهية. وأما الخاصة فإ م يعلمون أن

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية ص١٢١ .

هذه أمثال مضروبة لأمور عقلية ويسمى ابن القيم هذا الفريق أهل التخييل ويقول عنهم « حقيقة الأمر عندهم أن الذى أخبرت به الرسل عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر لاحقيقة له تطابق ما أخبروا به ولكنه أمثال وتخييل

وتفهيم بضرب الأمثال[1] » . **٣)**وفريق أثبتوا الأسماءدون الصفات وأولوا الصفات لأن إثبات صفات قديمة يلزم منه تعدد القدماءبزعمهم وهؤلاء هم المعتزلة ومن سار على جهم وصار على در م[2].

٤) وفريق أثبتوا الأسماء وسبعاً من صفاته هي التي يسمو ا صفات المعاني وأولوا بقية الصفات زعما منهم أن إثبا ا يلزم منه التشبيه والتجسيم وهذا قول أتباع أبي الحسن الأشعري الذين لم يقتنعوا برجوعه إلى مذهب السلف[3]. قلت: فالأشاعرةلم يؤولوبقية الصفات وأولوبعضهاوتركوا البعض الآخر،واقتصروا على إثبات الصفات السبع لأ اعندهم هي التي يمكن إثبا ا بالعقل وقالوا إن ما عداها راجع إليها.

---

(١) المصدر السابق ص١٢١ ، وانظر كتاب عقيدة الإمام ابن قتيبة للدكتور على بن نفيع العلياني ص٥٦ .

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار بن أحمد ص١٢٨ ، بتصرف وإسلام بلا مذاهب - مصطفى الشكعة ص٤٢٤ .

(٣) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٧٨/١ ، وكتاب الإمام ابن قتيبة ص٥٦ .

٥)- فريق أثبتوا الأسماء والصفات معتقدين أ ا تشبه صفات المخلوقين وقالوا محال أن يخاطبنا الله بمالا نعقله وهؤلاء هم المشبهة[(١)] .

٦) - وفريق أثبتوا حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلة المخلوقات ولايكيفون شيئاً منها ولا يؤولو ا وهم السلف الصالح رضوان الله عليهم[(٢)] .

ونعرض هنا موقف الشيخ ابن أبي زيد من بعض الصفات التي كثر الجدال فيها بين السلف وغيرهم ليتضح للقارئ معتقده فيها من خلال أقواله ، ولنرى مدى موافقته للسلف في أمر صفات الله - عزوجل .

موقف الشيخ ابن أبي زيد من الصفات: يرى الشيخ ابن أبي زيد أن القول في الصفات فرع عن القول في الذات ، لأ ما من باب واحد ، فهما من الغيب الذي لانستطيع إدراكه أو الوقوف على حقيقته أو كنهه ويقول « يعلم الله كل شيء في السموات والأرض وهو السميع البصير ، السميع بسمعه والبصير ببصره والعالم بعلمه المتكلم بكلامه ، بلا كيف ولاحد[٣] ولا تمثيل ولاتشبيه ، فمن قال

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص١٢٤ .

(١) استعمال لفظ (الحد) هنا وهومن الألفاظ ا ملة التي تحتمل الحق والباطل وذلك لم ا كانت الجهمية يقولون ان الخالق لا يتميز عن الخلق فيجحدون صفاته التي تميز ا وزعموا أنه ليس له حد ولا حد له لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم . فأثبت السلف الحد كما في إثباته رد على الجهميه في ما زعموا ، ولما في معنى (الحد) من إثبات مباينة الله لخلقه . وإن كان السلف يقولون : أنه حد لايعلمه إلا الله . قال إبن تيميه بعد أن نقل الآثار الواردة عن السلف في إثبات الحد ... (فهذا وأمثاله مما نقل عن الأئمة كما قد بسط في غير هذا الموضع ، وبينوا أن ما أثبتوه له من الحد لايعلمه غيره كما قال مالك وربيعه وغيرهما ..) درء تعارض العقل والنقل ٣٥/٢ .

استعماله في حالة النفي : عبر الشيخ إبن أبي زيد بنفي الحد ومفاد ذلك في مسألة نفي الإحاطة بالله علماً وإدراكا ، فلا منازعة بين أهل السنة بأن الله تعالى غير مدرك الإحاطة ، والخلق عاجزون عن الإحاطة به ، فهم لايستطيعون أن يحدوا الخالق جل وعلا أو يقدروه أو يبلغوا صفته ، يقول الشيخ " لايبلغ كنه صفته الواصفون " شرح الرسالة ص١٥ .فمن نفى الحد على هذا المعنى فهو مصيب .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه (المحفوظ عن السلف والأئمة إثبات حد الله في نفسه وقد بينوا مع ⇦

ذلك أن العباد لا يحدونه ولايدركونه، ولهذا لم يتناف كلامهم في ذلك كما يظنه بعض النـاس فا م نفوا أن يحد أحد الله) نقض تأسيس الجهمية ١٦٢/٢ . ومقصود الشيخ بقوله بلا حد : (نفى به إحاطة علم الخلق به وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه ، إلا بما أخبر عن نفـسه ليبين أن عقول الخلق لا تحيط بصفاته كما استدل بذلك الشيخ بخطبة الإمام الشافعي في رسالته أعلاه وهذا المحفوظ عن السلف والأئمة من إثبات حد الله في نفسه قد بينوا مع ذلك أن العباد لا يحدونه ولا يدركونه ، ولهذا لم يتناف كلامه في ذلك كما يظنه بعض الناس ، فإ م –السلف – نفوا أن يحد أحد الله كما ذكره الإمام أحمد في كتاب السنه و المحنة . وللمزيد من المعلومات انظر كتاب العرش ، تحقيق د. محمد بن خليفة التميمي ص ٢٢٧-٢٣٠ . وروى إطلاق لفظ " ذات " مضاف الى الله في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ كما في صحيح البخاري باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل ، وقال خبيب : وذلك في ذات الإله ، نذكر الـذات بإسمه تعالى حديث ١) أبا هريرة قال بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيـب الأنـصاري فأخبرني عبيد الله ابن عياض أن ابنة الحارث حدثته أ م حين اجتمعوا إسـتعار منـها موسـى يستحد ا فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاري :

ولست أبالي حين أقتلُ مسلماً على أي شق كان لله مصرعي

وذاك (في ذات الإله) وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزعي

فقتله ابن الحارث فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم يوم أصيبوا. البخار ي مع الفتح جـ ـ ٣٨١/١٣ رقمه ٧٤٠٢. ٢) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال (لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثـلاث كذبات ، ثنتين منهن في ذات الإله عز وجل : قوله إني سقيم و قوله(بل فعله كـبيرهم هـذا ....)جـ٦ : ٣٨٨ رقم ٣٣٥٨ . كما استعملت بمعنى النفس ولكن ليست مضافة الى الله كما في قوله تعالى (وأصلحوا ذات بينكم)(والله عليم بذات الصدور)، ثم اطلقت هـذه اللفظـة والمراد ا نفسه تعالى ومن ذلك استعمل أهل السنة عبارة ، استوى على العرش بذاته . وعلى كل فهي ليست من العربية العرباء بل من المولدة كلفلظ الموجود ولفظ الماهية والكيفية ونحـو ذلك .قال الشيخ عبد الله الغنيمان ..(و ذا يتبين ان هذا الإستعمال صحيح لا ينكـر . لانـه اصطلاح على مفهوم معين ، وبعض الناس يظن ان اطلاق الذات علـى الله تعـالى كـإطلاق الصفات ، أي انه وصف له ، فينكر ذلك بناءً على هذا الظن ويقول : هذا مـا ورد ، ولـيس الامر كذلك ، وانما المراد التفرقة بين الصفة والموصوف ، وقد تبين مراد الذين يطلقـون هـذا اللفظ ا م يريدون نفس الموصوف ، وحقيقته ، فلا انكار عليهم في ذلك ، كما وضحه شـيخ الاسلام وتلميذه ابن القيم .(انظر كلام جمع اهل العلم حول لفظ(الذات) فتح الباري ١٣-٣٩٣. قلت : فالمعنى صحيح ، وليس كل ما يبين به معنى القرآن والحديث من اللفظ يكون من الرآن ومرفوعاً، انظر كتاب صفة الـ ول الإلهي ، ورد الشبهات حولها ، لعبد القـادر بـن محمد بن يحى الغامدي الجعدي ص ٢٧٩-٢٨٨.

ليس له سمع ولا بصر، ولا كلام ، فهو جاحد كافر[1] » .

فأسس مذهب السلف في الإيمان بأسماء الله وصفاته - كما سبق - هو أن نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه في الأسماء والصفات « ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وبما وصفه به السابقون، لايتجاوز القرآن والحديث[2] .

ويقول الشيخ ابن أبي زيد : لايبلغ كنه صفته الواصفون[3]، قال الإمام الشافعي في خطبة كتابه « الرسالة » الحمدلله الذي هو كما وصف نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه ، ولايبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه.أهـ.[4]

فأثبت الشيخ ابن أبي زيد في هذه الكلمة أن صفاته إنما تتلقى بالسمع لا بآراء الخلق ، وأن أوصافه فوق ما يصفه به الخلق ، فتضمنت هذه الكلمة ، إثبات صفات الكمال الذي أثبته لنفسه ، وت يهه عن العيوب والنقائص والتمثيل، وأن ما وصف به نفسه ، فهو الذي يوصف به لاماوصفه به الخلق[5] . ويؤكد ابن أبي زيد هذه الحقائق بما كان الناس عليه في عصر الإمام مالك وغيره من الأئمة على أ م على طريقة السلف[6] . ويقول : «فأبقى الله كتابه لأمة محمد وسنته حصنا حصينا وأصحابه حبلاً متيناً وجعل سبحانه سبيلهم الأقوم ومنهاجهم الأسلم وطريقتهم المثلى ،وتواعد من اتبع غير سبيلهم أن يوله ما تولى

---

(١) انظر الذب عن مذهب الإمام مالك لابن أبي زيد القيرواني ، مخطوط خاص رقـم ٤٤٧٥/ن . مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/٣ ، ٥/٥ - ٣٠ ، ٣٨٠/٦ - ٣٨٢ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣ - ٧ .

(٣) شرح الرسالة لأبي السميع الأزهري ص١٠ .

(٤) الرسالة للإمام الشافعي ص٨ ، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر .

(٥) انظر الصواعق المرسلة بتحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله ١٥٣/١ - ١٥٤ .

(٦) مخطوط النوادر والزيادات على المدونة لابن أبي زيد القيرواني ورقة ١ . و .

ويصله جهنم وساءت مصيراً[1] » . ويقول الشيخ ابن أبي زيد : « فالحمدلله الذي من بكفايته وأنعم بهدايته .. وجعل النجاة للمتأخرين في اتباع سبيل المتقدمين ، ولم يوسع لهم لمن بعدهم أن يرغب عن إجماعهم أو يخرج عن اختلافهم أو يعدل عن تأويلهم ومنهاجهم[2] » . ويقول الشيخ : « وكل قول نقوله أو تأويل من محتمل تناوله فعن سلف سابق قلناه ، أو من أصل من الأصول المذكورة استنبطناه عصمنا الله وإياكم من زيغ الهدى والعدول من الطريقة المثلى ، لأن الرسول ﷺ، قد أخبر أمته عن الله بما فيه الكفاية وعن أسمائه وصفاته بما ليس فيها لبس ولا غموض وبما الحق في خلاف ظاهره ، والهدى في إخراجه عن حقائقه »[3].

ويقول الشيخ ابن أبي زيد : ولا يتفكرون في ماهية ذاته[4] ، وهذا يستلزم التأدب مع الله عند الإخبار عنه وعن أسمائه وصفاته العلى بأن نصف الله بما وصف به ذاته وان الله متصف بتلك الصفات حقيقة ، وإيمانهم بالصفات إيمان وجود ، وإن كانوا لايدعون علم كيفية تلك الصفات ، وإنما يقف في حدود ما وقف فيه سلف الأمة . وما ذكره الشيخ في مقدمة « النوادر » يؤكد لنا إخبار الله عزوجل لرسوله ﷺ إكماله له ولأمته به دينهم ، وإتمامه عليهم نعمته ، ويقول الشيخ :(ليس لأحد أن يحدث قولا أو تأويلا لم يسبقه سلف[5]).

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق ، فهو مشبه ملحد ضال ، ومن أثبت لله ما أثبت لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺمع تنزيهه جل وعلا من مشابهة الخلق ، فهو مؤمن جامع بين الإيمان لصفات الكمال والجلال ، والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل وتوضح ذلك الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : { ليس كمثله شيء[6] وهو السميع البصير { فنفى الله عن

(١) المصدر السابق ورقة ١ ((و)) .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) النوادر لابن أبي زيد ورقة ٢ ((و)) .

(٤) شرح الرسالة الشيخ صالح عبدالسميع الأبي الأزهري ص٩ .

(٥) النوادر والزيادات (مخطوط) ١، ط - ٢ ، ((و)) .

(٦) سورة الشورى آية : ١١ .

نفسه - جل وعلا - مماثلة الحوادث بقوله : { ليس كمثله شيء } ، وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله : { وهو السميع البصير } ، فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال[1] .

ويقول في مكان آخر : (لم يزل بجميع صفاته وهو - سبحانه وتعالى - موصوف بأن له علما وقدرة وإرادة ومشيئة ولم يزل بجميع صفاته وأسمائه ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى أحاط علما بجميع ما برأ قبل كونه وفطر الأشياء بإرادته). وقوله : { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون }[2] الآية . قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - من قال إن الله عزوجل لم يكن موصوفاً حتى وصفه الواصفون ، فهو بذلك خارج عن الدين[3] .

ذكر الشيخ هذه الصفات التي وصف الله ا نفسه وسأتحدث بشيء من التفصيل عن بعضها وأجمل القول في بعضها الآخر وأؤخر القول عن صفة « القدرة » فيما بعد إن شاء الله في حين أتكلم عن القدر .

وفيما تقدم ندرك أن الشيخ ابن أبي زيد كان يثبت أسماء الله - عزوجل - مع ماتضمنته من الصفات خلافاً للمعتزلة الذين يثبتون الأسماء فقط دون ما تضمنته من الصفات .

ولذلك يقول في كفارة اليمين .. « إذا كرر اليمين على الشيء بأسماء الله تعالى كالسميع والبصير ، والخبير وغيره من الأسماء فكفارة واحدة ، بخلاف ما لو كرر اليمين بالصفات كعهد الله مرة، وميثاقه آخر أو كفالته ثالثاً وسمعه وبصره وعلمه[4] فكفارته على عدد ما ذكره من الصفات » . وعلى هذا القول يرى الشيخ ابن أبي زيد أن الصفات زائدة على الذات وهي ملازمة له ومشتقة منه وهي ليست ذواتاً خلافاً للمعتزلة الذين يثبتون أسماء دون ما تضمنته من الصفات .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ت ١٣٩٣هـ . ٣٠٤/٢ ، سورة الأعراف ٣١٥/٢ .

(٢) سورة يس ٣٦ ، كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني بتحقيق عبدا يد تركي ص١٣٩ – ١٤٠

(٣) طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ٢٩٣/٢ ، دار إحياء الكتب العربية .

(٤) فتاوى البرزلي ورقة ١٧٢ ظ جـ٢ ، رقمها ٤٨٥ ، مكتبة دار الكتب الوطنية ، بتونس .

صفة العلم: لقد وصف الله - سبحانه وتعالى - نفسه بأنه عالم وعليم ووصفه كذلك رسله وأنبياءه بهذه الصفة . وبما أن علمه محيط بكل الموجودات فهو لايغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء - تعالى الله - عن ذلك علوا كبيراً. وعلم الله صفة قائمة بذاته . والله سبحانه وتعالى عالم علما يليق بجلاله وكماله والأدلة على ذلك كثيرة منها : قوله تعالى : { أنزله بعلمه }[1] .

ويؤكد محمد بن إسحاق بن خزيمة[2] هذه الحقيقة ردا بها على الجهمية المعطلة الذين لا يؤمنون بكتاب الله ويحرفون[3] الكلم عن مواضعه تشبها باليهود الذين ينكرون أن لله علما ويقولون إن الله هو العالم وينكرون لله علما مضافاً إليه من صفات الذات[4] . - كما هو مذهب المعتزلة ، ويقول الشيخ ابن خزيمة : قال الله جل وعلا في محكم تنزيله{ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه }[5] وقال عزوجل { فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله }[6] فعلم الله أنه أنزل القرآن بعلمه وأخبرنا جل ثناؤه أن أنثى لاتحمل ولاتضع إلا بعلمه فأضاف الله جل وعلا إلى نفسه العلم الذي أخبرنا أنه أنزل القرآن بعلمه وأن أنثى لاتحمل ولاتضع إلا بعلمه . فكفرت الجهمية وأنكرت أن يكون لخالقنا علم مضاف إليه من صفات الذات - تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علوا

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٦ .

(٢) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري الشافعي أبوبكر محدث ، مشارك في بعض العلوم . ولد بنيسابور سنة ٢٢٣هـ وطاف البلاد في طلب العلم وسماع الحديث ، وتوفي بنيسابور في ٢ ذي القعدة ، سنة ٣١١ ، من تصانيفه الكثيرة المختصر الصحيح ، التوحيد وإثبات صفات الرب . معجم المؤلفين لعمر كحالة ١٢١/٣ ، الأعلام ٢٩/٦ ، لخير الدين الزركلي وهدية العارفين ٢٩/٦ .

(٣) يميلون بالألفاظ عن معانيها المتبادرة منها عند إطلاقها ويفسرونها بمعان بعيدة لاتفهم من الألفاظ إلا بعسر وتكلف . هامش كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل لابن خزيمة ص٩ .

(٤) يعني أنهم يثبتون الاسم وينكرون الصفة التي يدل عليها وهو تناقض فإنه لايعقل عالم بلا علم. المصدر السابق ص١٠ ، في الهامش .

(٥) سورة النساء آية : ١٦٦ .

(٦) سورة هود آية : ١٤ .

كبيرا . فيقال لهم : خبرونا عمن هو عالم بالأشياء كلها أله علم أم لا ؟ فإن قال الله يعلم السر والنجوى وهو بكل شيء عليم ، قيل له : فمن هو عالم بالسر والنجوى وهو لكل شيء عليم أله علم أم لا؟ فلا جواب لهم لهذا السؤال إلا الهرب ، { فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين }[١] .

وقوله - عزوجل - { يعلم السر وأخفى }[٢] . { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا }[٣] .

قال ابن بطال[٤] المالكي معلقاً على ما أورده الإمام البخاري في صحيحه من آيات في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى { عالم الغيب} الآية . قال : « في هذه الآيات إثبات علم الله تعالى وهو من صفات ذاته ، خلافا لمن قال عالم بلا علم ، ثم إذا ثبت أن علمه قديم وجب تعلقه بكل معلوم على حقيقته بدلالة هذه الآيات . »[٥] .

قال ابن تيمية في رواية عن حنبل لما سأله عبدالرحمن بن إسحاق قاضي المعتصم فلامه ، فقال : « ما تقول في القرآن ؟ قال : فقل : ماتقول في العلم ؟ فسكت . فقلت لعبدالرحمن : القرآن من علم الله ، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله[٦] » .

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - القرآن من علم الله - عزوجل -

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٨ ، كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل لابن خزيمة ص١٠ .
(٢) سورة طه آية : ٧ .
(٣) سورة الجن آية : ٢٦ .
(٤) أبو الحسن على بن خلف بن عبدالملك بن بطال القرطبي يعرف باللجام ، الإمام العالم الحافظ المحدث الرأوية الفقيه ، روى عن ابن أبي صفرة والقنازعي والقاضي يونس بن عبدالله وغيرهم . أخذ عنه جماعة . ألف شرحه المعروف على البخاري والاعتصام في الحديث مات سنة ٤٤٤ وقيل ٤٤٩ . (شجرة النور الزكية لمحمد بن مخلوف ١١٥/١ ، سير أعلام النبلاء ١٥٩/١١ ، الصفدي ، الوافي ٥٦/١٢ ، معجم المؤلفين لعمر كحاله ٤٣٨/٢ .
(٥) البخاري مع الفتح .
(٦) كتاب الأسماء والصفات لابن تيمية ص٧٥ .

وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه ﷺ من العلم هو القرآن(١)

وقفة مع الفرق السابقة :

من الواضح الخطأ والقصور فيما ذهبت إليه هذه الطوائف في أمر صفات الله تعالى ففيما يتعلق بالمعتزلة نقرر أن إثبات الصفات لله تعالى لاتقتضى في ذاته تركيباً لأ ا ليست أجزاء يتكون منها كما يتكون المركب من أجزائه ، ومن ثم فإن وصف الله تعالى بصفاته لاينافي توحيده ، ولايلزم منه كذلك تعدد القدماء الذي يفضى إلى تعدد الذات القديمة . أما وجود الذات واحدة قديمة متصفة بصفات قديمة بقدم الذات وليس فيه محال ، ثم إن وصف الله تعالى بصفاته للائقة به لايقتضي تشبيها له بغيره من الموجودات ، فلكل موجود صفاته التي يتصف ا على وجه يناسب ذاته دون أن يكون هناك تشابه بين اتصاف المخلوق ذه الصفات واتصاف الخالق ا.

أما الأشاعرة والماتريدية فقد اقتصروا على اثبات سبع صفات الله تعالى عقلا ونقلاً وهو ما يسمونه بصفات المعاني وقالوا بقية صفات الكمال راجع اليها .

ثم إن الطوائف الثلاث أخطأوا فيما ذهبوا إليه من تأويل الصفات الخبرية زعما منهم بأ ا من صفات الحوادث التي لاتليق بذات الله تعالى وأن قيامها به تقتضي التشبيه في حقه فكما هو معروف فإن كل صفة تكون بحسب موصوفها فصفات الله بحسب ذاته ، وصفات المخلوقين بحسب ذوا م فلاتشبيه بين ما أثبته الأشاعرة والماتريدية من صفات الله تعالى وما أولوه منهما ولا وجه لإثبات بعضها وتأويل البعض الآخر حيث يلزمهم فيما أثبتوه من الصفات ما لزمهم فيما أولوه بينما هم يفرقون بين النوعين .

هذا موجز القول فيما يتعلق بموقف المتكلمين من الصفات الإلهية وتعقيبنا عليه . اما اتفيصيل فعلى النحو التالي :-

---

(١) كتاب السنة - لعبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢١٣ - ٢٩٠) ١٣٩/١ .

الصفات عند المعتزلة :

أنكرت المعتزلة زيادة الصفات - على الذات الإلهية - تلك الصفات التي وصف الله ا نفسه ووصفه ا رسوله ﷺ، وأجمع سلف الأمة وأئمة الهدى على وصفه تعالى ا على الحقيقة .

ويرى المعتزلة أن مفهوم التوحيد - عندهم - هو ت يه الله - عزوجل - عن الشريك في ذاته وصفاته وافعاله ، فإن المعتزلة عطلوه - سبحانه وتعالى - عن جميع ما يستحقه من الصفات بزعمهم أن قيامه هذه الصفات بذاته يقتضي التركيب في ذاته وهو ما يناقض التوحيد في الصفات ، ولذا فإنا نجد المعتزلة تقول هو عالم بذاته ولهذا أثبتوا الذات الإلهية وحدها دون صفات قائمة ا .

وقادر بذاته الخ ويقول البعض الآخر في وصف الله تعالى عالم بعلم وعلمه عين ذاته وقادر بقدرة وقدرته عين ذاته إلخ[١] . ومقتضى ما تقدم هو إثبات الذات دون زيادة الصفات عليها محافظة منهم على التوحيد كما يزعمون ونفيا منهم لتعدد القدماء حيث إن القدم عندهم أخص صفات الله تعالى .

وأما الأشعرية فهم يثبتون لله تعالى بعض الصفات الذاتية العقلية أي صفات المعاني . حسب اصطلاحا م الكلامية : حيث يثبتون له تعالى صفات العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام . واستدلالهم على هذه الصفات لايكاد يخرج عن استدلال الأشعري عليها . بل يعتبر تقريراً وشرحا لقول الأشعري[٢] .

وأرباب هذه الطوائف يعمدون إلى ما وصف الله به نفسه من الوجه واليدين والاستواء إلى غير ذلك من الصفات التي يطلقون عليها اسم الصفات الخبرية أو السمعية فيؤولو ا بمعان تصرفها عن ظاهرها نفيا لتشبيه الله تعالى بالحوادث كما

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص١٢٨ ، رسائل الجاحظ ص٢٢٩ ، الإبانة عند أصول الديانة ص١٥٨ .بتصرف

(٢) انظر اللمع بتحقيق مكارثي ص١٧ ، والتمهيد للباقلاني ص٢٦ - ٢٧ ، والملل والنحل للشهرستاني ٨١/١ - ٨٢ ، تعليق الأستاذ أحمد فهمي محمد .

يقولون .

موقف السلف من صفات الله عزوجل :

وأما السلف فإنهم يصفون الله عزوجل بجميع ما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله - ﷺ- وبما وصفه به السابقون ، لايتجاوز القرآن والحديث »[1].

ويشير ابن القيم إلى أن الصحابة : « لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على اثبات مانطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة ، من أولهم إلى آخرهم ، لم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها ، وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً وأجروها على سنن واحد ، بخلاف أهل الأهواء والبدع الذين جعلوها عضين ، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين ، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه»[2].

فالسلف يثبتون لله جميع ما ورد من صفات وصف الله بها نفسه في القرآن وتحدثت عنها السنة النبوية المطهرة على سبيل التفصيل ، وأن اتصافه بها - سبحانه - لايوجب شبها بينه وبين خلقه . ويفْرد السلف كل صفة من هذه الصفات بدليل يثبتها : فقالوا في العلم : لقد وصف الله - عزوجل - نفسه بأنه عالم وعليم ووصفه كذلك رسله وأنبياؤه بهذه الصفة ، وبما أن علمه محيط بكل الموجودات ولا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وعلم الله صفة قائمة بذاته . والله سبحانه وتعالى عالم علما يليق بجلاله وكماله وأدلة القرآن على ذلك كثيرة فمنها : قوله تعالى { أنزله بعلمه

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٣ - ٧ .

(٢) انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ٤٩/١ بتصرف .

}[1] الآية . وقوله تعالى { يعلم السر وأخفى }[2] وقوله تعالى : { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا }[3] الآية .

قال ابن بطال[4] المالكي معلقاً على ما أورده الإمام البخاري في صحيحه من آيات في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : { عالم الغيب } الآية . قال : « في هذه الآيات اثبات علم الله تعالى وهو من صفات ذاته ، خلافاً لمن قال عالم بلا علم ، ثم إذا ثبت أن علمه قديم وجب تعلقه بكل معلوم على حقيقته بدلالة هذه الآيات »[5].

(١) سورة النساء آية : ١٦٦ .

(٢) سورة طه آية : ٧ .

(٣) سورة الجن آية : ٢٦ .

(٤) أبو الحسن على بن خلف بن عبدالملك بن بطال المالكي القرطبي يعرف باللجام ، الإمام العالم الحافظ المحدث الرأوية الفقيه ، روى عن ابن أبي صفرة والقنازعي والقاضي يونس بن عبدالله وغيرهم . أخذ عنه جماعة ألف شرحه المعروف على البخاري والاعتصام في الحديث مات سنة ٤٤٤هـ . وقيل ٤٤٩هـ . (انظر شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف ١١٥/١ ، سير أعلام النبلاء ١٥٩/١ ، معجم المؤلفين لعمر كحالة ٤٣٨/٢) .

(٥) البخاري مع الفتح . وانظر كتاب التوحيد ، لابن خزيمة ص٩ - ١٠ ، باب صفة العلم ، وانظر كتاب الأسماء والصفات لابن تيمية ص٧٥ ، كتاب السنة - لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٢١٣ - ٢٩٠) ١٣٩/١ .

المبحث الأول: صفتا السمع والبصر :

من الصفات التي وصف الله ا نفسه ووصفه ا رسوله ﷺ ، صفتا السمع والبصر قال تعالى : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }[١] فأخبر أنه سميع من كل الجهات لكل الأصوات ، بصير بكل الأشياء من كل الجهات لم يزل يسمع ويبصر ، ولا يزال كذلك مع منع استدراك كيفيتها[٢] .

ويستدل أبو الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى - على أن الله موصوف بالسمع والبصر « بأن الحي إذا لم يكن موصوفا بآفة تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات إذا وجدت فهو سميع بصير ، فلما كان الله تعالى - حيا لايجوز عليه الآفات من الصمم والعمي وغير ذلك إذ كانت الآفات تدل على حدوث من جازت عليه ، صح أنه سميع بصير ..)[٣] ، ويقول الله تعالى : { إن الله كان

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

(٢) انظر كتاب التوحيد لابن مندة ٨/٣ - ٩ ، بتحقيق د. على بن محمد الفقهي .

(٣) اللمع ص١١ .

سميعا بصيراً }[1] ، وقوله تعالى : {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير }[2]

ودلالة هذه الآيات أن من لم يكن سميعاً بصيراً في الماضي والحاضر والمستقبل لايصلح أن يكون إلها ، ويدل على ذلك قوله تعالى ، وهو يحكي لنا قول إبراهيم الخليل عليه السلام في معرض مجادلته لأبيه الذي كان يعبد إلها معطلا عن السمع والبصر : { إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئاً}[3] الآية .

وحاصل الكلام أعبد من يسمع ويبصر ، فإنه المستحق للعبادة[4] .

وفي السنة - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه - قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ، فجعلنا لانصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا بط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، قال : فدنا منا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم ما تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعا بصيرا »[5] الحديث .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة تثبت صفتي السمع والبصر لله - تعالى - على الحقيقة لا على ا از أن العقل يأبى الإقرار بالألوهية لمن لايكون سميعا بصيرا وإلا كان إلها ناقصا .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٨ .

(٢) سورة ا ادلة آية : ١ .

(٣) سورة مريم آية : ٤٢ .

(٤) آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويما . د. على بن سعيد بن صالح الضويحي ص٨٦ - ٨٧ .

(٥) أخرجه البخاري في خمسة مواضع كتاب الجهاد باب مايكره من رفع الصوت في التكبير برقم ٢٩٩٢ ، ١٣٥/٦ ، البخاري مع الفتح ، ٢- كتاب المغازي باب غزوة خيبر رقم ٤٢٠٥ ، ٤٧٠/٧ ، ٣- كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبة برقم ٦٣٨٤ ، ١٨٧/١١ ، ٤- كتاب القدر باب لا حول ولا قوة إلا بالله برقم ٦٦١٠ ٥٠٠/١١ ، ٥- كتاب التوحيد باب وكان الله سميعاً بصيرا رقم ٧٣٨٦ ٣٧٢/١٣ . وانظر سنن أبي ٨٧/٢ ، مسند أحمد بن حنبل ٣٩٤/٤ .

الإرادة : ثم إن السلف الصالح كانوا يثبتون لله تعالى صفة الإرادة كما يليق بجلاله وكما وصف نفسه ا في القرآن في مثل قوله تعالى { يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم }(١) (٢) .

وثبت لله - عزوجل - صفة الإرادة كما يليق بجلاله (٣).

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله - عزوجل - حياة أزلية أبدية لايعقبها موت ولاضد يضاد الحياة(٤) . ودعم أهل السنة والجماعة قولهم . بما أثبت في القرآن الكريم في قوله تعالى : { الله لا إله إلا هو الحي القيوم }(5) الآية..وقوله تعالى:- { وتوكل على الحي الذي لايموت .. }(٦) الآية .

وفي السنة النبوية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إن رسول الله

---

(١) سورة النساء آية : ٢٦ .

(٢) ومما يدل على ثبوت صفة الإرادة لله عزوجل في السنة مارواه عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : ((لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية نزل م لاً فغرس فيه ، فقال من يحرسنا ؟ فقال عبدالله أنا أنا ، فقال : أنت ؟ مرتين أو ثلاثا ، يعني إنك تنام : ثم قال ﷺ - أنت لها، فحرست فلما كان في وجه الصبح أدركني ما قال رسول الله ﷺ ، فنمت فلم نستيقظ إلا بحر الشمس على ظهورنا ، فقام رسول الله ﷺ فصنع كما كان يصنع ، ثم صلى الصبح ، ثم قال : إن الله تعالى لو شاء لم تناموا عنها ، ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم ...)) الأسماء والصفات للبيهقي ص١٨٠ . ووجه الدلالة في الحديث إسناد صفة الإرادة إلى الله كما يليق بجلاله .

(٣) اللمع ص٣٧ - ٣٨ ، صححه وقدم له د. حموده غرابه ، انظر الإنابة تحقيق فوقية حسين محمود ص٦٥ .

(٤) انظر أصول الدين للبغدادي ص١٠٦ ، الطبعة الأولى - استانبول ، مطبعة الدولة ١٣٤٦ - ١٩٢٨م .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٦) سورة الفرقان آية : ٥٨ .

ﷺكان يقول(اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت ، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلّني ، أنت الحي الذي لايموت والجن والإنس يموتون .. 》[1].

ويطول الكلام لو استعرضت موقف أهل السنة والجماعة من صفات الكمال الإلهي بإمرارها كما وردت بالكتاب والسنة مستدلين على ثبو ا بالكتاب والسنة.

وغاية القول في هذا الباب أن السلف - على نحو ماتقدم - كانوا يثبتون الأخبار التي صحت عن النبي - ﷺ- موافقة لكتاب الله - عزوجل - على سبيل الإثبات والمعرفة ، والإيمان والتسليم لما أخبر الله - عزوجل - في كتابه أو أخبر به نبيه ﷺ- في سنته الصحيحة ، من غير تأويل ولاجحود ، ولاتكييف ولا تمثيل ، وأنه عزوجل - أزلي بصفاته التي وصف ا نفسه او وصفه ا رسوله - ﷺ- غير زائلة عنه ولا كائنة دونه .

أما معاني هذه الصفات ، فهي ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وكماله ، فالله تعالى امتدح نفسه بصفاته ، ودعا عباده إلى مدحه ا ، وصدق ذلك المصطفى - ﷺ- وبين مراد الله - عزوجل - فيما أظهره لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته .

وهذا هو معتقد الشيخ ابن أبي زيد القيرواني ، في صفات الله تعالى حيث يقول : 《 ... هو العالم بعلمه ، والسميع بسمعه ، والبصير ببصره .. بلا كيف ، ولا حد ولا تمثيل ولاتشبيه ، فمن قال ليس له علم ، ولا سمع ولابصر ولا كلام فهو جاحد ضال 》[2].

ويؤكد ابن أبي زيد معتقده السلفي في الصفات حيث يرى أن صفات الله تعالى ثابتة له على الحقيقة لا على ا از فيقول في مقدمة 《 الرسالة 》 : 《 إنه العالم

---

(١)رواه الإمام البخاري في التهجد ، باب التهجد من الليل ، حديث رقم ١١٢٠ الفتح جـ٣: ٥

(٢) الذب عن مذهب الإمام مالك لابن أبي زيد القيرواني ، مخطوط خاص رقم ٤٤٧٥/ن جامعة الإمام الملك سعود بالرياض .

الخبير ، المدبر ، القدير ، السميع ، البصير ، العلي ، إلى آخر الصفات »[1] .يقول : «فمما اجتمعت االأمة عليه أن الله - تبارك وتعالى - له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، لم يزل بجميع صفاته - وهو سبحانه وتعالى - موصوف بأن له علما وقدرة وإرادة ومشيئة لم يزل بجميع صفاته وأسمائه ، له الأسماء الحسنى والصفات العلى أحاط علما بجميع ما برأ قبل كونه وفطر الأشياء بإرادته[2] » وقوله : { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون }[3] الآية .

ويقول أيضاً في كتابه النوادر والزيادات : «وكل قول نقوله أو تأويل من محتمل تناوله فعن سلف سابق قلناه ... »[4] .

ويقول الشيخ : «وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه وما عملوا به عملناه ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم في ما بينوا ونقتدي م وما تركوه تركناه..»[5] .

يرى الشيخ ابن أبي زيد أن صفات الله إنما تتلقى بالسمع لابآراء الخلق لأن أوصافه فوق ما يصفه به الخلق ولذلك يقول : « .. لايبلغ كُنه صفته الواصفون ولايحيط بأمره المتفكرون .. »[6] . ويؤكد ابن أبي زيد هذه الحقائق بما كان الناس عليه في عصر الإمام مالك وغيره من الأئمة على أ م على طريقة السلف[7] . ويقول الحمدلله الذي من بكفايته وأنعم دايته .. وجعل النجاة للمتأخرين في اتباع سبيل المتقدمين ، ولم يوسع لهم لمن بعدهم أن يرغب عن إجماعهم أو يخرج عن اختلافهم أو يعدل عن تأويلهم ومنهاجهم .. لأن الرسول ﷺ قد أخبر أمته

(١) الرسالة لابن أبي زيد القيرواني مع شرحها ص٩ .
(٢) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٣٩ - ١٤٠ .
(٣) سورة يس آية : ٨٢ .
(٤) النوادر والزيادات ، لابن أبي زيد مخطوط ، ورقة ٢ . و .
(٥) الجامع لابن أبي زيد القيرواني ص١٤٨ - ١٤٩ ، بتحقيق عبدا يد تركي .
(٦) الرسالة مع الشرح للشيخ صالح عبدالسميع الآبي الأزهري ص٩ .
(٧) النوادر والزيادات ورقة ١ . و .

عن الله بما فيه الكفاية وعن أسمائه وصفاته بما ليس فيها لبس ولا غموض ، وبما الحق في عدم خلاف ظاهره ، والهدى في عدم إخراجه عن حقائقه[1] حقيقة لامجاز .

والذي ذهب إليه الشيخ ابن أبي زيد في وصف الله عزوجل بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله - ﷺ - كما قلت من قبل هو ما عليه إجماع السلف الصالح .

ويقول الإمام أحمد في هذا الصدد : « لايوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ ، لايتجاوز القرآن والحديث[2] .

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن أبي زمِنين[3] - رحمه الله تعالى - : « اعلم بأن أهل العلم بالله ، وبما جاء به أنبياؤه ورسله ، يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علما ، والعجز عن مالم يدع إليه إيمانا ، وأ م إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه ، على لسان نبيه »[4] .

وابن تيمية في وصف مذهب السلف الصالح في إثبات صفات الله - عزوجل - يقول : مذهب السلف أ م يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولاتعطيل ، ومن غير تكييف ولاتمثيل ، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لُغز ولا أحاجِي ؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، ولا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما

---

(١) المصدر السابق نفسه ورقة ٢ . و .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية الجزء الأول ، ا لمد الخامس ص٢٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨٨/١٧ (ابن زمنين بفتح الميم ، ثم كسر النون الإمام القدوة الزاهد ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى بن محمد ، المُزي الأندلسي الألبيري ، شيخ قرطبة وكان صاحب جد وإخلاص ومجانبة الأمراء ، ولد في سنة ٣٢٤هـ . وتوفى سنة في ربيع الآخر ، سنة ٣٩٩هـ . اختصر ((المدونة)) وله منتخب الأحكام ، مشهور وكتاب الوثائق كتاب أدب الإسلام ، وكتاب ((أصول السنة)) ، وأشياء كثيرة . وانظر ترتيب المدارك ٦٧٣/٤ ، الديباج ٢٣٣/٢ ، وشجرة النور الزكية ١٠١/١ .

(٤) الفتاوى ٥٧/٥ .

يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد .. »[1] .

وكما يفهم من قول الأمة « التوقيف » في أسمائه وصفاته .

الحياة : من المُسلم به أن كل من يتصف بالسمع والبصر والعلم والقدرة لابد أن يكون حيا لايختلف في ذلك الغائب عن الشاهد - لذا فالله سبحانه وتعالى يجب أن يكون حيا لأن الميت لايوصف بهذه الصفات إذ لايتصور حدوث الصنائع إلا من حي ، ولأنه لوجاز حدوثها ممن ليس بحي في حق الغائب لعممنا ذلك فقلنا إنالا ندرى لعل سائر ما يظهر من الناس يظهر منهم وهم عجزة موتى فلما استحال ذلك دل صنعه سبحانه على أن الله - تعالى - حي[2] .

<u>المبحث الثاني: صفة المعية لله عزوجل وموقف ابن أبي زيد منها :</u>

يرى السلف الصالح رضوان الله عليهم أن علو الله على خلقه واستواءه على عرشه لاينافي معيته سبحانه لخلقه بعلمه وقدرته،فإنه جل وعلا ليس كمثله شيءحيث إن المعية لاتقتضي أن يكون الله مع خلقه بذاته،بل إن معنى ذلك أنه معهم بعلمه وإحاطته بهم سمعا،وبصراً وقدرة وتدبيرا فهذه المعية قسمان عامة وخاصة .

---

(١) المصدر السابق جـ ١ : م٥ ص٢٦ وص٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص٣٧ - ٣٨ بتصرف ، وانظر التمهيد للباقلاني ٢٦/١ ، المكتبة الشرقية ، بيروت ١٩٥٧م .

ومثال المعية العامة قوله تعالى : {هو الذي خلق السموات والأرض في ستة آيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أين ماكنتم ، والله بما تعملون بصير }[1] .

فهذه معية عامة شملت كل ما خلق الله ومثال المعية الخاصة قوله تعالى :{ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون }[2] وكانت المعية في الآية خاصة لأنها ارتبطت بالذين اتقوا ، وقوله تعالى : { لاتحزن إن الله معنا }[3] . وكذلك فالمعية في هذه الآية خاصة لأنها تشير إلى الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه .

وهذا مادلت عليه النصوص الواردة في المعية ، وهو المعنى الذي فسر به السلف تلك النصوص . وقد جمع الله في الآية الأولى بين استوائه على عرشه وعلوه، وبين معيته لخلقه دون التعارض والمنافاة بين العلو والمعية ، وهو موصوف بالمعية على الحقيقة كما جمع الله بينهما في الآية السابقة ، قال تعالى: { ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ماكانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم }[4] أي أن الله معهم

بعلمه وسمعه ومطلع عليهم ، ونافذ فيهم سبحانه لايغيب عنه من أمورهم شيء[5] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « إن من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله - عزوجل - معه حيث كان »[6].

وقد افترق الناس في مسألة قرب الله من خلقه ومعيته معهم واستوائه على

---

(١) سورة الحديد آية : ٤ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٨ .

(٣) سورة التوبة آية : ٤٠ .

(٤) سورة المجادلة آية : ٧ .

(٥) ذكره المتقي بكنز العمال برقم ٦٦ وعزاه للطبراني بالكبير وأبو نعيم بالحلية عن عبادة ، انظر تفسير ابن جرير ١٢/٢٨ - ١٣ ، انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص٥٤٢ .

(٦) الأسماء والصفات للبيهقي ص٥٤١ . نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية جـ ١: ٥٥٥-٥٥٦ .

عرشه على أربعة مذاهب : ثلاثة باطلة وواحد هو الحق ملخصها فيما يلي : -

١) - الجهمية النفاة : وهم الذين يقولون عن الله أنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا يقولون بعلوه ولا بفوقيته - فهم ينفون جميع الصفات ، ولهذا قال ابن المبارك : إن الجهمية خارجون عن الثلاث والسبعين فرقة .

٢) - وفريق يقول : هو فوق العرش وهو في كل مكان ويقولون : أنا أقر ذه النصوص ولا أصرف واحدا منها عن ظاهره ويقول بذلك طوائف من المتصوفة .

٣) - وفريق يقول : إنه بذاته في كل مكان - ويقولون هو عين وجود المخلوقات - وهم ملاحدة الصوفية .

٤) - الفريق الرابع : هم الذين يقولون إن الله سبحانه وتعالى بذاته مستو على العرش ومع هذا فهو قريب من خلقه ، وهو معهم بسمعه وبصره وعلمه وقدرته ، وهذا هو مذهب أهل السنة وهو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال[1] .

سئل الإمام علي بن المديني - شيخ الإمام البخاري رحمهما الله - ما قول أهل السنة والجماعة ؟ قال يؤمنون بالرؤية والكلام وأن الله فوق السموات على العرش استوى . فسئل عن قوله : { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم } فقال اقرأ ما قبلها : { ألم تر أن الله يعلم مافي السموات وما في الأرض }[2] .

فقد بين الإمام على بن المديني « أن معية الله مع خلقه بعلمه وسمعه وقدرته فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لايغيب عنه من أمورهم شيء » [3] .

وعلى هذا المعنى إجماع الصحابة والتابعين ، وممن نقل عنهم ذلك ابن عباس رضي الله عنه ، ومقاتل بن حيان ، وقتادة ، وسفيان بن عيينة ، وعبدالله بن نافع

---

(١) كتاب شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد ص١٠٧ - ١٠٨ ، مكتبة دار المطبوعات الحديثة بجدة ، ط : الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

(٢) سورة ا ادلة آية : ٧ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣٢٢/٤ ، تفسير ابن جرير الطبري ١٢/٢٨ - ١٣ ، الاسماء والصفات للبيهقي ص٥٤٢ .

وأحمد بن حنبل ، والضحاك ، وحماد بن زيد ، واسحاق ابن راهويه، وغيرهم من أهل العلم[١] .

وقد نقل هذا المعنى عن الإمام مالك - رحمه الله تعالى - أنه فسر المعية بالعلم وجمع بينها وبين علو الله على خلقه مما يؤكد عدم التعارض بين العلو والمعية . عن عبدالله بن نافع[٢] قال : كان مالك بن أنس - رحمه الله - يقول : « الله عزوجل في السماء وعلمه في كل مكان لايخلو منه شيء » [٣] وتلا هذه الآية : { ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم لا خمسة إلا هو سادسهم }[٤] الآية.

وهذا هو معتقد الشيخ ابن أبي زيد كما ذكره عنه ابن تيمية وقال : إنه نقله عن مالك بن أنس ، وماذكره ابن تيمية هنا هو ما قاله ابن أبي زيد في رسالته حيث قال : « إنه فوق عرشه ا يد بذاته ، وهو في كل مكان بعلمه..»[٥] . وقال الشيخ في كتابه الجامع[٦] : « وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه وأنه في

(١) انظر الرد على الجهمية لأحمد بن حنبل ١٣٨ - ١٤١ ، والسنة لعبدالله بن أحمد ٣٠٤/١ ، وتفسير ابن جرير ١٢/٢٨ ، وشرح السنة للالكائي ٤٠٠ - ٤٠٢ ، الاسماء والصفات للبيهقي ٥٤١ - ٥٤٣ ، والتمهيد لابن عبدالبر ١٣٣/٧ - ١٣٤ ، ١٣٨ - ١٣٩ ، شرح حديث ال ول لابن تيمية ، تحقيق محمد بن عبدالرحمن الخميس ٣٥٦ - ٣٦١ ، اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ٦١ - ٦٦ ، اثبات صفة العلو لابن قدامة ١٦٣ - ١٦٤ ، ١٦٦ - ١٧٢ ، وذم التأويل لابن قدامة ص٤٥ ، العلو للذهبي ٩٨ - ٩٩ ، ١٠٣ .

(٢) عبدالله بن نافع بن ثابت الزبيري ، أبوبكر المدني صدوق ، من رواة الموطأ ، مات سنة ٢٣هـ ، (التقريب ص٣٢٦) .

(٣) رواه الإمام احمد كما في مسائل أبي داود له ص٢٦٣ ، واخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ١٠٦/١-١٠٧ رقم ١١ و ١/ ٢٨٠ برقم ٥٣٢ . والآجري في الشريعة ١٠٧٦/٣-١٠٧٧ رقم ٦٥٢ -٦٥٣ .

(٤) سورة ا ادلة آية : ٧ .

(٥) الرسالة مع شرحها ص٩ .

(٦) كتاب الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي والتاريخ وغير ذلك ، مختصر من السماعات عن مالك ومن الموطأ وغيره من الكتب مضاف إلى مختصر المدونة . لابن أبي زيد القيرواني .

كل مكان بعلمه ... »[1].

وهذا هو معتقد ابن تيمية حيث يقول : « .. والله على عرشه وعلمه محيط م ، كذا فسره أهل العلم ، والآية - يعني ا قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض - يدل أولها وآخرها أنه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلمين »[2].

وقال ابن تيمية أيضاً تأكيدا لمذهب ابن أبي زيد ودفاعا عنه : « ... والقول الذي قاله الشيخ « أبو محمد ابن أبي زيد » أنه فوق عرشه ا يد بذاته[3] ، وهو في

---

(١) كتاب الجامع تحقيق عبدا يد تركي ص١٤١ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨٨/٥ - ١٨٩ .

(٣) وقد ذكر الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد أقوال السلف الذين وافقوا ابن أبي زيد فيما انتهى إليه من إطلاق لفظ (بذاته) على الله وقال : (أما لفظ " بذاته " فقال أبو منصور السجزي المتوفي سنة ٤٤٤ هـ - رحمه الله تعالى –قال : وأئمتنا كالثوري ومالك ، وابن عيينة، وحماد بن زيد والفضيل ، وأحمد ، وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن علمه بكل مكان) انتهى.. (اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٤٦) . وأبو إسماعيل الهروي المتوفي سنة٤٨١هـ رحمه الله لما صرح في كتبه بلفظ "الذات" قال : (ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك) انتهى إجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٧٩ . فهذان نقلان يفيدان إطلاق هذا اللفظ لدى السلف من غير نكير .

ومن أفرادهم كما في "اجتماع الجيوش الإسلامية " و" مختصر العلو " :(١) ابن ابي شيبة : أبو جعفر محمد بن عثمان العبسي الكوفي المتوفي سنة٢٩٧هـ . (٢)أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ،ت٣١٠ هـ المختصر رقم ٢٧٩ . (٣) أبو الحسن الأشعري ت ٣٢٤ هـ ، اجتماع ص٢٨١ . (٤) ابن أبي زيد القيرواني المالكي ت ٣٨٦ هـ ، اجتماع ص ١٥٠ ، المختصر رقم ٢٧٩. (٥) أبو سليمان الخطابي ت ٣٨٨ هـ اجتماع ص ٢٨١ . (٦) ابو عمر الطلمنكي ت ٣٩٩ هـ ، اجتماع ص١٤٢، ١٤٧،٢٨٨. (٧) ابو بكر محمد ابن الطيب الباقلاني ت ٤٠٣ هـ ، اجتماع ص ٢٨٠،٢٨١. (٨)محمد بن الحسن بن فورك ت ٤٠٦ هـ ، اجتماع ص٢٨١ . (٩) محمد بن موهب تلميذ ابن أبي زيد القيرواني ت٤٠٦ هـ اجتماع ص١٨٧،١٨٨. مختصر رقم ٢٨٢ . (١٠) يحى بن عمار االسجزي ت٤٢٢ هـ ، اجتماع ص ٢٧٩ ، المختصر رقم ٣١٩. (١١) عبد الوهاب بن نصر المالكي ت ٤٢٢ هـ ، اجتماع ص١٦٤، ٢٨١،٢٨٠،١٨٩، المختصر رقم ٢٧٩. (١٢) سعد بن علي الزنجاني الشافعي ت ٤٧١ هـ اجتماع ص ١٩٧ . (١٣) أبو إسماعيل عبد ⇦

كل مكان بعلمه ، وقد تأوله بعض المبطلين بأن رفع ا يد ، ومراده أن الله هو ا يد بذاته ، وهذا مع أنه جهل واضح فإنه بم لة أن يقال : الرحمن بذاته والرحيم بذاته ، والعزيز بذاته »[1] . وعقب ابن تيمية تعليقه على ما قاله الشيخ ابن أبي زيد بقوله : « ... هذا لفظه والذي قاله ابن أبي زيد مازالت تقوله أئمة

الله الأنصاري الهروي ، ت٤٨١هـ ، اجتماع ص٢٧٩ ، قال بذاته وفي المختصر رقم ٢٥٥ قال على العرش بنفسه (١٤) إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي ت ٥٣٥ هـ ، اجتماع ص ١٨٠,١٨٣. (١٥) عبد القادر الجيلاني ت ٥٦١ هـ ، اجتماع ص ٢٧٦ ،٢٧٧. (١٦) محمد بن فرج القرطبي ت ٦٧١هـ ، اجتماع ص ٢٨٠ . وقد اعترض الإمام الذهبي على ما انتهى إليه السلف في مسألة إثبات لفظ " الذات" لله –عزوجل – لكونه لم يرد في الكتاب والسنة ولم ينطق به الصحابة وأن الإثبات والسلب مدارهما على النقل ويقول : (سلب هذه الأشياء وإثبا ا مداره على النقل ، فلو ورد شئ بذلك نطقنا به وإلا فالسكوت والكف أشبه بشمائل السلف ، إذ التعرض لذلك نوع من الكيف وهو مجهول ، وكذلك نعوذ بالله أن نثبت استوائه بمماسة أو تمكن بلا توقيف ولا أثر ، بل نعلم من حيث الجمله أنه فوق عرشه كما ورد في النص)" العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ص ٢٦١. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد ، والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من اطلاق الألفاظ المبتدعة ا ملة، لما فيها من لبس الحق بالباطل مع ما توقه من الإشتباه والإختلاف والفتنة بخلاف الألفاظ المأثورة ، والألفاظ التي بنيت معانيها ، فان ما كان مأثوراً حصلت به الألفة ، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة).درء تعارض العقل والنقل جـ١: ٢٧١. وقال ايضاً:(فطريقة السلف والأئمة أ م يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل. ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية ويعبرون ا ما وجدوا ا سبيلا ، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه. ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلا نسبوه إلى البدعة وقالوا:إنما قابل البدعة ببدعة ورد باطلا بباطل، درء تعارض العقل والنقل٢٥٤/١ .

بناءا على ما تقدم من كلام شيخ الاسلا م ابن تيمية وقد يستفاد منه أن الألفاظ على أربعة اقسام : (١) الألفاظ المأثورة وهي التي وردت ا النصوص،(٢) الألفاظ المعروفة وهي التي بنيت معانيها (٣) الألفاظ المبتدعة التي لا تدل على معنى باطل، (٤) الألفاظ المبتدعة التي تحتمل الحق والباطل .فلفظ " الذات" من القسم الثاني وهذا الضرب من الألفاظ يستعمل في باب الإخبار دون باب الأسماء والصفات . انظر كتاب العرش للذهبي بتحقيق د. محمد بن خليفة التميمي ص٢١٣-٢١٤ .

(١) المصدر السابق ١٨٩/٥ .

أهل السنة من جميع الطوائف ... »[1] .

وقد يحتج بعض الناس في إنكار الفوقية والاستواء بالآيات والأحاديث التي وصفت الله - سبحانه وتعالى - بالقرب من خلقه ، وليس هناك من تناقض بين الأمرين بناء على مذهب السلف كما رأينا . فالفوقية له بالذات وقربه من خلقه ومعيته لهم بالعلم ولاتناقض بينهما وهذا ما قال الشيخ ابن أبي زيد في وصف الله - عزوجل - بأنه في كل مكان بعلمه وأنه فوق العرش بذاته » وقد انتقد ابن أبي زيد بسبب رأيه هذا واعتبر مجسماً[2] .

وقد مر بنا آنفاً أن ما قاله ابن أبي زيد هو - : « أن الله مستو على عرشه بذاته ا يد ، وأنه في كل مكان بعلمه »[3] ولا تناقض بين الأمرين كما أسلفنا وليس فيه ما يدعو إلى إ امه بالتجسيم بل هو في رأيه هذا متبع للسلف وليس مبتدع .

المبحث الثالث : صفة إستواء الله عزوجل على عرشه :

صفة استواء الله على عرشه من الصفات الفعلية التي ورد ذكرها في القرآن في سبعة مواضع ومنها : قال تعالى : { إن ربكم الله الذي خلق السموات

(١) المصدر السابق ١٨٩/٥ .

(٢) انظر فتاوى الإمام البرزلي ٩١/١ - ٩٣ ، ورقة مخطوط ، وانظر المدارس الكلامية ص٥٤ .

(٣) شرح مقدمة الرسالة لابن أبي زيد للأستاذ الأمين الحاج ص١٠٧ - ١٠٨ .

والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش }[1] .

وقال تعالى : { الرحمن على العرش استوى }[2] .

والآيات تدل دلالة صريحة على أن الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته .

ومعنى الاستواء : العلو والارتفاع .

قال أبو العالية : استوى إلى السماء ، أي ارتفع[3] .

قال مجاهد : استوى : علا على العرش[4] .

إثبات صفة استواء الله من السنة :

١) - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء »[5] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

(٢) سورة طه آية : ٥ .
سورة يونس آية : ٣ .
سورة الرعد آية : ٢ .
سورة الفرقان آية : ٥٩ .
سورة السجدة آية : ٤ .
سورة الحديد آية : ٤ .

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ٤٠٣/١٣ ، ومادة الاستواء المعدى بـ (على) في كلام العرب تأتي على أربعة أوجه : علا ، ٢) - ارتفع . ٣) - استقر . ٤) - صعد .
وقد ذكر هذه المعاني الأربعة ابن جرير الطبري في تفسيره ورجح أن معنى الاستواء على العرش : العلو والارتفاع (١٩١/١ - ١٩٢) وقال ابن القيم : إن ظاهر الاستواء وحقيقته هو العلو والارتفاع كما نص عليه جميع أهل اللغة ، وأهل التفسير المقبول . مختصر الصواعق ص٣١٨ ، وانظر لسان العرب (٤١٤/١٤) ، والتمهيد لابن عبدالبر ١٣١/١ - ١٣٢ . اما اذا جاء لفظ الإستواء مطلقاً فهو بمعنى : كمل وتم ، كما في قوله تعالى (حتى اذا بلغ اشده واستوى) . واذا جاء مقيداً بإلى فهو بمعنى : قصد ، وعمد ، وصعد ، وأقبل كما في قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) .واذا جاء مقيداً بالواو فهو بمعنى المساواة . انظر مختصر الصواعق المرسلة ١٢٦/٢-١٢٧

(٤) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٥) رواه البخاري ٦٧/٨ رقم/٤٣٥ ، ومسلم ٧٤٢/٢ .

٢) - عن معاوية بن الحكم السلمي قال : كانت لي غنم بين أُحد والجُوانية[١] فيها جارية لي فأطلقتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل من بني آدم - فأسفت ، فصككتها ، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك علي ، فقلت : يا رسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : « ادعها » ، فدعو ا فقال لها : أين الله ؟ » قالت : في السماء ، قال : « من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ﷺ ، قال : اعتقها فإ ا مؤمنة »[٢].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي »[٣] .

- عن أبي رزين العقيلي قال قلت : يا رسول الله اين كان ربنا - تبارك وتعالى - قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال ﷺ : « كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق العرش ثم استوى عليه تبارك وتعالى ... »[٤].

وقد تواتر النقل عن علماء السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - في القول ذه الصفة والإيمان ا ، وبغيرها من الصفات ، دون الكلام في كيفيتها .

قال علي بن الحسن بن شقيق ، قلت لابن المبارك : كيف نعرف ربنا ؟ قال: على السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه[٥] . وقال الشافعي : إن الله على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف يشاء وي ل إلى سماء الدنيا كيف شاء[٦] . وقال الأوزاعي كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله فوق عرشه

---

(١) الجوانية : موضع أو قرية قرب المدينة . انظر معجم البلدان ١٧٥/٢ .

(٢) رواه مسلم ٣٨٢/١ .

(٣) رواه البخاري ٤٠٤/١٣ رقمه٤٩/ ٣ ، ومسلم ٢١٠٧/٤ .

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٤٨) ، كتاب تفسير القرآن (١٢) ، باب تفسير سورة هود رقم ٣١٠٩ جـ ٥ : ٢٨٨ ، وابن ماجة في سننه باب فيما أنكرت الجهمية رقم ١٨٢ جـ ١: ٦٤ وأحمد في مسنده جـ ١١/٤ . قال الإمام الترمذي هذا حديث حسن وأخرجه أحمد وابن ماجة

(٥) رواه الدارمي في الرد على الجهمية ص٤١ - ٤٢ ، وعبدالله بن أحمد في السنة ٣٠٧/١ .

(٦) ذكره الذهبي في العلو ص١٢٠ وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥ .

ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته[١] .

ماتقدم من الأدلة الشرعية هو الذي يعلم من معنى الاستواء لدى العرب وأما الكيفية فلا أحد يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى - وهذا هو الذي عليه السلف - رحمهم الله تعالى - في هذه الصفة ، وفي غيرها من الصفات إمرارها كما جاءت بفهم المعنى من غير وصف للكيفية .

وقد ذهبت المعتزلة إلى تأويل الاستواء بالاستيلاء والقهر والغلبة ووافقهم على ذلك متأخري الأشاعرة - خلافاً للأشعري والباقلاني - والماتريدية وأولوا قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوى }[٢] فقالوا : تفسيره عندنا أنه استولى عليه.وقال بعضهم : استوى عليه أي هو عالٍ عليه ، كما يقال للرجل: علا الشيءَ أي ملكه ، وصار في سلطانه ، وكما يقال : غلب فلان على مدينة كذا ثم استوى على أمرها يريد استولى[٣] .

ويتبين لنا من موقف علماء الكلام أ م مجانبون للحق والصواب حيث أنكروا استواء الله على عرشه وتأولوا آيات الاستواء كشـأ م في تأويل بقية الصفات الخبرية ، وقبل أن أذكر موقف الشيخ ابن أبي زيد في صفة الاستواء أود أن أذكر كلام بعض علماء القرويين قبله وأخص بالذكر أسد بن الفرات يقول : « بأن الله استوى على العرش بلا كيف[٤] » ،.

وإذا جئنا إلى ابن أبي زيد نراه تعرض لصفة الاستواء ، فبين أن الله استوى على العرش بذاته كما ورد ذلك في القرآن بدون تأويل ، وإن استواء الله كما يليق بجلاله ، قال ابن أبي زيد في رسالته : « ... فالله على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، والله فوق عرشه ا يد بذاته ، وهو في كل مكان بعلمه»[٥] .

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص٥١٥ .

(٢) انظر غاية المرام ١٤١، والاقتصاد في الاعتقاد ١٠٤، وأصول الدين ١١٢ - ١١٣. سورة طه آية : ٥ .

(٣) انظر الرد على بشر المريسي (ت٤٤٢هـ) ، الأصول الخمسة (٢٢٦ - ٢٢٧) .

(٤) المدارس الكلامية ص٥٥ لعبدا يد حمده .

(٥) شرح الرسالة ص١٠ .

وقال أيضاً : « وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه »[1].

وذكر الشيخ ابن أبي زيد عن الإمام مالك فقال : قال رجل لمالك : يا أبا عبدالله { الرحمن على العرش استوى }[2] . كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف منه غير معقول ، والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة أخرجوه ! »[3].

وهذا القول منقول وثابت عن الإمام مالك بألفاظ متعددة ، وإن كان في بعضها ضعف ، وعلى حسب علمي أن الضعيف بتقوى بما صح من ذلك . ومعنى قول الإمام مالك : الاستواء غير مجهول ، أي معلوم يعلم معناه وتفسيره [4]، لأن الله أخبر به وخبره صدق يقينا لايجوز الشك ، ولا الارتياب فيه ، فكان غير مجهول الحصول العلم به ، وقد روى في بعض الألفاظ : « الاستواء معلوم » .

وقوله : « الكيف غير معقول » ، لأنه لم يرد به توقيف ، ولاسبيل إلى معرفته بغير توقيف والجحود به كفر ؛ لأنه رد لخبر الله ، وكفر بكلام الله ، ومن كفر بحرف متفق عليه فهو كافر ، فكيف عن كفر بسبع آيات ، ورد خبر الله في سبعة مواضع من كتابه ، والإيمان به واجب لذلك والسؤال عنه بدعة ؛ لأن السؤال ورد فيما لاسبيل إلى علمه ، ولا يجوز الكلام فيه ، ولم يسبق طرح مثل هذا في زمن رسول الله ﷺ، ولا زمن من بعده من أصحابه[5] .

وهذا الذي قرره الشيخ ابن أبي زيد في إثبات صفة الاستواء والعلو ، هو الذي دل عليه الكتاب والسنة كما سبق أن ذكرته ، وهو قول الصحابة والتابعين ومن بعدهم من سلف الأمة ، ومن ذلك ما قاله أبوبكر الصديق رضي الله عنه: «

---

(1) كتاب الجامع لأبن أبي زيد ص١٤١ .

(٢) سورة طه آية : ٥ .

(٣) انظر كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٥٥ تحقيق عبدا يد تركي .

(٥ انظر الفتوي الحموية الكبرى ص٢٩٤.

(٥) انظر ذم التأويل لابن قدامة ص٢٦ الفتوى الحموية الكبرى ص٢٩٤ ، وانظر منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٢٣٨ .

من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لايموت »[١] . وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في خولة بنت ثعلبة[٢] : « هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات »[٣] .

وبناء على ما تقدم نرى أن ابن أبي زيد سلفي المعتقد في صفة الاستواء والعلو ويؤكد هذه الحقيقة شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه حيث يقول : « وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم .. حتى إن علماءهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه ، وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف ، ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا ، وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين؛ لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد »[٤] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولم يرد على « ابن أبي زيد » في هذا إلا من كان من أتباع الجهمية النفاة ، ولم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ، ولا أنه مخالف للكتاب والسنة ؛ ولكن زعم من خالف ابن أبي زيد وأمثاله أن ما قاله مخالف للعقل . وقالوا :إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن فن الكلام[٥] الذي يعرف فيه ما يجوز على الله عزوجل ومالا يجوز »[٦] .

وقال : « والذين انكروا على ابن أبي زيد وامثاله من المتأخرين تلقوا هذا الإنكار عن متأخري الأشعرية - كأبي المعالي وأتباعه - وهؤلاء تلقوا هذا الإنكار عن الأصول التي شاركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية ، فالجهمية -

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢٠٢/١ ، والدارمي بمعناه في الرد على الجهمية ص٢٦ .

(٢) خولة بنت ثعلبة ويقال خولة بنت مالك بن ثعلبة ، الصحابية كانت تحت أوس ابن الصامت فظاهر منها . وفيها نزلت صدر سورة ا ادلة . انظر ترجمتها : في الإستيعاب ٢٩٠/٤ - ٢٩٢ الإصابة ٢٨٩/٤ - ٢٩١ ، ذيب التهذيب ٤١٤/١٢ - ٤١٥ .

(٣) رواه الدارمي في الرد على الجهمية ص٢٦ .

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨١/٥ - ١٨٢ .

(٥) فن الكلام . علم الكلام الذي يتضمن شرح العقيدة .

(٦) المصدر السابق ١٨٢/٥ .

من المعتزلة وغيرهم - هم أصل هذا الإنكار »[1] .

وقال ابن تيمية: وقد قال ابن أبي زيد في خطبة «الرسالة » أيضاً على العرش استوى وعلى الملك احتوى ، ففرق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الأئمة المتبوعين ، ومع هذا فقد صرح ابن أبي زيد في « المختصر » بأن الله في سمائه دون أرضه ، هذا لفظه والذي قاله ابن أبي زيد مازالت تقوله أئمة أهل السنة من جميع الطوائف[2] .

وقد نقل ابن تيمية كذلك عن الإمام أبي عمرو الطلمنكي - تلميذ ابن أبي زيد - نقل عنه قوله في كتابه « الوصول إلى معرفة الأصول » : « إن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه . وكذلك ذكره محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حافظ الكوفة في طبقة البخاري ونحوه ، ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة ... »[3] .

المبحث الرابع : إثبات ا يء والإتيان وال ول لله تعالى :

السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - يثبتون لله ا يء والإتيان وال ول إثباتا يليق بجلاله وعظمته من غير بحث عن الكيفية كما هو القول في بقية الصفات .

(١) المصدر السابق ١٨٣/٥ .
(٢) المصدر السابق ١٨٩/٥ .
(٣) المصدر السابق ١٨٩/٥ .

وقد دلت الآيات القرآنية على إثبات ا يء والإتيان كما دلت السنة الصحيحة على إثبات ال ول لله تعالى .

وقد دل على صفة ا يء في القرآن قوله تعالى : { وجاء ربك والملك صفاً صفاً }[1] .

كما ورد الإتيان لله عزوجل في قوله تعالى : { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام }[2] .

ففي الآيات القرآنية ورود ذكر ا يء والإتيان له تعالى مجيئاً وإتياناً يليق به . وعلى هذا قال رسول الله - ﷺ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ- « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه » ، وساق الحديث إلى قوله : « وتبقى هذه الأمة ، فيقولون ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله - عزوجل - فيقول : أنا ربكم، فيقولون:أنت ربنا ، فيتبعونه ... إلخ »[3] .

وعن علي بن زيد عن الحسن أن رسول الله ﷺقال : « يأتينا ربنا يوم القيامة ونحن على مكان رفيع فيتجلى لنا ضاحكا .. »[4] .

وأما صفة ال ول فلم ترد في القرآن الكريم وإنما جاءت ا السنة النبوية ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - ﷺ- قال : « ي ل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة ، حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر »[5] .

---

(١) سورة الفجر آية : ٢٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٠ .

(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه انظر البخاري مع الفتح ٤١٩/١٣ كتاب التوحيد .

(٤) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة للإمام ابن قتيبة ص٢٨٨ ، ضمن عقائد السلف .

(٥) رواه مالك في الموطأ ٢١٤/١ ، والبخاري ٤٦٤/١٣ ، ومسلم ٥٢٢/١ ، وانظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث والأئمة ، للصابوني ، تحقيق بدر البدر ص٣١ - ٣٦ .

عن رفاعة بن عرابة الجهني قال قال النبي - ﷺ- « إذا مضى من الليل نصفُه أو ثلثاه هبط الله إلى السماء الدنيا ثم يقول لايسأل عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له من ذا الذي يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر »[1] .

وقد سلك المتكلمون في هذه الصفات والأفعال كذلك مسلك التأويل حيث ذهب القاضي عبدالجبار بنفي الـ ول وتأوله بـ ول رحمته وأمره ، فقال في معرض تفسيره لقوله تعالى : { وجاء ربك والملك صفا صفا }[2] ، قال والمراد بذلك : وجاء أمر ربك ، وقال أيضاً : « فالله تعالى وصف نفسه با يء ، وا يء لايتصور إلا من الأجسام . وأن الله تعالى ذكر نفسه وأراد غيره جريا على عاد م في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامة .. »[3] . ووافق المعتزلة على هذا التأويل ابن فورك ، والرازي والغزالي وغيرهم من الأشاعرة[4] .

قال ابن فورك الأشعري في مفهوم إتيان الله حيث ذهب إلى مسلك التأويل كأضرابه فيقول : « إن المراد فأتى الله ببنيا م معناه الاستئصال في الهلاك والدمار بإرسال العذاب .

الثاني : أن المراد بذلك ظهور فعل من جهته تعالى في البنيان ، سماه إتيانا، ولله تعالى - أن يسمى أفعاله بما شاء ، وأن يصف نفسه من ذلك بما أراد ، وقوله تعالى : { وجاء ربك والملك صفا صفا } أي جاء ربك والملك : أي أمر ربك وحكمه .. يريد أمر القيامة أوما يختفى به ذلك الوقت من أمره المخصوص ، وحكمه الذي لايقع الشركة فيه بالدعاء والنداء ، وعلى ذلك يكون الفعل وقع بأمره وعن حكمه[5] .

---

(١) رواه الدارمي في سننه ٣٤٧/١ .

(٢) سورة الفجر آية : ٢٢ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٤) تفسير الرازي ١٧٤/١٦ ، والإقتصاد في الاعتقاد ١٠٥ ، وانظر شرح حديث الـ ول ص١٣٨ - ١٤٧ .

(٥) الإمام أبوبكر محمد بن الحسن بن فورك وأثره في المدرسة الأشعرية لأحمد محمود عبدالغفار ⇦

وأما علماء السلف فهم في هذه الصفات كغيرها يثبتون ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله - ﷺ- دون تأويل ولاتكييف .

قال ابن قتيبة - رحمه الله - : « .. وعدل القول في هذه الأخبار - يعني أخبار الصفات - أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلى وأنه يعجب وي ل إلى السماء وأنه على العرش استوى ...[1] .

وقال الإمام الآجري ت٣٦٠هـ : « وأما أهل الحق فيقولون : الإيمان به - ال ول - واجب بلا كيف لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله - ﷺ- أن الله - عزوجل - ي ل إلى السماء الدنيا كل ليلة ، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وكما قبل العلماء منهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن ، وقالوا من ردها فهو ضال خبيث ، يحدرونه ويحذرون منه »[2] .

وذكر الإمام الدارقطني عدد الصحابة الذين رووا أحاديث ال ول ممن يستحيل الطعن فيهم وأوصل عددهم إلى اثنى عشر صحابيا وهم : على بن أبي طالب ، وجبير بن مطعم ، وجابر بن عبدالله وعبدالله بن مسعود ، وأبو هريرة ، وعقبة بن عامر الجهني ، وعمرو بن عبسة ، ورفاعة بن عرابة الجهني ، وأبو سعيد الخدري ، وعثمان بن أبي العاص الثقفي ، وأبو الدرداء ، وأبو سلمة جد عبدالحميد بن يزيد بن سلمة .

كما ذكر عدد من روى حديث ال ول في النصف من شعبان ستة من الصحابة وهم أبوبكر الصديق ، ومعاذ بن جبل وأبو ثعلبة الخشني وكثير بن مرة الحضرمي وعائشة أم المؤمنين وأبو موسى الأشعري .

ص١٧٦ - ١٧٧ .

(١) اختلاف اللفظ ص٢٤٣ ، ضمن عقائد السلف للأئمة ، والدارمي في سننه ٣٤٦/١ - ٣٤٨، وكتاب التوحيد لابن خزيمة ص١٢٦ - ١٣٦ .

(٢) كتاب الشريعة رقم ٥٤ ، باب الإيمان والتصديق بأن الله - عزوجل - ي ل إلى سماء الدنيا كل ليلة ، ص٢٥٤ ، وانظر كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ) ٢٧٢/١- ٢٧٣ - رقمي ٥٠٧ - ٥٠٩ ، وكتاب التوحيد لابن منده (ت٣٩٥هـ) ٢٩١/٣ - ٣٠٢ .

وكذلك روى حديث ال ول يوم عرفة أم سلمة زوج النبي ﷺ[1] .

قال الإمام الدارمي : فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب - تبارك وتعالى - في هذه المواطن : -

١) - ال ول كل ليلة إلى السماء الدنيا . ٢) - ال ول يوم عرفة .

٣) - ال ول يوم القيامة للحساب . ٤) - ال ول لأهل الجنة .

وعلى تصديقها والإيمان ا أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لاينكرها منهم أحد ولايمتنع من روايتها[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والقول المشهور عند أهل السنة والحديث هو إقرار بما ورد به الكتاب والسنة من أنه يأتي ويـ ل ، وغير ذلك من الأفعال . وقال أبو عمر الطلمنكي : أجمعوا - يعني أهل السنة والجماعة -على أن الله يـ ل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء ، لايحدون في ذلك شيئاً[3] .

وذكر الدكتور على بن ناصر الفقيهي في تعليقه على كتاب التوحيد لابن منده، فقال هذه صفة ال ول - لله تعالى - لفصل القضاء بين عباده كما في الآية ثم ال ول إلى سماء الدنيا إذا بقي ثلث الليل الآخر ، ثم يقول من يدعوني فأستجيب له[4] ، إلخ إن هذا اللفظ في هذه الرواية وماجاء بعده من ألفاظ كلها صريحة الدلالة في أن ال ول حقيقة لايصح تأويلها - لأن تأويلها بالمَلَك يرده صريح لفظ الحديث - فالمَلَك لايتقدم بين يدي ربه ويقول للعباد وهو مخلوق مثلهم - من يدعوني فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له - لأنه لايستجيب للداعي إلا الله - كما قال تعالى : { وقال ربكم ادعوني استجب لكم }[5]

---

(١) كتاب ال ول للدراقطني ص٨٤ - ٨٥ .

(٢) الرد على الجهمية للدارمي ص٧٩ ، وانظر عقيدة السلف للصابوني ص٢٦ - ٢٧ .

(٣) شرح حديث ال ول ص٤٥٧ .

(٤) تقدم تخريجه في ص٢٩٢ .

(٥) سورة غافر آية : ٦٠ .

{ ولايغفر الذنوب إلا الله - عزوجل ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم }[(١)] ولو كان المأمور ملكا - لقال : يقول : ربكم من يدعوه فيستجيب له - وإنما كلها بلفظ - يـ ل ربنا إلى سماء الدنيا إذا بقى ثلث الليل الآخر .. لا أسأل عن عبادي أحدا غيري ، دل ذلك على أن الله - عزوجل - هو القائل ، وأن الفطر السليمة المستقيمة من شوائب الشبه والتشبيه ، تؤمن بما ثبت عن رسول الله - ﷺ- فتتجه إلى ر ا في كل وقت وحين ولاسيما في ثلث الليل الأخير لتسأله المغفرة والرحمة والعفو والعافية متمثلة لتوجيهه سبحانه لعباده بقوله : { ولله الأسماء الحسنى فادعوه ا } ولقوله تعالى : { وقال ربكم ادعوني استجب لكم }[(٢)] ويقول الإمام أبو الحسن الأشعري في إبانته : « ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل عن الـ ول إلى سماء الدنيا ، وأن الرب - عزوجل - يقول : هل من سائل ، هل من مستغفر ، وسائر ما نقلوه وأثبتوه ، خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل ، ونقول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا - عزوجل - وسنة نبينا ﷺ، وإجماع المسلمين ، وماكان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا ، ولا نقول على الله مالا نعلم .

ونقول إن الله - عزوجل - يجيء يوم القيامة ، كما قال سبحانه { وجاء ربك والملك صفا صفا }[(٣)] .

وعلماء المغاربة على هذا يثبتون صفة الـ ول لله كما يليق بجلاله ويقول ابن عبدالبر : « والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أ م يقولون : يـ ل كما قال رسول الله - ﷺ- ويصدقون ـذا الحديث ولايكيفون ، والقول في كيفية الـ ول كالقول في كيفية الاستواء وا يء ، والحجة في ذلك واحدة .. »[(٤)] .

ومذهب ابن أبي زيد - رحمه الله - في هذه الصفات إثبات معانيها لله

---

(١) سورة الزمر آية : ٥٣ .

(٢) سورة غافر آية : ٦٠ ، كتاب التوحيد لابن منده ٣٠٠/٣ ، تحقيق د. على بن محمد بن ناصر الفقيهي .

(٣) سورة الفجر الآية : ٢٢ ، كتاب الإبانة ص٢٩ - ٣٠ ، لأبي الحسن الأشعري .

(٤) التمهيد لابن عبدالبر ١٤٣/٧ .

عزوجل على مراد الله لأنه أعلم بنفسه من خلقه وكذلك ما ثبت عن رسول الله - ﷺ - مما وصف به ربه عزوجل فهو أعلم الخلق بما يليق بجلال الله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل وهكذا نرى أن ابن أبي زيد لاينكر صفة ال ول لله عزوجل حيث إن الإمام مالك لم ينكره خلافا لمن يزعمون ذلك ان ابن أبي زيد يدافع عن مالك فيرفع عنه هذه التهمة بقوله : « وكما لاينكر - أي الإمام مالك - حديث التـ ل »[1] ، ويقول في الرسالة عن صفة ا ـيء لله تعالى .

« إنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيا »[2] . واستدل بقوله تعالى : { وجاء ربك والملك صفا صفا }[3] لعرض الأمم وحسا ا وعقوبتها وثوا ا[4].

وهكذا يثبت ابن أبي زيد صفة ال ول وا ـيء لله عزوجل دون تأويل وهو متبع في ذلك منهج أهل السنة والجماعة .

المبحث الخامس: صفة اليد لله عزوجل وموقف ابن أبي زيد منها :

أخبر الله - عزوجل - عن نفسه أن له يدين وأنه خلق آدم عليه السلام

---

(١) كتاب الجامع ص١٥٦ .

(٢) انظر الرسالة ١٤ - ١٥ ، شرح صالح عبدالسميع الآبي .

(٣) سورة الفجر آية : ٢٢ .

(٤) كتاب الجامع ص١٤٠ .

بيديه حيث قال الله عزوجل في محكم تـ يله مخاطباً إبليس : { مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي }[1] وقال جل وعلا تكذيباً لليهود حين قالوا : { يد الله مغلولة } فكذ م في مقالتهم : { بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء }[2] وقوله تعالى { يد الله فوق أيديهم }[3] .

وهناك عدة أحاديث وردت في إثبات صفة اليد لله تعالى منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ- قال : يد الله ملأى لاتغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السموات والأرض فإنه لايغض ما في يده . وقال عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع »[4] .

وأن لله يد يمنى بدليل حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله - ﷺ- أنه قال : « إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك » رواه سعيد عن مالك[5] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنهما أن النبي - ﷺ- قال : « يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده .. »[6] .

فهذه الأحاديث المتقدمة تثبت لله صفة اليد حقيقة لامجازا ومع ذلك فقد أول المتكلمون هذه الصفة كدأ م في جميع الصفات الخبرية الذاتية التي لا تنفك عن الله عز وجل كالعلم والحياة ونحوها حيث اتفقت جميع الفرق باستثناء قدماء الكلابية ، والأشاعرة على عدم إثبات صفة « اليد » بالمعنى المتبادر من ظواهر

(١) سورة ص آية : ٧٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٦٤ .

(٣) سورة الفتح آية : ١٠ .

(٤) البخاري مع الفتح ٣٩٣/١٣ . ط ، السلفية .

(٥) البخاري مع الفتح ٣٩٣/١٣ .

(٦) البخاري مع الفتح قول الله تعالى { لما خلقت بيدي } ٣٩٢/١٣ ، الرد على الجهمية لابن منده ص٦٩ - ٧٢ .

النصوص كما هو الحال في الصفات الفعلية وهي ما يتعلق بمشيئة الله تعالى وقدرته كالاستواء وا ئ، فيجب عندهم تأويل أي نص من الكتاب والسنة يثبت لله هذا النوع من الصفات ، لأن إثبات هذه الصفة يستدعى كونه تعالى جسماً كما يزعمون فاثبات اليد يقتضي عندهم أن يكون الله تعالى ذا جوارح ، وأجزاء أو ذا تركيب وتبعيض مما هو من خواص الأجسام المنفية عن الله تعالى ، بدليل العقلي وبناء على هذا أولوا « اليد » في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان « بالقدرة والنعمة » »[1].

وقال القا ضي عبدالجبار في قوله تعالى : { والسموات مطويات بيمينه } اليمين في الآية بمعنى القوة »[2].

وقد فند علماء السنة آراء الذين يزعمون أن المراد باليد « القدرة » أو النعمة على سبيل ا از .

قال أبو موسى الأنصاري : سمعت سفيان بن عيينة يقول : « كل شيء وصف الله به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره وليس لأحد أن يفسره »[3].

سئل أبو زرعة الرازي عن قول الله - عزوجل - { تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك } قال : لايقال نفس كنفس لأنه كفر . وقال : { لما خلقت بيدي }[4] إن الله - عزوجل - خلق آدم بيده ولا يقال يد مثل يد ولا يد كيد لأنه كفر ولكن نؤمن ذا كله . وسئل أبو زرعة : أيجوز أن يقال للرب - عزوجل - يدين ورجلين قال : يقال كما جاء في الخبر ، وهكذا ماجاء في الأخبار مثل هذا ... »[5].

وعن عبدالله بن الزبير الحميدي وذكر حديث : « إن الله خلق آدم يعني بيديه

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٢٢٨ - ٢٢٩ ، ورسالة الصفات الخبرية بين الإثبات والتأويل ص٢٥٢ ، مخطوط لطالب عثمان عبدالله آدم الإثيوبي .

(٢) المصدر السابق ص٢٢٩ .

(٣) كتاب التوحيد لابن مندة ٣٠٧/٣ .

(٤) سورة ص آية : ٧٥ .

(٥) كتاب التوحيد لابن منده ٣٠٩/٣ .

فقال : لانقول غير هذا على التسليم والرضا بما جاء به القرآن والحديث ولانستوحش أن نقول كما قال القرآن والحديث ... »[(١)].

قال أبو الحسن الأشعري : « قد سألونا : أتقولون إن لله يدين ؟ قيل : نقول ذلك بلاكيف . وقد دل عليه قوله تعالى { يد الله فوق أيديهم }[(٢)] . وقوله تعالى : { لما خلقت بيدي }[(٣)] . وروي عن النبي ﷺ قال : « إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته . فثبتت اليد بلا كيف .

وجاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ أن الله تعالى خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده ، وقال تعالى :
{ بل يداه مبسوطتان }[(٤)] .

وجاء عن النبي ﷺأنه قال : « كلتا يديه يمين » . وقال تعالى { لأخذنا منه باليمين }[(٥)] وقال : « وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا بيدي ، ويعني به النعمة ، وإذا كان الله - عزوجل - إنما خاطب العرب بلغتها ، وما يجري مفهوما في كلامها ، ومعقولا في خطا ا ، وكان لايجوز في أن يقول القائل : فعلت بيدي ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى قوله تعالى : { يدي النعمة }[(٦)] .

وقال : « وذلك أنه لايجوز أن يقول القائل : لي عليه يد ، بمعنى ، لي عليه نعمة وهكذا استمر في إبطال من ادعى أن « اليد » بمعنى النعمة باللغة ، والإجماع والقياس ، والعقل .. »[(٧)].

---

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة .
(٢) سورة الفتح آية : ١٠ .
(٣) سورة ص آية : ٧٥ .
(٤) سورة المائدة آية : ٦٤ .
(٥) سورة الحاقة آية : ٤٥ .
(٦) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص١٢٦ .
(٧) المصدر السابق ص١٢٧ - ١٣٢ ، وانظر مختصر الصواعق ٢٧/١ ، وانظر كلام المحقق لكتاب ابن منده ١٠٧/٣ - ١٠٩ ، وفتاوى ابن تيمية ١٩٦/٥ .

قال ابن بطال المالكي ت٤٤٩هـ ، « في هذه الآية إثبات يدين لله ، وهما صفتان من صفات ذاته وليستا بجارحتين خلافاً للمشبهة من المثبتة وللجهمية من المعطلة ، ويكفي في الرد على من زعم أ ما بمعنى القدرة ، أ م أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة ولا قدرة له في قول النفاة ، لأ م يقولون إنه قادر لذاته[1] ويدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة أن في قوله تعالى لإبليس:{ مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي }[2] .

وقال : « ... فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما فيما خلق كل منهما به وهي قدرته ، ولقال إبليس وأي فضيلة له علي وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقدرتك . فلما قال : « خلقتني من نار وخلقته من طين » دل على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه »[3] قال - ابن بطال - ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان ، لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق ، لأن النعم مخلوقة ولايلزم من كو ما صفتي ذات أن يكونا جارحتين ... »[4].

قال ابن التين : قوله بيده الأخرى « الميزان » يدفع تأويل « اليد » هنا بالقدرة، وقوله في حديث ابن عباس « أول ما خلق الله القلم ، فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين » الحديث[5] .

والذي ذهب إليه السلف - رضوان الله عليهم - هو مذهب ابن أبي زيد

---

(١) وقد لاحظ أبوالحسن الأشعري هذا التناقض من جهة المتكلمين فأبطل دعواهم في تأويلهم ((اليد)) بمعنى القوة والقدرة واعتبر ذلك تحطيماً لمذهبهم حيث إ م لايثبتون قدرة واحدة فكيف يستساغ إثبات قدرتين ؟ وأيضاً فلو كان الله عني بقوله : لما خلقت بيدي ((القدرة)) لم يكن آدم - عليه السلام - على إبليس مزية في ذلك ، والله تعالى أراد أن يرى فضل آدم - عليه السلام - إذ خلقه بيديه دونه .. الإبانة ص١٣١ .

(٢) سورة ص آية : ٧٥ .

(٣) الفتح ٣٩٣/١٣ .

(٤) الفتح ٣٩٤/١٣ .

(٥) المصدر السابق ٣٩٤/١٣ ، وانظر مختصر الصواعق المرسلة ٣٨٠/٢ - ٣٨١ ، تحقيق ط عبدالرؤوف سعد .

حيث أثبت « يداً » لله تعالى كما يليق بجلاله كما أثبت له القبض والبسط والطي وأنه سيطوي السموات بيمينه يوم القيامة وأن يديه حقيقةُ لامجاز وذكر الشيخ ابن أبي زيد أن يديه غير نعمتيه ، ولذلك يقول في كتابه « الجامع » : « .. وانه يقبض ويبسط وأن يديه مبسوطتان والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، وأن يديه غير نعمتيه وفي قوله سبحانه - في القرآن الكريم .. { قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي }[1] .

ورد ـذا القول ابن أبي زيد على المنكرين لصفة اليدين لله تعالى وعلى الذين يؤولو ا بالنعمة أو القدرة أو القوة ، حيث إن هذه المذكورة مخلوقة وليس من الممكن خلق المخلوق بمخلوق ، لأن النعم مخلوقة .

المبحث السادس : في صفة الساق والصورة وموقف ابن أبي زيد منهما :

ورد ذكر الساق في قوله تعالى : { يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون }[2] .

إذا تأملنا في الآية نجدها غير صريحة في الدلالة على صفة الساق لله عزوجل لأ ا وردت نكرة غير مضافة إلى الله - عزوجل - وهذا ماجعل الصحابة

---

(١) كتاب الجامع ص١٤٠ . والآية من سورة ((ص)) الآية : ٧٥ .

(٢) سورة القلم آية : ٤٢ .

والتابعين ومن سلك طريقتهم يختلفون[١] في تفسير هذه الآية ودلالتها على هذه الصفة لا إنكار الصفة ؛ وحيث إن السنة تفسر الآية وتقيد مطلقه فقد جاءت السنة المطهرة دالة على صفة « الساق » لله عزوجل ، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي - ﷺ- يقول : « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ... »[٢] .

وبما أن الآية جاءت نكرة في قوله تعالى { عن ساق } مما يفيد العموم ، فقد جاء الحديث مخصصاً وموضحا المراد يقول نبينا ﷺ: « يكشف ربنا عن ساقه » فأضاف الرسول ﷺ الساق إلى الله عزوجل فثبتت دلالة الآية على هذه الصفة ويجب بذلك إثبات صفة الساق لله سبحانه وتعالى على منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم وذلك يتمثل بالإيمان ا على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل والقول فيها كالقول في بقية الصفات[٣]

وقد خالف المتكلمون هذا المنهج حيث أنكروا صفة الساق لله عزوجل كدأ م مع الصفات الخبرية يقول القاضي عبدالجبار في قوله تعالى { يوم يكشف عن ساق }[٤] قالوا وذو الساق لايكون إلا جسما . وذلك أنه لايقر لكم بالظاهر لأنه لم يضف الساق إلى نفسه ، فنقول : المراد به الشدة ، والهول جريا على عادة العرب ، فهو بم لة قوله : « قامت الحرب على ساقها »[٥] .

وأما الأشاعرة فقد أولوا صفة الساق إلى الأمر الشديد المفظع من الهول يوم

---

(١) ابن جرير الطبري ، التفسير ١٣٩/٢٩ - ١٤٢ كتاب الرد على الجهمية لابن مندة ٣٨ - ٤٠، وانظر تفسير ابن كثير ٤٠٧/٤ - ٤٠٨ ، ذكر السيوطي في الدر المنثور ٢٥٥/٦ ، أن الحديث أخرجه سعيد بن منصور وعبدالله بن حميد وابن مندة من طريق عمرو بن دينار .

(٢) رواه البخاري مع الفتح ٦٤٤/٨ ، المطبعة السلفية ، كتاب التفسير ، باب يوم يكشف عن ساق رقم الحديث ٤٩١٩ .

(٣) انظر كتاب منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة بتصرف ص٢٥٧ .

(٤) سورة القلم آية : ٤٢ .

(٥) شرح الأصول الخمسة لقاضي القضاة عبدالجبار بن أحمد ص٢٢٩ .

القيامة مستدلين بحديث ابن عباس الذي رواه الإمام البيهقي في قوله تعالى : { يوم يكشف عن ساق }[1] فقد ورد عن ابن عباس أنه قال : هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة[2] .

وقد احتج ـذا نفاة الصفات من أهل التأويل ، وجعلوه من أدلتهم لتسويغ التأويل لآي الصفات .

والجواب عن ذلك أن يقال : إن هذه الآية ليست صريحة في إثبات الساق صفة الله - عزوجل - ولذلك فسرها من فسرها من السلف بالكشف عن أمر شديد ، كما يقال : كشفت الحرب عن ساق ، فليس هذا التفسير من باب تأويل الصفات ، ولذلك نجد السلف - رحمهم الله - يثبتون صفة الساق كما ورد التصريح ـا في حديث أبي سعيد في الصحيحين ، وفيه : فيكشف عن ساقه ... » . يعني الرب .

عن ابن عباس أنه قال عن شدة وكرب . وقال أبو سليمان : فيحتمل أن يكون معنى قوله : « يوم يكشف ربنا عن ساقه » . أي عن قدرته التي تنكشف عن الشدة والمعرة[3] سبحانه وتعالى ، وهذا يدل على إ ـم لم يقصدوا تأويل الصفة ، وإنما فسروا الآية بما ظهر من معناها حسب ماورد صريحاً في الحديث النبوي .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولا ريب أن ظاهر القرآن [لا] يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال : { يوم يكشف عن ساق }[4] نكره في الإثبات لم يضفها إلى الله ، ولم يقل عن ساقه ، فمع عدم التعريف بالإضافة لايظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر ، ومثل هذا ليس بتأويل ، إنما التأويل صرف الآية

(١) سورة ن آية : ٤٢ .

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص٤٣٧ .

(٣) الأسماء والصفات ص٤٣٦ . وباللسان في مادة عرر المعرة هي الشدة.

(٤) سورة القلم الآية : ٤٢ .

عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف .. »[1].

ومن المعلوم أن كلام الله وكلام رسوله ﷺ إذا كان مجملاً وظاهراً ويفسر معناه كلام آخر متصل به أو منفصل عنه كما هو في حديث أبي سعيد الخدري الذي معنا ، فتفسيره بهذا الكلام الآخر ليس فيه خروج عن كلام الله ورسوله ، ولا عيب في ذلك ولا نقص »[2].

وليس هو من التأويل المذموم الذي هو مدار النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم من أهل التأويل،فإن أهل التأويل المذموم يجعلون ظواهر كثير من الألفاظ الشرعية دالة على ماليست بمدلوله له من الكفر والالحاد ، ثم يريدون صرفها عن »[3].

والمقصود ان التأويل ليس كله باطلا ، بل منه ماهو باطل ، ومنه ماهو حق وهو ما توافرت فيه شروط التأويل الصحيح ، فهذا يؤخذ ، سواء سمي تأويلاً أو تفسيرا أو غير ذلك[4] .

بناء على ما تقدم من مذهب المتكلمين نرى أنهم ينفون صفة الساق بالمعنى الذي قال به السلف لله - عزوجل - مع ان النبي - ﷺ - أثبتها في الحديث الذي رواه الإمام البخاري[5] في صحيحه ومع أن الصحابة كانوا مختلفين في دلالة الآية غير مختلفين في إثبات صفة الساق لله - عزوجل - كما يليق به .

وموقف ابن أبي زيد في حديث الساق ظاهرة الإنكار على من يتحدث في ذلك اعتمادا على ما رواه عن الإمام مالك حيث قال : « إن مالكا انكر و نهى أن يتحدث بحديث ... وإن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة وإنه يدخل يده في جهنم ويخرج منها من أراد ... »[6].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٤/٦ - ٣٩٥ .

(٢) انظر درء التعارض ٢٣٢/٥ .

(٣) انظر درء التعارض ٢٣٥/٥ ، مجموع الفتاوى ٣٩٥/٦ .

(٤) وانظر موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضا ونقدا - سليمان بن صالح بن عبدالعزيز الغصن ٨٢٢/٢ - ٨٢٤ .

(٥) تقدم تخريجه وانظر البخاري مع الفتح ٦٦٤/٨ ، المطبعة السلفية .

(٦) كتاب الجامع ص١٥٦ ، والحديث في البخاري ٦٦٤/٨ .

المبحث السابع : مسألة الصورة :

واما صفة الصورة لله عز وجل فهي من الصفات الثابتة التي يجب الإيمان ا كما يليق بجلاله من غير سؤال عن الكيفية كالقول في بقية الصفات لله عزوجل وقد دلت السنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ على هذه الصفة ، ومما جاء في ذلك : -

١) - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ ، قال : « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك. نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ، فإ ا تحيتك وتحية ذريتك . فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله . فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن »[١].

٢) - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: « إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته » الضمير في قوله : « على صورته »[٢] عائد إلى الله سبحانه على ما يليق به ويؤيده ماجاء في الحديث التالي .

٣) - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ: « هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « هل تضارون في الشمس ليس دو ا سحاب ؟ » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة ، فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها ، أو منافقوها - شك إبراهيم - فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه

---

(١) البخاري مع الفتح كتاب الإستئذان (رقمه ٦٢٢٧) ٣/١١ ، رواه البخاري من طريقتين أحدهما من طريق الإمام مالك . وقال ابن حجر في الفتح : وقد اخرج الحديث من طريق مالك الدارقطني في غرائب مالك ، فتح الباري ١٨٢/٥ ، وأخرجه مسلم ٢١٨٣/٤ .

(٢) رواه مسلم ذا اللفظ ٢٠١٧/٤ ، وأصله في البخاري ١٨٢/٥ .

، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه .. »[1] .

ووجه الدلالة قوله عليه الصلاة والسلام : « فيأتيهم الله في صورته » و يشهد لهذا المعنى ماجاء مصرحاً به في بعض الأحاديث منها : -

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « لاتقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن »[2] .

موقف السلف من الصورة :

ومذهب السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - كما قلت إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله - ﷺ - من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل[3] ويجب علينا ان نسلك طريقة السلف في إيما م بأمور المغيبات ومنها مسألة - خلق آدم على صورة الرحمن - وأن الحق فيما ذهب إليه السلف وهو أن الضمير في الحديث الصحيح - في خلق آدم على صورته - يعود إلى الله -

(١) البخاري مع الفتح ٤١٩/١٣ رقمه ٧٤٣٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢٢٨/١ رقم ٥١٨ ، وابن خزيمة في التوحيد ٣٧ ، الدارقطني ص٦٤ ، ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص٢٠٢ ، السنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل تحقيق د. محمد سعيد القحطاني ٢٦٨/١ ، كتاب الشريعة للآجري ص٢٦٢. والحديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه انظر الفتح ٤١٩/١٣، ١٣٣/٥ باب الإستاذان .

(٣) التحريف لغة: التغير والتبديل ، والتحريف في باب الأسماء والصفات : هو تغير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله ا .

التعطيل لغة : مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك ، والتعطيل في باب الأسماء والصفات هو : نفي أسماء الله وصفاته أو بعضها .

النكييف لغة : جعل الشئ على هيئة معينة معلومة ، والتكييف في صفات الله هو : الخوض في كنه وهيئةالصفات التي أثبتها الله لنفسه .

التمثيل لغة : من المثيل وهو الند والنظير ، والنمثيل في باب الأسماء والصفات هو الاعتقاد في صفات الخالق أ ا مثل صفات المخلوق. راجع في معاني هذه الألفاظ كتاب " معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات " ص ٧٠- ٨١ للدكتور محمد بن خليفة التميمي ، وانظر كتاب مواقف الطوائف من توحيد الاسماء والصفات للدكتور محمد بن خليفة التميمي ص٢١ .

عزوجل - وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر أن الله خلق آدم على صورة الرحمن وقد صححه الإمام أحمد واسحاق بن راهويه والآجري وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون من الأئمة رحمة الله عليهم جميعاً - .

ذكر عبدالله بن أحمد بن حنبل أن رجلاً سأل أباه أحمد بن حنبل عن حديث : « خلق الله آدم على صورته أي على صورة آدم » فقال أحمد : فأين الذي يروى عن النبي - ﷺ- : « إن الله خلق آدم على صورة الرحمن » . ثم قال أحمد وأي صورة لآدم قبل أن يخلق .. »[1] .

قال الحافظ في الفتح : « على صورة الرحمن » هذه الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في كتاب السنة والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات . وأخرجها أيضاً ابن أبي عاصم من طريق أبي يونس عن أبي هريرة بلفظ يرد التأويل الأول وهو أن الضمير في قوله « على صورته » للمضروب . قال : « من قاتل فليتجنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن »[2] . فتعين اجراؤها في ذلك على ما تقدر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جلا جلاله .

وقال الحافظ أيضاً « وقيل الضمير في « قوله » على صورته يعود إلى « الله» وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرق هذا الحديث « على صورة الرحمن». وكل ما تقدم فيما يتعلق بإعادة الضمير ، وأما فيما يتعلق بأقوال السلف في مسألة خلق آدم على صورته فقد قرر السلف ضرورة وجوب الإيمان ا بلا كيف ، وعلى هذا يقول ابن قتيبة في مختلف الحديث بعد أن ذكر جميع التأويلات التي قيلت في هذا الحديث قال والذي عندي - والله أعلم - ان الصورة ليست بأعجب من اليدين ، والأصابع ، والعين ، وإنما وقع الإلف لتلك يئها في القرآن ووقعت الوحشة من هذه لأ ا لم تأت في القرآن ، ونحن نؤمن بالجميع ، ولا

(١) انظر كتاب السنة ٢٦٨/١ - ٢٦٩ .

(٢) البخاري مع الفتح ١٣٣/٥ ، وانظر السنة لابن أبي عاصم ٢٠٣/١ - ٢٠٥ ، وقد ترجم له الذهبي في السير ٤٣٠/١٣ .

نقول في شيء منه بكيفية ولاحد »[1] .

وما ذكره ابن قتيبة ذكر نحوه أبو يعلى فقال : « الوجه فيه أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما يستحقه لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور كما أطلقنا تسمية ذات ونفس لا كالذوات والنفوس ، يبين صحة هذا أن الصورة ليست في حقيقة اللغة عبارة عن التخاطيط وإنما هي عبارة عن حقيقة الشيء ولهذا يقول عرفني صورة هذا الأمر »[2] .

وذكر الآجري (ت٣٦٠هـ) في الشريعة فقال : « هذه من السنن الكبرى التي يجب على المسلمين الإيمان ا ولا يقال فيها كيف ، ولم ، بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين ، ثم قال : حدثنا أبو نصر محمد بن كردي قال حدثنا أبوبكر المروزي قال سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والأسماء فصححها وقال تلقتها العلماء بالقبول تسليم الأخبار كما جاءت . وقال الآجري : سمعت أبا عبدالله الزبيري وقد سئل عن معنى الحديث فذكر مثل ما قيل فيه ثم قال أبو عبدالله نؤمن ذه الأخبار التي جاءت كما جاءت ، ونؤمن ا إيمانا ، ولانقول كيف ولكن ننتهي في ذلك إلى حيث انتهى بنا فنقول في ذلك ما جاءت به الأخبار كما جاء »[3] .

وقال ابن عبدالبر : « الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة وما أشبهها : الإيمان بما جاء عن النبي - ﷺ- فيها والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه »[4] .

ويقول الذهبي : « أما معنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله

---

(١) مختلف الحديث ص٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢) إبطال التأويلات ٨١/١ مخطوط خاص .

(٣) انظر كتاب الشريعة للآجري ، باب الإيمان بالله - عزوجل - خلق آدم على صورته بلا كيف ص٣١٥ ، وانظر الإبانة لابن بطة ص١٠٧ .

(٤) التمهيد لابن عبدالبر ١٤٨/٧ .

ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء ... »[1] .

وانظر تقرير ذلك في جواب الشيخ عبدالله البابطين[2] عن حديث الصورة في الدرر السنية في الأجوبة النجدية[3] .

وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - في تقريظه لكتاب عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ حمود التويجري بعد أن ذكر مذهب أهل السنة والجماعة في تلك المسألة قال : « ... الواجب على أهل العلم والإيمان إقرار آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة كما جاءت وعدم التأويل لها بما يخالف ظاهرها كما درج على ذلك سلف الأمة وأئمتها مع الإيمان بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء .. في صورته ولا وجهه ولايده ولا سائر صفاته بل هو سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه .. »[4] .

وتعرض الدكتور عبدالله التركي لتلك المسألة بعد أن ذكر كلام ابن قتيبة السابق : فقال : « ما ذكره ابن قتيبة هو الذي تميل إليه النفس ، وهو الذي يتمشى مع أصول أهل السنة والجماعة »[5] .

ذكرت فيما تقدم جملة من أقوال السلف والأئمة في مسألة خلق الله آدم على صورة الرحمن ؟ وأما مأورد عن الإمام مالك من إنكاره لهذه الأحاديث

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي .

(٢) هو العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالله البابطين من أشهر تلاميذ كبار تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولد عام ١١٩٤هـ ، وتفقه على مجموعة كبيرة من العلماء من أشهرهم محمد عبدالله بن طراد الدوسري وعبدالعزيز بن عبدالله الحصين ، وحمد بن ناصر بن معمر وعبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وقد ولي قضاء الطائف والوشم والقصيم فترة من الزمن وله مؤلفات قيمة من أشهرها اختصار بدائع الفوائد لابن القيم وحاشية نفسية على شرح منتهى الإرادات ، وتأسيس التقديس في الرد على بن جرجيس وله فتاوى كثيرة مبثوثة في الدرر السنية . انظر علماء نجد للشيخ البسام ٥٦٧/٢ . وانظر عقيدة الإمام ابن قتيبة . لدكتور على العلياني ص١٨٨ في الهامش .

(٣) الدرر السنية ٣١٤/٢ - ٣١٥ .

(٤) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن ، تقريظ ابن باز ص (ج - د) .

(٥) انظر أصول مذهب الإمام أحمد ، هامش (ص٨١) .

فلعل ذلك يرجع إلى عدة أمور منها :

الأول : إن هذه الأحاديث ضعيفة عنده ، ولم تبلغه من طريق صحيح ويستفاد هذا من ظاهر كلام مالك في ابن عجلان وأبي الزناد ، وممن قال ـذا الإمام الذهبي ، حيث قال : أنكر الإمام مالك ذلك - حديث خلق الله آدم على صورته - لأنه لم يثبت عنده ، ولا اتصل به فهو معذور »[1].

الأمر الثاني : أن الإنكار لصحة الأحاديث ، لأن البخاري روى الحديث في صفة الصورة من طريق مالك بل إن الإمام مالكا أنكر التحديث بمثل هذه الأحاديث أمام عامة الناس سدا للذريعة وحماية لجناب التوحيد وسدا لكل طريق يؤدي إلى الشرك بالله - جل وعلا - وذلك أنه خشي أن يقع في نفوسهم التشبيه أو تأويله على خلاف المفهوم السليم . وممن قال ـذا الإمام ابن عبدالبر ، حيث قال : « وإنما كره ذلك مالك خشية الخوض في التشبيه بكيف هاهنا »[2].

وأما الشيخ ابن أبي زيد : فلم أقف على قوله في إثبات هذه الصفة – الساق والصورة خاصة وإنما تقدم قوله في الصفات عموما في كتابي « النوادر والزيادات » ، « والجامع » حيث يقول : ونصدق بما جاءنا عن الله - عزوجل - في كتابه وبما ثبت عن رسوله - ﷺ- من أخباره ، نوجب العمل بمحكمه ونقر بنص مشكله ومتشا ـه ونكل ما غاب من حقيقة تفسيره إلى الله - سبحانه : والله يعلم تأويل متشابه كتابه .. »[3].

ويمكنني القول بأن الشيخ يرى إمرار جميع الصفات على وجه العموم كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ، كما أنه في كتابه « الجامع » : « قال رجل لمالك : يا أبا عبدالله : { الرحمن على العرش استوى } كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول والكيف منه غير معقول والسؤال عنه بدعة والإيمان به

(١) السير ١٠٤/٨ .
(٢) التمهيد لابن عبدالبر ١٥٠/٧ ، وانظر كلام محقق كتاب الـ ول والصفات للدارقطني ص٥٨.
(٣) كتاب الجامع ص١٤٦ ، تحقيق عبدا يد تركي .

واجب ، وأراك صاحب بدعة أخرجوه »[1] .

وهذا كما هو المعلوم هو عين مذهب السلف في الصفات ، وهذا القول يكفي لمعرفة موقف الإمام مالك والشيخ ابن أبي زيد من كل صفة من صفات الله - جل وعلا - الثابتة بالكتاب والسنة . ولايلزم أن يصدر من الشيخ ابن أبي زيد قول في كل صفة بذا ا ومع ذلك فقد ذكر الشيخ ابن أبي زيد رواية عن الإمام مالك مما يثبت أنه ينكر الحديث والكلام في صفتي « الساق والصورة » كما ذكر هذه الرواية عنه غير واحد من العلماء وبينوا المعنى الصحيح الذي ينبغي أن تفسر به هذه الرواية ، بما يليق بمكانة مالك وإمامته ولا يخالف منهجه الموافق لمنهج السلف الصالح - رحمهم الله - لأنه يبعد أن ينكر مالك صفة من صفات الله جل وعلا ، ثبتت بالكتاب والسنة الصحيحة ، وكذلك « ابن أبي زيد » الذي عرف بمالك الصغير ، وقد عرف من منهجه - رحمه الله - الالتزام بالكتاب والسنة ومنهج السلف ، والتحذير من كل ما يخالف ذلك من البدع والحوادث[2]

وأدعم ما ذكرته هنا بقول الشيخ ابن أبي زيد حيث يقول : « وكل قول نقوله أو تأويل من محتمل تنأوله فعن سلف سابق قلناه أو من أصل من الأصول المذكورة استنبطناه عصمنا الله وإياكم من زيغ الهدى والعدول من الطريقة المثلى »[3] ويؤكد ابن أبي زيد بما كان عليه الناس في عصر الإمام مالك وغيره من الأئمة من كو م على طريقة السلف الصالح[4] .

ولكن مع ذلك ، فلقد ذكر الشيخ ابن أبي زيد في كتابه « الجامع » قال : قيل لمالك فمن يحدث بالحديث : إن الله خلق آدم على صورته وإن الله يكشف عن

---

(١) كتاب الجامع ص١٥٥ .

(٢) انظر المدارك للقاضي عياض ٣٨٦/٢ - ٣٨٧ ، ٤٩٠ ، ٤٤٢ .

(٣) النوادر (مخطوط) ورقة ٢ ((و)) .

(٤) المصدر السابق ورقة ١ ((و)) .

ساقه يوم القيامة ، وإنه يدخل يده في جهنم ويخرج منها من أراد »[1] فأنكر ذلك إنكارا شديدا و ى أن يتحدث به ، قيل : « قد تحدث به ابن عجلان : قال لم يكن من الفقهاء »[2]. قيل فحديث إن العرش اهتز لموت سعد؟قال : « لايتحدث به وما يدعو الإنسان إلى الحديث بذلك وهو يرى ما فيه من التغرير »[3].

وهذا يدل على متابعة ابن أبي زيد للإمام مالك في هذه المسألة حيث إنه ذكر « رواية الإنكار » عن مالك ولم يعقب عليها فدل ذلك على رضائه ا وبدليل جملة أقوال ابن أبي زيد كما تقدم - في قول الإمام مالك فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه »[4].

فلعل عدم تعقيب ابن أبي زيد لإنكار مالك في حديثي« الساق » ‹والصورة)(وإدخال الله يده في جهنم » وقد يكون أن هذه الأحاديث لم تبلغه عن طريق صحيح كما هو حال الإمام مالك أو أنه أنكر التحديث ا أمام سوقة

---

(١) أخرجه البخاري انظر الفتح ٤١٩/١٣ ، ١٣٣/٥ ، ٣/١١ ، باب الاستئذان .

(٢) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٥٦ تحقيق عبدا يد تركي .

(٣) المصدر السابق ص١٥٧ ، وقد روى الإمام مسلم بلفظ قريب من هذا من حديث أبي سعيد الخدري انظر صحيح مسلم ١٦٧/١ ، والآجري في الشريعة ص٢٨٣ ، وذكر أبو الوليد بن رشد في البيان والتحصيل ، قال ابن القاسم سألت مالكا عن الحديث فيه أخبار سعد ين معاذ في العرش فقال لاتتحدث به ، وما يدعو الإنسان أن يتحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير ، وعن الحديث ان الله خلق آدم على صورته وعن الحديث ((الساق)) وذلك كله قال ابن القاسم لاينبغي لمن يتقى الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا فقلت له : إن الله تبارك وتعالى يضحك فلم يرو من هذا وأجازه وقال قد جاء فيه حديثان وحديث ي ل مثل ذلك وقال هو على شيء ... ٥٠٤/١٨ ، وذكر الذهبي هذه الرواية في السير ١٠٣/٨ - ١٠٤ ، والبخاري ١٢٣/٧ ، ومسلم ١٩١٥/٤ .

وقال الكوسج : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ((هذا الحديث صحيح)) ، قلت م والقائل الذهبي - وهو مخرج في الصحاح ، وأبو الزناد فعمد في الدين ، وابن عجلان صدوق من علماء المدينة ، وأجلائهم ومفتيهم ، وقال احمد في أبي الزناد وقد أكثر عنه مالك، وقيل كان لايرضاه ولم يصح ذلك كذا في ميزان الإعتدال ٤١٨/٢ - ٤٢٠ ، وقال الذهبي عن ابن عجلان : إمام صدوق مشهور ، وروى عنه مالك . الميزان ٦٤٤/٣ - ٦٤٧ .

(٤) الجامع ص١٤٨ - ١٤٩ .

الناس سد للذريعة خشية الوقوع في التشبيه أو تأويله على خلاف المراد .

وما ذكرته من تأويل العلماء لهذه المسألة ، له أصل في السنة ومن كلام الصحابة - رضي الله عنهم - كما ذكر ذلك الشيخ ابن أبي زيد في كتابه « الجامع » عن بعض السلف في مثل ذلك : حدثني فلان عن فلان ! وكان رجال من التابعين يبلغهم عن غيرهم الأحاديث فيقولون : ما نجهل هذا ولكن مضى العمل على غيره »(١) .

وقال - ابن أبي زيد - قال مالك : « وكان محمد بن أبي بكر بن حزم ربما قال له أخوه : لم لم تقضي بحديث كذا ؟ فيقول : لم أجد الناس عليه »(٢) .

وذكر الشيخ ابن أبي زيد مبررا لهذا فقال : « وذلك لأ م لايتهمون في ترك السنن وهم أرباب العلم وأحرص خلق الله على إتباع سنة رسوله - ﷺ- ولا يظن م ذلك أحد إلا ذو ريبة في دينه .. »(٣) .

وشرح ابن أبي زيد مقصود ابن عيينة في قوله : « الحديث مضلّة إلا للفقهاء » . يريد أن غيرهم قد يحمل شيئاً على ظاهره وله تأويل من حديث غيره أو دليل يخفي عليه أو متروك أوجب تركه غير شيء مما لايقوم به إلا من استبحر وتفقه »(٤) .

ولعل الشيخ ابن أبي زيد مال إلى رأي الإمام مالك في إنكاره التحديث في حديث « الساق » « والصورة » وما أشبه ذلك لفقهه أن هناك بعض العلوم خاص بقوم دون قوم كراهية ألا يفهموا(٥) .

وهكذا يتبين لنا مما سقناه عن ابن أبي زيد أنه كان ميالا إلى التقليد واتباع الغير في جل أحواله ، ومع ذلك كان حريصاً في نفس الوقت على ملازمة الاحتياط وسد

---

(١) المصدر السابق ص١٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص١٥٠ .

(٣) الجامع ص١٥٠ .

(٤) المصدر السابق ص١٥٠ .

(٥) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٢٢٥/١ - ٢٢٦ ، وكتاب منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٢٦٢ - ٢٦٣ .

الذرائع . وأما المتكلمون فقد ذهبوا إلى نفي الصورة عن الله - تعالى - وقال ابن فورك[1] : فلم يصح أن يكون وجه إضافتها إليه ، على نحو إضافة الصفة إلى الموصوف ا ، من حيث تقوم به ، لاستحالة أن يقوم بذاته - عزوجل - حادث بوجه ، ولا صورة ، ولا تأليف ، ولا غيره .

وبذلك يتضح لنا أن نفي ابن فورك ان تقوم بذات الله صورة فراراً أن يلزم بالقول بان الله يتصف بصفات الحوادث من التأليف والتركيب والحد والنهاية والغاية والبعض حيث إن كل ذلك عنده يؤدي إلى القول بنفيه تعالى . ولذلك يقول في تأويله للفظ الحديث: « ... فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونه فيقول أنا ربكم.. »[2] .

قال ابن فورك وتقديره : أن الله يأتيهم بصورة غير صورته التي يعرفون في الدنيا ، وتكون الإضافة في الصورة إليه من طريق الملك والتدبير ، كما يقال : سماء الله وأرضه وبيت الله فيكون المعنى أن الخلق عرفوا الله في الدنيا بدلالته المنصوبة وآياته التي ركبها في الصورة وهي الأعراض الدالة على حدوث الأجسام واقتضائها محدثا ا من حيث كانوا محدثين »[3] .

---

(١) شيخ المتكلمين الأصولي الأديب النحوي أبوبكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني ، كان أشعرياً رأسا في فن الكلام ، وصنف التصانيف الكثيرة ، مات سنة ٤٠٦هـ .

(٢) البخاري مع الفتح ٤١٩/١٣ رقمه ٧٤٣٧ .

(٣) مشكل الحديث وبيانه ، لأبي بكر بن فورك ص٨٩ ، ٩٠ هذا تأويل ذكره أبو يعلى في إبطال التأويلات ٩٩/١ - ١٠٠ وفي إبطاله قال : هذا غلط لوجوه ، أحدها : أنه إن جاز تأويله على ما يظهر من أفعاله وملكه جاز تأويل قوله : إنكم ترون ربكم على رؤية تعطّفه بكم ورحمته لكم ، وقد أجمعنا ومثبتو الصفات على خلاف ذلك .

ثانيهما : أ م سألوه ((هل نرى ربنا)) قال : ثم يجمع الله الناس ثم يأتيهم فيقولون ((أنت ربنا)) فاقتضى ذلك إتيانا يرونه لأن النبي ﷺأثبت لهم رؤية ووصف لهم كيفية الرؤية . وذكر الرازي هذا التأويل في أساس التقديس ص١٠١ - ١٠٢ .

ولقد تناول شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الموضوع بالرد يقول في كتابه ((نقض تأسيس الجهمية)) وبدأ بذكر تأويلات الرازي في الجزء الثالث ص٢٠٢ - ٢٠٥ ثم ذكر تأويلات الغزالي ص٢٠٦ ثم ذكر تأويلات ابن خزيمة ص٢٠٦ - ٢١٥ ، ثم بدأ بالرد على ابن خزيمة ⇦

ص٢١٧ - ٢١٨ ، واستطرد في الرد على الرازي وإبطال تأويلاته على هذا الحديث وغيره ومما قاله في رد هذا التأويل الذي نقله ابن الملقن : حيث قال ابن تيمية : الوجه الثاني: أن قوله تكون ((في)) بمعنى الباء ، والتقدير : فيأتيهم الله بصورة ، غير الصورة التي عرفوها في الدنيا إلى آخره يقال : أولا هذا تبديل للغة ، وقلب لها ، فإن الباء في مثل قولك جئت بكذا تكون لتعدية الفعل ، فا رور بالباء في مثل هذا اللفظ يدل دلالة صريحة على أنه أوقع الفعل من غيره عليه ، فهو جعل غيره آتيا ، كقوله تعالى : { عسى الله أن يأتيني م جميعا } يوسف : ٨٣ وقوله: { إنما يأتيكم به الله إن شاء } هود : ٣٣ وقوله : { فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم ا..} النمل آية : ٣٧ فليس هذا النظم إشعار بأن المأتي به ظرف للفاعل ، ولا أنه فوقه ، أو في جوفه أو غير ذلك من المعاني التي يدل عليها لفظ ((في)) ولذلك لاتصلح أن توضع ((في)) موضع الباء في هذا الاستعمال ، فلا تقول : { عسى الله أن يأتيني فيهم } ، { إنما يأتيكم فيه الله } .

وأما قوله : { فلنأتينهم بجنود } ، فإذا كان هو الذاهب بالجنود ، فإنه يصح أن يقول فلنأتينهم في جنود ، وإلا لم يصح ، وهذا من المشهور في اللغة يعرفه عامة علماء اللغة .

فلذلك صار هذا التأويل تحريفا لكلام الله ، وكلام رسوله ، فإن قوله تعالى : { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام } البقرة : ٢١٠ ، لايصلح أن يراد به أنه يرسل ذلك ولا يأتي هو .

ثم قال : الوجه الثالث : أن قوله : فيأتي الله في صورته التي يعرفون . وقوله فيأتيهم الله في صورة غير صورته .

وقوله : أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها أول مرة .

وقوله : في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ، ونحو ذلك لو احتمل أن يكون بمعنى: فيأتيهم بصورة ، فإن لفظ الصورة المضاف إلى شيء هو من باب الإضافة النفسية ، لا الخلقية ، فإن الإضافة تكون فيما هو قائم بنفسه ، كما في قوله تعالى : ناقة الله ((وبيت الله)) وأرض الله ، ونحو ذلك مما فيه دلالة على أنه منفصل عن المضاف إليه ، وأما الصفات ، مثل العلم ، والقدرة ، ونحو ذلك ، فإذا أضيف كانت إضافته إضافة نفسية ، إذا لم يتبين خلاف ذلك .

والصورة صفة قائمة بذي الصورة ، فليست من الأعيان المنفصلة عن المضاف إليه ، حتى تجعل بمعنى الملك ، فلا يمكن ان تكون صورة الله التي يأتي فيها مخلوقا منفصلا عنه : ... نقص تأسيس الجهمية ٢٢٣/٣ مخطوط . ورسالة الماجستير لسعد الشهراني من ٥٥٥/٢ - ٥٥٦ .

الفصل الثاني :

رؤية الله وموقف الشيخ ابن أبي زيد منها :

عقيدة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - أن المؤمنين يرون ر م يوم القيامة بأبصارهم ، كما أجمعوا على أ م لايرونه في الدنيا بأبصارهم .

وقد خالف المتصوفة طريقة السلف وبينوا أن هذا خلاف المأثور في كتاب الله وسنة رسوله وهو أن الله - عزوجل - يرى بالأبصار في الدار الآخرة فقط . وقد دل على ذلك القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة في الصحاح والسنن والمسانيد .

وأما المعتزلة فقد نفوا وقوعها زاعمين استحالة وقوعها دنيا وآخرى . وتوجهوا للنصوص التي افادت وقوعها في الآخرة فأولوها بما يتفق وما ذهبوا إليه من نفي الرؤية لله تعالى في الآخرة طبقا لأدلتهم العقلية في ذلك فأولوا قوله تعالى (الى ر ا ناظرة) أي منتظرة ثواب ربه، وأما نصوص الأحاديث فقد قالوا عنها إ ا أحاديث أحاد لايؤخذ ا في مجال العقيدة حيث يجوز الكذب على روا ا لأ ا ليست متواترة بل مكا ا هو فروع الدين[1] .

يقول القاضي عبدالجبار : « أهل العدل بأسرهم .. قالوا : لايجوز أن يرى الله تعالى بالبصر ولا يدرك على وجه لالحجاب ، ولكن لأن ذلك مستحيل..»[2]

ويقول في موضع آخر : « ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية .. »[3].

ولم يكتف المعتزلة بإنكار الرؤية فقط بل كفروا من يرى أن الله يرى في الآخرة ومن شك في كفره أيضاً كافر لأن في نظرهم تشبيه .

ونقل الخياط : عن نقض غلاة المعتزلة أبو موسى المردار أنه قال : « من ذهب إلى أن الله تعالى يرى بالأبصار بلا كيف ، فهو كافر ، وكذلك الشاك في

(١) انظر ما قاله القاضي عبدالجبار في المغني ٢٢٥/٤ بتصرف .

(٢) المغني ١٣٩/٤ .

(٣) شرح الأصول الخمسة : ٢٣٢ .

كفره والشاك في الشاك في كفره إلى مالا نهاية .. لأنه شبه الله بخلقه .. »[1] فهذا الرأي لبعض غلاة المعتزلة فلا يعبر عن رأي جمهورهم .

وأما أهل السنة فهم على خلاف رأي المتكلمين من المعتزلة فإنهم يرون صحة رؤية الله يوم القيامة ولهم أدلة كثيرة من الكتاب والسنة مفادها أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة منها قوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[2] والزيادة المقصود بها النظر إلى وجهه تعالى في الآخرة ، قد جاء هذا المعنى مفسرا من النبي ﷺ. فيما رواه صهيب بن سنان الرومي - رضي الله عنه - أنه قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب ، فما اعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزوجل ثم تلا هذه الآية »[3].

وقوله تعالى : { إلى ربها ناظرة }[4] فسروا قوله تعالى : { ناظرة } بالنظر إلى الله تعالى ، مستندين في ذلك على ما روى عن ابن عباس وابن عمر ومن التابعين الحسن وعكرمة ومجاهد ومحمد بن علي بن الحسين ، وزيد بن على بن الحسين وقتادة والضحاك بن مزاحم ، ومن الفقهاء الشافعي وابن الماجشون ووكيع ومحمد ابن عبدالله الحكم .. »[5].

أما الأدلة من السنة على الرؤية فقد نص العلماء على أن أحاديث الرؤية متواترة[6]

---

(١) الانتصار ص٥٥ .

(٢) سورة يونس آية : ٢٦ .

(٣) صحيح مسلم ١٦٣/١ ، وانظر جامع البيان ١٠٥/١١ ، اعتقاد أهل السنة ٤٥٤/٣ - ٤٦٣ ، تفسير ابن كثير ٤١٤/٢ .

(٤) سورة القيامة آية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) شرح أصول السنة اللالكائي ٤٦٩/٣ ، وتفسير البغوي ٤٢٤/٤ ، وتفسير ابن كثير ٤٥/٤ ، وتفسير القرطبي ١٠٧/١٩ - ١٠٨ .

(٦) انظر الشريعة للآجري ص٢٥٧ - ٢٧٠ ، اللالكائي ٤٧٠/٣ - ٤٩٥ ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦/١٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ٢١٥/١ - ٢١٧ ، حادي الأرواح ص٢١١ .

رواها أكثر من خمسة[1] وعشرين رجلا من أصحاب النبي ﷺومع ذلك فإن المعتزلة قد اتفقوا على نفيها النفي المؤبد بالدنيا والآخرة [2] .

وإليكم بعض الأحاديث :

١) - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الناس قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ: « هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ » قالوا : لا يارسول الله ، قال « فهل تضارون في الشمس ليس دو ا سحاب ؟ » قالوا : لا يارسول الله ، قال : « فإنكم ترونه كذلك »[3] .

وعن جرير بن عبدالله قال : خرج علينا رسول الله ﷺليلة البدر فقال : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته »[4] والقول برؤية الله تعالى في الآخرة هي عقيدة الإمام مالك رحمه الله تعالى حيث يقول: « الناس ينظرون إلى الله عزوجل يوم القيامة بأعينهم »[5] . قال رجل لمالك : يا أبا عبدالله هل يرى المؤمنون ر م يوم القيامة ؟ قال : لولم ير المؤمنون ر م يوم القيامةلم يعير الله الكفاربالحجاب فقال:{كلا إ م عن ر م يومئذ لمحجوبون}[6] فأثبت أهل السنة رؤية المؤمنين لر م يوم القيامة بأبصارهم . وفي رواية زاد فقال يا أبا عبدالله ، فإن قوما يزعمون ان الله لايرى ، قال مـالك : « السيف ... السيف »[7] .

وعن عبدالرحمن بن القاسـم قال : سأل أبو السمح مالكا فقال : يا أبا

---

(١) رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ، رسالة الماجستير مقدمة من د. ناصر الحمد ورقة ((ح)) مخطوطة مصورة ، سنة ١٣٩٦ - ١٣٩٧هـ .

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة ص٢٣٢ ، الملل والنحل ٤٥/١ ، الاعتصام للشاطبي ٢٣١/١.

(٣) رواه البخاري مع الفتح ٤١٩/١٣ ، ومسلم ١٦٣/١ - ١٦٤ .

(٤) رواه البخاري مع الفتح ٤١٩/١٣ .

(٥) رواه الآجري في الشريعة ص٢٥٤ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠١/٣ رقم ٨٧٠ ، وأبونعيم في الحلية ٣٢٦/٦ ، وذكره الذهبي في السير ٩٩/٨ .

(٦) سورة المطففين آية : ١٥ .

(٧) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٦٨/٣ رقم ٨٠٨ ، ٥٠٢/٣ رقم ٨٧٢ .

عبدالله ، أنرى الله يوم القيامة ؟ فقال : نعم ، يقول الله عزوجل : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ر ا ناظرة }[1] وقال لقوم آخرين : { كلا أ م عن ر م يومئذ لمحجوبون }[2] .

وإذا جئنا إلى ابن ابي زيد نجده يقرر قول السلف في هذه المسألة ، حيث أنه فسر قوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[3] . الحسنى هي الجنة وأن الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى . كما يقول ابن أبي زيد : إن الله - سبحانه - يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم لايضامون في رؤيته كما قال الله - عزوجل - في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ،قال الرسول ﷺ في قول الله سبحانه : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } قال الحسنى الجنة والزيادة ، النظر إلى وجه الله تعالى .. »[4] .

وذكر ابن أبي زيد رواية عن الإمام مالك حينما قيل له : أيرى الله - تعالى يوم القيامة ؟ قال : نعم ! لقوله سبحانه وتعالى - { وجوه يومئذ ناضرة إلى ر ا ناظرة } . وقال ابن أبي زيد قال الله تعالى في آخرين : { كلا إ م عن ر م يومئذ لمحجوبون }[5] .

قلت : وقد نبه ابن أبي زيد إلى هذه الآية للدلالة على أن الكفار لايرون الله عزوجل يوم القيامة وهو الذي عليه الجمهور[6] .

---

(١) سورة المطففين آية : ١٥ .

(٢) ذكره في العتيبة كما في البيان والتحصيل ٤٧٨/١٨ وابن عبدالبر في الإنتقاء ص٣٦ وابن عبدالهادي في إرشاد السالك ص٥٤ - ٥٥ ، د. سعود بن عبدالعزيز الدعجان في منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة .

(٣) سورة يونس آية : ٢٦ .

(٤) كتاب الجامع لابن أبي زيد تحقيق : عبدا يد تركي ص١٤١ .

(٥) الآية من سورة المطففين ١٥ ، وانظر الجامع لابن أبي زيد ص١٥٥ - ١٥٦ .

(٦) وانظر الفتاوى ٤٩٣/٤٨٧/٦ .

الفصل الثالث : القرآن كلام الله غير مخلوق :

مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام : هو أن الله - عزوجل - لم يزل متكلما إذا شاء بما شاء كيف شاء متى شاء ، وان كلامه ليس مخلوقا منفصلا عنه وأنه بحرف وصوت مسموعين يسمعه من يشاء من عباده وأنه منه بدأ واليه يعود .

والله سبحانه وتعالى نادى موسى بصوت ، ونادى آدم وحواء بصوت ، وينادى عباده يوم القيامة بصوت ، ويتكلم بالوحي بصوت ، ولكن الحروف والأصوات التي تكلم الله ا صفة له غير مخلوقة ، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم ، كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده ، فإن الله لايماثل المخلوقين في شيء من صفاته[1] .

أن القرآن كلام الله ، م ل ، غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، والله تكلم به على الحقيقة ، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره[2] .

وأكتفى فيما يذكره أهل السنة من الأدلة القرآنية على ثبوت الكلام لله تعالى كصفة فعلية قائمة به ، في ذلك قوله تعالى : { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات .. }[3] الآية .

وقوله تعالى : { وكلم الله موسى تكليما }[4] وتأكيد الفعل في هذه الآية بقوله تكليما يدل على أن كلام الله لموسى كان حقيقة لامجازا ، وهذا بيان لما أجمل في الآية السابقة وذلك في قوله : { منهم من كلم الله } . وقد سمي موسى ذه الآية كليم الله حيث خصه بكلامه من بين الرسل ولقوله تعالى : { ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه }[5] .وفي عدة آيات قرآنية أخرى بين الله بعض

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - للعلامة محمد خليل هراس ص١٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص١٥٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .

(٤) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(٥) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

ما كلم الله به موسى مما لايجوز أن يكون من كلام الملائكة له كقوله تعالى:{فلما أتاها نودي يا موسى إني انا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري}[1] وقوله تعالى{ ياموسى إني أنا الله رب العالمين }[2] فهذه الآية تتضمن من كلام الله لموسى مالا يمكن أن يكون من كلام أحد الملائكة معه بل هو من كلام الله إليه .

وفيما يتعلق باستدلال السلف على مذهبهم في كلام الله من السنة النبوية الشريفة أشير هنا إلى بعض ما أورده علماء السنة كالإمام البخاري ومسلم وأصحاب السنن في جملة من الأحاديث المصرحة بأن الله ينادي جبرئيل وأنه نادى أيوب - عليه السلام وأنه يسأل الملائكة الذين يصعدون إليه بأعمال عباده - وهو أعلم م - كيف تركتم عبادي ؟ إلى غير ذلك من الأحاديث وكلها تثبت أن الله يتكلم مع جملة من مخلوقاته بكلام مسموع يسمعونه ويفقهونه وقد بوب البخاري لذلك عدة أبواب فقال : « باب كلام الرب تعالى مع جبرئيل ونداء الله الملائكة »« وباب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم » « وباب ماجاء في قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما » « وباب كلام الرب مع أهل الجنة »[3] .

وقد حذا ابن خزيمة ت٣١١هـ نحو ما ذهب إليه السلف، حيث بوب في كتابه « التوحيد » « باب ذكر تكليم الله كليمه موسى خصوصية خصه الله ا من بين الرسل بذكر ، « وباب ذكر البيان أن الله سبحانه وتعالى جل ذكره كلم موسى من وراء حجاب من غير أن يكون بين الله تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام رسول يبلغه كلام ربه ، ومن غير أن يكون موسى عليه السلام يرى ربه عزوجل في وقت كلامه إياه » . وقال : « باب من صفة تكلم الله عزوجل

(١)سورة طه من آية ١١-١٤

(٢) سورة القصص آية : ٣٠ .

(٣) انظر هذه الأبواب في البخاري مع الفتح ٤٥٢/١٣ - ٤٥٣ ، كتاب التوحيد باب قوله تعالى ولاتنفع الشفاعة رقم ٧٤٨١ - ٧٤٨٤ .

بالوحي » .

وقوله : « باب أن الله - جل وعلا - يكلم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بين الله - عزوجل - وبين عباده »[1] .

ويطول في القول لو ذهبت أستقصى ما تضمنته هذه الأبواب من الأحاديث الدالة على إثبات كلام الله تعالى وكلها تثبت عقيدة السلف في صفة كلام الله واكتفى من ذلك بذكر بعض ما ذكر عن الرسول - ﷺ- عن مسروق عن عبدالله . قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ، فلايزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلو م ،قال فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول الحق ، فيقولون الحق الحق » . قال ابن القيم وهذا الإسناد كلهم أئمة ثقات[2] .

وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ: « مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان »[3].

قال ﷺ: « يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : « أنا الملك أنا الديان »[4] .

وفيما تقدم من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية دلالة على أن القرآن المتلو المسموع المكتوب بين دفتي المصحف هو كلام الله على الحقيقة وذلك خلافاً للأشاعرة الذين قالوا إنه فقط عبارة أو حكاية عن كلام الله - عزوجل - وقالوا : إن كلامه معان قديمة قائمة بذاته ليست بحرف ولاصوت وابتدعوا

---

(١) انظر هذه الأبواب في كتاب التوحيد ، واثبات صفات الرب عزوجل لابن خزيمة من ص١٣٦ - ١٤٩ .

(٢)وأخرج الحديث أبو داؤد في السنن ٤/ح٤٧٣٨ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن علي بن حجر عن عيسى ، ومسلم كذلك ص١٥٠ ، كتاب التوحيد لابن خزيمة . وانظر كتاب السنة ٢٨١/١ ، تحقيق د. محمد سعيد القحطاني .

(٤) رواه البخاري مع الفتح ٤٥٣/١٣ .

الكلام النفسي[١] .

وإضافته إلى الله عزوجل تدل على أنه صفة له قائمة به ، وليست كإضافة البيت أو الناقة ، فإ ا إضافة معنى إلى الذات ، تدل على ثبوت المعنى لتلك الذات بخلاف إضافة البيت أو الناقة ، فإ ا إضافة أعيان ، وهذا يرد على المعتزلة في زعمهم إنه مخلوق منفصل عن الله .

كما دلت هذه الآيات أيضاً على أن القرآن م ل من عندالله ، بمعنى ان الله تكلم به بصوت سمعه جبرئيل - عليه السلام - ف ل به ، وأداه إلى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - كما سمعه من الرب جل شأنه[٢] . وهذا من أبين الرد على الأشاعرة والمعتزلة ، في قول الأشاعرة بالكلام النفسي وزعم المعتزلة بخلق الكلام في غيره ليسمع من هذا الغير .

وفيما يتعلق بما يقرره السلف الصالح - رضوان الله عليهم - بان القرآن كلام الله غير مخلوق أذكر بعض ما يستدلون به على ذلك ومنه قوله تعالى : { إني أنا ربك فاخلع نعليك }[٣] وقوله تعالى : { إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني }[٤] . ووجه الدلالة في هاتين الآيتين أنه يستحيل أن يخلق كلاما ، ويقول ذلك الكلام المخلوق أنا الله لا إله إلا أنا . وقوله تعالى : { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله }[٥] . ولم يقل حتى يرى خلق الله . قاله الإمام البيهقي[٦] .

كما استدل السلف ببعض الأحاديث الصحيحة الدالة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق من ذلك قوله ﷺعن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺأنه كان يقول عند مضجعه: « اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما

---

(١) انظر هامش كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١٣٨ .
(٢) شرح العقيدة الواسطية - للشيخ محمد خليل هراس ص١٥٤ .
(٣) سورة طه آية : ١٢ .
(٤) سورة طه آية : ١٤ .
(٥) سورة التوبة آية : ٦ .
(٦) انظر الأسماء والصفات ص٢٣٧ .

أنت آخذ بناصيته اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم »[1]. قال الإمام البيهقي : فاستعاذ رسول الله ﷺ في هذا الخبر بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم ، فكما ان وجهه الذى استعاذ به غير مخلوق فكذلك كلماته التي استعاذ ا غير مخلوقة .. »[2].

قال ابن أبي أويس - رحمه الله تعالى - سمعت خالي مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن ، فقالوا : كلام الله - عزوجل - وهو منه وليس من الله - عزوجل - شيء مخلوق »[3].

قال أبو مصعب الزهري : سمعت مالك بن أنس يقول : القرآن كلام الله وليس بمخلوق »[4].

وفيما أوردته من القرآن العظيم والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال بعض الأئمة ما يدل على أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق وإذا حئنا لنتعرف على مذهب الشيخ ابن أبي زيد وعلماء المغاربة قبله في كلام الله تعالى ، فإننا نجدهم جميعا يقولون فيه بقول السلف بعيدا عن مذهب المتكلمين وقد سبق أن ذكرنا عنهم أن ذلك هو مذهبهم في صفات الله تعالى سواء صفة الكلام أو غيرها من الصفات ، ونقول عنهم ذلك الآن فيما يتعلق برأيهم في القرآن . فالقرآن عندهم كلام الله غير مخلوق ، وقد سئل سحنون في حضرة القاضي ابن أبي الجواد فقال : « أما شيء أبتديه في نفسي فلا ، ولكني سمعت من تعلمت منهم ، وأخذت عنهم ، كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق .. »[5].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ص٢٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص٢٤٢ .

(٣) رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة ١٥٦/١ - ١٥٧ رقم ١٤٥ ، تحقيق د. محمد سعيد القحطاني ، والآجري في الشريعة ص٧٩ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٤٩/٢ ، وأبو نعيم في الحلية ٣٢٥/٦ ، وذكره القاضي عياض في المدارك ١٧٤/١ ، والذهبي في كتاب العلو ١٠٤ ، السنة لابن الخلال ١٣٠/٥ ، تحقيق د. عطيه بن عتيق الزهراني .

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٣٨٥ .

(٥) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٦١١/٢ ، وانظر التمهيد ٢٦١/٧ ، لابن عبدالبر .

وفيما يتعلق بعقيدة ابن أبي زيد ، وهي موضوع دراستنا في هذا الفصل فإننا نقرر من واقع كلامه كما سيأتي إنه يرى رأي السلف في صفة كلام الله تعالى وفي القرآن الكريم . ذكر الحافظ اللالكائي أسماء من قال بأن القرآن كلام الله غير مخلوق فذكر خمسمائة وخمسين رجلا من شتى البلدان والأماكن ، يقول : « قالوا كلهم : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر » .

فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسا أو أكثر من التابعين واتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصارومضي السنين والأعوام[1]

وذهب الشيخ ابن أبي زيد -رحمه الله - إلى أن الله تعالى هو المتكلم بالكلام المسموع ، وأن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود،وان كلامه صفة من صفاته،وأنه كلم من شاء من عباده كما هو الشأن مع نبيه موسى عليه السلام حيث كلمه بذاته وأسمعه كلامه لا كلاما قام في غيره ويدل على هذا قوله «وأن كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوق فيبيد،ولاصفة لمخلوق فينفد وأن الله عزوجل كلم موسى بذاته وأسمعه كلامه لا كلاما قام في غيره »[2].ويقول الشيخ ابن أبي زيد أيضاً«وأنه سبحانه يكلم العباد يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان »[3].

ومما يستدل به على ما يعتقده الشيخ ابن أبي زيد من أن القرآن كلام الله وأنه صفة من صفاته تجويزه التعوذ بوجه الله الكريم وبكلماته التامة وبأسمائه الحسنى كلها »[4].

يقول الشيخ ابن أبي زيد في رسالته(ومن التعوذ ان تقو ل : أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى

---

(١) شرح أصول إعتقاد اهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي ت٤١٨هـ ، تحقيق الدكتور أحمد بن سعد حمدان ٣١٢/٢ ، وانظر ٢٣٤/٢ .

(٢) كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني ، تحقيق عبدا يد ص١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ص١٤١ .

(٤) كتاب شرح الرسالة للشيخ السميع الآبي ص٥١٥ رسالة ابن ابي زيد القيرواني ص ٥١٥.

كلها ما علمت منها وما لم اعلم)فذلك يؤكد لنا ما يراه من أن كلمات الله عزوجل غير

مخلوقة وأن استعاذته بكلمات الله أبين دليل على ما يعتقده من إن كلام الله منه تبارك اسمه ، وصفة من صفاته ، ليس بمخلوق حيث لايصح ان يستعيذ بمخلوق من مخلوق ، كما دل على أنه يرى جواز الاستعاذة بصفة من صفات ذات الله كما أرشدنا بذلك الرسول ﷺ .

حيث استعاذ بصفة من صفات ذاته ، وهي غير مخلوقة كما أمره الله تعالى أن يستعيذ بذاته وذاته غير مخلوق(1) .

كما يرى الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله – ان على من حلف بالقرآن وجب عليه الكفارة . يقول الشيخ ابن ابي زيد في رسالته (ومن التعوذ ان تقو ل : أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم اعلم) [2] ولم يكتف الشيخ ابن أبي زيد برده على المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن بل تعداهم إلى الأشاعرة الذين يجعلون كلام الله معنى قائما بنفسه ، بلا حرف ولا صوت حيث رد عليهم بقوله تعالى : { وكلم الله موسى تكليما ... }(3) ووجه الدلالة في هذه الآية كما هو ظاهر أنه لايمكن لموسى أن يسمع الكـ ـلام النفسي حيث قال : وأن الله عز وجل كلم موسى بذاته وأسمعه كلامه، وعلى فرضية إلقاء الله في قلبه علما ضروريا بالمعاني التي يريد أن يكلمه ا ، لم يكن هناك خصوصية لموسى في ذلك.

كما أن هذه الآية تنفي ما يزعمه المعتزلة من خلق الكلام في الشجرة أو في الهواء إذ يأباه لفظ التأكيد في قوله تعالى : { تكليما } بعد إظهار اسم الجلالة، فإذا استحال ان تكون الشجرة هي التي قالت لموسى { إني أنا ربك} أو غيرها

---

(١) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص٢٤١ .

(٢)رسالة ابن ابي زيد القيرواني ص ٥١٥.

(٣) سورة النساء آية : ١٦٤ .

من الآيات ، فلا محيص للمنكرين إلا أن يسلموا بان الله هو القائل كما يليق بجلاله »[1].

فكل ما ذكره ابن أبي زيد - رحمه الله - من أن القرآن كلام الله وأنه صفة من صفاته القديمة . وأنه تكلم به متى شاء وإذا شاء وكيف شاء وأسمعه لموسى وأنه سيكلم عباده يوم القيامة بلا ترجمان ، وما يثبته لله تعالى من صفة الكلام غير مخلوقة ، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق ، وأن القرآن كلام الله ليس كلام البشر ، يدل على أنه يدين بمذهب السلف الصالح في كلام الله وفي القرآن ، وانه سائر على نهجهم في الاعتقاد .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لهراس ص١٥١ ، لمزيد من التوضيح .

الفصل الرابع : الإيمان وعلاقة العمل به ونواقضه :

معنى الإيمان وحقيقته عند ابن أبي زيد :

الإيمان لغة : مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن[1] ، ومعناه : التصديق والإقرار والانقياد والطمأنينة .

وشرعا عند السلف : هو قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، هذا هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على در م[2] ، وهو القول الذي دل عليه القرآن والسنة .

أما من القرآن فالدليل على أن الإيمان النطق باللسان قوله تعالى : { قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

(١) لسان العرب ٢٣/١٣ - ٢٧ .

(٢) الشريعة للآجري ص١٠٢ ، الإبانة الكبرى لابن بطة ٧٦٠/١ ، وكتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٤٢ .

والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ر م لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون }[١] .

قوله تعالى : { قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ر م لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون }[٢] .

والدليل على أن الإيمان اعتقاد بالجنان قوله تعالى :{ يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلو م }[٣] .

وقوله تعالى : { من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان}[٤] الآية .

الدليل على أن الإيمان عمل بالأركان قوله تعالى : { وماكان الله ليصيع إيمانكم }[٥] ، أي : صلاتكم إلى بيت المقدس ، فتسمية الصلاة إيماناً ؛ دليل على ان العمل : من الإيمان .

وأما من السنة فالدليل على أن الإيمان نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان فقوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[٦].

وقوله ﷺ : « الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »[٧].

فقوله : « أعلاها قول لا إله إلا الله » دليل على أن القول داخل في حقيقة الإيمان وهو النطق ا وقوله ﷺ: « وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » دليل على ان

(١) سورة البقرة آية : ١٣٦ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٤ .

(٣) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٤) سورة النحل آية : ١٠٦ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

(٦) رواه مسلم ٥١/١ - ٥٣ .

(٧) رواه البخاري بلفظ ((بضع وستون)) من غير ريب ولا شك الفتح ٥١/١ ، ورواه مسلم ذا اللفظ ٦٣/١ .

العمل جزء من الإيمان . وقوله : « والحياء شعبة من الإيمان » دليل على فرض الإيمان بالقلب[1] .

وأشير هنا إلى بعض أقوال السلف في بيان حقيقة الإيمان بعد أن استعرضت سابقا رأيهم مجملا بأدلته - فمن ذلك ما نقله أبو سلمة الخزاعي[2] عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه - : « الإيمان المعرفة والإقرار والعمل »[3] .

وقال الفضيل بن عياض : « إن أهل الإرجاء يقولون : إن الإيمان قول بلا عمل ، ويقول الجهمية : الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل ، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل »[4] .

قال الإمام الشافعي : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركناهم : ان الإيمان : قول وعمل ونية لايجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر »[5]

وقال محمد بن إسماعيل البخاري : كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال : الإيمان قول وعمل ، ولم أكتب عمن قال : الإيمان قول »[6]

وقال الإمام البغوي : اتفقت الصحابة والتابعون ، فمن بعدهم من علماء السنة على ان العمل من الإيمان : وقالوا : إن الإيمان قول وعمل وعقيدة[7] .

هذا هو مفهوم الإيمان عند السلف كما جاء في الكتاب والسنة وأقوال

---

(١) كتاب الشريعة للآجري ص١٠٢ - ١٠٥ ، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ٨٨٥/٥ .

(٢) هو منصور بن سلمة بن عبدالعزيز ، أبو سلمة الخزاعي ، البغدادي ، ثقة ثبت حافظ مات سنة ٢١٠هـ ، التقريب ص٥٤٧ .

(٣) رواه الخلال في السنة رقم ١٠٠٦ ، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٨٠٦/٢ رقم ١٠٩٦ ، واللالكائي في شرح السنة ٨٤٨/٤ رقم ١٥٨٧ ، ترتيب المدارك ٤٣/٢ ، وانظر طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب ص١١٢ .

(٤) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ٣٠٥/١ - ٣٠٦ رقمه ٥٩٤ .

(٥) شرح اعتقاد أهل السنة اللالكائي ٨٨٦/٥ - ٨٨٧ .

(٦) المصدر السابق ٨٨٩/٥ ، وانظر الشريعة للآجري ص١١٢ ، والتمهيد لابن عبدالبر ٢٣٨/٩ - ٢٤٣ .

(٧) شرح السنة ٣٧/١ ، وانظر السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل .

الصحابة والتابعين ، وإذا جئنا إلى ابن أبي زيد فاننا نرى هذا المفهوم يتأكد عن شيخه المباشر وهو أحمد بن تميم[1] أبو العرب حيث يقول في طبقاته : « الإيمان قول وعمل ونية » وقد تابعه في ذلك ابن أبي زيد كما تابع الإمام مالك من قبله فقال ابن أبي زيد : « وإن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية نقصا عن حقائق الكمال لامحبطا للإيمان ولا قول إلا بعمل ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة »[2] .

ومن أمثلة ما قام به ابن أبي زيد إختيارات في شروحه قوله في كتاب الجامع[3] أيضاً وقد سمى الله عزوجل العمل إيمانا فقال : { وما كان الله ليضيع إيمانكم }[4] الآية ، أي : « صلاتكم إلى بيت المقدس » ، فقد فسر الإيمان في هذه الآية بالصلاة إلى بيت المقدس ومن المفسرين من فسر الإيمان على ظاهره ، وذهب ابن أبي زيد إلى تفسير الإيمان بالعمل ... »[5] .

ويتبين من النقول المتقدمة عن ابن أبي زيد أنه يرى رأي السلف في أن العمل من الإيمان ، وأماما يتعلق بالاعتقاد فإنه داخل في القول : لأن المقصود بالقول قول اللسان وقول القلب » ، وقول ابن أبي زيد رحمه الله تعالى : « في أن الإيمان قول بالقلب والنطق باللسان »[6] كما ذكر أن الإيمان قول وعمل[7]، وقد وضح

(١) طبقات علماء إفريقية لأبي العرب ص١١٣ ، ٣٠٧/١ - ٣٨٠ ، والسنة للخلال ٥٦٢ - ٦٠٢ ، والإبانة الكبرى لابن بطة ٦٢٨/٢ - ٨٨١ ، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩٧ - ٣٢٩ ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ٢١ - ٣٠ ، منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة للدكتور سعود بن عبدالعزيز الدعجان ص١٧٩ .

(٢) كتاب الجامع تحقيق عبدا يد تركي ص١٤٢ .

(٣) المصدر السابق ص١٥٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

(٥) انظر محاضرات ملتقى عبدالله بن أبي زيد القيرواني ص٢١٣ - ٢١٤ .

(٦) انظر الرسالة مع شرح الشيخ صالح عبدالسميع الآبي ص٨ . وانظر الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة للشيخ أبو عبدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي المتوفى سنة ٣٨٧ ، بتحقيق دار حنا نعسان ٨٠٤/٢ .

(٧) انظر كتاب الجامع ص١٥٤ .

هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل ، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لايفهم منه إلا القول الظاهر ، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال : قول وعمل ونية ، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لايفهم منه النية ، فزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السنة ، فلأن ذلك لايكون محبوبا لله إلا باتباع السنة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل،إنما أرادوا ماكان مشروعا من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط ، فقالوا : بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم،كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الإيمان ماهو؟فقال : قول وعمل ونية وسنة،لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق،وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة[1]ويتضح مما تقدم ان ابن أبي زيد كان سلفيا في معتقده عن الإيمان

زيادة الإيمان ونقصانه (وقول ابن أبي زيد في ذلك)

وقد درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم على القول بأن الإيمان يزيد وينقص - يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[2] ، ولهم في ذلك أدلة مستمدة من الكتاب والسنة .

فأما من الكتاب فقوله تعالى : { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلو م وإذا تليت عليهم آياته زاد م إيمانا وعلى ر م يتوكلون[3] . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون[4] . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند

---

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية ص١٦٣ .

(٢) انظر كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٤ - ٢٦ ، وكتاب الشريعة للآجري ٩٤ - ١٠٢ ، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ٨٩٠/٥ - ٩١٠ ، وكتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢١٠ - ٢١٨ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٢ .

(٤) سورة الأنفال آية : ٣ .

ر م ومغفرة ورزق كريم }[1] .

وقوله تعالى : { ليزدادوا إيمانا مع إيما م }[2] الآية .

وأما من السنة فقوله عليه الصلاة والسلام : - « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا »[3].

وقوله ﷺ: « الإيمان بضع وستون شعبة ، أعلاها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »[4].

فهذه الآيات والأحاديث دالة على زيادة الإيمان تصريحا ، وعلى نقصانه لزوما ، وكل شيء قابل للزيادة فهو قابل للنقص ، وعلى هذا يصح الاستدلال بأدلة الزيادة على النقص كما استدل بذلك غير واحد من العلماء ، وكما درج على ذلك الإمام البخاري في صحيحه والإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم حيث أوردا بعض الآيات الدالة على زيادة الإيمان في باب زيادة الإيمان ونقصانه قال سبحانه : { نحن نقص عليك نبأهم بالحق إ م فتية ءامنوا بر م وزدناهم هدى }[5] وقال : { ويزداد الذين آمنوا إيمانا }[6] وقال : { اليوم أكملت لكم دينكم } فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص[7] .

وقال الحافظ ابن حجر في تعليقه على هذا الاستدلال : أن الاستدلال ما نص في الزيادة ، وهو يستلزم النقص . وأما الكمال فليس نصا في الزيادة ، بل هو مستلزم للنقص فقط ، واستلزامه للنقص يستدعي قبوله الزيادة ... »[8].

قال البغوي : وقالوا : إن الإيمان قول وعمل وعقيدة ، يزيد بالطاعة وينقص

(١) سورة الأنفال آية : ٤ .
(٢) سورة الفتح آية : ٤ .
(٣) رواه مسلم ٦٣/١ .
(٤) رواه البخاري بلفظ ((بضع وستون)) فتح الباري ٥١/١ ، ورواه مسلم ذا اللفظ ٦٣/١ .
(٥) سورة الكهف آية : ١٣ .
(٦) سورة المدثر آية : ٣١ .
(٧) البخاري مع الفتح ١٠٣/١ .
(٨) المصدر السابق ١٠٤/١ .

بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة ، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والصحابة قد ثبت عنهم أن الإيمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة ... »[٢] .

فقد قال الإمام مالك أن الإيمان يزيد وينقص كما نقله عنه غير واحد من تلاميذه وغيرهم من العلماء أمثال عبدالله بن نافع[٣] : قال مالك : الإيمان يزيد وينقص »[٤] .

وقال أبو عثمان الزنبري[٥] : كان مالك يقول : « الإيمان يزيد وينقص »[٦] .

قال عبدالرزاق[٧] : لقيت اثنين وستين شيخا وذكر منهم مالك بن أنس قال كلهم يقولون : « الإيمان قول وعمل يزيد وينقص »[٨] .

---

(١) شرح السنة ٣٩/١ ، وانظر الاعتقاد ص١١٥ ، للبيهقي ، وقد احتج بعض العلماء ببعض الأحاديث الصحيحة على نقص الإيمان ، فمن ذلك ، قوله ... للنساء : ((ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن)) رواه البخاري الفتح ٤٠٥/١ ، ومسلم جـ ١ / ٨٦ - ٨٧ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥٠/١٣ - ٥١ .

(٣) عبدالله بن نافع بن ثابت الزبيري ، أبوبكر المدني صدوق ، من رواة الموطأ مات سنة ٢١٠هـ . التقريب ص٣٢٦ ، إتحاف السالك ٦٣ب .

(٤) رواه عبدالله بن أحمد في السنة ١٧٣/١ - ١٧٤ ، رقم ٢١٣ ، ٣١٧ رقم ٦٣٦ ، ورواه الخلال في السنة ٦٠٨/٣ رقمه ١٠٨٢ ، ويكره ذكر جبرئيل وميكائيل ... .

(٥) هو صاحب الإمام مالك ، سعيد بن داؤود بن أبي زنبر الزنبري ، أبو عثمان المدني صدوق له مناكير عن مالك ، ويقال : اختلط عليه بعض حديثه ، وكذبه عبدالله بن نافع وهو من رواة الموطأ ، وقد روى له البخاري في كتاب الأدب خارج الصحيح ، واستشهد به في الصحيح . مات سنة ٢٢٢هـ . التقريب ص٢٣٥ ، والأنساب ٣٠٤/٦ .

(٦) رواه الخلال في السنة رقم ١٠٤١ .

(٧) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم ، أبوبكر الصنعاني ، ثقة حافظ مصنف شهير ، عمي في آخر عمره فتغير ، وكان يتشيع ، مات سنة ٢١١هـ ، التقريب ص٣٥٤ .

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي تحقيق د. أحمد سعد حمدان ٩٥٨/٥ .

وإذا استعرضنا ما قاله ابن أبي زيد القيرواني في هذه المسألة نرى أنه موافق لقول الإمام مالك ومتبع للسلف فيها حيث قال في رسالته بعد أن تعرض لذكر حد الإيمان : « بأنه قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها فيكون فيها النقص و ا الزيادة ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة ...»[1] .

وفيما ذكرت من كلام الشيخ ابن أبي زيد دليل واضح على أن القول بأن

الإيمان يزيد وينقص هو بعينه مذهبه ومذهب الإمام مالك - رحمه الله تعالى- وهو المشهور عنهما ، وهو الذي يوافق قول السلف المستند إلى الأدلة من القرآن والسنة الصحيحة .

ومما يذكر في هذا المقام أن الشيخ ابن أبي زيد نفى الرواية المنسوبة إلى الإمام مالك بأنه أنكر نقصان الإيمان ونفاه وقرر أن نسبة هذا القول إلى الإمام مالك غير صحيح وسوء فهم وذكر ابن أبي زيد عن مالك أنه قال : « الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص » وقد ذكر عنه بعض الروايات أنه قال : « دع الكلام في نقصانه فقد ذكر الله - عزوجل : زيادته في القرآن ، فقيل له فبعضه أفضل من بعض ؟ قال : نعم »[2] .

وذكر ابن أبي زيد علة توقف الإمام مالك عن القول بنقصان الإيمان بأن

(١) الرسالة مع شرحها ص١٦ .

(٢) انظر كتاب الجامع ص١٥٤ .

ذلك كان منه سدا للذرائع لأن سد الذرائع أصل من أصول المالكية . ويقول ابن أبي زيد : « إنما توقف مالك عن نقصانه في هذه الرواية سدا للذريعة أن يتأول أنه ينقص حتى يذهب كله فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يحبطون الإيمان: ولكن إنما نقصه عنده فيما وقعت به زيادته وهو العمل »[1].

وبناء على ما تقدم يفرق لنا ابن أبي زيد بين النفي والتوقف ، وهذا هو أصح ما يروى عن الإمام مالك وذلك لما روى عبدالله بن وهب[2] قال : سئل مالك بن أنس عن الإيمان ؟ فقال : قول وعمل ، قلت : أيزيد وينقص ؟ قال : قد ذكر الله سبحانه في غير آي من القرآن أن الإيمان يزيد ، فقلت له : أينقص؟ قال دع الكلام في نقصانه وكُف عنه . قلت : بعضه أفضل من بعض ؟ قال : نعم »[3].

وما ذكره ابن أبي زيد أثنى عليه الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم حيث يقول : « إنما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب ، وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل قول جماعة أهل السنة .. »[4].

وما ذكره ابن أبي زيد في سبب توقف مالك عن القول بالنقصان لعدم ذكر النقص في القرآن وأن الله لم ينص إلا على زيادته فقد تابعه في هذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتأوى وهذا عندي أصح الآراء وأولاها وأحسنها ، وهو اللائق بمقام ومنهج الإمام مالك لما تقدم من رواية عبدالله بن وهب السابقة التي تنص على أن الله ذكر في غير آي من القرآن أن الإيمان يزيد » .

---

(١) كتاب الجامع ص١٥٤ .

(٢) هو عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم ، أبو محمد المصري ، الفقيه ، ثقة حافظ عابد ، لازم الإمام مالكا من سنة ٤٨ إلى أن مات مالك . توفى سنة ١٩٧هـ . انظر التهذيب ٧١/٦ - ٧٤ ، التقريب ص٣٢٨ .

(٣) رواه الدولابي كما في الانتقاء لابن عبدالبر ص٣٣ ، وإرشاد السالك لابن عبدالهادي ص٥٢، وقد ذكرها ابن أبي زيد القيرواني في كتاب الجامع ص١٥٤ ، والتمهيد لابن عبدالبر ٢٥٢/٩، والسير للذهبي ١٠٢/٨ .

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٤٦/١ .

وقال في رواية ابن أبي أويس : « قال يزيد وذلك في كتاب الله » ، وفي رواية ابن القاسم : « ذكر الله زيادته في غير موضع » ، ومفهوم ذلك أنه توقف عن القول بنقص الإيمان ؛ لأن الله لم يذكره في كتابه .

وأن ما ذكره ابن أبي زيد عن الإمام مالك ليس طعنا فيه إنما هو من باب تأدية أمانة علمية وقد تقدم مذهبه ومذهب مالك في زيادة الإيمان ونقصانه مما يوافق رأي سلف الأمة .

الاستثناء في الإيمان وموقف الشيخ ابن أبي زيد القيرواني منه :

يطلق الارجاء بمعنيين أحدهما مقبول وينصرف إلى ما ذهب إليه البعض من الوقوف عما شجر من خلاف بين الصحابة رضوان الله تعالى عنهم وتعيين المحق منهما من المبطل ويرجئون أمر ذلك إلى الله عزوجل فهو الذي يفصل بينهم .

وأما النوع الآخر من الارجاء أعني النوع المذموم والذي ابتليت به الأمة الإسلامية وكان بابا واسعا لعدم الإلتزام بشرائع الدين وأحكامه والتهأون فيها فهو النوع الذي أرجا أصحابه العمل من الإيمان أي أخرجوه منه فلا مدخلية له فيه من وجه من الوجوه .

وبناءً على ذلك كثرت ردود أهل السنة والجماعة على من أخرج العمل عن مسمى الإيمان وأصبحت من القضايا المهمة بحيث لا يذكر أحد منهم عقيدته إلا وينص على أن الإيمان قول وعمل برآءة من قول المرجئة . وترتب على هذه المسألة العظيمة مسائل أخرى فرعية منها مسألة الاستثناء في الإيمان وهل يجوز ام لا؟ ومن فروعها : هل يجوز إذا سئل الإنسان هل أنت مؤمن ؟ أن يجيب بنعم أنا مؤمن أم أن عليه أن يستثنى في الإجابة ، ويقول : أنا مؤمن إن شاء الله حتى لايزكي نفسه على الله ورعاية لدخول العمل في الإيمان وأن عمله ليس كاملا حتى لايكون قوله متضمناً القطع بقبول إيمانه عندالله وأن إيمانه يستثنى على ماهو عليه حتى يوافى ربه. إن هذه القضية لم تظهر بالقيروان كقضية عامة إلا في عهد

الدولة الأغلبية (خلال القرن الثالث)، لكن اكتفى بعض الناس بالبحث فيه ، وتناقلته بعض الألسن في بعض ا الس الخاصة .

ويبدو أن أول من أدخل تجويز الاستثناء في الإيمان إلى القيروان هو رجل يقال له أبو الحكم الزيات[1] ، ذهب إلى العراق ونشر فيه هذه المقولة : « أنا مؤمن إن شاء الله » - رداً على من يسألة هل أنت مؤمن ؟ ، وروجها بين أهل القيروان وسرعان ما تلقفها بعضهم حتى صارت مذهبا ، له أتباع خصوم - ومن أهمهم في القيروان الشكوكي محمد بن إبراهيم بن عبدوس ت ٨٧٣/٢٦٠م ، الذي كان يجيب سائليه عن إيمانه بالقول : « أنا مؤمن » دون استثناء[2] .

ويقول صاحب « رياض النفوس » عنه : والذي صح عن ابن عبدوس أنه قال: أدين بأني مؤمن –في شرع الله - في وقتي هذا ، ولا أدري مايختم لي به » .

يتضح من كلام ابن عبدوس أن إيمانه يكتنفه الغموض . لذلك شنع عليه أهل السنة وتحاملوا ضده ، ووسموا أتباعه « بالعبدوسية الشكوكية » . وأول من تألب عليه محمد بن سحنون وأتباعه حتى عرفوا « بالمحمدية أو السحنونية » ، وا موهم بالإرجاء ، ثم شنع عليهم العامة .

وكان محمد بن سحنون ، لايستثنى في الإيمان ، ويقول : أنا مؤمن عندالله ، ويقول أيضاً : « المرء يعلم اعتقاده ، فكيف يعلم أنه يعتقد الإيمان ثم يشك فيه

---

(١) محمد بن حكمون ويعرف بالزيات ، أبوالحكم الربعي . وهو من أبناء القيروان المشهورين برواية الحديث وبعلم الكلام ، روى ببلده عن ابن مسرور العسال . ثم سافر إلى بغداد ، وأخذ عن أعلام روا ا ، ودرس الكلام ، وأتقن الجدل ، ثم عاد إلى بلده وألقى بين علماء القيروان مسألة الإيمان ، توفى في رجب سنة ٣٩٧هـ . انظر كتاب العمر ٢٧٢/١ ، لحسن حسني عبدالوهاب .

(٢) فصل ((الإيمان والإرجاء بإفريقية)) - الصراع المذهبي ص١٥٣ وما بعدهاولقب بالشكوكي لإثباته الاستثناء والإيمان أي بقوله انا مؤمن ان شاء الله .
- طبقات أبي العرب ص١١٢ ، رياض النفوس ط١ : ١٢٤/١ - ١٢٥ .
- تراجم أغلبية ص١٨١ ، ١٨٥ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣٥٠ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ .
محاضرات ملتقى القيروان ص٤٦٧ - ٤٦٨ .

»[1]

وفي النهاية ، بقي الأمر بين السحنونية والعبدوسية ، يتنازعان ويتجادلان إلى ما بعد القرن الثالث الهجري ، ورجح ابن أبي زيد القيرواني رأي الإمام مالك وسحنون ، وقال ابن أبي زيد عن مالك : قيل لمالك : أقول مؤمن أو أنا مؤمن إن شاء الله ؟ فقال : « وهل قال عبدوس غير هذا ، قل مؤمن ولاتخلط معها غيرها » . وقاله أيضاً الأوزاعي[2] .

ثم ذكر ابن أبي زيد قول سحنون فقال : قال سحنون : « لاتخلط معها غيرها ولاتقل : إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا : والله محمود »[3]

يرى ابن أبي زيد صحة قول مالك وسحنون في قطع الإيمان كما احتج به على أقرانه القيروانيين أمثال أبي محمد عبدالله إسحاق[4] بن التبان الذي يرى جواز تلفظ الانسان بلفظ أنا مؤمن عندالله .

وخالفه ابن أبي زيد وأنكر عليه ذلك وقال إنما يقال إن كانت سريرتك مثل علانيتك فأنت مؤمن ووافقه على هذا أكثر القيروانيين »[5] .

وقد أدرك الشيخ ابن أبي زيد القيرواني قصور جواب عبدالله بن التبان القيرواني ولذلك ألزمه بإخباره عن المغيبات وعما في علم الله إن كان يعلم ابن

---

(١) تراجم أغلبية ١٨٤ - ١٨٥ . بتصرف .

(٢) كتاب الجامع ص١٥٤ . بتصرف

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٤) عبدالله بن إسحاق المعروف بابن التبان ، أبو محمد ، مولده بالقيروان سنة ٣١١هـ ، وقرأ على أبي بكر بن اللباد قال عنه القاضي عياض : هو الفقيه الإمام ، كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ، ضربت له أكباد الإبل من الأمصار ، لعلمه بالذب عن مذهب أهل الحجاز ومصر ، ومذهب مالك . وكان مستجاب الدعاء ، رقيق القلب غزير الدمعة ، وكان من الحفاظ .. ٥١٧/٤ ، المدارك للقاضي عياض . توفى رحمه الله - يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، سنة احدى وسبعين وثلاثمائة . انظر المدارك للقاضي عياض ٥٢٤/٤ ، وانظر كتاب العمر لحسن حسنى عبدالوهاب ٦٤١/٢ .

(٥) كتاب الجامع ص١٥٤ ، المدارك ٥٢٣/٤ ، انظر معالم الإيمان ٩٥/٣ ، وكتاب أبي محمد عبدالله بن أبي زيد ، للدرقاش ص١٦٧ - ١٦٨ .

التبان ، على أنه على الهدى والرشاد ومستكمل الإيمان . يرى ابن أبي زيد أن هذا فيه تزكية للنفس ووسمها فوق ماتستحق . فأراد الشيخ أن يصحح ذلك المعتقد فيقول : إن كانت سريرتك ، مثل علانيتك فأنت مؤمن عندالله . ويقصد بذلك والله أعلم أن الإيمان مكون من أمور الظاهرة والباطنة، وأما الباطنة فهي الاعتقاد والتصديق والإقرار ، وأما الظاهرة ، الصلاة ، والزكاة،والصيام والحج... الخ .

خلاصة كلام ابن أبي زيد أنه لم ير الاستثناء في الإيمان كما أنكر تزكية النفس وقد اعتمد على ذلك على روايته عن الإمام مالك حين قيل له كما ذكرها في كتاب الجامع[1] : « أقول مؤمن أو الله محمود أو إن شاء الله ، فقال: قل مؤمن ولاتخلط معها غيرها.وفسر ابن أبي زيد هذا فقال : « لاتخلط معها غيرهاولاتقل : إن شاء الله ، ولاحول ولا قوة إلا بالله ، ولا ، والله محمود »[2].

ثم قال الشيخ ابن أبي زيد : « فمن قطع الاستثناء وأوجب أنه مؤمن فقد أجابكم إلى القول بأنه مؤمن عندالله . ومن استثنى ولم يقطع لنفسه قلنا له : أنت أعلم منا بضميرك وبما غاب من عقدك ، فأخبرنا عن غيبك فإن كنت كذا - فذكر شرائط الإيمان - وإن كنت كذا فأنت منافق ونحو هذا . ومن قطع لنفسه من أئمتنا فليس يعني مستكمل الإيمان ولكن مؤمن مذنب ، يقول أمنت بالله ورسوله وبما جاءت به رسله فأنا مؤمن بذلك في شرع الله في وقتي هذا والله أعلم بخاتمتي .. »[3].

أقول إن ماتقدم من كلام الشيخ ابن أبي زيد له سلف فيه كما ذكره هو بأن ما قلته قد قال به الإمام مالك كما تقدم من قوله والأوزاعي - كما سيأتي إن شاء الله - .

---

(١) كتاب الجامع ص١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص١٥٤ ، ومما يجدر ذكره أن هناك رواية أخرى عن الإمام مالك يوجب فيها الاستثناء في الإيمان انظر كتاب السنة لعبدالله ابن أحمد بن حنبل ٣٤٧/١ .

(٣) كتاب الجامع ص١٥٤ - ١٥٥ . بتصرف.

وللسلف في **هذا السؤال رأي كما** لهم في **الجواب رأي :**

١) - فأما سؤال الرجل لأخيه بقوله له : « هل أنت مؤمن ؟ » ، فقال السلف : « هذا السؤال بدعة اخترعه المرجئة »[١] .

ويقصد المرجئة ـذا القول في الإيمان ، هو أن الرجل الذي يعتقد أن العمل من الإيمان إذا عرض عليه مثل هذا السؤال ، فإنه يجيب بدون استثناء فيقول : « أنا مؤمن » قصدا منه للإيمان القلبي الذي لايشك فيه ؛ ولأن كل شخص يعلم من نفسه أنه ليس بكافر ، وأنه مصدق بالله ورسوله ﷺ، ولكن لايجزم بأنه عمل كل ما أمره الله به ، وانتهى عن كل ما ـاه الله عنه ، فإذا أجاب ـذا الجواب كأنه - يوافق المرجئة في إخراج العمل من الإيمان ولذلك حرم المرجئة الاستثناء ؛ لأنه يعني عندهم الشك في الإيمان »[٢] .

وعلى هذا اعتبر السلف أن السؤال من أصله بدعة ، ودعم السلف قولهم بما قاله إبراهيم النخعي سؤال الرجل الرجل : أمؤمن أنت ؟ بدعة[٣] .

يقول سفيان بن عيينة إذا سئل الرجل فقيل له : أمؤمن أنت ؟ فله إن شاء لم يجبه ، وإن شاء قال : سؤالك إياي بدعة ، ولا أشك في إيماني ، ولا يعنف من قال : إن الإيمان ينقص ، أو قال : إن شاء الله ، ليس يكرهه ، وليس بداخل في الشك[٤] .

وسئل الإمام أحمد عن الرجل يسأل : أمؤمن أنت ؟ قال : « سؤاله بدعة ولانشك في إيماننا »[٥] .

ورأي بعض السلف أن يكون الجواب للسائل بعبارة فيها نقض للقصد من إحداث السؤال كأن يقول : آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله ؛ لأن هذا الجواب

(١) انظر كتاب الشريعة للآجري ص١١٩ .

(٢) المصدر السابق ص١١٧ - ١١٨ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٨/١١ ، وعبدالله بن أحمد في السنة ٣٢١/١ .

(٤) كتاب الشريعة للآجري ص١١٩ .

(٥) رواه الخلال في السنة ٦٠١/٣ .

لالبس فيه[1] . والذين ارتضوا هذا الرأي استدلوا بما رووا عن بعض السلف كقول إبراهيم النخعي : « إذا قيل لك : أمؤمن أنت ؟ فقل : آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله .. »[2] .

وعن طاؤوس بن كيسان أنه كان إذا قيل له : « أمؤمن أنت ؟ قال : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ولايزيد على هذا .. »[3] .

وقال محمد بن سيرين : « إذا قيل لك : أنت مؤمن ؟ فقل : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق »[4] . أو يقول : لا إله إلا الله.

أما الجواب على هذا السؤال ، فقد استحب السلف أن يستثنى المسئول في إجابته فيقول : « أنا مؤمن إن شاء الله » أو أرجو ، أو نحو ذلك ، وكرهوا ترك الاستثناء لأمرين .

الأول : أن الإيمان هو ما يموت الإنسان عليه ، والإنسان إنما يكون عندالله مؤمنا أو كافرا باعتبار الموافاة ، وما سبق في علم الله أنه يكون عليه ، وما قبل ذلك لاعبرة به ، قالوا : والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرا : ليس بإيمان ، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال ..[5] .

الثاني : أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله ، وترك ما ـاه عنه كله ، فإذا قال الرجل : أنا مؤمن ، ـذا الاعتبار : فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين ، القائمين بجميع ما أمروا به ، وترك كل ما ـوا عنه ، فيكون من أولياء الله المقربين ، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه ، ولو كانت هذه الشهادة

(1) انظر كتاب الجامع ١٥٤ - ١٥٥ ، وكتاب منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٢٠٣ .
(2) رواه أبو عبيد في كتاب الإيمان ص٢٠ ، وعبدالله بن أحمد في السنة ٣٢٠/١ ، والآجري في الشريعة ص١٤١ ، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٨٧٨/٢ ، واللالكائي في شرح السنة ٩٧٩/٥.
(3) رواه عبدالله بن أحمد في السنة ٣٢٠/١ ، والآجري في الشريعة ص١٤٢ ، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٨٧٧/٢ - ٨٧٨ ، ورو ا .
(4) رواه أبو عبيد في الإيمان ص٢١ ، وعبدالله بن أحمد في السنة ٣٢٠/١ ، والآجري في الشريعة ص١٤١ ، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٨٧٩/٢ .
(5) شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرناؤوط ٤٩٥/٢ .

صحيحة ، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال .

وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يوجبون الاستثناء في الإيمان وهناك من يحرمه ، وهم كل من جعل الإيمان شيئاً واحدا ، فيقول الواحد منهم : أنا أعلم أني مؤمن ، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين ، فقولي : أنا مؤمن كقولي : أنا مسلم ، فمن استثنى في إيمانه ، فهو شاك فيه ، وسموا الذين يستثنون في إيما م الشكاكة ، وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى : { لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين }[١] بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول ، فلاشك فيه.

وفي هذا أيضاً نظر ، فقد أخبر الله أ م يدخلون آمنين ، مع علمه بذلك ، فلاشك في الدخول ، ولا في الأمن ، ولا في دخول الجميع أو البعض ، فإن الله قد علم من يدخل ، فلاشك فيه أيضاً ، فكان قول : إن شاء الله هنا تحقيقا للدخول .. »[٢].

وأما من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار فهو كما يقول شارح الطحاوية أسعد بالدليل من الفريقين ، فإن أراد المستثنى الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا مالا خلاف فيه،وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله : { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلو م وإذا تليت عليهم آياته زاد م إيمانا وعلى ر م يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ر م ومغفرة ورزق كريم }[٣] فالاستثناء حينئذ جائز ، وكذلك من استثنى ناظرا إلى عدم علمه بالعاقبة . وكذلك من استثنى تعليقا للأمر بمشيئة الله ،لاشكا في إيمانه،وهذا القول في القوة كما ترى »[٤]

وبناء على ما تقدم من كلام سلف الأمة يتضح أ م استحبوا الاستثناء ولم

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ٤٩٧/٢ .

(٣) سورة الأنفال آية : ٢ - ٤ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٤٩٨/٢ .

يوجبوه وكرهوا تركه ولم يحرموه ، وهذا معناه ان كلا الأمرين جائز إذا لم يقصد القائل بقوله : « أنا مؤمن » تزكية نفسه والشهادة لها بكمال الإيمان ، فجائز أن يقول : أنا مؤمن إن شاء الله إذا لم يتضمن ذلك شكا في إيمانه ، وهذا معنى ماجاء عن بعضهم من القول بجواز الأمرين : الإستثناء وتركه ، قال الأوزاعي : من قال : أنا مؤمن فحسن ، ومن قال : أنا مؤمن إن شاء الله فحسن لقوله الله تعالى:{ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين }(1)،وقد علم أ م داخلون »(2) وعنه أيضاً قال : الإستثناء ، وترك الإستثناء سواء(3) .

وقال الفضيل بن عياض : « إذا قلت آمنت بالله فهو يجزيك من أن تقول : أنا مؤمن ، وإذا قلت أنا مؤمن (لايجزيك) من أن تقول : آمنت بالله لأن آمنت بالله إستجابة للأمر . قال الله عزوجل { قولوا آمنا بالله }(4) الآية . وقولك : أنا مؤمن تكلف ، لايضرك أن لاتقوله ولا بأس إن قلته على وجه الإقرار ، وأكرهه على وجه التزكية »(5) .

وقد ذكر أبو عبيد أسماء بعض السلف ممن قال بجواز الأمرين : قال : وكذلك نرى مذهب الفقهاء الذين كانوا يتسمون ـذا الاسم بلا استثناء فيقولون: نحن مؤمنون ، منهم : عبدالرحمن السلمي ، وإبراهيم التيمي ، وعوف بن عبدالله ، ومن بعدهم ، مثل عمر بن ذر ، والصلت بن ـرام ، ومسعر بن كدام ، ومن نحا نحوهم ، إنما هو عندنا منهم على الدخول في الإيمان لا على الاستكمال(6) .

ونحا نحو هذا المسلك ابن أبي زيد القيرواني في احدى رواياته بما يدل على جواز الأمرين وقال : من أئمتنا من قطع الاستثناء وأوجب أنه مؤمن ويهدف إلى

---

(1) سورة الفتح آية : ٢٧ .

(2) رواه أبو عبيد في الإيمان ص٢١ .

(3) رواه الخلال في السنة ٥٩٨/٣ .

(4) سورة البقرة آية : ١٣٦ .

(5) رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة ٣٧٧/١ .

(6) كتاب الإيمان ص٢٢ .

هذا القول مايدل على إيمانه عندالله ، كما يفهم من كلام ابن أبي زيد أن هناك من استثنى ولم يقطع لنفسه ، وأن من قطع لنفسه من الأئمة فليس يعني مستكمل الإيمان ، وأن الجواب المناسب لهذا السؤال أن يقول الإنسان : آمنت بالله ورسوله وبما جاءت به رسله وأنا مؤمن بذلك لدلالة النص القرآني وما قاله الشيخ ابن أبي زيد فيه متابعة لمن تقدمه في ذلك[١] .

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة فيقول : « ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال : أنا مؤمن بلا استثناء إذا أراد ذلك - ليس الإيمان المطلق - لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل، ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يقدمه »[٢].

المبحث الثاني :

نواقض الإيمان : سب وشتم النبي ﷺ، وموقف ابن أبي زيد القيرواني منه :

من المعروف أن الإيمان يبنى شرعاًعلى ثلاثة أمور ، تصديق القلب والقول باللسان والعمل بالجوارح ، الأمر الأول : إن أنكره مسلم ينتقض الإيمان بالكلية وإن وجد التصديق القلبي والإقرار باللسان وترك العمل بالجوارح فهو فاسق .

الأمر الثاني : من نواقض الإيمان مايرجع إلى الركن الثالث منه وهو العمل

---

(١) انظر كتاب الجامع ص١٥٤ - ١٥٥ بتصرف .
(٢) كتاب الإيمان ص٤٢٩ .

وقد اشتهر عن السلف القول بأن العمل جزء من شرائع الإيمان ، ولايؤدي إلى الكفر بل إلى الفسق ونقص الإيمان. ومن سرق أو زنى لايكون فعله مؤديا إلى الكفر مزيلا للإيمان وهناك من الأعمال ما يكون فعلها مزيلا للإيمان بالكلية وذلك مثل السجود للصنم أو تنأول الذات الإلهية بما يؤدي إلى التنقيص والإحتقار أو تنأول من شخصية رسول الله ﷺ من ذلك مع علمه بأن ذلك يؤدي إلى الكفر والإصرار عليه ولما كانت النواقض كثيرة ومتنوعة والإفادة فيها تطيل المبحث وتخرج عن المقصود لذا ، سأكتفى بالحديث عن أمر مهم منها وهو ما يتنأول شخصية الرسول بالسب أو الشتم وما أشبه ذلك .

من نواقض الإيمان : النيل من شخص الرسول ﷺ:

النيل من شخص الرسول ﷺإما أن يكون باللسان أو اليد وتصور وقوع الاعتداء عليه ﷺمن الكافر . لكن أيتصور وقوع مثل ذلك في

حق الرسول ﷺممن يدعي الإسلام ؟ وعلى فرض وقوعه منه فهل يبقى الشخص معدودا في دائرة المسلمين أم أن صنيعه هذا كشف عن خبيئة حاله وأبرز بسلوكه الآثم أن ادعاءه الإسلام سابقا غير صحيح . أو على فرض التسليم بحقيقته وأنه كان صحيحا فإن هذا الفعل الإجرامي قد نقض إيمانه وأبطله ؟ .

وماكان لهذه القضية الخطيرة أن يتركها العلماء من غير بيان لذا آثرت بيا ا هنا وإبرازها وتحقيق موقف ابن أبي زيد منها .

النيل من الرسول باللسان يكون بالسب والشتم فهذا يقتضي منا توضيح المقال والحكم فأقول :

السب : الشتم : وهو مصدر ، يقال : سبه يسبه سبا ، وسباباً : أي شتمه[1].

والشتم : ذكر قبيح الكلام الذي يقصد به الانتقاص ، والاستخفاف بحق

---

(١) النهاية ٣٣٠/٢ ، لسان العرب ٤٥٥/١ .

المسبوب ، ويرجع معرفة الأذى والسب والشتم إلى العرف وله أنواع متعددة[١].

وسأبين هنا ما يجب أن ي ه الرسول ﷺ عنه من شتمه وسبه أو تنقصه أو احتقاره أو الإستخفاف به وكل ما فيه إيذاء لرسول الله ﷺ وحكم ذلك ، حيث إن سب الرسول ﷺ مع كونه من جنس الكفر والحرابة - أعظم من مجرد الردة عن الإسلام ، فإنه من المسلم ردة وزيادة ، فإذا كان كفر المرتد قد تغلظ لكونه قد خرج من الدين بعد أن دخل فيه ، فأوجب ذلك قتله ، فكفر الساب الذي آذى الله ورسوله وجميع المؤمنين من عباده أولى أن يتغلظ فيوجب قتل قائله ، لأن مفْسدة السب في أنواع الكفر أعظم من مفسدة مجرد الردة .

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن،فيها الوعيد لمن صدر منه شيء من ذلك : قال تعالى : { وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عندالله عظيما }[٢] . أجمع العلماء قاطبة كما - ذكره ابن كثير في تفسيره على أن من توفى عنها رسول الله - ﷺ- من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأ ن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين »[٣]

وقال تعالى : { إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا }[٤] . نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ في زواجه صفية بنت حيي بن أخطب . والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء فقد أذى الله من أطاعه فقد أطاع الله .. »[٥].

حكم سبه وشتمه ﷺ: والكلام في هذا الموضوع يدور حول ثلاثة أمور :

الأول : حكم قبول توبته .

الثاني : هل يقتل حدا أم كفرا ؟ .

---

(١) انظر الشفاء ٢٦٥ ، والصارم المسلول ص٥٣٨ - ٥٤٣ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٥٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣ .

(٤) سورة الأحزاب آية : ٥٧ .

(٥) تفسير ابن كثير ٥١٧/٣ .

الثالث : حكم السب : كفر وذلك باجماع العلماء قاطبة . وعند ابن أبي زيد مبيح للدم ، ولاتقبل توبته . وذلك لما أجاب به ابن أبي زيد حين سئل عن رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي ﷺ إذ مر م رجل قبيح الوجه واللحية ، فقال لهم أتريدون أن تعرفوا صفة النبي ﷺ فقال : هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته . فأجاب ابن أبي زيد بأنه يستوجب القتل ولاتقبل توبته . ولقد كذب - لعنه الله - وليس يخرج من قلبٍ سليم الإيمان .

وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون : من قال إن النبي ﷺ، كان أسود يقْتل . وقال في حق رجل قيل له لا وحق رسول الله ﷺ، فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا - وذكر كلاما قبيحا ، فقيل له ما تقول يا عدو الله ؟ فقال أشد من كلامه الأول ، ثم قال : إنما أردت برسول الله « العقرب » فقال ابن أبي سليمان للذي سأله أشهد عليه وأنا شريكك ؛ يزيد في قتله وثواب ذلك. قال حبيب بن الربيع لأن ادعاء التأويل في لفظ صراحٍ لايقبل ، لأنه امتهان وهو غير معزرٍ لرسول الله ﷺولا موقرٍ له فوجب إباحة دمه .. »[(١)] . يرى ابن أبي زيد بقوله هذا أن من سب النبي ﷺأو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل، مسلما كان أو كافرا ، ولايستتاب .

٢) - وقال أيضاً فيمن سب الرسول ﷺولو بتعريض يقتل على كل حال ، لأنه ساب أو معرض ، ومن عرض بسبه عليه السلام فليس فيه إلا القتل . »[(٢)]

٣) - وقال أيضاً في حق من عاب النبي ﷺبالألفاظ المزرية كقول الإنسان مسكين محمد قتل قال : « والذي عندي أنه يقتل إذا شهد عليه عدول ، ولكن لايقيم ذلك إلا السلطان ، فقيل له أرأيت إن عدا عليه من سمعه فقتله ؟ فقال : يقاد منه إلا أن تقوم عليه بينة عدلة بذلك فينظر السلطان في ذلك . قال

---

(١) الشفاء ٢١٧/٢ ، وانظر المعيار ٣٥٥/٢ - ٣٥٦ ، وانظر تعليق القاضي عياض في المعيار ٣٧٢/٢ ، وانظر فتاوى الإمام البرزلي ٣١٥/٤ مخطوطة مصورة ، دار الكتب الوطنية ، بتونس .

(٢) المعيار ٣٦٣/٢ ، وانظر فتاوى الإمام البرزلي ((مخطوط)) ٢٩١/٤ ، وورقة ٢٨٣ ظ جـ ٤ .

الونشريسي : قيل لعله فهم عنه النقص بوصف « المَسكنة » والازدراء بذلك فلهذا أفتى بقتله[١] .

وأجاب ابن أبي زيد في سؤاله عما تجوز حكايته من مقالات الملحدين ومالاتجوز فقال : « إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد ، وكذلك إن علم أن الحاكم لايرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه ذلك .

وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلا في هذا الباب ، فليس التفكه بعرض النبي ﷺ والتمضمض لسوء ذكره لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح . وأما للأغراض المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب . وقد ذكر الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله عليهم السلام في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليهم والرد عليهم بما تلاه سبحانه علينا في محكم كتابه الكريم . وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي ﷺ الصحيحة على الوجوه المتقدمة . وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على جواز حكاية مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم ، إن كان ورد عن أحمد بن حنبل - رحمه الله - إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد ، فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بخلق القرآن . فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزدراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالا م في الغث والسمين ، ومضاحك المُجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال : وما لايعني ، فكل هذا ممنوع ، وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض . فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ماحكاه ... وإن كان لفظه من البشاعة كان الأدب أشد . وقد حكي أن رجلاً سأل مالكا

---

(١) المصدر السابق ٣٦٥/٢ ، وسؤاله : سئل أبو محمد بن أبي زيد عمن صنع شعرا في سلطان ظالم ، فقال له الرجل : رأيت النبي ﷺ في النوم وكأنه دخل م له ففتش كتبه فوجد فيها الشعر فقال له عليه السلام قطع هذا ، فقال ((كاتب الشعر الملعون)) محمد مسكين عني من المدينة إلى هاهنا . فأنكرت عليه هذه المقالة ، فقال إنما قصدت قوله : اللهم أمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين ..)) إلخ . بتصرف.

عمن يقول القرآن مخلوق ، فقال مالك: كافر فاقتلوه ، فقال إنما حكيته عن غيري ، فقال مالك إنما سمعناه منك ، وهذا من مالك - رحمه الله - عن طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله. وإن ا م هذا الحاكم فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره ، أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أوكان مولعا بمثله والاستخفاف أو التحفظ لمثله وطلبه أو رواية أشعار هجوه عليه السلام ، فحكم هذا الساب نفسه يؤاخذُ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره ، فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية أمه إلخ .أ.هـ [١] .

وقال ابن أبي زيد في رسالته : « ومن سب رسول الله - ﷺ- قتل ، ولاتقبل توبته ، ومن سبه من أهل الذمة بغير ما به كفر أو سب الله عزوجل بغير ما به كفر قتل إلا أن يسلم .. »[٢].

ويعتبر ابن أبي زيد ساب الله ورسوله ﷺمرتدا وزنديقا الذي يسر الكفر ويظهر الإسلام وكذلك لاتقبل توبته[٣] .

وما قاله ابن أبي زيد ، فيما تقدم هو ما أجمع عليه الصحابة وتا بعهم عليه الإمام مالك بن أنس رحمه الله : من أن من سب النبي - ﷺ- مسلما كان أو كافرا ؛ فإنه يقتل وجوبا من غير استتابة ، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع الصحابة - رضي الله عنهم على ذلك فقال : « وأما إجماع الصحابة رضي الله عنهم فلأن ذلك نقل عنهم في قضايا متعددة ينتشر مثلها ويستفيض ، ولم ينكرها أحد منهم ، فصارت إجماعاً ، ... فمن ذلك ماذكره سيف بن عمر التميمي في كتاب « الردة والفتوح » عن شيوخه ، قال : ورفع إلى المهاجر ؛ يعني المهاجر بن أبي أمية[٤] وكان أميرا على اليمامة ونواحيها - امرأتان مغنيتان غنت

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢٤٥/٢ - ٢٤٧ ، وانظر فتأوى البرزلي ٣٠٨/٤ ظ (ورقة) - و - ٣٥٩/٢ - ٣٦٠ .

(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني مع شرح عبدالسميع الآبي الأزهري ص٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٣) المصدر السابق ص٤٣٢ - ٤٣٣ ، بتصرف .

(٤) هو المهاجر بن أبي أمية بن عبدالله بن عمر المخزومي القريشي ، أخو ام المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، توفى سنة اثنتي عشرة ، ينظر نسب قريش ص٣١٦ ، أسد الغابة ٢٧٧/٥ ، الإصابة ⇦

احداهما بشتم النبي ﷺ- ، فقطع يدها ، ونزع ثنيتها ، وغنت الأخرى جاء المسلمين فقطع يدها ، ونزع ثنيتها ، فكتب أبوبكر : بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرت بشتم النبي - ﷺ- فلولا ما قد سبقتني فيها لأمرتك بقتلها ؛ لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود ؛ فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر .

وقد ذكر هذه القصة سيف بن عمر التميمي، وهذا يوافق ما تقدم عنه أن من شتم النبي ﷺ كان له أن يقتله ،وهو صريح في وجوب قتل من سب النبي عليه الصلاة والسلام من مسلم ومعاهد وإن كان امرأة،وأنه يقتل بدون استتابة »[1].

وروى حرب في مسائله عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال : أتى عمر برجل سب النبي ﷺ، فقتله ، ثم قال عمر : من سب الله أو سب أحدا من الأنبياء فاقتلوه .. »[2].

وكذلك يرى الإمام مالك - رحمه الله تعالى - أن من سب النبي - ﷺ- مسلما كان أو كافرا ؛ فإنه يقتل وجوبا من غير استتابة ، روى ذلك عنه غير واحد من تلاميذه :

١) - قال ابن القاسم ومطرف : قال مالك : « من سب النبي - ﷺ- من المسلمين قتل ولم يستتب »[3].

٢) - قال محمد بن عبدالحكم ، أخبرنا أصحاب مالك أنه قال : « من سب النبي ﷺ، أو غيره من النبيين مسلما كان أو كافرا ، قتل ولم يستتب »[4].

١٤٤/٦ ، وهامش كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية تحقيق محمد بن عبدالله بن عمر الحلواني ومحمد بن كبير أحمد شودري ٣٧٩/٢ .

(١) الصارم المسلول ٣٧٨/٢ - ٣٨٠ .

(٢) المصدر السابق ٣٨١/٢ .

(٣) كتاب الشفاء للقاضي عياض ص٢٦٨ وص٣٠٢ .

(٤) والمعيار المعرب ٣٢٧/٢ .

٣) - سأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي - ﷺ- ، وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده . فغضب مالك وقال : « يا أمير المؤمنين ، ما بقاء الأمة بعد نبيها : من شتم الأنبياء قتل ، ومن شتم أصحاب النبي ﷺضرب »[(١)].

وهذا مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم كما أشار إليه ابن تيمية[(٢)] . وقال القاضي عياض : وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم . قال أبوبكر بن المنذر : أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبي - ﷺ- يقتل ، وممن قال ذلك مالك بن أنس والليث ، وأحمد ، وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي .

قال القاضي عياض : وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ولاتقبل توبته عند هؤلاء المذكورين ، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه ، والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم .. »[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : قد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أن التنقص له كفر مبيح للدم .. »[(٤)]. وهذا الإجماع على قتل الساب سواء كان مسلماً أو ذمياً .

الأمر الثاني : هل لساب الرسول ﷺ توبة ؟ .

تقدم أن الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - يرى أنه لايستتاب مسلماً كان أو ذمياً .

وقال في رواية : إلا أن يسلم الذمي .

وقال في رواية عن الإمام مالك : إ ا تقبل توبة المسلم .

وقال ابن أبي زيد - ومن سب رسول الله ﷺ قتل ، ولاتقبل توبته ، ومن سبه من

---

(١) الشفاء ص٢٦٨ .

(٢) المعيار المعرب ٣٥٦/٢ .

(٣) الشفاء ص٢٢٤ وص٢٥٤ ، والصارم المسلول ٣٧٨/٢ ، وفتح الباري ٢٨١/١٢ .

(٤) الصارم المسلول ٨/١ و٣٧٨/٢ .

أهل الذمة كفر أو سب الله عزوجل كفر قتل إلا أن يسلم .. »[1] .

وقد قدم عنه : أن المسلم لايستتاب - أي لاتقبل توبته - ولايسقط القتل عنه بالتوبة بعد أخذه والقدرة عليه وهو الذي عليه أكثر العلماء »[2] .

وقال ابن أبي زيد : « ... يقتل بظاهر كفره ولايقبل عذره ، وأما فيما بينه وبين الله فمعذور ... »[3] .

ولا يعني هذا عدم صحة التوبة فيما بينه وبين الله ، ولكن الذنب هنا تعلق فيه حق آدمي فلا يسقط بالتوبة ، فلابد من إقامة الحد عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن صحة التوبة فيما بينه وبين الله لاتسقط حقوق العباد من العقوبة المشروعة في الدنيا ، فإن من تاب من قتل أو قذف أو قطع طريق ، أو غير ذلك فيما بينه وبين الله ، فإن ذلك لايسقط حقوق العباد من القود ، وحد القذف ، وضمان المال ، وهذا السب فيه حق لآدمي ، فإن كانت التوبة تكفر ذنبه المتعلق بحق الله ، فإن ذلك لايوجب سقوط حقوق العباد من العقوبة[4] ... إلى أن قال : إذا تقرر هذا ، فصحة التوبة فيما بينه وبين الله ، وسقوط حق الرسول ﷺ بما أبدله من الإيمان به الموجب لحقوقه لايمنع أن يقيم عليه حد سب الرسول - ﷺ- إذا ثبت عند السلطان ، وإن أظهر التوبة بعد ذلك كالتوبة من جميع الكبائر الموجبة للعقوبات المشروعة ، سواء كانت حقا لله ، أو حقا لآدمي ، فإن توبة العبد فيما بينه وبين الله بحسب الإمكان صحيحة مع أنه إذا ظهر عليه أقيم عليه الحد ، وقد أسلفنا أن سب الرسول - ﷺ-فيه حق لله ، وحق لآدمي ، وأنه من كلا الوجهين يجب استيفاؤه إذا رفع إلى السلطان ،

---

(١) الرسالة لابن أبي زيد ص٤٣٣ - ٤٣٤ ، يقتل ـذا لأنه تجرأ للهجوم إلى الله ورسوله . بتصرف

(٢) انظر الشفاء ص٢٢٤ - ٢٥٤ ، وفتاوى الإمام البرزلي ((مخطوط)) ٣١٥/٤ ، مكتبة دار الكتب الوطنية . بتونس .

(٣) المعيار ٣٦١/٢ .

(٤) الصارم المسلول ٩١٧/٣ ، تحقيق محمد بن عبدالله الحلواني وزميله .

وإن أظهر الجاني التوبة بعد الشهادة عليه[١] .

وخلاصة مذهب الأئمة في الذمي إذا سب ثم تاب ثلاثة أقوال :

الأول : يقتل بكل حال ، وهو المشهور من مذهب الإمام أحمد ومالك إذا تاب بعد أخذه ، وهو وجه لأصحاب الشافعي .

الثاني : يقتل إلا أن يتوب بالإسلام ، وهو ظاهر الرواية الأخرى رواية عن الإمام مالك وأحمد .

الثالث : يقتل إلا أن يتوب بالإسلام ، أو يتوب من العودة الى سبه صلى الله عليه وسلم كما كان ، وعليه يدل ظاهر عموم كلام الشافعي إلا أن يتأول ، وعلى هذا فإنه يعاقب إذا عاد إلى الذمة ولايقتل »[٢] .

والأرجح الأول كما سيأتي بيانه في الأمر الثالث ، إن شاء الله .

الأمر الثالث : هل يقتل حدا أو كفرا ؟ .

إن ساب الرسول ﷺ إذا لم يظهر التوبة ، يقتل كفرا ، لا خلاف في ذلك .

وأما إذا أظهر التوبة ، فإنه يقتل حدا لاكفرا ، وهو المشهور عن الإمام مالك وابن أبي زيد وهو الذي عليه جمهور العلماء . قال ابن أبي زيد : إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة قتل بالسب لأنه حده ، وأما مابينه وبين الله فتوبته تنفعه[٣] .

---

(١) المصدر السابق ٩١٩/٣ . تحقيق الحلواني .

(٢) الصارم المسلول ٦٢٠/٣ - ٦٢١ .

(٣) الشفاء ٢٥٥/٢ .

قال القاضي عياض : « ... وبعد فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله باعتباره كالمرتد حكماً إن أظهر التوبة منه ولهذا لاتقبل عندهم توبته ولاتنفعه استقالته ، ولافيئته ، وحكمه حكم الزنديق ، ومسر الكفر في هذا القول ، إلااذا تاب قبل رفع أمره للحاكم .. »[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : جميع ماذكرنا من الدلالات ، وإن دلت على وجوب قتله بعد إظهار التوبة فهي دالة على أن قتله ، وليس بمجرد الكفر ، وهي دالة على هذا بطريق القطع لما ذكرناه من تفريق الكتاب والسنة ، والإجماع بين من اقتصر على الكفر الأصلي أو الطاريء أو نقض العهد ، وبين من سب الرسول ﷺ من هؤلاء ، وإذا لم يكن القتل ـرد الكفر لم يبق إلا أن يكون حدا وإذا ثبت أنه يقتل لخصوص السب ، لكونه حدا من الحدود - لا لعموم كونه كافرا غير ذي عهد أو لعموم كونه مرتدا - فيجب أن لايسقط بالتوبة والإسلام لأن الإسلام والتوبة لايسقطان شيئاً من الحدود الواجبة قبل ذلك إذا كانت التوبة بعد الثبوت والرفع إلى الإمام بالإتفاق .. »[2].

---

(١) الشفاء ٢٥٤/٢ .بتصرف.

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية ٨١٨/٣ ، وانظر منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة للدكتور سعود عبدالعزيز الدعجان ص٤٣٢ .



موقف السلف من سب الله عزوجل والملائكة والأنبياء والرسل وموقف ابن أبي زيد منه :

أما موقف الشيخ ابن أبي زيد ممن سب سائر الأنبياء والملائكة فهو كموقفه ممن سب نبينا محمد ﷺ.

حيث يقول الشيخ ابن أبي زيد : « من سب أحداً من الأنبياء والرسل أو جحد ما أنزل عليه ، أو جحد منهم أحدا أو جحد ماجاء به فهو بم لة من سب رسول الله ﷺ ، يصنع به ما يصنع بمن سب الرسول ﷺ، لأن الله تعالى يقول: { آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير }[1] .

وقوله تعالى : { قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ر م لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون }[2] .

وقال تعالى في سورة النساء : { إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما }[3] .

رأي الإمام أبي حنيفة :

وهكذا قال الإمام أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذب بأحد من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم فهو مرتد[4] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٤ .

(٣) سورة النساء آية : ١٤٩ - ١٥٢ .

(٤) الشفاء ٣٠٢/٢ - ٣٠٣ .

رأي الإمام مالك :

وقال الإمام مالك فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم[1] . وذكر نحو ذلك الإمام سحنون عن ابن القاسم[2] .

وسأل الرشيد مالكا في رجل شتم النبي ﷺوذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده ، فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها ؟ من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب النبي ﷺ جلد[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والحكم في سب سائر الأنبياء عليهم السلام كالحكم في سب نبينا ﷺ، فمن سب نبياً مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين كالمذكورين في القرآن أو موصوفا بالنبوة - مثل أن يذكر حديثا أن نبيا فعل كذا أو قال كذا ، فيسب ذلك القائل أو الفاعل ، مع العلم بأنه نبي ، وإن لم يعلم من هو ، أو يسب نوع الأنبياء على الإطلاق - فالحكم في هذا كما تقدم[4] ؛ لأن الإيمان م واجب عموما ، وواجب الإيمان خصوصا بمن قصه الله علينا في كتابه وسبهم كفر وردة إن كان من مسلم ، ومحاربة إن كان من ذمي[5] .

ولكن فرق المحققون بين ساب نبينا ﷺوغيره من الأنبياء حيث ذهبوا إلى أن سب النبي أعظم جرما من ذنب ساب غيره من الأنبياء . ويقول شيخ الإسلام في هذا الصدد : ولا ريب أن جرم سابه أعظم من جرم ساب غيره ، كما أن

---

(١) الشفاء ٣٠٢/٢ .

(٢) الشفاء ٣٠٢/٢ .

(٣) الشفاء ٢٢٣/٢ ، المعيار المعرب ٣٥٦/٢ .

(٤) انظر ٥٥١/٣ من الصارم المسلول في المسألة الثالثة أنه يقتل ولا يستتاب ، سواء كان مسلما أو كافرا .
قال القاضي عياض : وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف م، أو كذ م فيما أتو به ، أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا محمد ﷺ. انظر الشفاء ٣٠٢/٢ .

(٥) انظر الصارم المسلول ١٠٤٨/٣ .

حرمته أعظم من حرمة غيره ، وإن شاركه سائر إخوانه من النبيين والمرسلين في أن سا م كافر محارب حلال الدم[1] ، وأما من اختلف فيه من الملائكة والنبيين ، بمعنى أنه لم يرد نص قاطع في ذلك ، فالذي يظهر أن هذا لايكون الحكم في إنكاره أو التشكيك بذلك كالحكم فيمن قطع بأنه نبي أو ملك .

يقول الإمام القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي فيمن تعرض لجناب المصطفى ﷺ بسب صرح به أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي وصف به كفر ، لا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعط له العهد على هذا وعليه كافة العلماء إلا الحنفي والثوري وأشياعهما من أهل الكوفة فقالوا لايقتل وماهو عليه من الشرك أشد لكن يؤدب ويعزر ... الخ[2] .

ويلخص لنا القاضي عياض في نقله عن ابن أبي زيد حول هذه المسألة في كتابه الشفاء مايفيد أن دم المسلم لايقدم عليه إلا بأمر بين وماله فسحة في التأويلات لابد من إمعان النظر فيه وحكى عن أبي محمد ابن أبي زيد – رحمه الله – فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر أنه لم يرد الأنبياء وإنما أردت الظالمين منهم أن عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان، وكذلك أفتى فيمن قال : لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرم وفيمن لعن حديث لايبع حاضر لباد ، ولعن ماجاء به أنه إن كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الأدب الوجيع وذلك أن هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وإنما لعن من حرمه من الناس ، ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض - يا إبن ألف خ ير ، ويا ابن مائة كلب - وشبهه من هجر القول ولاشك أنه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه وأجداده جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع إلى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ماجهل قائله منه وشدة الأدب فيه ، ولو علم أنه قصد سب من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال الرجل

---

(١) الصارم المسلول ١٠٤٩/٣ .

(٢) فتاوى الإمام البرزلي جـ ٤ ورقة ٣١٥ ((و)) .

هاشمي لعن الله بني هاشم ؛ وقال أردت الظالمين منهم أو قال رجل من ذرية النبي - ﷺ- قولا قبيحا في آبائه أو من نسله أو ولده على علم منه أنه من ذرية النبي ﷺولم تكن قرينة في المسألتين تقتضي تخصيص بعض آبائه وإخراج النبي ﷺمن سبه منهم[1] .

وحكْم الشيخ ابن أبي زيد فيمن سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف م أو كذ م فيما أتوا به أو أنكرهم أو جحدهم حكمه فيمن سب نبينا ﷺ وقد ذكر ابن أبي زيد في نوادره أن من شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب ، ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم[2] .

وفي النوادر له عن مالك فيمن قال : إن جبرئيل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي « على بن أبي طالب » استتيب فإن تاب وإلا قتل ونحوه عن سحنون[3] .

(١) الشفاء ٢٣٦/٢ - ٢٣٧ ، المعيار المعرب ٣٥٧/٢ .
(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني مع شرحها ص٤٣٤ .
(٣) الشفاء ٣٠٢/٢ .

الحكم فيمن سب الله عزوجل ورسوله والآراء فيها :

لاخلاف في أن من سب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم بل إن قتله واجب لقول السلف الصالح بذلك ولا يستتاب إلا أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب . وإن لم يظهره لم يستتب ، وقد ذكر ابن راهويه[1] إجماع المسلمين فيمن سب الله ويقول : « قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ أو دفع شيئاً مما أنزل الله ، أو قتل نبيا من أنبياء الله أنه كافر بذلك وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله »[2] .

وقال الإمام أحمد في رواية عبدالله في رجل قال لرجل يا ابن كذا وكذا - أعني أنت ومن خلقك - هذا مرتد عن الإسلام يضرب عنقه[3] .

قال ابن تيمية : وكذلك قال أصحابنا وغيرهم : « من سب الله كفر ، سواء كان مازحا أو جادا ، وهذا هو الصواب المقطوع به »[4] .

وقال أيضاً : ومن سب الله تعالى فإن كان مسلماً وجب قتله بالإجماع[5] ، لأنه بذلك كافر ، مرتد ، واسوأ من الكافر ، فإن الكافر يعظم الرب ، ويعتقد

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه نزيل نيسابور وعالمها (ثقة حافظ مجتهد) ، روى عن ابن عيينة ووكيع وجرير بن عبدالحميد ، روى عنه : الجماعة ، وهو قرين الإمام أحمد بن حنبل ، قال الخطيب البغدادي : اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد . مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين . انظر تاريخ بغداد ٣٤٥/٦ ، الجمع بين رجال الصحيحين ٢٨/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٥٨/١١ ، ذيب التهذيب ٢١٦/١ ، تقريب التهذيب ص٩٩ .

(٢) الصارم المسلول ٩٥٦/٣ .

(٣) انظر مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبدالله ص٤٣١ برقم ١٥٥٦ .

(٤) الصارم المسلول ٩٥٧/٣ ، قال المحقق نص على هذا القول ابن قدامة المقدسي . انظر المغني ١٠ /١٠٣ .

(٥) وهذا الحكم يوافق ماذكره القاضي عياض في عدم وجود الخلاف في ذلك بيد أن الخلاف في استتابته ، انظر الشفاء جـ٢ : ٢٧٠ - ٢٧١ .

أن ماهو عليه من الدين الباطل : ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له[1] .

وقال القاضي أبو يعلى المعتمد : « من سب الله أو سب رسوله فإنه يكفر ، سواء استحل سبه أو لم يستحله ، فإن قال : « لم استحل ذلك » لم يقبل منه في ظاهر الحكم ، قولا واحدا ، وكان مرتدا لأن الظاهر خلاف ما أخبر ، لأنه لاغرض له في سب الله وسب رسوله إلا لأنه غير معتقد أحقيته في العبادة غير مصدق بما جاء به النبي ﷺ ، ويفارق الشارب والقاتل والسارق إذا قال : « أنا غير مستحل لذلك » أنه يصدق في الحكم لأن له غرضا في فعل هذه الأشياء مع اعتقاد تحريمها ، وهو ما يتعجل من اللذة ، قال : وإذا حكمنا بكفره فإنما نحكم به في ظاهر الحكم ، فأما في الباطن فإن كان صادقاً فيما قال فهو مسلم كما قلنا في الزنديق لاتقبل توبته في ظاهر الحكم[2] .

موقف ابن أبي زيد فيمن سب الله عزوجل :

لابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - أقوال عدة في حكم من سب الله :

١) - يرى قتله بظاهر كفره ، ولذلك أفتى فيما حكى عنه في رجل لعن رجلاً ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني ، فقال يقتل بظاهر كفره ولايقبل عذره . وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور ، وأختلف فقهاء قرطبة في مسألة هارون ابن حبيب أخي عبدالملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقالته من مرضه: لقيت في مرضي هذا مالوا قتلت أبابكر وعمر لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم ابن حسين بن خالد بقتله وأن مضمون قوله تجوير لله تعالى والتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وأفتى أخوه عبدالملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم

---

(١) الصارم المسلول جـ ٣ : ١٠١٧ (فصل في من سب الله تعالى) .

(٢) الصارم المسلول ٩٥٧/٣ ، ذكر القاضي روايتين في توبة الزنديق ، إحداهما : لاتقبل والثانية: تقبل .

وجه الأولى : إن من عادة الزنديق إظهار الإسلام واستبطان الكفر والدعاء إليه في السر ، والسعي في إفساد الدين .

وجه الثانية : أن الاعتبار بما يظهر من حاله دون ما يستبطن . انظر : المعتمد ٢٠٢ .

وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى التنكيل عليه في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلى التشكي[1] .

٢) - ورأى ثان لابن أبي زيد تعيين استتابة من سب الله بما تنسبه إليه ، الأمم الخالية ، وأما من سبه بما ينسب الناس بعضهم لبعض قتل بغير استتابة[2] .

وسئل ابن أبي زيد عن رأيه فيمن قيل له اتق الله ، فقال أيتقى الله عند الغضب ، ما يصنع به ؟ فأجاب بانه يستتاب[3] ، فإن تاب ترك وإن لم يتب قتل. قال إن كان كلامه إنكاراً لوجوب التقوى عند الغضب فهو كفر لأنه جحد لما دلت عليه الآيات والسنن والإجماع ، مثل قوله تعالى { ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض ، وكان الله غنيا حميدا }[4].

وقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون }[5] .

وقوله : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وقولوا قولا سديدا .. }[6] ووقع ذلك في خطبة عليه السلام كثيرا . وكذا إن كان منه على وجه الإزدراء والجرأة وعدم المبالاة ذه الخصلة الشريفة لأنه تنقيص للدين[7] .

---

(١) الشفاء ٢٧١/٢ ، وانظر المعيار ٣٦١/٢ .

(٢) فتاوى الإمام البرزلي ٢٩١/٤ ، ورقة ٢٨٣ ظ جـ ٤ ، والمعيار المعرب ٣٦٣/٢ .

(٣) قول ابن أبي زيد بالاستتابة لمن لم يقصد بقلبه ونيته سب الله تعالى ، وإنما قصد سب المنازع له ، وعدم ارادة المسامحة في ساعة الغضب ، فجرى على لسانه مالم يعتقده ولعل الشيخ ابن أبي زيد رحمه الله يهدف إلى هذا والله أعلم . وبالتوبة يتضح مقصوده ، وإن أصر ولم يتب فهذا يعني أنه قصد إلى سب الله تعالى بما تضمنه عقد القلب فهذا يستوجب القتل . وانظر المعيار المعرب ٣٥٤/٢ .

(٤) سورة النساء آية : ١٣١ .

(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٧٠ .

(٧) فتاوى الإمام البرزلي ٣١٤/٤ظ ، المعيار ٣٦٨/٢ .

وقد احتذى القاضي عياض حذوه في تكفير من سب الله - عزوجل - من المسلمين فقال : « ... فَوجه من قال في ساب الله بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق ا حق لغير الله فأشبه قَصد الكُفْر بغير سب الله وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفَة للإسلام ، ووجه ترك استتابة أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبلُ ا ـمناه وظَننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لايتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته ، وإذا انتقل من دين إلى دين آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المستمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه[١].

والعلماء أجمعوا على كفر الساب مطلقا ، سواء اعتقد حل السب أم لا ؟ وهذا إجماع أهل السنة والجماعة الذين يقولون إن الإيمان قول وعمل ، وهذا مذهب علماء الدين وأئمة الفتوى ولم يوجد فيه الخلاف إلا عند المتأخرين المنتسبين إلى البدعة كالمرجئة الذين قالوا : إن الإيمان هو تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر به،والشتم لاينافي هذا التصديق،فالشاتم لايكون كافرا إلا إذا استحله : لأن الاستحلال تكذيب،والتكذيب ينافي التصديق فهو يكفر ـذا التكذيب ، وليس بذاك الشتم،وهذا الخلاف الشاذ من الفرق المبتدعة لاينقض إجماع علماء الأمة .

موقف السلف تجاه سب الصحابة - رضي الله عنهم- :

إن الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - يكرر في فتأويه وجوب محبة الصحابة رضوان الله عليهم ، والترضي عليهم ، والاعتراف بفضلهم ، والتأسى ـم ؛ لأ ـم أصحاب رسول الله ﷺ ، فمحبتهم من محبته ، وبغضهم من بغضه، ولذلك جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة الدالة على تحريم سبهم وتنقص حقهم والنكال الشديد لمن يقدم على ذلك ، حيث إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يمثلون جيلا فريدا صاغته تعاليم القرآن ورباه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكانوا مثالا عالياً في الإيمان الصادق والخشية لله ، والأمانة في

---

(١) الشفاء ٢٧٢/٢ .

الدين ، والتواضع والعفة والطهارة والشجاعة . وقد تمثلت هذه القيم كلها في تعاملهم فيما بينهم ، وفي تضحيتهم بأموالهم وأنفسهم في سبيل هذا الدين . وقد وصف القرآن الكريم ماكان يتحلى به الصحابة من قيم وأخلاق ومحبة وإخاء وتضحية وبذل وفداء كما في قوله تعالى : { محمد رسول الله ، والذين معه أشدآء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. } الآية[1] .

وقوله تعالى : { لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون }[2] وقوله تعالى : { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلو م فأنزل السكينة عليهم وأثا م فتحا قريبا .. }[3] ، وقوله تعالى : { للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان م خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون }[4] .

كما أن السنة المطهرة لم مل إظهار عظم شأن الصحابة في الذكر حيث يقول عنهم الرسول ﷺ وفيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لاتسبوا أصحابي ، لاتسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[5] .

عن عطاء بن أبي رباح مرسلا قال : قال النبي ﷺ : « من سب أصحابي فعليه

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) سورة التوبة آية : ٨٨ .

(٣) سورة الفتح آية : ١٨ .

(٤) سورة الحشر آية : ٨ - ٩ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم مجلد ٧، ص١٨٨ . وروى البخاري هذا الحديث من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . انظر البخاري مع الفتح ٢١/٧ ، ومسلم ١٩٦٧/٤ .

لعنة الله ، فعلية لعنة الله »[1].

٣) - وعن عائشة رضي الله عنها - قالت : « أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ ، فسبوهم »[2]، أي إنتقصوهم لما أدى إليه إجتهاد بعضهم في الفتن زمن عثمان وعلي والدليل قول النبي ﷺ (لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ ثواب مد أحدهم ولانصيفه) ، وسبب الحديث أن خالد من أواخر المهاجرين سب ابن عوف الذي هو من أوائلهم [3]

فهل يتهم العاقل أمثال هؤلاء الذين زكاهم القرآن وشهد لهم بالفضل والمنزلة الرفيعة كما شهد لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالخير والفضل والسبق في الإسلام ، وهل يصح أن يتهموا بالهوى والغرض وبيع دينهم بدنياهم؟ إن الطعن في هؤلاء الصحابة طعن في الدين الذي حملوه إلينا ، وتشكيك في أصوله وحقائقه التي نقلت إلينا عن طريقهم ، كما أن الطعن فيهم يتضمن أن الرسول ﷺ قد فشل في رسالته ولم يستطع أداءها ، الأمر الذي تكذبه سيرة الرسول وحياة الصحابة وتاريخ هذا الدين[4] ، وقد جاء عن السلف ما يدل على هذا المعنى من تعظيم سب الصحابة وشتمهم وكراهة الإقامة في المكان الذي يحصل فيه سب أو شتم أو تنقيص للصحابة ، فعن أشهب ابن عبدالعزيز قال : قال مالك : « لاينبغي الإقامة بأرض يكون فيها العمل بغير الحق والسب للسلف »[5].

وروى عن غيره من السلف نحو من ذلك :

فعن مغيرة بن شباك قال : « بلغ عليا أن ابن السوداء ينتقص أبابكر وعمر فدعا به ودعا بالسيف ، فقال : فهم بقتله ، فكُلم فيه فقال : لايساكني ببلد أنا

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة . قال الألباني : إسناده صحيح ٤٨٣/٢ .

(٢) رواه مسلم ٢٣١٧/٤ .

(٣) فتح الباري رقم حديث ٣٦٧٣ جـ ٧ /٣٤

(٤) انظر كتاب دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين الخوارج والشيعة للدكتور أحمد محمد أحمد جلى ص٢٣٨ .

(٥) ذكره ابن عبدالهادي في إرشاد السالك ص٥٤ .

فيه فنفاه إلى الشام ، وقيل المدائن »[1] .

وعن أبي إسحاق الهمداني قال : « شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله عزوجل :

{ إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما }[2] وروى مثله عن إبراهيم النخعي[3] .

وعن طلحة بن مصرف قال : « كان يقال : بغض بني هاشم نفاق ، وبغض أبي بكر وعمر نفاق ، والشاك في أبي بكر كالشاك في السنة »[4]. وقد روي عن غير واحد من السلف نحو من هذه الأقوال[5] .

وقد أثر عن السلف اختلافهم في الحكم على من سب الصحابة رضي الله عنهم ، فمنهم من ذهب إلى تأديب وتعزيز من سبهم أو شتمهم ، ومنهم من ذهب إلى تكفيره وقتله ، وقد اختلفت الرواية عن ابن أبي زيد تبعا لاختلاف

(١) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة ١٢٦٤/٧ ولنا مع هذه الحادثة وقفة إذ أن ظاهرها يفيد أن عليا رضي الله عنه رأى أن صنيع ابن السوداء جرم يستوجب منه القتل وما كان علي رضي الله عنه يستبيح قتل الإنسان الا لداعي يقتضيه فكيف يتدخل أصحابه - على - ليحل بينه وبين تنفيذ الحكم الشرعي؟ الواقع يفيدنا أن هذه الواقعة تنأوبتها وجهتي النظر مردهما إلى الاجتهاد الأولى : ما وصل إليه على باجتهاده من أن ماكان من السب لأبي بكر وعمر من ابن السوداء جريمة تستوجب القتل .

الثانية : ما رآه الصحابة باجتهادهم من أن صنيع ابن السوداء وإن كان كبيرة إلا انه لايصل في مداه إلا أن تكون عقوبته القتل لذا نرى أن تدخل الصحابة ماكان شفاعة لمنع عقوبة متفق عليها حيث إن مما يظهر عن علي - رضي الله عنه - أنه إذا أراد قتل رجل يقتله وقد يكون تركه إياه خوف الفتنة بقتله ، كما كان النبي ﷺ يمسك عن قتل بعض المنافقين كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية . انظر كتابه الصارم المسلول ١١٠١/٣ تحقيق الحلواني وزميله.

(٢) سورة النساء آية : ٣١ .

(٣) رواه اللالكائي في إعتقاد أهل السنة ١٢٦٢/٧ - ١٢٦٦ .

(٤) رواه اللالكائي في إعتقاد أهل السنة ١٢٦٦/٧ .

(٥) رواه اللالكائي في إعتقاد أهل السنة ١٢٦١/٧ - ١٢٧٠ ، وكتاب منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٤٤٥ .

القول والرواية عن الإمام مالك .

القول الأول : من ذهب إلى تأديبه وعقابه بالحبس أو الضرب .

١) - احدى الروايتين والوجهين عن مالك وأحمد ، وهو قول ، إسحاق بن راهويه .

٢) - ابن أبي موسى .

٣) - عمر بن عبدالعزيز .

٤) - عاصم الأحول ، وغيرهم من التابعين[1] .

قال أبو طالب : سألت أحمد عن شتم أصحاب النبي - ﷺ - قال : « القتل أجبن عنه ، ولكن أضربه ضربا نكالا »[2].

وقال ابن المنذر : لا أعلم أحدا يوجب قتل من سب من بعد النبي ﷺ .

القول الثاني : وهذا القول يخالف الأول حيث أن صاحب هذا القول يرى وجوب قتل من سب الصحابة وكفر الرافضة :

وذلك احدى الروايتين والوجهين عن الإمام مالك وأحمد[3] .

٢) - محمد بن يوسف الفريابي .

٣) - أحمد بن يونس .

٤) - عبدالله بن إدريس .

٦) - الحسن بن الحسن .

٧) - أبوبكر عبدالعزيز .

٨) - الإمام الشافعي .

٩) - أبو عبيد القاسم بن سلام .

---

(١) انظر إعتقاد أهل السنة للألكائي ١٢٦١/٧ - ١٢٦٦ .

(٢) الصارم المسلول ١٠٥٥/٣ .

(٣) انظر السنة للخلال ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ اعتقاد أهل السنة اللالكائي ١٢٦٦/٧ - ١٢٧٠ ، الصارم المسلول ص٥٦٩ - ٥٧٠ .

وأصحاب هذا القول دعموه بما ورد من محكم التن يل في حق توقير وتقدير الصحابة مثل قوله تعالى : { محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود،ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ م الكفار }[١].

ووجه الدلالة من الآية أن الصحابة على أتم وأكمل وجه وهم المثل الأعلى ولذلك كان الكفار يغاظون م وينتقصون حقوقهم ويؤذو م فمن غيظ م وآذاهم سواه في القول أو العمل فقد شارك الكفار فيما أذلهم الله به ولايشارك الكفار أحد في غير مرضاة الله إلا من طبع الله في قلبه .

وأما من السنة مادل على قتل من سب الصحابة - رضوان الله عليهم فنصوص كثيرة منها - عن علي رضي الله عنه قال :« والذي فلق الحبة وبرأ النسمة،إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه: لايحبك إلا مؤمن،ولا يبغضك إلا منافق »[٢]، أي منافق نفاقاً شرعياً.

(ب) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لايبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر »[٣].

ولاشك أن من يحب الأنصار حبا حقيقيا فهو رجل مؤمن بالله واليوم الآخر، ومن أبغض الأنصار فهو كافر ويستوجب قتله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فمن سبهم فقد زاد على بغضهم ، فيجب أن يكون منافقا لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر ... »[٤].

---

(١) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

(٢) رواه مسلم ٨٦/١ .

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة . في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي - رضي الله عنهم - من الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه - ٨٦/١ برقم ١٣٠ .

(٤) كتاب الصارم المسلول ١٠٩٢/٣ .

وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة ومن أجل ذلك كفروا الرافضة .

قال محمد بن يوسف الفريابي[1] . وسئل عمن شتم أبابكر، قال : كافر ، قيل : فيصلى عليه ؟ قال : لا ، وسأله : كيف يصنع به وهو يقول لا إله إلا الله ؟ قال: لاتمسوه بأيديكم ، ادفعوه بالخشب حتى تواورنه في حفرته[2] .

وقال القاضي أبو يعلى : الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة : « إن كان مستحلا لذلك كفر ، وإن لم يكن مستحلا فسق ولم يكْفُر ، سواء كفّرهم أو طعن في دينهم مع إسلامهم »[3] .

وأما الشيخ ابن أبي زيد فقد ذكر فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أ م كانوا على ضلال وكفر : أنه يقتل . ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل به النكال الشديد . وروى عن مالك : من سب أبابكر جلد ومن سب عائشة قتل ، قيل له لم ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن .. »[4] .

ونلاحظ في حكم الشيخ ابن أبي زيد على من يسب الصحابة - رضوان الله تعالى - عنهم الاختلاف في الحكم عليهم حيث يقول مره بالكفر ومرة بعدمه ولعل هذا يرجع إلى العبارة التي تصدر من الساب وكذلك حسب إعتقاد الساب لما يتلفظ به ، أو عدمه ، لأن من القول مالا يمكن إطلاق الكفر على قائله ومنه ماهو متردد الحكم

---

(١) محمد بن يوسف بن واقد الضبي بالولاء ، التركي الأصل ، أبو عبدالله الفريابي : عالم بالحديث . من الحفاظ . أخذ بالكوفة عن سفيان ، وقرئ عليه بمكة ، ونزل قيسارية (بفلسطين) وتوفي ا . روى عن البخاري ٢٦ حديثا . وله ((مسند)) في الحديث ، ولد سنة ١٢٠هـ وتوفي سنة ٢١٢هـ . كتاب الأعلام ١٤٧/٧ - ١٤٨ .

(٢) ووجه ابن قدامة قول الفريابي فقال : ووجه ترك الصلاة عليهم أ م يكفرون أهل الإسلام ، ولا يرون الصلاة عليهم ، فلا يصلى عليهم كالكفار من أهل الذمة وغيرهم ولأ م مرقوا من الدين فأشبهوا المرتدين . انظر المغني مع الشرح ٦٥/١٠ . وقول الفريابي رواه الخلال في ((السنة)) ٤٩٩ برقم ٧٩٤ ، وابن بطة في (الشرح والإبانة) ١٦٠ برقم ١٩١ ، وذكره ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ٢٥٨ . وانظر هامش كتاب الصارم المسلول ١٠٦٢/٣ .

(٣) الصارم المسلول ١٠٦١/٣ .

(٤) كتاب الشفاء ٣٠٩/٢ ، للقاضي عياض .

فيه بين الكفر وعدمه وعلى هذا الأساس يمكننا القول بما يلي : -

من سبهم سبا لايقدح في عدالتهم ولافي دينهم - مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن ، أو قلة العلم ، أو عدم الزهد ، ونحو ذلك - فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزيز ، ولانحكم بكفره بمجرد ذلك ، وعلى هذا يحمل كلام الشيخ ابن أبي زيد وغيره من السلف الذين لم يروا تكفير من سب الصحابة .

الثاني : وأما من غلا في سبه أو وصف بعض الصحابة بالألوهية أو بالنبوة أو بالردة بعد الإسلام أو فسقهم ، فهذا لاريب في كفره ؛ لأنه مكذب لما نصه عليه القرآن في غير موضع ، من الرضي عنهم والثناء عليهم ، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين ، ولذلك حكم ابن أبي زيد بكفر من أنكر وجوب التقوى عند الغضب لأنه - عنده - جحد لما دلت عليه الآيات والسنن والإجماع[1] . مثل قوله تعالى : { كنتم خير أمة أخرجت للناس }[2] الآية . وخيرها هو القرن الأول ، كان عامتهم كفارا أو فساقا ، مضمو ا أن هذه الأمة شر الأمم ، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها ، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال، فإنه يتبين أنه زنديق وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم .

ومن أساء القول في حق صحابة الرسول ﷺ فإن مقتضى ذلك أن نقلة الكتاب والسنة والدين ليسوا أمناء بل كفاراً أو فساقاً ، وأن هذه الأية التي تنص على خيرية الصحابة وأفضليتهم على سائر أمة محمد عليه الصلاة والسلام: كقوله تعالى : { كنتم خير أمة أخرجت للناس }[3] ، ولاشك أن خيرهذه الأمة القرن الأول الذي شهد الرسول ﷺ لهم بالخير والصلاح ، وقد انعكس هذا المفهوم لدى هؤلاء السذج وعدلوا عن ذلك ورموهم بالكفر والفسق وصار مضمون الآية المذكورة إن هذه الأمة شر الأمم ، وأن سابقي هذه الأمة هم

---

(١) كتاب الشفاء ٣٠٩/٢ ، للقاضي عياض - و - فتاوى الإمام البرزلي ٣١٤/٤ظ ، والمعيار ٣٦٨/٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

شرارها ، وكُفْر هذا مما يعلم بالإضطرار من دين الإسلام ، ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال ، فإنه يتبين أنه زنديق ، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم .

وأما ابن أبي زيد فيخبرنا في كتابه الجامع بقدر الصحابة وما يجب علينا اعتقاده فيهم - رضوان الله عليهم - حيث إ م خير القرون المفضلة فيقول : « وأن خير القرون قرن الصحابة ثم الذين يلو م ثم الذين يلو م كما قال النبي - ﷺ - إذ إن أفضل الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، وقيل ثم عثمان وعلي ونكف عن التفضيل بينهما . روى ذلك عن الإمام مالك - رحمه الله - قال : ما أدركت أحدا اقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه ويرى أن الكف عنهما أولى .. والكف عن ذكر أصحاب رسول الله - ﷺ - : إلا بخير ما يذكرون به فإ م أحق الناس ان تنشر محاسنهم ويلتمس لهم أفضل المخارج ويظن م أحسن المذاهب . ثم قال ابن أبي زيد مستدلا بقول رسول الله - ﷺ - في أصحابه قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، لاتؤذوني في أصحابي فالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه[(١)].

وقوله عليه الصلاة والسلام : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا »[(٢)]. قال أهل العلم : « يعني لايذكرون إلا بأحسن ذكر »[(٣)].

٣) - أما من لعن وقبح مطلقا ، فهذا محل الخلاف فيهم ؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ ، ولعن الاعتقاد .

وهكذا كان دأب الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - غيوراً في دينه

---

(١) البخاري مع الفتح ١٧٠/١٤ برقم ٣٦٧٣ - عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي ﷺ : ((لاتسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولانصيفه . وصحيح مسلم مع شرح النووي ٩٢/١٦ .

(٢) انظر صحيح الجامع الصغير للألباني ٢٠٩/١ ، وقال أخرجه الطبراني عن ابن مسعود ، وثوبان، وابن عمر ، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير . وانظر السلسلة أيضاً في رقم ٣٤/١ .

(٣) كتاب الجامع ص١٤٦ - ١٤٧ .

وحريصاً على رد ما يعكر عقيدته كما تظهر لنا شدة تمسكه بالعقيدة السلفية الصحيحة وكذلك يظهر من حكمه بالفسق على الذين ينتهكون حرمة الدين أو يتهاونون عن معرفة ما علم من الدين بالضرورة و أجمع عليه المسلمون قاطبة من تكفير من يقدم عليه وإصدار الحكم بالقتل على كل من استحل القتل ، كما أنه يقطع بتكفير كل من كذب وأنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ﷺ ووقع الإجماع المتصل عليه كحكمه على من أنكر وجوب التقوى عند الغضب بالكفر لأنه عند الشيخ ابن أبي زيد كافر لأنه جحد ما دلت عليه الآيات والسنن والإجماع[1] .

ومما يدل على غيرته لدينه رفضه مناظرة الكفار واختيار الاجتزاء بدعو م للإسلام وطعنه الذين يرتضون مجالسهم وكان يتأسف لمثل هذا ويقول ذهب العلماء العاملون وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه ، وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين وبين الكفار ؟ ثم يجيب بما هو أقوى من هذا ويقول : ومثل هذه المناظرات لا ينبغي عقدها لأهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالإسلام وبمحمد عليه السلام ، وإنما يدعي من كان على بدعة من منتحلي الإسلام إلى الرجوع إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ثم تعقب ابن أبي زيد ذلك بحكمه الصارم فقال: فإن رجع المبتدع الخارج عن الجماعة الداعية لبدعته قبل منه ، وإن أبى ضربت عنقه أما الكفار فإنما يدعون إلى الإسلام ، فإن قبلوا كُف عنهم ، وإن أبو وبذلوا الجزية في موضع يجوز قبولها كُف عنهم ، وقبل منهم . وأما أن

---

(١) انظر فتاوى البرزلي ٣١٤/٤ظ ، والمعيار ٣٦٨/٢ . بتصرف

يناظروا على أن لايحتج عليهم بكتابنا ، ولا بسنة نبينا ، فهذا لايجوز . ﴿ فإنا لله وإنا إليه راجعون﴾[1] .

الفصل الخامس :

القضاء والقدر وموقف الشيخ ابن أبي زيد القيرواني منه :

إن قضية القضاء والقدر من أهم القضايا العقدية التي شغلت فكر الأمم والشعوب قديما وحديثا وليس من الغرابة أن تختلف نظرات الناس فيها إذا ابتعدوا عن الوحي الإلهي الم ل على النبي ﷺ وذلك لما يتعلق ا من الأمور الغيبية من العلم الإلهي السابق بالأشياء ، وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ .. وغير ذلك .

وكان العرب في الجاهلية مقرين بتقدير الله تعالى للأشياء وإحاطته ا ويذكرون به في اشعارهم ونثرهم من ذلك ما روى عن لبيد بن ربيعة حيث قال:

من يهده سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل[2]

وأثر عن النابغة الذبياني ما يعضد ذلك حيث يقول :

وليس امرؤ نائلا من هواه ... شيئا إذا هو لم يكتب[3]

وروى عن كعب بن زهير قوله :

لوكنت أعجب من شيء لأعجبن ... سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنفس واحدة والهم منتشر

---

(١)انظر جدوة المقتبس ١٠١/١ - ١٠٢ بتصرف .

(٢) الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ٧٦/٨ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، المصرية ، ١٩٣٦م .

(٣) تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ، الطبعة الأولى ، ص٥٥ ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطاء، القاهرة ، مطبعة حسان سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

والمرء ما عاش ممدود له أمل   لاتنتهي العين حتى ينتهي الأثر[1]

وكذلك الآيات التي حكت أقوالهم في الاحتجاج بالقدر ونسبة ذلك إلى مشيئة الله تعالى مثل قوله : { سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء }[2] .

ثم جاء الإسلام فرسخ عقيدة الإيمان بالقدر في النفوس وزادها شدة ، وجعلها ركنا من أركان الإيمان .

وفيما يلي أعرض بالذكر لأقوال الطوائف المختلفة في موضوع القضاء والقدر ثم أتبعه قول أهل السنة والجماعة فيه .

١) - مذهب القدرية : وهم فرقتان نظرا لاختلاف مقالهم حول القدر هل لله عزوجل سابق علم وتقدير لفعل العبد وبالتالي فهل لقدرة الله أثر في فعل العبد إلى هذا ذهبت طوائف سموا بالقدرية . وعرفوا بعد ذلك بالقدرية الأولى. وسميت بذلك لنفيهم القدر عن الباري وإثباته لأنفسهم وذلك زعما منهم بأن الإنسان هو الذي يقدر أعمال نفسه بعلمه ويخلقها بقدرته ، وبذلك يحقق قدره بنفسه ، والله تعالى لايعلمها إلا بعد وقوعها هؤلاء كانوا موجودين أيام عبدالله بن عمر رضي الله عنه وانقرضوا وبادوا[3] .

أما الطائفة الثانية فهم حكموا بأن فعل العبد له دون أدنى تأثير لقدرة الله في الفعل وهم المعتزلة فمذهبهم امتداد لمذهب أسلافهم من القدرية الغلاة الأوائل في نفي القول بالقدر ، وما يستتبع ذلك من القول بخلق العباد لأفعالهم الإختيارية وواضح أن نفيهم للقضاء والقدر الأزليين لما يرونه فيهما من معاني الجبر ، إلا أن المعتزلة يثبتون علم الله السابق بالأشياء قبل خلقها خلافا للقدرية الغلاة الذين

---

(١) العقد الفريد لابن عبدربه ٣٨١/٢ ، شرح وضبط وتصحيح أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، بيروت - دار الكتاب العربي ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٤٨ .

(٣) انظر المختار من كنوز السنة ، شرح أربعين حديثا ص١٨٠ ، الطبعة الثانية ، تقديم : بخاري أحمد عبده ، الاسكندرية مطابع الثقافة عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

ينكرون ذلك - كما أسلفت - ويقول الشهرستاني في تصوير مذهبهم « وأما الإختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي ، ويونس الأسواري في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر ، ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان تلميذا لحسن البصري وتلمذ عليه عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر»[1].

٣) - مذهب الجبرية : وكان أول من أظهر القول بالجبر الجهم من صفوان ، وذكر الشهرستاني بأنه من الجبرية الخالصة[2] . وهم يقولون : إن العبد مجبور في أفعاله كلها ، وأن الله تعالى أرادها بمشيئته وأنفذها بقدرته وحده ، وأن العباد لاقدرة لهم ولا استطاعة وإنما تنسب الأفعال إليهم على سبيل ا از ، كما يقال تحركت الشجرة ، وطلعت الشمس وأمطرت السماء إلى غير ذلك .

ومقتضى ذلك أن الجبرية يؤمنون بالقضاء والقدر ، وأن كل شيء في هذا الكون قد سبق به قضاء الله وقدره أزلا ؛ ولكن إيما م بالقضاء والقدر لايتوقف عند إثبا م للعلم الإلهي السابق بكل ما في الكون من أفعال اضطرارية أو إختيارية ولكنه يتعدى ذلك إلى القول بالجبرية المطلقة لله تعالى في كل ما قضاه وقدره حتى تشمل هذه الجبرية جميع أفعال العباد . بإطلاق دون أي تدخل لقدرة العبد أو إرادته للفعل .

٣) - مذهب الأشاعرة : -

القضاء عند الأشاعرة هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ماهي عليه فيما لايزال . والقدر : هو إيجاده إياها على قدر مخصوص ، وتقدير معين في ذوا ا وأحوالها .

ويذهب الأشاعرة إلى أن كل كائن في هذا الكون فهو بقضاء الله وقدره ، خيره وشره وأنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأن الله خالق أفعال العباد خيرها وشرها ، وأن قدرة العباد ليس لها تأثير في أفعالهم ، اللهم إلا مجرد

---

(١) الملل والنحل ٣٠/١ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٧٢/١ .

مقارنتها للقدرة القديمة في خلق هذه الأفعال ، وهو ما يسمونه كسبا[1] .

وأما الماتريدية فيذهبون إلى أن القضاء والقدر هو الحكم بالشيء والقطع على ما يليق به ، وهو إيجاد الله تعالى الأشياء على وجه الأحكام والإتقان ، والقدر هو الحد الذي يخرج عليه كل شيء من خير أو شر ، من حسن أو قبح، من حكمة أو سفه ، وبيان ما عليه يقع كل شيء من زمان ومكان ، وحق وباطل ، وماله من الثواب والعقاب .. الخ[2] .

ويذهب الماتريدية إلى أن كل حادث فهو بقضاء الله وقدره ، وأن الله تعالى خلق جميع الكائنات بما في ذلك أفعال العباد ، فقد خلقها الله تعالى وكسبها العباد ، غير أن كسب العباد عند الماتريدية يختلف عنه عند جمهور الأشعرية ، وذلك لما يثبتون من تأثير عزم العبد المصمم في إيجاد الفعل مما يدل على أن للعبد مدخلا في إيجاد الفعل لامجرد المقارنة كما يقول الأشاعرة.

يقول الشيخ عبدالرحيم شيخ زاده : « ذهب مشايخ الحنفية إلى أن أصل الفعل بقدرة الله تعالى وتكوينه والإتصاف بكونه طاعة أو معصية بقدرة[3] العبد.

مذهب أهل السنة :

يذهب أهل السنة إلى أن كل شيء بقضاء الله وقدره ، وهو ركن من أركان الإيمان ، ولايصح الإيمان إلا به ، وأن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزما ا قبل إيجادها ، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد ، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته وكتابته[4] . والقضاء والقدر عند أهل السنة على أربع مراتب كما جاءت في القرآن الكريم وكما أخبر ا الصادق المصدوق الأولى : علمه السابق بالأشياء قبل كو ا ، وبما هم عاملوه قبل إيجادهم ، فقد علم الله تعالى

---

(١) المصطلحات الكلامية في أفعال الله تعالى عرض ونقد رسالة الماجستير مقدمة من الطالب أحمد محمد طاهر عمر . ص٢٠٩ . جامعة أم القرى سنة ١٤١٤هـ .

(٢) كتاب التوحيد للماتريدي ص٣٠٦ - ٣٠٧ ، والتمهيد للنسفي ص٣٣٢ - ٣٣٣ ، وتبصرة الأدلة ١٦٣/٢ - ١٦٤ .

(٣) نظم الفرائد ص٧٢ - ٧٣ ، ورسالة الماجستير أحمد محمد طاهر عمر ص٢١١ .

(٤) فتح الباري ١١٨/١ .

ماكان وما سيكون ومالم يكن أن لو كان كيف كان يكون ، قال تعالى : { وهو بكل شيء عليم }[1] . وقال تعالى : { وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون }[2] . فدلت هذه الآية على أنه تعالى عالم بما ستكون عليه ذرية آدم قبل خلقهم وقال تعالى: { وأن الله قد أحاط بكل شيء علما }[3] .

ومن السنة : عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به ، فرفع رأسه فقال : « مامنكم من نفس إلا وقد علم م لها من الجنة والنار » . قالوا يا رسول الله ، فلم نعمل؟ أفلا نتكل ؟ قال : « لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

ثم قرأ : { فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ... إلى قوله تعالى : فسنيسره لليسرى }[4] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ : سئل عن أولاد المشركين ، فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين »[5] . وهو قول الأكثر ، وأما أولاد المؤمنين فقيل في الجنة وقيل يبتلون يوم القيامة.

ومعنى الحديث : الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كو ا . قال تعالى : { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون }[6] .

وقد ذكر العلامة ابن القيم أن أصح ما قيل في هذه الآية ان الزبور جميع

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠ .

(٣) سورة الطلاق آية : ١٢ .

(٤) الليل : ٥ – ٧ ، رواه مسلم في صحيحه ٢٠٤٠/٤ .

(٥) صحيح البخاري ١٠٤/٢ ، باب في الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين : وصحيح مسلم ٢٠٤٩/٤ ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، حديث رقم ٢٦٥٩ .

(٦) سورة الأنبياء آية : ١٠٥ .

الكتب المنزلة من السماء لاتختص بزبور داؤود عليه الصلاة والسلام والذكر: أم الكتاب الذي عندالله ، والأرض الدنيا ، وعباده الصالحون أمة محمد ﷺ وقال تعالى : { إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين }[(١)]،فجمع بين الكتابين الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم والكتاب المقارن لأعمالهم. وقال تعالى:{ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير }[(٢)]

ومن السنة أيضاً :

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء »[(٣)].

عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - قال : كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال : « يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف »[(٤)].

المرتبة الثالثة : مشيئة المتنأولة لكل موجود ، فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لاخروج له عن علمه .

---

(١) سورة يس آية : ١٢ .

(٢) سورة الحديد آية : ٢٢ .

(٣) رواه مسلم ٢٠٤٤/٤ ، كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، حديث رقم ٢٦٥٣ .

(٤) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ٦٦٧/٤ ، وانظر مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ٢٣٣/٤ ، والسنة لابن أبي عاصم بتحقيق الألباني ١٣٨/١ - ١٣٩ .

الأدلة على هذه المرتبة : أولاً : من القرآن :

١) - قال تعالى : { ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها }[١] الآية .

٢) - قال تعالى : { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا }[٢].

٣) - قال تعالى : { وما تشآؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين }[٣] .

ثانياً : من السنة :

١) - عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي - ﷺ - يكلمه في بعض الأمر فقال الرجل لرسول الله - ﷺ - : ماشاء الله وشئت . فقال رسول الله - ﷺ - : « أجعلتني لله ندا ؟ بل ماشاء الله وحده »[٤].

٢) - عن حذيفة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال : « لاتقولوا ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ماشاء الله ثم شاء فلان »[٥].

المرتبة الرابعة :

الخلق ، أي : خلق الله سبحانه للأعمال وإيجاده لها .

الأدلة على هذه المرتبة :

أولاً - من القرآن :

١) - قال تعالى : { الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل }[٦] .

٢) - قال تعالى : { والله خلقكم وما تعملون }[٧] .

---

(١) سورة السجدة آية : ١٣ .

(٢) سورة يونس آية : ٩٩ .

(٣) سورة التكوير آية : ٢٩ .

(٤) رواه أحمد في المسند ٢١٤/١ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢١٦/١ - ٢١٧ .

(٥) رواه أحمد في المسند ٣٨٤/٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢١٤/١ - ٢١٥ .

(٦) سورة الزمر آية : ٦٢ .

(٧) سورة الصافات آية : ٩٦ .

ثانيا : من السنة :

١) - عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : قال النبي - ﷺ - :

« إن الله يصنع كل صانع وصنعته »[1] . وهذه المرتبة تعني خلق الله - عزوجل - الأعمال وتكوينه وإيجاده لها . وهذا أمر متفق عليه بين الرسل - ﷺ ، وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار ، وخالف ذلك مجوس[2] الأمة، وعنهم أن الله لايقدر أن يهدي ضالا ، ولايضل مهتديا ، ولايقدر أن يجعل المسلم مسلما والكافر كافرا والمصلى مصليا ، وأن الأمر أنف[3] .

فهذه هي مراتب القضاء والقدر عند أهل السنة ، إذهم يؤمنون بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة ، وأنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن . وقد انتهج السلف في كل إعتقادهم منهجا وسطا بين طرفي الإفراط والتفريط ، كما قسموا الإرادة إلى إرادتين : إرادة كونية قدرية وإرادة دينية أمرية شرعية .. كما أ م قد أقروا كلا من الطرفين المتناقضين (الجبرية والقدرية) على ما عندهم من

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص٣٩ رقم ١١٧ ، وابن أبي عاصم في السنة ١٥٨/١ ، والحاكم في المستدرك وصححه ووافق عليه الذهبي ٣١/١ . قال الألباني : وهو كما قالا . انظر السلسلة الصحيحة ١٨١/٤ .

(٢) سماهم الرسول ﷺ ذا الاسم لأ م صرفت الخير يزدان ، والشر إلى أهرمن . انظر شرح صحيح مسلم للنووي ص١٥٤ .

(٣) انظر شرح المواقف في علم الكلام للسيد علي بن محمد الجرجاني ص٣٠٢ - ٣٠٣ ، بتحقيق الدكتور أحمد المهدي .

الحق وما أصابوا فيه ، ونبذوا ما إعتقدوه من الباطل وابتدعوه ، صوبوا الجبرية في إثبا م مشيئة الله العامة وقدرته النافذة وفي خلق الله لجميع الكائنات ، وخطأوهم في سلب القدرة والإرادة والمشيئة عن العبد . وصوبوا المعتزلة والقدرية في إثبا م قدرة العبد ومشيئته وأنه يفعل حقيقة ، وخطأوهم في إنكارهم خلق الله لأفعال العباد ، ونفيهم مشيئة الله العامة وأن يكون قادرا على مقدور العبد. وهذا ما قرره الشيخ ابن أبي زيد في مقدمة رسالته حيث قال:(والإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره ، وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه كل شئ قبل كونه فجرى على قدره لايكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به،"ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" ، يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله ، فكل ميسر بتيسيره الى ما سبق من علمه وقدره من شقي أوسعيد،تعالىأن يكون في ملكه مالا يريد وأن يكون لأحد عنه غنى أو يكون خالق لشئ إلا هو رب العباد ، ورب أعمالهم المُقدر لحركا م وآجالهم) [1] . وللسلف الصالح أدلة من القرآن والسنة تؤكد الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره ومنها قوله تعالى :١) - { ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا }[٢] وقوله تعالى { إنا كل شيء خلقناه بقدر }[٣] . وقوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم }[٤] . وقوله تعالى : { وكان امر الله قدرا مقدورا }[٥] .

ومن السنة المطهرة مرويات عديدة دالة على معنى القدر منها رواية عبادة بن الصامت لابنه،يا بني سمعت النبي ﷺ يقول:(إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له اكتب فقال رب وماذا أكتب ؟ قال:أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)

---

(١)رسالة ابن ابي زيد القيرواني ص ١١ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٢ .

(٣) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٤) سورة يس آية : ٣٨ .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٨ .

يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول:« من مات على غير هذا فليس مني »[(١)].

وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ -: « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز »[(٢)] .وقال « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف،وفي كل خير أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء،فلا تقل: لو أني فعلت،كان كذا وكذا،ولكن قل:قدر الله وماشاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان »[(٣)].

وقال - ﷺ - في حديث عمر رضي الله عنه - عندما سأل جبرئيل عليه السلام عن الإيمان : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »[(٤)].

وعن علي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر »[(٥)].

وعن ابن الديلمي قال : أتيت أبي بن كعب فقلت له : وقع في نفسي شيء من القدر ، فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي فقال : « لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذ م وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا

---

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم ص١٩،وما بعدها ، الطبعة المصرية الباب الأول في تقدير المقادير الخ .

(٢) رواه مالك في الموطا ٨٩٩/٢ ، ومسلم ٢٠٤٥/٤ ، وانظر التمهيد لابن عبدالبر ١٢/٦ - ١٤

(٣) المصدر السابق .

(٤) صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب وصف جبرئيل للنبي- ﷺ -الإسلام، والإيمان رقم ٨. والترمذي : فيه أيضاً رقم ٢٧٣٨ ، وأبو داؤد في السنة : باب في القدر ، رقم ٤٦٩٥ ، والنسائي في الإيمان باب نعت الإسلام ٩٨/٨ ، وأخرجه البخاري ، من حديث أبي هريرة ، في الإيمان ، باب سؤال جبرئيل النبي - ﷺ - ١١٤/١ ، ومسلم ، رقم ٩ - ١٠ ، وأبو دأوؤد رقم ٤٦٩٨ ، والنسائي ١٠١/٨ .

(٥) أخرجه أبو داؤد الطيالسي ٢٢/١ ، والترمذي رقم ٢١٤٥ ، ٤٥٣/٤ ، وابن ماجه في المقدمه ٨١ ، واسناده صحيح وصححه الحاكم ٣٢/١ - ٣٣ ، على شرطهما ووافقهما الذهبي - انظر هامش شرح السنة للبغوي ١٢٣/١ .

لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار » . قال : ثم أتيت عبدالله بن مسعود فقال مثل ذلك : قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك . قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي - ﷺ - مثل ذلك »[1].

أقوال السلف في القضاء والقدر : -

قال أبو المظفر السمعاني[2] : سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل ، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في إبحار الحيرة ، ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب ، لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة ، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب . وقيل : إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولاينكشف لهم قبل دخولها [3] .

وقد كتب رجل رسالة إلى عمر بن عبدالعزيز يسأله عن القدر ، فكتب : أما بعد ، فأوصيك بتقوى الله ، والإقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه - ﷺ - وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت سنته ، وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة - فإ ا لك - بإذن الله - عصمة ... كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر فعلى الخبير - بإذن الله - وقعت ، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثرا ولا أثبت أمرا من الإقرار بالقدر ، لقد كان ذكره في الجاهلية ، الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم ، يعزون به أنفسهم على ما فا م ، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة ، ولقد ذكره رسول الله - ﷺ - في غير حديث

(١) سنن أبي داؤد كتاب السنة باب في القدر رقم ٤٦٩٩ ، ٢٢٥/٤ ، وانظر شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد ص١٧٧ - ١٨٠ .

(٢) أبو المظفر السمعاني :- هو منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني الشافعي مفسر من العلماء بالحديث ، مروزي مولداً ووفاة ، كان مفتي خراسان وهو جد السمعاني صاحب الأنساب . توفي سنة٤٨٩ .

(٣) فتح الباري ٤٧٧/١١ .

ولا حديثين ، ولقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته ، وبعد وفاته ، يقينا وتسليما لر م ، وتضعيفا لأنفسهم ، أن يكون شيء لم يحط به علمه ، ولم يحصه كتابه ، ولم يمض فيه قدره ، وإنه مع ذلك لفي محكم كتابه : منه إقتبسوه ومنه تعلموه ، ولئن قلتم : لم أنزل الله آية كذا ولم قال كذا لقد قرأوا منه ما قرأتم وعلموا من تأويله - أي تفسيره - ما جهلتم ، وقالوا بعد ذلك : كله بكتاب وقدر ، [وكتبت الشقأوة] وما يقدر يكن ، وما شاء الله كان ومالم يشألم يكن ، ولا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا ، ثم رغبوا بعد ذلم ورهبوا »[1] .

قال الإمام البيهقي - رحمه الله تعالى - الإيمان بالقدر : هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما سيكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات ، وصدور جميعها عن تقدير منه ، وخلق لها خيرها وشرها[2] .

قلت : وهذا المفهوم يدل عليه ما تضمنته الكتب السلفية من الروايات والآيات في هذا الباب مثل الآجري في الشريعة ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وابن القيم في شفاء العليل ، والبيهقي في الاعتقاد وغيرهم من أهل العلم والمعرفة[3] .

وللشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - مواقف إيجابية في القضاء والقدر ورأيه يواطئ رأي الإمام مالك بن أنس : كما يرى الشيخ ابن أبي زيد أن الإيمان بالقدر لايتنافى مع الأخذ بالأسباب وهذا هو معتقد ابن أبي زيد كما ذكره عنه المحققون[4] ، ومما يبرز موقفه من القدر ما ذكره في كتابه الجامع عن قول النبي - ﷺ - في الوباء : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم ا

(١) انظر سنن أبي داؤد كتاب السنة باب لزوم السنة رقم ٤٦١٢ ٢٠٢/٤ - ٢٠٤ ، وانظر شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة ص١٧٤ - ١٧٥ ، للشيخ الأمين الحاج محمد أحمد.

(٢) الإعتقاد للبيهقي ص٥٣ - ٥٤ .

(٣) انظر الآجري في الشريعة ص١٧٦ - ١٩٠ ، واللالكائي ص٥٢١ - ٦٦٠ ، وشفاء العليل من ص٦ - ١٢٠ ، والبيهقي في الاعتقاد ص٥٣ - ٧٧ .

(٤) انظر المعيار ٢٤٣/١٢ - ٢٤٧ ، وكتاب الدولة الصنهاجية لروجي إدريس ٣٠٦/٢ وما بعدها .

فلا تخرجوا فرارا منه »[1] .

ويفهم من موقف ابن أبي زيد في استدلالهم ذا الحديث أن الله قد يقدر وقوع شيء فيما فر منه فلو فعله وتركه لكان من قدر الله ، فهما مقامان :

١) - مقام التوكل . ٢) - مقام التمسك بالأسباب[2] .

ثم استدل ابن أبي زيد بقول الإمام مالك حين سئل عن البلد يقع فيه الموت وأمراض . هل يكره الخروج إليه ؟ قال : ما أرى بأسا خرج أو أقام . قيل : فهذا شبه ماجاء به الحديث من الطاعون ؟ قال : نعم[3] .

---

(١) ذكر الإمام مالك في الموطأ ٢٩٤/٢ - ٢٩٧ ، عن عبدالله بن عباس : أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام ، حتى إذا كان بِسرغ لقيه أمراء الأجناد . أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه ان الوباء قد وقع بأرض الشام . قال ابن عباس ، فقال عمر بن الخطاب : ادع لي المهاجرين الأوليين ، فدعاهم فاستشارهم ، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ، ولا نرى ان ترجع عنه . وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ . ولانرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال عمر : ارتفعوا عنى . ثم قال : ادع لي الأنصار . فدعو م فاستشارهم . فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح . فدعو م فلم يختلف عليه منهم اثنان . فقالوا : نرى ان ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء . فنادى عمر في الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه . فقال أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم . نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان . إحداهما مخصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ؟ وإن رعيت الجدبةَ رعيتها بقدر الله ؟ فجاء عبدالرحمن ابن عوف ، وكان غائباً في بعض حاجته ، فقال : إن عندي من هذا علما . سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : ((إذا سمعتم به بأرض فلا تقْدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم ا ، فلا تخرجوا فرارا منه)) . قال فحمد الله عمر ، ثم انصرف . أخرجه البخاري في ٧٦ - كتاب الطب ، ٣٠ - باب مايذكر في الطاعون ، ومسلم في ٣٩ ، كتاب السلام ، ٣٢ ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ، ٩٨ وابن أبي زيد في كتابه الجامع ص٢٧٠ ، البيان والتحصيل ٣٠٩٦/١٧ .

(٢) فتح الباري ١٨٥/١٠ .

(٣) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص٢٧٠ .

واستدلال ابن أبي زيد وقد حمله المحققون إن صح هو في حق من قام بقلبه التوكل ، فكأنه يرى النهي في الحديث للت يه لا للتحريم وأنه يجوز القدوم عليه لمن قوي توكله وصح يقينه ، وإنما يتحقق النهي لما قد يحصل ممن يقدم فيصاب بالوباء بتقدير الله ، فيعزو ذلك إلى السبب - وهو - مجيئه - وأنه لولم يأت لم يصب . وقد علم بالضرورة أنه ليس هناك مجير لأحد عن القدر فهذا هو وجه استدلال ابن أبي زيد بقول مالك ما أرى بأسا إن خرج أو أقام أي لاحرج عليه إن قدم على البلد في مخالفة النهي ، إذ ليس بنهي تحريم ، بل له الأجر إن شاء الله إذا قدم عليه موقنا بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فهو يؤجر إذا قدم عليه لهذا الوجه ، ويؤجر إذا لم يقدم عليه لإتباع ي النبي عليه السلام عن ذلك[1] .

فقد روى عن ابن مسعود أنه قال : الطاعون فتنة على المقيم وعلى الفار ، أما الفار فيقول : فررت فنجوت ، وأما المقيم . فيقول : أقمت فهلكت ، وكذبا جميعا ، فر من لم يجيء أجله ، وأقام فمات من جاء أجله ، وقد قال المدائني يقال إنه قل مافر أحد من الطاعون فسلم من الموت .. »[2] .

ولهذا يقول ابن أبي زيد : « والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره وكل ذلك قد قدره الله ربنا ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره لايكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به[3] { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .. }[4] .

والقدر عند أهل السنة والجماعة ، يجب الإيمان به ، خيره وشره ، وحلوه ومره ، والله قدر ذلك تقديرا كما ذكر ذلك الشيخ ابن أبي زيد رحمه الله تعالى.

وأما ما يتعلق بمسألة أفعال العباد ، هل هم مخيرون أم مجبرون على الفعل، أو

---

(١) البيان والتحصيل لابن رشد ٣٩٦/١٧ - ٣٩٧ .

(٢) البيان والتحصيل ٣٩٨/١٧ - ٣٩٩ ، وانظر منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٣٦٥ .

(٣) الرسالة لابن أبي زيد القيرواني مع شرحها ص١١ .

(٤) سورة الملك آية : ١٤ .

أن لهم شيئا من الاستطاعة يكتسبون به أفعالهم ؟ .

وقد احتذى الجبرية[1] بأن العبد مجبور على أفعاله مقهور عليها دون تأثير له في وجودها البتة ، وهي واقعة بإرادته وإختياره ، وزادوا في كلامهم بـ ـل هـ ـي عين أفعال الله ، ولاتنسب إلى العبد إلا على ا از ، وأهل السنة ، لامع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه ، ومع هؤلاء فيما أصابوا فيه ، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقو م فيه ، فالسلف يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال والمشيئة ، ويثبتون القدر ، وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ، وأنه ماشاء كان ومالم لم يشأ لم يكن ، والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه ، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته »[2] .

ومذهب أهل السنة أن الأفعال مخلوقة لله تعالى أصلا ، إذ هو المقدر للحركات والآجال وكل الأعمال ، غير أن الله أكسب عباده قدرة واستطاعة على تلك الأفعال ، فيسرهم بذلك إلى ماسبق من علمه وقدره ، و ذا تعين مجال التكليف واتضحت مسئوليتهم عن كل ما يفعلون وما يتركون .

ويقول الشيخ ابن أبي زيد في هذه المناسبة : « والله يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد تعالى أن يكون في ملكه مالا يريد أو يكون لأحد عنه غني أو يكون خالق لشيء إلا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركا م وآجالهم الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم »[3] .

---

(١) الجبر : هو نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لاتثبت للعبد ، فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا ، والجبرية المتوسطة أن تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا ، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما ، في الفعل وسمي ذلك كسبا فليس بجبري . الملل والنحل للشهرستاني ٧٢/١ ، بتعليق الأستاذ أحمد فهمي محمد .

(٢) شفاء العليل ص١١٤ - ١١٥ ، وانظر شرح صحيح مسلم للنووي ص١٠٤ ، في إثبات القدر.

(٣) الرسالة مع شرحها ص١١ .

و ـذا يكون أهل السنة على خلاف تام مع القدرية[1] الذين يذهبون إلى حرية الإرادة الإنسانية ، فالعباد خالقون لأفعالهم ، بقدرة خلقها الله فيهم قبل الفعل ، وللجبرية الذين يرو ـم مجبورين على أفعالهم ، ولا كسب ولا استطاعة، فهم مسيرون وليسوا مخيرين .

ويجدر بالذكر أننى لم أعثر على أي إشارة إلى الكسب عند السنيين الأفارقة وحتى الشيخ ابن أبي زيد الذي عاصر الأشعري لم يشر إلى ذلك .

وهو مما يؤكد لنا عدم تأثره بالأشعرية وأنه لم يدخلها إلى إفريقية بل كان ذلك على يد أبي الحسن القابسي صاحب ابن أبي زيد وقد انتهى إلى هذا القول أيضاً الدكتور عبدا ـيد حمده[2] .

---

(١) والجدل حول أفعال العباد ظهر بإفريقية مند عهد مبكر ، ووقف السنيون في وجه القدرية ، يفندون مقالتهم وكتبوا جملة رسائل في الرد عليهم ، تدحض مذهبهم وتبين ضلالتهم . وعلى رأس هؤلاء ابن أبي زيد الذي كتب رسالة في الرد على القدرية ، وأحمد بن يزيد المعلم (ت٢٨٤/٨٩٧م) ، ويحيى بن عون (ت٢٩٨/٩١٠) وقد اكتشف محمد طالبي نصين لهما ، في الرد على القدرية ، وأحمد بن نصر الداأودي الآبدي (ت٤٠٢-١٠١١) .

ومناقشة ابن أبي زيد مع القدرية قد تعرضت لسطوة الزمن ولكني أذكر مناقشة أخرى لإتاحتنا الضوء عما مضت من هذه المناقشات وذلك أن على بن زياد التونسي ناقش أبا محرز (ت١٤٠/٨٠٥م) في القدر وأفعال العباد ، قال علي لأبي محرز وكان قدريا ، بلغني عنك أنك تقول إن إبليس يستطيع السجود ، فإذا كان يستطيع السجود فكيف يجوز لك أن تلعنه ، فلعله قد سجد ؟ فحير أبو محرز ، وأخذ يتكلم في غير الجواب المطلوب . وابن زياد يكرر ذلك عليه ، وهو يحيد عن الجواب . وغيرها من المناقشات المحفوظة . انظر كتاب المدارس الكلامية للدكتور عبدا ـيد حمده ص٦١ .

(٢) انظر كتاب المدارس الكلامية ص٦٠ .

الفصل السادس

اليوم الآخر ومافيه

وفيه خمسة مباحث :

١) - إيمان أهل السنة بوجود الجنة والنار.

٢) - الميزان .

٣) - الصراط .

٤) - الحوض .

٥) - عذاب القبر ونعيمه .

المبحث الأول :

إيمان أهل السنة بوجود الجنة والنار :

يذهب أهل السنة والجماعة إلى الإيمان بأن الجنة والنار حق وأ ما موجودتان الآن وخالدتان ولاتفنيان وأن الجنة التي أُهبط منها آدم هي نفس الجنة التي أعدها الله دارا لعباده الصالحين وليست بستانا من بساتين الأرض كما زعم ذلك أهل الزيغ والطغيان .[1]

(١) وقد ذكر ابن قيم الجوزية هذه المسأله وتناولها من عدة أوجه ويقول : (واختلف في الجنة التي أسكنها الله آدم على قولين أحدهما أ ا جنة الخلد ، الثاني أ ا جنة أعدها الله لهما وجعلها دار إبتلاء ، وليست جنة الخلد التي جعلها الله دار جزاء. ومن قال ذا اختلفوا فيه على قولين أحدهما : أ ا في السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن ، الثاني : أ ا في الأرض لأنه أمتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي يا عنها دون غيرها ⇦

وقد ذهبت المعتزلة والخوارج خلافا لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة إلى القول بأ ما لم تخلقا[1] وفي هذا يقول الشهرستاني في تصوير مذهب المعتزلة: « ومن بدعهم أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن ، إذ لا فائدة في وجودهما ، وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع ويتضرر ما،وبقيت هذه المسألة إعتقادا للمعتزلة »[2] .

وللهشامية رأيان : فالمتقدمون منهم يقولون بتكفير من قال إن الجنة والنار مخلوقتان والمتأخرون منهم شكوا في وجودهما اليوم ولم يقولوا بتكفير من قال إ ما مخلوقتان والحكم القاطع بالتكفير أو التوقف فيه خلاف مذهب أهل السنة والجماعة .

أدلة أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن ومعدتان من

من الثمار وهو قول ابن يحيى . وكان ذلك بعد أن أمر ابليس بالسجود لآدم . وقال ابن الخطيب في تفسيره نقلا عن أبي القاسم البلخي وأبو مسلم الأصبهاني هذه الجنة في الأرض ، وحملا الإهباط على الإنتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله تعالى : { اهبطوا مصراً }. القول الثاني وهو قول الجبائي أن تلك كانت في السماء السابعة قال والدليل عليه قوله {اهبطوا} ثم إن الإهباط الأول كان من السماء السابعة إلى السماء الأولى والإهباط الثاني كان من السماء إلى الأرض. القول الثالث : وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هي دار الثواب ، والدليل عليه هو أن الألف واللام في لفظ الجنة لايفيد العموم لأن سكنى آدم جميع الجنان محال فلا بد من صرفها إلى المعهود السابق والجنة المعهودة المعلومة بين المسلمين هي دار الثواب فوجب صرف اللفظ إليها . القول الرابع : أن الكل ممكن والأدلة النقلية ضعيفة ومتعارضة فوجب التوقف وترك القطع .

قلت : نرى بطلان قول أهل البدع من ضلال المعتزلة ومن سلك طريقهم حيث قالوا إن الجنة والنار لم تخلقا بعد، ويقولون إن الجنة التي أهبط منها آدم إنما كانت بشرقي الأرض. والآيات القرآنية والآثار عديدة ترد على تراها م ، وأهل السنة والجماعة قالوا بخلق الجنة والنار وبوجودهما وهي نفس الجنة التي أسكنها الله آدم وامرأته وأخرجهما منها وهي دار الثواب والجزاء . انظر كتاب مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ص٢٠-٣٦ .

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١٦٨/٢ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٦٤/١ .

الكتاب والسنة :

١) - قوله تعالى : { وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين }[1] .

٢) - وقال تعالى : { سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم }[2] وكون الجنة أعدت للمؤمنين المتقين يقتضي خلقهما ووجودهما الآن .

أما فيما يتعلق بخلق النار فدليله قوله تعالى : حكاية عن حال آل فرعون في البرزخ :

١) - { النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب }[3] وظاهر أن الآية تتحدث عن حال آل فرعون في البرزخ قبل يوم القيامة وأ م يعرضون على النار غدوا وعشيا - وتحقيق هذا العرض يقتضي وجودهما الآن أما في يوم القيامة فإ م يدخلو ا .

كما أن هناك روايات عديدة صحت عن النبي ﷺ تؤكد خلق الجنة والنار وإعدادهما ووجودهما الآن قوله عليه الصلاة والسلام : وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار »[4] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فاقروا إن

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣٣ .

(٢) سورة الحديد آية : ٢١ .

(٣) سورة غافر آية : ٤٦ .

(٤) البخاري في كتاب بدء الخلق باب ماجاء في صفة الجنة وأ ا مخلوقة (رقم ٣٢٤٠) .

شئتم : { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين }[1] .

تعليق :

- وفيما يتعلق بخلق النار : يقول ابن القيم :

ولهذا كان فرعون وقومه في أشد العذاب من ذلك ، لأ م إنما دخلوا أشد العذاب تبعا له وذلك بعد مما م قبل يوم القيامة في الحياة البرزخية فإنه هو الذي استخفهم فأطاعوه ، وغرهم فاتبعوه . ولهذا يكون يوم القيامة إمامهم وفرطهم في هذا الورد ...[2] ، فهم يعرضون بعد مما م على النار غدوا وعشيا قبل يوم القيامة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب[3] ...

أن الرسل عليهم الصلاة والسلام قبل محمد أنذروا بالقيامة الكبرى تكذيبا لمن نفى ذلك ، وقال عن المنافقين : { سنعذ م مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم }[4] . قال ابن تيمية في بيان وجه الاستدلال بالآية عند غير واحد من العلماء : المرة الأولى في الدنيا والثانية في البرزخ : { ثم يردون إلى عذاب عظيم } في الآخرة)[5] (وقال بذلك جموع من السلف ومنهم ابن عباس ، والثوري ومجاهد ، وابن جريج والحسن البصري ..)[6] .

رأي أهل السنة والجماعة في **وجود الجنة والنار : -**

على ضوء ما أفادتنا به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة وجدنا عقيدة أهل السنة والجماعة ملتزمة بدلالة هذه النصوص الصريحة الدالة على وجود كل من الجنة والنار الآن . يترجم عن هذا المعتقد ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية ويقول : « إن الجنة والنار مخلوقتان إتفق أهل السنة على أن

---

(١) السجدة آية : ١٧ ، البخاري في كتاب بدء الخلق باب ماجاء في صفة الجنة وأ ا مخلوقة (رقم ٣٢٤٤) .

(٢) انظر طريق الهجرتين ص٧٠٩ - ٧١٠ .

(٣) عقيدة الإمام ابن قتيبة للدكتور على العليا ص٢١٤ .

(٤) سورة التوبة الآية : ١٠١ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٦/٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ٣٨٤/٢ - ٣٨٥ .

الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ، ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية ، فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما الله يوم القيامة !! »[1].

وقال الحافظ ابن حجر شارحا المراد من العنوان الذي ذكره البخاري وهو « باب ماجاء في صفة الجنة وأ ا مخلوقة » أي موجودة الآن ، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم من المعتزلة أ ا لاتوجد إلا يوم القيامة ، وقد ذكر المصنف في الباب أحاديث كثيرة دالة على ماترجم به : فمنها مايتعلق بكو ا موجودة الآن ، ومنها ما يتعلق بصفتها ، وما ذكره في ذلك أخرجه أحمد وأبو دأود وغيرهما باسناد قوي[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة ، وأهل السنة والجماعة : وهي جنة الخلد ، ومن قال : إ ا جنة في الأرض بأرض الهند ، أو بأرض جدة ، أو غير ذلك، فهو من المتفلسفة والملحدين ، أو من إخوا م المتكلمين المبتدعين ، فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة .

والكتاب والسنة يرد هذا القول . وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول . قال تعالى : { وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين[3] ، وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة }[4] الآية .

وقوله تعالى : { ... وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين }[5] . فقد أخبر أنه سبحانه أمرهم بالهبوط وأن بعضهم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٦١٤/٢ - ٦١٥ .

(٢) البخاري مع الفتح ٣٢٠/٣ ، وكتاب شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني ص٣٥٩ ، للأستاذ الأمين الحاج .

(٣) سورة البقرة آية : ٣٤ .

(٤) سورة البقرة آية : ٣٥ .

(٥) سورة البقرة آية : ٣٦ .

عدو لبعض ، ثم قال : { ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين } .

وهذا يبين أ م لم يكونوا في الأرض وإنما اهبطوا إلى الأرض ؛ فإ م كانوا في الأرض وانتقلوا إلى أرض أخرى كانتقال قوم موسى من أرض إلى أرض لكن مستقرهم ومتاعهم إلى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده ؛ وكذلك قال في الأعراف لما قال إبليس : { أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين ، قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين }[1].

وقوله : { قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين }[2] .

{ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين }[3] قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو » فتكرار الأمر بالهبوط في الآيتين لكل من إبليس وآدم وحواء يفيدان أن الإهباط إلى الأرض إنما كان من غيرها إليها .

{ قال فيها تحيونَ وفيها تموتون ومنها تخرجونَ }[4] . دليل على أ م لم يكونوا قبل ذلك بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون ، وإنما صاروا إليه لما أهبطوا من الجنة . ومقتضى كلام ابن تيمية سابقا أن جنة الخلد التي كان فيها آدم موجودة قبل أن يدخلها ومعدة منذ وجودها لدخول أهلها من المتقين .

عقيدة ابن أبي زيد في وجود الجنة والنار وعدم فنائهما :

بعد أن أوضحنا عقيدة أهل السنة فيما يتعلق بالجنة والنار وعمد م فيما ذهبوا إليه .

نتوجه إلى ابن أبي زيد لنتعرف على عقيدته في هذه المسألة . فنجده يقررها بما يفيد متابعة لأهل السنة في ذلك حيث يقول : « أهل السنة في هذه المسألة يرى وجوب الإيمان بأن الجنة حق والنار حق وأ ما خالدتان موجودتان لاتفنيان

---

(١) سورة الأعراف الآيتين : ١٢ و١٣ .

(٢) سورة الأعراف الآيتين : ٢٣ و٢٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ٣٦ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٢٥ .

ويقول : « وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه بما سبق في سابق علمه وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله وجعلهم محجوبين عن رؤيته .. »[1].

والجنة التي أهبط منها آدم وحواء - عليهما السلام - هي الجنة الموعودة وهي جنة الخلد وهي المخلوقة المعدة لعباد الله الصالحين وهي في السماء وليست هي بستانا من بساتين الأرض كما يزعم ذلك أهل الزيغ والطغيان[2] .

يقول الشيخ ابن أبي زيد أيضاً : ومن قول أهل العلم وأئمة الدين في الأرواح أ ا باقية فأرواح أهل السعادة منعمة إلى يوم الدين وأرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم يبعثون قال الله تعالى في الشهداء : { أحياء عند ر م يرزقون} إلى قوله { يستبشرون بالذين لم يلحقوا م من خلفهم }[3] .

وقال في حق آل فرعون : النار يعرضون عليها غدوا وعشيا . قال ابن أبي زيد : وهذا قبل قيام الساعة : { أدخلوا آل فرعون أشد العذاب }[4] [5] .

ووجه الدلالة أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان وإلا فما فائدة العرض؟.

وما ذهب إليه الشيخ ابن أبي زيد من أن الجنة التي أُهبط منها آدم وحواء - عليهما السلام - هي الجنة الموعود ا . وهي جنة الخلد ، وهي المخلوقة المعدة لعباد الله الصالحين . وهي في السماء وليست في الأرض . وهو في ذلك موافق لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ويخالف المعتزلة الذين يقولون إ ا غير مخلوقة وسينشئها الله فيما بعد .

---

(١) الرسالة مع شرحها لأبي السميع ص١٤ .

(٢) النوادر والزيادات لابن أبي زيد ورقة ١٥٥ مخطوط .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٠ .

(٤) سورة غافر آية : ٤٦ .

(٥) النوادر والزيادات لابن أبي زيد ورقة ١٥٥ .

عدم فناء الجنة والنار :

١) - أقوال أهل السنة بخلود الجنة والنار وعدم فنائهما .

تعددت الآراء في هذه المسألة إلى ثلاثة مذاهب هي : -

الأول : القول بأن الجنة والنار خالدتان ولاتفنيان - وهذا مذهب جمهور الأمة من السلف والخلف وهو الراجح .

الثاني : القول بأن الجنة باقية والنار فانية : وهذا القول مرجوح ومنسوب إلى بعض السلف[١] . منهم ابن تيمية وابن قيم الجوزية .

الثالث : القول بأن الجنة والنار فانيتان : وهذا قول باطل وفاسد وأول من قال به الجهم بن صفوان إمام المعطلة وقد كفره بسبب هذا القول وغيره جمهور السلف .

٢) - أدلة قرآنية على أبدية الجنة والنار .

أما أبدية الجنة والنار وأ ما لاتفنيان ولاتبيدان فهذا مما تستفاد معرفته من النصوص المقدمة .

قال تعالى : { وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ }[٢] أي : غير مقطوع ولاينافي ذلك قوله : { إلا ماشاء ربك } ويعني الإستثناء هنا أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمرا واجبا بذاته هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم دائما ، وختم الآية بقوله غير مجذوذ وذلك لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم إنقطاع بل حتم له بالدوام وعدم الإنقطاع كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائما مردود إلى مشيئته وأنه بعدله وحكمته عذ م ..

---

(١) وإن كان ابن القيم قد نقل عنه القول بنسبة فناء النار بالكلية إلى بعض الصحابة . وعلى هذا يكون لابن تيمية قولان في مسألة حكاية عن مذهب السلف ، والله أعلم أي القولين هو المتأخر أو الأصح نسبة إليه : (انظر نقل ابن القيم في كتابه حادي الأرواح ، ص ٣١٧ - ٣١٨) .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٦٠/٢ .

الآية من سورة هود آية : ١٠٧ .

قال بعض السلف : ذكر الله للمشيئة ليس معناه الإنقطاع .

قال ابن كثير : ويحتمل أن المراد بما دامت السموات والأرض الجنس لأنه لابد في الآخرة من سموات وأرض كما قال تعالى : { يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات } ولهذا قال الحسن البصري في قوله تعالى : { مادامت السموات والأرض }[١] قال يقول سماء غير هذه السماء وأرض غير هذه فمادامت تلك السماء وتلك الأرض .

وقوله تعالى { إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد } كقوله : { النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم }[٢] وقد اختلف المفسرون في مفهوم هذا الإستثناء وعن ابن عباس والحسن البصري أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، حتى يشفعوا في أصحاب الكبائر ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من لم يعمل خيرا قط وقال يوما من الدهر لا إله إلا الله كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ[٣] .

وهذا دليل واضح على عدم صحة القول بفناء الجنة والنار وإن كان قد نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أ ما يقولان بفناء النار وهذه الدعأوي تحتاج إلى الدليل حيث إن الموجود هو عكس المنسوب إليهما وهو القول بدوامها ودوام عذا ا على الكافرين .

وغاية مافي الأمر أن ابن القيم - رحمه الله - ذكر عن شيخه شيخ الإسلام أنه قال في هذه المسألة : فيها قولان معروفان عن السلف والخلف ، وال اع في ذلك معروف عن التابعين كما ذكره في حادي الأرواح[٤] ثم قال ابن القيم : قلت : هاهنا أقول سبعة ... » فذكر نحوما تقدم ، ثم قال عند القول السابع ؛

---

(١) سورة هو آية : ١٠٧ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٢٨ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤٦٠/٢ .

(٤) حادي الأرواح ص٣١٧ - ٣١٨ .

وهو قول من يقول بفنائها ... فذكره ثم قال : « قال شيخ الإسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم ... »[1] .

وقد يحتمل أن يكون عمدة القائلين بفناء النار الحديث الذي ساقه الإمام السيوطي عن أبي هريرة في كتابه البدور السافرة في أمور الآخرة[2] .

وإن نسب هذا القول فناء النار إلى شيخ الإسلام ابن تيمية فلا تعتمد عليه في مثل هذه الحال لخلوه من البرهان وليست موجودة في كتبه ولا في فتأويه ، بل الموجود والثابت عنه رحمه الله هو ما يناقض ذلك تماما . فنجده يقول في الفتأوى يقرر مقولة أهل العلم في جوا م عن المخلوقات التي لاتعدم ولاتفنى بالكلية وقال: وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مالا يعدم ولايفني بالكلية ، كالجنة والنار ، والعرش وغير ذلك. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين ، كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم ، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله، وسنة رسوله ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها ..[3] .

كما نجده عند تفسيره للصلي في قوله تعالى : { لايصلاها إلا الأشقى } يقول : « ... وتحقيقه أن الصلى هنا هو الصلي المطلق ، وهو المكث فيها والخلود على وجه يصل العذاب إليهم دائما »[4] .

وقد صرح ابن تيمية في أكثر من موضع بالرد على جهم بن صفوان وأتباعه في قولهم بفناء الجنة والنار ، وعلى أبي الهذيل العلاف - من المعتزلة بقوله بإنقطاع حركات أهل الجنة ، كما في مجموع الفتأوى[5] .

وفيما مضى نخلص أنه ليس هناك ثمة دليل يثبت أن شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) المرجع نفسه : ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) انظر البدور السافرة في أمور الآخرة - للسيوطي ، وأرقام الأحاديث : ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٦٤٠ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٧/١٨ .

(٤) المصدر السابق ١٩٧/١٦ .

(٥) مجموع الفتاوى ٣٠٤/٣ و٣٠٤/٨ ، و٣٨٠/٨ ، و٤٥/١٢ و٣٤٨/١٤ ، ومنهاج السنة ٣٦/١ ، وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٢٢٧/١ و٧٢/٢ ودرئ التعارض ٣٠٥/١ و١٥٧/١ و٣٥٧/٢ ، وغيرها من كتبه النفيسة .

يخالف الجمهور في قولهم بأبدية النار . وأماما اشتهر عنه على ألسنة الناس فهو دعوى بغير دليل .

أبواب جهنم :

قال تعالى : { لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم }(١) .

وقال تعالى : { حتى إذا جاءوها فتحت أبوا ا } .

١٣١٤) - أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ولها سبعة أبواب قال : جهنم ، والسعير ، ولظى ، وسقر ، والجحيم ، والهاوية والحطمة وهي أسفلهم .

١٣١٥) - وأخرج ابن جرير وابن أبي الدنيا في صفة النار عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله تعالى : { لها سبعة أبواب }(٢) قال : أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ثم الهاوية . قال القرطبي رضي الله عنه :

الباب الأول : جهنم وهو أهون عذابا من غيره ، وهو مختص بعصاة هذه الأمة ، وسمى بذلك الاسم لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم ... والهاوية وهي أبعدها قعرا .

١٣١٦) - وأخرج هناد ، وابن المبارك وأحمد . والثلاثة في الزهد ، وابن جرير في صفة النار ، والبيهقي عن علي بن أبي طالب ، قال « إن أبواب جهنم هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى يعني باب فوق باب سبعة أبواب - فيملأ الأول ثم الثاني ... ثم السابع .

أطول مدة يمكثها الموحد :

١٦٤٠) - أخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها - الذين ماتوا على كبائرهم غير تائبين ، من دخل منهم جهنم ، لاتزرق

---

(١) سورة الحجر آية : ٤٤ .

(٢) الزمر آية : ٧١ .

أعينهم ، ولا تسود وجوههم ، ولا يقرنون بالشياطين ، ولا يغلون بالسلاسل ، ولايجرعون الحميم ، ولايلبسون القطران ، حرم الله أجسادهم على الخلود مع أهل النار ، وصورهم على النار من أجل السجود ، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه ، ومنهم من تأخذه النار إلى عقبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى فخذيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى حجرته ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه ... على قدر ذنو م وأعمالهم . ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج منها ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها . وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ خلقت إلى أن تفنى ، فإذا أراد الله تعالى أن يخرجهم منها ... قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد ، آمنتم بالله وكتبه ورسله ، فنحن وأنتم اليوم في النار سواء .

فيغضب الله تعالى لهم غضبا لم يغضبه بشيء فيما مضى . فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط ، فينبتون فيها نبات الطراثيث في حميل السيل ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن فيمكثون في الجنة ماشاء الله أن يمكثوا ، ثم يسألون الله تعالى أن يمحو ذلك الاسم عنهم . فيبعث الله تعالى ملكا فيمحوه ... ثم يبعث الله تعالى ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقو ا على من بقى فيها فيسمرو ا بتلك المسامير . فينساهم الله تعالى على عرشه ، فيشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذا م وذلك قوله تعالى : { ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين }[1] .

قال تعالى في سورة السجدة :{ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم ، وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون }[2] وقال تعالى : { وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين }[3] .

---

(١) سورة الحجر الآية : ٢ .

(٢) سورة السجدة الآية : ١٤ .

(٣) الجاثية آية : ٣٤ .

{ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون }[1] .

لعلهم فهموا من جهنم .

إن جهنم لايدخل فيها الكفار بل عصاة الموحدين فلعل ابن تيمية قال ـذا حيث إن للنار عدة أسماء وأهو ا جهنم وهي التي سيدخل فيها عصاة الموحدين فسيحصل لهم الخروج منها إما بسبب شفاعة النبي لهم أو يإيما ـم ثم تأتي الملائكة بمسامير ويطبق على من بقي من الكفرة والمشركين يخلدون فيها فينساهم الله تعالى وذلك تصديقاً لقوله تعالى : { فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون } . ففهم عوام الناس بفناء النار بناء على شهر ا بجنهم .

ومن عمد هؤلاء القائلين بفناء النار قوله تعالى : { فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا }[2] قال مجاهد : تركناكم في العذاب . والمعنى : فذوقوا هذا ، أي : ما أنتم فيه من نكس الروؤس والخزي والغم بسبب نسيان الله إياهم أو ذوقوا العذاب الخلد ، وهو الدائم الذي لاانقطاع له في جهنم { بما كنتم تعملون } في الدنيا من المعاصي[3] .

وكما يفهم من قوله تعالى فذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم ، ثم قال إنا نسيناكم ، أي تركناكم بالكلية غير ملتفت إليكم كما يفعله الناسي قطعا لرجانكم ، ثم ذكر ما يلزم من تركه إياهم كما يترك الناسى وهو خلود العذاب، دليلا على وجود من كتب الله عليه الخلاص والنجاح من هذا العذاب الدائم ولا مانع أن يحصل الفناء لتلك الطبقة من جهنم بعد خروج الموحدين منها بخلاف الهأوية التى أعدت للمنافقين والكفار ولن تحصل لهم الخروج وينطبق

---

(١) الأعراف آية : ٥١ .

(٢) سورة السجدة آية : ١٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩٨/١٤ ، وسورة الجاثية الآية : ٣٤ في الجامع لأحكام القرآن ١٧٧/١٦ ، وسورة الأعراف الآية : ٥١ ، في الجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١٧ .

عليهم قوله تعالى : { إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد .. }(١) .

ختم الله الآية بالدوام وعدم الانقطاع كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائما مردود إلى مشيئته وأنه بعدله وحكمته عذ م ..(٢) .

ودلت النصوص على إنحصار النعيم الدائم لأهل الثواب في الجنة دار المتقين ، وانحصار العذاب الدائم لأهل العقاب في النار دار ا رمين .

وقوله تعالى : { مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأ ار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار }(٣) أي : فيها الفواكه والمطاعم والمشارب لا انقطاع لها ولا فناء(٤) . وقوله تعالى : { وما هم منها بمخرجين }(٥) وهذه الآية من المواضع التي قد أكد الله ا خلود أهل الجنة بالتأبيد كما أخبر الله عنهم بأ م : { لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى }(٦) وهذا قضاء رباني مبرم ، فلاهم يستطيعون الخروج منها ، ولايؤذن لهم به ، ولاهم يخرجون .

أساليب القرآن في إثبات خلود النار وعذا ا وخلود أهلها فيها :

قوله تعالى : { إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا }(٧) .

وفي هذه الآية بيان لحقيقة كون الكافرين الظالمين خالدين في نار جهنم خلودا أبديا لا انقضاء له ولا انقطاع .

وقوله تعالى : { ... ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ١٨٠/٢٥ و٩٢/١٤ و٢٧٤/٢٨ .

(٢) ابن كثير في تفسيره ٤٦٠/٢ .

(٣) سورة الرعد آية : ٣٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥١٧/٢ .

(٥) سورة الحجر آية : ٤٨ .

(٦) سورة الدخان آية : ٥٦ .

(٧) سورة النساء الآيتين : ١٦٨ - ١٦٩ .

أبدا }[١] والمراد من العصيان هنا العصيان في موضوع قبول الدعوة إلى الإيمان وإعلان الإسلام[٢] . ومن المعلوم أن الخلود في النار يستلزم عدم فنائها وهو من أبرز الأدلة على أن المراد بالتخليد والتأبيد على أن خلود الكافرين في نار جهنم خلود أبدي لا ناية له .

وقوله تعالى : { ويتجنبها الأشقى . الذي يصلى النار الكبرى . ثم لايموت فيها ولا يحيى }[٣] .

أي : لايموت فيها فيستريح من عذا ا ، ولايحيى حياة فيها راحة من العذاب بل هو في عذاب إذا كان شأنه في نظام الحياة الدنيا أن يميت ، فإنه في نظام الحياة الأخرى لايميت ، لأن الحياة الأخرى حياة خلود أبدي[٤] .

وقوله تعالى : {كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق }[٥] فأهل النار كلما حأولوا الخروج من أجل ما يجدون فيها من الغم الشديد ووصلوا إلى منفذ قريب يظنون أنه قابل لأن يفتح لهم ، منعوا وأعيدوا إلى ماكانوا عليه في أواسطها أو أسافلها وأعماقها ، فبقاؤهم في النار بقاء لا انقطاع له ، وهو متصل دواما .

٣) - الأدلة من السنة على خلود الجنة والنار وعدم فنائهما :

ومن أهم الأحاديث النبوية الشريفة التي فيها دلالات على خلود المؤمنين في النعيم ، وخلود الكافرين في العذاب وما يستلزمه ذلك من القول بخلود الجنة والنار وعدم فنائهما[٦] .

١) - الحديث الأول : قول النبي ﷺ : « ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا

(١) سورة الجن آية : ٢٣ .

(٢) انظر تفسير فتح القدير ٣١٠/٥ .

(٣) سورة الأعلى آية : ١٣ .

(٤) رسالة الماجستير تحت عنوان الجزاء الأخروي إعداد الطالب محمد بن عبدالرحمن حسن حبنكه ٨٠٣/٢ (مخطوط) .

(٥) سورة الحج آية : ٢٢ .

(٦) سورة الأعراف آية : ٤٣ .

تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبدا ، فذلك قوله عزوجل : { ... ونودوا أنْ تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون }[1] .

(ينادى مناد) : أي يوم القيامة .

فدل هذا الحديث على عدة أمور :

إثبات أبدية الحياة لأهل الجنة فلا يحل الموت بأحد منهم أبدا .

إثبات أبدية الصحة لهم ، فلا يحل السقم بأحد منهم أبدا .

إثبات أبدية الشباب لهم ، فلا يهرم أحد منهم أبدا .

إثبات أبدية التنعم لهم ، فلا يبتئس أحد منهم أبدا ، ولا يعرض له منغص ما أبدا[2] .

الحديث الثاني : قول الرسول ﷺ :

《 يدخل الله أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لاموت ، ويا أهل النار لاموت ، كل خالد فيما هو فيه 》[3] .

وقد دل هذا الحديث على أن كلاُ من أهل الجنة وأهل النار الذين قضى الله تأبيدهم فيها خالدين فيها لايموتون ، وهذا يدل على خلود الجنة والنار .

والحديث الثالث : قول النبي ﷺ :

---

(١) سورة الأعراف آية :٤٣
والحديث المذكور رواه مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ، شرح النووي على مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، ١٧٤/١٧ - ١٧٥ .

(٢) رسالة الماجستير للطالب محمد بن عبدالرحمن حبنكه ٨١٥/٢ (مخطوط) .

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، واللفظ لمسلم شرح النووي على مسلم : كتاب الجنة ، باب : جهنم ، (حديث رقم ٤٢ حسب المعجم) ١٨٥/١٧ - ١٨٦ ، وانظر: فتح الباري ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب : يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب (٥٠) ، (رقمه ٦٥٤٤) ، ٤٠٦/١١ .

« يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون : فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه . فيذبح ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ : { وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضى الأمر وهم في غفلة وهم لايؤمنون }[1] .

وقد دل هذا الحديث على ما دل عليه الحديث السابق ، إلا أنه زيد فيه لفظ « عرض الموت على هيئة كبش أملح ، وذبحه على مشهد من أهل الجنة وأهل النار ، وكل واحد منهم ينظر ، لإقناعهم عن طريق السمع والبصر أن الموت قد انتهى ولم يبق له وجود . في الحياة الأخرى » .

وجاء في رواية لهذا الحديث بعد ذبح الموت :

«... ثم يقال : للفريقين كليهما : خلود فيما تجدون ، لاموت فيه أبدا..»[2] .

ففي هذه الرواية تأكيد كون كل من أهل الجنة وأهل النار خالدا فيهما بخلودهما[3] .

قول أهل السنة والجماعة في خلود الجنة والنار :

ومن العلماء الذين يعتد بقولهم الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - حيث حكى الإجماع في كتابه (السنة)[4] وقال : « مذاهب أهل العلم ،

---

(١) سورة مريم آية : ٣٩ .

(٢) رواها ابن ماجه ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب صفة النار (٣٨) ١٤٤٧/٢ ، رقمه ٤٣٢٧ ، قال المحقق : في الزوائد . هذا اسناده صحيح رجاله ثقات . وأكد الألباني جودة الإسناد في مقدمته لكتاب رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ، تأليف : محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني . تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ص٢٠ ، وهذه الرواية أخرجها الإمام أحمد في مسنده ٢٦١/٢ ، وانظر رسالة الطالب محمد عبدالرحمن حبنكه ٨١٦/٢ .

(٣) مقدمة الألباني لكتاب رفع الأستار ص٢١ .

(٤) هذا الكتاب مطبوع بالإضافة إلى رسائل أخرى له ولغيره ، في كتاب شذرات البلاتين ، من طيبات كلمات سلفنا الصالحين ، تحقيق : محمد حامد الفقي جـ١ : وكتاب (السنة) أو (رسالة السنة) هي الرسالة الثانية في هذا ا موع ، وتبدأ من ص٤٤ . وذكره أيضاً ابن قيم ⇦

وأصحاب الأثر ، أهل السنة المتمسكين بعرو ا ، المعروفين ا ، المقتدى م فيها ، من لدن أصحاب النبي - ﷺ - إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء الحجاز ، والشام وغيرهما ، عليهما ، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مخالف مبتدع ، وخارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق »[١] .

وحكى رحمه الله تعالى أقوالهم ، ومنها قولهم : « ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها ، بشفاعة الشافعين ، ويخرج قوم منها برحمة الله - عزوجل - بعدما لبثوا فيها ماشاء الله عزوجل ، وقوم يخلدون فيها أبدا ، وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله عزوجل ، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار .

وقد خلقت النار وما فيها ، وخلقت الجنة وما فيها ، خلقهما الله عزوجل ، ثم خلق الخلق لهما ، لايفنيان ولايفني ما فيهما أبدا[٢] .

ويؤيد الإمام الطحاوي هذا القول في عقيدته المختصرة إذ قال : « والجنة والنار مخلوقتان ، لاتفنيان أبدا ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلا .. »[٣] .

وقال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين : « أجمع أهل الإسلام جميعا إلا الجهم أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في

الجوزية في أواخر كتابه : حأوي الأرواح من ص٣٦٤ ، إذ ذكر أنه سيحكي إجماع أهل السنة والحديث كما حكاه عنهم الإمام أحمد بلفظه ، فقال في رسالته المشهورة - ونقل الرسالة كلها وانظر حادي الأرواح ص٣٦٤ - ٣٦٩ .

(١) كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل . ضمن كتاب شذرات البلاتين ص٤٤ ، وانظر حادي الأرواح ص٣٦٤ .

(٢) كتاب السنة للإمام أحمد ، ضمن شذرات البلاتين ص٤٧ ، وانظر حادي الأرواح ص٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٦١٤/٢ .

النار »[1].

وذكر هذا الإجماع أيضاً أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي في كتابه (أصول الدين) فقال فيه :

« أجمع اهل السنة ، وكل من سلف من أخيار الأمة على دوام بقاء الجنة والنار ، وعلى دوام نعيم أهل الجنة ، ودوام عذاب الكفرة في النار »[2].

ورد على من خالف هذا الإجماع من أتباع الجهم بن صفوان ، وأبي الهذيل العلاف »[3] .

وأما ابن حزم فقد ذكر إجماع فرق المسلمين ، باستثناء الجهم وأبي الهذيل فقال : « اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لافناء للجنة ولا لنعيمها ، ولا للنار ولا لعذا ا إلا الجهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف ، وأما جهم فقال إن الجنة والنار يفنيان ويفني أهلهما وقال أبو الهذيل إن الجنة والنار لايفنيان ولايفني أهلهما إلا أن حركا م تفني ويبقون بم لة الجماد لايتحركون وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون .. »[4].

وابن تيمية في إجابته لسؤاله عن حديث أنس بن مالك عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، ذكر اتفاق سلف الأمة وأئمتها على عدم فناء الجنة والنارفقال: « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات مالا يعدم ولا يفْني بالكلية ، كالجنة والنار ، والعرش وغير ذلك..»[5].

---

(١) مقالات الإسلاميين ص١٦٧/٢ .

(٢) أصول الدين للبغدادي ، ص٢٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٨٣/٤ - ٨٤ ، وانظر فيه حكاية هذا الإجماع في ٢٠٤/٤ - ٢٠٥ .

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٠٧/١٨ ، وإن كان ابن القيم قد نقل عنه القول بنسبة فناء النار الكلية إلى بعض الصحابة ، وعلى هذا يكون لابن تيمية قولان في مسألة حكاية مذهب السلف ، والله أعلم أي القولين هو المتأخر أو الأصح نسبة إليه . انظر نقل ابن القيم في ⇦

وإذا جئنا إلى أقوال علماء القرويين سنجد أن أبا عثمان سعيد بن الحداد شيخ ابن أبي زيد القيرواني يقرر مذهب أهل السنة والجماعة ويدحض ما ذهب إليه المتكلمون ولذلك يقول : « ... بعد أن ذكر شبه المتكلمين والرد عليهم ، وذكر بعض الكائنات الموجودة في النار كالشجرة والحية ، والعقارب والضريع وأخبر الله - عزوجل عن هذه الأشياء وبكو ا في النار باقية لاتفني والنار غير آكلة لها بخلاف ماهو المعهود في الدنيا ، وأن شجرة الزقوم تخرج في أصل الجحيم فأنكر قوم ذلك فأنزل الله { وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس }[1] والشجرة الملعونة في القرآن » ويعني بالرؤيا ما أراه ليلة أسري به والشجرة الملعونة: شجرة الزقوم وقال ابن الحداد والحجة عليهم من تفسير ما احتجوا به وإن المذكورة من الشجرة سلاسل النار وأغلالها وأنكالها وعقار ا وحيا ا ولو كانت على ماتعلم لم يبق على النار وإنما دلنا الله على الغائب عنده بالحاضر عندنا فالأسماء متفقة والمعاني مختلفة ، وعلى هذا لم يبق جحود على الله في إخباره بأن أهل النار لايموتون في النار بقوله تعالى : { ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت}[2] لأن الذي نعلمه في الحاضر عندنا أن النار متى تحمت على بدن

كتابه حادي الأرواح ، ص٣١٧ - ٣١٨ .

(١) سورة الإسراء آية : ٦٠ ، قال ابن كثير : هي رؤيا عين أريها رسول الله ... ليلة أسري به والشجرة المذكورة هي شجرة الزقوم ، وذلك أن أناسا رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق لأنه لم تتحمل عقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك تبيانا ويقينا لآخرين ولهذا قال : { إلا فتنة } أي إختبارا أو إمتحانا ، وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم كما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله : هاتوا لنا تمرا وزبدا وجعل يأكل من هذا ذا ، ويقول تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا .. حكى ذلك ابن عباس ، ومسروق وأبو مالك والحسن البصري - انظر تفسير ابن كثير ٤٨/٣ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ١٧ ، روى ابن كثير عن الضحاك عن ابن عباس في تفسيره لهذه الآية أي : قال أنواع العذاب الذي يعذبه الله ا يوم القيامة في نار جهنم ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ولكن لايموت ، قلت : وهذا يدل على استمرار عذاب أهل النار دون سكون لحركات خلافا لأبي الهذيل العلاف المعتزلي كما دل على عدم فناء النار وأدعم هذا الكلام بقوله تعالى : { لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذا ا } الآية . قال ابن كثير : ومعنى كلام ابن ⇦

فيه روح أفنيت[1] ذلك الروح وفي بقاء الأرواح في النار مع هجوم النار على أبدان تلك الأرواح وذلك في الآخرة . وعدم بقاء الأرواح عند هجوم النار على أبدان تلك الأرواح في الدنيا . وقد ذكر الله أنواع ضروب العذاب الذي ذكر في النار وتعذيبه لأهل النار به وهم لايموتون في النار مع استحواذ النار على أبدا م استحواذا لإبقاء الأرواح الذين يعذبون من النار بدون عذاب الآخرة .ويقول الشيخ سعيد بن الحداد : وما في الجنة على مثل ذلك[2] وهو بذلك يرد على بعض المتكلمين في قولهم بفناء النار ووقوف الحركة فيها ونحو ذلك.والشيخ سعيد الحداد شيخ شيخ ابن أبي زيد القيرواني وهو عالم جليل في معرفة أقوال السلف الصالحين ومتكلم سني تبحر في دحض أقوالهم والرد على ترها م .

ولقد ذهب ابن أبي زيد مذهب سلف الأمة في دوام الجنة والنار مع بقاء أهلهما وذلك في قوله : « في إثبات خلق الجنة والنار وإ ما لاتفنيان ولا تبيدان »[3].

المبحث الثاني : الميزان هو آلة حقيقية :

هو ميزان حقيقي توزن ا أعمال العباد يوم القيامة فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فأمه هأوية « وأن أهل السعادة يؤتون صحائفهم وكتيهم بأيما م . أما أهل الشقأوة فيعطون كتبهم وصحائفهم بشمائلهم » وإن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان .

عباس - رضي الله عنه - أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت ولكنه لايموت ليخلد في العذاب عليهم وتكراره ، وأنواعه وأشكاله مالا يحصيه إلا الله عزوجل .. انظر تفسير ابن كثير ٥٢٧/٢ .

(١) عبر بالفناء هنا بمعنى تلاشي الروح بالكلية من الجسد وعدم وجودها فيه . وما يترتب على ذلك أعم من فناء الروح بعد مفارقتها للبدن . وهذا الرأي لايمثل قول السلف أو بقاءها مجردا لحين عود ا إلى البدن مرة ثانية للبعث .

(٢) الكلام لأبي عثمان سعيد بن الحداد (ت٩١٥/٣٠٢م) ، مخطوط في متحف رقادة بالقيروان برقم ١٣/٨٣٣ .

(٣) كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني ص١٤٢ ، تحقيق عبدا يد تركي .

الأدلة على ثبوت الميزان من الكتاب والسنة :

قال تعالى : { والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون }[1] .

وقال تعالى : { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا ا وكفى بنا حاسبين }[2] .

وفي السنة المطهرة عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ ، قال: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقلت يا رسول الله ، أليس قد قال الله تعالى: { فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا }[3] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب) [4]

أتتعدد الموازين بتعدد البشر ؟ أم واحد .

فقد اختلف في الميزان هل هو واحد أو أكثر فالأشهر أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال كفتاه كاطباق السموات والأرض كما مر ، وقيل إنه لكل أمة ميزان . وقال الحسن البصري : لكل واحد من المكلفين ميزان . قال بعضهم الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لاميزان واحد لقوله تعالى : { ونضع الموازين }[5] وقوله : { فمن ثقلت موازينه }[6] ولذلك قال الحسن البصري

---

(١) سورة الأعراف الآيتين : ٨ - ٩ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية : ٤٧ .

(٣) سورة الإنشقاق آية : ٨ .

(٤) البخاري في الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب برقم ٦٥٣٧ .

(٥) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

(٦) سورة المؤمنون آية : ١٠٢ .

وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان وأورد ابن عطية وقال : الناس على خلافه وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد . وقال بعضهم إنما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم[1] .

وما الذي يوزن ؟ . اختلف في الموزون قيل يوزن العبد مع عمله ، وقيل توزن نفس الأعمال فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله ، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في الكفة المظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعدل الله .

عمدة القائلين بأن العبد يوزن مع عمله وذلك لما رواه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ، قال : « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لايزن عندالله جناح بعوضة ، وقال : اقرؤوا إن شئتم : { فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا }[2] ومما يعضد هذا القول بأن العامل يوزن ما رواه الإمام أحمد ، عن ابن مسعود أنه كان يجتني سواكا من الأراك وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله ﷺ : « مم تضحكون » ؟ قالوا : يا نبي الله ، من دقة ساقيه ، فقال : « والذي نفسي بيده ، لهما أثقل في الميزان من أحد »[3].

ففي هذا الحديث دلالة ظاهرة على أن العامل يوزن كما يوزن عمله[4] ، إذ ذكر الرسول ﷺ أن ساقي ابن مسعود رضي الله عنه أثقل في الميزان من أحد ، أي جبل أحد ، وهذا لايظهر إلا إذا وزن العامل نفسه ، ويؤيد وزن العامل أيضا

---

(١) لوامع الأنوار ١٨٦/٢ .

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٢٩ ، ومسلم ٢٧٨٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢٥٣/٤ - ٢٥٤ ، والآية من سورة الكهف : ١٠٥ . وانظر النهاية لابن كثير ٦٠/٢ .

(٣) أخرجه أحمد ٤٢٠/١ - ٤٢١ ، والطبراني ٨٤٥٢ . وانظر العقيدة الطحاوية ٦١١/٢ ، وذكر ابن كثير في النهاية ٦١/٢ ، أن هذا الإسناد للحديث جيد قوي .

(٤) انظر النهاية لابن كثير ٦٠/٢ - ٦١ .

ما ورد عن الرسول ﷺ أنه قال ليأتي الرجل العظيم السمين .. الحديث ، كما سبق أن ذكرته .

أما الأعمال فهي المقصودة أساسا بالوزن لأ ا هي السبب في الجزاء الذي يناله المرء من ثواب أو عقاب ، قال ﷺ : « الطهور شطر الإيمان ، والحمدلله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمدلله تملآن - أو تملأ - ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها »[(١)] .

فقوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث : « والحمدلله تملأ الميزان » فيه دلالة ظاهرة على وزن العمل يوم القيامة[(٢)] .

فوزن الأعمال يوم القيامة أحد أهم المظاهر التي يتبين ا عظيم عدل الله تعالى في جزائه لعبيده في ذلك اليوم[(٣)] .

فلا يلتفت إلى مازعمه ملحد معاند يقول : الأعمال أعراض لاتقبل الوزن ، وإنما يقبل الوزن الأجسام فإن الله يقلب الأعراض أجساما ، كما روى الإمام أحمد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يؤتى بالموت كبشا أغبر ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال ، يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ويقال : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح ، ويقال : خلود لاموت »[(٤)]. رواه البخاري بمعناه[(٥)] .

ذا العرض ثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال ، وثبت أن الميزان له كفتان ، والعلم بحقيقته عندالله[(٦)] .

---

(١) رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري ، شرح النووي على مسلم ، كتاب الطهارة ، باب : فضل الوضوء ، ٩٩/٣ (ح : ١ حسب المعجم) .

(٢) انظر النهاية ٥٩/٢ .

(٣) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٢/٤ .

(٤) أخرجه أحمد ٤٢٣/٢ ، والدارمي ٣٢٩/٢ .

(٥) أخرجه البخاري ٤٧٣٠ ، ومسلم ٢٨٤٩ ، والترمذي ٣١٥٦ من حديث أبي سعيد الخدري.

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٦١٣/٢ .

وعن النضرة عن أنس بن مالك عن أبيه قال : « سألت النبي - ﷺ - أن يشفع لي يوم القيامة ، فقال : « أنا فاعل ، قال : قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال : أطلبني أول ما تطلبني على الصراط قال : قلت:فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : فأطلبني عند الميزان ، قال : قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فأطلبني عند الحوض ، فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن »[1].

والذي دلت عليه السنة أن الميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان له لسان وهو حقيقي ، توزن فيه الصحف المكتوبة فيها الحسنات والسيئات وقيل ميزان واحد توزن به أعمال جميع الخلائق وإن عبر عنه بصيغة الجمع وأنه بيد جبرئيل عليه السلام . كما ثبت في السنة وزن الأعمال والعامل والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات فعلينا الإيمان بالغيب ، كما أخبرنا الصادق ﷺ ، من غير زيادة ولا نقصان .

وأما المتكلمون من المعتزلة فقد خالفوا السلف فيما ذهبوا إليه وقالوا : الأعمال أعراض لاتقبل الوزن وإنما يقبل الوزن الأجسام : وقد أبطل رأى المتكلمين فيما ذهبوا إليه : [فإن الله يقلب الأعراض أجساما ، وما ذلك على الله بعزيز] ويقدحون في النصوص[2] الثابتة في هذا المقام بحجج داحضة أنه لايحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال : وما أحراه بأن يكون من الذين لايقيم الله

---

(١) رواه الترمذي في جامعه في صفة الجنة ماجاء في شأن الصراط رقم ٢٤٣٣ ، وقال حديث حسن غريب لانعرفة إلا من هذا الوجه ٦٢٢/٤ .

(٢) روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله ... قال : ((يؤتى بالموت كبشا أغبر : الذي يغلب بياضه على سواده ، وفي ((المسند)) الأغتر ، وهو الكدر اللون كالأغبر والأربد ، وفي البخاري ومسلم : كبش أملح ، وهو بمعنى ما سبق)) هامش شرح الطحاوي ٦١٢/٢ ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال ، يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ، ويقال : يا أهل النار ، فيشرئبون وينظرون ، ويرون أن قد جاء الفرج ، فيذبح ، ويقال : خلود لاموت)) . أخرجه أحمد ٤٢٣/٢ ، والدارمي ٣٢٩/٢ ، والنسائي في ((الكبرى)) كما في تحفة الأشراف ٣٤٧/٩ ، وسنده صحيح . والبخاري ٤٧٣٠ ، ومسلم ٢٨٤٩ ، والترمذي ٣١٥٦ من حديث أبي سعيد الخدري .

لهم يوم القيامة وزنا ، ولهذا يقول القاضي عبدالجبار : « وأما الحساب فمما لايجوز إنكاره فقد قال تعالى : { فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب إلى أهله مسرورا }[١] غير أن محاسبة الله تعالى إيانا لاتجري على حدما تجري المحاسبة بين الشريكين والمتعاملين ، فإن ذلك فيما بيننا إنما يكون بعقد الأصابع أو ما يجري مجراه ، وليس هكذا محاسبة الله تعالى عباده ، فإن ذلك يكون بخلق العلم الضروري في قلبه أنه يستحق من الثواب كذا ومن العقوبة كذا ، فيسقط الأقلَ بالأكثر ، وعلى هذا صح ذلك بسرعة على مادل عليه قوله تعالى : { إن الله سريع الحساب }[٢] ومن ههنا استدل بعض مشايخنا ـذه الآية على أنه تعالى لايجوز أن يكون جسما ، وإلا كان لايتأتى منه محاسبة الخلائق بسرعة ولا يمكنه خلق العلم فيهم ، فكان يتعذر عليه ولا يمكنه إلا بمدة مديدة وزمان طويل ، وفي علمنا بأنه تعالى سريع الحساب دليل على أنه تعالى ليس من قبيل هذه الأجسام .

والفائدة في المحاسبة نحو الفائدة وضع الموازين[٣] .

قال أبو الحسن الأشعري وقال أهل البدع بإبطال الميزان ، وقالوا : موازين، وليس بمعنى كفات وألسن ، ولكنها ا ازاة ، يجازيهم الله بأعمالهم وزنا يوزن ، وأنكروا الميزان ، وقالوا : يستحيل وزن الأعراض ؟ لأن الأعراض لاثقل لها ولا خفة .

وقال قائلون بإثبات الميزان ، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين ، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى ؛ فكان رجحا ا دليلا على أن الرجل من أهل الجنة ، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحا ا دليلا على أن الرجل من أهل النار.

---

(١) سورة الإنشقاق آية : ٧ - ٨ - ٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٩ .

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار بن أحمد ص٧٣٦ .

وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة أن الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها ، وأن السيئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها[1].

ولا شك أن هذا الرأي ينأوئ رأي السلف الصالح في أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان وأن العامل يوزن مع عمله قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى : { والوزن يومئذ الحق } الآية : المراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان . قال ابن عمر : توزن صحائف أعمال العباد وهذا هو الصحيح وهو الذي ورد به الخبر على ما يأتي . وقيل الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق وقال مجاهد : الميزان الحسنات والسيئات بأعيا ا . وعنه أيضاً والضحاك والأعمش : الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء . وذكر الوزن ، ضرب مثل ، كما نقول هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه أي يعادله ويسأويه وإن لم يكن هناك وزن »[2] . وقال القرطبي كذلك في تفسيره قوله تعالى : { فمن ثقلت موازينه ... } الآية قيل يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله ، ويمكن أن يكون ذلك ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع كما تقول : خرج فلان إلى مكة على البغال ، وخرج إلى البصرة في السفن . وفي الت يل : { كذبت قوم نوح المرسلين }،{ كذبت عاد المرسلين } وإنما هو رسول واحد في أحد التأويلين ، وقيل الموازين جمع موزون لاجمع ميزان أراد بالموازين الأعمال الموزونة ... وقال ابن عباس:توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان ، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته،فذلك قوله:{ فمن ثقلت موازينه } ويؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كفة فيخف وزنه حتى يقع في النار »[3]

(١) مقالات الإسلاميين ١٦٤/٢ - ١٦٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦٤/٧ - ١٦٥ .

(٣) قال الألباني هو الحديث المتقدم ، وهذا لفظ آخر له ولايصح من قبل سنده ، لأن فيه ابن لهيعة وهو سيء الحفظ فلا يحتج بما تفرد به أخرجه أحمد ٢٢١/٢ .

قال ابن الأصبهاني : والميزان بيد رب العالمين[1] . قال ابن أبي العز رحمه الله : « والذي دلت عليه السنة : أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان»[2]

وإذا جئنا إلى موقف ابن أبي زيد نرى أنه أوجب الإيمان بما كلفنا بالتصديق به مما يعد من المغيبات كما ثبت في الأحاديث الصحيحة الثابتة في حقيقة الميزان ووزن الأعمال والعامل كما أخبرنا الصادقﷺ من غير زيادة ولا نقصان وبذلك يخالف المعتزلة الذين يقدحون في النصوص الصحيحة في هذا الشأن .

يقول الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - : « وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد{ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون }ويؤتون صحائفهم بأعمالهم:{ فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، ومن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرا .. }[3] .

من هذا نرى ما ذهب إليه الشيخ ابن أبي زيد في حقيقة الميزان وبيان الموزون به يمثل حقيقة رأى السلف .

المبحث الثالث :

الصراط :

الصراط عند السلف جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق فالمؤمنون ينجون بإيما م وأعمالهم الصالحة والكافرون المشركون يسقطون في نار جهنم بسبب كفرهم وعنادهم وشؤم معاصيهم ويتفأوت الناس في عبورهم على هذا الجسر تفأوتا كبيرا فمنهم من يمر عليه كلمح البصر أو أسرع من ذلك ومنهم من يتلكأ عليه[4] .

وقيل جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة حهنم

---

(١) كتاب الشريعة للآجري ص٣١٧ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٦٠٩/٢ .

(٣) الرسالة مع شرحها ص١٤ - ١٥ .

(٤) انظر شرح مقدمة ابن أبي زيد في العقيدة للأستاذ الأمين الحاج محمد أحمد ص٣٨١ .

بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم[١] .

وأهل الحق يثبتونه على ظاهره مستدلين بقوله تعالى : { وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا }[٢] .

وفي « الصحيح » أنه ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، لايلج النار أحد بايع تحت الشجرة » . قالت حفصة : يارسول الله ، أليس الله يقـ ـ ـ ـول : { وإن منكم إلا واردها }[٣] . فقال : ألم تسمعيه قال : { ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا }[٤] . اشار ﷺ إلى أن ورود النار لايستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لايستلزم حصوله ، بل يستلزم انعقاد سببه ...[٥].

وكذلك حال الواردين النار ، يمرون فوقها على الصراط ، ثم ينجي الله الذين اتقوا ، ويذر الظالمين فيها جثيا[٦] ، فقد بين ﷺ في الحديث : أن الورود هو المرور على الصراط .

وللعلماء في تحقيق الورود اتجاهان :

الأول : الورود المرور على الصراط . المنصوب على متن جهنم .

الثاني : الورود الدخول في النار .

واستدل أصحاب الاتجاه الأول بما صح عنه ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده لايلج النار أحد بايع تحت الشجرة » . قالت حفصة ، فقلت : يارسول الله : أليس الله يقول : { وإن منكم إلا واردها } فقال : « ألم تسمعيه قال : { ثم

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - للعلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي ١٨٩/٢ .

(٢) سورة مريم آية : ٧١ - ٧٢ .

(٣) سورة مريم آية : ٧١ .

(٤) سورة مريم آية : ٧٢ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٦٠٧/٢ .

(٦) سورة مريم آية : ٧٢ .

ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً }[١] .

الأدلة على الرأي الثاني ١) دلالة منطوق قوله تعالى (وان منكم الا واردها) فالمعنى الحقيقي للورود الدخول . ٢) قول النبي ﷺ بما معناه أهل الجنة لا تطيب نفوسهم وأهلهم بالنار فيقول الجبار لهم اذهبوا الى النار فاخرجوا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من ايمان[٢] .

قال ابن أبي العز معلقاً على الحديث السابق ذكره : أشار ﷺ إلى أن ورود النار لايستلزم دخولها ، وأن النجاة من الشر لايستلزم حصوله ، بل يستلزم إنعقاد سببه ، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال نجاه الله منهم . ولهذا قال تعالى : { ولما جاء أمرنا نجينا هودا }[٣] . { فلما جاء أمرنا نجينا صالحا }[٤] . { ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا }[٥] ولم يكن العذاب أصا م ، ولكن أصاب غيرهم ولولا ما خصم الله به من أسباب النجاة لأصا م ما أصاب أولئك . وكذلك حال الوارد في النار ، يمرون فيها على الصراط ، { ثم ينجي الله الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً }[٦] [٧] .

ذهب المتكلمون من المعتزلة خلافا لما ذهب السلف حيث إ م ينكرون مادلت عليه النصوص القرآنية وما اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة بينما أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر وأنكر هذا الظاهر القاضي عبدالجبار المعتزلي وكثير من أتباعه زعما منهم أنه لايمكن عبوره ، وإن أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة . وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى :

---

(١) سورة مريم آية : ٧١ - ٧٢ .

(٣) كذا بالبخاري حديث رقم ٧٤٣٩ .

(٣) سورة هود آية : ٥٨ .

(٤) سورة هود آية : ٦٦ .

(٥) سورة هود آية : ٩٤ .

(٦) سورة مريم الآية : ٧٢ .

(٧) شرح العقيدة الطحاوية ٦٠٦/٢-٦٠٧، وانظر شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة ص٣٨٤ .

{ سيهديهم ويصلح بالهم } وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى : { فاهدوهم إلى صراط الجحيم } . ويرى القاضي عبدالجبار أن ماذهب إليه السلف لا وجه له ، لأن فيه حملا لكلام الله تعالى على مالا يقتضيه ظاهره وأن كلام الله تعالى مهما أمكن حمله على حقيقته فذلك هو الواجب دون أن يصرف عنه إلى ا از[1] . قال القاضي عبدالجبار : « فلسنا نقول في الصراط ما يقوله الحشوية، من أن ذلك أدق من الشعر وأحد من السيف ، وأن المكلفين يكلفون إجتيازه والمرور به ، فمن اجتازه فهو من أهل الجنة ، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهل النار ؛ فإن تلك الدار ليست هي بدار تكليف ، حتى يصح إيلام المؤمن وتكليفه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة[2] .

ويرد على ترهات القاضي عبدالجبار العلامة السفاريني ويقول : « وكل هذا باطل وخرافات لوجوب رد النصوص على حقائقها ، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء والوقوف فيه . وقد أجاب ... عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك . والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مالا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم في جوازه متفاوتون[3] .

أقوال أهل السنة في الصراط : -

ذكر العلامة السفاريني الحنبلي في لوامع الأنوار مفهوم الصراط لدى أهل العلم وقال : الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأحمى من الجمرة وعزا هذا القول إلى عبدالله بن مسعود ، وأبي هريرة والفضيل بن عياض وزاد أبو هريرة الصراط كحد السيف المرهف مدحضة - أي مزلقة أي لاتثبت عليه قدم بل تزل عنه إلا من يثبت الله تعالى عليه كلاليب من نار تخطف أهلها فتمسك

---

(1) شرح الأصول الخمسة ص٧٣٨ .

(2) شرح الأصول الخمسة ص٧٣٧ .

(3) لوامع الأنوار ١٩٣/٢ .

واديها ويستبقون عليه بأعمالهم[١]...

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ﷺ: « لجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجأويد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم سلم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه »[٢].

وقال الإمام النووي في حديثه عن صفة الصراط : وفي هذا إثبات الصراط ومذهب أهل الحق إثباته وقد أجمع السلف على إثباته وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي منازلهم والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ذكره أيضاً أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[٣] .

إثبات الشيخ ابن أبي زيد للصراط :

وأما الشيخ ابن أبي زيد فإنه يثبت الإيمان بالصراط الذي هو جسر على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق فالمؤمنون ينجون بإذن الله بينما يقع المشركون في نار جهنم ولذلك قال : « وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم فناجون متفأوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أوبقتهم[٤] فيها أعمالهم »[٥] .

---

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ،١٣٨/١٦ رقم ١٧٩٧٦ . والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠٨ عند قوله تعالى :(وإن منكم إلا واردها).

(٢) انظر لوامع الأنوار ١٩٠/٢ - ١٩١ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٢٠/٣ .

(٤) قوله أوبقتهم : أهلكتهم أعمالهم وكانت سببا في خسارهم وهلاكهم وشقائهم ، حيث تخطفتهم من على الصراط ، كلاليب جهنم فهوت م سبعين خريفا حتى يصلوا إلى قعرها ، وهؤلاء أهل الشقاء والعياذ بالله . شرح القيروانية الميسر ، للدكتور محمد عبدالرحمن الخميس ص٥٩ .

(٥) شرح الرسالة لعبدالسميع الآبي ص١٥ .

وما ذكره الشيخ ابن أبي زيد هو ما ارتضاه السلف في قولهم بأن العبر بموجب المدار على العمل في الدنيا والإخلاص فيه فيكون الصراط على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع كما سبق أن قلته .

المبحث الرابع :

الحوض :

الحوض في اللغة : مجتمع الماء والجمع أحواض وحياض ، ولما ظهر لأم إسماعيل عليها الصلاة والسلام - ماء زمزم جعلت تحوضه أي تجعل له حوضا يجتمع فيه الماء[1] .

وشرعاً : ما أثبته الكتاب والسنة وإجماع السلف من وجود حوض يجمع

(١) لسان العرب لابن منظور ١٤١/٧ ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٦١/١ .

الماء النازل من نهر الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ[1] .

الإيمان بالحوض :

بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور بثبوت حوض النبي المصطفى فإنه ثابت بإجماع أهل الحق ومن جملة الإيمان بالغيب الإيمان بالحوض المورود الذي أوتيه الرسول - ﷺ - وفضل به على سائر الأنبياء والمرسلين ، وأنه كوثر وهو في كلام العرب الخير الكثير وتوعد الله عزوجل ألا يسقى منه من كذب به كما لايسقى منه من أحدث في هذا الدين . ومما يدل على هذا الحوض قوله تعالى في محكم تنزيله:{إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر }[2]

قال الإمام المحقق ابن القيم في تفسيره للآية المذكورة : الخير الكثير . قال وقال أنس بن مالك - رضي الله عنه - نهر في الجنة[3] .

وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ : « أنا فرطكم على الحوض »[4] .

وأخرج البخاري تعليقا عن عبدالله بن زيد - رضي الله عنه - قال : قال النبي - ﷺ - : « اصبروا حتى تلقوني على الحوض »[5] .

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : « إني فرطكم على الحوض : من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم »[6] .

---

(١) انظر : الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني ٣٦٣/١ .

(٢) سورة الكوثر .

(٣) انظر لوامع الأنوار ٢٠٤/٢ .

(٤) البخاري في كتاب الرقاق في الحوض رقم ٦٥٧٥ .

(٥) كتاب الرقاق باب في الحوض . انظر الفتح ٤٦٣/١١ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض رقم ٦٥٨٣ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يحدث أن رسول الله - ﷺ - قال : « يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض ، فأقول : يارب أصحابي ، فيقول : إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك : إ م ارتدوا على أدبارهم القهقري »[1].

فما تقدم ذكره من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة كله يؤكد ويثبت وجود الحوض . إلا أنه قد خالف هذا الإعتقاد جماعات من المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على إختلاف فرقهم فهؤلاء منكرون لوجوده - ويوجهون النصوص المثبتة له على النحو الآتي .

وقالوا إن ثبوته بالقرآن محتمل وليس بصريح ، وقوله تعالى : { إنا أعطيناك الكوثر } فيه اختلاف هل هو الحوض أو الخير الكثير أو النهر الذي في الجنة »[2]

قال ابن حزم في الفصل : « فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي ... ولمن ورد عليه من أمته ولا ندري لمن أنكره متعلقا ولا يجوز مخالفة ماصح عن النبي ﷺ في هذا وغيره ... »[3].

ونقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي في « المفهم » تبعا للقاضي عياض في غالبه : مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمدا ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي ، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة ما ينيف[4] على الثلاثين ، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته ، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا ، وأجمع

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض رقم ٦٥٨٥ .

(٢) لوامع الأنوار ٢٠٢/٢ ، وانظر مقالات الإسلاميين ١٦٥/٢ ، وانظر الفصل لابن حزم ٦٦/٤.

(٣) كتاب الفصل لابن حزم ٦٦/٤ .

(٤) قال ابن حجر العسقلاني في الفتح : و بلغني أن بعض المتأخرين وصل رواية الحوض إلى ثمانين صحابيا . الفتح ٤٦٩/١١ .

على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه عن ظاهره وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته ، ولا حاجة تدعو إلى تأويله ، فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف[1] . قال ابن حجر : « أنكره الخوارج وبعض المعتزلة ، وممن كان ينكره عبيدالله بن زياد أحد أمراء العراق لمعاوية وولده »[2] .

إثبات ابن أبي زيد للحوض :

ويرى الشيخ ابن أبي زيد ضرورة الإيمان بالحوض كما هو مذهب السلف وأنه يروه المؤمنون ويذاد عنه المبتدعون . وفي هذا يقول في الجامع : « والإيمان بحوض رسول الله ﷺ : ترده أمته لايظمأ من شرب منه ويذاد عنه من غير وبدل »[3] .

واستدل الشيخ ابن أبي زيد على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : « ما بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » وفي حديث آخر : « على ترعة من ترع الجنة »[4] .

ونرى أن ابن أبي زيد جعل الحديث الذي رواه النسائي عمدة لرأيه ولم يرد الحديث لا البخاري ولا مسلم .

وقد ورد حديث أبي هريرة بلفظ « بيتي » على ابن عساكر روى في نسخته البخاري « قبري » وقد خطأه ابن حجر ولكن وقع في حديث سعد بن أبي وقاص عن البزار بسند رجاله ثقات وعند الطبراني من حديث ابن عمر بلفظ « القبر » فعلى هذا المراد بالبيت في قوله بيتي أحد بيوته لا كلها وهو بيت عائشة الذي صار فيه قبره ، وقد ورد الحديث بلفظ : « ما بين المنبر وبيت عائشة روضة من

---

(١) الفتح ٤٦٧/١١ .

(٢) المصدر السابق ٤٦٧/١١ ، وانظر الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص٢٤٦ ، تحقيق الدكتوراه فوقيه حسين محمود .

(٣) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٤٥ ، وانظر الرسالة ص١٦ .

(٤) كتاب الجامع ص١٦٩ ، تحقيق عبدا يد تركي .

رياض الجنة »[١] ، وذكر الإمام السيوطي عن البزار بلفظ مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ...[٢] .

وفي الموطأ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي »باب ماجاء في مسجد النبي ﷺ [٣]

وضعف ابن حجر صدر هذا الحديث على أساس أن الرسول ﷺ لم يكن يعرف موضع دفنه قبل أن يموت وأصح رواية هذا الحديث قوله ﷺ ما بين منبري وبيتي : وهذا هو نص الحديث في البخاري ومسلم ، ورواه النسائي ـذا اللفظ برواية أخرى بعد الرواية التي استدل ـا البخاري بقليل .

قلت : ولعل الذي سوغ لابن أبي زيد الاستدلال بالرواية التي استدل ـا أن الرسول ﷺ قال الأنبياء يدفنون حيث يموتون وأنه كان يعلم في أخريات أيامه أنه سيموت في حجرة عائشة ومن ثم عرف موضع قبره فعبر عن حجرة عائشة مرة بقبره بإعتبار ماسيئول إليه الأمر وأخرى بيته . وأثبت النسائي الروايتين وأخذ ابن أبي زيد بالرواية الأولى عند النسائي للاحتمال الذي قدمته[٤] .

وقد رواه النسائي في كتاب المساجد تحت باب مسجد النبي ﷺ والصلاة فيه ضمن الباب عدة أحاديث في فضل مسجد النبي ﷺ ومنها حديث رواه المحدث بإسناد يصل إلى عبدالله بن زيد عن النبي ﷺ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة وعلق قائلاً : هذا هو أصح الروايات حيث رواها[٥] ، وكذلك أورد النسائي حديثا باسناد يصل إلى أم سلمة عن النبي ﷺ : إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة »[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط . انظر الفتح ١٠٠/٤ .

(٢) سنن النسائي ٣٦/٢ .

(٣) ١٥٦/١ ، تنوير الحوالك .

(٤) انظر لوامع الأنوار ١٧/٢ - ١٨ وما بعدها .

(٥) البخاري في كتاب الرقاق انظر الفتح ٤٧٥/١١ .

(٦) كتاب الجامع لابن أبي زيد في فهرس الحديث ص٥٧٩ . (روى الحديث الإمام مالك في الموطأ ١٩٧/١ ، والبخاري في كتاب الرقاق رقم ٦٥٨٨ ، الفتح ٤٦٥/١١ .

ب) قلت : ولعل مقصود الشيخ ابن أبي زيد من إيراد هذا الحديث أيضاً لبيان أهمية تلك البقعة أ ا روضة من رياض الجنة حيث إ ا ستنقل إليها وأن من لازم ذكر الله فيها آل به إلى روضة الجنة وسقى منها يوم التناد » .

المبحث الخامس :

عذاب القبر ونعيمه :

من الأمور التي يجب الإيمان ا وأ ا حق عذاب القبر ونعيمه فلقد أشار إليها القرآن الكريم وصرحت ما السنة النبوية المطهرة .

أما الأسباب التي يعذب ا أصحاب القبور فعلى الإجمال ترجع لأمرين يعذبون علىتفريطهم فيما أوجب الله عليهم من معرفة الله سبحانه وتقصيرهم

فيما أوجبه الله عليهم من فعل المأمورات وترك المحظورات ، فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت يه ، ولابدنا كانت فيه أبدا فإن عذاب القبر بل وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار بإرتكاب مناهيه ولم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمقل ومكثر .

وأما الأسباب المفصلة فقد أخبر رسول الله ﷺ عن بعضها وأشار إليه في حديثه عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبرهما أن أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس والآخر كان لا يستبرئ أولا يستتر من البول ، والحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظه : « مر النبي - ﷺ- على قبر فقال : « إ ما ليعذبان وما يعذبان في كبير[1] ثم قال : بلى ، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمية ، وأما أحدهما فكان لايستتر من بوله . قال : ثم أخذ عودا رطبا فكسره باثنتين ، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال : لعله يخفف عنهما ، مالم ييبسا »[2].

وقد أقام أهل السنة عدة أدلة من الكتاب والسنة لإثبات عذاب القبر لمن يستحق ونعيمه لمن هو أهله .

فيها من القرآن الكريم : ماجاء عن آل فرعون :

١) - { النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل

---

(١) الكبير : اختلف العلماء فيه على أقوال : فقيل سبعة ، وقيل سبعة عشر ، وقيل ما اتفقت الشرائع على تحريمه ، وقيل ما يسد باب المعرفة بالله ، وقيل ذهاب الأموال والأبدان ، وقيل سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى مادو ا . وقيل : لاتعلم أصلا ، أو : إ ا أخفيت كليلة القدر ، وقيل : إ ا إلى السبعين أقرب ، وقيل : كل ما ى الله عنه فهو كبيرة ، وقيل : إ ا ما يترتب عليها حد، أو توعد عليها بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب ، وهذا أمثل الأقوال . شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٥/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول ١٣٧٨ ، ٢٤٢/٣ ، فتح الباري ، والترمذي باب ماجاء في التشديد في البول ٥٣ ، رقم الحديث ٧٠ ، أبواب الطهارة .

فرعون أشد العذاب }[1] .

٢) - وقال عزوجل عن المنافقين : { سنعذ م مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم }[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « قال غير واحد من العلماء المرة الأولى في الدنيا ، والثانية في البرزخ : { ثم يردون إلى عذاب عظيم } في الآخرة[3] .

وقال تعالى : { ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون }[4] الآية .

ومن السنة الصحيحة : عن عائشة رضي الله عنها : « أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر . فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال : نعم ، عذاب القبر . قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر»[5] زاد غُندر : « عذاب القبر حق » .

وعن أبي سعيد الخدري وأنس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : لـ ـولا أن لاتدافنـ ـ ـوا[6] لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»[7] ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « تعوذوا بالله من عذاب القبر » ولعظم

---

(١) سورة غافر آية : ٤٦ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٠١ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٦/٤ .

(٤) سورة الأنعام آية : ٩٣ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ماجاء في عذاب القبر رقم ١٣٧٢ ، فتح الباري ٢٣١/٣ .

(٦) لاتدافنوا : أي مخافة أن لاتدافنوا .

(٧) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ٢١٩٩/٤ دون قوله ((ما أسمع)) وأحمد ١٩٠/٥ ، وابن منده ١٠٦٥ ، والبيهقي في عذاب القبر ٨٩ من حديث زيد بن ثابت ، وفي الباب عن أنس عند مسلم ٢٨٦٨ ، وأحمد ١٧٥/٣، ١١٤ ، ١٥٣ ١٧٥ ، ٢٠٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، والنسائي ١٠٢/٤ ، شرح الطحاوية ٥٨١/٢ ، وانظر لوامع الأنوار ١٤/٢ .

هذا الأمر وخطورته كان الرسول ﷺ يعلمه لأصحابه ويقرره في خطبه فيهم ، ففي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها : قالت : « قام رسول الله ﷺ خطيبا فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة »[1] .

ومع ثبوت عذاب القبر ونعيمه في القرآن والسنة فقد أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر ونعيمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة كما أنكروا جلوس الميت في قبره ، وقالوا قد وضعوا على صدر الميت زيقاً[2] فكشفوا عنه فوجدوه بحاله ولم يجدوا فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق الحديد ولا وجدوا حيات ولا عقارب ولا نيرانا ... إلخ .

يقول القاضي عبدالجبار المعتزلي : « وأما القوم الذين دفعوا عذاب القبر وأنكروه ، فقالوا : لو كان له أصل لكان في النباش أن يرى العقوبة أو المشوبة للمعاقب والمُثاب ، فكان يشاهد عليه أثر الضرب وغيره ، وفي علمنا بخلافه دليل على أن ذلك مالا أصل له ، قالوا : ومما يؤكد هذا الكلام أنه لو كان كذلك لكان يجب في المصلوب والميت الذي لم يدفن أن يسمع أَنِينه وأن يشاهد اضطرابه كل واحد ، والمعلوم أنه لايرى مضطربا اضطراب المعاقب ، ولايسمع له أَنِين البتة ، فكيف يكون معذبا والحال ما قلناه ؟[3] وقد أجاب المحققون من العلماء على شبه الملاحدة والزنادقة ومن احتذى حذوهم في الضلال فذكر العلامة ابن القيم في كتاب الروح عدة أجوبة عن ذلك منها : « أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يخبروا بما تحيله العقول بل أخبارهم قسمان أحدهما ما يشهد العقل والفطرة السليمة به والثاني مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ماجاء في عذاب القبر . فتح الباري ٢٣٢/٣ .

(٢) أي:ما يكف به جيب القميص يقال عمل للجيب زيقا ، خاطه به لتقويته٤٠٩/١المعجم الوسيط

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٧٣٣ ، وانظر تذكرة القرطبي ١٢٥ ، وانكر أيضاً الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر المريسي وخالفهم جميع أهل السنة ، وأكثر المعتزلة . فتح الباري ٢٣٣/٣ .

أخبروا ا عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب فلا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا ، والحاصل أن الأنبياء لا تأتي بمحالات بل بمحارا ا فكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين : إما خطأ في النقل أو فساد في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها أ ا أمر عقلي صريح والحال أنه خيال ووهم غير صحيح[1] .

وهؤلاء كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ، وقد ظن هؤلاء أن أبصارهم يمكن أن ترى كل شيء وأن أسماعهم يمكن أن تسمع كل شيء ، ونحن اليوم نعلم من أسرار ماكانت أسماعهم وأبصارهم عاجزة عن سماعه ورؤيته ، ومن آمن بالله صدق خبره ، وقد وردت إشارات في القرآن تدل على عذاب القبر ، وقد ترجم البخاري في كتاب الجنائز لعذاب القبر فقال : باب ماجاء في عذاب القبر[2] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات « القيامة الكبرى » ، وقيام الناس من قبورهم ، والثواب والعقاب هناك وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ[3] - ما بين الموت إلى يوم القيامة- هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة ؛ وإنما أنكر ذلك[4] في البرزخ قليل من أهل البدع .

لكن من أهل الكلام من يقول : هذا إنما يكون على[5] البدن فقط ، كأنه ليس عنده نفس تفارق البدن » كقول من يقول ذلك من المعتزلة والأشعرية .

ومنهم من يقول : بل هو على النفس فقط ، بناء على أنه ليس في البرزخ عذاب على البدن ولانعيم ، كما يقول ذلك ابن ميسرة ، وابن حزم .

---

(١) لوامع الأنوار ٢٠/٢ - ٢١ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الجنائز ، باب ٨٦ ، ٢٣١/٣ .

(٣) ولم تنحصر أسباب عذاب القبر فيما ذكرت فقط بل هناك عدة أسباب أخرى وصل إلينا العلم ا عن طريق المصطفى ﷺ ولم أذكرها شريطة الايجاز .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦٢/٤ .

(٥) المصدر السابق ونفس الصفحة .

ومنهم من يقول : بل البدن[1] ينعم ويعذب بلا حياة فيه ، كما قاله طائفة من أهل الحديث ، وابن الزاغوني إلى هذا في مصنفه في حياة الأنبياء في قبورهم .

والمقصود هناك : أن كثيرا من أهل الكلام ينكر أن يكون للنفس وجود بعد الموت ولا ثواب ولاعقاب ، ويزعمون أنه لم يدل على ذلك القرآن والحديث، كما أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقاً زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن ، وهو غلط ؛ بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن ، وبين النعيم والعذاب في البرزخ[2] .

ويذكر ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية حين تعرض لذكر تعلقات الروح بالبدن يذكر لها خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام .

أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنينا .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به في حال النوم ، فلها به تعلق من وجه ، ومفارقة من وجه .

الرابع : تعلقها به في البرزخ ، فإ ا وإن فارقته ، وتجردت عنه ، فإ ا لم تفارقه فراقا كليا بحيث لايبقى لها إليه التفات ألبتة ، فقد ورد أن الروح ترد إلى البدن وقت سلام المُسلم ، كما ورد أنه يسمع خفْق نعالهم حين يولّون عنه ، وهذا الرد إعادة خاصة لايوجب حياة البدن قبل يوم القيامة .

الخامس : تعلقه به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقه بالبدن ، ولا نسبة بينه وبين ما قبله من أنواع التعلق ، إذ هو تعلق لايقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا ، فالنوم أخو الموت ، فتأمل هذا ، يزيح عنك إشكالات كثيرة .

وليس السؤال في القبر للروح وحدها ، كما قال ابن حزم وغيره ، وأفسد منه قول من قال : إنه للبدن بلا روح : والأحاديث الصحيحة ترد القولين .

---

(١) المصدر السابق ٢٦٢/٤ - ٢٦٣ .

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٢/٤ - ٢٦٣ .

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعا ، بإتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس ، وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به .

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قُبر أولم يقبر ، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادا، ونسف في الهواء ، أو صلب أو غُرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور[1] هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه مخالفين في ذلك من ينكرو ـما من الزنادقة والملاحدة .

رأي ابن أبي زيد في عذاب القبر ونعيمه :

٣) - يذكر الشيخ ابن أبي زيد في الرسالة والجامع بقاء الروح بعد الموت وأنه يعذب وينعم ويقول : « ... وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون - { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة }[2] .

ويقول في الجامع : « وأن عذاب القبر حق ، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون ويسألون ويثبت الله منطق من أحب تثبيته .. »[3] كما أنه ذكر في نوادره ما يدل على بقاء الروح بعد الموت .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٥٧٨/٢ - ٥٨٠ . وانظر الفتح ١٢٣٣/٣ .

(٢) انظر الرسالة لابن أبي زيد وشرح الشيخ صالح عبدالسميع الآبي ص١٧ - ١٨ . والآية في سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

ومن الإشارات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر وعذابه ، واستدلال ابن أبي زيد ـذه الآية يفسرها الحديث الذي رواه البراء بن عازب ، رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : ((إذا ⇐ أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)) وفي رواية أخرى : وزاد { يثبت الله الذين آمنوا } نزلت في عذاب القبر . رواه البخاري في صحيحه ((كتاب الجنائز)) ، باب ماجاء في عذاب القبر . انظر الفتح ٢٣١/٣ .

(٣) كتاب الجامع ص١٤٣ - ١٤٤ .

وأ ا تخرج من الجسد وتعود إليه وأن من سعد بطاعة الله يكون روحه حيا منعما وتتفاضل الأرواح في ذلك بالدرجات وفي ذلك يقول الشيخ ابن أبي زيد: « ومن قول أهل العلم وأئمة الدين في الأرواح أ ا باقية ، فأرواح أهل السعادة منعمة إلى يوم الدين ، وأرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم يبعثون قال تعالى في الشهداء : { أحياء عند ر م يرزقون }[١] إلى قوله تعالى : { ويستبشرون بالذين لم يلحقوا م من خلفهم }[٢] الآية . هذا والذين من خلفهم بعد في الدنيا . وقال في آل فرعون : { النار يعرضون عليها غدوا وعشيا }[٣] . قال ابن أبي زيد « وهذا قبل قيام الساعة ويوم تقوم الساعة{ ادخلوا أهل فرعون أشد العذاب } . قال تعالى : { الله يتوفى الأنفس حين مو ا والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى }[٤] الآية . ولم يقل فيميت التي قضى عليها الموت فوفاة النفوس والأرواح توفي قبض لاتوفي تلاشي . قال تعالى : { توفته رسلنا }[٥] الآية . وذلك زوال الروح عن الجسد . وقال في الكفار : { والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم }[٦]* ولم يقل إ م يميتوا أنفسهم ، وقال في قول من قال من الموتى : { رب ارجعون }[٧] الآية . فهذا قول الروح ، وإذا كان الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند ر م ، وهم فرحون بما هم فيه من النعمة والغبطة وذلك في الحياة البرزخية حيث إن أرواحهم تتنعم في الجنة فضلا ورحمة ومنة من الله . وأ م مستبشرون بإخوا م في الدنيا الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أ م يقدمون عليهم ، وأ م

---

(١) يشير إلى الآية ١٦٩ من سورة آل عمران .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٠ .

(٣) سورة غافر آية : ٤٦ .

(٤) سورة الزمر آية : ٤٢ .

(٥) سورة الأنعام آية : ٦١ .

(٦) سورة الأنعام آية : ٩٣ .

* دلالة على أن النفس والروح شيء واحد حيث إن المراد بالآية الأرواح . (الفتح ٢٣٣/٣) .

(٧) سورة المؤمنون آية : ٩٩ .

لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وأن مصيرهم الجنة وقد أعدها الله لهم[١] .

٤ - ٥) - أنه يتوفى النفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضو ا من الأبدان والوفاة الصغرى عند النوم لقوله تعالى { ويرسل عليكم حفظة} وقوله تعالى{ الله يتوفى الأنفس حين مو ا } وقوله تعالى{ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون }[٢] سمى الله النوم موتاً صغيراً فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى فيه دلالة على أ ا تجتمع في الملأ الأعلى وأن الأرواح لاتموت وإنما تقبض وتمسك إما منعمة أو معذبة وفق ما كسبته أيدي صاحبها من الحسنات والسيئات[٣] .

٦) - قال ابن كثير في تفسيره للآية : والملائكة باسطوا أيديهم أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم فتتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضر م الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم[٤] . مال ابن كثير إلى عدم وجود الفرق بين الروح والنفس وذلك بمقتضى دلالة الآية وهذا أحد قولي الشيخ ابن أبي زيد القيرواني .

فالشيخ ابن أبي زيد يرى كما تقدم أن عذاب القبر ونعيمه حقيقيان لامعنويان يصيب الجسد والروح معا ، وهذا - كما تقدم - مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة واستدل الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - على قوله هذا على أن الروح لاترجع إلا إلى جسده الذي كان فيه وبذلك جاء الحديث في نفخ الصور ليخرج به الأرواح من كل روح إلى جسده .. »[٥].

---

(١) ابن كثير ٤٢٧/٢ - ٤٢٨ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٦١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٥/٤ و١٣٨/٢ .

(٤) المصدر السابق ١٥٧/٢ .

(٥) انظر النوادر والزيادات ورقة ١٥٥ جـ٢ ، لابن أبي زيد القيرواني .

رأي ابن أبي زيد في بقاء الأرواح :

إن من يطلع على رأي ابن أبي زيد في الأرواح من جهة بقائها أو فنائها وما أثير حول هذا الأمر من خلاف يرى أن الشيخ يتابع رأى جمهرة العلماء في القول ببقائها بعد خروجها من الجسد سعيدة منعمة أو شقية معذبة ويستدل على ذلك أن بقاء أرواح السعداء إلى يوم الدين في النعيم يقيس ذلك على بقاء أرواح الشهداء لأ م داخلون في عموم طاعة الله عزوجل كما أن الشهداء مطيعون لله عزوجل راغبون في ثوابه ورضاه وذلك بما قدموا من أرواحهم في جهاد الكفار ذلك لأن الشهداء كانوا قبل يوم القيامة أحياء في قبورهم ويرزقون من عند ر م فكذلك لايمتنع أن يكون من سعد بطاعة الله يكون منعما في قبره[1] .

٢) - ويبرهن ابن أبي زيد على ذلك ببعض آي القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ومن الآيات القرآنية ما يأتي في قوله تعالى في الإخبار عن حال الشهداء في الحياة البرزخية قوله تعالى : { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ر م يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا م من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون }[2] .

قال ابن أبي زيد وجه الدلالة في هاتين الآيتين أ ما وعد إلهي لمن استشهد في سبيل الله في وقت الحاضر كما تشمل الذين من خلفهم بعد في الدنيا ولم يلحقهم الموت[3] .

(ب) وقوله تعالى : { ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون }[4] يخبر تعالى أن الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون ، ففيه دلالة لعموم المؤمنين المتقين أيضاً حيث أ م فازوا بإتباع أوامر الله واجتناب نواهيه .

---

(١) النوادر والزيادات ورقة ١٥٥ ((و)) .

(٢) سورة آل عمران الآيتان : ١٦٩ - ١٧٠ .

(٣) النوادر والزيادات ص١٥٥ ((و)) .

(٤) سورة البقرة آية : ١٥٤ .

٣) - ومن السنة النبوية : التي اعتمد عليها ابن أبي زيد في قول ببقاء الأرواح في النعيم ما يأتي :

قول النبي - ﷺ - من مسند عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما أصيب إخوانكم - يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أ ار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب مذللة في ظل العرش »[١] الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داؤد[٢] ، ومعناه في حديث ابن مسعود ، رواه مسلم .

وقال ابن أبي زيد عقب استدلاله بالحديث المذكور آنفا وحكم بصحته وأن محتواه مرضي عنه وأيده القرآن ولا يدفعه إلا زائغ أو ملحد[٣] .

(ء) - وفي « الموطأ » أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺقال : « إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة،حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه »[٤]

قلت : ووجه الدلالة من الحديث أن « نسمة المؤمن » تعم الشهيد وغيره ، ولا نستبعد ذلك لوجود وجه التلازم بينهما في طاعة الله عزوجل وامتثال أوامره وذلك بأن يجعلهما الله في جوف طير خضر فتدخل في عموم الحديث الآخر ذا الإعتبار .

٣) - وقد أنكر ابن أبي زيد الذي فيه لفظ « حواصل طير » فحكم بعدم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٦٦/١ ، وابن أبي شيبة ٢٩٤/٥ - ٢٩٥ ، وأخرجه أبو داؤد ٢٥٢٠ ، والحاكم ٨٨/٢ ، ٢٩٧ ، والبيهقي في الدلائل ٣٠٤/٣ ، وفي إثبات عذاب القبر ١٤٥ .

(٢) وتمامه : فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشر م ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولاينكلوا عند الحرب ، فقال الله سبحانه : أنا أبلغهم عنكم ، قال : فأنزل الله : { ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا } سورة آل عمران آية : ١٦٩ . وانظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢٥/٤ .

(٣) انظر النوادر والزيادات ص ورقة ١٥٥ ((و)) .

(٤) أخرجه النسائي ١٠٨/٤ ، وابن ماجه ٤٢٧١ ، ومالك ٢٤٠/١ ، وأحمد ٤٥٥/٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٠ من طريق عبدالرحمن بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك باللفظ المذكور .

صحته حيث قال : « وأما حديث في « حواصل طير خضر »[1] فليس بصحيح والصحيح ما ذكرناه مما يؤيده القرآن الكريم ... »[2] .

وقد تابع ابن أبي زيد في هذا الحكم - آي عدم صحة الحديث الذي فيه لفظ « حواصل طير خضر » تلميذه أبو الحسن القابسي [3] القيرواني وذلك لما يقتضيه من الحصر والضيق . ويقول : «أنكر العلماء قول من قال : في حواصل طير خضر لأ ا رواية غير صحيحة لأ ا إذا كانت كذلك فهي محصورة مضيق عليها »[4] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في إثبات مقر أرواح المؤمنين والشهداء وغيرهم : « وقد ثبت أيضاً أن أرواح المؤمنين والشهداء وغيرهم في الجنة ، قال الإمام أحمد في رواية عبدالله بن أحمد بن حنبل - أرواح الكفار في النار ، وأرواح المؤمنين في الجنة ، قال عبدالله بن أحمد : سألت أبي عن أرواح الموتى : أتكون في أفنية قبورها ؟ أم في حواصل طير ؟ أم تموت كما تموت الأجساد ؟ فقال قد روى عن النبي ﷺ : أنه قال : « نسمة المؤمن إذا مات طائر تعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه .. » والنسمة تطلق على ذات الإنسان جسما وروحا وتطلق على الروح مفردة ..[5] .

وقد روى عن عبدالله بن عمرو أنه قال : أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر كالزرازير ، يتعارفون فيها ويرزقون من ثمرها ، قال : وقال بعض الناس :

---

(١) انظر شرح النووي لمسلم ٣٢/١٣ .

(٢) النوادر والزيادات ورقة ١٥٥ ((و)) .

(٣) ومن إفريقية : ١٠ - على بن محمد بن خلف المعافري أبو الحسن المعروف بابن القابسي : سمع من رجال إفريقية وكان واسع الرواية ، عالما بالحديث وعلله ورجاله ، فقيها ، أصوليا ، متكلما مؤلفا مجيدا . توفى رحمه الله تعالى بالقيروان سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن بباب تونس، انظر الديباج المذهب لابن فرحون ١٠١/٢ - ١٠٢ .

(٤) كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام في فضائل الجهاد تأليف أبي زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي المشهور بإبن النحاس ص٧٣٠ .

(٥) شرح النووي لمسلم ٣١/١٣ .

أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ، تأوي إلى قناديل في الجنة معلقة بالعرش[1]

ووجه الدلالة في كلام ابن تيمية أن في إجابة الإمام أحمد لابنه لم يكن فيها ذكر حواصل طير ولعل ذلك مما سوغ لابن أبي زيد عدم الأخذ ا لضعف الرواية .

وأما الإمام القرطبي فقد رأى خلاف ذلك وحكم بصحة الحديث الذي فيه لفظ « حواصل طير » ويقول : « الرواية صحيحة لأ ا في صحيح مسلم فيحتمل أن يكون في بمعنى على ، فيكون المعنى لأرواحهم على جوف طير خضر كما قال تعالى : { ولأصلبنكم في جذوع النخل } أي على جذوع النخل ، وجائز أن يسمى الظهر جوفا إذ هو محيط به ، ومشتمل عليه ، قال أبو محمد عبدالحق ، وهو حسن جدا »[2].

قال ابن النحاس : (ت ٨١٤هـ) في هذا الكلام كله نظر فإن حديث ابن مسعود صحيح لاشك فيه ، فلا يلتفت إلى قول من قال غير صحيح . وأيضاً فإنا لانسلم أن أرواحهم محصورة لكو ا في جسد فإنه يلزم من ذلك أن تكون أرواح أهل الجنة في الجنة محصورة بأجسادهم ، وأن يكون جعفر - رضي الله عنه - محصورا بالجسد الذي رآه النبي ﷺ فيه وهو سيد الشهداء ولا ضرورة تدعوا إلى التأويل الذي أوله أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله بل الذي يظهر لي - والله أعلم - من الحكمة في جعل أرواحهم في هذه الأجساد : أ م لما جادوا بأجسادهم الكثيفة لله تعالى وبذلوها في حبه وعرضوها للآلام والمشاق الشديدة ، وسمحوا ا للفناء إمتثالا لأمر الله وطلبا لمرضاته ، عوضهم عنها أجسادا لطيفة في دار النعيم الباقي يأكلون ا ويشربون ويسرحون في الجنة حيث يشاؤون .

ولما كان ألطف الحيوانات أجساما الطير ، وألطف الألوان الأخضر ، وألطف الجمادات الشفافة الزجاج لوروده في القرآن الكريم فلذلك جعل الله

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢٤/٤ .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للقرطبي ص١٩٧ .

أرواح الشهداء في ألطف الأجساد وهو الطير الملون بألطف الألوان وهي الخضرة ، يأوي إلى ألطف الجمادات وهي القناديل المنورة والمفرحة في ظل عرش اللطيف الرحيم لتكمل لها لذة النعيم في جوار الرب الكريم ، فكيف يظن ا محصورة ؟ كلا ، والله إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا ... »[1] .

تعقيب على ما مضى : اعتبر ابن أبي زيد حديث حواصل الطير غير صحيح، والصواب أنه صحيح حيث قد أخرجه الإمام مسلم[2] في صحيحه ، ولعل الذي دفع الشيخ ابن أبي زيد إلى تضعيفه عدم شهرته بل هو مشهور ويقوى هذه الشهرة تعدد الرواية له واستبعاده من بعضهم .

ويرى ابن أبي زيد أن الأولى الاحتياط في الأمر وهو ترك هذا الحديث ولاسيما عند وجود ماهو أصح منه . ولذلك يقول القاضي عياض في حديث « حواصل طير » .. قال بعض المتكلمين على هذا الأشبه صحة قول من قال طير أو صورة طير وهو أكثر ما جاءت به الرواية لاسيما مع قوله تأوي إلى قناديل تحت العرش واستبعد بعضهم هذا ولم ينكره آخرون وليس فيه ما ينكر ولا فرق بين الأمرين بل رواية طير أو جوف طير أصح معنى وليس للأقيسة والعقول في هذا حكم وكله من ا وزات ، فإذا أراد الله ان يجعل هذه الأرواح إذا خرجت من المؤمن أو الشهيد في قناديل أو أجواف طير أو حيث يشاء كان ذلك ووقع ولم يبعد لاسيما مع القول بأن الأرواح أجسام[3] .

وظاهر مما تقدم من رأي الشيخ ابن أبي زيد عدم وجود التفرقة بين روح كل مؤمن ممن سعد بطاعة الله وروح الشهداء لدخولهما في عموم الحديث الذي رواه الإمام مالك في « الموطأ » عن كعب بن مالك في قول النبي ﷺ : « إن نسمة

---

(١) كتاب مشارع الأشواق ص٧٣٠ - ٧٣٢ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ : رقم الباب (٣٣□) ورقم الحديث ١٢١(١٨٨٧) ص١٥٠٢ ، كتاب الإمارة ، وفي الرواية الأخرى ، ارواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقه بالعرش . تسرح من الجنة حيث شاءت ..)) .

(٣) شرح النووي لمسلم ٣٢/١٣ .

المؤمن[1] طائر يعلق في شجر الجنة ... وغيره من الأحاديث الصحيحة المرفوعة إلى النبي ﷺ .

وإن قيل : إذا كانت روح كل مؤمن على صورة طير في الجنة فبماذا يتميز الشهيد ؟ وقد قدم العلماء لهذا السؤال عدة أجوبة منها :

١) - فإ م - الشهداء - لما بذلوا أبدا م لله عزوجل حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبدانا خيرا منها ، تكون فيها إلى يوم القيامة ، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان ، أكمل من تنعم الأرواح ا ردة عنها[2] .

(ب) - أن أرواح الشهداء تقدم في حواصل طير خضر فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإ ا تطير بأنفسها[3] .

(جـ) : وقيل إن المراد بذلك روح المؤمن الشهيد دون غيره من عموم المؤمنين ، ويؤيد هذا مارواه عبدالرزاق عن معمر من حديث بن كعب عن أبيه أن أرواح الشهداء في صور طير خضر معلقة .. فهنا حمل المطلق (أي الحديث الذي معنا - على المقيد أعنى الحديث الذي أورده مسلم .

(د) - قال القرطبي : أن روح المؤمن تطير في شجر الجنة وتسرح بينها إلى يوم القيامة لا أ ا على شكل طائر يأكل ويشرب بخلاف روح الشهداء فإ ا في جوف طير أخضر أو على صورة طير أخضر تأكل وتشرب وتتنعم وتأوي إلى قناديل في ظل العرش[4] .

وقيل إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح متنقلة في رياض الجنة وتأوي في قناديل معلقة في العرش ، أما أرواح المؤمنين فإ ا في أجواف طير

(١) قال ابن كثير :- الحديث ، إسناده صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب ، المتبعة فإن الإمام أحمد رحمه الله رواه عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله عن مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله عن الزهري عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ... . تفسير ابن كثير ٤٢٧/١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٥٨٧/٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٢٧/١ .

(٤) انظر كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العساق ص٧٣٤ .

يعلق[1] ثمر الجنة ولا ينتقل في أرجائها .

تعقيب : على ضوء ما تقدم من كلام الشيخ ابن أبي زيد أرى أن ما قاله يعتبر اجتهادا منه إما أن يكون إنه لم يفهم القضية أو فهم على غير وجه سليم حيث إن سؤال عبدالله بن حنبل لأبيه كان سؤالا عن نسمة المؤمن فقط دون الشهداء ومن المعلوم أن الجواب على قدر السؤال فصار إجابة الإمام أحمد بن حنبل محصورة على نسمة المؤمن دون الشهيد ويرى جمهرة العلماء فضلا كبيرا للشهداء دون من سواهم من المؤمنين المطيعين .

النفس والروح وموقف ابن أبي زيد منها :

بحث بعض العلماء في حقيقة أمر الإنسان بعد موته حقيقة الروح التي قد تكون في عليين أو في الدرك أسفل من النار بعد مفارقتها للجسم ، ماهي ؟ وهل لها كيفية تعلم ؟ وهل هي جزء من البدن ؟ أم شيء آخر غيره ؟ فإن كانت غيره فأين مسكنها فيه ؟ وهل هي حادثة ؟ وهل مايعتري الجسد في حيواته روح واحدة أم أ ا تتعدد ؟ وهل تموت الأرواح ؟ وما وكيفية مو ا ؟ وأين مستقرها في البرزخ وغير ذلك من اختلافات عديدة حولها .

وقد أجاب أصدق القائلين الذي إليه الأمر من قبل ومن بعد وإليه يرد ما يقطع الن اع ويفحم الخصم يقول الحق سبحانه في فصل البيان { قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً }[2] أي : لاسبيل لك إلى إدراك حقيقة أمر الروح لامن طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع لأنه من المغيبات التي اختص الله بعلمها .

يقول ابن تيمية : « والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوحة فيه ، وهي النفس التي تفارقه بالموت »[3] ، وقد أخطأ الذين فرقوا بين الروح والنفس واعتقدوا أ ما أمران مختلفان ، ومن تأمل في النصوص القرآنية

---

(١) ((يعلق)) أي : يأكل . تفسير ابن كثير ٤٢٧/١ .

(٢) سورة الاسراء آية : ٨٥ .

(٣) رسالة العقل والروح ، مجموعة الرسائل المنيرية ٣٦/٢ .

والأحاديث الصحيحة علم أن النفس هي التي تقبضها الملائكة ، وتصعد ا إلى السماء ، وتعود ا إلى الجسد ، وتسأل ، وتنعم وتعذب ، وهي الروح أيضاً التي إذا خرجت من الجسد تبعها البصر ، وهذا المخلوق الذي تكون به الحياة، وتفقد الحياة بفقده يسمى روحا ونفسا ، ولايمنع هذا أن يطلق على كل من الروح والنفس إطلاقات أخرى ، يقول ابن تيمية : « لفظ الروح والنفس يعبر ما عن عدة معان : فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه ، ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق، وهو الذي تسميه الأطباء الروح ، ويسمى الروح الحيواني ، فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس ، ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه ، وقد يراد بلفظ « النفس » الدم الذي يكون في الحيوان ، كقول الفقهاء : « ماله نفس سائلة وما ليس له نفس سائلة » فهذان المعنيان للنفس ليسا هما معنى الروح »[1].

قال ابن القيم : سميت الروح روحا لأن ا حياة البدن وكذلك سميت الريح لما يحصل ا من الحياة[2] .

فابن القيم يرى أن النفس والروح شيء واحد وهذا الذي قاله جمهور الأمة[3] .

تعريف الروح : أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس نوراني علوي خفيف حي متحرك ، ينتقل في الأعضاء ، ويسري فيها سريان الماء في الورود ، وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في الفحم ، فمادامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها ، من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم ساريا في هذه الأعضاء ، وأفاد ا هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية ، وإذا أراد الله موت هذا المخلوق الحي انفصلت عنه الروح ، فهي إذا ذات قائمة بنفسها تصعد وت ل وتتصل وتنفصل ، وتخرج وتذهب ، وتجيء وتتحرك

---

(١) المصدر السابق ٣٩/٢ .

(٢) كتاب الروح لابن القيم ص٢١٨ .

(٣) كتاب الروح لابن القيم ص٢١٧ .

وتسكن[١] .

وقال ابن القيم : وقالت فرقة أخرى من أهل الحديث والفقه والتصوف « الروح غير النفس » .

قال عبدالله بن منده ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فقال بعضهم النفس طينية نارية والروح نورية روحانية .

(وقالت طائفة) : وهم أهل الأثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح ، والنفس صورة العبد ، والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه ، فالنفس لاتريد إلا الدنيا ولا تحب الا أياها. والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها ، وجعل الهوى تبعا للنفس ، والشيطان تبع النفس والهوى ، والملك مع العقل والروح .

ذكر ابن القيم إختلاف العلماء في موت الأرواح بموت الأبدان والأنفس أو لاتموت ؟ .

فقالت طائفة : الأرواح لاتموت ولا تبلى .

وقيل : الأرواح على صور الخلق لها أيد وأرجل وأعين وسمع وبصر ولسان وقيل : للمؤمن ثلاثة أرواح ، وللمنافق والكافر روح واحدة[٢] .

قال ابن القيم : أما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح واحدة ، وهي النفس وتبين من قول ابن القيم تواطؤ معنى الروح والنفس .

---

(١) التحفة للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي ص١٢٥ - ١٢٦ .

هذا تعريف ابن القيم للروح في كتابه ((الروح)) وقد نقله عنه السفاريني في لوامع الأنوار البهية ٢٩/٢ ، وعزاه إليه ، وذكره بنصه شارح الطحاوية من غير عزو ، انظر شرح الطحاوية ٥٦٥/٢ ، وقد قال ابن القيم بعد سياقه لهذا التعريف : وهذا القول هو الصواب في المسألة ، وهو الذي لايصح غيره ، وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ، وذكر مائة وخمسة عشر دليلاً ، فأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وأمثالها . انتهى ما نقله الإمام السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية عن ابن القيم ، ٢٩/٢ .

(٢) انظر كتاب الروح لابن القيم ٢١٨ - ٢١٩ .

ويؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الحقيقة حيث يرى أن النفس هي الروح وذلك أن الله تارة يخاطب النفس ويريد ا الروح واستدل بقوله تعالى : { يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي }[1] ، فخاطبها بالرجوع إلى ر ا ، وبالدخول في عباده ودخول جنته ، وهذا تصريح بأ ا مربوبة . والنفس هنا هي الروح التي تقبض ، وإنما تتنوع صفا ا ، كما قال النبي ﷺفي الحديث الصحيح - لماناموا عن صلاة الفجر في السفر - قال : « إن الله قبض أرواحنا حيث شاء ، وردها حيث شاء - وفي رواية - قبض أنفسنا حيث شاء »[2].

وقال تعالى : { الله يتوفى الأنفس حين مو ا والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون }[3] . والمقبوضة المتوفى هي الروح .

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ... : « ألم تروا أن الإنسان إذا مات شخص بصره ؟ » قالوا : بلى ، قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه » فسماه تارة روحا ، وتارة نفسا[4] .

وقال ابن تيمية : ودلائل هذا الأصل وبيان مسمى « الروح والنفس » وما فيه من الاشتراك كثير لايحتمله هذا الجواب[5] .

---

(١) سورة الفجر الآيتان : ٢٧ - ٢٨ .

(٢) سنن أبي داؤد جـ ١:رقم ٤١٢ ص٢٥٣ ، كتاب الصلاة ، وفي الحديث أرواحكم وفي الموطأ : إن الله قبض أرواحنا ، ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا ... الموطأ : جـ ١ : (رقم الباب ٥) رقم الحديث ٢٦ ص١٤ ، وفي اللفظ للبخاري : ((إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء)) . فتح الباري جـ ٢ : رقم الباب : ٣٥ ، رقم الحديث ٥٩٥ . وفي اللفظ : إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء . (فتح الباري جـ١٣/ رقم ٣١ ، ص٤٤٧ وفي مسند الإمام أحمد إن الله - عزوجل - قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء (مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٥ : ٤٠) .

(٣) سورة الزمر آية : ٤٢ .

(٤) صحيح مسلم جـ ٢ : رقم الباب ٥ ، رقم الحديث ٩ (٩٢١) ص٦٣٥ ، كتاب الجنائز .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٢٥/٤ - ٢٢٦ .

هل تموت النفوس :

يقول ابن تيمية : « والأرواح مخلوقة بلا شك ؛ وهي لاتعدم ولاتفنى ؛ ولكن موا مفارقة الأبدان ، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان »[1].

وقد تعرض شارح الطحاوية لهذه المسألة ، فقال : « واختلف الناس هل تموت الروح أم لا ؟ فقالت طائفة : تموت لأ ا نفس ، وكل نفس ذائقة الموت ، وإذا كانت الملائكة تموت ، فالنفوس البشرية أولى بالموت ، وقال آخرون : لاتموت الأرواح ، فإ ا خلقت للبقاء ، وإنما تموت الأبدان ، قالوا : وقد دلت على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذا ا بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها ، والصواب أن يقال : موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها ، فإن أريد بمو ا هذا القدر ، فهي ذائقة الموت ، وإن أريد أ ا تعدم وتفنى بالكلية فهي لاتموت ذا الاعتبار ، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة:{ لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى }[2] ، وتلك الموتة هي مفارقة الروح الجسد »[3].

ويرى الشيخ ابن أبي زيد أن الروح لاتموت ولا تفنى وذلك تأييد لقول أهل السنة والجماعة ، واستدل بقوله تعالى في سورة الزمر : { الله يتوفى الأنفس حين موا والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون }[4] قال ابن أبي زيد في وجه دلالة الآية : « إن الله لم يقل فيمت التي قضى عليها الموت حيث إن في ذلك دلالة على أ ا تجتمع في الملأ الأعلى[5] . واستدل ابن أبي زيد بقول النبي ﷺ إذا عمد إلى فراشه : « اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) المصدر السابق ٢٧٩/٤ .

(٢) سورة الدخان آية : ٥٦ .

(٣) شرح الطحاوية ٥٧٠/٢ - ٥٧١ .

(٤) سورة الزمر آية : ٤٢ .

(٥) انظر النوادر والزيادات لابن أبي زيد ورقة ١٥٥ ، وانظر تفسير ابن كثير ٥٥/٤ .

تحفظ به الصالحين من عبادك »[1] .

فوصفها بأ ا في حال توفى النوم إما ممسكة وإما مرسلة .

---

(١) وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع وذكر أقوال من مضى من سلف الأمة وتركت هذه الأقوال رغبة في الإختصار وأ ا تتفق بما ذكره ابن أبي زيد القيرواني في نوادره والزيادات . انظر فتاوى ابن تيمية ٤٤٧/٥ - ٤٥٣ .

الباب الثالث

موقف ابن أبي زيد من الفرق ويتضمن فصلين

الفصل الأول : موقفه من الخوارج .

الفصل الثاني : موقفه من الشيعة

الإسماعيلية .

الفصل الأول

موقفه من الخوارج

وفيه سبعة مباحث :

١) - ذمه للخوارج وموقفه منهم .

٢) - إبطال تكفيرهم مرتكب الكبيرة .

٣) - إبطاله لإنكارهم الشفاعة لأصحاب الكبائر .

٤) - موقف الخوارج من الصحابة ورد ابن أبي زيد عليهم .

٥) - إبطاله لتأويلا م للقرآن الكريم .

٦) - إبطاله لآراء الخوارج في جواز الخروج على أئمة الجور .

تمهيد :

ومن سماحة الدين الإسلامي دعو إلىتوحيد الألوهية والالتزام بالتمسك

بالشريعة ، وحضه على الوحدة بين أتباعه وإلى التآلف بين أبنائه وأتباعه وهو ـذا ينهي عن الفرقة بين المسلمين وإن لم يمانع عن الإختلاف المطلق والجدال بالتي هي أحسن مالا يؤدي إلى الفرقة والتدابر . وعلى هذا جاء القرآن الكريم يؤكد لنا الدعوة إلى التمسك بحبل الله المتين ، كما ورد في قوله تعالى : { واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ... }(١) . وقوله تعالى : { وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم }(٢) . وقوله تعالى : { إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون }(٣) . ويقول ابن كثير : وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا . وما اهم عنه إنزجروا ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختفلوا فيكون سببا لتخاذلهم وفشلهم ..(٤) .

وورد عن النبي ﷺ النهي عن الفرقة والاختلاف . فقد روى الدارمي بإسناد صحيح ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم تلا : { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وذلا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }(٥) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض »(٦).

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٢) سورة الأنفال آية : ٤٦ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣١٦/٢ .

(٥) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٦) رواه البخاري عن عبدالله بن عمر في كتاب الفتن باب : « قول النبي ﷺ : لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ، صحيح البخاري ٩٠/٨ - ٩١ ، كما رواه مسلم عن ابن عمر أيضاً في كتاب الإيمان ، باب « بيان معنى قول النبي - ﷺ - لاترجعوا بعدي كفارا ⇐ يضرب بعضكم رقاب بعض انظر صحيح مسلم ٥٨/١ ، ورواه ابن ماجة عن جرير ابن عبدالله رضي الله عنه في باب : « لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » ١٣٠٠/٢ ، حديث ٣٩٤٢ - ٣٩٤٣ .

وجاء أمر صريح من الله تعالى في القرآن ناهيا عن الفرقة ودواعيها ، وذم الرسول - ﷺ - للجدال وأمره للمسلمين بالبعد عنه وتركه يمثل ، رادعا قويا للمسلمين عن الإختلاف الذي ليس له حظ من النظر ، ولاسيما في مسائل الاعتقاد ، وقد استقامت حياة المسلمين على عهد رسول الله ﷺ، بعيدة عن الاختلاف والتنازع ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام مرجعا أساسيا للمسملين عند حدوث ما يستوجب التوقف أمامه لمعرفة حكمه صغيرا كان أم كبيرا ، لذا ، لم نجد خلافا بين المسلمين على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وإذا وجد لم يلبث أن يزول وينتهي بخضوع الجميع تصديقا لقوله تعالى : { وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا }(1) .

وكان الحال كما ذكرته حتى انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وبعد ذلك نشب الخلاف حول الخلافة ، وترعرع ونمى حتى أصبح مذاهب وأحزابا . ومن علامات النبوة إخباره ﷺ عن وقوع الإختلاف وحدوث الشقاق بين صفوف المسلمين وقد ذكر عن الرسول ﷺ عدة روايات يعضد بعضها بعضا ، تحذر المسلمين من هذا الخلاف المرتقب منها ما رواه أبو داود في سننه من حديث معأوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قام فقال : ألا إن رسول الله ﷺقام فينا فقال : « ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة ، وأنه سيخرج من أمتي أقوام تجاري م الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه لايبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله »(2) .

وفي رواية أخرى عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ ((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى

---

(1) سورة الأحزاب آية : ٣٦ .

(2) انظر سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين بن عبدالحميد ، ٢٧٦/٤ - ٢٧٧ ، رقم الحديث ٤٥٩٧ ، كتاب السنة باب « شرح السنة » . والكَلَب داء يأخذ الإنسان من عضه الكلب المسعور .

امه علانية ليكونن في أمتي من يصنع ذلك ، وأن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وكذلك تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هي يا رسول الله ، قال : ما أنا عليه وأصحابي »[1].

إن دراسة تاريخ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي منذ الفتح الاسلامي حتى اليوم ، تمتاز بغزارة المادة والاستناد إلى المصادر الوثيقة ، ومنها يتكشف للمرء تنوع الـ عات ، ووفرة الاتجاهات ، فمذهب الخوارج وجد في وقت مبكر من خلافة على رضي الله عنه وذلك على إثر الخلافات السياسية التي تعرض لها الصحابة رضي الله عنهم باجتهاد منهم وذلك في سنة ٣٧هـ . حيث اعترضوا على قبول التحكيم مع أ م هم الذين أكرهوا عليا رضي الله عنه على قبوله عندما رفع أصحاب معأوية رضي الله عنه المصاحف[2] .

فمذهب الخوارج وجد منذ البداية تربة له خصبة في هذه البلاد واستطاع أن يكون دولة ودويلات قائمة برأسها استمرت فترات غير قصيرة ، ولهم حتى اليوم أتباع متحمسون له .

فظهرت في عصره أي أمير المؤمنين علي الخوارج والشيعة وهما فرقتان متقابلتان : إحداهما تكفره وتتبرأ منه والأخرى تنصره وتؤيده . ومذهب الشيعة بدأ من هاهنا ولعل أعظم وأخطر دولة شيعية في تاريخ الإسلام هي دولة الفاطميين التي استمرت قرابة ثلاثة قرون وأتسعت رقعتها من المحيط غربا حتى شملت الشمال الإفريقي كله ومصر وسوريا . ومذهب المعتزلة لاقى فترات نجاح طويلة حينا قصيرة في بعض الأحيان ، ولاتزال آثاره عميقة في مذهب الأباضية

---

(١) انظر سنن الترمذي ، تحقيق إبراهيم عطيه عوض ، حديث رقم ٢٦٤١ في الإيمان ، باب « ماجاء في إفتراق هذه الأمة » . وفي سنده عبدالرحمن بن أبي سفيان الذي تقدم من رواية أبي داود . وحديث أبي هريرة عند الترمذي حديث رقم ٢٦٤٠ : أن رسول الله ﷺقال : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » . فالحديث ـما حسن ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لانعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه . انظر سنن الترمذي ، ٢٥/٥ - ٢٦ .

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي تحقيق أحمد سعد حمدان ٢٠/١ .

حتى يوم الناس هذا . وفي هذه المنطقة أيضاً قامت حركة توحيدية لامثيل لها سطوة ونفوذا .

وإلى جانب هذه الحركة الإسلامية الصحيحة وجدت بدع وفتن بصعب وصفها بالإسلامية الصحيحة مما هو أقرب إلى الكفر الصريح .

كما أن التصوف وجد أيضاً ، وكما هو الحال مع العقائد ارتبط بالسياسة فتميز بالمرابطة ، وكان للمرابطين والربط والزوايا دور سياسي خطير في تاريخ المغرب في القرون الأخيرة(١) .

ومن ضمن العلماء الذين قاوموا هذه الحركة الدينية عبدالله بن أبي زيد القيرواني في القرن الرابع فليس معنى ذلك أن أحداث القرون الأولى الغابرة لم تتسرب إلى القرن الذي عاش فيه كما لايعني ذلك أن أثر القرن الذي عاش فيه قد توقف ولم يتجأوز حدوده إلى ما بعده ، فإن أدوار الحياة متداخلة متطورة يؤثر أحدها في الآخر ويتطور أحدها عن الآخر كما سبق أن قلته في الفصول الماضية(٢) . ولاشك عندي أن علماء القيروان في ذلك العصر قاموا بدور مهم لاستئصال هذه الفرق الخارجة عن الدين حيث أدركوا خروج أصحا ا عن النهج الإسلامي بيد أ م لم يجرؤا صراحة على ذلك فدلسوا على سذج القوم وتستروا وراء تلك الآراء التي قال ا من ينتسب إلى الإسلام خير وسيلة لتحقيق ذلك فذهبوا إلى تمجيد تلك الأخطار لتحقيق أهدافهم البعيدة . ونرى أن الشيخ ابن أبي زيد في مقدمة من كان يرد على أفكارهم وترها م كما سيأتي في الرسالة إن شاء الله .

حديث الافتراق : وموقف ابن أبي زيد منه .

وهذا الأمر قد عني به الإسلام ممثلا في القرآن الكريم وكذلك رسول الله ﷺ

---

(١) الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي . ص٦ ، دار الغرب الإسلامي ، ط : الثالثة ١٩٨٧م .

(٢) انظر كتاب ابن أبي زيد القيرواني للدرقاش ص٢١ .للمزيد من التوضيح.

وكذلك أصحابه البررة والتابعين لهم بإحسان . فنجد القرآن يؤكد على الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم والبعد عن وقوع الفرقة بينهم وهذا الأمر ورد في القرآن الكريم كما ذكر في السنة النبوية المطهرة .

فمما جاء في القرآن الكريم ، قوله تعالى :

١) - وقوله تعالى : { واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ... }[١] .

٢) - { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }[٢] .

٣) - وقوله تعالى : { إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء }[٣] .

وهذه الآيات واضحة الدلالة في النهي عن التفرق والدعوة إلى الوحدة وجمع كلمة المسلمين كما أن تفرق المسلمين يعتبر أمرا خارجا عن ما حث عليه الدين ، وحينما تفرق المسلمون أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون ، زعمت كل فرقة أ ا هي الناجية ، وما عداها هالك ، التبس الأمر على كثير من المسلمين فلم يهتد إلى الفرقة الناجية بسبب تلك المزاعم ، والعبرة بما وافق الكتاب والسنة وما خالفها عرفنا أنه باطل وهذا هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به كل قول ومعتقد مهما كان مصدره كما هو حال أهل السنة في عرضهم للأقوال والمتعقدات على كتاب الله وسنة رسوله ، وهم الفرقة الناجية ، وهم أهل الحق إلى أن تقوم الساعة . ومعنى ذلك أن المسلم يجب أن يتمسك بما كان عليه رسول الله - ﷺ - والصحابة رضوان الله عليهم ، ومن سلك سبيلهم وسار على جهم ، ويلزم جماعة المسلمين التي لها إمام موافق للشرع[٤] .

---

(١) سورة آل عمران هذه بعض آيات : ١٠٣ .

(٢) سورة الأنعام هذه بعض آيات : ١٥٣ .

(٣) سورة الأنعام هذه بعض آيات : ١٥٩ .

(٤) انظر الإبانة الكبرى لابن بطة ٢٧٠/١ - ٤٢٤ الاعتصام للشاطبي ٢٥٨/٢ - ٢٦٧ ، الفتأوى ٣٤٥/٣ - ٣٤٧ .

الأدلة من السنة النبوية :

وهناك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ دالة على بالغ عناية الرسول ﷺ بالدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتحذيرهم من التفرق وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١) - ما رواه عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا ثم قال : « هذه سبيل الله » ، ثم خط خطوطا عن يمينه ، وخطوطا عن يساره ثم قال : « هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه »[١] .

ثم قرأ هذه الآية : { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون }[٢] .

٢) - وفي حديث العرباض بن سارية قوله ﷺ : « فإنه من يعش منكم فسيرى إختلافا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ... »[٣] .

٣) - وقد أوصى الرسول - ﷺ - حذيفة بن اليمان عند ظهور الخلاف والتفرق في الدين بقوله : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » . قال حذيفة : قلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك »[٤].

وقال الإمام النووي في حديث حذيفة : هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده ولاشك ان الحديث ينطبق تماما على الفرق الخارجة عن الحق ، على رأس كل طائفة شياطين يدعون الناس إلى مسالكهم ، والسير في سبيلهم .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

رواه الإمام أحمد ٤٦٥/١ ، ٣٩٧/٣ ، ومحمد بن نصر في السنة ص١٠ رقم ١١ ، ١٢ ، ١٣ . والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ٣١٨/٢ ، وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني في تخريجه له ١٣/١ رقم ١٦ ، ١٧ .

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٩/٤ ، وأبو دأود ٥٠٦/٢ ، واللفظ له .

(٤) رواه البخاري فتح ٦١٥/٦ ، ٣٥/١٣ . ومسلم ٥١٤/٤ .

ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي[١] .

وقال ابن حجر : قال ابن بطال : فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور[٢] .

قال ابن كثير : قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : { ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } وقوله : { أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه } ونحو هذا في القرآن ، قال :

أمر الله المؤمنين بالجماعة و اهم عن الاختلاف والتفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ، ونحو هذا قاله مجاهد ...[٣] .

وعن معاوية بن أبي سفيان قال : قام فينا رسول الله ﷺ ، فقال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة ... وهي الجماعة »[٤] .

وفي رواية عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة »[٥] .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٣٧/١٢ .
(٢) فتح الباري ٣٧/١٣ .
(٣) تفسير ابن كثير ١٩٠/٢ .
(٤) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ٥٠٣/٢ .
(٥) أخرج نحوه أبو داود عن أبي هريرة ٥٠٣/٢ .
ولنا أن نمعن النظر في هذا الحديث الذي أضاف إلى التحذير من الإفتراق الأخبار لاك تلك الفرق الضالة سوى واحدة منها ، ثم جاء الحصر في العدد المذكور ، ومع وجود عدة روايات للحديث المذكور لم يخل من كلام العلماء في صحته كما ذكره المحققون وإليكم كلامهم .
روى هذا الحديث بعدة أسانيد إلا أن العلماء وقفوا بالنسبة لقبوله المواقف التالية :
أ) - منهم من لم يصححه ، ولم يجوز الاستدلال به ، وهم بعض علماء الفرق كابن حزم وغيرهم .
⇦

يرى الشيخ ابن أبي زيد أن المقصود بالافتراق هو ما يضاد الاجتماع -ما أجمع عليه جمهور الأمة- الذي يقصد به جماعة المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة كما كان عليه الرسول وأصحابه كما يرى صحة حديث الافتراق إلى بضع وسبعين فرقاً، وساق هذه الأدلة على ذلك وهذا فيه موافقة لقول الإمام الشاطبي في الاعتصام[1] .

قال ابن أبي زيد في الجامع : « والتسليم للسنن لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس ، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه ، وما عملوا به عملناه ، وما تركوه تركناه ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بينوا ، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوا في الحوادث ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تـأويله[2] .

وقال : وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه ، وكله قول مالك ، فمنه منصوص من قوله ، ومنه معلوم من مذهبه[3] .

ب) - ومنهم من اكتفى بتعدد طرقه ، وتعدد الصحابة الذين رووا هذا المعنى عن رسول الله - ﷺ - .

جـ) - ومنهم من أخذ به وحاول أن يحصر الفرق في العدد المذكور كالبغدادي رحمه الله وغيره . انظر الفرق بين الفرق ، تعليق محمد محي الدين ص٦ .

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - حينما تعرض للكلام عن الفرق ، قال عن الحديث : « مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين ، وقد ضعفه ابن حزم وغيره ، لكن حسنه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره ، وقد رواه أهل السنن الكبرى وروى من طرق » . منهاج السنة ٤٨/٥ - ٤٩ ، وكما تعرض لذكره في مجموع الفتاوى له أيضاً وذكر أن الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد ، كسنن أبي داود والترمذي والنسائي . مجموع الفتاوى ٣٤٥/٣ .

(١) الاعتصام للشاطبي ٢٦٥/٢ .

(٢) كتاب الجامع تحقيق أبو الأجفان ص١١٧ .

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة .

وذكر ابن أبي زيد عن الإمام مالك من قول عمر بن عبدالعزيز[1] :

سن رسول الله ﷺ لولاة الأمر من بعده سننا للأخذ ا تصديقا بكتاب الله واستكمالا لطاعة الله وقوة على دين الله ، وليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ، ولا النظر فيما خالفها ، من اقتدى ا مهتد ، ومن استنصر ا منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا .. »[2] .

فائده :

وفي هذه الأحاديث المذكورة في افتراق هذه الأمة منها إحدى وسبعين فرقة واثنتين وسبعين وثلاث وسبعين فرقة دلالة على الأقلية لليهود مقابل النصارى والنصارى أقل نسبة من أمة محمد ﷺ.

وقد يسأل السائل عن فائدة إخبار رسول الله ﷺ عن هذه المأساة مع أن الأمة المحمدية متحدة في عصر النبوة ؟ ولاشك أن الافتراق مذموم ويؤدي إلى الشحناء والبغضاء ؟ .

الجواب : أن ذلك من معجزات رسول الله ﷺ حيث أخبر عن الشيء الذي لم يحدث وحدوثه دال على صدق نبوته .

ثانياً : إخبار الرسول فيه تحذير للأمة من الافتراق حتى لايقعوا في المحظورات

ثالثاً : ويرى الأصوليون أن العدد لامفهوم له ، وقد يدل على الكثرة كما يدل على القلة . إلا أن الإخبار عن وقوع الافتراق في أمته ﷺمقابل ما حدث لدى كل من اليهود والنصارى يدل على عظمه وسعته بين أبناء الأمة الإسلامية

وما تقدم من كلام الشيخ يعتبر ملخصا لمنهج السلف الصالح - رحمهم الله - وهو واضح في دلالته لأنه مذهب أهل السنة وهم الجماعة الذين لايجوز

---

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الخليفة الأموي العادل الشهير المدني ثم الدمشقي ، أمه أم عاصم بن عمر بن الخطاب ت ١٠١ ، ذيب التهذيب ٤٧٥/٧ - ٤٧٨ .

(٢) كتاب الجامع ص١١٧ .

مخالفتهم في أي حال من الأحوال : « وهم أصحاب رسول الله - ﷺ - ومن اتبعهم بإحسان ، فهم يأخذون دينهم علما وعملا من كتاب ر م وسنة نبيهم في إطار فقه صحابة رسول الله - ﷺ ، لايقدمون على ذلك أو يعارضونه بعقل أو رأي أو قياس أو ذوق أو وجه غير ذلك .

وكل اجتهاد عندهم يعرض أولا على القرآن والسنة وفق ما قرره السلف الصالح - رضي الله عنهم - من الصحابة والتابعين ، فكل من التزم بالقرآن والسنة ، وإجماع صحابة رسول الله - ﷺ - كان من أهل السنة والجماعة..».

كما أن للشيخ حديثا عن الفرق في استهلال كلامه عن ذكر السنن الكبرى التي خلافها البدع وذكر حديث الرسول ﷺ في تحذيره عن الافتراق وحثه على لزوم السنة مدعمة ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم ما ، كتاب الله وسنة نبيه[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي عضوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدث بدعة ، وكل بدعة ضلالة »[2] .

قال ابن أبي زيد : إن الرسول ﷺحذر أمته من الفتن والأهواء والبدع ومن زلة العالم وقال عليه الصلاة والسلام لتركبن سنن من كان قبلكم ووصف عليه السلام الخوارج فجعلهم ببدعتهم مارقين من الدين . وتتابعت الآثار في الخوارج وفي القدرية ، والمرجئة والرافضة . وذلك في حديث أبي سعيد الخدري : « سمعت رسول الله - ﷺ- يقول : يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلا م وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ... ».

قال الباجي : أجمع العلماء على أن المراد ذا الحديث الخوارج الذين قاتلهم

(١) رواه الإمام مالك بن أنس في موطأه ، وهو من بلاغاته .

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ ١٩١/٢ - ١٩٣ ، وانظر عن الخوارج وفرقهم الملل والنحل للشهرستاني ١٥٦/١ .

علي .

أحوال الخوارج في عصر ابن أبي زيد القيرواني وموقفه منهم .

تمهيد حول نشأة الخوارج :

هناك عدة آراء لدى المؤرخين وأصحاب المقالات حول نشأة الخوارج إن بذرة الخرواج الأولى كانت في عهد النبوة على يد عبدالله ذي الخويصرة التميمي الذي طعن على الرسول ﷺفي قسمته الغنائم بالجعرانة[1] يوم حنين[2].

والبعض يرى أن الخوارج ظهروا من أواخر عهد عثمان رضي الله عته ، وذلك لأمور انتقم منه في ثنايا سياسته رضي الله عنه لكونه ولى بني أمية فكانت النتيجة عدم عدل بعضهم ونقمه الخوارج على أمير المؤمنين عثمان بسببهم أي بسبب سوء سلوكهم في الرعية وظلمهم .

وآخرون وهم الأكثرية ، يذهبون إلى أن الخوارج نشأوا إثر التحكيم[3] .

ويمكن الجمع بين هذه الآراء المختلفة التي لاتتعارض فيما بينها ، إذا سلمنا أن للخروج مدلولا واسعاً ، وقد أطلق على جماعة معينة ظهرت في الفترة التي أعقبت « التحكيم » فإن الاتجاه الخارجي الذي مثله هؤلاء الخوارج قد وردت الإشارة إليه في أحاديث عديدة ، كما ظهر أفراد على عهد رسول الله ﷺ يمثلون هذه الظاهرة ، واعتبروا من ثم سلفا للخوارج المتأخرين ، الأمر الذي أدى ببعض مؤرخي الفرق إلى اعتبار الخروج تيارا عاماً يشير إلى كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ،سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعده على التابعين ، أو على الأئمة في كل زمان[4] يشير ألى

---

(١) الجعرانة : مكان بين مكة والطائف .

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، القاهرة ١٣٤٨ ، ويؤيد ذلك الآجري في الشريعة ص٢٢ سنة ١٩٥٠/١٣٦٩ . جـ ٢٤٤/١٢ - ٢٤٦ .

(٣) كتاب دراسة عن الفرق للدكتور أحمد محمد أحمد جلي ص52 .

(٤) كتاب دراسة عن الفرق للدكتور أحمد محمد أحمد جلي ص52 .

كل من خرج على الإمام الحق سواء كان ذلك الإمام هو رسول الله -ﷺ- أو خليفة له أو إماماً...

ويؤيد هذا القول الشهرستاني قائلا : (أعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه - جماعة : ممن كان معه في حرب صفين ، وأشدهم خروجاً عليه ومروقا من الدين الأشعث بن قيس ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصن الطائي ، حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف ... »[1].

وذكر الفخر الرازي ت٦٠٤ هـ أن الخوارج برروا خروجهم على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقبوله التحكيم ولأنه بقبوله التحكيم أبطل حقه في الإمامة .

الخوارج : فرقة من الفزق الإسلامية ، كان أول خروجهم على أمير المؤمنين – الخليفة الراشد – علي بن أبي طالب –رضي الله عنه – حين جرى التحكيم بين علي ومعاوية –زضي الله عنهما – وكان مع خروجهم تأويلات في القرآن ، ومذاهب سوء ومفارقة لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، الذين أخذوا الكتاب والسنة عنهم ، وتفقهوا معهم ، فخالفوا في تأويلهم ومذاهبهم الصحابة والتابعين وكفروهم ، وكفروا المسلين بالمعاصي ، واستحلوا بالذنوب دمائهم ، وكان خروجهم –فيما زعموا- تغييراً للمنكر ورداً للباطل فكان ما جاءوا به أعظم المنكر وأشد الباطل .[2]

ألقا م :-

ولهم ألقاب خمسة عرفوا ا على مر التاريخ :

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١٠٦/١ .

(٢)التمهيد لابن عبد البر (٣٢٢/٢٣) فتح الباري (٢٨٣/١٢-٢٨٥)

١. الخوارج :وهذا أشهرها ، وسموا بذلك لخروجهم على كل إمام ، واعتقادهم أن ذلك فريضة عليهم ، لايسعهم المقام في طاعته ، حتى يخرجوا ويتخذوا لأنفسهم دا ر هجرة .

٢. المارقة : وهذا اللقب مأخوذ من قوله-ﷺ- ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)) [1]

٣. الحرورية : ولقبوا بذلك ، لاجتماعهم بقرية حروراء –موضع بالنهراوان- بعد خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٤. المحكمة : وسموا بذلك ؛ لقولهم بعد التحكيم :لاحكم إلا لله ، بدعوة أن الحكم الذي صدر من الحكمين إنما هو حكم رجال.

٥. الشراة : سموا بذلك ؛ لأ م قالوا : شرينا أنفسنا من الله ، نقاتل في سبيل الله ، وذهبوا في ذلك إلى قوله تعالى : {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون }[2].

وقوله تعالى : { ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله }[3].

وينقسم الخوارج إلى عشرين فرقة تفرعت من أصل ثمان فرق وهي:

١. المحكمة الأولى. ٢. الأزارقة.

٣. النجدات . ٤. البيهسية.

٥.العجاردة . ٦. الثعالبة. ٧. الإباضية . ٨. الصفرية.

والباقون فروعهم :وهذه الفرق تختلف فيما بينها في بعض العقائد ،وتتفق في بعضها الآخر و، ويجمعهم في ذلك ثلاثة أمور :

---

(١) هذا جزء من حديث رواه البخاري (الفتح :٢٨٣/١٢)ومسلم ٢/(٧٤٦-٧٤٧) وسيأتي تمامه

(٢) هذا جزء من آية ١١١ من سورة التوبة .

(٣) جزء من آية ٢٠٧ من سورة البقرة . وانظر كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم الرازي (٢٧٦-٢٨٢) ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١٢٧-١٢٨.

١.تكفير علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- وعثمان بن عفان- رضي الله عنه- وأصحاب الجمل ، والحكمين وكل من رضي بالتحكيم .

٢. تكفير مرتكبي الذنوب، والحكم عليهم بالخلود في النار إلا النجدات منهم فإ م قالوا : إن الفاسق كافر ، على معنى أنه كافر نعمة ربه لاكافر حقيقي.

٣.وجوب الخروج على الإمام الجائر .[١]وقد قررالخوارج في الخلافة أن الخليفة لا يشتلاط فيه القرشيةخلافاً لماصح عن النبيﷺبقوله(الأئمة من قريش)[٢].كماأ م خالفوا أهل السنة والجماعة في وجوب الخروج على الأئمة الظلمة وطرحوا النصوص الكثيرة التي منعت من الخروج على الأئمةإلا أن يبدوا منهم كفراً بواح.وفد كتب في أخبارهم عدد من العلماء منهم : الطنري في تاريخه،والمبرد في كتابه:الكامل في اللغة والأدب[٣]،وابن كثير في البداية والنهاية[٤] وغيرهم وتوارت الأحاديث الصحيحة في وصفهم عن النبيﷺ.قال شيخ الإسلام ابن تيميةرحمه الله تعالى: صح الحديث في الخوارج عن النبيﷺمن عشرة أوجه خرجها مسلم في صحيحه وخرج البخاري منها غير وجه[5].وسأذكر شيئاً من هذه الأحاديث الصحيحة الواردة في وصفهم:عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:سمعت رسول اللهﷺيقول (سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية، لايجاوز إيمانه حناجره ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١٨٦-٢٣١)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للمسلطي (٥١-٥٨، ١٦٧- ١٧٥) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ٢٤،٧٤، ١١٣، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥١/٥-٥٦) التعبير في الدين لابي المظفر الإسفراييني (٤٥-٦٢) الملل والنحل للشهرستاني (١١٤/١ –١٣٨) .

(٢) رواه الإمام أحمدفي مسنده ١٨٣١٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ١٠٩/٣- ١٢٥)، (٢، ١٢١- ١٩٨)

(٣) المصدر السابق جـ١٢١/٢- ١٩٨

(٤) المصدرالسابق جـ٣٠٤/٧- ٣٤٧ .

أجرا لمن قتلهم يوم القيامة)[1]

١. وفي رواية أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه – أنه سأل عن الحرورية قال : لاأدري ما الحرورية ، سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (يخرج في هذه الأمة –ولم يقل منها –قوم تحقرون صلاتكم مع صلا م ، يقرئون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه ، فيمارى في الفوق هل علق به من الدم شيء)[2].

٢. وفي رواية مسلم : أنه -ﷺ- قال:(لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود) [3]

٣. وفي رواية:أنهﷺ قال : (يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ويمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) [4].

٤. وفي رواية أنه ﷺ قال : (تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين ، يقتلها أولى الطائفتين بالحق)[5].

5. قال أبو سعيد الخدري في إحدى روايات الحديث :أشهد أني سمعت هذا من رسول اللهﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم ، وأنا معه .

وجاء وصفهم في رواية أبي ذر أنه ﷺ قال : (هم شر الخلق والخليقة) [6]

ويقول الدكتور جلي في هذا الصدد : أما مشكلة الإمامة فلم تكن للخوارج نظرية واضحة حولها كتلك التي للشيعة حول أئمتهم ، أو كتلك التي لعامة

---

(١) الفتاوى(٣٤٩١٣)-رواه البخاري (الفتح:٢٨٣/١٢ ومسلم ٧٤٦/٢- ٧٤٧ .

(٢)رواه البخاري (الفتح : ٢٨٣/١٢) ومسلم (٧٤٣/٢-٧٤٤)

(٣) رواه مسلم (٧٤٢/٢- ٧٤٣)

(٤) رواه مسلم (٧٤١/٢-٧٤٢)

(5) رواه مسلم ٧٤٥/٢

(٦)رواه البخاري (الفتح : ٢٩٠/١٢) ، ومسلم (٧٤٤/٢-٧٤٥)

المسلمين حول من يلي أمر المسلمين والشروط التي ينبغي توفرها فيه . بل اعتبر شعارهم « لا حكم إلا لله » ؟ تحللا من الالتزام بإمرة معينة ، ومن ثم رد عليهم علي رضي الله عنه بقوله : كلمة حق يراد ا باطل ، نعم إنه لا حكم إلا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله ، وأنه لابد للناس من أمير برٍ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع ا الفاجر ، ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفئ ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بر ويستراح من فاجر »[1] .

وللناس في حكمهم على الخوارج مذاهب عديدة وذلك ابتداء من علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وهوأعلم الناس م إذ كانوا منشقين من صفوفه ، وبعث إليهم ابن عباس للاطلاع على أحوالهم وشئو م وسأله عنهم ، إن كان يرى فيهم صفات المنافقين ، فرد عليه بقوله : (والله ما سيماهم بسيما المنافقين ، إن بين أعينهم لأثر السجود ، وهم يتأولون القرآن)[2] .

ثم إن عليا ناظرهم وقاتلهم ، وكان رأيه فيهم أ م ليسوا بكفار ولا منافقين، وإنما هم (قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا)[3] . وهذا رأي أغلب السلف من الصحابة والتابعين ، في الخوارج ، ولم يكفرهم مالك في الأظهر ، وإن رويت عنه رواية في تكفيرهم وللبخاري رأيان فيهم أحدهما يفهم منه تكفيرهم ، حيث قال : « باب قتال الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم »[4]. وله رأي ثان يفهم منه عدم تكفيرهم ، إذ روى عن كثير منهم قدروا بألف ومائتي رجل ، واعتبرهم ثقاة وليسوا بكذابين[5] .

---

(١) شرح ج البلاغة (لابن أبي الحديد) ٢١/٢ ، وانظر دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين لأحمد جلي ص٦١ - ٦٢ .

(٢) شرح ج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٣١٠/٢ ، مطبعة البابي الحلبي ، بالقاهرة ١٣٨٥ - ١٣٨٧هـ = ١٩٦٥ - ١٩٦٧م .

(٣) المدارس الكلامية للدكتور عبدا يد حمدة ص٧٠ - ٧١ .

(٤) فتح الباري ٢٥٢/٢٩٩/١٢ - ٢٥٣ .

(٥) المدارس الكلامية ص٧١ .

ويذهب الملطي (ت٣٧٧هـ/٩٨٧) إلى تكفيرهم ، وقد ذكر إجماع المسلمين على ذلك[1] . وهذا هو رأي الاسفراييني (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧) أيضاً[2]

والأولى بعد ذكر هذه الآراء حول الخوارج أن نقف منهم موقف أكثر الناس معرفة م وأعمقهم علما بالدين ، وهو علي بن أبي طالب ، حيث لم يعتبرهم كفارا ولا منافقين وإنما هم جماعة فتنوا في دينهم وحأولوا الإجتهاد ، فحادوا عن الصواب .

وليس أبلغ في الدلالة على ما أذكر مثل قول علي رضي الله عنه لاتقاتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأصابه.

وبعد هذا العرض الموجز أبين موقف الشيخ ابن أبي زيد من الخوارج ليتضح لنا مدى موافقته لمذهب السلف الصالح ويمكن تصنيف الأقوال الواردة عنه في موقفه من الخوارج والحكم عليهم الحكم في قتالهم ووجوب اعتزالهم كما يلي:

أما الحكم في قتالهم :واعتزالهم أي أن ابن أبي زيد أنصف الخوارج في حكمه عليهم ولاسيما إذا اعتزلوا المسلمين وأظهروا مخالفتهم ، وظهر منهم الإفساد في الأرض ورفضوا التوبة والرجوع إلى الحق الإكتفاءبعدم التسليم عليهم والجلوس معهم إلا أن تغلّظ عليهم ، وعدم عيادة مرضاهم كما يرى استتا م فإن تابوا وإلا قتلوا .. »[3].

وذكر في كتابه - الجامع - نقلا عن سحنون في حكمه على الخوارج وكذا حكمه على جميع ذوي البدع فقال : (والذي أقول به أ م إن بانوا بدارهم ودعوا إلى بدعتهم قوتلوا وإن لم يبينوا بدارهم ويدعوا إلى بدعتهم فإ م لايسلم عليهم ولا يناكحون ولا يعاد مريضهم ولاتشهد جنائزهم أدبا لهم ويؤدبون

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٥٠ - ٥١ ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

(٢) التبصير في الدين ، تحقيق زاهد الكوثري ص٢٦ - ٣٢ ، القاهرة ، مطبعة الأنوار ١٣٥٩ - ١٩٤٠ .

(٣) كتاب الجامع ص١٥٧ .

ويسجنون حتى يرجعوا عن بدعتهم[1]) .

وهذا يمثل عامة رأي ابن أبي زيد في الإباضية والقدرية والرافضة حيث يرى قتالهم وهجرا م إذا دعوا إلى بدعتهم وقال أيضا :(ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك ، والتسليم للسنن ولاتعارض برأي ولا تدفع بقياس)[2] .

وخلاصة هذه الأقوال : أ م إن خرجوا على إمام عدل ، وأحدثوا الفساد بالدعوة إلى ماهم عليه ، أو بالاعتداء على المسلمين يستتابون فإن تابوا وإلا قتلواحدا. وهذا صنيع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع الخوارج ، وبه قال عدد من أئمة السلف منهم عمر بن عبدالعزيز فإنه كتب في الخوارج : « بالكف عنهم مالم يسفكوا دما حراما أو يأخذوا مالا ، فإن فعلوا فقاتلوهم ولو كانوا ولدي[3] .

وفي رواية ذكرها ابن عبدالبر في التمهيد : أن عمر بن عبدالعزيز كتب في حكم الخوارج : إن كان من رأي القوم أن يسيحوا في الأرض من غير فساد على الأئمة ، ولا على أحد من أهل الذمة ، ولا يتناولون أحدا ، ولا قطع سبيل من سبل المسلمين ، فليذهبوا حيث شاؤوا ؛ وإن كان رأيهم القتال ، فوالله لو أن أبكاري من ولدي خرجوا رغبة عن جماعة المسلمين ، لأرقت دماءهم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة .. »[4] .

وقال ابن عبدالبر بعد أن ذكر مذاهب الفقهاء في قتال الخوارج ثم قال : « أجمع العلماء على أن من شق العصا وفارق الجماعة ، وشهر على المسلمين السلاح ، وأخاف السبيل ، وأفسد بالقتل والسلب ، فقتلهم حدا وإراقة دمائهم واجب ؛ لأن هذا من الفساد العظيم في الأرض ، والفساد في الأرض موجب

---

(١) كتاب الجامع ص١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص١٤٨ .

(٣) فتح الباري ٢٩٩/١٢ .

(٤) التمهيد لابن عبدالبر ٣٣٦/٢٣ .

لإراقة الدماء بإجماع ، إلا أن يتوب فاعل ذلك من قبل أن يقدر عليه ، والا نزام عندهم ضرب من التوبة ، وكذلك من عجز عن القتال ، لم يقتل إلا بما وجب عليه قبل ذلك »[1].

ومقتضى كلام الشيخ ابن أبي زيد الذي تعضده أقوال السلف أن الخوارج لايقاتلون بمجرد بدعتهم بل عندما يظهر منهم الفساد والقتال كما أن هناك فرق بين المحاربين وبين الخوارج ، لأن الخوارج خرجوا واستهدفوا بذلك على تأويل يرون أنه صواب ، والمحاربون خرجوا فسقا وخلاعة على غير تأويل ، فيوضع عن المحارب إذا تاب قبل أن يقدر عليه حد الحرابة ، ولا توضع عنه حقوق الناس - يعني في دم ولا مال[2] .

وهذا دليل على أ م ليسوا بكفار أو مرتدين كما سيأتي بيانه في الرواية الآتية إن شاء الله .

ولعل من الأسباب التي أدت بابن أبي زيد - رحمه الله - إلى انتهاج هذا المذهب القائل بأن الخوارج ليسوا كفار بل عصاة .

قال ابن أبي زيد : ومن قول أهل السنة : إنه لايعذر من أداه اجتهاده إلى بدعة لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يعذروا إذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة فسماهم الرسول - ﷺ- مارقين من الدين ..[3] فهذه عبارة تقطع بكو م عصاة.

هناك قول آخر لابن أبي زيد دل على أن الخوارج فساق ، ولم يخرجوا من الإسلام ، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين ، مستأنسين ، بتأويل فاسد ، وأدى ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك . وقال ابن أبي زيد في شأن الخوارج : الخوارج هم الذين يحبطون الإيمان بالذنوب[4] * ،

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٣٣٩/٢٣ . وانظر منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة ص٤٧٩ .
(٢) انظر التمهيد بتصرف .
(٣) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٥٣ ، بتحقيق عبدا يد تركي .
(٤) الجامع ص١٥٤ .

وبالنظر إلى مفهوم الروايات السابقة عن ابن أبي زيد نرى أن حكمه عليهم بالقتل من أجل فسادهم في الأرض ولاسيما إذا نصبوا الحرب ضد الأبرياء لا أن القتل من أجل أنه يكفرهم .

وقد دل على ذلك صنيع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حيث إنه لم يقاتلهم ابتداء بمجرد خروجهم ومخالفتهم وتكفيرهم للمسلمين ، ولو كان تكفيرهم حقا لما توانى عن قتالهم ولكان له المبادأة بالفعل .

وفي الرواية الأخرى عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - تصريح بعدم إكفارهم وذلك أنه لما سئل عن أهل النهروان أكفار هم ؟ قال : من الكفر فروا ، قيل : فمنافقون هم ؟ قال : إن المنافقين لايذكرون الله إلا قليلاً . قيل : فماهم ؟ قال : قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا وبغوا علينا ، وحاربونا وقاتلونا وقتلناهم [1] ..

قلت : ليس في جواب الإمام علي ما يدل على كفرهم ولا انصافهم بالنفاق بل قوم موصوفون بالهمج وبسخافة العقول وأهل الطيش .

وقال ابن القاسم في أهل الأهواء مثل القدرية والإباضية : يستتابون أظهروا ذلك أم أسروه ، فإن تابوا وإلا ضربت رقا م ، لتحريفهم كتاب الله ، وخلافهم جماعة المسلمين والتابعين لرسول الله - ﷺ- ولأصحابه ، قال : و ذا عملت أئمة الهدى ، وقد قال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - : الرأي فيهم أن يستتابوا فإن تابوا وإلا عرضوا على السيف وضربت رقا م ، ومن قتل منهم على ذلك فميراثه لورثته ؛ لأ م مسلمون إلا أ م قتلوا لرأيهم رأي السوء[2] .

وقال ابن بطال[3] المالكي (ت٤٤٩هـ) : ذهب جمهور العلماء إلى أن

---

* عن ابن أبي زيد : قيل لمالك : فمن قوي على كلام الزنادقة والإباضية والقدرية ، وأهل الأهواء، أيكلمهم ؟ قال : لا ! وإن الذين خرجوا إنما عابوا المعاصي وهؤلاء تكلموا في أمر الله ... كتاب الجامع ص١٥٧ .

وقوله أرى أن يستتاب القدرية والإباضية وأهل الأهواء الجامع ص١٥٧ دلالة على أ م ليسوا بكفار .

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٣٣٥/٢٣ .

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين ١٠٨٢/٣ - ١٠٨٦ .

(٣) على بن خلف بن عبدالملك بن بطال البكري، القرطبي، المالكي، ويعرف بابن اللجام (أبوالحسن). محدث، ⇦

الخوارج غير خارجين عن جملة المسلمين لقوله ﷺ : « يتمارى في الفوق » [1] لأن التمارى من الشك ، وإذا وقع الشك في ذلك لم يقطع عليهم بالخروج من الإسلام ، لأن من ثبت له عقد الإسلام بيقين لم يخرج منه إلا بيقين ، قال : وقد سئل علي عن أهل النهران هل كفروا ؟ فقال : « من الكفر فروا »[2] .

وقال الخطابي[3] (ت٣٨٨هـ) : أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم ، وأ م لايكفرون ماداموا متمسكين بأصل الإسلام[4] .

قال القاضي[5] عياض (ت٥٤٤هـ) : ومن روي عنه القول بترك تكفيرهم. على بن أبي طالب ، وابن عمر ، والحسن البصري ، وهو رأي جماعة من الفقهاء

فقيه، استقضي بحصن لورقة، وتوفى في آخر يوم من صفر . من آثاره : شرح الجامع الصحيح للبخاري في عدة أسفار ، والاعتصام في الحديث ، ٤٣٨/٢ ، معجم المؤلفين عمر رضا كحالة .

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري برقم ٦٩٣١جـ١٢ ص٢٨٣، الفتح بلفظ يخرج من هذه الأ مة قوم يمرقون في الدين مروق السهم من الرمية ، فينتظر الرامي في الفو قهل علق ا من الدم شيئ.

(٢) وقول الإمام علي - رضي الله عنه - قد عارض ما قاله في تكفيرهم في بعض النصوص المتقدمة ، وإن ثبت عن علي رضي الله عنه - حمل على أنه لم يكن أطلع على معتقدهم الذي أوجب تكفيرهم عند من كفرهم ، أو أن بعض أقوالهم ضد الصحابة كطلحة والزبير وعائشة وتكفيرهم إياهم وكل من أكن محبتهم كفر ماعدا تأويلهم وخروجهم ضد علي فإن هذا فسق ، وليس كفرا مخرج عن الملة .

(٣) أبو سليمان حمد وقيل أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي ، البستي ، محدث فقيه ، أديب ، لغوي ، شاعر ، ولد سنة ٣١٩هـ بمدينة بست من بلاد كابل عاصمة البلاد الأفغانية ، وسمع الحديث بمكة وبالبصرة ، وبغداد ، وتوفي في بست . سنة ٣٨٨ . وقيل ٣٨٦هـ . من تصانيفه : غريب الحديث ، أعلام السنن الكبرى في شرح صحيح البخاري ، معالم السنن في شرح سنن أبي داود ، كتاب العزلة ، كتاب الغنية عن الكلام وأهله . انظر معجم المؤلفين لرضا كحالة ٦٥٢/١ . سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢٨٤/٣ .

(٤) الفتح ٣٠٠/١٢ .

(٥) هو أبو الفضل : عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبدالله بن موسى ابن عياض اليحصبي . ولد بسبتة في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة وتوفى بمراكش في شهر جمادي الأخيرة . وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وقيل : إنه مات مسموما سمه يهودي ، ودفن - رحمه الله تعالى - بباب إيلان داخل المدينة . انظر الديباج المذهب لابن فرحون ٤٦/٢ - ٥١ .

والنظار والمتكلمين ، قال : واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ، ومن عرف بالقَدرِ ممن مات منهم ، ودفنهم في مقابر المسلمين، وجري أحكام الإسلام عليهم[1] .

والقول بعدم تكفير فعال الكبيرة والاجتزاء بالقول بكو م عصاة هو قول كل من أبي بكر الباقلاني ، وأبي المعالي الجويني ، والغزالي قال القاضي أبوبكر الباقلاني : لم يصرح القوم بالكفر وإنما قالوا أقوالا تؤدي إلى الكفر ،في الآخرة لافي الدنيا أما في الدنيا فهم عصاة.

وقال أبو المعالي : إن إدخال كافر في الملة ، أو إخراج مسلم عنها عظيم في الدين .

قال الإمام الغزالي في كتاب « التفرقة بين الإيمان والزندقة » ، والذي ينبغي الإحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيل فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد[2] .

وجملة كلام ابن أبي زيد انه لم يحكم على الخوارج بالكفر العقدي من أجل بدعتهم ، وإنما ى فقط عن الصلاة خلفهم من باب هجر أهل البدع وهو من الهجر المشروع وأجاز الصلوات خلفهم إذا خيف الفتنة واستدلاله بالحديث الذي رواه عن مالك « من قال لأخيه ياكافر فقد باء ا أحدهما » و أن المعنى الصحيح للحديث : أن المقول له : « ياكافر » إن كان كافرا كفرا شرعيا فقد صدق القائل وذهب ا المقول له ، وإن لم يكن كذلك ، فقد احتمل إثم هذه الكلمة قائلها ، فالحديث فيه النهي والتحذير من أن يكفر المسلم أخاه المسلم بذنب أو تأويل لايخرجه من الإسلام[3] .

---

(١) الشفاء ٢٧٥/٢ .

(٢) الشفاء ٢٧٧/٢ ، و فتح الباري ٣٠٠/١٢ .

(٣) التمهيد ١٤/١٧ ، ٢٢ . وانظر شرح مسلم للنووي ٤٩/٢ - ٥٠ ، فتح الباري ٤٦٦/١٠ - ٤٦٧ .

وأما رأيه بقتلهم[1] بعد استتابتهم ، فذلك من أجل فسادهم في الأرض ، لامن أجل أنه يرى كفرهم الكفر المخرج عن الملة وهذا ما قال به عدد من أئمة السلف من الصحابة والتابعين حيث لم يحكموا بكفرهم ، وهذا هو القول الصحيح في الخوارج وفي غيرهم من أهل البدع والأهواء .

قال ابن أبي زيد أيضاً في كتابه النوادر والزيادات في شأن الخوارج : إنما يقتلون لبدعتهم ، وسماهم النبي ﷺمارقين . وقوله ﷺوتتمارى في الفوق[2] . قال : فإن النبي ﷺلم يسمهم كفارا .

وقال الشيخ : سن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قتالهم بما كان عنده من النبي - ﷺ- من العلم فيهم ، فلم يكفرهم ولا سباهم ولا أخذ أموالهم ، فمواريثهم قائمة ، ولهم أحكام أهل الإسلام في ذلك . وإنما قتلوا بالسنة ولما أحدثوا من البدعة ، فكان ذلك لحد يقام فيهم، وليس قتلهم يـوجـب تكفيرهم ، كما لم يوجب قتل المحارب تكفيره ، ولا قتل المحصن تكفيره ، وأموالهم لهم ، ولهم حكم المسلمين في أمهات الأولاد وعدد النساء والمدبرين والوصايا ، ويردوا ما أخذوا للمسلمين إلى أربابه ، ولا يتبعوا بما سفكوا من دم ونالوا من فرج[3] .

ومما يؤكد ما ذكره الشيخ ابن أبي زيد في إسلام الخوارج أنه كان يرى استحسان الصلاة على من مات منهم سواء في الزحف أو في غيره ، قال في نوادره : « ... وكذلك طائفتين من الخوارج الحرورية والقدرية وغيرهم يقع بينهم قتلى فعلى من قربوا منهم أن يواروهم ويغسلوهم ويصلوا عليهم وذلك استحسان وليس بواجب وذلك لقول سحنون « إنما يترك الصلاة على الخوارج أدبا لهم فإذا خيف أن يضيعوا غسلوا وصلى عليهم .. »[4] .

---

(١) كتاب الجامع ص١٤٨ ، ١٥٧ .

(٣) فتح الباري جـ١٢:٢٨٣ رقم ٦٩٣١.

(٣) كتاب النوادر والزيادات ، باب الجهاد ص١٠١ - ١٠٢ ، تحقيق ما تياس فون بريدو ، بيروت ١٩٩٤م .

(٤) المصدر السابق ١٤٥/١ ورقة ظ .

هذا وإذا أردنا بعد ذلك إيجاز ما ورد عن ابن أبي زيد بشأن الخوارج مع التنصيص عليه وجدناه يذكر ثلاثة أقوال .

القول الأول : يحكي فيه القول بكفرهم ، **والثاني :** يدل على أ م أهل الأهواء والبدع يستتابون لمدة ثلاثة أيام حتى يرجعوا عن بدعتهم وإلا قتلوا ، **والثالث :** التوقف بناء على متابعته لروايته عن الإمام مالك .

وهذه الأقوال الثلاثة قد قالها جمع غفير من السلف ولم ينفرد ا ابن أبي زيد ، وماحكم به من كفرهم وذلك على طريق التغليظ ، ويراد به كفر دون كفر ، وإشراك دون إشراك ، وقد ورد مثله في الرياء ، وعقوق الوالدين وغير ذلك ويدل على ذلك تجويزه « الصلاة » خلفهم لمن يخاف بأسهم دون إعادة ، وإباحة أكل ذبائحهم وهذا لايستسغ للكفار . وقتلهم حداً لا كفرا وكذلك إن ابن أبي زيد نفسه ذكر حكم السلف في جواز توريثهم لأهلهم وورثتهم . ولما سئل ابن أبي زيد عن شهادة الخوارج بعضهم على بعض أو على سني . فقال : بعدم جوازها مطلقا وغيره من العلماء يجيزو ا للضرورة لبعضهم على بعض وحيث لايوجد غيرهم أو يكونون هم الأغلب في البلد أو كلها في الترك أو غيرها، كما أجاز مالك شهادة الرفقة بعضهم لبعض وقاضي ذلك البلد لايعرفهم ويتوسم فيهم الخير(١) .

وأرى أن رفض ابن أبي زيد لقبول شهاد م على الإطلاق لما يتوسم فيهم من التوغل في البدعة وركوب الأهواء والشهوات وبما أن « الشهادة » من الدين ويحتاج إلى الإنصاف فالخوارج ليسوا أهلا لذلك فيجب أن يحتاط لهم وذلك لاصطحاب شهاد م بمن هو أوثق منهم ، وذلك أن المبتدع إذا لم تكن بدعته حاملة على الكذب كان ظاهر ما يخبر به حقا ، فكانت روايته مقبولة ، بخلاف البدعة المخرجة عن الدين فإ ا مانعة له من قبول الرواية لاتصاف صاحبها بصفة الكذب ، ولعل هذا هو الذي يرمي إليه ابن أبي زيد ، ولذلك منع شهاد م ويرى صحة رواية من لم يدع إلى بدعته كرواية قتادة وكان (قدريا) ، وعمران

---

(١) انظر المعيار ١٠/١٩١ - ١٩٢ .

بن حطان وكان (خارجيا) والوليد بن كثير وكان (إباضيا) وعن عبدالرزاق كان (رافضيا) ، وفي ترك العمل بذلك خروج عن الإجماع وكان الإمام البخاري ومسلم قد رويا عن بعض أهل الأهواء والبدع ومع ذلك أجمعت الأمة على قبول كتابيهما[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ثم إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء وتبديعهم وتغليظ القول فيهم ؛ ولم أعلم أحدا منهم نطق بتكفيرهم : بل هم متفقون على أ م لايكفرون في ذلك ؛ وقد نص أحمد وغيره من الأئمة : على عدم تكفير هؤلاء المرجئة . ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأئمة تكفيرا لهؤلاء : أو جعل هؤلاء من أهل البدع المتنازع في تكفيرهم ، فقد غلط غلطا عظيما ؛ والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة ، إنما هو تكفير الجهمية المشبهة ، وأمثال هؤلاء ولم يكفر أحمد « الخوارج » ولا « القدرية » إذ أقروا العلم ؛ وأنكروا خلق الأفعال وعموم المشيئة ؛ لكن حكى عنه في تكفيرهم روايتان[2] .

قلت : وأصح الروايتين أنه لايكفر . قال ابن تيمية : وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة ، فإ م يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر م ، ثم إ م يرون من الأعيان ، الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافرا ، فيتعارض عندهم الدليلان ، وحقيقة الأمر أ م أصا م في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع ، كلما رأوهم قالوا : من قال كذا فهو كافر ، اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ، ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وأن تكفير المطلق لايستلزم تكفير المعين ، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع ،

---

(١) انظر للمزيد من العلم : كتاب الوصول إلى الأصول - لشرف الإسلام أبي الفتح أحمد بن على بن برهان البغدادي ١٨٣/٢ - ١٨٥ ، تحقيق الدكتور عبدالحميد على أبو زيد .

وانظر اتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه للدكتور عبدالكريم بن علي ابن محمد النملة ٢٠٧/٣ - ٢١٣ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ط : الأولى ١٤١٧هـ .

(٢) الفتأوى لابن تيمية ٥٠٧/٧ .

يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة : الذين أطلقوا هذه العمومات ، لم يكفروا أكثر من تكلم ـذا الكلام بعينه[1] .

(١) المصدر السابق ٤٨٧/١٢ - ٤٨٨ .

قول أهل السنة في إثبات رؤية الله :

والرؤية لاتستلزم التشبيه في جانب الله تعالى والاتصاف بأوصاف الحوادث التي ذكروها ؛ لأن رؤية الله تتحقق كما يليق بذاته ، وهي كسائر صفات الله - عزوجل - وأفعاله من تـ ـه فيها عن مشا ـة المخلوقين ، وحيث لاتتسأوى ذاته بذوا ـم ، فلا يلزم من رؤيتهم له ما يلزم من رؤية بعضهم لبعض .

وعلى هذا فإن السلف - رضوان الله عليهم - يذهبون إلى إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله - ﷺ- إثباتا حقيقيا بعيدا عن تأويلات أهل البدع الذين يذهبون إلى نفي رؤية الله تعالى ، التي ثبتت صحتها ووجب اعتقادها على كل مسلم ، بعد أن دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على صحة وقوعها يوم القيامة كما سيأتي إن شاء الله .

وكذا نرى أن السلف أثبتوا رؤية الله تعالى في الآخرة بنصوص من القرآن والسنة ، وبينوا أن نفي الإدراك لايستلزم نفي الرؤية لاختلاف طبيعتيهما ، وبينوا أن الدار الآخرة ليست دار إنتظار بل هي دار جزاء، ومن ثم يبطل تفسير « ناظرة » بمعنى منتظرة .

أقوال أهل العلم في معنى قوله تعالى : لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير }[1] . وعدم معارضتها لقوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ر ـا ناظرة }[2] يعني في الدنيا دون الآخرة وذلك أن اليهود قالوا لموسى : { أرنا الله جهرة فأخذ ـم الصاعقة }[3] فماتوا وعوقبوا بقولهم { أرنا الله جهرة } وقد سأل مشركو قريش النبي - ﷺ- فقالوا :{ أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً }[4]

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

(٢) سورة القيامة آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) سورة النساء آية : ١٥٣ .

(٤) سورة الإسراء آية : ٩٢ .

فلما سألوا النبي - ﷺ - هذه المسألة قال الله تعالى : { أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل }[١] . حين قالوا : { أرنا الله جهرة فأخذ م الصاعقة }[٢] فأنزل الله سبحانه يخبر أنه لاتدركه الأبصار أي : أنه لايراه أحد في الدنيا دون الآخرة فقال : { لاتدركه الأبصار }[٣] يعني في الدنيا[٤]

قال الدارمي لمن احتج عليه بالآية على النفي هذا لنا عليكم لالكم ، إنما قال لن تراني : في الدنيا لأن بصر موسى من الأبصار التي كتب الله عليها الفناء في الدنيا ، فلا تتحمل النظر إلى الله عزوجل بما طوقها الله[٥] . ألا ترى أنه يقول : { فإن استقر مكانه فسوف تراني } ولو قد شاء لاستقر الجبل ورآه موسى ولكن سبقت منه الكلمة أن لايراه أحد في الدنيا »[٦] . فأما في الآخرة فإن الله تعالى ينشيء خلقه فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء فيراه أولياؤه جهرا كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام[٧] .

وقال ابن خزيمة : ولو كان معنى قوله : { لاتدركه الأبصار }[٨] على ما تتوهمه الجهمية المعطلة الذين يجهلون لغة العرب ، فلا يفرقون بين النظر وبين الإدراك لكان معنى قوله : { لاتدركه الأبصار }[٩] أي : أبصار أهل الدنيا قبل

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٨ .

(٢) سورة النساء آية : ١٥٣ .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل ص : ١٣ - ١٤ ، طبعة في سنة ١٣٩٣هـ . القاهرة .

(٥) الحق تعليل المانع بكو ا سبقت منه الكلمة ألا يراه أحد في الدنيا دون التعليل بان البصر الذي سيفنى لايطيق النظر إلى نور البقاء إذ لو شاء له الرؤية لقواه حتى يطيق وهو على كل شيء قدير

(٦) الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي ص٥٥ ، مكتبة لندن سنة ١٩٦٠م ، وانظر حادي الأرواح لابن القيم ص٢٢٣ ، الطبعة الرابعة .

(٧) الرد على الجهمية للدارمي ص٣٠٧ .

(٨) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

(٩) نفس الصورة السابقة ونفس الآية .

الممات[١] .

رأي الخوارج في إثبات رؤية الله :

ويصف صاحب كتاب الأديان هذا الدليل بأنه يقرر أن الله سبحانه نفى عن نفسه الرؤية بآية محكمة غير متشا ة ولا متصرفة في المعاني ، وهو قوله تعالى : { لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار }[٢] . ويستدلون أيضاً بقوله تعالى: { ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني }[٣]

ويرد صاحب كتاب الأديان على من يحتج بقوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة . إلى ر ا ناظرة }[٤] . وهو الدليل الذي يستدل به على إثبات الرؤية - يرد على النافي المستدل ا بعد تأويلها تأويلا بعيدا لايخفى فيه التكليف والتعسف وهو من التأويلات المذمومة ، فقد فسر ناضرة بأ ا حسنة مشرقة مستبشرة بثواب ر ا ، وفسر { إلى ر ا ناظرة } أي : منتظرة لما يأتيها من خيره وإحسانه[٥] .

واستشهد بعدة أبيات شعرية على أن ناظرة تأتي بمعنى منتظرة ، ومنها قول الشاعر : -

فإن يك صدر هذا اليوم ولى فإن غدا لناظره قريب

وبعد أن ذكر تلك الشواهد قال : فقد دل الكتاب واللغة على صحة ما

---

(١) كتاب التوحيد لمحمد بن إسحاق بن حزيمة ص: ١٨٥ ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة . سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

وعلق عليه العلامة الشيخ محمد خليل هراس فقال : يعني لوكان الإدراك بمعنى الرؤية لوجب التخصيص في الآية حتى تتفق مع أحاديث الرؤية . انظر هامش ص١٨٥ .

(٢) انظر كتاب الأديان والفرق ص٥١ .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٤٣ .

(٤) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) نفس السورة ونفس الآيتين .

ذهبنا إليه وبطلان ما ذهب إليه مخالفونا[1] .

أما من السنة فقد استدلوا بأحاديث منها قوله ﷺفي حديث مسروق الذي يرويه عن عائشة رضي الله عنها ، يا أماه هل رأى محمد ربه ليلة الإسراء ؟ فقالت لقد قف شعري - أي قام فزعا - مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : { لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير }[2] .

وهذا القول فيه التعسف لعدم وجود التلازم بينه ومن المعروف أن الرؤية انكشاف تام لايكون إلا عن طريق الأبصار ، أما كمال العلم فهو بالعقل . وهذا غير محسوس ، وتفسير الرؤية بالكمال في العلم تأويل للفظها بغير ما يستعمل به في العربية .

ومن الجدير بالذكر هنا أن المؤلف أورد أولا في حديث ابن عباس أنه نفي رؤية الله في الدنيا والآخرة في إجابته للسائل ، ثم أورد أخيرا عن ابن عباس اثبات الرؤية لأولياء الله وذلك في قوله : « ثم ينظرون إلى ر م متى يأذن لهم في دخول الجنة »[3]. وربما يقصد بنظر إلى ر م أي ينتظرون أمره وإذنه .

ومن الأمثلة أيضاً قوله : قال : حدثنا أفلح بن محمد عن أبي معمر السعدي عن علي بن أبي طالب في قوله : { وجوه يومئذ ناضرة . إلى ر ا ناظره }[4] قال: تنضر وجوههم وهو الاشراق إلى ر ا ناظرة قال : تنظر متى يأذن لهم ر م في دخول الجنة .

ثم قال الربيع أيضاً:وقال علي بن أبي طالب،وعبدالله بن عباس وعائشة أم المؤمنين ومجاهد وإبراهيم النخعي ومكحول الدمشقي وعطاء بن يسار وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك ابن مزاحم وأبو صالح صاحب التفسيروعكرمة ومحمد

---

(١) كتاب الأديان والفرق ص٥٢ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

(٣) مسند الربيع ٣٥/٣ .

(٤) سورة القيامة آيتي : ٢٢ ، ٢٣ .

بن كعب وابن شهاب الزهري: « أن الله لا يراه أحد من خلقه »[1]

وهذا كله يخالف رأي جمهور السلف الذين أثبتوا رؤية الله تعالى في الآخرة بنصوص من القرآن والسنة ، وبينوا أن نفي الإدراك لايستلزم نفي الرؤية لاختلاف طبيعتيهما وبينوا أن الدار الآخرة ليست دار الانتظار بل هي دار جزاء ومن ثم يبطل تفسير « ناظرة » بمعنى منتظرة .

وكل هذه الحجج باطلة مردودة على من قال ا : لأن استدلاله بالآيات غير صحيح وليست قاطعة في نفي الرؤية في الدار الآخرة . وما أسنده إلى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغيرها من الصحابة في نفي الرؤية في الآخرة فهو غير صحيح أيضاً عند المحققين من السلف ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية حيث إنه نفى أن يكون قد ورد عن أحد من السلف نفي الرؤية في الآخرة بقوله : « ولم يثبت عن أحد منهم - يعني ابن عباس وعائشة وأبا ذر رضي الله عنهم - إثبات الرؤية بالعين في الدنيا ، كما لم يثبت عن أحد منهم إنكار الرؤية في الآخرة »[2] .

وما كان للصحابة رضوان الله عليهم أن ينفوا الرؤية بعدما أثبتها الله بنفسه وأثبتها رسوله ﷺو ذا فلا يعتد بقول المخالفين كالزمخشري والمعتزلة والشيعة فليسوا بحجة في مثل هذه المسائل التي لاتثبت إلا بالنقل الصحيح وهو في جناب أهل الحق القائلين بإثبات رؤية الله يوم القيامة. وزعمهم أن الأبصار لاتدركه تعالى ولا تحيط به ومع ذلك تراه كما يليق بجلاله وهذا لم تنفه الآية ، بل قد تفيد إثبات الرؤية : إذ أن نفي الأدراك يقتضي إثبات الرؤية من غير إدراك ولا إحاطة ، وهذا الجواب في اية الحسن مع اختصاره كما قاله الإمام النووي[3] .

وأما استدلاله بقول الله لموسى : { لن تراني } على نفي الرؤية مطلقا فهو غير صحيح ، وقد علق الله رؤيته على ممكن وهو استقرار الجبل ، والمعلق على

---

(١) مسند الربيع ص٣٧ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٦٥/٤ .

(٣) شرح النووي على مسلم ٦/٣ .

الممكن ممكن »[1] .

قال ابن كثير : وقيل إ ا لنفي التأبيد في الدنيا جمعا بين هذه الآية وقوله تعالى: { وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء }[2] . ثم بين ابن كثير الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة[3] . واستدل الإباضية بالآية على نفي الرؤية دينا وأخرى، لأن ماكان نفيه ت يها يكون عاما في الدنيا والآخرة » .

وذكر الربيع* بن حبيب الإباضي حيث أورد عدة أحاديث مسنده ، في نفي الرؤية وفي مسند ابن عباس إن أولياء الله منضرة وجوههم يوم القيامة وهو الإشراق ثم ينظرون إلى ر م متى يأذن لهم في دخول الجنة بعد الفراغ من الحساب »[4] .

ثم ذكر أحاديث كثيرة عن ابن عباس في نفي الرؤية لله تعالى .

وقد اجتهد علي بن معمر الأباضي أن يوفق بين المثبتين للرؤية من السلف والنافين لها من الخوارج والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع . وانتهى قوله إلى تقسيمهم إلى فئات : طرفان متطرفان ووسط معتدل . وأن طرف الإثبات يبالغ حتى يصل به التطرف إلى حد التشبيه والتمثيل والتحديد ، وطرف النفي يبالغ حتى يصل به التطرف إلى حد نفي حصول كمال العلم . وهذا الذي ارتضاه مذهب الإباضية ، وعبر عنها آخرون منهم بأن الرؤية تقع بحاسة سادسة هي كمال العلم وإن اختلفت التعابير ولكن مؤداها واحد

---

(١) كتاب الخوارج ص٢٨٠ د. عواجي .

(٢) سورة الشورى آية : ٥١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢٤٤/٢ ط : الثانية سنة ١٣٨٩هـ ، بيروت .

* الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي ، أصله من فراهيد من غطفان ونزل البصرة في محلة يقال لها ، الحربية ، ولم يتحقق مولده ولا موته في أي شهر وفي أي سنة إلا أن الثابت وجوده في زمان جابر بن زيد المتوفى عام ثلاثة وتسعين هجرية إذ أدركه والربيع شاب ، وروى عنه في المسند حديثا وصلى عليه موسى بن أبي جابر المتوفى عام واحد وثمانين بعد المائة ، فهو ما بين هذين التاريخين . وشيوخه كثير يبلغ عددهم خمسة وعشرين شيخا ومن الممكن أن يقال أنه من التابعين حيث أدرك جابرا مات هو وأنس بن مالك الصحابي في جمعة واحدة . (العقود الفضية في أصول الإباضية - لسالم بن حمدان سليمان ابن حميد العماني الإباضي المصيربي ص ١٤٩ .

(٤) مسند الربيع ٣٥/٣ .

على نفي كامل الصورة التي يخيلها الإنسان لصورة رائي ومرئي وما تستلزمه من حدود وتشبيه ومنهم من فسر الرؤية بأحوال يوم القيامة ، ونفي الرؤية مذهب الإمام الغزالي ومنطلق الجميع في الواقع هو الفرار من التشبيه . فالمتطرفون من الإباضية يفرون من كل ما يوهم التشبيه ولو بتأويل بعيد ...[(١)] [(٢)] .

وأما تفسي أحد الإباضية صاحب كتاب الأديان لناظرة بمعنى منتظرة » فإنه غير صحيح في هذا المقام، وذلك لأن النظر:إذا وصل بإلى تعين للرؤية ولا يجوز حمله على الثواب،فإن نفس رؤية الثواب لايكون إنعاماً،وقد أورد النظر في معرض الأنعام،واللفظ نص في رؤية البصر بعد ما نفيت عنه التأويلات الفاسدة »[(٣)]

موقف الشيخ ابن أبي زيد في رأي الخوارج في إنكارهم لرؤية الله يوم القيامة

---

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث لعلي يحيى معمر .

(٢) مسند الربيع بن حبيب البصري (ت١٧٠/٧٨٦) : يعتبر مسند الربيع ابن حبيب ، كتاب الحديث الذي يعتمده الإباضية بعد القرآن ، وهو يضم الفا وخمسة أحاديث ، رواها الربيع عن علمي الإباضية الكبيرين : جابر بن زيد وأبي عبيدة . وقد جاءت عن هذا الأخير أغلب المرويات ، ولاشك أن المسند يمثل مذهب أبي عبيدة الذي نشره تلاميذه الأوائل الوافدون عليه من إفريقية والمغرب ، ومن المتوقع أن هذا المسند الذي أصبح عمدة الإباضية ، في تدعيم مذهبهم ، قد ورد على إفريقية ، إثر ظهوره بالمشرق ، وأن الإباضية ، استبشروا به ، واهتموا بما فيه ، ولعله دخل إفريقية قبل دخول الموطأ ، بفترة ليست وجيزة ، ومعلوم أن الموطأ أدخله على بن زياد في حدود (١٥٠ - ٧٦٧) لأول مرة إلى إفريقية وذلك على خلاف بين المؤرخين والمسند في جمعه الأول مفقود وقد أعاد تنظيمه أبو يعقوب الورجلاني ، وجعله باسم الجامع الصحيح ، وكتب عليه حاشية عبدالله السالمي - ويتضمن المسند أحاديث تتماشى في أغلبها مع مذهب الإباضية ، فيما عدا البعض ، وهي في الأغلب من إضافات اللاحقين . ويشتمل المسند على أحاديث في مواضيع مختلفة ، تتعلق خاصة ، بالإمامة ، والعقيدة ، والأخلاق ، وهناك جملة أحاديث تشير إلى ضلالة عثمان وعلي رضي الله عنهما حسب اعتقاد الإباضية ، ولعل أوضح هذه الأحاديث في الدلالة على مذهبهم في انحراف عثمان وعلي ، ماكان متضمنا لسؤال الخلفاء الأربعة للرسول عن مدلول قوله تعالى : { واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب } .

(٣) اية الإقدام ص٣٦٩ .

وقد خالف ابن أبي زيدما ذهب إليه الخوارج حيث اعتبر أن قول الله تعالى : { لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .. }[1] ، من العام المخصوص بحديث رسول الله ﷺ: « أنكم ترون ربكم بأبصار وجوهكم لاتضامون في رؤيته .. » الحديث . ثم قال ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - وأن الله سبحانه وتعالى يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم فيكون معنى الآية لاتدركه الأبصار في الدنيا فقط ، فلما قال - عزوجل - لاتدركه الأبصار وجاء عن رسول الله ﷺترون الله يوم القيامة لم يخف على ذي نظر أنه في وقت دون وقت .. » والحقيقة أن المنفي في الآية لاتدركه الأبصار هو الإحاطة لا الرؤية والله سبحانه وتعالى لايحاط به لا في الدنيا ولا في الآخرة ومن المعلوم أن الإحاطة بالشيء قدر زائد على الرؤية[2]

وكذلك كان ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى يستشهد بأحاديث الرسول - ﷺعند تفسيره لقوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[3] قال ابن أبي زيد : قال رسول الله - ﷺ- : « الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى » ، وكذلك استفاد من جهود الصحابة - رضوان الله عنهم - في هذا ا ال[4] .

الاستدلال من السنة :

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٣ .

(٢) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٤١ ، تحقيق عبدا يد تركي .

(٣) جزء من آية : ٢٦ من سورة يونس ، والحديث رواه الإمام مسلم وغيره عن صهيب - رضي الله عنه - قال قرأ رسول الله - ﷺ: { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .. } سورة يونس آية: ٢٦ ، قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عندالله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ؟ ويثقل موازيننا ؟ ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه . (مسلم ، كتاب الإيمان : باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لر م ١١٢/١ ، والمسند للإمام أحمد بن حنبل ٣٣٣/٤ .

(٤) كتاب الجامع لابن أبي زيد : ١٤١ ، ومحاضرات ملتقى عبدالله بن أبي زيد القيرواني بتاريخ: ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، شوال ١٤١٣هـ . انظر ص٢٢٩ .

وقد استدل أهل السنة والجماعة بأحاديث كثيرة صحت عن رسول الله ﷺ، وفيها الدلالة الواضحة على عدم وقوع الرؤية في دار الدنيا فمنها : -

(أ) - حديث جرير قال : خرج علينا رسول الله ﷺليلة البدر فقال : «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته »[1] . ففي الحديث الشريف تحديد الرؤية بيوم القيامة ولو كانت جائزة في الدنيا لما كان لهذا التحديد معنى .

والصحابة رضوان الله عليهم قد فهموا عدم رؤية الباري في الدنيا فلم يسألوا الرسول - ﷺ- عن رؤية الله في الدنيا ، وإذا سألوه عن الرؤية قيدوا ذلك بيوم القيامة ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله - ﷺ- : « هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال فهل تضارون في الشمس ليس دو ا سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله قال : « إنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه ... »[2]الحديث .

(ب) ومنها ما روى أبو سعيد الخدري قال : قلنا يارسول الله - هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا ... »[3] الحديث .

فيتبين لنا من هذه الأحاديث وغيرها اعتقاد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم عدم رؤية الله في دار الدنيا حيث سألوا عن الرؤية في الآخرة ، ولو كان في علمهم جوازها في الدنيا لكان السؤال عن الآخرة عبثا لايليق بأصحاب الرسول ﷺ. وعلى هذا فلا اعتبار لكلام هؤلاء المبطلين في نفي الرؤية مع قول الله - عزوجل - وقول رسوله الكريم وقول السلف الصالح الذين لهم القدم الراسخة في العلم .

---

(١) صحيح الإمام البخاري ٢٠٠/٤ ، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٧٢هـ ، مصطفى البابي الحلبي .

(٢) صحيح الإمام البخاري ٢٠٠/٤ ط ، الأخيرة سنة ١٣٧٢هـ ، مصطفى البابي الحلبي .

(٣) المصدر السابق : نفس الجزء ص٢٠١ .

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - في كتابه النفيس « الرد على الزنادقة والجهمية » : بيان ما جحدت الجهمية من قول الله { وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ر ا ناظرة }[1] ثم ذكر عدة أحاديث وآيات مثبتة لرؤية المؤمنين لله في الآخرة ورد على شبه الجهمية ثم قال - وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لاينظرون إلى ر م ويحجبون عن الله ، لأن الله قال للكفار { كلا إ م عن ر م يومئذ لمحجوبون }[2] - فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله ، فما فضل المؤمن على الكافر ؟ .

والحمدلله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته ، وجعلنا ممن اتبع ، ولم يجعلنا ممن ابتدع ، والحمدلله وحده ... [3] .

يقول الإمام ابن قتيبة (ت٢٧٠هـ) : « ... أن الله جل وعز احتجب عن جميع خلقه في الدنيا ويتجلى لهم يوم الحساب ويوم الجزاء والقصاص فيراه المؤمنون كما يرون القمر ليلة البدر ولا يختلفون فيه كما لايختلفون في القمر »[4]

يقول الطحأوي (ت٣٢٢هـ) : والرؤية حق لأهل الجنة ، بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا : { وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ر ا ناظرة }[5].

ويقول أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) في كتابه الإبانة : « وندين بأن الله تعالى يرى في ألآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله - ﷺ- ونقول إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال الله - عزوجل - : { كلا إ م عن ر م يومئذ لمحجوبون .. }[6] ، وإن موسى - عليه السلام - سأل الله عزوجل الرؤية في الدنيا وإن الله سبحانه وتعالى تجلى للجبل فجعله دكا فاعلم بذلك موسى أنه

(١) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة المطففين آية : ١٥ .

(٣) عقائد السلف للإمام أحمد بن حنبل ص٨٧ .

(٤) تأويل مختلف الحديث ص٢٠٥ .

(٥) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ ، وشرح العقيدة الطحأوية ٢٠٧/١ .

(٦) سورة المطففين آية : ١٥ .

لايراه في الدنيا »[1] .

ويقول ابن تيمية : إن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة ، مثل ما روى اللالكائي عن علي بن أبي طالب أنه قال : إن من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى الله في جنته .

وعن عبدالله بن مسعود أنه قال في مسجد الكوفة وبدأ باليمين قبل الحديث فقال : « والله مامنكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول : « ما غرك بي يا ابن آدم (ثلاث مرات) ؟ ماذا أجبت المرسلين (ثلاثا) ؟ كيف عملت فيما علمت ؟ » .

وعن أشهب قال : وسئل مالك عن قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ر ا ناظرة }[2] . أينظر الله عزوجل ؟ قال : نعم ، فقلت : إن أقواما ما يقولون : ينظر ماعنده . قال : بل ينظر إليه نظراً .

وعن الأوزاعي أنه قال : إني لأرجو أن يحجب الله جهما وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده أولياءه حيث يقول : { وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ر ا ناظرة } فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه .

وعن عبدالله بن المبارك قال : ماحجب الله عنه أحدا إلا عذبه ثم قرأ : { كلا إ م عن ر م يومئذ لمحجوبون ، ثم إ م لصالوا الجحيم ، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون }[3] قال : بالرؤية »[4] .

وقال ابن أبي زيد قيل لمالك : أيرى الله - تعالى - يوم القيامة ؟ قال : نعم:

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص١٠٧ .

(٢) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) سورة المطففين الآيات : ١٥ - ١٦ - ١٧ .

(٤) بيان تلبيس الجهمية ص٤١٥ - ٤١٨ .

لقوله سبحانه : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ر ا ناظرة }[1] . ذكر الشيخ هذا في حق المؤمنين وأما من سواهم فهم في الجحيم لقول الله عزوجل : { كلا إ م عن ر م يومئذ لمحجوبون }[2] .

وما يعتقده ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - من رؤية المؤمنين لله في الآخرة هو اعتقاد السلف الصالح ومن سلك مسلكهم بدليل ما تقدم .

---

(١) الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ ، من سورة القيامة .

(٢) الآية : ١٥ ، من سورة المطففين .

المبحث الثالث :

إبطال تكفيرهم مرتكب الكبيرة :

أحكام مرتكب الكبيرة من مسائل العقيدة التي اختلفت فيها أقوال الناس وقد نحى الخوارج منحى مخالفاً لمذهب أهل السنة والجماعة حيث أجمعوا على تكفير مرتكب الكبيرة بأنه كفر ملة أو كفر نعمة ولهم على ذلك شبه من الكتاب والسنة يستدلون ا على صحة ما ذهبوا إليه وهي أدلة مردودة كما سيأتي . فالإنسان عندهم من جهة عمله إما مؤمن وإما كافر ، وحيث يرى مغلاة الإباضية منهم بقولهم من ارتكب كبيرة من الكبائر فهو موحد غير مشرك لما معه من شهادة التوحيد لكنه ليس بمؤمن لعدم توافر أركان الإيمان عنده فهو بذلك يخلد في النار خلود الكافرين لكنه في دركة تسمو دركة الكافر الملي إذا مات وهو على كبيرته مصر عليها وهو لذلك كافر كفر نعمة لا كفر ملة[1] .

ويقول صاحب كتاب الأديان في هذا الصدد وهو إباضي عقب استشهاده بقوله تعالى : { واتقوا النار التي أُعدت للكافرين }[2] ، وقوله تعالى : { وسيق

---

(١) انظر شرح ج البلاغة ١١٣/٨ ، مقالات الإسلاميين ١٦٧/١ ، الفرق بين الفرق ص٧٣ ، شرح الأصول الخمسة ص٦٣٢ ، كتاب الخوارج . د. غالب عواجي ص٣٤٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣١ .

الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً }[1] على كفر فاعل الكبيرة قال : فقد سمى الله من دخل النار كافرا لعينا ، وكل من عصى الله بكبيرة ومات مصرا عليها فقد كفر بنعمة الله ويخلد في النار بكبيرته »[2].

قلت : والحق هو أن الآية الأولى لاتدل لا بدلالة المنطوق ولا بدلالة المفهوم على كفر مرتكب الكبيرة وهي تدل على أن النار معدة لخلود الكافرين ومعاقبة العاصين ، ومعلوم بأن أحكام العقيدة لابد فيها من الاستدلال بالآيات المحكمة بعد تدعيمها بالسنن الصحيحة واجتماعات الصحابة فمن بعدهم

من أئمة العقد الاكبر (المتكلمين).

ثم استرسل قائلا : إن صاحب الكبيرة إذا مات مصرا يرى حسناته محبطة وسيئاته مثبتة ، وصاحب التوبة والإقلاع عن المعصية يرى حسناته مثبتة وسيئاته محبطة »[3].

وحكى عنهم الإمام أبو الحسن الأشعري عن الإباضية حيث قالوا : الإصرار على أي ذنب كان كفر[4] . حيث لاصغيرة مع إصرار ولاكبيرة مع استغفار وتوبة . وإن الإباضية وعموم الخوارج متفقون على دخول مرتكب الكبيرة النار مع الحكم بتخليدهم فيها حيث إنه كافر بارتكاب تلك الكبيرة رغم اختلافهم في حقيقة الكفر - أهو ملى ، أم كفر نعمة كما يرى الإباضية[5] .

وإذا انتقلنا لنستعرض موقف السلف من صاحب الكبيرة أنبه إلى أنني سأعرض له من جوانب عدة .

الأول : تعريف الكبيرة ، الثاني : حكم أهلها في الدنيا . الثالث : مصير

---

(١) سورة الزمر الآية : ٧٣ .

(٢) كتاب الأديان والفرق ص٥٥ .

(٣) المرجع السابق ص٥٨ .

(٤) مقالات الإسلاميين ١٨٧/١ .

(٥) أصول الدين - للبغدادي ص٢٤٩ ، مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ، ص٣٢٥ ، الإرشاد للجويني ص٣٢٤ ، المواقف للإيجي ص٣٨٩ .

أصحا ا في الآخرة .

حد الكبيرة: اختلفت أقوال السلف-رحمهم الله -في ذلك اختلافا كثيرا ، ولكنها متقاربة في المعنى وفي ذلك يحدثنا ابن القيم-رحمه الله - في مقدمة عرضه لأقوال السلف فيها : « وأما الكبائر : فاختلف السلف فيها اختلافا لايرجع إلى تباين وتضاد ، وأقوالهم متقاربة»[(١)]. وقد أورد ابن تيمية- رحمه الله - أكثر من عشرين تعريفاً للكبيرة ورجح منها ماسلم من النقد وهو : « كل ذنب ختمه الله بنار ، أو غضب ، أو لعنة ، أو عذاب »[(٢)] . ثم ذكر ابن تيمية وجوه الترجيح لهذا التعريف فقال : وإنما قلنا : إن هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه : أحدها : أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط ، فإ ا لاتعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة ، وإنما قالها بعض من تكلم في شيء من الكلام أو التصوف . بغير دليل شرعي .

الثاني : يقول الله عزوجل : { إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما }[(٣)] .

فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات ، واستحقاق الوعد الكريم ، وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنة أو ما يقتضي ذلك فإنه خارج من هذا الوعد ، فلا يكون من مجتنبي الكبائر .

وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر ، إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه ، والمستحق أن يقام عليه الحد ذنب يستحق العقوبة عليه .

الثالث : إن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب ، فهو حد يتلقى من خطاب الشارع .

الرابع : إن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر ؛ وأما تلك الأمور فلا يمكن الفرق ا بين الكبائر والصغائر ، لأن تلك الصفات لا دليل

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ٣٤٧/١ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦٥٠/١١ ، شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٥/٢ .

(٣) سورة النساء الآية : ٣١ .

عليها[١] .

موقف ابن أبي زيد من التفريق بين الكبيرة والصغيرة :

وإن كان الشيخ ابن أبي زيد لم يعرف الكبائر والصغائر مع اعتقاده بالفرق بينهما خلافا للخوارج الذين سووا بين الكبائر والصغائر ولكن يفهم من كلام ابن أبي زيد من خلال إجابته ما يقال إنه فرق بين الذنوب وأضرب مثلا لاجابته لمن يعرف بترك الصلاة حيث إنه يصلي يوما أو يومين ثم يرجع إلى الترك ثم قابله بعض محبي الخير ونصحوه وذكروه بالله فيقول : { إن الله غفور رحيم } ، هل تصح الصلاة خلفه ؟ وهل تجوز شهادته ؟ وهل يصلي عليه إذا مات ؟ ويسلم عليه وتؤكل هديته ؟ وهل يفرق بينه وبين امرأته ؟ فقال : يصلي عليه ويؤكل هديته ولايفرق بينه وبين امرأته ولاتجوز شهادته ولا إمامته »[٢] .

كل هذا يؤكد لنا صحة إيمان مرتكب الكبيرة حيث إنه لايجوز للمسلمة أن تتزوج بالكافر وكذلك العكس .

ولذلك عقد ابن أبي زيد بابا في « النوادر والزيادات » في الصلاة على قتلى الخوارج وأهل البدع وأهل المعصية وأصحاب الكبائر وعلى ولد الزنا »[٣] .

وفي هذا العنوان كان الشيخ ابن أبي زيد يتحدث عن ارتكاب أهل البدع لكبائر الذنوب . وقد أوردت هذا الكلام والفتوى الصادرة من ابن أبي زيد - رحمه الله - للدلالة على أنه لم يخرج من تلك التعريفات السابقة ،ومع أنه لم ينص على التفريق بين الصغيرة والكبيرة لكن في كلامه السالف ما يدل على أن مرتكب الكبيرة لايكفر.

المسألة الثانية : حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا .

تعددت الآراء في ذلك على النحو التالي :

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦٥٤/١١ - ٦٥٦ بتصرف بسيط ، وانظر أقوال السلف في الزواجر للبيهقي ٥/١ وما بعده .

(٢) فتاوى الإمام البرزلي ٢٦٩/٤ - ٢٦٩ ظ ورقة مخطوط خاص .

(٣) النوادر والزيادات لابن أبي زيد ١٤٥/١ ظ مخطوط خاص .

الأول : قول الخوارج : بأنه كافر بارتكاب تلك الكبيرة(١) .

الثاني : قول المعتزلة بأنه خرج من الإيمان ، ولم يدخل في الكفر ، وهو في المنزلة بين المنزلتين(٢) .

الثالث : قول المرجئة - الغالبية منهم - قالوا : إن المعصية لاتضر صاحب التوحيد والإيمان ، وإنه لايدخل النار مؤمن ، بل ويقولون : لاتضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة(٣) .

الخامس : قول أهل السنة والجماعة ، بأن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان ، ولا يسلبه ذلك الاسم في الجملة - بل يقولون - مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته(٤) (٥) .

وهذا هو الذي عمد إليه ابن أبي زيد ولذا يرى قبول وأكل هداياهم والصلاة خلفهم وعدم التفريق بينهم وبين نسائهم وكل هذا يدل على إيمانهم ولو كان ناقصا . وبما أن اطلاق لفظ الكفر دون مراعاة للضوابط والقواعد الشرعية التي توضح نوعية الكفر وهل هو مخرج من الملة أم لا ؟ ولأن الجزم بتكفير المعين وإخراجه من دائرة الإسلام فيه خطورة جسيمة ، لما يترتب عليه من الآثار والأحكام الشرعية كتحريم زوجته عليه ، وعدم حل ذبيحته وعدم جواز تغسيله والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ، وعدم جواز الاستغفار له بعد موته ، ولأنه قد ورد الوعيد الشديد لمن أطلق كلمة الكفر على مسلم ، ففي الحديث

---

(١) أصول الدين - للبغدادي ٢٤٩ ، مسائل الإيمان ، للقاضي أبي يعلى ص٣٢٥ ، الإرشاد للجويني ص٣٢٤ ، المواقف ص٣٨٩ .

(٢) أصول الدين ٢٤٩ ، مسائل الإيمان ص٣٢٥ ، الإرشاد ص٣٢٥ ، المواقف ٣٨٩ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١ ، ١٤٠ ، ١٤٣ .

(٤) مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ص٣٢٦ ، الإرشاد للجويني ص٣٢٤ ، ٣٢٥ ، المواقف ص٣٨٩ .

(٥) مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ، ص٣١٦ ، ٣٢٢ ، الحجة في بيان المحجة للتيمي ٢٧٩/٢ ، مجموع الفتاوى ٢٢٢/٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٥٢٤ وما بعدها ، الإبانة لأبي الحسن الأشعري ص٢١٣ ، رسالته إلى أهل الثغر ص٢٨٨ ، الإرشاد ص٣٢٩ ، أصول الدين للبغدادي ٢٤٢ .

المتفق عليه : « من قال لأخيه يا كافر ! فقد باء ا أحدهما »[1].

وبما أن مسألة التكفير من المسائل الخطيرة وينبغي التحرز فيها وليس كل من يكفر يكون كافرا إلا إذا وجدت الشروط في حق ذلك المعين وانتفت الموانع التي تمنع من استحقاقه لذلك الحكم . والإنسان يعمل أعمال الكفر بالاجتهاد دون دراية ويظنه حقا ويكون بذلك مخطئاً ولا يكفر لأن الحقيقة لم تتضح له .

أقوال السلف في أن مرتكب الكبيرة ليس كافراً :

اتفق أهل السنة والجماعة على أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله يوم القيامة ، إن شاء ربه عذبه ، وإن شاء غفر له قال الإمام أحمد : ومن لقى الله بذنب يجب له النار تائباً غير مصر عليه فإن الله يتوب عليه . والله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته . كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ. ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب ا العقوبة ، فأمره إلى الله تعالى - إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له . ومن لقيه كافرا عذبه ، ولم يغفر .[2] .

قال الإمام ابن بطة[3] (ت٣٨٧هـ) : ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام ولايخرج من الإسلام إلا الشرك بالله أو برد فريضة من فرائض الله - عزوجل - جاحدا ا فإن تركها أونا وكسلا كان في مشيئة الله - عزوجل - إن شاء عذبه وإن شاء غفر له[4] .

قال الإمام الصابوني[5] (ت٤٤٩هـ) : ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن

(١) رواه البخاري رقم ٦١٠٣ ومسلم رقم ٦٠ .

(٢) رسالة عبدوس بن عبدالواحد في طبقات الحنابلة ٢٤٥/١ .

(٣) أبو عبدالله بن عبيدالله بن محمد العكبري ، الفقيه الحنبلي المعروف بابن بطة عالم بالحديث على ضعف فيه من قبل حفظه . اشتهر بالصلاح واستجابة الدعوة . وهو من المصنفين في السنة والإعتقاد توفى سنة ٣٧٨هـ . شذرات الذهب ١٢٢/٣ .

(٤) الشرح والإبانة لابن بطة ص١٨٣ ، تحقيق د. رضا نعسان ، وانظر الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الإعتقادات وأصول الديانات لأبي عمر وعثمان بن سعيد الداني ص٩٦ .

(٥) الإمام العلامة القدوة ، شيخ الإسلام أبو إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني ، ولد سنة ٣٧٣هـ ، ⇦

أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لايكفر بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ، ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله - عزوجل - إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار ، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار ، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار[١] .

قال ابن عبدالبر المالكي (ت٤٦٣هـ) : فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله . إن شاء غفر له وإن شاء عذبه فإن عذبه فبجرمه وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة[٢] .

ويقرر الشيخ عبدالقادر الجيلاني ذلك المذهب السلفي حيث يقول : « ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان فإنه لايخلد فيها بل يخرجه منها لأن النار في حقه كالسجن في الدنيا يستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته ثم يخرج برحمة الله تعالى ولايخلد فيها »[٣] .

ويقول في موضع آخر من كتابه : ونعتقد أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة من الكبائر والصغائر لايكفر بها وإن خرج من الدنيا بغير توبة إذا مات على التوحيد والإخلاص ، بل يرد علمه إلى الله - عزوجل - إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه وأدخله النار فلا يدخل بين الله وبين خلقه مالم يخبرنا الله بمصيره »[٤] .

وصفه البيهقي بأنه إمام المسلمين حقا ، وشيخ الإسلام صدقا ، وقال عنه الذهبي كان من أئمة الأثر ، له مصنف في السنة وإعتقاد السلف ما رآه مصنف إلا واعترف له . توفى سنة ٤٤٩هـ . انظر سير أعلام النبلاء ، للذهبي ١٨/٤٠ .

(١) عقيدة السلف للصابوني ٧١ .

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٤/٤٩ .

(٣) الغنية للجيلاني ١/٦٥ ، وانظر الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراءه الاعتقادية والصوفية للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني ١/١٠٥ .

(٤) الغنية للجيلاني ١/٦٥ .

ونرى أن ابن أبي زيد يؤيد ما ذهب إليه السلف في أن مرتكب الكبيرة لايخرج من الملة وأنه فاسق بمعصيته واقع تحت مشيئة الله في الدار الآخرة ، إن شاء عذبه وإن شاء رحمه وأنه لايكفر ا إذا مات على التوحيد وقال : « وأن الله سبحانه يضاعف لعباده المؤمنين الحسنات ، ويصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات ، ويغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر ، وجعل من لم يتب من الكبائر صائرا إلى مشيئته » - { إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء }[1] - ومن عاقبه بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله به جنته { ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره }[2] .[3] .

ويفهم من كلام الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله - أن من اقترف من عباد الله شيئا من كبائر السيئات ثم تاب وأصلح أنه يتجأوز عنه ويعفو على سبيل الفضل والكرم ، وأما الصغائر فتكفر باجتناب الكبائر (وجعل من لم يتب) ومات غير تائب فأمره موكول إلى الله وإلى مشيئته ، إن شاء عفا عنه فضلا ، وإن شاء عاقبه عدلا - وإن عصاة المؤمنين إن أراد الله تعذيبهم في دار العقاب إلى دار السلام ولا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فالإيمان سبب في عدم الخلود في النار وسبب في دخول الجنة إلا أن سببية الإيمان في دخول الجنة مع عفو الله ورحمته { فبذلك فليفرحوا }[4] .

قال في النوادر : يصلى على كل مسلم ولا يخرجه من حق الإسلام حدث أحدثه ولا جرم اجترمه حيث يصلى على قاتل نفسه ويورث ويصلى الناس على من قتله الإمام في قود أو رجم في زنا دون الإمام . وذكر ابن أبي زيد عن ابن حبيب : ويصلى على كل موحد وإن أسرف على نفسه بالكبائر[5] .

وقد ورد عن ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - ما يوافق موقف السلف فيما

---

(١) سورة النساء الآيتان : ٤٨ ، ١١٦ .

(٢) سورة الزلزلة الآيتان : ٧ - ٨ .

(٣) الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ص١٣ شرح عبدالسميع الآبي .

(٤) كلام السميع الآبي ص١٣ . الشارح لرسالة ابن أبي زيد القيرواني .

(٥) النوادر والزيادات لابن أبي زيد ورقة ١٤٥ ظ جـ٢ . وانظر طبقات الحنابلة ٣٤٤/١ .

نقل عنه ومن ذلك أنه يرى الصلاة على من مات من أهل القبلة إذا كان ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . ويعنى ذلك أنه من المسلمين ، وإلا لما قال بجواز الصلاة عليه ، ولايعنى هذا أيضاً أن النطق باللسـان يكفـي كمـا هو قول المرجئة ، بل تقدم في كلام ابن أبي زيد ، أن الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية نقصا عن حقائق الكمال لامحبطا للإيمان ويهدف الشيخ بقوله « كل موحد » يعني أنه من أهل التوحيد الذي يقول لا إله إلا الله . وقد أكد هذا المعنى من أن الإيمان لايزول بالذنوب وقال : أهل الذنوب مؤمنون مذنبون»[1].

وذكر الشيخ في مكان آخر ... وأنه لايكفر أحد من أهل القبلة بذنب وإن كان كبيرا ، ولايحبط الإيمان غير الشرك بالله ثم استدل الشيخ ابن أبي زيد بقوله تعالى : { لئن أشركت ليحبطن عملك }[2] وقوله تعالى : { إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء }[3] [4] .

ومن كلام ابن أبي زيد يتبين لنا أن أصحاب الكبائر إجمالاً - عند السلف ومنهم ابن أبي زيد - إذا ماتوا على التوحيد فهم تحت مشيئة الله تعالى - وإ م على رجاء كبير من الله أن يغفر لهم برحمته وفضله وكرمه وإحسانه . وإما أن يعذ م الله على قدر ذنو م بعدله سبحانه وتعالى ، ولا يخلدون في النار ، حيث إ م ليسوا بكفار وهذا معنى قول ابن أبي زيد ولا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وإن كان كبيرا ، ولا يحبط الإيمان غير الشرك بالله »[5] .

ثم يخرجون برحمة الله وشفاعة الشافعين ، لبقاء شيء من الإيمان في قلو م وهذا معنى قوله : أهل الذنوب مؤمنون مذنبون ، وهذا مصداق لقوله عليه الصلاة والسلام : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تبارك

---

(١) كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني ص١٥٥ .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٥ .

(٣) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٤) كتاب الجامع ص١٤٢ - ١٤٣ .

(٥) المصدر السابق ونفس الصفحة .

وتعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان »[1] .

أدلة السلف رضوان الله عليهم في الرد على الخوارج :

وقد أقام السلف - رضوان الله عليهم - عدة أدلة لدحض سوء فهم الخوارج في تكفيرهم أصحاب الكبائر حيث إ م نظروا في جناب الوعيد وأهملوا ما هو أهم الذي هو جناب الوعد وجمع السلف - رضوان الله عليهم- جميع الأدلة الدالة على الوعد والوعيد دون التفريط أو الإفراط ومن أوضح الأدلة فعل الصحابي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في موقفه من الخوارج بعد أن أنصفهم ثم بين خطأ منهجهم في السلوك وقصور فهمهم للقرآن الكريم وعدم اعتمادهم على السنة الصحيحة التي تبين نصوصه . وقد بين لهم - رضي الله عنه - أن الخطأ في العمل لايقتضي الكفر حيث إن الرسول عليه الصلاة والسلام رجم الزاني المحصن ثم صلى عليه وورثه أهله . وقتل القاتل وورث ميراثه أهله . وقطع يد السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفئ ويجوز له تزويج المسلمة فأخذهم رسول الله ﷺبذنو م وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ، ولم يخرج أسماءهم من بين أهله[2] .

ولذا ، نجد أن أسلاف الخوارج كما يقول ابن حزم : كانوا اعرابا قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله ﷺولم يكن فيهم أحد من الفقهاء لامن أصحاب ابن مسعود ولا أصحاب عمر ولا أصحاب علي ولا أصحاب عائشة ... ولهذا ، نجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تـ ل م من دقائق الفتيا وصغارها[3] .

والواقع أن مذهب السلف أ م لايبرأون من أصحاب الكبائر حتى ولو أقيم عليهم الحد ولا يعتبرو م كفارا ، فقد كان الرسول ﷺنفسه والصحابة من بعده

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٧٢/١ ، ومسلم ١٧٢/١ ، عن طريق الإمام مالك وليس في الموطأ .

(٢) شرح ج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٢/٨ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٥٦/٤ ، وانظر كتاب دراسة عن الفرق للدكتور أحمد جلى ص٦٥ .

يصلون على من مات في الحد بل ويترحمون عليه كما قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : « استغفروا لماعز بن مالك قال الرأوي : فقالوا : غفر الله لماعز بن مالك »[١] .

وما تقدم تشهد له عدة أدلة من كلام السلف الصالح رضوان الله عليهم : قال الإمام الطحاوي : وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لايخلدون ، إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئة الله وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ، كما ذكر الله عزوجل في كتابه : { ويغفر مادون ذلك لمن يشاء }[٢] وإن شاء عذ م في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته[٣]

وأن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لايكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية ، كما قالت الخوارج إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة ، لكان مرتدا يقتل على كل حال ، ولايقبل عفو ولي القصاص ، ولاتجري الحدود في الزنى والسرقة وشرب الخمر ، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام[٤] .

ومتفقون على أنه لايخرج من الإيمان والإسلام ، ولايدخل في الكفر ، ولايستحق الخلود في النار مع الكافرين ، كما قالت المعتزلة ، فإن قولهم باطل أيضاً ، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين ، قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى }[٥] إلى أن قال : { فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف }[٦] . فالشارع الحكيم لم يخرج القاتل من دائرة الذين آمنوا ، وجعله أخا لولي القصاص ، والمراد أخوة الدين بلا ريب ، وقال

---

(١) صحيح مسلم ١١٩/٥ .

(٢) سورة النساء الآية : ٤٨ و١١٦ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٤/٢ .

(٤) المصدر السابق ٤٤٢/٢ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٧٨ .

(٦) سورة البقرة آية : ١٧٨ .

تعالى : { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما }[1] إلى أن قال : { إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم }[2] .

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لايقتل ، بل يقام عليه الحد ، فدل على أنه ليس بمرتد . والأدلة على هذا كثيرة في كتب الصحاح .

ولا يخفى أن رسول الله ﷺكان يأتيه مرتكب الكبيرة فيقيم عليه الحد ولا يطلب إليه أن يعلن إسلامه من جديد ، ولو كان مرتكب الكبيرة كافرا لاستتابه عليه الصلاة والسلام ، ولطلب منه إعلان إسلامه من جديد . وهذا مالم يروه أحد عن رسول الله ﷺلافي كبيرة ولا في صغيرة ، على ما روي عنه ﷺ من جلد الزناة أو رجمهم ، وجلد أهل الخمر . كما أنه لم ينقل عن الصحابة ولا عن أحد من العلماء أنه قال بتكفير أهل الذنوب كفر ملة ، أو قال بتخليدهم في النار .

فمذهب أهل السنة والجماعة أنه لايخلد أحد من المؤمنين في النار مهما كان جرمه ، فإن تاب فله وإن لم يتب فأمره مفوض لربه . وهذا الذي انتهى إليه المحققون من أهل العلم .

---

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٠ .

المبحث الرابع :

إبطاله لإنكارهم الشفاعة لأصحاب الكبائر .

شفع : طلب .

الشفيع ، الشافع ، والجمع شفعاء، واستشفع بفلان على فلان ، وتشفع له إليه فشفعه فيه ، وقال الفارسي : استشفعه طلب منه الشفاعة أي قال له كن لي شافعا .

وقيل الشفاعة : الدعاء ههنا .

والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة ويسألها لغيره .

وشفيع إليه : في معنى طلب إليه .

والشافع : الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب .

وقيل : هي الإنضمام إلى آخر ناصرا له وسائلا عنه . وأكثر ما تستعمل في

إنضمام من هو على حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى[١] .

والمُشفّع : الذي يقبل الشفاعة ، والمشفّع : الذي تقْبلُ شفاعته[٢] .

اصطلاحها : وقال الراغب : من انضم إلى غيره وعأونه وصار شفعا له أو شفيعاً في فعل الخير أو الشر فعأونه أو شاركه في نفعه وضره .

وقيل الشفاعة هنا أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير أو شر فيقتدئ به فصار كأنه شفع له ...[٣] .

وقيل : سؤال التجأوز عن الذنوب والآثام[٤]

والشفاعة أنواع منها ماهو متفق عليه بين الأمة ، ومنها ماخالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع .

النوع الأول : الشفاعة الأولى ، وهي العظمى [٥]، الخاصة بنبينا ﷺمن بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ... في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، أحاديث الشفاعة ...[٦] .

النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعته ﷺفي أقوام قد تسأوت حسنا م وسيئا م فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ، وفي أقوام آخرين قد أُمر م إلى النار ألا يدخلو ا .

النوع الرابع : شفاعته ﷺفي رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ماكان يقتضيه ثواب أعمالهم وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة ، وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها .

النوع الخامس : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا[٧] الجنة بغير حساب ويحسن أن

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص٢٦٣ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٨٤/٨ .

(٣) فصل الشين من باب العين : تاج العروس للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي ٤٠٠/٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٥٨/٢ .

(٥) وأ ا الشفاعة في أهل الموقف.

(٦) كتاب شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨٣/١ .

(٧) في الأصل : يدخلون بدل يدخلوا .

يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن ، حين دعاله رسول الله ﷺأن يجعله، من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب[1] والحديث مخرج في الصحيحين.

النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه ، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه[2] .

ثم قال القرطبي في « التذكرة » بعد ذكر هذا النوع : فإن قيل : فقد قال تعالى : { فما تنفعهم شفاعة الشافعين }[3] قيل له : لاتنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين ، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

النوع السابع : شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة كما تقدم. وفي « صحيح مسلم » عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺقال : «أنا أول شفيع في الجنة »[4] .

النوع الثامن : شفاعته في أهل الكبائر من أمته ، ممن دخل النار ، فيخرجون منها، وقد تواترت ذا النوع الأحاديث . وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة ، فخالفوا في ذلك ، جهلاً منهم بصحة الأحاديث ، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته . وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً .

وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺأربع مرات. ومن أحاديث هذا النوع، حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[5].

وللأسف الشديد ينكر معظم الخوارج مأورد عن رسول الله ﷺفي ثبوت الشفاعة في أهل المعاصي من أمته مع ورود ذلك في الكتاب والسنة .

يقول ابن حزم : قال أبو محمد : اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم هم المعتزلة

---

(١) صحيح ، متفق عليه ، وهو الذي فيه قوله ﷺ: « سبقك ا عكاشه » .

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره ، وقد خرجته في « الأحاديث الصحيحة » رقم : (٥٤ ، ٥٥) .

(٣) المدثر الآية : ٤٨ .

(٤) وأخرجه أحمد أيضاً ١٤٠/٣ وغيره . المصدر السابق برقم : (١٥٧٠) .

(٥) صحيح ، وله طرق وشواهد ، المشكاة (٥٥٩٨ - ٥٥٩٩) . انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢٩٠/١ بتحقيق د. عبدالله التركي .

والخوارج ، وكل من تبع أن لايخرج أحد من النار بعد دخوله فيها[١] .

أما الشفاعة عند الإباضية فإ م يثبتو ا ولكن لغير العصاة بل للمتقين ، وكأن المتقي أحوج إلى الشفاعة من المؤمن المذنب في رأيهم . في مذهبهم أ م قد ذهبوا في اعتقاد الشفاعة بأهل الكبائر ماذهبوا إليه في الميزان والصراط، فأعملوا عقول الرجال وتأولوا في نصوص الشريعة فهم يعتقدون بوقوع الشفاعة في المحشر وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار[٢] . وعرض الإباضية عن هذا القول وقالوا إن الشفاعة خاصة للمؤمنين دون أهل المعاصي مستدلين بآيات قرآنية مثل قوله تعالى : { ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع }[٣] . وقوله تعالى : { فما تنفعهم شفاعة الشافعين }[٤] وقوله تعالى : { ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة }[٥] .

ومن السنة ما اعتمدوه مما أورده الربيع بن حبيب في مسنده عن جابر بن زيد عن النبي ﷺقال : « لاينال شفاعتي الغالي في الدين ولا الجافي عنه »[٦] .

وفي هذا أيضاً روى ابن الربيع بسنده المنقطع عن جابر بن زيد عن النبي ﷺأنه قال : « لاتنال شفاعتي سلطانا غشوماً للناس ورجلا لايراقب الله في اليتيم »[٧]

وفيه أيضاً عن جابر بن زيد عن النبي ﷺقال : « ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي » ، يحلف جابر عند ذلك مالأهل الكبائر شفاعة لأن الله أوعد أهل

---

(١) الفصل لابن حزم ٦٣/٤ .

(٢) السالمي مشارق أنوار العقول ص٢٨٧ .

(٣) سورة غافر آية : ١٨ .

(٤) سورة المدثر آية : ٤٨ .

(٥) سورة البقرة آية : ١٢٣ .

(٦) مسند الربيع بن حبيب ٢٢/٤ ، حديث رقم : ١٠٠٣ ، وانظر حاشية الترتيب للوارجلاني ١٣١/٨ ، وكتاب طعيمة في الإباضية ص١٦٤ .

(٧) المصدر السابق ٢٢/٤ رقم الحديث : ١٠٠٢ .

الكبائر النار في كتابه[1] .

واعترض الإباضية على ما ذكره أهل السنة في الحديث الذي رواه أنس بن مالك ، أن الشفاعة لأهل الكبائر فوالله ماعن القتل والزنا والسحر وما أوعد الله عليه النار ... »[2].

ولاشك أن استدلال الإباضية لما ذهبوا إليه في إنكار الشفاعة[3] للمذنبين وأهل الكبائر غير صحيح من عدة وجوه منها : أن الآية التي استدلوا ا على عدم وقوع الشفاعة لأهل الكبائر وأمثالها لاتقوم دليلا حيث إن الخطاب موجه في هذه الآيات إلى المشركين وأن الشفاعة لاتفيدهم[4] .

وقد احتج منكرو الشفاعة بقوله تعالى : { ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين }[5] .

قالوا : اشتملت الآية على نفي الشفاعة التي كان يثبتها أهل الشرك وأهل البدع الذين يعتقدون أن للخلق عندالله من الجاه والقدر والمكانة بحيث يقدرون

---

(١) المصدر السابق ٢٢/٤ ، حديث رقم : ١٠٠٤ ، الوارجلاني ١٣١/٨ .

(٢) حاشية الترتيب للوارجلاني ١٣٢/٨ .

(٣) والخلاف بين الإباضية والأشاعرة في قضية الشفاعة هو أن الأشاعرة ، يثبتون الشفاعة لأهل الكبائر وهم يوافقون أهل السنة في ذلك ويحتجون بحديث الرسول ﷺ: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » ورد عليهم الإباضية بالنصوص كذلك ، بالكتاب والسنة : { واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة } سورة البقرة آية : ٤٨ ، وقوله تعالى : {ما للظالمين من حميم ولاشفيع } سورة غافر آية : ١٨ ، ومن السنة قوله ﷺ: « لاينال شفاعتي أهل الكبائر » الحديث .

كما التقى الإباضية مرة أخرى مع المعتزلة الذين ينكرون بدورهم الشفاعة لأهل الكبائر ، ويتعارضون مع الأشعرية وغيرهم في هذا الموضوع والإباضية في هذا الموضوع يقولون إن مرتكب الكبيرة أي : الكافر كفر النعمة ، يخلد في النار إذا لم يتب ، وليس لله أن يعفو عنه ، وهم ذا قد ألزموا الله جل شأنه، تأسيا منهم بالمعتزلة . انظر المدارس الكلامية في إفريقية للدكتور عبدا يد حمده ص١٣٦ .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٩/١ .

(٥) سورة المدثر الآيات : ٤٢ - ٤٨ .

على أن يشفعوا عنده بغير إذنه فأنكر الله ذلك عليهم »[1].

وأما استدلالهم بما رواه الربيع في مسنده فإن العلماء حكموا بانقطاع عن الربيع بن حبيب - كما أن ما رواه الربيع معارض بأحاديث أخرى بسند أقوى تثبت الشفاعة لأهل الكبائر وتجعل ما دونه ابن الربيع إذا لم يكن منقطعاً أو مردودا منسوخاً بالأحاديث المعارضة والتي منها ما رواه البخاري بسنده حيث قال : حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة : حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺقال : « يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين »[2].

وهناك عدة أحاديث رواها أصحاب الكتب الصحاح المعتمدة عند أهل السنة والجماعة تؤكد قيام الشفاعة يأذن الله لأهل الكبائر من أمة الإسلام . ويعض هذه الأحاديث ويؤكدها فيما قرره واعتقده أهل السنة والجماعة قوله تعالى : { إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء }[3] . فقد فرق سبحانه وتعالى بين الكفر وماهو دونه[4] .

ومن ثم يرى الباحث عن الحق في هذه المسألة أن منهج أهل السنة والجماعة في قضايا العقيدة كتلك التي نحن بصددها أصح لقوة الأدلة المثبتة لهذه القضايا العقدية خاصة وأن منهجهم فيما ذهبوا إليه يتمثل في الإلتزام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺوإليكم ما قاله سلف الأمة حيث إ م يثبتون الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة. **من القرآن الكريم :** قوله تعالى : { وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى }[5] وقوله تعالى : { يومئذ

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١/١٤٩ - ١٥٠ (بتصرف يسير) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار وراجع شرح ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ١١/٤١٦ حديث رقم ٦٥٥٩ .

(٣) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١/١٥ .

(٥) سورة النجم آية : ٢٦ .

لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا }[١] وقوله : { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه }[٢] . وغير ذلك من الآيات الدالة على ثبوت الشفاعة بعد الإذن من الله - عزوجل - وفي حالة الرضا عن المشفوع .

قال الإمام أحمد بن حنبل : وأن الله يخرج أقواما من النار بشفاعة محمد ﷺ[٣] .

وذكر ابن خزيمة (ت٣١١هـ) في كتابه التوحيد تحت عنوان : باب ذكر أبواب شفاعة النبي ﷺ، التي قد خص ا دون الأنبياء[٤] سواه صلوات الله عليهم لأمته ، وشفاعة النبي ﷺدون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم ، وشفاعة بعض أمته[٥] لبعض أمته ممن قد أوبقتهم خطاياهم وذنو م فأدخلوا النار ليخرجوا منها بعدما قد عذبوا فيها بقدر ذنو م وخطاياهم التي لايغفرها الله لهم ولم يتجأوز لهم عنها بتفضله وجوده .. ثم ذكر أنواع الشفاعة بالتفصيل ... »[٦] .

وهذا أبو الحسن الأشعري يقرر مذهب أهل الحق ويبطل رأى منكري الشفاعة ، يقول : قد أجمع المسلمون أن لرسول الله ﷺشفاعة ، فلمن الشفاعة ؟ هي للمذنبين المرتكبين للكبائر ؟ أم للمؤمنين المخلصين ؟ فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين للكبائر ، وافقوا . وإن قالوا للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين ا قيل لهم : فإذا كانوا موعودين بالجنة ، و ا مبشرين ، والله تعالى لايخلف وعده ، فما معنى الشفاعة لقوم لايجوز عندكم أن لايدخلهم الله جناته ؟ ومن قولكم إ م قد استحقوها على الله - عزوجل - واستوجبوها عليه سبحانه ، وإذا كان الله تعالى لايظلم مثقال ذرة ، وكان تأخيرهم عن الجنة ظلما ، فإنما يشفع الشفعاء إلى الله تعالى في أن لايظلم على مذاهبكم تعالى الله عن افترائكم عليه علوا كبيراً - وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقابا : أن يوضع عنه عقابه أو في من لم يعده شيئاً

---

(١) سورة طه آية : ١٠٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٣) طبقات الحنابلة ٣٤٤/١ .

(٤) كتاب التوحيد لابن حزيمة ٢٤١ .

(٥) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٦) المصدر السابق ونفس الصفحة .

أن يتفضل عليه به ... فإن يسألوا عن قول الله تعالى : { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ... }[1] لمن يشفعون له فقد روى أن شفاعة النبي ﷺلأهل الكبائر وروى عن النبي ﷺأن المذنبين يخرجون من النار[2] .

والإمام الآجري عقد باباً تحت عنوان باب الإيمان بأن قوماً يخرجون من النار ، فيدخلون الجنة بشفاعة النبي ﷺوبشفاعة المؤمنين[3] .

قلت : ولاشك أن هذا خلاف للخوارج والمعتزلة وجميع الطوائف الضالة الذين ينكرون الشفاعة .

وذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٠هـ) ، في معرض ذكره قول أهل السنة أن الله تعالى يشفع نبيه ﷺوأهل بيته وصحابته ، ومن يشاء من صالح عباده ، في عصاة أهل ملته ، ويخرج بشفاعة رسول الله ﷺمن النار قوم بعدما امتحشوا فيها وصاروا حمما ، ويدخلون الجنة ويغسلون في ماء الحياة فتنبت لحومهم كما تنبت الحبة في حميل السيل ، على ما أتت به الأخبار الصحاح عن الرسول ﷺ ثم ساق عدة أدلة من القرآن والسنة لإثبات الشفاعة[4]

قال الإمام الصابوني (ت٤٤٩هـ) : ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺلمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ[5] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ، يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة . ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لأهل الكبائر من أمته ويشفع أيضاً لعموم

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق : ٥١ ، وكتاب الإيمان : ١٣٣ ، وتوحيد : ١٩ . وانظر الإبانة ص٢٤١ - ٢٤٣ ، تحقيق د. فوقية حسين محمود .

(٣) رقم الحديث : (٦٨) ص٢٨٣ ، وما بعدها .

(٤) الرسالة الوافية تحقيق د. محمد سعيد القحطاني ص١١٢ - ١١٣ .

(٥) عقيدة السلف للصابوني ص٦١ ، تحقيق بدر البدر .

الخلق[1] .

ويقول أيضاً : والرسول ﷺيستشفع به إلى الله أي : يطلب منه أن يسأل ربه الشفاعة في الخلق أن يقضي الله بينهم . وفي أن يدخلهم الجنة ، ويشفع في أهل الكبائر من أمته ويشفع في بعض من يستحق النار أن لايدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ، ولانزاع بين جماهير الأمة أنه يجوز أن يشفع لأهل الطاعة المستحقين للثواب ، وعند الخوارج والمعتزلة أنه لايشفع لأهل الكبائر لأن الكبائر عندهم لاتغفر ولايخرجون من النار بعد أن يدخلوها لابشفاعة ولابغيرها[2] .

ويقول أيضاً : ومذهب اهل السنة والجماعة أنه لايشفع في أهل الكبائر ولايخلد أحد في النار من أهل الإيمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة من إيمان أو مثقال ذرة[3] .

ويرى ابن أبي زيد مذهب أهل الحق حيث يؤكد في رسالته المشهورة أن أهل الكبائر من أمة محمد ﷺيخرجون من النار ويدخلون الجنة بشفاعته ﷺويقول : ويخرج منها - النار - بشفاعة النبي ﷺمن شفع له من أهل الكبائر من أمته[4] .

ويقول في موضع آخر في كتابه « الجامع » وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين ويخرج من النار بشفاعة رسول الله ﷺ! قوم من أمته بعد أن صاروا حمما فيطرحون في ـر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل[5] .

والشيخ ابن أبي زيد ـذا القول يقرر وجوب الإيمان بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ويرى أنه مما يجب التصديق به وإنما خص النبي ﷺ بالذكر لكونه شافع فيخرج من النار بشفاعة نبينا من كان من أهل الكبائر من أمته الموحدين وكلامه هذا اشتمل على بيان عدة شفاعات ، الأولى : شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام

(١) مجموعة الرسائل والوسائل ١٠/١ .

(٢) المصدر السابق ١١/١ .

(٣) المصدر السابق ١١/١ ، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١١٦/١ .

(٤) الرسالة مع شرح عبدالسميع الآبي ص١٤ .

(٥) كتاب الجامع ص١٤٥ ، تحقيق عبدا يد تركي .

في أهل الكبائر قبل دخول النار .

الثانية : شفاعته عليه الصلاة والسلام في أهل الكبائر بعد دخولهم النار .

الثالثة : شفاعة المؤمنين لأهل الكبائر لإخراجهم من النار .

وهو بهذا يوافق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات الشفاعة للنبي ﷺ، ولغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين حسبما وردت به الأدلة من الكتاب والسنة مع نفي الشفاعة التي نفتها الأدلة من الكتاب والسنة .

وإليكم أدلة ثبوت شفاعته صلوات الله وسلامه عليه ...

استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الشافعين بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة كعادتهم في إثبات جميع عقائدهم .

ومن السنة المطهرة : أدلتها كثيرة جدا منها : حديث أبي هريرة الطويل قال رسول الله ﷺ: « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد يبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنوا منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس ألاترون ما أنتم فيه ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم . فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم ثم ذكر أنهم يأتون آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام وكلهم يقول : اذهبوا إلى غيري فيأتوني ويقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع إلى ربك الا ترى إلى مانحن فيه ، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول : أمتي يارب أمتي يارب أمتي يا رب ... »[1].

ووجه الدلالة من الحديث المذكور الطويل : ورود طلب أهل الموقف من

(١) رواه الإمام البخاري رقم الحديث : (٤٧١٢) ، ومسلم في حديث رقم : (١٩٤) .

الأنبياء عليهم السلام من يشفع لهم إلى الله لفصل القضاء ، وكل يعتذر بذنب أصابه حتى يأتوا نبينا محمدا ﷺيشفع لهم عند ذلك .

وقد أخرج الإمام مسلم أحاديث كثيرة في ثبوت الشفاعة منها قوله ﷺ، فيما يرويه عنه أبوهريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « لكل نبي دعوة مستجابة يدعو ا فيستجاب له فيؤتاها ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ: « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لايشرك بالله شيئاً »[1]. إلى غير هذا من الأحاديث التي أوردها الإمام مسلم في هذا الباب .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة والغرض إثبات وجودها الذي ينفيه الخوارج والإيمان بثبوت الشفاعة لرسول الله ﷺبناء على ما صح من الأحاديث إضافة إلى إجماع الأمة ، وهو مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم والذي التزم به ابن أبي زيد القيرواني .

المبحث الخامس :

موقف الخوارج من الصحابة ورد ابن أبي زيد عليهم :

إن من عقائد السلف وجوب محبة أصحاب رسول الله ﷺوتعظيمهم وتوقيرهم والاقتداء م وحرمة النيل من أحد منهم أو بغضه وذلك لما شرفهم الله به من صحبة رسوله ﷺ، والجهاد معه لنصرة دين الإسلام حيث كانوا يمثلون جيلا فريدا كيفهم القرآن الكريم ورباهم المصطفى ﷺ، فأصبحوا مثالا عالياً في الإيمان الصادق والخشية لله ، والأمانة في الدين والشجاعة والحكمة . وقد تمثلت

(١) رواه الإمام البخاري رقمه : (٦٣٠٥) ، ومسلم رقمه : (١٩٩) ، وانظر صحيح مسلم مع النووي ١٣١/١ .

هذه القيم كلها في تعاملهم فيما بينهم ، وفي تضحيتهم بأموالهم وأنفسهم في سبيل هذا الدين . وقد وصف القرآن الكريم ماكان يتحلى به الصحابة من قيم وأخلاق ومحبة وإخاء وتضحية وبذل وفداء . فقال عنهم : { محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ..}[1] وكان القرآن مليئاً بالتحدث عن صفات الصحابة ومواقفهم الرائعة وكذلك الإنجيل .

ويقول في حقهم ﷺ: « لاتسبوا أصحابي ، لاتسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولانصيفه »[2].

روى الشيخ ابن أبي زيد القيرواني عن ابن مسعود قال : « من كان مستنا فليستن بمن قدمات ! أولئك أصحاب محمد ﷺ! كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا ، قوم أختارهم الله لصحبة نبيه - عليه السلام ! وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإ م كانوا على الهدى المستقيم »[3].

فهل يتهم أمثال هؤلاء الذين زكّاهم القرآن وشهد لهم بالفضل والم لة لدى رسول الله ﷺ، فهل يرمون بالكفر والعناد ولاشك أن الطعن في هؤلاء الصحابة طعن في الدين الذي حملوه إلينا وتشكيك في أصوله ومضمونه لأن الدين منقول إلينا عن طريقهم كما أن الطعن في الصحابة يتضمن الطعن في الرسول وفي نبوته .

ومع كل هذه النصوص التي تتحدث عنهم وتزكيهم وتحذر من النيل منهم أو بغضهم نرى البعض قد انحرف عن الجادة ونال منهم أي نيل . فترى الرافضة تسبهم ، ونرى الخوارج تنظر إليهم نظرة غير سوية حيث سأووا أنفسهم بالصحابة بل فضلوا أنفسهم عليهم فذكر سالم بن حمد الحارثي في كتابه العقود

---

(١) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ١٨٨/٧.

(٣) ذكره في كتابه الجامع ص١٥١ ، وانظر حلية الأولياء ٣٠٥/١ - ٣٠٦ ، وذكره البغوي أيضاً عن ابن مسعود ٢١٤/١ ، روى ذلك ابن بطة - كما في منهاج السنة لابن تيمية بإسناده إلى عبدالله بن مسعود ، انظر منهاج السنة ١٦٦/١ .

الفضية ، حكاية عن مقالة الخوارج الشنيعة إزاء الصحابة فقال : (والصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذمناه ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لاغير بل ربما كانت ذنو م أفحش من ذنوب غيرهم لأ م شاهدوا الأعلام والمعجزات فمعاصينا أخف لأننا أعذر ...)[1] .

كما أ م قطعوا بالجنة لبعض الصحابة رضي الله عنهم وحكموا بالنار للآخرين لزعمهم أ م صدرت منهم بعض الذنوب ولذلك يقول سالم الحارثي : روى الربيع بن حبيب مطولا قال القطب : وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺأبوبكر وعمر ويقطع لهما بالجنة.

ثم يقول الخوارج بكفر بعض الصحابة مع مأورد من شهادة رسول الله ﷺ لهم بالجنة ، ولقد كفرهم الخوارج بسبب بعض الأفعال التي صدرت منهم فعدها الخوارج منهم ذنوباً وما كانت في الحقيقة كذلك بل كانت ناتجة عن اجتهاد وقد قرر الأصوليون أن كل مجتهد مصيب مع العلم بأنه لاعصمة لبشر عن الذنوب بعد الأنبياء .

وأول من اشتد الخوارج في تكفيرهم من الصحابة - بعد عثمان وعلي رضي الله عنهما - معأوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وأهل التحكيم ومن رضي به من غيرهم ، قال الأشعري : « ويكفرون معأوية وعمرو وابن العاص وأبا موسى الأشعري »[2].

وقد شنعوا على معأوية وعمرو بن العاص فكفروهما ، ووصفوهما بكل صفة سوء ونفوا عنهما كل خير ، وأثبتوا لهما النار ، ويقول الدكتور غالب عواجي نقلا عن الوارجلاني : « وأما معأوية ووزيره عمرو بن العاص فهما على ضلالة لانتحالهما ماليس لهما ، ومن حارب المهاجرين والأنصار فرقت بينهما الدار

---

(١) العقود الفضية ص٨٩ ، سالم بن حمد بن سليمان الحارثي .

(٢) مقالات الإسلاميين ٢٠٤/١ .

وصار من أهل النار »[1] .

وقد وصف زعيم الإباضية عبدالله بن إباض معأوية ابن أبي سفيان - كما جاء في كتابه إلى عبدالملك بن مروان بعدة صفات يزعم فيها أن الرجل يكفر بأقل منها ، فقد جاء في ذلك الكتاب قوله : فلا تسأل عن معأوية ولا عن عمله ولا صنيعه ، غير أنا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس ، ولا نعلم من الناس شيئاً لأحد أترك من الغنيمة التي قسم الله ، ولا يحكم بحكم حكمه الله ، ولا أسفك لدم حرام منه ، فلو لم يصب من الدماء إلا دم ابن سمية لكان في ذلك ما يكفره »[2] .

وقال عبدالله بن إباض في حق عثمان ومعأوية ويزيد جميعا : « فإنا نشهد الله وملائكته أنا براء منهم وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا ، نحاسب بذلك عندالله »[3] .

والذين دفع الخوارج إلى هذا ظنهم بأن الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً فلو كانت الصحابـة عند أنفسها بالمنزلة التي لايصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها لأنهم أعرف بمحملهم من عوام أهل دهرنا ثم استشهد الخوارج ببعض الأحداث التي وقعت وقابل أصحابها ربهم فتحدثوا عن ماشجر بين الصحابة وقالوا : وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي ، وهذا معأوية وعمرو بن العاص لم يقضوا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف[4] .

وعلى هذا رأى الخوارج أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبوبكر وعمر وأنهما يستحقان الجنة دون من سواهما من العشر المبشرين بها كما حكى ذلك عنهم صاحب العقود الفضية[5] .

واستدل الخوارج على صنيعهم هذا بقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا

---

(١) كتاب الخوارج نقلا عن الدليل لأهل العقول ص٢٨ .

(٢) كتاب الخوارج للدكتور غالب عواجي ص٤٧٧ .

(٣) المصدر السابق نقلا عن كشف الغمة ص٢٩٥ .

(٤) العقود الفضية ص٨٨ - ٨٩ بتصرف .

(٥) انظر المصدر السابق ص٩١ .

لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون }[١] .

وقوله تعالى عند ذكر بيعة الرضوان : { فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما }[٢] .

ومن السنة: « أن الرسول ﷺ قد رجم الزاني منهم، وجلد الشارب وقطع السارق منهم وهجر عاصيهم وقال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها »[٣] .

وقد نقل الدكتور أحمد جلي عن كتب الإباضية مذهبا إسلاميا معتدلا تمثل في أحد الأقوال المنقولة عنهم فقال مانصه :

« وللخوارج في عدالة الصحابـة ثلاثـة أقوال : القول الأول : الصحابة كلهم عدول إلا من فسقه القرآن كالوليد بن عقبة وثعلبة بن حاطب . القول الثاني : الصحابة كلهم عدول ورواياتهم كلها مقبولة إلا في الأحاديث المتعلقة بالفتن ممن خاض فيها منهم . القول الثالث : الصحابة كغيرهم من الناس ، من اشتهر بالعدالة فكذلك ومن لم يعرف حاله بحث عنه[٤] .

ولاشك أن القول للخوارج الأخيرين يعتبر مخالفة شنيعة لقوله ﷺ: « لاتسبوا أصحابي ، لاتسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه »[٥].

وهذا يستلزم من المسلم عفة لسانه بأن يمسكه عن أن يخوض في أعراض

---

(١) سورة الحجرات آية : ٢ .

(٢) سورة الفتح آية : ١٠ .

(٣) عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجتريء عليه إلا أسامةُ حب رسول الله ﷺ ؟ فكلم رسول الله ﷺ وقال أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : « يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أ م كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » . أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان برقم ٦٧٨٨ جـ١٢ ص٨٧ ، كتاب المغازي باب ٥٣ برقم ٤٣٠٤ جـ٨ ص٢٤ ، وانظر العقود الفضية ص٢٨٩ .

(٤) كتاب الفرق لأحمد جلي ص٩٨ .

(٥) صحيح مسلم ١٨٨/٧ .

هؤلاء الصحابة الذين اختارهم الله لصحبة نبيه فضلا عن مخالفتهم لما ورد في معأوية وعمرو بن العاص من ثناء الرسول ﷺ، بل يجب أن نكل أمرهما فيما شجر بينهما وبين على وصحبه مما اجتهدوا فيه نكل أمرهما إلى الله خاصة وأن الله عزوجل لم يكلفنا البحث عما صدر بينهم فضلاً عن الحكم عليهم بل يجب علينا أن نكف ألسنتنا عن التحدث فيهم .

خاصة وأن ممن ينالون منهم طلحة والزبير وغيرهم الذين كانوا من خيار الصحابة ومن المشهود لهم بالجنة من رسول الله ﷺ الذين رضي الله عنهم ورضوا عنهم ، ولهم مواقف مشرفة مع رسول الله ﷺ سواء كانت في السلم أو في الحرب من طاعة وتضحية وإقدام في مجاهدة الكفار ، فهل يجوز مع هؤلاء إطلاق الألسنة عنهم بالسوء ؟ .

وإن : « من عقيدة أهل السنة والجماعة الاّ نقطع لأحد بالجنة أو النار إلا لمن شهد له الرسول ﷺ ، والصحابة كلهم عدول وقد بشرهم الله بالجنة على لسان نبيه ﷺ ورضي عنهم ، ومن ثم يجب علينا أن نحسن الظن بالصحابة وأن نمسك لساننا عما جرى بينهم من الفتن ، ونكل أمرهم فيها إلى علام الغيوب ، ونعلم أن القرآن والسنة قد دلاّ على فضل هؤلاء الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وبايع النبي بيده عن عثمان لأنه كان غائباً وقد أرسله النبي عليه الصلاة والسلام إلى مكة ليبلغهم رسالته[1] .

أقوال أهل السنة والجماعة في الصحابة رضوان الله عليهم :

لكل ما تقدم يرى أهل السنة والجماعة وجوب محبة الصحابة ، والترضي عنهم ، والاعتراف بفضلهم ، والتأسي م لأ م أصحاب رسول الله ﷺ، فمحبتهم من محبته ، وبغضهم من بغضه ، ولذلك جاءت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة كما سبق أن ذكرته والنصوص من السلف الصالح : منها : -

١) - عن عطاء بن أبي رباح مرسلا قال : قال النبي ﷺ: « من سب أصحابي

---

(١) منهاج السنة ١٥٤/١ - ١٥٥ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص٥٣٠ ، وانظر عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ١٢٨/١ . للدكتور ناصر حسن الشيخ .

فعليه لعنة الله ، فعليه لعنة الله »[1] .

٢)وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺفسبوهم »[2] .

وقول عائشة يعتبر رداً على من ادعى وجود التباغض والحقد والحسد بين الصحابة على ما وقع وحدث بينهم من حروب طاحنة ومخالفات ، ومع ذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق ، وإنما كان حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام فإما أن يقال بإصابتهم جميعا للحق أو إن المصيب واحد والمخطئ معذور ، مع العلم واليقين أنه مخاطب بما يراه ويظنه ، فمن وقع له بغض في أحد منهم والعياذ بالله لشيء من ذلك ، فهو عاصٍ يجب عليه التوبة ، ومجاهدة نفسه بذكر سوابقهم وفضائلهم »[3] .

٣) - وعن مغيرة بن شباك قال : « بلغ عليا أن ابن السوداء ينتقص أبابكر وعمر فدعا به ودعا بالسيف ، فقال : فهم بقتله ، فكُلم فيه فقال : لايساكنني ببلد أنا فيه فنفاه إلى الشام ، وقيل المدائن »[4] .

٤) - وعن مغيرة قال : « تحول جرير بن عبدالله وحنظلة وعدي بن حاتم من الكوفة إلى قرقيسياء[5] ، وقالوا : لانقيم ببلد يشتم فيها عثمان »[6] .

٥) - وعن أبي إسحاق الهمداني قال : « شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله عزوجل : { إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما }[7] وروى مثله عن إبراهيم النخعي »[1] .

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة ، قال الألباني : إسناده مرسل صحيح ٤٨٣/٢ .

(٢) رواه مسلم ٢٣١٧/٤ .

(٣) انظر لمزيد من العلم والاحاطة عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٥٢/١ .

(٤) رواه اللالكائي في إعتقاد أهل السنة ١٢٦٤/٧ .

(٥) قرقيسياء : بلد على نهر الخابور بين الحيرة والشام ، وفي الجانب الشرقي من الفرات . معجم البلدان ٣٢٨/٤ .

(٦) رواه اللالكائي في إعتقاد أهل السنة ١٢٥٦/٧ .

(٧) سورة النساء آية : ٣١ .

٦) - وعن طلحة بن مصرف قال : « كان يقال : بغض بني هاشم نفاق ، وبغض أبي بكر وعمر نفاق ، والشاك في أبي بكر كالشاك في السنة »[٢] .

٧) - روى الإمام مسلم بإسناده إلى علي رضي الله عنه أنه قال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ أن لايحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق »[٣] .

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - مبيناً المراد بالآثار المتقدمة أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام ، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم ، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه ، وقتالهم ومعادا م سائر الناس وايثارهم للإسلام ، وعرف من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقربه من رسول الله ﷺ وحب النبي ﷺ له ، وماكان منه في نصرة الإسلام ، وسوابقه فيه، لهذا كان ذلك من دلائل صحة إيمانه ، وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضى الله - سبحانه وتعالى - ورسوله ﷺ ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك ، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم[٤] .

وقال العيني رحمه الله تعالى شارحا لقوله ﷺ: « آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار » . المقصود من الحديث الحث على حب الأنصار وبيان فضلهم ، لما كان منهم من إعزاز الدين وبذل الأموال والأنفس والإيثار على أنفسهم والإيواء والنصر وغير ذلك ، قالوا : وهذا جار في أعيان الصحابة كالخلفاء وبقية العشرة والمهاجرين بل في كل الصحابة إذ كل واحد منهم له سابقة وسالفة وغناء في الدين وأثر حسن فيه ، فحبهم لذلك المعنى محض الإيمان وبغضهم محض النفاق ويدل عليه ما روي مرفوعا في فضل أصحابه كلهم[٥] :

---

(١) رواه اللالكائي في إعتقاد أهل السنة ١٢٦٢/٧ ، ١٢٦٦ .

(٢) رواه اللالكائي في إعتقاد أهل السنة ١٢٦٦/٧ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٦/١ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٦٣/٢ - ٦٤ .

(٥) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٥٢/١ .

« من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم »[1] .

وقد وفق الله أهل السنة والجماعة لاعتقاد مادلت عليه النصوص المتقدم ذكرها من أن حب الصحابة واجب على كل مسلم ، فقد سئل الحسن البصري - رحمه الله تعالى : حب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سنة ؟ قال : لا ، فريضة[2] .

قال الطحاوي رحمه الله : ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولانتبرأ من أحد منهم . ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير . وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان[3] .

وقال أبو عبدالله بن بطة في صدر عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة : « ونحب جميع أصحاب رسول الله ﷺعلى مراتبهم ومنازلهم فأولا فأولا من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين »[4] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فضائل الصحابة واتفاق أهل السنة والعلماء في ذلك ثم قال : « وكذلك نؤمن بالإمساك عما شجر بينهم » ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب . وهم كانوا مجتهدين ؛ إما مصيبين لهم أجران ؛ أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم ؛ وماكان لهم من السيئات - وقد سبق لهم من الله الحسنى - فإن الله يغفرها لهم : إما بتوبة أو بحسنات ماحية ، أو

---

(١) والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩/١٠ ، وقال عقبة : ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن حاتم وهو ثقة ، وذكر أيضاً : أن الطبراني رواه بهذا اللفظ عن معأوية بن أبي سفيان ، ورجاله رجال الصحيح غير النعمان بن مرة وهو ثقة أ.هـ. وأورده أيضاً الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٢٤/٢ ، وانظر عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام للدكتور ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٧٦٠/٢ - ٧٦١ . في الهامش .

(٢) انظر كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ٧٦٤/٢ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الدمشقي ٦٨٩/٢ .

(٤) كتاب الشرج والإبانة على أصول السنة والديانة ص٢٧١ .

مصائب مكفرة ؛ أو غير ذلك فإ م خير قرون هذه الأمة كما قال ﷺ: « خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ؛ ثم الذين يلو م » وهذه خير أمة أخرجت للناس[1] .

وقال في موضع آخر : « ويتبرؤون من طريقة الروافض والشيعة الذين يبغضون الصحابة ويسبو م ، وطريقة النواصب والخوارج الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل »[2].

وأما الشيخ ابن أبي زيد فإنه ينحى منحى السلف الصالح في إعتنائهم بعلو م لة الصحابة والثبات في هذا ا ال مع الإصرار على الإشادة وبيان ابن أبي زيد لمراتبهم دون تردد ، فالخلفاء الأربع في الفضل على مراتبهم في الخلافة[3] وأن الشارع أوجب تعظيم كل الصحابة وتوقيرهم . والكف عن الإساءة إليهم ، والإمساك عن كل ما يؤدي إلى بغضهم والطعن فيهم ، وهو خطاب أراد أبو محمد توجيهه إلى العبيديين الذين أغرقوا في تخريج أغلب الصحابة والتحريش م في كل مناسبة[4] .

ويقول ابن أبي زيد أن لايذكر الصحابة إلا بأحسن ذكر ولا يعتقدوا أنه يليق م أن يذكروا بقبيح التعبير لأن ذلك كفر مما يوهم أن الصحابة كانوا على ضلالة وكفر وذلك يقتضي إنكار ماهو معلوم من الدين بالضرورة[5] .

ويقول : « ... إن الصحابة - رضوان الله عليهم - لايتهمون في ترك السنن وهم أرباب العلم وأحرص خلق الله على اتباع سنة رسوله - ﷺ-: ولايظن م ذلك أحد إلا ذو ريبة في دينه .. »[6].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٠٦/٣ .

(٢) العقيدة الواسطية مع شرحها ، لمحمد خليل هراس ص١٧٣ .

(٣) انظر كتاب لوامع الأنوار البهية ٣٥٦/٢ ، وكتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٤٧ .

(٤) انظر إلى ماكتبه الدكتور الصادق كرشيد في ملتقى عبدالله بن أبي زيد القيرواني من ص٢٢٧ - ٢٥٣ .

(5) انظر حاشية على الصعيدي العدوي على شرح الرسالة لعلي بن المتوفى المالكي ٩٢/١ .

(٦) كتاب الجامع لابن أبي زيد ١٥٠ .

ويقول : وأن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ثم الذين يلو م ثم الذين يلو م[(١)] ، وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ، وأن لايذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم ، وأ م أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن م أحسن المذاهب[(٢)].

ويقول في موضع آخر : « ... في ذكره خير القرون وقال .. ثم بقية العشرة ثم أهل بدر من المهاجرين ثم من الأنصار ومن جميع أصحابه على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة ، وكل من صحبه ولو ساعة أو رآه ولو مرة فهو بذلك أفضل من أفضل التابعين . والكف عن ذكر أصحاب رسول الله - ﷺ- إلا بخير ما يذكرون به فإ م أحق الناس أن تنشر محاسنهم ويلتمس لهم أفضل المخارج ويظن م أحسن المذاهب ، واستدل ابن أبي زيد على هذا بقوله ﷺ: « لاتؤذوني في أصحابي ؛ فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[(٣)].

وقال - عليه السلام : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا !! » ، قال ابن أبي زيد قال أهل العلم : « يعني لايذكرون إلا بأحسن ذكر »[(٤)].

ويعضد الشيخ ابن أبي زيد قوله بما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله من كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد -ﷺ- ! كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفا . قوم أختارهم الله لصحبة نبيه - عليه السلام ! وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإ م كانوا على الهدي المستقيم[(٥)] .

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٣٤/٤ ، وأبو دأود ٢١٤/٤ ، ٤٦٥٧ .

(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص١٨ - ١٩ مع شرح عبدالسميع الآلي .

(٣) تقدم تخريجه ص : ٣٧٩ .

(٤) تقدم تخريجه في ص ٣٧٩ ، انظر كتاب الجامع ص١٤٧ .

(٥) المصدر السابق ص١٥١ ، وانظر الأثر في حلية الأولياء ٣٠٥/١ - ٣٠٦ ، وذكره البغوي عن ابن مسعود ٢١٤/١ ، روى ذلك ابن بطة - كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية - ⇦

فعلى المسلم أن يتبع ولا يبتدع ويسلك في حب الصحابة مسلك أهل الحق من أهل السنة والجماعة ، وهو الذي يحدد ما ينبغي أن يكون عليه موقف المسلم من صحابة الرسول - ﷺ- وضرورة التأدب معهم وإذا ذكر صحابي من صحابة رسول الله ﷺفإ ا كما نص عليه « الصعيدي العدوي المالكي في حاشيته » على شرح « الرسالة » لابن أبي زيد تصبح مما يجب اعتقاده على تقدير . فليست هذه التفضيلات بين الصحابة مما أوجب الله على المكلفين اكتسابه أو اعتقاده ، وإذا تحدث الإنسان في الصحابة بلسانه وجب الإنصاف ، وتوفية كل ذي حق حقه[1]

ولا يأمرنا الشرع أن نفرط في حب أحد منهم ، كما ينبغي أن نتبرأ من طريقة الشيعة الرافضة الذين يتدينون ببغضهم وسبهم ، ومن طريقة النواصب والخوارج الذين ابتلوا بإيذاء أهل البيت ، كما يجب على كل مسلم إلتزام مسلك أهل السنة والجماعة في التبرؤ من مسالك هؤلاء الشانئين المبغضين لصحابة رسول الله ﷺ.

فمن أراد السلامة لدينه وأن يحكم له بالإيمان فليحبهم جميعا ، وأن يحتم ذلك على نفسه ، وعلى كل أبناء جنسه لأن ذلك واجب على جميع الأمة كما اتفق على ذلك الأئمة ، فلا يميل ويزوغ عن حبهم إلا هالك ، ولايزوغ عن وجوب ذلك إلا آفك[2] .

بإسناده إلى عبدالله بن مسعود . انظر منهاج السنة ١٦٦/١ .

(١) انظر حاشية على الصعيدي العدوي المالكي ٩٢/١ ، بتصرف ، وانظر العقيدة الواسطية مع شرحها ، لمحمد خليل هراس ، ص١٧٣ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ٣٥٤/٢ .

المبحث السادس :

إبطاله لتأويلات القرآن الكريم :

تمهيد : لاتمثل عقائد الإباضية في الإيمان بالسمعيات اختلافا كليا مع أهل السنة والجماعة فمن بين القضايا السمعية التي يجب الإيمان ا في ضوء ما ورد في الكتاب والسنة أو في الكتاب وحده أو في السنة وحدها وسوف نرى الإباضية كما سبق أن رأيناهم فيما عرضناه عن مجمل إيما م بالسمعيات حيث إ م يؤمنون ببعض قضايا السمعيات على غرار نمط إيمان أهل السنة ا ، وبعضها يذهبون فيه مذهب التأويل مخالفين بذلك مذهب أهل السنة والجماعة ، ولاشك

إن هذه القضايا كثيرة جداً وسأذكر بعضها وذلك لأهميته ولخطورته ، ومن هذه القضايا : الميزان والصراط وعذاب القبر وإنكارهم بعض سور من القرآن الكريم مثل سورة يوسف وإباحتهم بعض ما حرم الله به شرعا مثل تجويزهم نكاح بنات البنين وبنات البنات ، وبنات بنات الأخوة وبنات بني الأخوة وهذا هو الذي يرتضيه الخوارج من العجاردة[١] والميمونية[٢] .

وقد ذكر لنا د. عبدا يد حمدة تناقض الخوارج في زعمهم للقرآن وأنه يشتمل على كل علم وهذا يستوجب تفسيره حرفا بحرف ويقول : « ويرى الإباضية أن القرآن يشتمل على كل علم ، ويجب أن يفسر حرفيا غير أننا لاحظنا أ م تأولوا ، ومن تأويلا م ما سوف تقرؤونه في هذا المبحث من تأويلا م حول معاني الصراط ، والميزان »[٣] .

ويعتقد الإباضية وجود الصراط والميزان وعذاب القبر وبعض السور من القرآن مثل سورة يوسف لأ ا معان متلوة في القرآن الكريم ومن رأيهم أن من ينكرها ، فقد كفر وضل ضلالا بعيدا لأنه أنكر شيئاً معلوما في الدين

(١) العجارة : أصحاب عبدالكريم بن عجرد وهو رئيس العجاردة ، وكان من اتباع عطية بن أسود الحنفي ، وافق النجدات في بدعهم ، وقيل إنه كان من أصحاب أبي بيهس ثم خالفه وتفرد بقوله ، تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى إلى الإسلام ، ويجب دعاؤه إذا بلغ ، وأطفال المشركين في النار مع آبائهم ، وهم يتولون القعدة إذا عرفوهم بالديانة ، ويكفرون بالكبائر ويحكى عنهم أ م ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ، ويزعمون أ ا قصة من القصص ، وعللوا ذلك أنه لايجوز أن تكون قصة العشق من القرآن . الملل والنحل للشهرستاني ١٢٤/١. وانظر الفرق بين الفرق ص٧٤ .

(٢)الميمونية : أصحاب ميمون بن عمران ، وكان على مذهب العجاردة من الخوارج ، ثم خالف العجاردة في الإرادة والقدر والإستطاعة ، وقال فيها بقول القدرية والمعتزلة عن الحق ، ووافق ا وس فيما أباحوه ، من نكاح بنات الأولاد ، وبنات البنين ، وبنات أولاد الأخوة والأخوات إذ آية التحريم لم تشملهن ، وأنكر سوف يوسف ويقول إ ا ليست من القرآن . كتاب الفرق بين الفرق ص٢٦٤ في الفصل السادس عشر . وانظر الملل والنحل للشهرستاني ١٢٦/١ .

(٣) انظر كتاب المدارس الكلامية للدكتور عبدا يد ص١٣٨ .

بالضرورة[1] .

وينتقد الإباضية تعريف السنيين للصراط بكونه جسرا ممتدا على متن جهنم، حادا كالسيف يمر عليه الناس ، بعضهم كالريح العاصف ، وبعضهم كالبرق اللامع ، والآخر كأسرع الدواب ، وبعضهم يضبط على بطنه ، والآخر ساقط في النار . وفي رأي الإباضية أن السنيين قد وصفوا الصراط وفق أهوائهم وما تقتضيه عقولهم ولاشك أن هذا من تزيين الشيطان لهم . إذ كيف يعقل أن يحشر الله المؤمنين على هذه الصورة وهو القائل : { يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا }[2] ووصف الله الصراط بقوله: { اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم }[3] وبقوله تعالى : { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون }[4] .

ويقول تيغورين - أحد علماء الإباضية - أن المراد بالصراط المستقيم ، هو دين الله القيم الذي افترض على عباده ، والعدل الذي أنزله ، وهو دقيق لايوافق الملك ، ولا الهوى ، ولا الشهوات ، ولذلك شبهوه بحد السيف المرهف[5] . وبعبارة أخرى فإن الصراط هو الدين ، والدين دقيق لايميزه إلا ذو الحجى والنهى.

كما رأينا أن بعض الإباضية أنكر كون الصراط أنه جسر على ظهر جهنم[6] وكذلك ذهب بعضهم - وهم قلة - كما ذكره د. غالب عواجي إلى إثبات الصراط بأنه جسر ممدود على متن جهنم حسبما نقله د. صابر طعميه عن

---

(١) انظر لوامع الأنوار البهية ١٨٩/٢ وما بعدها ، وكتاب المدارس الكلامية بإفريقية ص١٣٤ .

(٢) سورة مريم ، الآية : ٨٥ - ٨٦ .

(٣) الفاتحة الآية : ٦ - ٧ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٥) كتاب أصول الدين - تيغورين عن ص٥٨ - ٦٩ . وانظر : المدارس الكلامية بإفريقية ص١٣٤

(٦) انظر فرق معاصرة د. غالب عواجي ١٠٣/١ ، وانظر الإباضية عقيدة ومذهباً ص١٢٦ .

الجيطالي من علماء الإباضية[1] .

والسلف على عكس ما اعتقده الإباضية ، حيث قال السلف : أن الصراط جسر على متن جهنم وأن العباد يمرون عليه سرعة وبطئا حسب أعمالهم ومنهم من تخطفه كلاليب النار فيهوى فيها .

وهذا مصداق لما رواه الإمام مسلم في جامعه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قالوا : يا رسول الله ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة ... » الحديث فجاء فيه : « ... ويضرب الصراط بين ظهر جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب.. »[2]

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث « وفي هذا إثبات الصراط ومذهب أهل الحق إثباته وقد أجمع السلف على إثباته وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي منازلهم،والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم منها وأصحابنا والسلف يقولون:إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري رضي الله عنه »[3].

وعند ابن أبي زيد نراه يقرر مذهب السلف في الصراط دون أدنى تأويل وهو يشير إلى الإيمان به وأنه جسر على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق فالمؤمنون ينجون بإيما م وأعمالهم الصالحة والكافرون المشركون يسقطون في نارجهنم بسبب كفرهم وعنادهم وشؤم معاصيهم ويتفأوت الناس في عبورهم على هذا الجسر تفأوتا كبيرا فمنهم من يمر عليه كلمح البصر أو أسرع من ذلك ومنهم من يتلكأ عليه ، فمن بطأبه عمله لم يسرع به نسبه »[4].

وهذا مصداق لقول الشيخ ابن أبي زيد : « وأن الصراط حق يجوزه العباد

---

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢١/٣ .

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠/٣ ، وانظر شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص٣٨١ - ٣٨٢ .

(٤) شرح مقدمة ابن أبي زيد ص٣٨١ ، وانظر رسالة ابن أبي زيد مع شرحها ص١٥ .

بقدر أعمالهم فناجون متفأوتون في سرعة النجاة عليه من نارجهنم وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم »[1] .

وقول الشيخ ابن أبي زيد أن الصراط حق يجوزه ويمر عليه الناس يفهم من ذلك خلافا مذهب الخوارج الذين زعموا أن الصراط المستقيم هو دين الله القيم الذي افترض على عباده والعدل الذي أنزله . ومعنى الصراط هنا عند السلف أمر حسي ومشاهدة بخلاف مازعمه الخوارج بأنه أمر معنوي ولذلك فسروه بالعدل والطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه[2] .

وا ام الإباضية من الخوارج للسنيين بأ م وصفوا الصراط حسب ما وواه نفوسهم حيث إن الله وصف الصراط بقوله : { اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم }[3] . وغيرها من آي القرآن الكريم . نلاحظ أن هذا الصراط موصوف بالاستقامة وهو أمر معنوي ولذلك ذكر ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير الطبري قال : وأما الصراط المستقيم فقال الإمام أبو جعفر بن جرير أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط هو الطريق الواضح الذي لا أعوجاج فيه وذلك في لغة جميع العرب .. »[4]. وقيل غير ذلك .

وعلى هذا فإن معتقد الإباضية في الصراط أنه الطريق الواضح والدين المستقيم ورفضوا اعتقاد أن الصراط جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون هذا الرفض ليس موضع الإتفاق بينهم حيث نقل عنهم الدكتور صابر طعميه اضطرا م في الأقوال والآراء وقال : « وقد رفضوا اعتقاد أن الصراط جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون . كما أن بعضهم يرجح اعتقاد أن الصراط جسر ممدود يقف عليه الخلق استدلالا بظاهر الآية : { من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم . وقفوهم إ م مسئولون }[5] فإنه يرى

---

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٣١/٣ - ١٣٢ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٦ - ٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٧/١ .

(٥) سورة الصافات الآية : ٢٣ - ٢٤ .

أن الصراط إذا لم يكن جسرا ممدودا فكيف يقف عليه العباد إذا كان يراد به طريق الإسلام[1] . والرأي الآخر هو ما عليه سلف الأمة على اعتقاد أن الصراط جسر جهنم وأن العباد يمرون عليه سرعة وبطئاً حسب أعمالهم ومنهم من تخطفه كلاليب النار فيهوى فيها[2] . وهذا القول هو اختيار ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله تعالى .

وأما الميزان فهم يختلفون فيما بينهم حول عقيدة (الميزان) فجمهورهم على أن المراد من الميزان هو تمييز الأعمال وتفصيلها ، لأن أعمال العباد أعراض وليست بأجسام وقد تأولوا في الآيات التي توضح ميزان الأعمال ، وفعلوا نفس الشيء مع الأحاديث الصحيحة التي تثبت الميزان وأن له كفتان حسيتان مشاهدتان توزن فيه أعمال العباد كما يوزن العامل نفسه فإن الإباضية تنكر هذا الوصف ويثبتون وزن الله للنيات والأعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيء وإن الله يفصل بين الناس في أمورهم ويقفون عند هذا الحد غير مثبتين ما جاءت به النصوص من وجود الموازين الحقيقية في يوم القيامة . وعلى الصفات التي جاءت في السنة النبوية[3] .

ويقول الدكتور عبدا يد حمدة نقلا عن تبغورين الإباضي : « ... وأما الميزان فهو عند الإباضية يراد به العدل والحق الذي وضعه الله بين خلقه يوم القيامة لقوله تعالى : { فلا تظلم نفس شيئاً }[4] . ووجه الدلالة من الآية أن عدم الظلم يقتضي وجود العدالة في ذلك اليوم . ثم استرسل تبغورين في كلامه في حق الأنبياء ، { وأنزلنا معهم الكتاب والميزان }[5] ووجه الدلالة أن الله أرسل مع رسله الكتاب ليبينونه للناس ويتعلموا الحق من الباطل وعلى إثر ذلك

---

(١) انظر الإباضية عقيدة ومذهباً ص١٢٦ .

(٢) كتاب فرق معاصرة ص١٠٣ .

(٣) انظر كتاب فرق معاصرة ١٠٢/١ ، وانظر مسند الإمام أحمد ١٤٥٠/١ بسند حسن . وشرح العقيدة الطحاوية ٦١٠/٢ - ٦١١ .

(٤) سورة الأنبياء الآية : ٤٧ .

(٥) سورة الحديد الآية : ٢٥ .

أنزل مع الكتاب الميزان الذي هو الفاصل بين الحق والباطل وبين الصالح والطالح ويراد بذلك العدل بين خلقه . ثم عقب تبغورين قوله وقال : « ... وهذا بخلاف معنى الميزان الذي يذهب إليه المخالفون - ويعنون م السنين ، من اعتباره ميزانا توزن فيه أفعال العباد . فميزان الله هو : « العدل بين خلقه بما علم منهم ، لأنه يحكم بينهم ، بسرائرهم ، وما تخفى صدورهم ، مع أن أفعال العباد ، أعراض لاتجري عليها الخفة والثقالة ، ولا الإعادة ولا البقاء ، فيعاد في الآخرة »[1].

و ذا يكون الإباضية من الخوارج قد تأولوا معنى الميزان كعاد م من بقية الأمور الغيبية واعتبروها مجازية بحيث إ م أخرجوها من المفهوم الشرعي الموضوع لها من دلالا ا اللفظية الواضحة وهو ما يلاحظ عندهم كذلك بخصوص سائر صفات الله مثل الاستواء واليد ، والقدرة وغير ذلك .

والميزان لدى السلف : هناك آثار كثيرة وردت في ذكر الميزان في المفهوم الشرعي على لسان سلف الأمة ومنها ما ذكره الإمام الآجري عن سلمان رضي الله عنه قال : « يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموسى ، قال : ويوضع الميزان ، ولو وضعت في كفته السموات والأرض وما فيهن لوسعتهن ، فتقول الملائكة : ربنا لمن تزن ذا ؟ فيقول : لمن شئت من خلقي، فيقولون : ربنا ما عبدناك حق عبادتك »[2]. وغيره من الآثار .

والسلف يرون الإيمان بالميزان وأنه حق ؛ ومن المسائل العقدية التي أجمع عليها أهل السنة قال الحافظ ابن حجر : قال أبو إسحاق الزجاج : أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان ، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ، ويميل بالأعمال ، وأنكرت المعتزلة والخوارج الميزان وقالوا : « هو عبارة عن العدل » فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين

---

(١) انظر كتاب المدارس الكلامية بإفريقية للدكتور عبدا يد حمده ص١٣٤ - ١٣٥ بتصرف وزيادة في الألفاظ .

(٢) كتاب الشريعة للآجري باب ٧٥ رقم ٨٩٤ .

لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين »[١] .

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على القائلين بأن المراد بالميزان : هو العدل كما ذهب إليه المعتزلة والإباضية من الخوارج فأجاب قائلاً : « الميزان » هو ما يوزن به الأعمال ، وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى : { فمن ثقلت موازينه }[٢] ، { ومن خفت موازينه }[٣] وقوله : { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة }[٤] .

ونحا منحى شيخ الإسلام ابن تيمية ابن حجر العسقلاني في الفتح حكى لنا عن حنبل بن إسحاق في كتابه السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال ردا على من أنكر الميزان ما معناه : قال الله تعالى : { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة }[٥] وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة فمن رد على النبي ﷺ فقد رد على الله عزوجل[٦]

وحتى الأشاعرة وهم على كثرة ما يقعون فيه من أخطاء التأويل في قضايا العقيدة فإ م لايذهبون في الإيمان « بالميزان » مذهب الإباضية فقد صح عندهم ماجاء عن ابن عباس وغيره قوله : توزن الحسنات والسيئات في ميزان ولسان وكفتان فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته ، فذلك قوله تعالى : { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون }[٧] ويؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيضعف وزنه حتى يقع في النار[٨] .

---

(١) فتح الباري ٥٣٨/١٣ ، وانظر كتاب الشريعة تحقيق د. الدميجي ١٣٢٨/٣ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٨ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٩ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

(٥) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٣٨/١٣ .

(٧) سورة الأعراف آية : ٨ .

(٨) الباجوري شرح جوهرة التوحيد ص٤٠٢ ، وانظر الإباضية « عقيدة ومذهباً » ص١٦٠ - ١٦١ ، للدكتور صابر طعيمه .

ومن هنا يتبين لنا خطأ الإباضية في تأويلهم غير السائغ لآيات وأحاديث الصراط وهذا يعتبر اجتهاد قاصر وهو في غير محله ، وهم بذلك قد خالفوا جمهرة أهل السنة والجماعة وأعملوا عقولهم في آيات الله وصرفوا أحاديث الرسول ﷺعلى غير وجهها . وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة .

وفي السنة عن النبي ﷺأنه قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[(1)] . وأحاديث كثيرة في هذا الباب .

وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين ا رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس ، فهو ما به تبين العدل . والمقصود بالوزن العدل : كموازين الدنيا »[(2)] .

وأما كيفية تلك الموازين فهو بم لة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب[(3)] .

والسلف يرون أن الميزان هو ميزان حقيقي توزن به أعمال العباد يوم القيامة .

قال زهير بن عباد : كل من أدركت من المشايخ : مالك ، وسفيان ، وفضيل ، وعيسى بن يونس ، وابن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، كانوا يقولون : الميزان حق » قلت : ولا يهدفون بذلك إلا أنه محسوس ومشاهد وله طوله وسمكه دون كيفية ونكلها إلى الله وهذا خلاف للمعتزلة والخوارج الذين يزعمون أنه شيء معنوي .

ومما أثر عن ابن أبي زيد القيرواني نجده يوافق ما ذهب إليه السلف وينأوئ مذهب المتكلمين حيث إنه لم يفسر الميزان بالعدل بل يرى أنه محسوس ومشاهد كديدانه في سائر السمعيات ولذلك يقول : « ... وتوضح الموازين لوزن أعمال

---

(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري ورقمه (٦٤٠٤٧) و٦٦٨٧ و٧٥٦٣ ، ومسلم ٢٦٩٤ ، وأحمد ٢٣٢/٢ .

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٢/٤ .

(3) المصدر السابق ونفس الصفحة .

العباد - { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون }[1] - كما يرى أن المقصود من ذلك الوزن العدل حتى لايحتج المحتاجون بشيء من الظلم فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون } - ويؤتون صحائفهم بأعمالهم {فمن أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا ، فمن أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرا }[2]

ولقد سبق أن تحدثت عن موقف الخوارج من القرآن الكريم حيث إن منهم من قال بخلق القرآن موافقا لمقولة المعتزلة وإن كان الفريق الآخر يرى أن القرآن كلام الله ، وقد توعد الله بحفظه ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه كله من أدلة إلى آخره حق ، وقد خالف هذا المعتقد طائفتان من الخوارج وهما العجاردة والميمونية فقد أنكرتا سورة يوسف، وادعتا بأ ا ليست من القرآن ، وحجتهم في هذا أن القرآن جاء بالجد ، وسورة يوسف اشتملت على قصص الحب والعشق .

وقد جزم كثير من العلماء بصحة ما نسب إلى الميمونية والعجاردة في هذا الاعتقاد ، وإن كان الأشعري قد حكى عنهم هذا القول وهو غير جازم بصحته حيث قال : « وحكي لنا عنهم مالم نتحققه أ م يزعمون - يعني العجاردة - أن سورة يوسف ليست من القرآن »[3].

وتبعه الشهرستاني على هذا فذكر هذا القول على أنه قد حكي عنهم ، ولكن جزم ذا القول صاحب كتاب الأديان يقول عنهم : « وينكرون سورة يوسف أ ا ليست من القرآن ، ويقولون هي قصة من القصص خلافا لأهل الاستقامة - يعني م الإباضية - يقولون : القرآن كله كلام الله » .

وحكى الكرابيسي عن الميمونية من الخوارج أ م أنكروا أن تكون سورة

---

(١) رسالة ابن أبي زيد القيرواني مع شرح عبدالسميع الآبي ص١٥ .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة ، وقارن في كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٤٤ تحقيق تركي .

(٣) مقالات الإسلاميين ١٧٨/١ ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ١٢٤/١ .

يوسف من القرآن[1] .

وقال : ولاشك أن مذهب أهل السنة والجماعة ينأوئ ذلك حيث إ م يرون الإيمان بجميع ما ورد في آي القرآن الحكيم وعلى لسان النبي المصطفى ﷺوأن منكر بعض القرآن كمنكر كله ولذلك ذكر الإمام القاضي عياض إجماع الأمة على تكفير كل من دافع نص الكتاب يقول : « .. وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم .. »[2].

وقال الأستاذ أحمد فهمي في تعليقه على الملل والنحل للشهرستاني : « إنكارهم أن سورة يوسف ليست من القرآن ، خروج على كتاب الله تعالى وكفر به، فمنكر بعض القرآن كمنكر كله . هذا وقد ثبت فضلها بما رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺقال : « علموا ارقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله أو ما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت وأعطاه من القوة أن لايحسد مسلما » [3] ، وقال ﷺ: « من قرأ سورة يوسف في كل يوم أو كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين »[4].

وإذا لمسنا مقولة الشيخ ابن أبي زيد نجده يقرر ما ذهب إليه جمهرة السلف حيث إنه يرى تكفير من بدر منه إنكار أو جحود مادلت عليه الآيات والسنن والإجماع ، ويرى ابن أبي زيد أنه لايعتقد مثل هذا الاعتقاد إلا من سلب عنه الإيمان والتقوى ثم قرأ ابن أبي زيد قوله تعالى : { ولقد وصينا الذين أوتوا

---

(١) الفرق بين الفرق ص٢٦٥ .

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٢٨٦/٢ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ٤:٢٩٤ سورة يوسف . قال ابن كثير: وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف اسناده بالكلية وهو منكر من سائر طرقه . وقد ساقه الحافظ ابن عساكر متابعاً من طريق القاسم بن الحكم عن هارون بن كثير به .

(٤) انظر هامش الملل والنحل ١٢٤/١ .تتفسير ابن كثير جـ٤: ٢٩٤، سورة يوسف. قال ابن كثير : وهذا لايصح من هذا الوجه لضعف إسناده بالكلية ، وهو منكر من سائر طرقه.وقد ساقه الحافظ ابن عساكر متابعا من طريق القاسم بن الحكم عن هارون بن كثير به.

الكتاب ... }[1] وقوله تعالى : { واتقوا الله حق تقاته .. }[2] [3] .

ثم ذكر ابن أبي زيد ما يجب على المسلم اعتقاده وقال : « ونصدق بما جاءنا عن الله - عزوجل - : في كتابه وبما ثبت عن رسوله ﷺ: من أخباره ، توجب العمل بمحكمه ونقر بنص مشكله ومتشا ه ونكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره إلى الله - سبحانه ! والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه : { والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا .. }[4] .

إن عقيدة أهل السنة لايوجد فيها غموض كما أن سندهم أصح ودليلهم أقوى حيث إ م كانوا يشترطون الإلتزام بكتاب الله وسنة النبي ﷺ، كما نجد مخالفتهم – الخوارج- لأهل السنة والجماعة حول بعض قضايا السمعيات كالميزان والصراط بالإضافة إلى قضايا أخرى عقدية مثل زيادة الإيمان ونقصانه ومسماه فقد اختلفوا فيما بينهم ففريق منهم ذهب مذهب أهل السنة والجماعة وفريق تأول كما تأولوا جميعا في القضايا الآنفة الذكر . وعلى هذا الأساس نرى أن الشيخ ابن أبي زيد يخالف الخوارج ويوافق أهل السنة والجماعة .

المبحث السابع :

إبطاله لآراء الخوارج في جواز الخروج على أئمة الجور :

يرى الخوارج أن الإمام هو المثل الأعلى ، ويكون قدوة حسنة في القول والعمل ،

---

(١) سورة النساء آية : ١٣١ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(٣) فتاوى الإمام البرزلي ٣١٤/٤ ظ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٧ ، كتاب الجامع ص١٤٦ .

فإن خطأه ليس كخطأ الإنسان العادي فإن صدر منه أي تقصير يجب فورا محاسبته والخروج عليه وخلعه عن منصبه إذا لم يقلع عن المآخذ ولو أدى ذلك إلى قتله . ويرون ألاّ طاعة لجائر ، لأ م ينكرون الجور أشد الإنكار كما لا يعتقدون في الإمام إذا جار في حكمه . قال الأشعري : « ولا يرون إمامة الجائر »[(١)] .

ويحل عليه الخروج عندهم إذا ارتكب ذنبا ولم يتب منه ، أو أظهر جورا في حكمه ، أو كان فيه تقصير عن إقامة الحدود ، فإن الخروج عليه حينئذ يكون واجباً وقتاله حق واستشهاد ، فهم مشهورون بتشددهم وصرامتهم وجرأ م في محاسبة رؤسائهم[(٢)] .

وإشهار السيف في وجه أئمتهم مبدأهم لأن الظلمة لا ولاية لهم ويصور الشهرستاني مذهبهم في الإمام قائلا : « ... ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه ، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله ، أو قتله .. »[(٣)] .

ويقول البغدادي فيما ذكره عن الكعبي : إن من الأمور التي اجتمعت عليها الخوارج إجماعهم على « وجوب الخروج على الإمام الجائر »[(٤)] .

قال ابن حزم في كلامه عن خروج الخوارج على علي ومحاربته وعدم الرضى بما قسم الله له من الخلافة وسبب ذلك قلة علمهم وفقههم لأمور الدين والدنيا قال : فمن أضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان أحد أئمة الخوارج ذو خويصرة الذي بلغ ضعف عقله وقلة دينه إلى تجويره رسول الله - ﷺ- في حكمه والاستدراك ورأى نفسه أورع من رسول الله ﷺ، هذا ، وهو يقر أنه رسول الله إليه ، وبه اهتدى ، وبه عرف الدين ولولاه لكان حماراً أو أضل ... »[(٥)] .

ومن غرائبهم ما يروى عن فرقة العوفية فقد اعتبرت كفر الإمام سببا في كفر رعيته ، وذلك في قولهم : « إذا كفر الإمام فقد كفرت الرعية الغائب منهم

---

(١) المقالات ٢٠٤/١ ، وانظر الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها للدكتور غالب بن علي عواجي ص٤٢٢ .

(٢) انظر كتاب الخوارج للدكتور غالب ص٤٢٢ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٠٨/١ .

(٤) الفرق بين الفرق ص٧٣ .

(٥) الفصل لابن حزم ١٥٧/٤ .

والشاهد »[1] ؛ لهذا فينبغي أن يحال بينه وبين الحكم عندما يبدو منه أمر مكفر بأي وسيلة كانت ، وإلا فقد كفروهم أيضاً ، فلا أشد من هذه المبالغة في تكفير الناس بغير حق فإذا كفر الإمام بالمشرق فمن أي وجه تكفر رعيته بالمغرب ، بل من أي وجه يكفر حتى ولده الذي هو في بيته مادام متمسكا بالدين ؟ .

ولا أدل على ذلك مما ذكره الملطي الشافعي عن رئيس البهيية هيصم أبي بيهس بن عامر بأنه قد افترى : « فزعم أن حكم الإمام بالكوفة حكما يستحق به الكفر ، ففي تلك الساعة يكفر من كان في حكم ذلك الإمام بخراسان والأندلس وعلى الإمام إذا أبصر كفره فتاب منه أرسل إلى أهل حكمه كلهم يستتيبهم من الكفر وإن لم يشعروا به ، فإن أبى أن يتوب منه وقال : مالي أن أتوب مما لا أشك فيه ولم أعلم به ضربت عنقه وكفروا من خالفهم[2] .

ومن قولهم أيضاً : لو أن رجلا قطر قطرة خمر في جب فلا يشرب من ذلك الجب أحد إلا كفر وإن لم يشعر لأن الله - عزوجل - يوفق المؤمنين[3] .

ولاشك أن هذه الأحكام الشاذة لاتصدر إلا عن الهمج والسذج ومن غلب عليه الجهل بمعاني الشريعة وأحكامها ، وأداهم ذلك إلى كثرة حرو م وخروجهم على أئمتهم أو أئمة مخالفيهم حيث لايقبل لهم عذر في الخطأ أيا كان إلا بعد الإعتراف والتوبة وذلك أمام مشهد من المؤمنين .

ولكن يوجد من علماء الإباضية من ينكر أن يكون من رأيهم وجوب الخروج على الأئمة الجورة ، بل من رأيهم جواز الخروج وعدمه ، كما يستثنون من جواز الخروج إذا لم يؤد ذلك إلى فتنة أكبر من فتنة الخروج عليه ، وإن نازعهم في صحة ما عمدوا إليه بعض الكتاب المحدثين ، مثل أحمد صبحي الذي اعتبر قول الإباضية المتأخرين وخصوصا علي معمر بأنه يجوز الخروج إذا لم يؤد ذلك إلى فتنة أكبر - أنه لم يكن من آراء الخوارج الأصلية - بما فيهم الإباضية - وا م علي يحيى معمر بتقريب

---

(١) انظر المقالات ١٩٤/١ ، الملل والنحل ١٢٦/١ ، الفرق بين الفرق ص١٠٩ .

(٢) التنبيه والرد للملطي ص٨٠ .

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة .

مذهب الإباضية إلى مذهب الأشعرية القائلين بهذا التحفظ[1] .

ولكن أجد نصوصاً عديدة من علماء الإباضية تشهد لما ذهب إليه علي بن يحيى من جواز الخروج على الأئمة مالم تكن فتنة أكبر .

وبعد أن ذكر مقالات أبي الحسن الأشعري فيهم ثم عقب عليه بقول قطب الأئمة الإمام محمد يوسف طفيش قائلا : ونحن بعد لا نقول بالخروج على سلاطين الجور الموحدين ، ومن نسب إلينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا[2] .

ويقول على يحيى معمر : « يجب على الأمة المسلمة أن تقيم دولة عادلة فإذا كانت الدولة القائمة جائرة جاز البقاء تحت حكمها وتجب طاعتها في جميع مالا يخالف أحكام الإسلام على أنه ينبغي للمسلمين أن لايستنيموا على الظلم وإنما ينبغي لهم أن يحاولوا تغيير الحكم إذا كان ذلك لايتسبب في إحداث أضرار جسيمة بالأمة هذا من حيث العمل ، أما من حيث النقد أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا مالا يجوز أن يتوقف أو يسكت عنه مسلم حريص على إسلامه ... »[3] .

يقول أبو يعقوب الوارجلاني في كتابه الدليل : اعلم يا أخي أن مذهب أهل الدعوة في الخروج على الملوك الظلمة والسلاطين الجورة جائز وليس كما تقول السنية أنه لايحل الخروج عليهم ، ولا قتالهم ، بل التسليم لهم على ظلمهم أولى ، قالوا وقد اختلفت الأمة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال : القولة الأولى قول أهل الدعوة* إنه جائز الخروج عليهم وقتالهم ومناصبتهم والامتناع من إجراء أحكامهم علينا إذا كنا في غير حكمهم ، وأما إذا كنا تحت حكمهم فلا يسعنا الامتناع في كثير من أحكامهم ، وإن أردنا الشراد والخروج جاز لنا[4] .

---

(١) الإباضية بين الفرق ص٤٥٦ ، كتاب الخوارج للدكتور غالب ص٤٢٥ .

(٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلى يحيى معمر ص٢٨٩ .

(٣) المصدر السابق ص٢٩١ .

* يعني بذلك الإباضية .

(٤) المصدر السابق ص٤٥٧ - ٤٥٨ « الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث على يحيى معمر ، الناشر مكتبة وهبة ط : الأولى ١٣٩٦ .

وإذا كان هذا هو رأي الخوارج ضد الأئمة - الخروج عليهم - فهل كانوا مصيبين أم مخطئين ؟ وعمدتنا ما ورد من الكتاب والسنة ولا يخفى على اللبيب مقدار الخسارة التي تلحق بالأمة حين يخرج بعض الناس على الإمام الشرعي ، ويؤيده البعض الآخر وما ينتج عن هذا من تشتت الكلمة ودخول الأهواء في كل أمر وتعاظم الحق في صدور الناس وسفك الدماء المستحقه والبرئية على حد سواء من جراء تلك الفتن الأهلية ولنسألهم هل خرج أحد على الأئمة الجورة وفاز عليهم ؟ وإذا كان رأي جابر وأصحابه من الخوارج وجوب الخروج على الظلمة فما الذي أمسك سيوفهم من الحجاج ، فهل يوجد عند الإباضية من هو أعظم من جابر ؟ وهل يوجد من الحكام من هو أظلم من الحجاج ، وإذا تتبعت تاريخ الإباضية في كل مكان وجدت موقفهم إلى الهدنة والمسالمة أقرب منه إلى الدعوة إلى الخروج على الحكم الظالم[1] .

وأرى اختلاف المسلمين إلى فريقين تجاه هذه المسألة : فريق يرى عدم الخروج وهؤلاء أهل السنة ومنهم ابن أبي زيد كما سنرى في موقفه ، ومن وافقهم من الفرق الأخرى ، وفريق ذهب إلى جواز الخروج منهم طائفة من أهل السنة والخوارج والمعتزلة ومن وافقهم .

وأزيد الأمر تفصيلا فأقول إن بعض العلماء قد نسب إلى بعض أهل السنة القول بجواز الخروج ومنهم الأئمة الثلاثة - أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحد أقوال الإمام أحمد بن حنبل .ومن هؤلاء ابن حزم الظاهري وابن حجر العسقلاني والنووي في شرحه لصحيح مسلم والشيخ عبدالله بن محمد عبدالوهاب . * وأما أبو حنيفة - رحمه الله - فقد كان يرى الخروج على أئمة الجور،... يقول ابن حزم : « ... مذهب بعض أهل السنة من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم وهو قول أحمد بن حنبل وغيره وهو قول سعد بن أبي وقاص وأسامة ابن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم إلا أن الغرض من ذلك إنما هو بالقلب فقط لا باليد وباللسان إن قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح أصلا .. واقتدى أهل السنة في

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص٤٥٩ .

هذا بعثمان رضي الله عنه ومن ذكرنا من الصحابة ومن رأى القعود منهم .. »[1].

الأئمة الثلاثة الذين يرون جواز الخروج على ولاة الجور : - أما أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - فقد كان يرى الخروج على أئمة الجور، وهو ظاهر مذهبه على قول أبي بكر الجصاص ، فقد قال : « ومن الناس من يظهر أن مذهب أبي حنيفة تجويز إمامة الفاسق وخلافته ، فلا يجيز حكمه ، وذكر ذلك عن بعض المتكلمين .. » قال : « ولا فرق عند أبي حنيفة بين القاضي والخليفة في أن شرط كل منهما العدالة ، وأن الفاسق لايكون خليفة ، ولا يكون حاكما ، كمالا تقبل شهادته .. »[2] . قال : « وكان مذهبه - رحمه الله - مشهورا في قتال الظلمة وأئمة الجور ، ولذلك قال الأوزاعي : « احتملنا أبا حنيفة على كل شيء حتى جادنا بالسيف - يعني قتال الظلمة - فلم نحتمله .. »[3] . قال : « وقضيته في أمر زيد بن على مشهورة ، وفي حمله المال إليه وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه ، وكذلك أمره مع محمد و إبراهيم ابني عبدالله بن حسن »[4] . وأما الإمام مالك ، فقد روى ابن جرير عنه أنه أفتى الناس بمبايعة محمد بن عبدالله بن حسن الذي خرج سنة ١٤٥هـ ، فقيل له فإن في أعناقنا بيعة للمنصور : فقال : « إنما كنتم مكرهين ، وليس لمكره بيعة » . فبايعه الناس عند ذلك عن قول مالك ، ولزم مالك بيته »[5] . وقال ابن العربي من المالكية : قال « وقد روى ابن القاسم عن مالك : إذا خرج على الإمام العدل خارج وجب الدفع عنه ، مثل عمر بن عبدالعزيز ، فأما غيره فدعه ينتقم الله من الظالم ، ثم ينتقم من كليهما ، كما قال الله تعالى : { فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم

---

(١) الفصل في الملل والنحل ١٧١/٤ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٧٠/١ ط ١٣٣٥ هـ . ن ، دار الكتب العربي ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ١٥٧/١ ، تحت عنوان « الجارودية » .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٧/١ ط ١٣٣٥هـ .

(٤) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٥) البداية والنهاية ٨٤/١٠ .

عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا }[1] .قال مالك : « إذا بويع للإمام فقام عليه إخوانه قوتلوا إذا كان الأول عدلا ، فأما هؤلاء فلا بيعة لهم ، إذا كان بويع لهم على الخوف »[2] .ويبين ابن حزم رأي الفريق الآخر القائلين به فيقول : « وذهبت طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك ، قالوا : فإذا كان أهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع ولا ييأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك ، وإن كانوا في عدد لايرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد، وهذا قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكل من معه من الصحابة ، وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وكل من معهم من الصحابة »[3] .

وقال الإمام أحمد في روية عبدوس بن مالك القطان : « ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين لايحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماما ، برا كان أو فاجراً ، فهو أمير المؤمنين »[4] . ويقول إمام الحرمين كما ينقله النووي لنا : « وإذا جار والي الوقت وظهر ظلمه وغشمه ولم ي جر حين زجر عن سوء صنيعه بالقول فلأهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه ولو بشهر الأسلحة ونصب الحروب » ويعقب عليه النووي بقوله : « هذا كلام إمام الحرمين غريب ومع هذا فهو محمول على إذا لم يخف منه مفسدة أعظم منه »[5] . ولا شك أن هذا الخلاف – جواز الخروج على أئمة الظلمة أو تركه – كان أولاً ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم – وقد نقل الإمام النووي قول القاضي عياض ما نصه : « أن هذا هو الأصل في صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً ... »[6] . ونقل ابن حجر قول

---

(١) سورة الإسراء آية : ٥ .

(٢) أحكام القرآن لإبن العربي ١٧٢١/٤ ، وانظر الخرشي على مختصر خليل ٦٠/٨ ، وكتاب الإمامة للدكتور عبدالله عمر الدميجي ص٥٣٦ .

(٣) المصدر السابق بنفس الصفحة .

(٤) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص٢٠ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٥/٢ - ٢٦ .

(٦) المصدر السابق ٢٥/٢ .

الداؤدي أن : « الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب ، وإلا فالواجب الصبر ، وعن بعضهم لايجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء فإن أحدث جورا بعد أن كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه ، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه »[١] . وأما الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فينقل قريبا من قول ابن حزم فلا حاجة بنا إلى إعادته[٢] .وفريق آخر ذهب إلى المنع يقول الإمام أحمد بن حنبل « فيما نقل عنه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة من رواية الأصطخري[٣] .

والجهاد ماض قائم مع الأئمة، بروا أو فجروا ، لايبطله جور جائر ولا عدل عادل.والجمعة والعيدان ، والحج مع السلطان ، وإن لم يكونوا بررة عدولا أتقياء، ودفع الصدقات والخراج والأعشار ، والفيء والغنائم إلى الأمراء ، عدلوا فيها أم جاروا[٤] . وقوله : والانقياد إلى من ولاه الله أمركم ، لاتنزع يدا من طاعته ، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله فرجا ومخرجا ، ولاتخرج على السلطان ، وتسمع وتطيع ولاتنكث بيعه . فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف للجماعة[٥] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في ولاية الواثق : « اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبدالله وقالوا : هذا أمر قد تفاقم وفشا - يعنون إظهار خلق القرآن - نشأورك في أنا لَسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه فقال : « عليكم النكرة بقلوبكم ، ولاتخلعوا يدا من طاعة ، ولاتشقوا عصا المسلمين »[٦] . فكل ما سبق يدل على أن الإمام أحمد - رحمه الله - كان لايرى الخروج على الأئمة وإن ظلموا وجاروا ، وارتكبوا بعض البدع ، وهذا في القول الشائع عنه - وإن كان قد قال بغير ذلك كما سبق البيان . ويقول الإمام الطحاوي : ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٨ .

(٢) الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص١٩٧ . نقلا عن جواب أهل السنة النبوية ٧١ - ٧٢ .

(٣) هو : أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبدالله ، أبو العباس الفارسي الاصطخري أحد تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل وممن روى عنه كثيراً . انظر طبقات الحنابلة لأبي يعلى ٢٤/١ .

(٤) طبقات الحنابلة ٢٦/١ .

(٥) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٦) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص٢١ .

من طاعة الله عزوجل - فريضة مالم يأمروا بمعصية ... »[1]. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة ، وصاروا يذكرون ذلك من عقائدهم ، ويأمرون بالصبر على أئمة الجور وترك قتالهم ، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين »[2]. وقال الشيخ ابن أبي زيد في رسالته : » ص١١ ، والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة ... »[3]. أرى أن الرأي الراجح عند أهل السنة والذي تشهد له الأدلة والنصوص الكثيرة من رسول الله - ﷺ- هو عدم جواز الخروج على السلطان الجائر وأن الذين قالوا بجواز الخروج عليهم من الأئمة الثلاثة اضطربت الروايات عنهم وأن ذلك في أول أمر ثم ترفعوا عن تلك المقولة وذلك ما ذكره ابن أبي زيد عن الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - قيل له : « أيأمر الرجل الوالي أو غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر ؟ » . قال : « إن رجا أن يطيعه فليفعل قيل : فإن لم يرج هل هو من تركه في سعة ؟ » قال : لا أدري[4]. ثم ذكر ابن أبي زيد عن وهب عن مالك: يقول في من يرى الشيء مما يؤمر فيه بمعروف أو ينهى عن منكر قال:« إن أهل الخير والفقه مختلفون في مثل هذا »[5]. ثم قال مالك: وكل من رأى منكرا اليوم أيقوم فيه حتى يأمر به[6]. موقف ابن أبي زيد من الإمامة :قال في رسالته : والطاعة لائمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم »[7] ويقول الشيخ : والسمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وكل من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة فاشتدت وطأته من بر أو فاجر فلا يخرج عليه، جار أو عدل ، ويغزو معه العدو ويحج معه البيت ودفع

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٣٠ .

(٢) منهاج السنة النبوية ٢٤١/٢ ، وانظر كتاب الحسبة لابن تيمية ص٦٤ .

(٣) رسالة ابن أبي زيد مع شرحها لعبدالسميع الآبي ص١١ .

(٤) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٨٥ .

(٥) المصدر السابق ص١٥٦ .

(٦) المصدر السابق ص١٥٦ .

(٧) شرح الرسالة لعبدالسميع الآبي .

الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها ؛ وتصلى خلفهم الجمعة والعيدين »[1] .وقال : والتسليم للسنن لاتعارض برأي ولا تدفع بقياس ؛ وما تأوله منها

(١) كتاب الجامع ص١٤٨ .

قلت : وجوب إقامة الحج والجهاد والجمعة والعيدين مع الأئمة وإن كانوا فسقة لأنه حق الله ولا يمنعه جور جائر ولا عدل عادل .

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - حينما سئل عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو واحدهما قوي فاجر ، والآخر صالح ضعيف ، مع أيهما يغزي ؟ قال : « أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين ، وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، فيغزى مع القوى الفاجر » .

كتاب الإمامة للدميجي ص٣٠١نقلا عن السياسة الشرعية لابن تيمية ص١٦.

السلف الصالح تأولناه وما عملوا به عملناه وما تركوه تركناه ؛ ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم في ما بينوا ونقتدي م في ما استنبطوه ورأوه في الحوادث ، ولا يخرج عن جماعتهم في ما اختلفوا فيه أو في تأويله . وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه »(١).

قال الشيخ: ولم ير السلف بالغزو مع ولاة الجور بأسا،وقاله أبوأيوب وعبدالرحمن بن يزيد والنخعي ومجاهد والحسن وابن سيرين وطاووس وسالم بن عبدالله وأبوحذيفة وعمارةبن عمير وقاله مالك وقال في ترك ذلك ضرر وجرأةلأهل الكفر.قال ابن حبيب:سمعت أهل العلم يقولون:لا بأس بالغزو معهم وإن لم يضعوا الخمس موضعه،وأن لم يوفوا بالعهد،وأن عملوا ما عملوا،ولو ترك ذلك لاستبيح حريم المسلمين ولعلا أهل الشرك.وقاله الصحابة حين أدركوا ما أدركوا من الظلم،فكلهم قالوا أغز معهم على حظك من الآخرة،ولاتفعل ما يفعلون من فساد وخيانة أو غلول.٢

كان ابن أبي زيد لا يرى الخروج على الأئمة بل نصحهم بقدر الإمكان مالم يصل إلى حد سيلان الدم وقد يوجد من الناس من يرفق به فيطيع بدليل قوله تعالى : { فقولا له قولا لينا }(٣) . قال قيل لمالك : « أيأمر الرجل الوالي أو غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر ! » قال إن رجا أن يطيعه فليفعل ! »قيل : فإن لم يرج هل هو من تركه في سعة ؟ قال : لا أدري !(٤) .

يرى الشيخ تقديم النصح دون إشهار السيف وعدم خلع من ولاه الله أمر المسلمين حيث إ م مسئولون أمام الله عزوجل يوم القيامة .ويفهم من هذه الصورة منأوأته لمذهب الخوارج(٥) .

---

(١) الجامع ص١٤٨ - ١٤٩ .

(١)النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني كتاب الجهاد جـ١:

(٣) سورة طه آية : ٤٤ .

(٤) كتاب الجامع ص١٨٥ .

(٥) انظر ما ذكره ابن ناجي عن ابن أبي زيد في كتابه المعالم ١٠٣/٣ .

وبما أن الأدلة التي اعتمد عليها الفريق الأول هي أدلة عامة من الكتاب والسنة مثل قوله تعالى : { وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعأونوا على الإثم والعدوان }[1] . ومثل قوله ﷺ: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[2].

وأما الأدلة التي اعتمد عليها الفريق القائل بعدم جواز الخروج فهي أدلة خاصة مثل قول عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - : « دعانا رسول الله ﷺفبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لاننازع الأمر أهله قال : إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان »[3].

يقوم الإمام الشوكاني : وقد استدل القائلون بوجوب الخروج على الظلمة ومنابذ م السيف ومكافحتهم بالقتال بعمومات من الكتاب والسنة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاشك أن الأحاديث التي ذكرها المصنف في هذا الباب وذكرناها أخص من تلك العمومات مطلقا ، وهي متواترة المعنى كما يعرف ذلك من له أنسة بعلم السنة[4] .

وأما بخصوص من ارتضى الخروج على أئمة الجور من العلماء فأرى أن هذا كان في أول الأمر حيث كانوا يخرجون على الأئمة الظلمة وينابذو م بالسيف ثم عدلوا عن ذلك ويرون المنع وهذا لايستلزم مساسا بمكانة الذين خرجوا من السلف الصالح حيث إ م فعلوا ذلك باجتهاد منهم ولهم من الله الثواب وفق اجتهادهم ولذلك يقول الإمام الشوكاني : « .. لاينبغي لمسلم أن يحط على من خرج من السلف الصالح من الفترة وغيرهم على أئمة الجور فإ م فعلوا ذلك باجتهاد منهم وهم أتقى لله وأطوع لسنة رسول الله ﷺمن جماعة ممن جاء بعدهم

---

(١) سورة المائدة آية : ٢ .

(٢) رواه مسلم انظر صحيحه بشرح النووي ٢٢/٢ - ٢٤ .

(٣) متفق عليه انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/١٣ ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١ ، ٢٢٨ .

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ٣٦١/٧ - ٣٦٢ ، (طاعة الأمراء مالم يظهروا كفرا بواحا) .

من أهل العلم .. »[1] .

مما سبق يتضح لنا موافقة الشيخ ابن أبي زيد لرأي السلف الصالح ونستفيد من ذلك ما يلي :

١) - إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب باليد ، وباللسان وبالقلب بشرط القدرة والاستطاعة ، وأنه لايجوز إنكار المنكر بمنكر أكبر منه .

٢) - وجوب إقامة الحج والجهاد والعيدين مع الأئمة وإن كانوا فسقة ، لأنه حق الله ، لايمنعه جور جائر ولا عدل عادل .

٣) - تحريم الخروج على الإمام العادل سواء كان الخارج عادلا أم جائرا، وإن ذلك مما ى عنه الإسلام أشد النهي وأمر بطاعتهم ، ومن خرج عليهم فهو باغ ، وعليه تحمل الأحاديث المطلقة في السمع والطاعة .

٤) - يلاحظ تشديد السلف رضوان الله عليهم في النهي عن الخروج على أئمة الجور بالسيف والأمر بالصبر عليهم وذلك عملا بالأحاديث الواردة في ذلك وحرصا على تجنب الفتن وتعريض الأمة لها ، وإراقة الدماء بغير حلها .

٥) - ومحافظة على هذا المنصب الجليل في الأمة ومكانة من يشغله لأنه إذا ضعف استهانت م أعداؤهم ، ومتى قوي خافتهم وهابتهم . ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أنه إجلال لأولئك العصاة والاحترام لهم ، أو الخوف منهم ، ولا الطمع فيما في أيديهم وكسب رضاهم ، يدل على ذلك سير م معهم ، وما يلقونه بسببهم من المحن ، وهي مشهورة منشورة ، ومدونة في بطون الكتب[2] .

---

(١) المصدر السابق ٣٦٢/٧ .

(٢) انظر كتاب الإمامة للدكتور عبدالله الدميجي من ص٥٤٧ - ٥٤٨ .

الفصل الثاني

موقفه من الشيعة الإسماعيلية

تمهيد : وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : الشيعة الإسماعيلية وأحـوالهم في عصر ابن أبي زيد .

المبحـث الثـاني : إهتمامـه بدراسـة أصـول الشيعة الإسماعيلية وإبطاله لها.

المبحــث الثالــث : إبطالــه لآرائهــم في

الإمامة والأئمة .

المبحـــث الرابـــع : إبطالـــه لـــرأيهم في **التقية .**

المبحـــث الخـــامس : إبطالـــه لـــرأيهم في **عدم المسح على الخفين .**

المبحـــث الـــسادس : نكـــاح المتعـــة لـــدى الشيعة .

١) - تمهيد عن الشيعة :

الشيعة لغة تعنى القوم والصحب والأتباع والأعوان[1] . وقد وردت في القرآن الكريم ما يشير إلى هذا المعنى كما في قوله تعالى : { فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين }[2] ترشدنا الآية إلى أن من استغاث بموسى هو من شيعته أي : هو من قومه بني إسرائيل .

كذلك يطلق لفظ الشيعة ويراد به أيضاً الأتباع الذين يتابعون غيرهم فيما ذهبوا إليه من آراء أو معتقدات وحدد معنى الشيعة اصطلاحا فاستخدمت

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ١٢٤/٣ ، لسان العرب ابن منظور ١٨٨/٨ - ١٨٩ .

(٢) سورة القصص الآية : ١٥ .

للدلالة على جماعة اعتقدت بأن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم ا بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولايجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم[1] ، ولذا ، نراهم يزعمون أن النبي ﷺ هو الذي عين عليا وفضله على سائر الصحابة ويرون ضرورة الخلافة في علي وفي عقبه دون غيرهم بالوصية والتعيين وأن الخلفاء الذين تولوا الخلافة قبله قد سـلبوا حق علي وهؤلاء أخذوا بالأحاديث الواردة في بعض فضائل على فوجهوها إلى معنى خاص هو أهلية علي للخلافة واسـتحقاقه لها هو وذريته دون غيره بغض النظر عما ورد في غيره من الصحابة علما أن وجود بعض المميزات والخصائص في بعض الأفراد لايستلزم الأفضلية ملطقا . وزعـموا أن

خلافة علي تبدأ منذ اليوم الأول الذي توفي فيه النبي عليه الصلاة والسلام بغض النظر عن كون علي لم يتول الخلافة فعلا بعد وفاة النبي ﷺ

يوضح الشهرستاني المفهوم الإصطلاحي للفظ الشيعة فيقول : هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص ، وقالوا بإمامته نصاً ، ووصية ، إما جليا أو خفيا ، واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده[2] ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقيه من عنده »[3] . فوجهوها إلى معنى خاص هو أهلية علي

---

(١) المقدمة (ابن خلدون) ص١٩٦ .

(٢) يقول البغدادي في كتابه « أصول الدين » حاكياً عن مقولة الإمامة « .. وزعمت الإمامية أ ا اليوم في أحد مخصوص من أولاد علي - رضي الله عنه - واختلفوا في ذلك الذي ينتظرون خروجه . وقالت الغلاة من الروافض . أن الإمامية في الأصل في علي وولده . ثم أخرجوها إلى جماعة من غير قريش إما بدعواهم وصية بعض الأئمة إليه وإما بدعواهم تناسخ الروح من الإمام إلى من زعموا أن الإمامة انتقلت إليه .. (أصول الدين للبغدادي ص٢٧٦) وانظر هامش الملل والنحل للشهرستاني . جـ ١ ص١٤٤ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٤٤/١ .

للخلافة واستحقاقه لها هو وذريته دون غيره - كما سبق أن قلته - ، وذهب ابن حزم في بطلانه لإستدلال الشيعة بحديث أنت مني بم لة هارون ... » إلخ، لايوجب لعلي فضلاً على من سواه ، ولا استحقاقه للإمامة بعد رسول الله ﷺ، لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام ، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون ، كما ولى الأمر بعد رسول الله ﷺصاحبه في الغار »[1] .

وإعتقاد الشيعة بصفة عامة في الإمامة يخالف ما يراه أهل السنة واعتقدوا أن عليا والأئمة من بعده هم مستودع العلم اللدني وإليهم تعود أحكام الشريعة وأسرارها وأ م معصومون من الكبائر والصغائر وأن الإيمان بالأئمة أو الأوصياء جزء من العقيدة ومتمم للشهادتين ، ولذلك ذهبوا إلى القول برجعتهم ، والتقية، والمهدية وغيرها من المبادئ الفاسدة .

المبحث الأول :

الشيعة الإسماعيلية وأحوالهم في عصر ابن أبي زيد القيرواني[2] :

نسب العبيديون[3] إلى الطائفة الإسماعيلية من الرافضة ، وهم القائلون بإمامة إسماعيل[4] بعد أبيه جعفر الصادق ، ويرى معظم المؤرخين أن إسماعيل قد توفى في حياة أبيه ويعتبرون أن عبيدالله صاحب إفريقية رابع أئمتهم المستورين[5] .

ولهم عدة أسامٍ بناءً على ماظهر من حالهم ، منها الباطنية[6] والرافضة ، ويسمون الملاحدة ، لما في مقالا م من الإلحاد ، كما سموا بالمشارقة لقدومهم من

---

(١) الفصل لابن حزم ٩٤/٤ .

(٢) ينتمي إلى عبيدالله الذي لقب بالمهدي ، أول ملوك الرافضة بإفريقية .

(٣) انظر : العبر ٣٠/٤ .

(٤) الفرق بين الفرق ص٢٦٦ .

(٥) مدرسة الحديث في القيروان ص٧٠ .

(٦) الفرق بين الفرق ص٢٦٦ .

المشرق[1] .

وينتمي عبيدالله ، أول ملوك هذه الطائفة ، إلى آل البيت زوراً و تاناً ، ولايتحدث عنه المؤرخون إلا ويشككون في نسبه ، وأنه من ولد عبدالله بن ميمون بن ديصان المعروف بالقداح وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق وكان من الأهواز[2] .

أخذوا يبثون دعا م في الأمصار البعيدة عن عيون الخلافة ، فأرسلوا إلى المغرب أحد دعا م المسمى أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الصنعاني ، وقد تعلم طرق الدعوة في اليمن ثم اتصل بحجيج كتامة[3] . فخدعهم بالحديث عن حب آل البيت حتى ألحوا عليه أن يصحبهم إلى بلادهم، فأظهر التمنع أولا ثم وافقهم بعد أن علم من أوضاع بلادهم ماشجعه . وفي كتامة أظهر دعوته وألتفت الناس حوله ، ووقعت بسببه فتن كاد يهلك فيها ، ثم قوى أمره وقصدته قبائل البربر من كل فج ، فبدأ يحتل بلاد المغرب بلدا بلدا ، وفي أثناء ذلك دخل عبيدالله المغرب متخفيا وعيون الخلافة تلاحقه حتى سجن في سجلماسة ، وبعد حروب دامت أكثر من خمس سنوات تمكن أبو عبدالله من طرد الأغالبة*، ودخل القيروان سنة ٢٩٦هـ . وبذلك بدأ عهد الاضطهاد

---

(١) وانظر المدارس الكلاميه بإفريقية للدكتور عبدا يد بن حمده ص١٨٠ - ١٨١ بتصرف . وكتاب مدرسة الحديث بالقيروان ٧٠/١ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص٢٦٦ ، وانظر كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص١٧٩ .

(٣) كتامة : من أكبر قبائل البربر في المغرب ، وعليهم قامت دعوة الرافضة فيه . انظر شجرة النور الزكية ١٠٥/٢ - ١٠٦ .

* الأغالبة هم الذين ظلوا يحكمون تونس منذ سنة ١٨٤هـ حين ولى الخليفة هارون الرشيد إبراهيم بن الأغلب منطقة تونس ، واعترف به أميرا مستقلا بإمارته تحت ظل الخلافة العباسية. ثم ظل أبناء إبراهيم يتوارثون الحكم بعده معترفين بالسلطان الأسمى للخليفة العباسي . وظلت الحركة الاستقلالية واضحة في عهد الأغالبة حتى سنة ٢٩٦هـ . وهي السنة التي نجحت فيها الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب واكتسحت الإمارات المغربية كلها ، وقامت الخلافة الفاطمية في الشمال الأفريقي .

كتاب العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٤١٤ .

الذي عاشه أهل السنة تحت الاحتلال العبيدي ، وقد استمر حكم الإسماعيلية بافريقية والمغرب ستا وثمانين سنة واجتهدوا في نشر البدع وإماتة السنة ، ومنع العلم واضطهدوا العلماء بجميع أصناف العذاب ، مستعملين في سبيل ذلك أخس الوسائل فتعرض الناس في عهدهم لظلم عظيم ، وضيق شديد، أورد صاحب المعالم : « وقد أخذ الله عدوه القاضي المروذي الذي سعى عليه - من جنس فعله - بأخس الأشياء ، وهو عفسه بأرجل البهائم ، مع ما عذب به بغير ذلك ، وجزى الله مشيخة القيروان خيرا ، هذا يموت ، وهذا يضرب ، وهذا يسجن ، وهم صابرون لايفرون ، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة »[1].

ومع أن العبيديين كانوا مسيطرين على جميع أنحاء المغرب وصقلية وحوض البحر الأبيض المتوسط فإ م مع ذلك لم يحسوا بالأمن[2] والاستقرار ، ونجدهم يقومون بأعمال منكرة لنشر أباطيلهم وحمل الناس على اعتناق مذهبهم ، بيد أ ا لم تزد أهل السنة منهم إلا نفوراً .

وإن كان هذا الموضوع قد تقدم في الحالة السياسية لعصر الشيخ ابن أبي زيد فأنا لا أجد مانعاً من ذكره أيضاً هاهنا حيث إنني ألخص في النقاط التالية جرائمهم في حق الإسلام عامة ، وفي حق العلم وأهله بصفة خاصة :

أولاً : لقد ادعى عبيدالله الرسالة[3] ، فإنه لما وصل إلى رقادة طلب فقيهين من فقهاء القيروان ، فدخلا عليه - وهو جالس على كرسي ملكه - ، فقال لهما بعض دعاته : « اشهدا أن هذا رسول الله ، فقالا بلفظ واحد : لوجاء هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنه رسول الله ما قلنا ذلك فأمر

---

(١) كتاب المعالم ٢٩٢/٢ . وانظر كتاب مدرسة الحديث بالقيروان ٧٠/١ - ٧١ .

(٢) ومن أسباب عدم إحساسهم بالأمن والاستقرار كثرة الثورات ومن أخطرها ثورة داعية أبو عبدالله الشيعي الذي شكك في إمامة ، عبيدالله ، فقتله سنة ٢٩٨هـ . النجوم الزاهرة ١٥٤/١، وثورة أبي يزيد النكارى الخارجي الذي استولى على كامل بلاد أفريقية لم يبق للعبيديين إلا المهدية . انظر العبر ٤٠/٤- ٤٤ .

(٣) البيان المغرب ١٦١/١ - ١٦٢ .

بذبحهما »[1]، بل وقد غلا فيه أصحابه حتى ألهوه ، فقد كانت أيما م : « وحق عالم الغيب والشهادة ، مولانا الذي برقادة »[2] يعني عبيدالله حيث كانوا يحلفون باسمه وكان بعضهم يقول : « الست ممن يعبد مالا يرى » . وكان يتصدى لعبيدالله ويقول له : « ارق إلى السماء لم تقيم في الأرض وتمشى في الأسواق »[3] كما أن أميرهم الرابع معد إسماعيل ادعى النبوة وجعل من نادى فوق صومعه القيروان : « أشهد أن معد ابن إسماعيل رسول الله » فارتج البلد لذلك[4] . وقد أسند لقب الرسالة إلى كبار دعا م أيضاً .

٢) - لقد مدح حكامهم بأنواع من الكفر وأقروها ، منها قول أحد شعرائهم في عبيدالله :

حل برقادة المسيـــــــــح حل ا آدم ونـــــــوح
حل ا الله ذو المعـــــالي فكل شيء سواه ريـــــح

وقول الآخر في المعز :

ما شئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار[5]

٢) - أظهروا سب الصحابة ، رضوان الله عليهم ، وطعنوا فيهم ، وزعموا أ م ارتدوا بعد النبي ﷺ وخصصوا دعاة للنداء بذلك في الأسواق ، وعلقوا رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت والدواب ، وكتبوا عليها أسماء الصحابة[6] . وكان هذا العمل الخسيس من الحرب النفسية التي اشتد أثرها على أهل القيروان ، فمن ذكر الصحابة بخير أو فضل بعضهم على علي ، قتل أو

---

(١) سير أعلام ٢١٦/١٤ ، الرياض ٤٩/٢ .

(٢) البيان المغرب ١٦٠/١ .

(٣) المصدر السابق ١٦٠/١ - ١٨٦ .

(٤) البيان المغرب ٢٨٢/١ ، ٢٨٥ .

(٥) انظر الكامل ٦٢١/٨ .

(٦) المدارك ٣١٨/٣ ، والرياض ٣٣٨/٢ ، ٤٢٤ .

سجن[١] ، فلم يكن أحد يذكرهم بالثناء إلا في دور العلماء[٢] .

٣) - ومن العجائب أ م عدلوا عن القول الصحيح المنقول عن النبي ﷺ في الأذان وأبدلوه بما وى نفوسهم وأتوا بصيغة غير منقولة عن النبي ﷺ حيث قالوا: « حي على خير العمل » ، وأسقطوا من أذان الفجر : « الصلاة خير من النوم » ، ومنعوا الناس من قيام رمضان ، لكونه شديدا على بني عبيد ، ومنعوا صلاة الضحى ، وقدموا صلاة الظهر قبل الزوال وأمروا بصلاة العصر في وقت الظهر لفتنة الناس[٣] . أما خطبة الجمعة فقد أظهروا فيها سب الصحابة وضروبا من الكفر ، فتركها الناس وأغلقت المساجد في زما م ، وكان بعض أئمتهم يصلون إلى رقادة[٤] فلما انتقل عبيدالله إلى المهدية صلوا إليها ، وكثيرا ما يجبرون الناس على الفطر قبل رؤية هلال شوال[٥] .

٤) - دعو م إلى الإباحية ، وتعطيل الشرائع ، وإسقاط الفرائض :

عمن تبع دعو م حيث يقع إدخالهم إلى داموس ويدخل عليهم عبيدالله لابساً فروا مقلوبا ، دابا على يديه ورجليه مثل الدابة ، فقال لهم : « بح » ، ثم يخرجهم ويفسر لهم هذا التصرف بقوله : « أما رأيتم (الذي) دخل عليكم الداموس ؟ قالوا : نعم . قال : أنا الذي فعل ذلك ، فأما دخولي على يدي ورجلي فإنما أردت بذلك أن أعلمكم أنكم مثل البهائم لاشيء عليكم لا وضوء ولا صلاة ولا زكاة ولا شيئا من الفروض ، سقط جميع ذلك عنكم . وأما لباسي الفرو مقلوبا ، فإنما أردت بذلك أن أعلمكم أنكم قلبتم (الدين) الذي كنتم عليه ودخلتم في هذا الدين ، وأما قولي : « بخ » ، فإنما أردت أن أعلمكم أن الأشياء كلها مباحة لكم : من الزنا ، وشرب الخمر ، وجميع ما حرم الله »

---

(١) المعالم ٣٥/٣ ، كتاب المحن ٢٧٩ ، مدرسة الحديث بالقيروان ٧٣/١ .

(٢) المدارك ٣٧٨/٣ .

(٣) انظر مدرسة الحديث في القيروان ٧٣/١ .

(٤) اسم موضع بالقيروان .

(٥) انظر المعالم ٤٩/٣ .

تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا[1] .

وبعد أن أذن لهم المهدي* بإباحة جميع الشرائع نرى أن من يرى غازي راكبا على دابة وعليه رداء طويلة بينما يمشي بين الأسواق والزقائق وكان الناس ملتفين حوله وهو بنفسه يردد لفظ إباحية على صيغة سلبية وبنفي محض وهو يقول ياريان لاقوة ولا دية ، ولاشك أنه يريد بذلك أنه لاحرام ولاحلال ، ولا حد ولا حكم[2] .

ومن عادا م إرسالهم دعا م إلى ضواحي مختلفة لإشاعة ضلالا م فإن وجدوا الناس محتملين له ، ومغضين عليه ، نشروه عند العامة ، وأظهروه . ويدل على ضلالا م مادونه لنا ابن عذاري المُراكشي قال : « وكان الرجل يدخل إلى حليلة جاره ، فيطأها وزوجها حاضر ينظر إليه ، ثم يخرج ، فيبصق في وجهه ، ويصفع قفاه ، ويقول له : « تصبر » فإذا صبر [عد كامل الإيمان ، وسمى من الصابرة] »[3] .

كما أ م كانوا يجبرون الناس على الدخول في دعو م فمن ركن إليهم تركوه ويشرفونه بالمنصب ، ومن مال عنها قتل واضطهد ولا أدل على ذلك من صنيعهم إثر أول جمعة خطبها عبيدالله بالقيروان ، ويصور لنا هذا الموكب ابن الأثير في تاريخه قائلاً : « لما أكثر دعا م على أهل القيروان وقعت بين الفريقين مقتله عظيمة فأمر الشيعي بالكف عن العوام .. »[4] . كما أ م في أغلب الأوقات يطالبون حضور العلماء لتشريقهم ، ويقيمون مناظرات صورية ، فدارت على علماء السنة محن عظيمة ، وقتل منهم ألوف من الأبرياء بسبب تمسكهم بإسلامهم ومنافحتهم عن السنة . وعلى هذا يقول القابسي : إن الذين ماتوا في

---

(١) الرياض ٥٠٤/٢ - ٥٠٥ .

* المهدى أحد الألقاب التي أطلقت على عبيدالله الشيعي .

(٢) انظر الرياض ٥٠٥/٢ بتصرف .

(٣) البيان المغرب لابن عذارى ١٨٥/١ .

(٤) الكامل ١٣٣/٦ ، ١٣٥ .

دار البحر (سجن العبيديين) بالمهدية من حين دخل عبيدالله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب ، ما بين عالم وعابد ورجل صالح »[(١)] .

أقول : إن هذا أثّر على سير الحياة العلمية في القيروان لوجود عدد غفير من العلماء الذين مثلوا م في الشوارع والذين قتلوا دون سجن ومع ذلك فإن هذه الشدة لم تزد أهل القيروان إلا تمسكا بسنتهم .

منعوا العلماء من التدريس في المساجد ، ونشر العلم ، والاجتماع بالطلبة ، وحبسوهم في بيو م ، فكان من يأخذ عنهم ويتذاكر معهم إنما يكون سرا ، وعلى حال خوف وريبة[(٢)] : فكان الموطأ وغيره من كتب السنة التي لاتقرأ إلا في البيوت ، والسنة تعرض بالقيروان سرا ، وكان بعض العلماء يخرج إلى المقبرة فيستتر فيها ويقرأ على الطلبة ؛ وللخوف من بني عبيد الشيعي لأ م منعوا من بث العلم ، وعرضوا العلماء إلى أنواع التعذيب[(٣)] .

وبذلك خلت المساجد من حلق الذكر ومجالس العلم ، وأصبحت هذه المهمة تقع في دور العلماء ، وبعض قصور الرباط خفية ، وحرموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك ، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحيانا وفي مقابل ذلك فسح العبيديون لدعا م ا ال لنشر ضلالا م ، ومكنوهم بكل الوسائل في سبيل القضاء على الإسلام والسنة حيث لم يبيحوا الفتوى إلا لمن تشرق وكفر[(٤)] .

مصادرة مصنفات أهل السنة وإتلافها ، ومنع الناس من تدأولها ، من ذلك أن أبا محمد عبدالله بن أبي هاشم التجيبي (ت٣٤٦) توفي وترك سبعة قناطير كتب ، كلها بخط يده ، فرفعت إلى سلطان بني عبيد فأخذها ، : « ومنع الناس

---

(١) المعالم ٣٤/٣ ، وانظر الرياض ٣٢٦/٢ .

(٢) انظر المدارك ٤١٦/٤ .

(٣) انظر المعالم ٣٩/٣ بتصرف .

(٤) الرياض ٥٦/٢ بتصرف كثير .

منها كيدا للإسلام وبغضا فيه »[1] .

وقد وجدوا الموطأ عند رجل فضربوه وطافوا به ، ورفعت إلى السلطان أشياء على سعدون الخولاني (ت ٣٢٤) المتعبد بقصر الطوب فأرسل إليه بعض حرسه فقيدوه وجمعوا مافي بيته من الكتب وأخذوه إلى عبيدالله الشيعي منع التجمعات خوفا من الثورة ، فقد رفع على بعض العلماء العباد أنه يجتمع إليه العامة ، ويدور م على قصور الرباط ، فمنعوهم خشية الخروج عنهم ، وكانوا يفرقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من يموت من العلماء[2] .

كما أ م منعوا الجولان بالليل ، ولهم بوق يضربونه أول الليل فمن وجد بعده ضرب عنقه[3] .

حرص العبيديون على محو آثار من سبقهم ، ولذلك أمر عبيدالله بإزالة أسماء الحكام الذين بنوا الحصون والمساجد ، وأن يكتب اسمه بدلها ، كما استولى على أموال الأحباس وسلاح الحصون ، وطرد العباد والمرابطين بقصر زياد وجعله مخزنا للسلاح[4] .

وهكذا يتبين بكل وضوح حرص العبيديين على قضاء العلماء السنيين ، وتعطيل شرائع الإسلام ، وإماتة العلم النافع واضطهاد أهله .

وقد يسأل السائل عن موقف أهل السنة والجماعة إزاء ترهات العبيديين ومقاومة الكيد الباطني ، والمنافحة عن السنة ونشر العلم ولاشك عندي أ ا مواجهة بين الإيمان القوي الراسخ وبين قوة السلاح ، صراع بين الحق والباطل، ولاشك أن النتيجة تكون دائما لصالح أهل الإيمان وإن طال الأمد .

فإن أهل السنة وعبادهم تضافرت جهودهم على رد كيد العبيديين ، وإخراجهم من أرض إفريقية وأصبحوا هم القادة الحقيقيين لشعو م ، وهناك

---

(١) الرياض ٤٢٣/٢ ، وانظر المدارك ٣٤١/٣ .

(٢) انظر : الرياض ٢٥٩/٢ . انظر المدارك ٣٨٩/٣ ، الرياض ٢٥٨/٢ .

(٣) انظر المدارك ٣٨٤/٣ .

(٤) انظر الرياض ٥٦/٢ ، ٢٢٢ .

عدة أساليب انتهجها العلماء لمقاومة الإسماعيلية كما يلي :

- أن وقوف أهل السنة أمام الإسماعيليين دون الفرار له أثر كبير في تمسك العامة بالسنة ولو فروا لسهل على العبيديين إغواء العامة ، وادخالهم في دعو م ويرى خلاف ذلك أحمد بن نصر الدأودي (ت ٤٠٢هـ) الذي كان بطرابلس حيث أنكر على علماء القيروان عدم خروجهم منها أيام بني عبيد فأجابوه :

« أسكت لاشيخ لك » : ويصور لنا الإمام القاضي عياض هذا القول بأن درسه كان وحده ، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور وإنما وصل إلى مأوصل بإدراكه ، ويشيرون أنه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه لعلم أن بقائهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام ، وبقية صالحة للإيمان، وإ م لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرق من بقي فيها من العامة[1] .

- مقاطعة أهل القيروان لجميع المؤسسات الحكومية ، فلايختصمون إلى قضا م ، ولايصلون وراء أئمتهم ، ولا يأتون معزين ولا مهنئين ، ولا يناكحو م ، ولا يتوارثون معهم ، ولايصلون على موتاهم[2] .

- وقد كان بعض العلماء يغتسل يوم الجمعة ، ويلبس ثيابه ويتطيب ، ويخرج إلى الجامع حتى إذا وصله يرفع عينيه إلى السماء ويقول : اللهم اشهد ، ويرجع إلى داره[3] . وقد شعر العبيديون ـذا الإنكار الصامت ، فلم يكن أشد عليهم منه ، وكان ذلك من أهم أسباب انتقالهم إلى المهدية ثم إلى مصر .

- وقد أفتى الشيخ ابن أبي زيد بكفر العبيديين وأ م ليسوا من أهل القبلة ، وكفر من دخل في دعو م راضيا ، ومن خطب لهم ، ولم يعذر المكره ، ويفضل له أن يختار القتل دون أن يدخل في دعو م[4] .

- كما أن الشيخ ابن أبي زيد أفتى بمقاطعة من تلبس بالعبيديين من أهل العلم

---

(١) انظر المدارك ٦٢٣/٣ .

(٢) الرياض ٢٩٨/٢ ، المدارك ٧٢٠/٣ .

(٣) المدارك ٥٢٦/٣ ، ٧١٩/٣ ، الرياض ٤٣/٢ .

(٤) انظر في هذه الفتأوى : المدارك ٧١٩/٣ ، ٧٢٠ ، ٧٦٧ ، المعالم ١٧٧/٣ ، الرياض ٣٣٩/٢ .

وإن لم يدخل في دعو م ، ولذا ، أفتى ابن أبي زيد بطرح كتب أبي القاسم البراذعي مع أنه من أجل تلاميذه لأنه كان يصحح بعض آراء الإسماعيلية ويتلطف معهم في حين أنكرهم عامة الناس(١) .

- فلما منع العبيديون العلماء عن التحديث والإقراء في المساجد فتحوا بيو م للطلبة فقصدوهم للتلقي ، حتى إن دار أبي إسحاق السبائي - شيخ ابن أبي زيد - كانت كالمسجد ، لكثرة من يؤمها من الطلبة ، وكان أحمد بن يزيد الدباغ يسمع في داره(٢) ، كما كان تلاميذ أحمد بن نصر الهواري يقصدونه في بيته بعد أن منعه العبيديون من التدريس في مسجد رحبة القرشيين(٣) . وكان الشيخ ابن أبي زيد يرتاد بيوت العلماء الممنوعين لدى السلطة العبيدية الشيعية وربما يضع كتبه في حجزه خوفا من عيون العبيديين .

ومما يدل على شدة حرص العلماء على مجاهدة بني عبيد وتحايلهم في تعليم أطفالهم حتى يتربوا على السنة ، ماقام به أبو إسحاق الجبنياني وغيره ، فإنه كان يعلم أولاد الكتاميين - وهم حملة الدعوة العبيدية - ولا يأخذ منهم أجرا ؛ ترغيبا لهم في الإقبال عليه : « ويعلمهم القرآن والسنة ولا يعلمهم الكتابة. ويقول ليس يضرون الناس بالقرآن وإنما يضرو م بالأقلام .. فعزم كل صبي كتامي علمه أبو إسحاق على الإسلام والسنة »(٤) .

كما كان يظهر النفور من السلطة العبيدية ويرفض الأمر الواقع وذلك في بعض المناسبات مثل هذه الواقعة التى يوردها عياض عند الحديث عن موت السبائي : يذكر أنه لما قبض هذا الأخير ، بادر الشيوخ الذين حضروه ، وكان من بينهم ابن أبي زيد إلى غسله وكفنه ، مخافة أن يوجد لهم معه هو المعز لدين الله الفاطمي آخر الخلفاء الفاطميين بأفريقية (ت٣٦٥/٩٧٥) كفنا على عاد م ،

---

(١) انظر المعالم ١٤٨/٢ .

(٢) الرياض ٢٧٢/٢ .

(٣) المعالم ٦/٣ .

(٤) المدارك ٥١٦/٣ .

فجاء ابن أبي هاشم بالكفن ، وهم قد فرغوا منه ، فجعل من فوق ، وعندما وصلوا الجبانة قطع الكفن المهدي[1] .

وفعل الشيخ ابن أبي زيد هذا إن دل فإنما يدل على وجوب هجران أهل البدع والأهواء والضلالات الذين يتكلمون في الدين بما تميله عليه عقولهم . وما تميل إليه نفوسهم وأهواؤهم ، ولايعتمدون على ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ- حيث إ م اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها ، واعتمدوا على آرائهم ، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك[2]

ومن ثم أشار الشيخ ابن أبي زيد على رفض الكفن الذي أتى به رسول المهدي لأنه كافر ، والكافر لاينال - رضى الله - عزوجل .

ومن بين إبداء النفور هو أن ابنته أصيبت بمرض في عينيها فرفض أخذها إلى طبيب العيون الفاطمي وهو أعين بن أعين الكحال[3] .

ومن بين نفوره تأييد تواطؤ وانضمام علماء المالكية إلى ثورة صاحب الحمار وذلك في سنة(٣٤٧/٣٣٦م) للاستعانة به في إضعاف الفاطميين في مرحلة أولى.

المبحث الثاني :

اهتمام ابن أبي زيد بقضايا الشيعة الإسماعيلية وإبطاله لها .

مناظرة الشيخ ابن أبي زيد ضد علماء الشيعة كانت بالحكمة دون إشهار السلاح أو الدخول في أي انتفاضات بل مشاركته كانت فكرية وهذا الأسلوب الصمود الإيجابي أسقط في أيدي العبيديين مما جعلهم يفكرون في نقل عاصمتهم إلى مصر بعد أن يئسوا من أهل المغرب وتم ذلك في سنة ٣٦٢هـ عندما ارتحل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر ، و ذا الارتحال المرغوب فيه من طرف أهل

---

(١) ترتيب المدارك ٣٨٩/٣ .

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي بتصرف شديد ١٧٦/٢ .

(٣) رياض النفوس للمالكي ٥٠١/٢ .

السنة خف الضغط الرافضي وبدا الاطمئنان يعود للنفوس شيئاً فشيئاً .

ومما يدل على براعة ابن أبي زيد في التأليف وشجاعته والملفت للنظر أن ابن أبي زيد قد وضع أغلب مؤلفاته بداية من النصف الثاني من القرن الرابع وهي مؤلفات بلغت حوالي الأربعين أو تزيد ومن ديدن ابن أبي زيد في التصنيف لو صنفناها لوجدناها صنفين صنف دون من أجل تطوير الفقه المالكي وجمع أقوال علمائه وتقريبه من الأفهام ويشمل هذا الصنف كتاب الرسالة وكتاب مختصر المدونة و ذيب العتبيه والنوادر والزيادات بحيث كل هذه المصنفات هي مصادر هامة على ذمة الفقهاء السنيين يرجعون إليها ويستنجدون ا ساعة الحاجة سواء للدرس أو للرد .

ونجد في مقدمات الكتب المذكورة رد ابن أبي زيد ضد الشيعة العبيدية . وأما الصنف الثاني فهو يشمل رسائل عديدة دونت لأسباب متعددة منها الرد على البدع الشيعية في ميدان الفقه الإسلامي ككتاب الاقتداء بأهل السنة وكتاب الذب على مذهب مالك وكتاب التنبيه على القول في أولاد المرتدين وكتاب تفسير أوقات الصلاة وكتاب المناسك ورسالة إعطاء القرابة من الزكاة وكتاب فضل قيام رمضان[1] ومواضيع هذه الكتب كلها مواضيع وقع التناظر فيها بين أهل السنة وأهل التشيع من ذلك أن كتاب فضل قيام رمضان هو في الواقع رد على البدعة الشيعية القائلة بعدم جواز قيام رمضان لأن الرسول ﷺلم يفعل ذلك وإنما هو عمل أمر به عمر وموقفهم من عمر وبقية الصحابة معروف بقول الهادي إدريس في هذا الموضوع عندما أورد اسم الكتاب المذكور آنفا كان لمالكي إفريقية عوائد خاصة في قيام رمضان حاولت الشيعة إبطال هذه العوائد[2] مما ترتب عنه غضب شديد في الأوساط السنية مما دفع علمائهم إلى الرد على البدعة الشيعية وألفوا في ذلك كتب عديدة منها كتاب ابن أبي زيد المذكور .

ويبدو لي فيما أعتقد أن كتابه : تفسير أوقات الصلاة ماهو إلا رد على الفقه

---

(١) ترتيب المدارك ٤٩٤/٢ .

(٢) كتاب ابن أبي زيد للدكتور الدرقاش ص٣١١ .

الرافضي القائل بزيادة حي على خير العمل في الأذان ولا أدل على ذلك مما ورد في ترجمة أبي الحسن الدباغ (٣٥٩هـ) أيام بني عبيد لايؤذن إلا على سنة الأذان ولا يقول : « حي على خير العمل » فحماه الله منهم ولقد كان أذن فخاطبته نفسه بقولها* وإن لم يقلها يقتل ! فقالها فلما فرغ إذا أسود ناصب حربته بين كتفيه إن لم يقلها طعنه ا فعافاه الله وكان يقول للناس : تعالوا على الأذان على سنة في أنفسكم ، فإذا فرغتم فقولوا حي على خير العمل ، فإنما أراد بنو عبيد خلاء المساجد لفعلكم هذا وأنتم معذورون خير من خلاء المساجد[1] .

وكما تأثر ابن أبي زيد بشيوخه ووقف موقفهم فقد أثر في تلاميذه فوقفوا مواقفه سواء في مقاومة بدع المتصوفة كما فعل الحصار القبري بالأندلس أو في ميدان الفقه كما فعل ابن المنمر قاضي طرابلس الغرب والذي يعتبر أول من أعاد للسنة اعتبارها بالجزء الشرقي من بلاد إفريقية والمغرب إبان وقعة المشارقة سنة ٤٠٧هـ إذ نكل بالروافض وأعاد الآذان السني وحذف : « حي على خير العمل » كما أعاد قيام رمضان وأداء نافلة الضحى علانية وغير هذا من شعائر ا تمع السني[2] .

ولاشك عندي أن ابن أبي زيد كان في حلقات الدرس وفي نشاطه الاجتماعي كغيره من علماء أهل السنة يشرح الدرس ويبين الأحكام الشرعية مع أدلتهاويدعو إلى التمسك ا لأن في هذا التمسك تمسكا بحبل الله وتعلقا بشريعته السمحة التي نرفض عبودية الإنسان لغير الله.

ومن صور اهتمام الشيخ ابن أبي زيد بالشيعة العبيدية أنه كان شديدالعداوة لبني عبيد الشيعية وكان يحضر مجلس العلماء القيروانيين المنعقد في مسجد السبت

---

* لعله يقصد ذا القول « حي على خير العمل » ٧٧/٣ ، معالم الإيمان .

يعني قولوا : « حي على خير العمل » التي هي شعار الشيعة فأنتم معذورون بالجبر خيرا من ترك الأذان وخلاء المساجد .

(١) يعني قولوا : « حي على خير العمل » التي هي شعار الشيعة فأنتم معذورون بالجبر خيرا من ترك الأذان وخلاء المساجد : كتاب المعالم ٧٦/٣ - ٧٧ .

(٢) رحلة التجاني ص٢٦٥ - ٢٦٧ بتقديم الشيخ حسن حسني عبدالوهاب .

الأسبوعية حيث كانت تعقد اللقاءات بين الشيوخ الكبار من أهل القيروان فيتدارسون أثناءها القضايا العلمية ويبحثون فيها أوضاعهم في مجتمعهم والسلطة الشيعية المتحكمة فيه وكان حضور هذه ا الس مما يثير حنق وغضب العبيديين .

وكان الشيخ ابن أبي زيد لايتخلف عن مسجد السبت ، ولقد كان يصل إليه وهو يخوض في الطين والمطر[1]،ولعل ذلك يهدف إلىحصول المثوبة عندالله بظاهر مدلول قول الله تعالى في سورة التوبة:{ولا يطئون موطنا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لايضيع أجر المحسنين }[2] ويرى الشيخ أن ذهاب الناس إلى مثل هذا الموطن بقصد العبادة يسبب الأجر للإنسان . قال ابن ناجي في المعالم : « ... أن مسجد* السبت الذي يسمى عندنا بمسجد العربي لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد فيه شعر بني معدان في الزهد ويقرأ فيه آيات من كتاب الله تعالى وحكايات - وهو الذي يسمى عندنا اليوم الرقائق - فكان جميع المشيخة يبيحون حضوره ويحضر من يحضره معهم من الصالحين والزهاد وأهل الخير من يوم السبت إلى السبت ، ولما كان هذا المسجد يحضره الجم الغفير من العلماء والصالحين كان حضورهم يغيظ بني عبيد لأ م يخافون من اجتماعهم أن يتفقوا على القيام عليهم فلهذا أجاب الشيخ ابن أبي زيد بالآية المتقدمة .

---

(٢) وقد سبق الكلام فيه في مبحث الحالة السياسية مطولاً انظر ص....

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٠ .

*هو : مسجد للصلاة أسسه أبو محمد الأنصاري المعروف بالزهد والصلاح وكان من المقيمين في مارستان (الدمنة) الخاصة بمعالجة ا ذومين وإقامتهم ا حتى لا يختلطوا بالناس . وأبو محمد الأنصاري كان ضرير البصر والبدن، أسس مسجده بجوار الدمنة في أول القرن الثالث . وكان أهل القيروان يجتمعون في هذا المسجد كل يوم سبت ويتناشدون فيه الأذكار والأشعار بالطريقة الصوفية يذكرون فيها أهوال يوم القيامة وحالات الأولياء ويركبون عليها ألحان الحزن والخوف حتى قال بعضهم إذا سمع المتعبدون تلك الأناشي في يوم السبت استراحوا إليها بقلو م وانشرحت نفوسهم وانصرفوا من المسجد وهم محزونون نادمون ويبقى معهم ذلك إلى يوم السبت التالي . انظر الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي تأليف محمد البهلي النيال ص ١٥٢-١٥٣.

ولاشك عندي أن تردد ابن أبي زيد لهذا المسجد مع جموع من العلماء على الرغم من العيون المبثوثة حوله وذلك لايمنع حضور مجالسهم مطر ولأوحل ولاطين وقد رأيناه أيام منع السلطة العبيدية الاتصال بابن اللباد الذي كان يذهب إليه بنفسه ويخبأ دفاتره تحت ثيابه خوفا من أن يصيبها العرق وكل هذا يؤكد لنا اهتمامه بعلمائه وحرصه على مصالحهم وبغضه على بني عبيد الشيعي[1] .

ومع مسجد السبت كانت هناك مساجد أخرى قيل إ ا بلغت التسع[2] وفي كل مسجد من هذه المساجد كانت الحلقات منعقدة أثناء الليل وأطراف النهار وما ينتهي ميعاد حتى يبدأ ميعاد ثان محافظة من المشيخة على بقاء الصبغة السنية تمع كادت القوى المعادية من الروافض أن تبلعه وتشيعه[3] .

ومن شدة حرص علماء القيروان كانوا يرفضون من يرى الخروج عن القيروان خوفا من بني عبيد الشيعي لما غلب على ظنهم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام وبقية صالحة للإيمان وأنه لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرق من بقي فيها من العامة الألف والآلاف الذين يرجى لهم خيرا . وعلى هذا ذكر القاضي عياض رد علماء القيروان على أبي جعفر بن نصر الداؤدي الأسدي[4] (٤٠٢هـ) لما أنكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم فأجابوه أسكت لاشيخ لك ، أي أن درسه كان وحده ، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور ، وإنما وصل إلى مأوصل بإدراكه ، ويشيرون أنه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه ، لعلم أن بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام ، وبقية صالحة للإيمان ، وأ م لو خرج العلماء

(١) ترتيب المدارك م٢ ٤٩٣/٢ .

(٢) معالم الإيمان ٢٧/١ - ٣٣ .

(٣) المصدر السابق ٢٥/٣ .

(٤) أبو جعفر بن نصر الدأودي الأسدي من مالكية المغرب أصله من مسيلة وقيل من بسكرة درس بطرابلس حيث أعد كتابة شرح الموطأ ا ثم انتقل إلى تلمسان حيث توفي سنة ٤٠٢هـ . له تآليف كثيرة منها الواعي في الفقه والنصيحة في شرح البخاري من تلاميذه : أبو عبدالله البوني وأبوبكر أحمد بن أبي زيد دفن بتلمسان عند باب العقبة . انظر ترتيب المدارك م٢ ٦٢٣/٤ .

عن إفريقية لتشرق من بقي فيها من العامة الألف والالآف فرجحوا خير الشرين[1] .ومن صورة اهتمام علماء القيروان بأمور بني عبيد الشيعي ومنهم ابن أبي زيد فلابد من الإشارة إلى ما أورده عياض أيضاً في ترجمة أبي محمد بن الكراني[2] من فقهاء القيروان : فقد سئل عن من أكرهه بنو عبيد على الدخول في دعو م بقتل ؟ قال نختار القتل ولا يعذر أحد ذا إلا من كان أول دخولهم البلد فيسأل أن يعرف أمرهم ، وأما بعد فقد وجب الفرار فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لايجوز وإنما أقام من هنا من العلماء والمتعبدين على المباينة لهم لئلا يخلو بالمسلمين عدوهم فيفتنوهم عن دينهم وعلى هذا كان حبيب بن حمدون ونظراؤه القطان وأبو الفضل الممسي ومروان بن نصرون والجبنياني والسبائي وبه يقولون ويفتون وقال أبو يوسف بن عبدالله الرعيني في كتابه : أجمع علماء القيروان أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني ، وأبو الحسن القابسي وأبو القاسم بن شيلون وأبو علي بن خلدون وأبوبكر الطبني وأبوبكر بن عذرة أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة بما أظهروه من خلاف الشريعة فلا يورثون بالإجماع وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل . فيقتلون بالزندقة ، قالوا : ولا يعذر أحد بالإكراه على الدخول في مذهبهم ، بخلاف سائر أنواع الكفر ؛ لأنه حكم بعد علمه بكفرهم ، ولايجوز له ذلك ، إلا أن يختار القتل ، دون أن يدخل في الكفر ، على هذا الرأي أصحاب سحنون يفتون المسلمين . وقال أبو القاسم الدهان : وهم بخلاف الكفار ، لأن كفرهم خالطه سحر بمن اتصل م ، ولما حمل أهل طرابلس إلى بني عبيد ، أضمروا أن يدخلوا في دينهم ، عند الإكراه . ثم ردوا من الطريق سالمين . فقال ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى -: هم كفار لاعتقادم ذلك[3] .

ومن صور اهتمام ابن أبي زيد بقضايا الشيعة مأوقع من الاجتماع بمسجد اللجام بمحضر ثلة من كبار علماء القيروان منهم ابن أبي زيد نفسه وذلك عندما

---

(١) ترتيب المدارك م٢ ٦٢٣/٤ في ترجمة أبي جعفر أحمد بن نصر الدأودي الأسدي .

(٢) المصدر السابق م٢ ٧١٩/٤ - ٧٢٠ .

(٣) المصدر السابق م٢ ٧٢٠/٤ . والنص هكذا في الاصل.

بعث في طلبهم المختال صاحب القيروان من قبل العبيديين ليشرقهم ويحملهم على التشيع ثم كيف أنابوا عنهم أبا محمد بن التبان حيث ناظر الدعاة وانتصر عليهم وذكر المؤرخون أن هناك رواية أخرى تقول بأن هذا الاجتماع كان بدار أبي محمد ابن أبي زيد ولا استبعد وقوع الاجتماعين في وقتين متلاحقين وذلك أن ا تمعين لما بلغ علمهم طلب ابن المختال لهم اتفقوا على طريقة للخلاص من طلبه فبعثوا له بنائب عنهم وانتقلوا إلى دار أبي محمد . إن إختيارهم لهذه الدار دون غيرها لدليل قاطع على أ ا كانت بمثابة نقطة اللقاء بين المفكرين والعلماء قيروانيين كانوا أو غير قيروانيين ، وكذلك يقصد تلك الدار أبو ميمونة دراس الفاسي ؟ ويأوي إلى فنائها ابن عبدالمؤمن البغدادي ، كما قد يعزم على الشخوص إليها القاضي عبدالوهاب كما أن المؤدب محرز ابن خلف التونسي كان يحن لزيار ا[١] .

ولاشك أن تواجد ابن أبي زيد لمثل هذا الاجتماع الخطير الذي انعقد بالمسجد الجامع بالقيروان وذلك يوم الإثنين لثلاث عشرة بقيت من جمادي الأولى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة[٢] لدليل قاطع على موافقته للعلماء القيروانيين ومناوأته للشيعة العبيدية .

وقد استفاد ابن أبي زيد من مناظرات مشيخته القيروانيين ضد الشيعة الذين كانوا يهدفون إلى التعطيل والإباحية وإماتة السنة ، ولعله من المفيد هنا أن أشير إلى أهم المسائل الفكرية التي أثاروها في القيروان أثناء مناظرا م لعلمائها ويمكن إجمالها كالتالي : -

١) - المفاضلة بين الصحابة ، وقد حأول العبيديون إبراز فضائل علي ، والتنقيص من بقية الصحابة وخاصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعا ، كما أثاروا مسألة موالاة علي ، وأرادوا الاستدلال ا على وجوب تعبيد الناس لهم .

---

(١) انظر كتاب ابن أبي زيد القيرواني للدكتور الدرقاش ٢٦٣/١ .

(٢) المدارك م٢ ٣١٩/٣ .

- المفاضلة بين عائشة وفاطمة رضي الله عنهما[(١)] .

ذكر الشيخ السيد محمد قويسِم[(٢)] في كتابه الموسوم بسمط اللآل في تصوير ضلالات عبيدالله الشيعي حيث يقول : وكان عبدالله المعروف بالمختال صاحب القيروان شدد في طلب أهل العلم ليشرقهم في المناظرة ، فطلب الشيخ أبا سعيد بن أخي هشام وأبا محمد ابن التبان وأبا القاسم بن شبلون وأبا محمد بن أبي زيد القيرواني وأبا الحسن القابسي ، فأجمعوا في مسجد ، فأناب عنهم في التحدث مع مندوب عبيدالله الشيعي ابن التبان وأبا القاسم ابن شبلون في القاعة أمام ملأ من الناس وقال ابن التبان : كنت مع عبدالله وقد احتفل مجلسه بأصحابه وفيهم الداعيان أبو طالب وأبو عبدالله - لعنهما الله - ودخل ابن التبان بالشجاع وسلم عليهم فقال أبطأت عنا يا أبا محمد - ابن التبان - ثم قال له المختال صاحب القيروان يا أبا محمد كنت ألفت كتابا في فضائل أهل البيت ساعة وهو في ا لمد ودفعه إلى فقال يا أبا محمد ناظر هؤلاء الدعاة قال فيماذا؟ قال في فضائل أهل البيت فقال لهما ما تحفظان في ذلك فقال أبو طالب أنا أحفظ حديثان ثم سأل الثاني فقال وأنا أحفظ حديثان فقال فيماذا الحديثان اللذان تحفظان ؟ وقال لعبدالله هما يحفظان حديثين ونطق بلحنهما وأنا أحفظ في ذلك تسعين حديثا . ثم قال عبدالله يا أبا محمد ! من أفضل أبوبكر أو علي ؟ قال ليس هذا موضعه فقال لابد ؟ فقال أبوبكر أفضل من علي فقال عبدالله أيكون أبوبكر أفضل من خمسة جبرئيل عليه السلام سادسهم فقال أبو محمد أيكون على أفضل من اثنين والله ثالثهما إني أقول لك مابين اللوحين وأنت تأتيني بأخبار الأحاد ،

---

(١) انظر الرياض ٥٩/٢ - ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ - ٨٥ ، سير أعلام ٢٠٧/١٤ - ، ٢٠٩ ، المدارك ٥٢٢/٣ .

(٢) أبو عبدالله محمد بن علي قويسم التونسي إمام العلماء وقدوة الفقهاء الفضلاء أخذ عن الشيخ محمد براؤ والشيخ عاشور القسطنطيني والشيخ أبي الحسن النفاتي وغيرهم وعنه الشيخ محمد زيتونة والشيخ حمودة العامري وجماعة . ألف تآليف منها سمط اللآل في التعريف بما في الشفا من الرجال كتاب غريب في بابه يحتوي على عشرة أجزاء ضمن منه الكثير من نوادر المسائل والتحريرات واللطائف والتراجم والأخبار ما يسلى الغريب ويفيد العالم اللبيب، وتوفى سنة ١١١٤هـ . انظر شجرة النور الزكية لمحمد بن محمد مخلوف ٣٢٠/١ .

فضحك عبدالله وقال فمن أفضل عائشة أو فاطمة وقال له هذا أخو سؤالك الأول قال لابد ، قال عائشة - رضي الله عنها - وسائر أزواج النبي ﷺأفضل من فاطمة ، قال من أين فقال له ؟ قال تعالى:{ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً }[1] فيقال إن بعض الدعاة قال له في هذه المسألة أيما أفضل امرأة أبوها رسول الله ﷺوأمها خديجة الكبرى ، وزوجها علي بن أبي طالب بن عم رسول الله ﷺوولداها الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة ، أو امرأة أمها ام رومان وأبوها عبدالله ابن أبي قحافة فقال له أبو محمد التبان أيهما أفضل عندك امراة إذا طلقها زوجها أو مات عنها تزوجها عشرون زوجا أو امرأة إذا مات عنها زوجها أو طلقها لم تحل لأحد ، فيحكى أن عبدالله قال له يا أبا محمد انت شيخ المدينتين وممن أحضر لأخذ الدعوة فادخل العهد وخذ البيعة فعطف عليه أبو محمد وقال له شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه ويرد على اثنتين وسبعين فرقة ، يقال له هذا ؟ لو تعرف اثنين منها ما فارقت مذهب الإمام مالك فلم يعارضه وقال لمن حوله امضوا معه فخرجوا ومعهم سيوف مصلته فمر بجماعة من الناس ممن احضر لأخذ الدعوة فوقف عليهم وقال توبوا ليس بينكم وبين الله - عزوجل - إلا الإسلام فإن فارقتموه هلكتم فترك عبدالله طلبه بقية الشيوخ بعد ذلك ا لمس[2] .

وهذا هو مذهب الشيخ ابن أبي زيد حيث إنه كان في ا لمس وإن ناب عنهم ابن التبان ، ومن المعروف من ديدن ابن أبي زيد أنه لن يسكت عن الزلة والهفوة كما هاجم الملحدين[3] حينما كانوا يستخفون شأن المؤمنين كما أنه لم يتأخر في التأليف ضد الشيعة العبيدية لما لاحظ ضلالا م والمروق الديني والكفر الصريح ولذا ، نجد الشيخ ابن أبي زيد في بيان ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .

(٢) سمط اللآلى في التعريف بما في الشفا من الرجال جـ٦ - الورقه ٢٥ و - ٢٥ظ رقمه ١١٤٠١ مكتبة دار الكتب الوطنية بتونس .

(٣) انظر كتاب ابن أبي زيد القيرواني للدكتور الدرقاش ص٢٨٩ .

الصحابة فهو يدعو إلى الإيمان بان أفضل الصحابة الخلفاء الراشدين المهديين أبوبكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ،((وأن لايذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ. إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم ، وأ م أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن م أحسن المذاهب ، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والإستغفار لهم وترك المراء والجدال في الدين وترك كل ما أحدثه المحدثون))(١) .

وإذا توجهنا لابن أبي زيد لاستطلاع رأيه في مسألة الإمامة والتعرف عليها نجده لايقول بما ينادي به الشيعة ، بل يبطله ويهدمه من خلال عدة أدلة ساقها منها .

١ - أن النبي ﷺلم يعين خليفة بعده بعينه ولم ينص عليها ، ويستدل على ماذهب إليه أن الصحابة كانوا متنازعين على من يخلف الرسول عليه الصلاة والسلام بعد موته ، فلو كان هناك تعيين سابقا لحسم الن اع .

٢ - بيان اعتقاد السلف في ترتيب الصحابة في الفضل وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الإمامة فأفضلهم جميعاً أبوبكر ثم عمر ، ثم عثمان ثم علي(٢)

وهذا من شأنه ألا يجعل للقول بالإمامة المنصوص عليها على الوجه الذي يعتقده الشيعة مساغاً .

٣ - جعل المصطفى ﷺالخيرية في أمته أيضاً متفأوتة قمتها هي القرن الذي حظى بوجود الصحابة رضوان الله عليهم فالزعم بتتالى الأئمة عند الشيعة على سبيل العموم وتسأويهم في الفضل والمكانة والصفات باطل .

كما أنه يرى(٣) أن النبي ﷺلم يعين خليفة بعده بعينه ولم ينص عليها ويستدل على ما ذهب إليه أن الصحابة كانوا متنازعين على من يخلف الرسول عليه الصلاة والسلام بعد موته فلو كان هناك تعيين سابق لحسم الن اع .

والشيخ ابن أبي زيد لما كان يتحدث عن فضائل الصحابة قال : « وأن خير

(١) الرسالة مع شرح عبدالسميع الآبي ص٢٦ - ٢٧ .
(٢) كتاب الجامع لابن أبي زيد ١٤٦ .
(٣) كتاب الجامع لإبن أبي زيد تحقيق عبدا يد تركي ص١٤٢ .

القرون قرن الصحابة ثم الذين يلو م ثم الذين يلو م ثم الذين يلو م ... » وأن أفضل الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي[١] .على الترتيب وهذا ينفي وجود النص على خلافة على رضي الله عنه .

وابن أبي زيد إذ يقرر هذا القول ليبين مدى زيغ الشيعة في معتقدا م إزاء الصحابة حيث إ م يزعمون أفضلية علي بن أبي طالب على سائر الصحابة وعلي بن أبي طالب نفسه برئ من هذا الزعم وعن هذا التصور الدخيل على الإسلام لخلوه عن السند الصحيح ولا أدل على ذلك قول علي حيث وردت عنه النصوص المتواترة بتفضيل أبي بكر وعمر على نفسه ، وقد روى هذا القول عن علي أكثر من ثمانين نفسا كما يقول الإمام الذهبي[٢] .

فقد روي عنه أنه قال : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر »[٣].

وهذا زيد بن الحسين بن علي رضي الله عنه كان يطالب الناس بأن يصنعوا مثل ماصنع علي رضي الله عنه ويقول عن نفسه أنه متبع لأهل بيته فعندما جاء الطعن في أبي بكر وعمر من الرافضة منعهم من ذلك وقال لهم : « ما سمعت أحدا من أهل بيتي يذكرهما إلا بخير »[٤]. كما أنه أيضاً لم يسمع أحدا من أهل بيته يفضل عليا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم .

ومن جهة أخرى فإننا نجد زيداً يردد أقوال جده علي رضي الله عنه في فضل الشيخين وموالا ما ، فلقد كان علي يقول عن أبي بكر وعمر أيضاً أ ما شيخا الإسلام وأخوا رسول الله ﷺ وأ ما وزيراه [٥].

واذا كان الحال كما قلت فنجد الشيخ ابن ابي زيد يتبع سلف الأمة في هذا المعتقد ويخالف الشيعة فتما ذهبوا اليه .

---

(١) كتاب الجامع ص١٤٩ .

(٢) سمط النجوم العوالي ٣٠٥/٢ ، وانظر منهاج السنة النبوية ٧٦/٤ ، ٢٥٥/٣ ، وكتاب الإمام زيد بن علي ص٢٢٦ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٠/٧ .

(٤) تاريخ الطبرى ١٨٠/٧ ، الكامل في التاريخ ١٢٢/٥ .

(٣) انظر تلبيس ابليس ١٠٠-١٠١ ، ومنهاج السنة النبوية ٧٧/٤وما بعدها.

المبحث الثالث :

إبطاله لآرائهم في الإمامة والأئمة :

إن قضية الإمامة من المباحث التي اهتم ا العلماء قديماً وحديثاً وحظيت بالكثير من الاهتمام وخاصة بين الشيعة وأهل السنة حيث اعتبر ا الشيعة أصولاً جوهرية بل من أصول الدين و ا يقام الدين والحياة وهي عندهم الأولى في بنية العقيدة الإسماعيلية ، وتأتي في الدرجة الثانية بعد النبوة ، غير أن النبوة والأنبياء وإن كانوا أعلى درجة من الأئمة إلا أن : (الطاعة واحدة موصولة ، قد قر ا الله تعالى بطاعته ، وهو أعلى وأجل من جميع خلقه ، فلم يقبل من مطيع طاعته، إلا بطاعة من افترض طاعته من أوليائه)[1] .

(١) النعمان ، الهمة في آداب اتباع الأئمة ص٢٣ . ألف النعمان هذا الباب الكتاب بعد أن اطلع على رسالة صغيرة في آداب خدام الملوك ، ضمت جملة من المقاصد وفنونا من الفوائد فقال : ⇦

وأبلغ وصف للإمامة مانسبه الكليني إلى الإمام الرضا وهو قوله : (الإمامة م لة الأنبياء وإرث الأوصياء ، وهي خلافة الله وخلافة الرسول ، وهي زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدين وعز المؤمنين ، الإمامة رأس الإسلام النامي ، وفرعه السامي ، وبالإمامة تمام الصلاة ، والزكاة والصيام والحج وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف ، الإمام يحل حلال* الله ، ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله[1].

ويصور شيعي آخر تصورهم لمكانة الإمام فيقول : بل نعتقد أن امرهم أمر الله تعالى ، و يهم يه ، وطاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصيته ، ووليهم وليه ، وعدوهم عدوه ، ولايجوز الرد عليهم ، والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله تعالى ، فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم . الأخذ بقولهم[2] .

وما تقدم من نظرة الشيعة للإمامة والإمام يخالف ما ذهب إليه السنيون فإ م يعتبرو ا وظيفة سياسية ، لادخل لها في العقيدة ، فليست أصلا من أصولها على عكس الشيعة ، إسماعيلية كانوا أو إثنى عشرية ، فإ م الذين يرو ا ويعدو ا أصلا من أصول العقيدة . فالإمام عندهم مكلف بالسهر والحفاظ على ميراث

وددت أن لو كان مؤلفها قصد ا أهلها ، ويعني م الأئمة ، لكنه عندما سأل الإمام أوضح له أن هذا العمل من وضع رجل كان من أهل الولاية ، وأنه كان مكرها مجبوراً على صحبة من صحبه من ملوك الأرض وأهل اغتصا ا ، ففرح النعمان بذلك . ثم وضع هذا الكتاب بمساعدة من إمامه ، وأشار إلى أن من ألف كتبا في هذا الموضوع إنما كان يريد ا حطام الدنيا . أما هو فهدفه ابتغاء ثواب الله فيما يدعو إليه (من أجل الأئمة وتوقيرهم وتعظيمهم وتعزيرهم ورعاية حقوقهم واداء أمانتهم والتأدب بالآداب الصالحة لهم ..) . كتاب آداب اتباع الأئمة ، تحقيق وتقديم مصطفى غالب ، بيروت ، مكتبة الهلال ، ١٩٧٨م ص١٢ ، وانظر كتاب المدارس الكلامية للدكتور عبدا يد حمده ص٢٢١ وما بعدها .

* فهو إذن عندهم مشرع مثله في ذلك مثل الأنبياء .

(١) انظر الإمامة ص٢٥ ، لأحمد محمود صبحي .

(٢) عقائد الإمامية ، ص٧٠ ، وقد عقد الكليني فصلا خاصاً من وجوب طاعة الأئمة : الكافي ١/١٨٥- ١٩٠ .

النبوة[1] .

يعتقد الإسماعيلية أن وجود الإمام أمر ضروري ، فلا صلاة ولا صيام إلا بإمام ، كما أن الزكاة لاتعطى إلا له ، ومن رأيهم أنه : (لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم ، إما ظاهر مكشوف ، وإما باطن مستور . فإذا كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستورا ، وإذا كان الإمام مستورا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين[2] .

كما أ م يرون أن الإمامة ضرورة متأكدة ، لقيام ا تمعات ، ونشر العدالة بين الناس ، والسهر على مصالحهم ، والقضاء على قوى الشر المتربصة م ، والمتمثلة في غوايات الشيطان . ثم إن الله قد خلق في الإنسان قوى شهوانية ، وغضبية ووهمية ، ولم يعصمه من الزلل بقوة قدسية ، ويقصدون بذلك أن ما للإمام من خصائص بشرية وتكوينية يفوق التصور البشري حيث خصوا بما ليس عند غيرهم من الناس .

ونظراً لهذه المكانة المرموقة ، المنسوبة إلى الأئمة أصبحت أوامرهم ونواهيهم شرعا ، وصاروا حجة الله على الخلق تجب طاعتهم ويجب اتباعهم .

ولما كان القاضي النعمان الشيعي يهدف بالحديث عن الولاية والإمامة قصد الدعوة إلى عقيدة أوليائه فمن الطبيعي أن ي ل ابن أبي زيد إلى ساحة المعركة ويتبع المنهج فيقارع العقيدة الشيعية بالعقيدة السنية بيد أنه لم يصرح ذه المقارعة وإنما اكتفى بالأخبار عن السنة عملا بنصيحة إمامه مالك . ولذا لم يركز على الدعوة إلى الإمامة السنية وفق الفهم السلفي للإمامة بل توسع فيما كتب وضمنه ما يهدم المعتقدات الشيعية ويصور الفكر السلفي وإن لم يصرح جهراً بأنه يعني الإسماعيلية والشيعة الإثنى عشرية كما وجدناه يبين مكانة الصحابة ويركز على وجود ووقوع المفاضلة بينهم مستدلا على كل مايذكر . وحثّ إلى التمسك بسنة السلف الصالح عملا بما عملوا وتركا لما تركوا

(١) انظر الفهرست لابن النديم المقالة الخامسة .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني بتصرف ١٧٣/١ .

وتأويلاً[1] حيث تأولوا وتجنباً لأهل الأهواء من أصحاب البدع . يقصد أصحاب الفرق الضالة الإمامية كانت أو الإسماعيلية وكل من سلك مسلكهم .

ومن خلال استقرائي لما كتبه ابن أبي زيد رحمه الله في موضوع الإمامة العظمى لم أجد في هذه المسألة كلاماً ولعلها لم تكن مطروقة في وقته إلانتفاً يسيرة منها نصيحته لولاة الأمر وتوجيهه لهم رحمه الله إلى الأعمال الخيرة وأن يتحروا الحق والتسوية بين الرعية . وكان من كلامه : (وليس على الإمام إلا المسأواة والعدل وأن يسوي بين القوي والضعيف والشريف والمشروف بحيث لاتأخذه في الله لومة لائم ... وأن أكثر الولاة في الوقت الحاضر بالقيروان وغيرها لايحافظون على هذا ومثله ، وذلك لايجوز لهم وهو من جورهم[2] .

وإذا كان ابن أبي زيد يخطيء ولاة الجور فإنه يرى بذلك عدم عصمتهم وأ م معرضون للزلل والخطأ لأن العصمة المطلقة بعيدة عن الطبائع البشرية التي ركبت فيها الشهوات ، وجمع فيها بين الخير والشر . ويرى الشيخ ان الأئمة كغيرهم من البشر في طبائعهم وغرائزهم وصفا م ، وما لديهم من سمو ورفعة إنما نالوه بتقيدهم بأوامر الله ونواهيه ، فالصفات التي ينطلق منها الإنسان إلى المعاصي كالغضب والشهوة وغير ذلك موجودة في الأئمة ، كما هي في سائر الناس ، ولذلك طلب الشيخ من الأمة أن نستغفر الله للأئمة[3] .. وذلك لما تقدم من حالهم وظروفهم .

---

(١) عني بالتأويل تفسيرهم .

(٢) المعالم ١٠٣/٣ ، وانظر كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٨٥ .

(٣) الرسالة لابن أبي زيد مع شرحها لعبدالسميع الآبي ص١٩ .

المبحث الرابع :

إبطاله لرأيهم في التقية :

التقية عند الشيعة أصل من الأصول التي يدينون ا ويتمسكون . ويقولون إن تسعة أعشار الدين في التقية. وقد عد الشيعة « التقية » مبدأً أساسياً لذلك جعلوها ركنا من أركان مذهبهم.ويعرف لنا الفيروزآبادي التقية في اللغة فيقول

هي: « من الاتقاء أي اتقيت الشيء ،وتقيته ، اتقَته ، تقى ، وتقية ، وتقاء »[1] وجاء في تفسير البغوي تقية:بفتح التاء وتشديد الياء على وزن بقية،وهي مصدر،ويقال:تقيت تقاة وتقى تقية وتقوى ، فإذا قلت أتقيت كان المصدر الاتقاء[2] .

في الاصطلاح : أن يظهر الإنسان غير ما يبطن حفاظاً على نفسه أو ماله أو عرضه . وحكمها عند أهل السنة إباحة الترخص فيها لدفع ضر غير مستطاع أو لإستيعاب حق ثابت لا يمكن تحصيله إلا بالتقية.

وعرف الشيعة : التقية فقال : « التقية معناها أن يقول الإنسان قولا مغايرا للواقع ، أو يأتي مناقضاً لموازين الشريعة ، وذلك حفظاً لدمه أو عرضه أو ماله » .

ويهدف ذا القول أن من دأب الشيعة أ م يعطون هذا وجها وآخر وجها مغايرا لسابقيه وجواباً مختلفا لقضية واحدة ويسعون وراء ذلك نشب الخلاف فيما بين الناس حيث تظهر لهم الحقيقة وهذا عندهم يسمى بأسلوب الحكيم بمعنى أن الحقيقة لاتظهر إلا لمن له عقل مميز[3] .

وذهب بعض الشيعة إلى أن مفهوم « التقية » هو: « اتخاذ الحيطة والحذر حفاظاً على النفس والمال أو العرض ، وذلك بأن يظهر الإنسان خلاف ما يضمر لاسيما إذا اجتمع بمخالفيه في المعتقد ، فيتظاهر بالموافقة واتباع ما عليه الجميع من منهج حتى لاينكشف أمره أو يفشو سره فيتعرض للأذى أو الشر ، وأنـها كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهر م بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا »[4] .

مما سبق يتبين لنا أن التقية عند الشيعة تعني أن يتظاهر الإنسان بالموافقة

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص١٧٣١ .

(٢) معالم الت يل للبغوي ٢٥/٢ .لسان العرب مادة " تقى "

(٣) انظر كشف الأسرار لروح الله خميني ص١٤٧ - ١٤٨ . وهذا بتصرف يسير .

(٤) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص٢١٧ ، نقلا عن شرح عقائد الصدوق ص٦٦ .

والاتباع لخصمه ويضمر خلاف ذلك مع كتمان الحق وستر الاعتقاد الصحيح مع الخصم و ـذا نستطيع أن نحكم بأن « التقية » عند الشيعة يراد ـا الكذب ، والخداع ، والنفاق ، وستر الحق مع غير الشيعي مسلما كان أو غير مسلم مع أن الشارع جعل التقية بين المسلم والكافر بالتفصيل الذي سأبينه إن شاء الله .

أدلة الشيعة على وجوب التقية :

وقد أثبتت الشيعة في أمهات كتبهم ما يدل على صحة اعتقادم في « التقية » ووجو ـا ومن هذه الروايات ما ذكره الكليني في الكافي عن أبي عمر الأعجمي قال : قال لي أبو عبدالله - رحمه الله - يا أبا عمر : إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولادين لمن لاتقية له ، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين[1] . وحرصاً من الشيعة على تأكيد مكانة التقية عندهم وضرور ـا لهم وحضا منهم لأتباعهم عليها ورد قولهم : « من صلى وراء سني تقية فكأنما صلى وراء نبي »[2] .

وقولهم : اتقوا على دينكم فاحجبوه - بالتقية فإنه لا إيمان لمن لاتقية له ، إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير ، لو أن الطير تعلم مافي أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكلته ، ولو أن الناس علموا مافي أجوافكم أنكم تحبون أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلوكم في السر والعلانية ، رحم الله عبدا منكم كان على ولايتنا »[3] .

ويقول الباقر الصادق حسب زعم الشيعة : من أظهر الحق وترك التقية في دولة الباطل يكون لم يرض بقضاء الله ، وخالف أمر الله وضيع مصلحة الله التي اختارها الله لعباده فهو مارق من الدين[4] .

---

(١) الأصول من الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ١٧٢/٢ ، نسخة مشكولة (كتاب التقية)

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص٢٩٠ .

(٣) الأصول في الكافي للكليني الرازي ١٧٣/٢ .

(٤) أصول الكافى ٣٦٤/٢ .

ويقول : إن التقية ديني ، ودين آبائي ، ولا دين لمن لاتقية له[1] .

وهذا هو تصور الشيعة في اعتقادم للتقية ، ولاشك أن هذه الروايات كلها متهافتة وموضوعة رغم زعمهم أ ا منقولة عن أهل البيت وإرجاعها إلى أبي عبدالله الذي هو جعفر الصادق . وإذا تأملنا في أحوال وعبادات أهل البيت نجدهم برئين من هذه الأكاذيب المختلفة وأ م لم ينهجوا منهج الشيعة في الاعتقاد وكيف يستساغ منهم أن يذهبوا مذهب الشيعة في التقية ؟! .

وهذا كما قلت مصادمة للنص الصريح وأفعال أهل البيت حيث إن عليا وأولاده - رضوان الله عليهم - كانوا يحافظون على الصلوات جماعة مع مراعاة الأوقات اللازمة كما أ م كانوا يصلون الجمعة مقتدين خلف الأول والثاني ، والثالث وخلف غيرهم ويقصدون ا وجه الله[2] .

وعند إعادة النظر في هذه المقولات الباطلة ندرك بطلان دعأوي الشيعة وتقولهم على الأئمة الأبرار الطهرة فلهذا يقول موسى جار الله : هذه الحكايات مذكورة في أمهات كتب الشيعة ولا أدري إلا أن ما أسند إلى الباقر موضوع على لسان الباقر ولم يضعه إلا جاهل[3] .

قلت : وكذلك موضوع على لسان جعفر الصادق أيضاً حيث إن كليهما من صالحي أهل البيت والعقل يستبعد صدور الكذب والاختلاق والوضع منهم كما يفهم ذلك على ضوء ما تقدم من كلام الشيعة المنقول عن أمهات كتبهم حيث جعلوا « التقية » مبدأً من مبادئهم وأن من لم ينتحل بالتقية فليس له دين .

ولذا ، نجد الشيعة يفسرون أحداثهم ا ، كما هو معلوم لديهم .

ويقول الدكتور أحمد محمد جلي في هذا الصدد : إن التقية نظام سري يلجأ إليه الشيعة دفاعا عن مذهبهم وأنفسهم . وذهبوا إلى أن سكوت « على » عن أبي بكر وعمر وعثمان كان تقية منه ، وتنازل الحسن عن الخلافة لمعأوية كان تقية ،

---

(١) المصدر السابق ٣٦٤/٢ .

(٢) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص٢٨ ، للشيخ موسى جار الله ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م .

(٣) المصدر السابق ص٢٧ ، وتكرر أيضاً في ص٨١ .

واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم ، وعقب الدكتور جلي كلامه بقوله : وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث[1] .

وقد استدل علماء الشيعة على قولهم « التقية » ببعض الآيات القرآنية وبعض ما ورد عن النبي ﷺ، الدال على إقراره لها في زعمهم وبعض أفعال أصحابه رضوان الله عنهم .

ومن الآيات القرآنية قوله تعالى : { من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم }[2] .

يقول محمد جواد مغنية : استدل الشيعة بهذه الآية على صحة « التقية » حيث إن عماراً عذّب فأظهر خلاف ما أبطنه وأقره النبي ﷺ.

قلت : فإن محمد جواد مغنية الشيعي أساء فهم الآية وفسره على غير الوجه الصحيح وإن إعطاهم عمار ما أرادوا فإنما ذلك باللسان وقلبه عامر بالإيمان حيث إنه ليس من المعقول أن يقره الرسول عليه الصلاة والسلام على الخطأ وهذا المسلك خلاف منحى الشيعة حيث إنهم يضمرون الكفر في الداخل ويعلنون الإسلام في الخارج ولذلك تراهم يكنون في نفوسهم حقيقة مذهبهم ولايجهرون بها إلا من أؤتمن أو من وافقهم في المبدأ ، وإذا وجد أن المخبر ليس أهلا للأمانة والصدق فلا يسرون إليه مرة أخرى ، وهذا هو الواقع في كثير من بلدان الشيعة وما سلكه محمد جواد مغنية فهو خلاف مانحاه المفسرون المعتبرون الأجلاء ، ويقول العلامة القرطبي في تفسيره قوله تعالى : { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان .. }[3] الآية .

قال : نزلت في عمار بن ياسر لأنه قارف بعض ما ندبوه إليه ، قال ابن

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور أحمد محمد جلي ص٢١٨ ، وقارن المعنى كتاب الشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية الشيعي ص٣٤٥ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٠٦ .

(٣) سورة النحل الآية : ١٠٦ .

عباس : أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا ، وسالما ، فعذبوهم ، وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها ، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺفقال له رسول الله ﷺ: « فإن عادوا فعد »[1].

فاستدل بعض السنيين بإقرار رسول الله ﷺعلى جواز التقية بالقول دون العمل إذ إن القلب عامر بالإيمان وهذا عكس ما عليه الشيعة .

وإذا تأملنا الآية وسياقها وملابسة القصة نجد أ ا لم تدل على ماذهب إليه الشيعة فيما تبلور على ألسنتهم من كلمة « التقية » ولذلك يقول ابن كثير : « أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به : أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه .. فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا »[2].

كما استدل الشيعة باستفسار عمار بن ياسر لدى النبي وإقراره إياه مادام إن قلبه عامر بالإيمان حيث ورد في بعض الروايات أن عمارا فزع إلى النبي ﷺبشأن ما اقترف فأقره بدليل قوله عليه الصلاة والسلام لعمار بن ياسر : « كيف تجد قلبك ؟ قال مطمئناً بالإيمان »[3].

أي إن قلب عمار مملوء بالإيمان وعامر به ، ودخوله على النبي باكياً على مابدر منه دلالة قطعية على أن التلفظ بكلمة الكفر ليس محمودا بذاته إلا في حالة ضرورة دفعت لذلك . ويرى أنه أخبر عن امتلاء قلبه بالإيمان وذلك يتنافى مع الكفر ، ومن لوازم الإيمان الصدق ، والإخلاص في القول والعمل ، والشيعة ليسوا أهلا لذلك بل إن مرادهم « بالتقية » الكذب والخداع وكتمان الحق . فهم على العكس من عمار بن ياسر ، يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان ، أما عمار فقد أبطن الإيمان وأظهر الكفر وهذا عكس ما عليه الشيعة من إبطان الكفر وإظهار الإيمان . وفي كلا الدليلين لاحجة للشيعة فيهما في دعواهم « التقية »

---

(١) تفسير القرطبي ١٨٠/١٠ ، سورة النحل ، وانظر تفسير البيضأوي ١٩٢/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير نسخة محققة ٥٢٤/٤ - ٥٢٥ . دار الشعب بالقاهرة .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤ .

حيث إن الآية تدل على إعذارٍ من الله لمن أكره على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان والحديث المذكور يؤكد على ذلك ، ولذا ، فإن التقية رخصة محددة بوقت الإكراه ، والله يحب أن يعمل برخصته كما يحب أن يعمل بعزائمه وإن كان الصبر وعدم الجزع والهلع من الكفار أفضل إلا إذا كان الأمر مفضيا إلى الموت فيتعين الأخذ بالرخصة .

فلا يبقى للقوم سوى بطلان مذهبهم ، ومفهوم « التقية » لدى الشيعة يختلف عن مفهومها لدى سائر الأمة الإسلامية ، وقد أباحوا لأنفسهم بزعم « التقية » أعمالا وممارسات لاسند لها من دين أو شرع . وهذا يتناقض مع دعواهم « عصمة الأئمة » حيث إن العصمة تقتضي الصدق والأمانة والتوجيه السليم ، وكل هذا خلاف ما عليه الشيعة ، ورغم ضعف حججهم و افتها فإن التمسك بمبدأ التقية قائم[1] .

دليلهم الثاني : قوله تعالى : { لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير }[2] .

ولكن الآية لم تدل على ما وى إليه نفوسهم من « التقية » حيث إن سياق الآية في معرض الكلام حول الكفار وتنهى المسلمين عن اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين ، والدليل على ذلك (أن الآية نزلت قبل فتح مكة وكان المشركون في عنفوان طغيا م واعتدائهم وقد عمل عليه الصلاة والسلام يوم الفتح ذه الوصايا فعفا عن قدرة ، وحلم عن عزة ، وسلطة ، وقال : « أنتم الطلقاء »)[3] .

وأيضاً فقد صرح الله بأن موالاة الكفار كفر ، واستثنى الله من أعم الأحوال أي ترك موالاة الكافرين على المؤمنين حتم في كل حال إلا في حال الخوف من

---

(١) انظر للمقارنة دراسة عن تاريخ الفرق للدكتور أحمد محمد جلي ط : الثانية ص١٢١ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٢٨ .

(٣) تفسير المنار ٢٧٩/٣ - ٢٨٠ ، سورة آل عمران .

شيء تتقونه منهم . فلكم حينئذ أن توالوهم بقدر ما يتقي به ذلك الشيء لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وهذه الموالاة تكون ضرورية لأ ا للمؤمنين لاعليهم)[١] . والقائلون ذا القول يجيزون التقية قولا دون العمل .

وأما الفريق الثاني ، فلا يرى جواز التقية ويعدها من النفاق والخيانة والجبن الذي لاينبغي أن يتصف ا المسلم ، ويستدل بالأفاعيل الشنيعة كما فعل ببلال حتى إ م ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ، ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم ذلك وهو يقول : أحد ، أحد ويقول ، والله لو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها »[٢] .

وكذلك من أدلة الذين يرون المنع قصة حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم . فيقول : أتشهد أني رسول الله؟ فيقول:لا أسمع ، فلم يزل يقطعه إربا إربا وهو ثابت على ذلك[٣]

فترى هذه الطائفة الصبر حتى يقتل وله أجر عظيم ، ويقول معاذ بن جبل ومجاهد : كانت التقية في بدء الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين ، وأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم[٤] .

وبعد أن استعرضت موقف السلف اتجاه حقيقة التقية ومتى تكون رخصة يلجأ إليها ، أنتقل إلى بيان موقف الشيخ ابن أبي زيد للتعرف على مدى موافقته لأهل السنة أو مخالفته ، فهو يرى أن التقية ليس كما يزعمها الشيعة ودونوها في أمهات كتبهم وإنما هي تجوز إذا التقى المسلم بالكفار وهم في عنفوان قو م فيباح للمسلم أن يداريهم بالقول دون العمل اتقاء لشرهم وجاء الفضل فيمن قتل منهم ، أو خير بين القتل والكفر فاختار القتل . حيث إنه هو الأفضل وذلك

---

(١) المصدر السابق ٢٨٠/٣ ، وقارن المعنى تفسير البغوي ٢٠٦/٢ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤ ، نسخة محققة .

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٤) تفسير البغوي لمحمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) ٢٦/٢ ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

بمقتضى قوله تعالى : { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان }[1] الآية . وإقرار الرسول ﷺلعمار بن ياسر حين تعرض للتعذيب لدى الكفار ونطق بما تميل إليه نفوس الكفار وتركهم إياه وإقرار الرسول ﷺ على ذلك فهو إن دل فإنه يدل على جواز التقية[2] .

ويقول الشيخ وإنما الرخصة في القول والقلب مطمئن بالإيمان . كما أن المنع باتة في العمل مهما يكن الأمر ومثل بذلك فقال : (وأما على أن يعمل عملا ، فيسجد لغير الله أو يصلي إلى غير القبلة أو يشرب الخمر ويأكل الخ ير أو يزني أو يقتل مسلماً أو يضربه أو يأكل ماله وما أشبه ذلك ، فلا رخصة له وإن خاف القتل ..)[3] وأستدل الشيخ بأثر وارد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : التقية بالقول وليس بالفعل ولاباليد)[4] . وقال الأوزاعي : أبيح للمكره القول ولايصدق ذلك بعمل ، فإن أكره على ذلك مثل السجود للوثن أو صليب أو أكل خ ير وشرب خمر،فلا يفعل وليختر القتل ، وقاله قتادة.وقال سحنون)[5]

الرأي الثاني : يرى الشيخ جواز ترك الرخصة للقادر على ذلك مع التزام الصبر وعد ذلك من أوثق عرى الإيمان حيث إن هذا أقوى على إظهار الإسلام وأحظى له عند بارئه إن صدق يقول الشيخ : (فمن ترك الرخصة وصبر على إظهار الإسلام ، فذلك له واسع فيما يعرض من القتل ، وذلك أحظى له عند

(١) سورة النحل الآية : ١٠٦ .

(٢) النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني كتاب الجهاد تحقيق ماتياس فون بريدر ، ص٣٩١ - ٣٩٢ . بيروت ١٩٩٤ دار النشر فرانتس .

(٣) المصدر السابق ص٣٩٢ .

(٤) المصدر السابق ص٣٩٢ ، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ، باب قوله تعالى : { إلا أن تتقوا منهم تقاة } برقم ٣٥٧ ٣٥٧/٢ ، بلفظ ليس التقية بالعمل إنما التقية بالقول وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٩١/٢ ، بلفظ التقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فلايبسط يده فيقتل ولا إلى إثم فإنه لاعذر له . صححه الحاكم ووافقه الذهبي وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٢٩/٣ ، بلفظ إنما التقية باللسان وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ١٦/٢، وأخرجه القرطبي في جامع لأحكام القرآن ٥٧/٤ .

(٥) النوادر والزيادات لابن أبي زيد ، كتاب الجهاد ص٣٩١ - ٣٩٢ .

ربه إن صدق ..)[1] ويقول : (وجاء الفضل فيمن قتل منهم ، أو خير بين القتل والكفر فاختار القتل ..)[2] .

وتحقيق القول حسب ما يراه الشيخ ابن أبي زيد أن التقية جائزة باللسان دون العمل في أجواء الإكراه والقلب عامر بالإيمان ومطمئن عليه ، وإن كان الصبر على الأذى أفضل من الهلع والجزع . والله أعلم .

---

(١) النوادر والزيادات ص٣٩٢ . كتاب الجهاد .

(٢) المصدر السابق ص٣٩١ .

المبحث الخامس :

إبطاله لرأيهم في **عدم المسح على الخفين :**

المسح لغة : إمرار اليد المبتلة بلا تسبيل[1] .

شرعا : إصابة البلة لخف مخصوص في زمن مخصوص[2] .

أنكر الشيعة مشروعية المسح على الخفين رغم وجود الأحاديث الصحيحة الصريحة في هذا الباب ، وسأذكر بعضها - إن شاء الله - .

واتفق رأي الخوارج[3] مع الشيعة في الإنكار بزعم أنه لم يثبت الأمر بالمسح في القرآن ، غفلة منهم أن السنة تؤيد القرآن وتفسره وتبين ا مل منه .

ونقل أحد أئمة الشيعة وهو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي عن أبي الورد قال : قلت لأبي جعفر - عليه السلام - أن أبا ظبيان حدثني أنه رأى عليا - عليه السلام - أراق الماء ثم مسح على الخفين فقال[4] : كذب أبو ظبيان أما بلغك قول علي - عليه السلام - فيكم ، سبق الكتاب[5] الخفين ؟ فقلت : فهل فيهما رخصة ؟ فقال : لا إلا من عدو تتقيه أو ثلج تخاف على رجليك وفى رواية سئل زرارة عن المسح على الخفين فقال : ثلاثة لا أتقي فيهن أحدا ، شرب

---

(١) انظر التعريفات للجرجاني ص٢٢٦ .

(٢) انظر أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك ٢٧٣/١ ، نقلا عن الحصكفى في الدر .

(٣) انظر صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧٥/٣ ، باب التوقيت في المسح على الخفين وانظر فتح الباري للحافظ العسقلاني ٣٠٠٥/١ ، وأوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك ١٤٣/١ ، للقاضي الكاندهلوي .

(٤) انظر الاستبصار فيما اختلف من الأخبار للطوسي ت٤٦٠هـ . ط : الثانية . دار الكتب الإسلامية ٧٦/١ .

(٥) لعله يقصد ذا اللفظ « يعني أن القرآن الكريم قد تضمن شرعية غسل الرجلين سابقا لذلك رخصة المسح على الخفين التي جاء ا السنة .

المسكر ، ومسح الخفين ، ومتعة الحج[1] .

و ذه الروايات وغيرها استدل الشيعة على عدم مشروعية المسح على الخفين حيث جزموا بعدم مشروعية الإقدام عليه خفية أو علنا . ولاشك أن الحديث المزعوم مكذوب على علي بن أبي طالب بدليل أن عليا من السلف الصالح ومذهب السلف المسح على الخفين في السفر والحضر خلافا للرافضة والخوارج ، وأيضاً فقد ثبت أن شريح بن هانيء سأل عائشة - رضي الله عنها - عن المسح على الخفين فأمرته بالرجوع إلى علي بن أبي طالب لكونه أفقه منها .

كما رواه الإمام مسلم وغيره ونص الحديث : عن شريح بن هانئ قال سألت عائشة عن المسح على الخفين فقالت ائت عليا فإنه أعلم بذلك مني فأتيت عليا فذكر عن النبي ﷺ بمثله[2] .

وهذا من أبرز الأدلة على أن علي بن أبي طالب افترت عليه الشيعة فنسبت إليه مالم يقله وقولته مالم يقل .

ومن ثم نرى أن السلف كانوا يضادون الشيعة في هذه المسألة ويرون إباحة المسح على الخفين حيث إنه رخصه من الشارع وإليكم أقوال العلماء في المسألة : -

قال أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - : « ونقر بأن المسح على الخفين سنة »[3] للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليهن . قال لأن الحديث ورد هكذا فمن أنكره فإنه يخشى عليه الكفر لأنه قريب من الخبر المتواتر .

ويقول السمرقندي : (ثبت جوازه بالأحاديث المشهورة القريبة من المتواتر،

---

(١) انظر الاستبصار فيما اختلف من الأخبار لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت٤٦٠هـ ، ط : الثالثة ، دار الكتب الإسلامية .

والرواية المتقدمة لها اتجهان ، الأولى إما أن تكون مكذوبة على الإمام علي - رضي الله عنه - بحيث لاتثبت عنه بدليل الحديث الذي سيأتي ، والثاني تشعر عدم إنكار الشيعة المسح على الإطلاق بل تجيزه على الإطار المعين كما ورد في الأثر المنسوب إلى علي حيث استثنى منها لقاء العدو ، أو شدة البرودة ومتعة الحج .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧٥/٣ ، باب التوقيت في المسح على الخفين .

(٣) انظر كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة ص١٠٦ مع شرح الملأ القارئ الحنفي .

ولذلك قال أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - : « من أنكر المسح على الخفين يخاف عليه من الكفر »(١) .

وقد نقل إمام السنة البغوي ما يكاد يكون إجماعاً من السلف فيقول : أما المسح على الخفين فجائز عند عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم ، يرويه عن رسول الله ﷺ، عمر ، وعلي ، وحذيفة ، والمغيرة بن شعبة ، وأبو أيوب ، وسلمان ، وبريدة ، وعمرو بن أمية ، وأنس ، وسهل بن سعد ، ويعلى بن مرة ، وعبادة بن الصامت ، وجرير ابن عبدالله ، وأبو أمامة ، وجابر ، وأسامة بن زيد، وبلال وغيرهم(٢) .

وذكر ابن حجر العسقلاني في الفتح : نقل ابن المنذر عن ابن المبارك قال: ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف ، لأن كل من روى عنه منهم إنكاره فقد روى عنه إثباته(٣) .

ويقول أيضاً ابن المنذر : والذي أختاره أن المسح أفضل لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض ، واحياء ماطعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه(٤) .

وإن ثبت أن بعض السلف من الأئمة كالإمام مالك بن أنس وغيره أنكر المسح على الخفين[5] فرواية مالك نفسه تناقض مذهبه ، فهذا قوله في أول الأمر،

---

(١) شرح كتاب الفقه الأكبر للسمرقندي ص٧٦ ، وانظر أوجز المسالك إلى موطأ مالك للقاضي الكاندهلوي ٢٤٣/١ قارن المعنى .

(٢) شرح السنة للبغوي ٤٥٤/١ بتحقيق الأرناؤوط ومحمد زهير شأويش ، ط الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م ، المكتب الإسلامي .

(٣) فتح الباري للحافظ العسقلاني ٣٠٥/١ ، وانظر أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك ١٤٣/١ ، للقاضي الكاندهلوي .

(٤) انظر المصادر السابقة في نفس الصفحة .

(٤)ذكر الشيخ ابن أبي زيد عن مالك أنه يكره المسح في السفر والحضر ، وهناك رواية عنه تقول أن المسح فقط يستجاب في الحضر ذكره ابن أبي زيد عن أصبغ وأن ابن وهب يمسح في داره بمصر ، كما ذكر أيضاً عن مالك أنه يقول لايمسح في الحضر وذكر ذلك عن ابن القاسم عن مالك ، قال : لا أفعله في الحضر ولم يحفظ عن النبي ﷺ، ولا عن الخلفاء بالمدينة أ م مسحوا في الحضر وروى نحوه ابن وهب وابن نافع . انظر النوادر والزيادات ورقة ١٩ظ .

وأثبت الإمام الباجي رجوعه إلى المسح في السفر والحضر[١] .

وهذا الذي استقر عليه الأمر إلى يومنا هذا ، ويقول الشيخ الكاندهلوي : (والقائلون بالمسح هم الجم الغفير والعدد الكثير الذي لايجوز عليهم الغلط ولا التواطؤ ، وهم جمهور الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين)[٢] .

وقد روى عن مالك الإنكار في الحضر والروايات عنه بإجازة المسح في الحضر والسفر أكثر وأشهر ، وعلى ذلك بني موطأه وهو مذهبه عند كل من سلك اليوم سبيله لاينكره منهم أحد .

والراجح ما عليه السلف الصالح وذلك إثبات المسح على الخفين وهذا هو المنقول عن النبي ﷺ[٣] .

وإذا جئنا إلى الشيخ ابن أبي زيد نراه يقرر مذهب أهل السنة والجماعة في إقرار المسح على الخفين خلافا للشيعة الذين لايرون ذلك ولذلك يقول : « وآخر ما استقر عليه الأمر المسح على الخفين في الحضر والسفر »[٤] . ثم يقول : « لم يختلف فيه أهل السنة وما علمنا - مالكا - ولاغيره من علمائنا إنكار ذلك في الحضر والسفر »[٥] .

وذكر ابن أبي زيد عن ابن حبيب أنه يقول : « لايرتاب فيه إلا مخذول »[٦] .

وكان ابن أبي زيد بوب في « الرسالة » باب في المسح على الخفين ، وقال « وله أن يمسح على الخفين في الحضر والسفر مالم يـ عهما وذلك إذا أدخل فيهما رجليه بعد أن غسلهما في وضوء تحل به الصلاة فهذا الذي إذا أحدث وتوضأ مسح عليهما وإلا فلا »[٧] .

---

(١) أوجز المسالك١٤٣/١، وانظر مسلم مع شرح النووي ١٧٦/٣، باب التوقيت في المسح على الخفين.

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٤) النوادر والزيادات ورقة ١٩ب .

(٥) النوادر والزيادات ورقه ١٩ ب .

(٦) النوادر والزيادات ورقه ١٩ ب .

(٧) الرسالة لابن أبي زيد القيرواني مع شرح عبدالسميع الآبي ص٦٤ .

وهكذا نجد الشيخ ابن أبي زيد يقرر مذهب السلف في مسألة المسح على الخفين وهو بذلك متبع وليس مبتدعا .

المبحث السادس :

نكاح المتعة لدى الشيعة .

تمهيد :

يعرف الفقهاء الزواج بأنه عقد يفيد حلّ استمتاع كل من العاقد بالآخر على الوجه المشروع ، وإن القصد من عقد الزواج هو ملك المتعة أوحلها ، وكما أن القصد الأسمى للزواج في الشرع إلى جانب ما تقدم هو التناسل وحفظ النوع الإنساني وأن يجد كل واحد من العاقدين من صاحبه الأنس الروحي الذي يؤلف بينهما . لذا قال تعالى : { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون }[(1)] .

ولما كان المقصود من الزواج في الإسلام ليس هو قضاء الوطر الجنسي فحسب ، بل الغرض أسمى من ذلك ، ولذلك اعتبره النبي ﷺ سنة الإسلام ، فقال : « من أحب فطرتي فليستن بسنتي »[2] وقال أيضاً (ألنكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني)[3] ولما كان الزواج سنة الإسلام وذلك لما فيه مما يلبي حاجة الإنسان الجسمية والنفسية . فقد ارتضى الإسلام الزواج ويرى أن ذلك من مكملات الدين خلافاً للشيعة العبيدية والإمامية ومن نحى منحاهم . فإ م قالوا بإباحية نكاح المتعة واحتل في عقائدهم مكانة مهمة أبرزتـها كتبهم .

وإن كان نكاح المتعة في بداية معرفة المسلمين زمن الرسول ﷺقد أبيح لظروف مؤقتة اقتضته إلا أنه لم تستمر مشروعيته طويلا إذ ما ودع المصطفى ﷺدنيانا إلا وقد نسخ .

فالإباحة له كنوع من الزواج المشروع والنهي عنه كزواج مشروع تم في

---

(١) سورة الروم الآية : ٢١ .

(٢)أخرجه البيهقي عن أبي هريرة٧٨/٧

(٣)أخرجه ابن ماجة عن عاءشة برقم ١٨٤٦ جـ ١ : ٥٩٢ كتاب النكاح.

حياة الرسول ﷺ.

وماكان موقف المسلمين إلا الإذعان والقبول لما ى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك لما روى الربيع بن سيرة الجهني عن أبيه عن جده قال أمرنا رسول الله ﷺبالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ثم لم نخرج منها حتى انا عنها[(١)] .

وعنه أيضاً أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺفقال يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً[(٢)] .

ومما تقدم من الحديث التصريح بالمنسوخ والناسخ في حديث واحد من كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والتصريح بتحريم نكاح المتعة إلى يوم القيامة وأ م كانوا يتمتعون إلى عهد أبي بكر وعمر على أنه لم يبلغهم الناسخ .

وإذا كان موقف جمهور المسلمين هو الانصياع لهذا النهي والإعراض عن ذلك النوع من الزواج إلا أن الشيعة تمسكوا به بل وغالوا في تمسكهم ومدحوه وحضوا عليه ودعوا إلى الإكثار منه . وزعموا أن ذلك تدينا وبمقدار ما يتمتع الشخص تزداد مكانته عند ربه .

واصطنعوا في ذلك الكثير من الأحاديث الكاذبة وأخذوا يدافعون عنها حتى أصبحت شعاراً لهم ولاشك أن ذلك على خلاف مذهب أهل السنة القائلين بحرمته إلى يوم القيامة .

مفهوم المتعة لدى الفقهاء :

يعرف هذا الضرب من الناح في عرف الفقهاء بنكاح المتعة اشتقاقا من المتاع قال في القاموس المحيط : « المتعة بضم الميم ، وحكى كسرها اسم للتمتع كالمتاع ، وأن تتزوج امرأة تتمتع ا أياما ثم تخلى سبيلها، وأن تضم حجا إلى عمرتك

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٨٧/٩ ماجاء في نكاح المتعة .

(٢) المصدر السابق ١٨٦/٩ .

» [1] .

وعلى المعنيين فالمادة (متع) تدور على معنى التلذذ والانتفاع ولما كان نكاح التأقيت ليس المقصود به ديمومة النكاح واستمراره بل مجرد التلذذ والانتفاع واشباع الغريزة الجنسية سمى نكاح المتعة .

وتطلق المتعة على المال الذي يجب على الزوج لامرأته المفارقة بطلاق[2] قال تعالى : { لاجناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين }[3] .

وتطلق المتعة أيضاً على متعة الحج ، والتمتع بأن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويفرغ منها ثم يحرم بالحج في عامة وفي القران : { فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي }[4] .

وعرفه الشيخ محمد الحامد بقوله هو أن ينكح الرجل المرأة بشيء من المال مدة معينة ينتهي النكاح بانتهائها من غير طلاق وليس فيه وجوب نفقة وسكن وعلى المرأة استبراء رحمها بحيضتين ولا توارث يجري بينهما إن مات أحدهما قبل انتهاء النكاح[5] .

نكاح المتعة كما تصورها كتب الشيعة :

روى الشيعة : (عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إن الله تبارك وتعالى حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب وعوضهم من ذلك المتعة »)[6] .

وحديث آخر قال الصادق : « ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ولم يستحل

---

(١) القاموس المحيط مادة م ث ع .

(٢) مغني المحتاج للخطيب الشربيني ٢٤١/٣ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٣٦ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١٩٦ .

(٥) نكاح المتعة حرام في الإسلام . للشيخ محمد الحامد ص٥ .

(٦) كتاب الاستبصار ٤٣٨/١٤ .

متعتنا »[1] .

وروى أيضاً الطوسى في الاستبصار : قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام عنها يعني « المتعة » فقال لي حلال ولاتتزوج إلا عفيفة إن الله تبارك وتعالى يقول { والذين هم لفروجهم حافظون }[2] . فلا تضع فرجك حيث لاتأمن درهمك.

استدل الشيعة ـذه الأدلة على ثبوت المتعة من كتبهم وإن لم تصح في كتب من يعتد قبولهم[3] .

ولم يلبث الشيعة الإمامية بقولهم أن دعموه ببعض الآيات القرآنية منها قوله تعالى : { فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة }[4] .

قال أبو جعفر الطوسي : « هذه الآية دليل على المتعة عند الشيعة »[5].

قلت : أن التقييد يفيدنا عدم صحتها عند غير الشيعة ، وقد رجعت إلى تفاسير السلف الصالح فوجدت خلاف مازعم الشيعة .

ويقول الطبرسي[6] : الاستمتاع والتمتع وإن كان في الأصل واقعاً على الإنتفاع والإلتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصا ، ـذا العقد المعين لا سيما إذا أضيف إلى النساء فيكون معناه فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن ويدل على ذلك أن الله علق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع

---

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ٥ .

(٣) الاستبصار فيما اختلف من الأخبار للطوسي ، ١٤٢/٣ أبواب المتعة باب أنه لاينبغي أن يتمتع إلا بالمؤمنة العارفة بتحقيق حسن الموسى الخرساني ، الناشر : دار الكتب الإسلامية طهران ط ٢٣ ، وانظر المناظرة بين أهل السنة والروافض تحقيق واعداد محمد موفق عمر سفاف ص١٧٧ ، وانظر نكاح المتعة عبر التاريخ للشيخ عطيه محمد سالم بتحقيق حماد الأنصاري ص١٦ ، وما بعدها ، وانظر كتاب اللمعة الدمشقية للعاملي من ٢٤٥/٥ وما بعدها. الفصل الرابع .

(٤) سورة النساء الآية : ٢٤ .

(٥) انظر كتاب الإستبصار للطوسي ت/٤٦٠هـ ، ١٤١/٣ .

(٦) هو أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر الشيعة الإسلامية في القرن السادس الهجري.

وذلك يقتضي أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لأن المهر لايجب إلا به[١] .

ويقول الطبرسي : روى عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب ، وعبدالله ابن عباس وابن مسعود أ م قرأوا فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن وفي ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة . ونحا نحوه الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس[٢] . ويقول مثل هذا القول السدي .

لاجدال بين أهل السنة في مشروعيته في أول الإسلام نظراً لظروف بعض الصحابة وما يعانونه من الغربة ثم نسخ ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة في نسخه سوى بعض الفرق الضالة منها الشيعة ولا يعتد بخلافهم .

كلام بعض أهل السنة في نكاح المتعة:

يقول ابن جرير الطبري في الآية : وأصح القول فما نكحتموه منهن فجامعتموه فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله ﷺ[٣] .

وعن سبرة الجهني عن أبيه أن النبي ﷺقال : « استمتعوا من هذه النساء » والاستمتاع عندنا يومئذ التزويج[٤] .

فلما نزلت الآية : { إلا على أزواجهم أو ماملكت أيما م }[٥] قال ابن عباس فكل فرج سواهما حرام .

وحديث علي رضي الله عنه قال العلماء فيه أنه حجة على الشيعة لالهم حيث أثر عنـ ـه قولـ ـه : ى النبي - ﷺ- عن نكاح المتعة ، وعن لحوم الحمر

---

(١) مجموع البيان ٥٢/٣ ، للطبرسي . دار المعرفة .

(٢) المصدر السابق ٥٢/٣ ، للطبرسي .

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٣/٥ .

(٤) المصدر السابق ١٣/٥ .

(٥) سورة المؤمنون الآية : ٦ .

الأهلية يوم خيبر[١] .

قال الإمام المأوردي (ت٥٣٦هـ) : ثبت أن نكاح المتعة كان جائزاً في أول الإسلام ثم ثبت بالأحاديث المذكورة أنه نسخ وانعقد الإجماع على تحريمه[٢] .

قال القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) : واتفق العلماء على أن هذه المتعة كانت نكاحا إلى أجل لاميراث فيها وفراقها يحصل بإنقضاء الأجل من غير طلاق ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء[٣] .

ومال الإمام النووي (ت ٦٧٧هـ) نحو هذا الرأي حيث بوب في شرحه لصحيح مسلم بقوله : باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ واستقر تحريمه إلى يوم القيامة[٤] .

ولقد ذهب الشيخ ابن أبي زيد إلى تحريم نكاح المتعة وبطلانه ونسخه ويقول في « الرسالة » ولايجوز نكاح المتعة وهو النكاج إلى أجل[٥] .

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٤٤٩/١ .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ١٧٩/٩ .

(٣) المصدر السابق ١٨١/٩ .

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي ١٧٩/٩ .

(٥) الرسالة مع شرح عبدالسميع الآبي ص٣٣٠ .

المبحث السابع :

الحكم على الشيعة :

ابتلى المجتمع القيرواني السني بمسلك الشيعة المعلن المعادي للاتجاه السني حتى في إقامة الشعائر الدينية . ومحاولة إحلال الشعائر الرافضية مزاحمة للشعائر السنية بالقيروان ولم يقف علماء السنة مكتوفي الأيدي أو ملجمي اللسان تجاه هذا المسلك لذا وجدناهم تصدوا بعنف لأصحاب هذا الاتجاه . ووقعت أحداث كثيرة وواقعات متعددة بين الطرفين كان أول ضحاياها من السنة العالمين الفقيهين ابن البرذوي وأبابكر بن هذيل بسبب إنكارهما البدع التي طفق العبيديون في نشرها وترويجها وحمل الناس عليها بالترغيب تارة وبالإرهاب أخرى .

يوضح ذلك صاحب المعالم في قوله : (وسعى القاضي محمد بن عمر المروذي - بابن البرذوي وبالفقيه أبي بكر بن هذيل إلى أبي العباس الشيعي فأمر حسن بن أبي خنزير عامل القيروان أن يقتلهما معا فضرب رقابهما وطيف بهما مسحوبين على وجوههما قد ربطا إلى سند بغل فجرهما من باب تونس إلى باب أبي الربيع فصلبا هناك)[1] .

لقد أطلق أبو العباس الشيعي يديه في القيروان عندما توجه أخوه أبو عبدالله أثناء ذهابه إلى سجلماسة لفك أسر عبيدالله المهدي وابنه فعاث أبو العباس في القيروان فسادا حيث أطلق يد قاضيه المروذي المتشيع فعذب بعض العلماء وقتل

---

(١) معالم الإيمان ٢٦٢/٢ .

بعضهم الآخر لالشيء إلا لعقيد م السنية كابن قاضي طرابلس وأبي القاسم الطوزي قاضي صقلية كما قتل ابن البرذوي وابن هذيل[1] ولم يكتف أبو العباس ذا التعذيب وهذا القتل بل خطئ إلى أهم وماهو المقصود بالذات من هذا الإرهاب وذلك عندما أمر بزيادة (حي على خير العمل) في الأذان ومنع الناس من الصلاة في رمضان بالمساجد : (وأخذ أموال الأحباس والحصون وأخذ الأسلحة التي في الرباطات وأمر الفقهاء أن لايكتبوا وثيقة ولايفتوا إلا من سرق أو كفر وأمر أن تزال عن الحصون أسماء الذين بنوها أو أمروا ا من السلاطين ويكتب اسم المهدي[2] .

علأوة على ذلك ، فقد ضرب العبيديون السنيين القيروانيين بالسياط وقطعت م سماط القيروان وأمر أن ينادى عليهم هؤلاء حزب الشيطان وهم في الحقيقة ليسوا كما زعموا بل هم رجال سحنون وسحنون أخذ العلم عن رجال مالك ومالك عن التابعين والتابعين عن الصحابة عن رسول الله ﷺفأمرهم أعظم من البدعة[3] . وهذا الكاتب[٤] أخذ برأي الشيخ ابن أبي زيد في تكفيرهم وخروجهم عن الملة كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

يذكر ابن أبي زيد عن شيخه الممسي (ت ٣١٣هـ) في شأن الخوارج فقال : (هم أهل القبلة لايزول عنهم الإسلام ويرثون ويورثون ، وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنـهما مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولاينتسبون إليهم)[5] .

يرضى الشيخ ابن أبي زيد ذا الحكم لان نحلة الشيعة تصل إلى حد عبادة الأشخاص وتـ يههم مثل ماهو الحال بالنسبة للشيعة العبيدية ومن شا هم من الإمامية المتطرفة .

---

(١) المصدر السابق ٢٩١/٢ .

(٢) المصدر السابق ٢٩١/٢ - ٢٩٢ .

(٣) المصدر السابق ٢٧٤/٢ .

(٣)الكاتب هو أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي .

(٥) معالم الإيمان ٢٩/٣ .

وقول ابن أبي زيد بارتداد كل من اعتنق المذهب الرافضي ولو كان على سبيل الاكراه مصداق ذلك ما أورده عنه القاضي عياض : (ولما حمل أهل طرابلس إلى بني عبيد أضمروا أن يدخلوا في دينهم عند الإكراه ثم ردوا من الطريق سالمين فقال ابن أبي زيد : هم كفارلاعتقادهم ذلك)[1] .

وقد نقل القاضي عياض إجماع أهل العلم ومنهم ابن أبي زيد القيرواني أن حال بني عبيد ، حال المرتدين والزنادقة ، بما أظهروه من خلاف للشريعة ، فلا يورثون بالإجماع ، وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل . فيقتلون بالزندقة ، قالوا : ولا يقدر أحد بالإكراه على الدخول في مذهبهم ، بخلاف سائر أنواع الكفر . لأنه أقام بعد علمه بكفرهم ، ولايجوز له ذلك ، إلا أن يختار القتل ، دون أن يدخل في الكفر . على هذا الرأي أصحاب سحنون يفتون المسلمين[2].

وعندما ينظر الباحث الهادف إلى غلو الشيعة في أئمتهم وتفضيلهم على سائر الأنبياء كما ملئت بذلك كتبهم القديمة والحديثة فيتيقّن أن هدف الروافض لم يكن استعمار الأرض فقط بل يتجأوزه إلى إلغاء التراث السني من جذوره وطمس كل معلم يثبت سنية بلاد القيروان وما جأورها من المغرب العربي .

---

(١) ترتيب المدارك جـ ٢ : م ٧٢٠/٤ .

(٢) ترتيب المدارك جـ ٢ م٤ ص٧٢٠ .

الباب الرابع

موقف ابن أبي زيد القيرواني من البدع والمبتدعين

وفيه تمهيد وأربعة فصول كالآتية :

الفصل الأول : مفهوم البدعة وضابطها عند ابن أبي زيد .

الفصل الثاني: مقاومته للبدع في العبادات .

الفـــصل الثالـــث : مقاومتـــه للبـــدع في العادات .

الفصل الرابع : موقفه من الصوفية .

الخاتمة .

الفصل الأول

موقفه من البدع والمبتدعين

وفيه مباحث ثلاثة :

المبحث الأول : مفهوم البدعة وتعريفها

وضابطها عند ابن أبي زيد .

المبحـــث الثـــاني: دعوتـــه لمقاطعـــة المبتدعين .

المبحث الثالث : حكمـه علـى أهـل البـدع والأهواء .

موقف ابن أبي زيد من البدع والمبتدعين :

اتفق العلماء على أن سبب خلق الإنسان إنما هو لعبادة الله عزوجل وحده لاشريك له ولا يوجد دين مقبول عند الله سوى الإسلام كامل لايحتاج إلى زيادة ولايمكن قبول نقص فيه أو زيادة من أي كائن كان.

ولذلك بعث الله الرسل وأنزل الكتاب وأرسل نبيه محمداً – ﷺ – على أعقاب الرسل فدعا إلى صراط الله المستقيم .

وهو صالح لكل زمان ومكان ، فمن نقص منه فقد ضل وخسر ، ومن زاد فيه فقد افترى على الله وآل أمره إلى ا ام الشريعة بالنقص وعدم الكمال ، وكأنه استدرك على الله وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام ماغفلا عنه ، وكفى بذلك قبحا و تانا عظيما، ومثل هذا الصنيع إنما هو ابتداع في دين الله بمالم يأذن به الله.

وقد حذر النبي ﷺ، من البدع والإحداث في الدين ، فقال : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد »[1] .

ولاشيء أفسد للدين ، وأشد تقويضا لبنيانه من البدع ، فهي تسري في كيانه سريان النار في الهشيم ، وهي تسوق الإنسان إلى الشرك، والموصلة إليه.

والصحابة رضوان الله عليهم ترسموا هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام، فجملوا اللواء ونشروا دين الله عزوجل - في أصقاع الأرض وفتر م تعتبر فترة ذهبية لوحدة الأمة الإسلامية ، واجتماعها على عقيدة واحدة .

لذلك فإن أهل السنة والجماعة يعتبرون ماكان عليه جيل الصحابة من علم وطبقوه سلوكاً وعملاً هو القاعدة الأساسية لفهم الإسلام الحق ومعرفته .

ومضى عصر الصحابة ، ذلك العصر الذهبي الذي يمثل وحدة إيمانية قوية ، إلا أن مسيرة التاريخ أحدثت أمورا زعزعت تلك الوحدة ، ومن ثم ظهرت انحرافات وبدع في العقائد والعبادات ، وانتشرت وتكونت فرق ضالة ، وتفرقت الأمة بسببها شيعا وأحزاباً .

والله - عزوجل - قد وعد بحفظ هذا الدين من كل عبث وانحراف ويحقق ذلك في قوله تعالى : { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون }[2] .

فقيض الله علماء على مدى التاريخ للدفاع عن هذا الدين ، ومقأومة البدع والانحرافات ، فقد تصدوا بالرد على أهل البدع والأهواء ، وبينوا للناس أباطيلهم وضلالهم ، وأن ماهم عليه ليس من الدين في شيء ، وألفوا في ذلك مؤلفات كثيرة نفيسة .

وقد كان الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله - أحد أولئك الأعلام الأفذاذ الذين كانت لهم جهود مميزة في محاربة البدع وأهلها ، ودعوة الناس إلى العودة إلى الكتاب والسنة .

---

(١) الحديث متفق عليه : عن عائشة رضي الله عنها ، صحيح البخاري مع الفتح ٣٠١/٥ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٢ .

(٢) سورة الحجر الآية : ٩ .

وكان أول صدام لأبي محمد في هذا ا ال مع البغدادي المعتزلي الذي بعث برسالة إلى علماء القيروان يدعوهم فيها إلى طرح المذهب السلفي السني والأخذ بالاعتزال وقد برزت جهود ابن أبي زيد في رده على بدعته (وكتب - على بن أحمد بن إسماعيلي البغدادي المعتزلي - إلى فقهاء القيروان رسالة معروفة يدعوهم فيها إلى الإعتزال والقول بالقدر والمخلوق وغير ذلك من مذاهبهم ويقول لهم : طريقة متكلمي أهل السنة ومذهب السلف بدعة فأجابوه - فقهاء القيروان - وردوا عليه وجأوبه أبو محمد بن أبي زيد - رحمه الله - على كتابه برسالة معروفة ظهر فيها علمه وقوته في الكلام بالرد على أهل الأهواء ونفى عن مالك وأصحابه جميع مانسب إليه وجعل يحتج على نقص قوله في القدر من كلام مالك البديع في رسالته في القدر إلى ابن وهب رحمه الله[١] .

كما أنه ألف عدة كتب لحماية ا تمع من البدع منها كتاب الاقتداء بأهل المدينة[٢] ، كتاب تفسير أوقات الصلاة[٣] ، كتاب فضل رمضان والاعتكاف[٤] .

وعلى الجملة فإن ابن أبي زيد قد رد على بدع الاعتزال والروافض وأبطل آراءهم: (يقول الشيخ في خطبة كتابه الموسوم بالنوادر والزيادات لما في الموطأ وغيره من الأمهات –(الحمدلله الذي بسط نعمته وأقام حجته ، وأظهر حكمته ، وتمم إعذاره ونذارته بمحمد عليه السلام وأوضح به الدليل. وأنتج به السبيل وأكمل به دينه. وأوضح شريعته . فبلغ للناس ما أرسل به إليهم . وبين لهم ما افترض عليهم وسن لهم وعلمهم وأد م وأرشدهم . ثم مضى ﷺ حميدا فأبقى كتاب الله لأمته نزوا مبينا . وسنته حصنا حصينا وأصحابه حبلا متينا . وجعل سبحانه سبيلهم الأقوم . ومنهاجهم الأسلم وطريقتهم المثلى واستنباطهم الأولى . وتواعد من اتبع غير سبيلهم أن يوله ما تولى[5])

(١) ترتيب المدارك م٢ ٤٨٦/٤ ، هذا الرد يقول فيه محقق كتاب ترتيب المدارك الدكتور بكير هو مايكمل الآن الباب الأولى ١٥/١ .

(٢) فهرست ابن خير ص٣٦٧ .

(٣) ترتيب المدارك ٤٩٤/٤ .

(٤) معالم الإيمان ٣/٣ .

(5) النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني ورقة أولى جـ ١ رقم ١٢٣٧١ .

وفي موطن آخر يقول :(فالحمدلله الذي من بكفايته . وأنعم بهدايته ورفق بنا في التكليف في عبادته وجعل النجاة للمتأخرين في اتباع سبيل المتقدمين ، ولم يوسع لمن بعدهم أن يرغب عن إجماعهم أو يخرج عن اختلافهم أو يعدل عن تأويلهم ومنهاجهم[(١)]).

ويقول وقد أفردنا لذلك كتابا سميناه كتاب الاقتداء وقلنا فيه :(ليس لأحد أن يحدث قولا أو تأويلا لم يسبقه سلف) [(٢)] .

ويقول بعد أن ذكر إجماع أهل العلم على ماتقدم .. (وكل قول نقوله أو تأويل محتمل نتأوله فعن سلف سابق قلناه أو من أصل من الأصول المذكورة استنبطناه عصمنا الله وإياكم من زيغ الهوى . والعدول عن الطريقة المثلى[(٣)]).

المبحث الأول :

مفهوم البدعة وضابطها عند ابن أبي زيد :

كان الإمام ابن أبي زيد - رحمه الله - شديد الغيرة على عقيدته السلفية حريصا على إحياء السنة وإماتة البدعة ، ولما كان المجتمع القيرواني قد فشت فيه بدع منكرة ، فقد تصدى - رحمه الله - لمقاومتها ، مما جعله من المشهورين في صفوف السنيين القيروانيين بمقأومة البدع وأهلها .

وقد عقدت هذا المبحث لبيان جهوده في مقأومته للبدع ، وقبل شروعي في الموضوع أود أن ألقي الضوء على تعريف البدعة لغة واصطلاحا ، لتتضح لنا حقيقتها ، فأورد كلام أهل اللغة ثم ما قاله ابن أبي زيد ، ليتبين لنا مدى موافقته - رحمه الله - للعلماء .

تعريف البدعة لغة :

---

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٢) المصدر السابق ورقة ٢ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

قال الزجاج عند شرح قول الله تعالى : { بديع السموات والأرض }[1] يعني أنشأهما على غير حذاء ولامثال ، وكل من أنشأ مالم يسبق إليه قيل له : أبدعت ، ولهذا قيل لكل من خالف السنة والإجماع مبتدع ، لأنه يأتي في دين الإسلام بمالم يسبقه إليه الصحابة والتابعون »[2] .

وفي معجم مقاييس اللغة : « بدع » الباء والدال والعين أصلان ، أحدهما : ابتداء الشيء وصنعه لاعن مثال ، والآخر : الانقطاع والكلال .

فالأول : قولهم : أبدعت الشيء قولا أو فعلا ، إذا ابتدأته لاعن سابق مثال والله بديع السموات والأرض .

والعرب تقول : ابتدع فلان الركى إذا استنبطه ، وفلان بدع في هذا الأمر ، قال الله تعالى : { قل ماكنت بدعا من الرسل } أي : ماكنت أول[3] .

وفي الصحاح : « ابدعت الشي : اخترعته لاعلى مثال ، والله تعالى بديع السموات والأرض » .

والبديع : المبتدع ، والبديع والمبتدع أيضاً ، وأبدع الشاعر : جاء بالبديع ، وشيء بدع بالكسر ، أي : مبتدع وفلان بدع في هذا الأمر ، أي بديع ، وقوم أبداع .

والبدعة : الحدث في الدين بعد الإكمال .

واستبدعة : الحدث في الدين بعد الإكمال .

واستبدعه : عده بديعا ، وبدعة ، نسبه إلى البدعة[4] .

وفي جمهرة اللغة :

« بدعت الشيء إذا أنشأته ، والله - عزوجل - بديع السموات والأرض ،

---

(١) سورة البقرة الآية : ١١٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٨/١ - ١٩٩ ، و ذيب اللغة ٢٤١/٢ .

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٠٩/١ .

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١١٨٣/٣ - ١١٨٤ ، لسان العرب لابن منظور ٦/٨ .

أي منشئها » .

وبدعت الركي : إذا استنبطها ، وركي بديع - حديث الحفر .

وتقول العرب : لست أبدع في كذا وكذا ، أي : لست بأول من أصابه هذا ، وهو من قوله - عزوجل - { قل ماكنت بدعا من الرسل }[1] .

تعريف البدعة في الاصطلاح :

اختلفت أقوال العلماء في تعريفها شرعا ويمكننا حصر تلك الأقوال في اتجاهين : -

الاتجاه الأول وأصحابه :

أصحاب هذا الاتجاه لاحظوا في تعريف البدعة المعنى اللغوي : فرأوا أن كل ما أحدث في الدين بعد عهد النبي ﷺبدعة ؛ إن وافق السنة فهو محمود ، وإن خالفها فهو مذموم[2] . - منهم :

قال الإمام الشافعي : البدعة بدعتان : محمودة ومذمومة ، فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم[3] .

وقال في موضع آخر : المحدثات ضربان :

أحدهما : ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثر أو إجماعا فهذه بدعة الضلال . الثاني : ما أحدث من الخير لايخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة[4] .

٢) - الإمام الخطابي - رحمه الله : قال في شرح قول : كل محدثة بدعة .

فإن هذا خاص في بعض الأمور دون بعض ، وكل شيء أحدث على غير أصل من أصول الدين ، وعلى غير عيادة وقياسة ؛ وأما ماكان منها مبنيا على

---

(١) سورة الأحقاف آية : ٩ ، جمهرة اللغة لابن دريد ٢٩٨/١ .

(٢) حلية الأولياء للأصفهاني ١١٣/٩ ، فتح الباري ٢٥٣/١٣ .

(٣) فتح الباري ٢٥٣/١٣ .

(٤) فتح الباري ٢٥٣/١٣ .

قواعد الأصول ومردودا إليها فليس ببدعة ولا ضلالة[١] .

٣) - قال الإمام الغزالي[٢] - رحمه الله - وهو يتحدث عن الأكل على السفرة .

« وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله ﷺ، فليس كل ما أبدع منهيا عنه ، بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة ، وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته ، بل الابتداع قد يجب في بعض الأحوال ، إذا تغيرت الأسباب »[٣].

٤) - قال ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) في شرحه لقول رسول الله ﷺ: « وإياكم ومحدثات الأمور » : أن المحدث على قسمين محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بمقتضى الإرادة فهذا باطل قطعا ، ومحدث يحمل النظير على النظير فهذه سنة الخلفاء والأئمة الفضلاء ، وليس المحدث والبدعة مذموما للفظ محدث وبدعة ولا لمعناها فقد قال الله تعالى : { ما يأتيهم من ذكر من ر م محدث }[٤] وقال عمر نعمت البدعة هذه ، وإنما يذم من البدعة ما خالف السنة ويذم من المحدثات مادعا إلى ضلالة)[٥] .

٥) - قال القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) في شرح قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : « نعمت البدعة » : كل ما أحدث بعد النبي ... ، فهو بدعة والبدعة فعل مالم يسبق إليه ، فما وافق أصلا من السنة يقاس عليها فهو محمود، وما خالف أصول السنن فهو ضلالة[٦] .

---

(١) معالم السنن في شرح سنن أبي دأود للخطابي ٣٠١/٤ .

(٢) هو محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، زين الدين ، حجة الإسلام ، أبو حامد ، متكلم « صوفي » فقيه أصولي ، توفى سنة ٥٠٥هـ ، من كتبه : إحياء علوم الدين ، المستصفى في أصول الفقه ، افت الفلاسفة . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢١٦/٤ - ٢١٩ ، تبيين كذب المفترى ص٢٩١ ، سير أعلام النبلاء ٣٢٢/٩ .

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٢ .

(٤) سورة الأنبياء الآية : ٢ .

(٥) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للإمام الحافظ ابن العربي المالكي ١٤٧/١٠ .

(٦) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢٠٨/١ - ٢١٩ .

الاتجاه الثاني :

وأصحاب هذا الاتجاه يرون أن كل فعل تعبدي لايستند إلى دليل من الكتاب أو السنة فهو بدعة ، وقد تنوعت عبارا م في ذلك والدلالة واحدة وأصحاب هذا الاتجاه جماعة منهم :

١) - شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : قال :

« البدعة : ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة ، من إعتقادات والعبادات »[١] .

وفرق بين البدعة اللغوية والبدعة الشرعية فقال :

أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها ، وهذه تسمية لغوية ، لاتسمية شرعية ، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل مافعل إبتداء من غير مثال سبق ، وأما البدعة الشرعية : فمالم يدل عليه دليل شرعي »[٢] .

٢) - وقال ابن رجب الحنبلي[٣] - رحمه الله : في بيان المراد بالبدعة الشرعية من قوله « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة »[٤] . قال والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، فأما ماكان له أصل من الشرع يدل عليه ، فليس ببدعة شرعا ، وإن كان بدعة لغة[٥] :

وقال في موطن آخر :

---

(١) مجموع فتأوى ابن تيمية ٣٤٦/١٨ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٥٨٩/٢ - ٥٩٠ ، وانظر كتاب الإمام الشاطبي عقيدته وموقفه من البدع وأهلها لعبدالرحمن آدم علي ص٣١٦ .

(٣) هو : عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود البغدادي ، الدمشقي ، زين الدين ، جمال الدين ، أبو الفرج ، محدث ، حافظ ، فقيه ، أصولي ، مؤرخ ، توفي سنة ٧٩٥هـ من كتبه : ذيل طبقات الحنابلة ، جامع العلوم والحكم ، القواعد في الفقه . انظر الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد لابن عبدالهادي ص٤٦ - ٥٣ ، وشذرات الذهب ٣٣٩/٦ .

(٤) رواه أبو داؤد (٤٦٠٧) ، والترمذي (٤٦٧٦) ، ورواه أيضاً أحمد (١٢٦/٤ - ١٢٧) .

(٥) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ١٢٧/٢ .

« وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع ، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية »[1].

يتبين لنا مماسبق وعرضناه من أقوال في كلا الاتجاهين أن هناك اتفاقا على أن ماكان موافقا للكتاب والسنة والإجماع فليس ببدعة وأن البدعة هي ما خالفت شيئاً منهما أو كانت المخالفة لهما معاً .

مفهوم البدعة لدى الشيخ ابن أبي زيد - رحمه الله - :

ليس لابن أبي زيد تفصيل وتقسيم للبدعة كما قسمه العلماء بل إنما أجمل في القول بما اتفق مع أقوال السلف وإن اختلف التعبير إلا أن مؤداه واحد ، وضبط الشيخ البدعة[2] وقال : (ما خرج عن الكتاب والسنة والإجماع ، وإ ا إحداث

(١) المصدر السابق ١٢٨/٢ .

(٢) البدعة في الشرع المطهر هي كل عبادة أحدثها الناس ليس لها أصل في الكتاب والسنة ولا في عمل الخلفاء الأربعة الراشدين ، لقوله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . البخاري ٢٦٩٧ ، ومسلم ١٧١٨) وقوله ﷺ: « من عمل عملا ليس عليه من أمرنا فهو رد » . مسلم ١٧١٨ - وقوله في حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا ا وعضوا عليها بالنواجد ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . مسند الإمام أحمد ١٢٦/٤ ، وأبو داؤد ٤٦٠٧ ، والترمذي ٢٦٧٦ ، وابن ماجة ٤٢ ، وصحيح الجامع ٢٥٤٦) والحديث في هذا المعنى كثير جداً ، وتطلق البدعة في اللغة العربية على كل محدث على غير مثال سابق لكن لايتعلق ا حكم المنع إذا لم تكن من البدع في الدين . أما في المعاملات فما وافق الشرع منها فهو عقد شرعي ، وما خالفه فهو عقد فاسد ولايسمى بدعة في الشرع لأنه ليس من العبادة - مجموع فتأوى سماحة الإمام ابن باز ٨٣٧ .

ب* - وأما قول الشيخ في تعريف البدع بمعنى إحداث شيء من قول أو فعل أو عمل لم يسبقه إليه سلف ، فإنه يشير إلى ضابطها شرعا بأنه التعبد لله بما لم يشرعه الله » . وإن شئت فقل : التعبدلله تعالى بما ليس عليه النبي عليه الصلاة والسلام ، ولا خلفاؤه الراشدون ، فالتعريف الأول مأخوذ من قوله تعالى: { أم لهم شركاؤ شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله } (سورة الشورى الآية : ٢١) .

والتعريف الثاني : مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا ا وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور » . (مسند الإمام أحمد ١٢٦/٤ ، وأبو داؤد ٤٦٠٧ ، والترمذي ٢٦٧٦ ، وابن ماجة ٤٢ ، وصحيح الجامع ٢٥٤٦).

⇦

شيء من قول أو عمل أو تأويل لم يسبقه سلف)[1] .

وهذا الذي ذكره الشيخ في كتابه الجامع الذي كانت بدايته : « باب ذكر السنن التي خلافها البدع وذكر الاقتداء والاتباع وعد كلها من السنة وما نأوأ ذلك فهو البدعة ، وهو ذا يرى أن كلا من القول والعمل يجب أن يكونا معروضين على السنة فما وافقها فهو المطلوب وما خالفها لم يلتفت إليه وكان معصية أو قريبا منها .

ونرى أن الشيخ ألف في السنة مخبرا عنها فقط منبها عند الاقتضاء على أن البدع خلافها وداعيا إلى مجانبة أهلها .

الثاني : ذكر الشيخ أنه ما من قول يقوله أو تأويل من محتمل تنأوله فعن سلف سابق ذكره أو من أصل من الأصول المذكورة استنبطناه ..[2] .

فكل من تعبد الله بشيء لم يشرعه الله ، أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه . أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعرف فهذه لاتسمى بدعة في الدين ، وإن كانت تسمى بدعة في اللغة . ولكن ليست بدعة في الدين وليست هي التي حذر منها رسول الله ﷺ وليس في الدين بدعة حسنة أبدا ، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع ، وهذه تشمل أن يبدأ الإنسان بالسنة ، يبدأ العمل ا ، أو يبعثها بعد تركها ، أو تفعل شيئا بسنة يكون وسيلة لأمر متعبدبه فهذه ثلاثة أشياء :

الأول : اطلاق السنة على من ابتدأ العمل ويدل له سبب الحديث ، فإن النبي ﷺ حث على التصدق على القوم الذين قدموا عليه ... وهم في حاجة وفاقة ، فحث على التصدق فجاء رجل من الأنصار بصرة من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل ا)) مسلم ١٠١٧ . فهذا الرجل سن سنة ابتداء عمل لا ابتداء شرع .

الثاني : السنة التي تركت ثم فعلها الإنسان فأحياها ، فهذا يقال عنه سنها بمعنى أحياها وإن كان لم يشرعها من عنده .

الثالث : أن يفعل شيئا وسيلة لأمر مشروع مثل بناء المدارس ، وطبع الكتب فهذا لايتعبد بذاته ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هذا داخل في قول النبي ﷺ: « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل ا » مسلم ١٠١٧ ، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢٩١/٢ رقم ٣٤٦ .

(١) النوادر والزيادات ورقة ٢ جـ ١ ، ظ ٢ .

(٢) المصدر السابق جـ ١ : ورقة ٢ رقمه ٤٨٥١ .

ومقتضى ذلك أن ميزان صحة القول عنده كونه وفق ما ذكر السلف وعلى حسب استنباطهم من الأصول المقررة أي الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

الثالث : والتسليم للسنن فلا تعارض برأي ولاتدفع بقياس ؛ وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه وما عملوا به عملناه وما تركوا تركناه ؛ ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بينوا ونقتدي م فيما استنبطوه ، ورأوه في الحوادث ولانخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله. وكل ماقدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس على ما بيناه[1] .

كذلك فقد كان ابن أبي زيد يرى أن الحكم الذي حكم به كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، هو الحكم المعتبر الذي لايعلى عليه غيره وهو الذي يمنع الناس عن الميل يمينا ويسارا كدأب أهل البدع والأهواء حيث يرون أن ماذكره الله - عزوجل - في كتابه وسنة نبيه ﷺدون ما هد م إليه عقولهم وأ ا تفوق كل ما يتصوره الإنسان . ولذلك يجعلون دينهم غرضا للخصومات وأكثروا التنقل والميل إلى الجدل والرأي واللعب بالدين وكان الشيخ يحذر من الاستماع إلى أهل الأهواء أو الجدل خشية أن تعلق الشبهة فيصعب إزالتها...[2].

---

(١) الجامع ١٤٨ - ١٤٩ ، بتحقيق عبدا يد تركي .

(٢) المصدر السابق ١٥٢ .

المبحث الثاني :

دعوته لمقاطعة المبتدعين :

يرى الشيخ أن مدار السعادة في الدارين للإنسان وفوزه وفلاحه في الحياتين، يعتمد على مدى اعتصامه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺلأ نهما النوران اللذان يضيئان للإنسان طريقه وهو يعبر دروب الحياة ومجاهيلها .

ويقرر ذلك بقوله أن الحكم الذي حكم به كتاب الله أو سنة رسوله ﷺهو الحكم المعتبر الذي لايحكم بغيره ، هو الحق ، وأن أي عمل أو اجتهاد عري عن الكتاب والسنة عرضه للخطأ والطعن فيه .

ويرى أن الرسول عليه الصلاة والسلام توفي بعد إكمال الدين فينبغي علينا اتباع آثاره ولانبتدع شيئا ...[1] .

ويكرر ويؤكد في مكان آخر على ضرورة الاتباع لكتاب الله وسنة رسوله ويبين أن الابتداع ضار للدين ومخالفة صريحة للكتاب والسنة حيث حذر الشارع عنه ويعني الشيخ بذلك أن كل ما خالف الكتاب والسنة من الآراء ليس بمذهبه وإنما مذهبه ما وافقهما ودعم قوله بمقالة عمر - رضي الله عنه - قال : « قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة إلا أن تميلوا بالناس يمينا وشمالاً »[2] .

وما يقرره الشيخ ابن أبي زيد هو ما انتهى إليه أئمة أهل السنة والجماعة فهم يرون أن الاعتصام بهما والعمل بهديهما واتباعهما في جميع قضايا الدين - أصوله وفروعه - هو سبيل النجاة وطريق الفوز والفلاح ولذا ، نجد الشيخ ابن أبي زيد من أشد الناس كراهة للمبتدعين ويشير على ضرورة مقاطعتهم وكان إذا ذكر عنده الزائغون في الدين كثيرا ما يردد قولا لعمر بن عبدالعزيز ، ويذكر به ، عندما يذكر له أهل البدع والأهواء يقول : « قال عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - : سن رسول الله - ﷺ - وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها . من اقتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً »[3] .

---

(١) المصدر السابق ١٥١ بتصرف يسير .

(٢) كتاب الجامع ١٥٢ .

(٣) كتاب الجامع ١٤٩ .أخرجه مصنف لابن أبي شيبة٧٣٩/٨،الآجري في الشريعةجـ ١:
⇦

وذكر في مكان آخر ما يدل على ضرورة مقاطعة أهل الأهواء والبعد عن الابتداع وهو ما رواه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - من كان مستنا فليستن بمن قد مات : أولئك أصحاب محمد - ﷺ- كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا . قوم اختارهم الله لصحبة نبيه - عليه السلام - وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإ م كانوا على الهدى المستقيم »[1] .

وكان الشيخ يرى أن أصحاب البدع يجعلون دينهم غرضا للخصومات ولذلك يحذر عن الاستماع إلى أهل الأهواء خوفا أن تعلق الشبهة فيصعب إزالتها وكان يقول : كان يقال لاتمكن زائغ القلب من أذنيك ما تدري ما يعلقك من ذلك[2] ! وقال الشيخ : ولقد سمع رجل من الأنصار من أهل المدينة شيئا من بعض أهل القدر ، فعلق بقلبه فكان يأتي إخوانه الذين يستنصحهم فإذا وه قال : فكيف بما علق في قلبي ؟ ...[3] .

ويرى الشيخ أن تقوى الله وحسن المتابعة هي التي تنجي العبد من هذه الأهواء ونقل عن الإمام مالك - رحمه الله تعالى - ما نصه : ولقد قال رجل : لقد دخلت هذه الأديان كلها فلم أر شيئا مستقيما ! فقال له رجل من أهل المدينة من المتكلمين : أنا أخبرك لم ذلك ؟ لأنك لاتتقي الله - تعالى - ولو اتقيته لجعل الله لك مخرجا ! »[4] .

ومما تقدم نرى أن ابن أبي زيد يغلق تماما دائرة الابتداع لما فيه من الباطل والمخالفة لكتاب الله والسنة والاجماع وأ ا لو كانت علما لتكلم فيها الصحابة

١٧٤وابنعبد البر في جامع بيان العلم وفضله١١٧٦/٢.

(١)حلية الأولياء ٣٠٥/١ - ٣٠٦ ، وذكره البغوي عن ابن مسعود ٢١٤/١ ، روى ذلك ابن بطة كما في منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية بإسناده إلى عبدالله بن مسعود انظر منهاج السنة ١٦٦/١ .

(٢) الجامع ص١٥٢ .

(٣) المصدر السابق ص١٥٢ .

(٤) المصدر السابق ص١٥٢ - ١٥٣ .

والتابعون ، كما خاضوا في الأحكام ولكنها باطلة وذكر ابن أبي زيد عن الإمام مالك ابن أنس فقال : قال مالك بن أنس : « إياكم والبدع ، قيل : يا أبا عبدالله وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان »[1] .

النصوص الواردة من القرآن والسنة في ذم الابتداع وأهله :

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات في ذم الابتداع وأهله : -

١) - منها قوله تعالى : { ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدي القوم الظالمين }[2] . أي : من ابتدع في الدين فقد سلك غير طريق الهدى دون أي برهان مأخوذ من كتاب أو سنة .

وقوله تعالى في حق نبيه داود عليه الصلاة والسلام - :

٢) - { يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب }[3] أي : أوجب الله الحكم بمقتضى ما أنزله الله تبارك وتعالى وما خرج عن كتاب وسنة يعتبر عدولا وميلا وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله بالوعيد الأكيد والعذاب الدائم الشديد[4] .

والآية تبين لنا خطورة البدع في الدين مع أن الله - عزوجل - أكرم نبيه دأوود عليه الصلاة والسلام وجمع له فضلين ، فضل النبوة والخلافة ومع ذلك لم يرض له أن يبتدع شيئاً في الدين ولو كان الابتداع محمودا لسبقنا إليه أنبياء الله عليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم .

---

(١)رواه الصابوني في عقيدة السلف (ص٥٤) وذكره الزوأوي في مناقب مالك ص١٤٧ ، وانظر كتاب الجامع لابن أبي زيد القيرواني ص١٥٢ بتحقيق عبدا يد تركي .

(٢) سورة القصص آية : ٥٠ .

(٣) سورة ص آية : ٢٦ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٢/٤ .

ومن السنة : -

عن عائشة رضي الله عنها قالت :

٣) - قال رسول الله ﷺ:

« من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » . وفي رواية : « ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » . متفق عليه[١] .

٤) - عن النبي - ﷺ- أنه قال : « من رغب عن سنتي فليس مني »[٢] .

٥) - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ، : « أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دوني، فأقول : يا رب أصحابي ، فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك » . متفق عليه[٣] . ولا شك أن الذين يذادون عن حوضه ﷺهم أهل البدع والأهوء لأ م ابتدعوا من تلقاء أنفسهم مالم يأذن به الله واعتدوا بالكلام وتركوا الكتاب والسنة وجعلوا إمامهم عقولهم .

أقوال السلف الصالح في ذم البدع والأهواء :

لقد حذر السلف - رضوان الله عليهم - من البدع ، وكذلك أشار العلماء وفقهم الله - إلى خطور ا ، وبينوا أنواعها ، فكتب العالم السلفي محمد بن وضاح كتابا بعنوان : « البدع والنهي عنها » وغيره . وروى عن السلف رضوان الله عليهم - آثارا تدل على أنواع من البدع ، وتدل على تحذيرهم منها ، حتى

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب الصلح : باب إذا اصطلحوا على صلح جور ، فالصلح مردود . ٣٠١/٥ رقم ٢٦٩٧ ٠ مع فتح الباري .

(٢) أخرجه مطولا من حديث أنس بن مالك : البخاري : كتاب النكاح : باب الترغيب في النكاح ١٠٤/٩ رقم ٥٠٦٣ - مع فتح الباري .

(٣) أخرجه البخاري : كتاب الرقاق : باب في الحوض ٤٦٣/١١ رقم ٦٥٧٥ و٦٥٧٦ - مع الفتح

لو كانت صغيرة :

منها ما رواه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه خرج على حلقات في المسجد وفيهم رجل في كل حلقة يقول لهم : سبحوا مائة ، فيسبحون ، ويقول : كبروا مائة ، فيكبرون ، لذا ، قال لهم ابن مسعود : إنكم لخير من أصحاب رسول الله ﷺأو على باب من أبواب الضلالة ، أي : أن فعلكم هذا ما فعله الصحابة - رضي الله عنهم - فهل أنتم خير من الصحابة ؟ إن كنتم خيرا من الصحابة فأتوا بالدليل ، وإلا فأنتم على باب ضلالة . وقال لهم ابن مسعود : عدوا سيئاتكم فأنا ضامن ألا يضيع شيء من حسناتكم .

فأنكر عليهم هذه البدعة اليسيرة ، وهي الذكر الجماعي ، ورفع الصوت به بصوت واحد .

وسار على النهج بقية السلف - رضوان الله عليهم أجمعين ، وعن عثمان الأزدي قال :

١) - دخلت على ابن عباس - رضي الله عنهما فقلت له : أوصني ؟ فقال : « عليك بتقوى الله ، والاستقامة اتبع ، ولاتبتدع »[(١)].

٢) - وروى البيهقي عن ابن عباس - رضي الله عنهما أنه قال : « إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع ، وإن من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور »[(٢)].

٣) - قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله - : « أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره ، واتباع أمر رسول الله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعده [(٣)]

٤) - وعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال : كل بدعة ضلالة ، وإن رآها

---

(١) ذكره البغوي في شرح السنة ٢١٤/١ .

(٢) أخرجه البيهقي : السنن الكبرى ٣١٦/٤ .

(٣) أخرجه أبو دأود : كتاب السنة : باب لزوم السنة ٢٠٢/٤ - ٢٠٣ رقم ٤٦١٢ وأبو نعيم : حلية الأولياء ٣٣٨/٥ .

الناس حسنة[1] .

٥) - قال سفيان الثوري - رحمه الله - : « البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية يتاب منها ، والبدعة لايتاب منها »[2].

٦) - وقال الفضيل بن عياض :

« من جلس إلى صاحب بدعة ، أحبط الله عمله ، وأخرج نور الإيمان - أو قال الإسلام - من قلبه »[3].

٧) - قال الإمام مالك بن أنس : « بئس القوم هؤلاء أهل الأهواء ، لايسلم عليهم »[4].

٨) - قال الإمام الشافعي : حكمي في أصحاب الكلام - باعتباره يرى أن ذلك بدعة - أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ، ويطاف م في العشائر والقبائل ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأخذ في الكلام[5] .

ما تقدم آنفا بيان لموقف السلف من الصحابة والتابعين وتطبيقهم لهذا المنهج وتحذيرهم من الجلوس عند المبتدعة ، والسبب في ذلك هو الخوف من الانغماس في ضلالتهم أو التلبيس عليهم ، وإمراض القلوب الناتج عن الجلوس معهم والفتنة في الدين التي قد تحصل وينتج عنها إدخال شبهة بسبب سماع كلامهم .

وقد سلك الإمام ابن أبي زيد - رحمه الله - نفس منهج السلف في هجر أهل البدع والأهواء ، و ى عن مجالستهم أو مكالمتهم أو السلام عليهم . كما يحث الناس على الاتباع ومجانبة أهل البدع والأهواء وأن الله - عزوجل - أنقذ البشر دي نبيه ﷺ بعد أن أوشكوا على الدخول في شفا حفرة من النار وأكمل الله به دينه وبلغ رسالة ربه وأوضح كل مشكلة وكشف كل معضلة وأبقى

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٩٢/١ .

(٢) المصدر السابق ١٣٢/١ .

(٣) المصدر السابق ١٣٨/١ .

(٤) ذكره البغوي في « شرح السنة » ٢٢٩/١ .

(٥) أخرجه أبو نعيم : حلية الأولياء ١١٦/٩ ، والبغوي في « شرح السنة » ٢١٨/١ .

كتاب الله - عزوجل - لأمته نورا مبينا ، وسنته حصنا حصينا ، وأصحابه حبلا متينا . وعضد كلامه بما قاله الرسول ﷺ- : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه »[1] . وقال - عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ! عضوا عليها بالنواجذ ! وإياكم ومحدثات الأمور ! فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[2]

وذكر الشيخ أن الرسول - ﷺ- « حذر أمته بهذا الحديث من الفتن والأهواء والبدع ومن زلة العالم »[3].

ةقال الشيخ : « لاتسلم على أهل الأهواء ولاتجالسهم إلا أن تغلظ عليهم ! ولا يعاد مريضهم ولا تحدث عنهم الأحاديث »[4].

المبحث الثالث :

حكمه على أهل البدع والأهواء :

---

(١) موطأ (قدر) ترمذي (مناقب) ابن حنبل . المعجم ٥١٦/٣ .

(٢) المعجم ٤٣٥/١ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة : ترمذي (علم) أبو داؤد (سنة) ابن ماجة .

(٣) كتاب الجامع ص١٣٨ .

(٤) الجامع ص١٥٧ ، وانظر البيان والتحصيل ٢١٠/١٨ ، وذكره القرطبي في تفسيره ٣٠٨/١٧، والآية في سورة المجادلة رقم (٢٢) .

اشتهر في كتب أهل السنة قديما وحديثا ، التحذير من البدع والتنفير من أهلها بكل صوره وأشكاله ، ذلك لما في البدع من خطر عظيم على المسلم في دنياه وأخراه . كما وضح لنا ذلك فيما تقدم .

ولعل من أشد ماجاء عنهم في هذا الباب ، ماتضمنته بعض الآثار عن السلف الأول ، وتصريح العلماء من بعدهم من ترك السلام على أهل البدع وترك مجالستهم ومخالطتهم في المساكن والأعمال ، وكل ما يفضي إلى الاتصال م ومحادثتهم ، فإن ذلك من أسباب الأنس م وغير ذلك من الأمور التي قررها الشارع إزاءهم .

وفي الحقيقة فإن هذه المسألة من المسائل المهمة في الدين - أعني معرفة أحكام أهل البدع فهي لاتقل شأنا عن مسألتي التكفير واللعن ، لما يترتب على تقريرها في حق المبتدع من آثار وأحكام خطيرة في الدنيا والآخرة لاتقل خطورة عن الحكم بتكفيره أو لعنه ، ذلك أن المسلم بدون عمل لأوزن له ولا قيمة لحياته بل إنه لايكون مسلما إلا بالعمل ولا عمل معتبر إلا ماكان في إطار من الشرعية الدينية.

وظاهر الأمر أن البدعة قد يفسد ا عمل المبتدع كله رغم كو ا بدعة فرعية لكفره ا ، ولايفسد عمل آخر ببدعة أصلية لكو ا غير مكفرة ، بل إنه قد يجتمع في مبتدعين بدعة واحدة - وهي من البدع المكفرة - فيحكم على أحدهما بعدم قبول العمل كله لكفره ا بعد قيام الحجة عليه ، ولايحكم على الآخر بذلك لعدم كفره بسبب عدم قيام الحجة عليه .

فالبدعة إذن من حيث هي لايتصور أن تكون سببا في عدم قبول شيء من الأعمال إلا إذا كانت من قبيل البدع المكفرة أو أن يكون للبدعة تأثير مباشر على صحة عمل آخر من أعمال المبتدع ، كأن تكون سببا في ذهاب أحد شروط القبول العامة لكل عمل ، من الإخلاص والمتابعة أو أن تكون سببا في ذهاب أحد شروط صحة ذلك العمل من ترك ركن من أركان أو واجب من واجباته ، فإ ا حينئذ تكون سببا في عدم قبول تلك الأعمال التي كان لها تأثير في الذهاب بشروط قبولها دون غيرها من أعمال المبتدع ، التي ليس لها تأثير في

الذهاب بشروط قبولها دون غيرها من أعمال المبتدع. فظهر أن تسبب بعض البدع الكلية في إفساد غيرها من الأعمال المتعلقة ا يرجع عند التحقيق لكو ا قد أخلت بشروط الصحة لتلك الأعمال لالكو ا أصلية أو لسبب ماانتج عنها من ضعف في الاعتقاد عند ذلك المبتدع . وهذا مافهم من كلام بعض السلف بدليل عدم اطراد ذلك الفساد في كل أعمال صاحب تلك البدعة .

وهناك قول آخر للسلف : وهو أن المراد من عدم القبول لأعمال أهل البدع هو ما ابتدعوا فيه خاصة ، والقطع بأنه على ظاهره وهو بطلان ذلك العمل الذي دخله الابتداع .

بناء على النصوص المتقدمة لدى ابن أبي زيد - رحمه الله - نرى أنه يرى أن قبول أي عمل لابد له من توفر شرطين أساسيين هما الإخلاص والمتابعة وإن خلو العمل من أحدهما يجعل العمل مردودا على صاحبه كما أن الزيادة تتنافى مع الإخلاص والمتابعة .

وقد صنف الشيخ ابن أبي زيد المبتدعين إلى صنفين ، الصنف الذي يدعو إلى بدعته فيرى قتلهم في دارهم .

والأصل في ذلك قوله تعالى :

{ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر ا ويستهزأ ا فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذا مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا }[1] الآية .

ووجه الدلالة أن الله عزوجل يصور لنا حالة المعارضين أ م إذا سمعوا كلام الله لاتقشعر جلودهم ولا ينفذون أوامره بل يؤولونه تأويلا على غير المراد وفقا لأهوائهم و ذا الصنيع سماهم الله بالكافرين لبدعهم وكل من كان هذا شأ م فلا يجوز القعود معهم لإطلاق الكفر عليهم وحد الكفر القتل .

وأما الصنف الثاني فهم المبتدعون غير الداعين إلى البدعة فيرى هجرهم ،

(١) سورة النساء آية : ١٤٠ .

والنهي عن مجالستهم ، أو مكالمتهم ، أو السلام عليهم ، أو الصلاة خلفهم ، أو عيادة مرضاهم . يقول ابن أبي زيد : « لاتسلم على أهل الأهواء ، ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم ! ولا يعاد مريضهم ولا تحدث عنهم الأحاديث »[1].

ويقول : « والذي أقول به أ م إن بانوا بدارهم ودعوا إلى بدعتهم قوتلوا ، وإن لم يبينوا بدارهم ويدعوا إلى بدعتهم فإ م لايسلم عليهم ولا يناكحوا ولايعاد مريضهم ولا تشهد جنائزهم أدبا لهم ويؤدبون ويسجنون حتى يرجعوا عن بدعتهم ، كما فعل عمر بصبيغ ويرثهم ورثتهم إن ماتوا كما أنه لابأس أن يصلى عليهم »[2].

وما ارتضاه ابن أبي زيد هو موقف السلف من الصحابة والتابعين وقد هجر النبي ﷺعددا من الصحابة بسبب أمور صدرت منهم وأنكرها عليهم رسول الله ﷺ. وقد حذر السلف من الجلوس أو المناظرة مع المبتدعين ، والسبب في ذلك هو الخوف من الانغماس في ضلالتهم أو التلبيس عليهم ، وامراض القلوب الناتجةعن الجلوس معهم والفتنة في الدين التي قد تحصل وينتج عنها إدخال شبهة بسبب سماع كلامهم .

ويدل على ذلك أيضاً تعليق ابن أبي زيد - رحمه الله تعالى - في ا لس الذي جمع الفرق كلها المسلمين من أهل السنة وأهل البدعة والكفار من ا وس والدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر أجناس الكفر واتفقوا على رفض احتجاج المسلمين عليهم بكتا م وقول نبيهم وقالوا فإنا لانصدق بذلك ولانقر به وإنما نتناظر بحجج العقل وما يتحمله النظر والقياس فقال ابن أبي زيد - رحمه الله - : « ورضي المسلمون ذا من الفعل والقول وكان يتعجب من ذلك وقال : ذهب العلماء وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين والكفار ؟ وهذا لايجوز أن يفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالإسلام وبمحمد عليه السلام وإنما يدعي من كان على بدعة من

---

(١) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص١٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص١٥٨ .

منتحلي الإسلام إلى الرجوع إلى السنة والجماعة فإن رجع قبل منه وإن أبى ضربت عنقه ...[1] .

و ذا النص لمسنا مدى تألم أبي محمد ابن أبي زيد على مايقع في مجالس الكلام من مروق على الدين ومن تحد لتعاليمه ومبادئه وإن الشيخ ابن أبي زيد يعامل المبتدعين معاملة الكفار في ضرب العنق إن أصروا على البدعة وأبوا الرجوع إلى السنة .

وسئل ابن أبي زيد عن السلام على المبتدعين فقال لايسلم عليهم ولاتجالسهم إلا أن تغلظ عليهم ، ولايعاد مريضهم ولاتحدث عنهم الأحاديث[2].

وقد بوب الشيخ ابن أبي زيد في نوادره حكم الصلاة خلف أهل البدع ويقول : « ولا أحب الصلاة خلف الإباضية والواصلية ولا السكنى معهم في بلد، وإذا كان المسجد إمامه قدري فلا بأس أن يتقدمه إلى غيره فإن غشيه في محله فلا أحب أن يصلي خلفه »[3].

ويقول : « ومن صلى خلف أحد من أهل الأهواء أعاد أبدا إلا أن يكون هو الوالي الذي تؤدي إليه الطاعة أو قاضيه أو خليفته على الصلاة أو صاحب شرطة فيجوز أن يصلي خلفهم الجمعة وغيرها ومن أعاد في الوقت منهم فحسن » ..[4] .

ويقول : « ومنع الصلاة خلفهم داعية إلى الخروج من طاعتهم ومسبب إلى الدماء والفتن وقال : وقد صلى ابن عمر خلف الحجاج وخلف نجدة الحروري حين وادع ابن الزبير »[5].

وما ذكره الشيخ هو موقف الإمام مالك وسائر السلف الصالح وقد سئل

---

(١) جذوة المقتبس ١٠٩/٢ - ١١٠ .

(٢) الجامع ص١٥٧ .

(٣) النوادر والزيادات ورقة ٦٢ .

(٤) المصدر السابق ص٦٢ ورقة .

(٥) المصدر السابق ونفس الصفحة .

الإمام مالك بن أنس عن مجالسة القدرية وكلامهم ، فقال : لا تكلمهم ولاتقعد إليهم إلا أن تجلس إليهم تغلظ عليهم . وقيل له : إن لنا جيرانا لا أكلمهم ولا أخاصمهم ؟ فقال : لاتجالسهم ؟ عادهم في الله ، يقول الله عزوجل : { لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله }[1] فلا توادهم[2].

وقال ابن القاسم : سئل مالك عن أهل القدر : أيسلم عليهم ؟ قال : لايسلم عليهم[3] .

وهذا أيضاً هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وقال في الصلاة خلف أهل البدع والأهواء والفجور : والتحقيق أن الصلاة خلفهم لاينهي عنها لبطلان صلا م في نفسها ، لكن لأ م إذا أظهروا المنكر استحقوا أن يهجروا والا يقدموا في الصلاة على المسلمين ، ومن هذا الباب ترك عياد م وتشييع جنائزهم كل هذا من باب الهجر المشروع في إنكار المنكر للنهي عنه[4].

---

(١) سورة ا ادلة آية : ٢٢ .

(٢) البيان والتحصيل ٢١٠/١٨ ، وذكره القرطبي في تفسيره ٣٠٨/١٧ .

(٣) البيان والتحصيل ١٤٩/١٨ ، وترتيب المدارك ٤٧/٢ ، وذكره ابن أبي زيد في الجامع ص١٥٧ .

(٤) منهاج السنة ٦٣/١ .

الفصل الثاني :

مقاومته للبدع في العادات

وفيه أربعة مباحث :

١) - الرقى .

٢) - التمائم .

٣) - الطيرة .

٤) - التولة .

الفصل الثاني : مقاومته للبدع في العادات .

المبحث الأول : الرقى ، وموقف ابن أبي زيد منها :

أفرد ابن أبي زيد الرقي بالذكر لما رأى من كثرة االمتصدرين لها لابتزاز أموال الضعفاء من المرضى وكسب الشهرة حتى عرفوا بين الناس ، وظل يشار إليهم بالبنان . وتشد إليهم الرحال من شتى الأقطار لأجل الرقية على المرضى فتعلق م الناس وظنوا أن الفائدة الحقيقية في القارئ دون النظر في المقروء إن كان مشروعا أو ليس بمشروع لاسيما مع ضعف الإيمان ، وعدم التوكل على الله - عزوجل - وغلبة الجهل ، وانتهز المشعوذون الدجالون تلك الفرص للتلاعب بعواطف المرضى وأوليائهم ، فتظاهروا في صورة العلماء العاملين الربانيين ، وهم في الحقيقة أخلط الناس الحق بالباطل وألبسهم على السذج .

وبادئ الأمر أود أن أنبه القارئ أن هناك الرقية الشرعية التي أجازها الشارع لاستمدادها من الكتاب والسنة أن هناك وما يضادالرقى الشرعيةكالاستغاثة بغير الله من المخلوقات مقرونة بالألفاظ الشركية التي تتنافى مع الرقى الشرعية، فالسلف الصالح - رضوان الله عليهم - كانوا يعالجون مرضاهم بالرقي الشرعية كما سيأتي ، وهذا هو مذهب ابن أبي زيد رحمه الله تعالى .

حد الرقية : قال ابن منظور في اللسان : والرقية : العوذة ، معروفة ، قال رؤبة :

فما تركا من عوذة يعرفا ا ولا رقية إلا ا رقاني(١)

وقال فيه أيضاً **:** والعوذة والمعاذات والتعويذ : الرقية ، يرقي ا الإنسان من فزع أو جنون ، لأنه يعاذ ا وقد عوذه ، يقال عوذت فلانا بالله ، وأسمائه ،

---

(١) اللسان لابن منظور ٣٣٢/١٣ .

وبالمعوذتين ، إذا قلت : أعيذك بالله ، وأسمائه من كل ذي شر[1] .

فيظهر مما تقدم أنه فسر الرقية : بالعوذة ، وأصل العوذة والعياذ هو الالتجاء والاعتصام .

قال الليث : يقال : فلان عوذ لك أي ملجأ ، وفي الحديث : « إنما قالها تعوذا » أي : إنما أقر بالشهادة لاجئا إليها ، ومعتصما ا ليدفع عنه القتل وليس بمخلص في إسلامه[2] . فكأن الراقي التجأ إلى الرقية ، أو التجأ إلى من جعل الرقية سببا للشفاء ، أو المرقي التجأ إلى الراقي ، كما قال الله تعالى : { كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق }[3] في أحد التفسيرين في الآية كما روى عن ابن عباس وأبي قلابة[4] . وإلا فالرقية قد ترد وليس فيها لفظ التعويذ والالتجاء .

وفي **الشرع :** القراءة على المريض مع النفث أو المسح باليد إما بالقرآن أو بالأدعية المأثورة ، كما هو المفهوم من الأحاديث الواردة في الرقية[5] .

ويرى ابن أبي زيد جواز الاسترقاء من العين وغيرها والتعوذ ..[6]،وقد عقد الشيخ باباً في كتابه " الرسالة " في التعالج وذكر الرقى والطيرة والنجوم .. ويقول:" لابأس بالاسترقاء من العين وغيرها والتعوذ والتعالج وشرب الدواء والكي، والحجامة حسنة والكحل للتداوي للرجال جائز، وهو من زينة النساء ، ولا يتعالج بالخمر ولابالنجاسة ولابما فيه ميتة،ولابشئ مما حرم الله سبحانه وتعالى ،ولابأس بالإكتواء والرقي بكتاب الله وبالكلام الطيب ،ولابأس بالمعاذةتعلق وفيها القرآن..[7]"

---

(١) المرجع السابق ٤٩٩/٣ ، وانظر النهاية لابن الأثير ٢٥٤/٢ ، ٣١٨/٣ .

(٢) المرجع السابق ٤٩٩/٣ .

(٣) سورة القيامة الآيتان : ٢٦ و٢٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٠٧/٨ .

(٥) الفتأوى لابن تيمية ١٨٢/١ ، ٣٢٨ ، والقاموس المحيط ١٥١/٤ .

(٦) الرسالة مع شرحها ص٥١٩ .

(٦) الرسالة٥١٩.

وتابعه على هذا القول الداودي[(١)] . وقول ابن أبي زيد هذا يمثل في هذا المقام أحد القولين في جواز الاسترقاء من العين أو منعه وليس من باب ذكر الأفضلية وذلك بمقتضى قول الرسول ﷺ وفعله وفعل أصحابه بعده فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس في حديث طويل : « .... إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ... »[(٢)] . وتأول أبوبكر الصديق كان يسقط السوط من يده فلا يقول لأحد نأولني إياه ويقول : إن خليلي أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً[(٣)] .

تنبيه: في الحديث دلالة على جواز طلب المساعدة والاسترقاء من الغير وإن كان المنع أولى .

وفي الصحيحين أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب »[(٤)] . وقال : « هم الذين لايسترقون ولا يكتوون ولايتطيرون وعلى ر م يتوكلون » . فمدح هؤلاء بأ م لايسترقون ، أي لايطلبون من أحد أن يرقيهم ، والرقية من جنس الدعاء فلا يطلبون من أحد ذلك وإن طلب الإنسان من غيره ذلك فلا بأس لكن خلاف الأفضل[(٥)] .

وذكر ابن أبي زيد للرقي شروطا :

١) - أن تكون بشيء طاهر ، ويخرج من هذا القيد الخمر ، النجاسة ، والميتة .

٢) - أن تكون بشيء حلال لابشيء حرمه الله سبحانه وتعالى .

٣) - أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته .

---

(١) مسلم مع شرح النووي ٩١/٣ .

(٢) الترمذي ٦٦٧/٤ ، باب ٥٩ ، كتاب صفة القيامة رقم ٢٥١٦ .

(٣) مجموع فتأوى ابن تيمية ١٨٢/١ .

(٤) مسلم مع النووي ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب ٩٠/٣ .

(٥) انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢٣٤/٢ ، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ص٣٨٠ - ٣٨٥ ، وزاد المعاد ١٥/٤ - ١٦ ، كتاب منهج الإمام مالك في العقيدة ٣٣٩ .

٤) - أن تكون بالكلام الطيب وذلك باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره .

٥) - أن يعتقد أن الرقية لاتؤثر بذا ا بل بإذن الله تعالى[١] .

ماذهب إليه ابن أبي زيد هو وإن كان مما يصعه بعض أهل البلاد الإسلامية حيث يأتون ببعض ما يباع لدى العطارين مما يسمى (الناسوخة) ويقرأ عليها ثم يمرر ا على جسد من يراد رقيته ثم توضع في النار لإحراقها . ومن يصنع هذا الصنيع يرى أنه ذا رفع عن من رقى أذى الشيطان وكيد كل كائد من البشر . وهذا من البدع التي لا أصل لها ، فيما أرى ومن حدود ما أطلعت عليه .

ونقل الإمام النووي عن الإمام الخطابي ما نصه : وإنما جاءت الكراهة منها لما كان بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفرا أو قولا يدخله الشرك قال : ويحتمل أن يكون الذي كره من الرقية ماكان منها على مذاهب الجاهلية في العوذ التي كانوا يتعاطو ا ويزعمون أ ا تدفع عنهم الآفات ويعتقدون أ ا من قبل الجن ومعونتهم ...[٢] .

أدلة ابن أبي زيد على جواز الرقى من السنة :

قال الشيخ إن الرقي الظاهر الحسن كرقي سيد الحي بالفاتحة ونحوها من الكتاب والسنة أحب إلينا أن يدعى به[٣] . واستدل بحديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺكانوا في سفر فمروا بحي من أحياء العرب ، فاستضافوهم فلم يضيفوهم ، فقالوا لهم : هل فيكم راق ؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب ، فقال رجل منهم : نعم ، فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب

(١) الرسالة لابن أبي زيد ٥١٩ ، المنتقى للباجي ٢٥٧/٧ ، صحيح مسلم بشرح النووي ٩٣/٣ ، النهاية لابن الأثير ٢٥٤/٢ - ٢٥٥ ، فتح الباري ٩٥/١٠ ، تيسير العزيز الحميد ١٣٦ ، فتح ا يد ص١٣٤ - ١٣٥ ، معارج القبول ٤٦٩/١ .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم ٩٣/٣ .

(٣) النوادر والزوبادات ، باب مسائل الصلاة جـ ١ ورقة ٣٩ ظ ، وفتأوى البرزلي ٣٦٩/٤ .

فبرأ الرجل ، فأعطي قطيعا من غنم ، فأبى أن يقبله ، وقال : حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : يا رسول الله ، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب ، فتبسم وقال : « وما أدراك أ ا رقية ؟ » . ثم قال : خذوا منهم وأضربوا لي بسهم معكم »[1] .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن جبرئيل أتى النبي - ﷺ - فقال : « يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم . قال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد ، الله يشفيك ، باسم الله أرقيك »[2] .

عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - كان يعوذ بعض أهله - يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم رب الناس أذهب البأس ، واشفه وأنت الشافي ، لاشفاء إلا شفاؤك ، شفاء لايغادر سقما »[3] .

وهذا مفهوم قول ابن أبي زيد بالكلام الطيب ويقصد بذلك باللفظ العربي المفهوم دون مالا مفهوم له من الأسماء المعجمة لاحتمال أن تكون كفرا . وكذلك ماجهل معناه لايجوز أيضا[4] .

ثم ذكر ابن أبي زيد صفة الرقية بالعين إذا عرف العائن أن يغسل العائن وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح يصب على المعين[5] .

قال ابن القيم : إذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ، ثم بالفاتحة التي لم ي ل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معاني الكتاب ، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ..[6] .

---

(١) رواه البخاري مع الفتح ٢٠٩/١٠ ، ومسلم ١٧٢٧/٤ .

(٢) رواه مسلم ١٧١٨/٤ - ١٧١٩ .

(٣) رواه البخاري مع الفتح ٢٠٦/١٠ ، ومسلم ١٧٢٢/٤ .

(٤) الرسالة مع شرحها ٥١٩ .

(٥) الرسالة مع شرحها ٥٢٠ .

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٩٨/١٠ .

وأما ماجاء عن النبي ﷺ- ماظاهره تحريم الرقية وهو قوله ﷺ: « .. إن الرقي والتمائم والتولة شرك »[1] فهو نص عام مخصص بالرقي الشرعية التي دلت عليها الأحاديث السابقة ويبقى العمل بعمومه على تحريم الرقي الشركية[2] .

قلت : في الحديث إقراره ﷺبالرقي الشرعية وذلك بأمره عليه الصلاة والسلام ، إياهم بقراءة أم الكتاب .

وقد سئل ابن أبي زيد عن أحراز يكتب فيها بحق اسم الله الذي أضاء به كل ظلمة وكسر به كل قوة وجعله على النار ، فأوقدت وعلى الجنة فتزينت، وأقام به عرشه وكرسيه وبه يبعث خلقه وخلق به فلانا الملك وأشباه هذا من اللفظ مع قرآن هل ترى ىذا اللفظ بأسا ؟ فقال : لم يأت هذا في الأحاديث الصحاح وغير هذا من الدعاء الذي أتى في القرآن وورد عن النبي ﷺمن طريق الثبت أحب إلينا أن يدعي به .

وقال ابن أبي زيد : فيما بين ظهراني كلامه - السائل - لايجوز هذا إلا ببعد من التأويل يعني بقوله بحق اسم الله الذي أتى به .

وقد تقدم كلامه في مسائل الصلاة « الدعاء » بالاسم الأعجمي أو كتبه في الرواية قال فيها ابن أبي زيد لاينبغي ذلك وحمله ابن رشد على التحريم .

قلت : ولعل هذا يرجع إلى نظرة ثاقبة شمولية للشيخ ابن أبي زيد إذ نظر إلى تحريم الرقي في أول الإسلام والسبب في ذلك أ م كانوا في الجاهلية يرقون برقي شركية ، وبعضها لايفهم معناه ، وكانوا يعتقدون أن تلك الرقي تؤثر بذا ا ، ثم إ م لما أسلموا وزال ذلك عنهم ، اهم النبي ﷺ عن ذلك عموما ليكون أبلغ في المنع وأسد للذريعة ، ثم إ م لما سألوه وأخبروه أ م ينتفعون بذلك رخص لهم في بعض ذلك وقال أعرضوا على رقاكم.أي:لابأس بالرقي مالم يكن فيها شرك »[3]

---

(١) رواه أحمد ٣٨١/١ ، وأبو دأود ٩/٤ ، وابن ماجه ١١٦٦/٢ .

(٢) انظر فتح الباري ١٩٩/١٠ في الحديث .

(٣) والحديث رواه مسلم ١٧٢٧/٤ ، وانظر فتأوى البرزلي م ٢٦٥/٤ و .

وحديث عون بن مالك يخصص حديث جابر : « ى رسول الله ﷺعن الرقي ، فجاء آل عمرو ⇦

واستدل ابن أبي زيد به أنه لايرقى بما لايعرف[1] .

وقال الإمام الخطابي : وكان عليه السلام . قد رقى ورقي ، وأمر ا وأجازها ، فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله تعالى ، فهي مباحة أو مأمور ا ، وإنما جاءت الكراهية والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب ، فإنه ربما كان كفرا ، وقولا يدخله الشرك ، قال : ويحتمل أن يكون الذي يكره منها ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطو ا ، وأ ا تدفع عنه الآفات ، ويعتقدون ذلك من قبل الجن ومعونتهم[2] .

قال ابن التين : الرقي بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الرباني ، فإذا كان على لسان الأبرار من الخلق ، حصل الشفاء بإذن الله تعالى ، فلما عفي عن هذا النوع ، فزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقي المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ذكر الله تعالى وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة م والتعوذ بمرد م . ويقال : إن الحية لعدأو ا الإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكو م أعداء بني آدم ، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكا ا وكذا اللديغ إذا رقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان ، فلذلك كره الرقي مالم تكن بذكر الله وأسمائه خاصة ، وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئاً من شوب الشرك ، وعلى كراهية الرقى بغير كتاب الله علماء الأمة[3] .

بن حزم فقالوا : يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقى ا من العقرب ، قال : فعرضوا عليه فقال : ما أرى بأسا ، من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه » وقد تمسك قوم ذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولولم يعقل معناها ، ولكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقي يؤدي إلى الشرك يمنع ، ومالا يعقل معناه لايؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطا . فتح الباري ١٩٥/١٠ .

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٢) كتاب تيسير العزيز الحميد ص١٦٦ .

(٣) فتح الباري ١٩٦/١٠ ، وانظر تيسير العزيز الحميد ص١٦٦ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به ، فضلا عن أن يدعو به ، ولو عرف معناه ، لأنه يكره الدعاء بغير العربية ، وإنما يرخص لمن لايحسن العربية، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارا فليس من دين الإسلام[1] .

وقال الإمام السيوطي :

وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته ، وباللسان العربي وما يعرف معناه ، وأن يعتقد أن الرقية لاتؤثر بذا ا بل بتقدير الله تعالى[2] .

قلت : تعاطي الرقية جائزة عند حدوث المرض وقبله ولا يتنافى مع التوكل إذهي من ضرب الأخذ بالأسباب وإنما يرخص لمن لايحسن العربية.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٠٣ .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

المبحث الثاني :

التمائم وموقف ابن أبي زيد منها :

التميمة :

قال ابن منظور في اللسان : التميم العوذ واحد ا تميمة وهو الخرز الذي يتخذ عوذا . والتميمة خرزة رقطاء تنظم في السير ثم يعقد في العنق وهي التمائم والتميم . عن ابن جني وقيل هي قلادة يجعل فيها سيور وعوذ . وحكي عن ثعلب تممت المولود علقت عليه التمائم . والتميمة . عوذة تعلق على الإنسان قال ابن بري ومنه قول سلمة بن الخرشب :

تعوذ بالرقي من غير خبل وتعقد في قلائدها التميم .

وقال أبو منصور التمائم واحد ا تميمة وهي خرزات كان الأعراب يعلقو ا على أولادهم ينفون ا النفس والعين بزعمهم فأبطله الإسلام وإياها أراد الهذلي بقوله :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألقيت كل تميمة لاتنفع

وقال آخر :

إذا مات لم تفلح مزينة بعده فنوطي عليه يامزين التمائما[1] .

وقال ابن الأثير[1] : التمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها

---

(١) اللسان ٧٠/١٢ .

على أولادهم يتقون ا العين في زعمهم فأبطلها الإسلام ومنه حديث ابن عمر : وما أبالي ما أتيت إن تعلقت تميمة . والحديث الآخر : « من علق تميمة فلا أتم الله له »[2] . كأ م كانوا يعتقدون أ ا تمام الدواء والشفاء وإنما جعلها شركا لأ م أرادوا ا دفع المقادير المكتوبة عليهم فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه[3] . ومن هذه التعريفات للتمائم في اللغة يتضح أن التميمة تستعمل لغرضين :

الغرض الأول : دفع الشر المتوقع من مرض أو عين قبل أن يحصل وهذا ظاهر فيما يتعلق على الصبيان والفرس والمساكن ونحو ذلك .

الغرض الثاني : دفع الشر الذي وقع بالفعل وهذا ظاهر فيما يتعلقه المرضى بالواهنة والحرة والحمى كما سيأتي في الحديث القادم بإذن الله .

وأ□ما ماجاء في تعريف التميمة بأ ا خرزة رقطاء فهذا من باب التعريف بالمثال وليست التميمة مقتصرة على الخرزة بل كانت العرب تستعمل أنواعا من التمائم غير الخرز مثل : كعب الأرنب يعلقونه على أنفسهم ويقولون إنه يدفع العين والسحر[4] .

---

(١) النهاية ١٩٨/١ .

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٣) قال ابن حجر في الفتح : والتمائم جمع تميمة وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس ، كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات . الفتح ١٩٦/١٠ كتاب الطب .

قال المنذري : خرزة كانوا يعلقو ا لتدفع عنهم الآفات ، وهذا جهل وضلالة ؟ إذ لامانع ولا دافع غير الله تعالى فتح ا يد ٩٨ .

قال أبو السعادات : التمائم جمع تميمة ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم ، يتقون ا العين في زعمهم ، فأبطلها الإسلام . المصدر السابق ونفس الصفحة .

قال الخلخالي : التمائم : جمع تميمة ، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين ، وهذا منهي عنه ، لأنه لادافع إلا الله ، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وبأسمائه وصفاته . فتح ا يد ص١٠٣ .

(٤) انظر مجموعة من تمائم أهل الجاهلية في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام من ص٧٥٠ إلى ٨١٣ . وكتاب التمائم في ميزان العقيدة د. علي بن نفيع العلياني ص٩ .

وقد وردت عدة أحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام في تحريم التمائم عموما منها ما رواه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺيقول : « إن الرقى والتمائم والتولة شرك »[1].

عن عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺأقبل إليه رهط ، فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا : يا رسول الله ، بايعت تسعة وتركت هذا ، قال : إن عليه تميمة ، فأدخل يده فقطعها ، فبايعه وقال : « من علق تميمة فقد أشرك »[2].

بناء على هذه الأحاديث المتقدمة فقد اتفق العلماء على تحريم التمائم الشركية أو ماهو ذريعة إلى الشرك ، مما فيه استغاثة أو استعانة بغير الله على شاكلة ماكان يعلق في الجاهلية الخرز والخيط والطلاسم والمسامير ونحو ذلك لما فيه من التعلق بغير الله جل وعلا ، واللجوء إلى من سواه في جلب نفع أو دفع ضرر مما هو خارج عن الأسباب المشروعة .

قال الله تعالى : { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير }[3] [4] .

وقال تعالى : { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم }[5] .

---

(١) رواه أحمد ٣٨١/١ ، وأبو دأود ٩/٤ ، وابن ماجه ١١٦٦/٢ ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد وأقره الذهبي ٢١٧/٤ وقال أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد : اسناده حسن ٢١٨/٥ . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٨٤/١ .

(٢) رواه أحمد ١٥٦/٤ ، والحاكم ٢١٩/٤ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٨٠٩/١ - ٨١٠ .

(٣) رواه أحمد ١٥٤/٤ ، وأبو يعلى في مسنده ٢٩٦/٣ ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٢١٦/٤ - ٤١٧ ، وابن عبدالبر في التمهيد ١٦٢/١٧ .

قال المنذري : اسناده جيد الترغيب والترهيب ٣٠٦/٤ ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات مجمع الزوائد ١٠٦/٥ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٧ .

(٥) سورة يونس الآية : ١٠٧ .

وأما إذا كان المعلق من القرآن أو بالأدعية والأذكار الصحيحة ، فقد رأى جماعة من العلماء بأنه ليس من التمائم وأنه يجوز ، وفيه ثلاثة أقوال :

القول الأول : جواز ذلك دون اطلاق بل مقيد ، وقالوا : إن التعليق الجائز هو ماكان بعد نزول البلاء ، وأما قبل نزوله فلا يجوز . وعمدت إلى هذا الرأي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وظاهر الرواية عن عبدالله بن عمرو ابن العاص - رضي الله عنها - وسعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو جعفر الباقر ومالكي وأحمد - في رواية ، وابن عبدالبر ، والبيهقي ، والقرطبي ، وظاهر قول ابن تيمية ، وابن القيم وابن حجر[1] .

وأما إن كانت من أسماء الشياطين أو العظام والمسامير فلا يجوز بل عدها من الأمور الشركية . وقد سئل عن احراز يكتب فيها اللغة والطلاسم ومالا معنى له كقولهم : بحق اسم الله الذي أضاء به كل ظلمة وكسر به كل قوة وجعله على النار فأوقدت وعلى الجنة فتزينت وأقام به عرشه وكرسيه وبه يبعث خلقه ، وخلق به فلانا الملك وأشباهم - كما تقدم في الرقى - أو معالجة المصروعين بالجنون والعزائم والخواتم ، فيرى أن هذا فعل العرافين المبطلين ، فإنه من المنكر والباطل الذي لايفعله ولايشتغل به من فيه خير أو له دين ، وأن قول الرسول - ﷺاعرضوا علي رقاكم ، فلما عرضوها قال : لا أرى بأسا ، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل[2] ، وهذا إن دل فإنما يدل على أن من الرقى ماهو كفر وشرك بالله[3] .

---

(1) انظر مصنف ابن أبي شيبة ٣٨/٨ - ٤٠ ، فضائل القرآن لأبي عبيد ص٣٥٨ ، المستدرك للحاكم ٢١٧/٤ ، السنن الكبرى للبيهقي ٣٠٥/٢ لشرح السنة النبوية للبغوي ١٥٨/١٢ ، تفسير القرطبي ٣٢٠/١٠ ، التمهيد لابن عبدالبر ١٦٠/١٨ - ١٦١ ، الفتأوى لابن تيمية ٦٤/١٩ - ٦٥ ، زاد المعاد ٢١٢/٤ - ٣٥٧ - ٣٥٨ ، فتح الباري ١٤٢/٦ ، تيسير العزيز الحميد ص١٦٢ - ١٦٣ ، فتح ا يد ص١٣٦ ، معارج القبول ٤٦٩/١ - ٤٧١ .

(2) الحديث رواه الإمام مسلم ١٧٢٧/٤ .

(3) فتأوى البرزلي ٢٦٥/٤ و - ظ - .

ويرى الشيخ بأن هذا من أسباب كفر بني آدم وهو ما ألجأهم إلى إدعاء الألوهية . وعلى هذا يرى الشيخ جواز تعليق المعلق مادام بأسماء الله وصفاته ووفق مأورد في الكتاب والسنة مالم يكن فيه كفر أو شرك[١] .

وظاهر كلام الشيخ أنه يرى تعليقه قبل أن يـ ل به الشيء من العين ، ولو نزل به شيء من العين جاز تعليق الكتب أيضاً .

وقال أيضاً في الجامع : « ... ولابأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن وذكر الله إذا خرز عليها جلدا ، وأما إن كانوا معتقدين في الخيط الذي يربطون به فلا خير فيه ، قيل له ويكون في المعاذة خاتم سليمان ؟ قال : لاخير في ذلك »[٢] ، كما أجاز الشيخ ما يعلق به من الخرز من الحمرة شريطة أن يكون خفيفا[٣][٤] .

وأجاز أن يعلق على النفساء والمرضى الشيء من القرآن إذا خرز عليه أدم أو كان في قصبة ...[٥] .

أدلة أصحاب هذا القول :

١) - قول عائشة - رضي الله عنها - : « ليست التميمة ما تعلق به بعد البلاء ، إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء » ؛ وفي رواية : « التمائم ما علق قبل نزول البلاء ، وما علق بعد نزول البلاء فليس بتميمة »[٦] .

---

(١) المصدر السابق ٢٦٤/٤ ظ وما بعدها .

(٢) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص٢٦٤ - ٢٦٥ ؛ وشرح الرسالة للعدوي المالكي ٣٩٤/٢ .

(٣) الجامع ص٢٦٦ .

(٤) يعني الشيخ بذلك أنه مع جواز تعليق مايكتب فيه بعض الآيات من كتاب الله للتدأوي بعد أن توضع في الخرز من جلد أو غيره ليحميها ويخاط عليها أو تلف بشريط لامانع أن يوضع على هذا المخيط بعض الخرز وليس هذا من المنهي عنه لأن الخرز الموضوع على هذا المخيط (الحجاب) ليس من قبيل ما توجه إليه النهي إذ الخرز هنا موضوع لتزيين الحجاب وليس مقصودا لذاته . و ـذا البيان يتضح أنه ليس للشيخ رأيان في مسألة تعليق الخرز لدفع أذى العين كما فهمه البعض .

(٥) المصدر السابق ص٢٦٦ .

(٦) رواه الحاكم في المستدرك وحكم برفعه وصححه ٢١٧/٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥٠/٩ ، وابن عبدالبر في التمهيد ١٦٤/١٧ .

٢) - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كان رسول الله ﷺ- يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع : -

« بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » قال : فكان عبدالله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرا لايعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه[(١)] .

ووجه الدلالة من الحديث قوله : « كتبها له فعلقها في عنقه » وأن هذا الفعل يعد من التمائم .

٣) - قياس التمائم المشتملة على كلام الله وأسمائه وصفاته والدعوات والأذكار الصحيحة على الرقية الشرعية الجائزة ، فما كان من التمائم خاليا من الشرك فهو جائز قياسا على الرقي المشروعة الخالية من الشرك[(٢)] .

ولذلك قال ابن عبدالبر ، وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من أسماء الله ، وصفاته رجاء الفرج ، والبرء من الله - عزوجل - فهو كالرقي المباح الذي وردت السنة بإباحته من العين وغيرها ، وقد قال مالك رحمه الله - لابأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله - عزوجل - على أعناق المرضى على وجه التبرك ا ، إذا لم يرد معلقها بتعليقها مدافعة العين .... ولو نزل به شيء من العين جاز الرقي عند مالك وابن أبي زيد - وتعليق الكتب ، ... »[(٣)] .

٤) - القول الثاني : جواز تعليق التمائم مطلقا إذا كانت بكلام الله أو أسمائه أو صفاته في حال الصحة والمرض ، وهو رواية ثانية لمالك وذهب إليه ابن أبي زيد وعامة المالكية[(٤)] .

---

(١) رواه الإمام أحمد ١٨١/٢ ، والترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب ٥٤١/٥ - ٥٤٢ ، وأبو دأود ١٢/٤ .

(٢) انظر سنن البيهقي ٣٥٠/٩ ، التمهيد لابن عبدالبر ١٦١/١٧ ، تفسير القرطبي ٣١٩/١٠ - ٣٢٠ .

(٣) التمهيد لابن عبدالبر ١٦١/١٧ .

(٤) كتاب الجامع ص٢٦٤ - ٢٦٥ ، البيان والتحصيل ٤٣٨/١ - ٤٤٨ ، ١٩٦/١٧ ، ٤٢٧/١٨

ومن ذهب إلى هذا القول الشيخ ابن أبي زيد يرى جواز ذلك إذا كانت من كلام الله من القرآن الكريم والأدعية النبوية الشريفة والألفاظ الطيبة .

ويقول الشيخ أيضاً في الرسالة : ولا بأس بالمعاذة وهي التمائم التي تعلق في العنق وفيها القرآن ، وذلك على أعناق المرضى على وجه التبرك به .. »[1] .

وقال الباجي : الصحيح من قول العلماء جواز ذلك من الوجهين ، وهو قول مالك والفقهاء[2] .

القول الثالث : المنع ، ويرى الأكثرية من الصحابة فمن بعدهم أنه لايجوز تعليق القرآن والأدعية النبوية الشريفة ، ومن هؤلاء عبدالله بن مسعود وابن عباس، وحذيفة ، وعقبة بن عامر وابن عكيم ، وإبراهيم النخعي ، ورواية عن أحمد ، وابن العربي ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، والشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي ، وحافظ الحكمي ، ومحمد حامد الفقي ، ومن المعاصرين أيضاً سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله ، والشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - وغيرهم من العلماء[3] .

فهؤلاء لايرون فيما استدل به الفريق الأول حجة ، فالآية مجملة ، وقد بين الرسول ﷺ كيفية التدأوي بالقرآن ، وهو بتلأوته والعمل به ، ولم ينقل عنه في التعليق شيء ولم يرد عن الصحابة في التعليق شيء فقول عائشة مجمل لم تذكر فيه تعليق القرآن ، وإنما ذكرت أن التميمة ماعلق قبل نزول البلاء لابعده ، وقولها محتمل فلا أرى أن ينسب لها القول بجواز تعليق القرآن ـرد هذه الرواية . وأما ماروى عن عبدالله بن عمرو فإنه لايصح لعنعنة محمد بن إسحاق وهو

---

(١) الرسالة مع شرحها لعبدالسميع الآبي ص٥١٩ بتصرف يسير .

(٢) المنتقى ٢٥٥/٧ .

(٣) انظر مراجع أقوال العلماء المذكورين فيما يلي : مصنف ابن أبي شيبة كتاب الطب ٣٧٤/٧ ، ١٣/٨ - ١٨ وما بعدها ، وسنن البيهقي ٢١٦/٩ وما بعدها ، والمستدرك للحاكم ٢١٦/٤ وما بعدها ، وتيسير العزيز الحميد ١٦٨ - ١٧٤ ، وفتح ا يد وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٨٥/١ ، والقول السديد ٣٨ ، ومعارج القبول ٣٨٢/١ ، وفتأوى الشيخ ابن باز ٨٢٠/١ .

مدلس[1] .

١) - يقول الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله - في تعليقه على ماروى عن عبدالله بن عمرو : « ... الرواية بذلك ضعيفة ولاتدل على هذا لأن فيها أن ابن عمرو كان يحفظه أولاده الكبار ، ويكتبه في ألواح ويعلقه في عنق الصغار فالظاهر أنه كان يعلقه في اللوح ليحفظه الصغير لاعلى أنه تميمة ، والتميمة تكتب في ورقة لافي لوح وبدليل تحفيظه للكبار[2] .

٢) - عموم النهي الوارد في تحريم التمائم ، ولم يرد مايخصص هذا العموم بجواز التمائم إذا كانت من القرآن . فيبقى الحكم بتحريمها .

٣) - لو كان تعليق التمائم مشروعا لبينه النبي - ﷺ- كما بين الرقية ورخصها فيما لم يكن فيه شرك[3] حيث قال ﷺ: « أعرضوا علي رقاكم لابأس بالرقي مالم يكن فيها شرك » ، ولم يرد مثل هذا التفصيل في التمائم ، وأكثر النصوص الواردة في الرقية المشروعة في القراءة لافي التعليق .

٤) - سد الذريعة ، ولذلك حرم الشارع كثيرا من الأمور ، لا لأ ا محرمة لذا ا ولكن لأ ا تؤدي إلى المحرم ، ولو قيل : بجواز تعليق التمائم بما فيه ذكر الله ؛ لأدى ذلك إلى تعليق ماليس فيه ذكر الله .

ومثال ذلك سب آلهة الكفار محمود ولكن لما كان رد الفعل أشنع ى الشارع عن سبها لأن ذلك يترتب عليه سب الله وهذا قبيح ، ولذلك حرم الرسول عليه الصلاة والسلام سب رجل أبا رجل آخر لأن ذلك يفضي إلى عقوق الوالدين وكل ماتترتب عليه المفسدة الأكبر لقد ى الشارع عن الاقتراب منه وقارف ذلك عاصٍ لله ولرسوله ﷺ.

وعلى ذلك فلو جاز تعليق التمائم بما فيه ذكر الله لأدى ذلك إلى تعليق ماليس فيه ذكر الله ولذلك لم يبيحه الشارع .

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة ٥٨٥/١ ، النهج السديد ص١٦١ ، وصحيح سنن أبي دأود ٧٣٧/٢.

(٢) هامش فتح ا يد ١٣٢ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه انظر صحيح مسلم مع شرح النووي ١٨٧/١٤ وقد تقدم الحديث .

٥) - أن تعليق التمائم من القرآن والأذكار قد يؤدي إلى امتها ا إلى ما يناقض تعظيم القرآن ؛ لأن المعلق للتميمة من القرآن قد يدخل ا بيت الخلاء والأماكن القذرة وهذا محظور[1] .

فإذا كان الأمر كذلك بقي قولهم بلاحجة قوية . والراجح عندي هو قول من انتهى إلى عدم جوازه مطلقا سواء في حالة الصحة أو السقم ، لأن عمد م قوية وصحيحة ، والحجة قائمة ا ، وليس هناك مايوجب ترك العمل ا ، أو يعارضها أو يردها .

وبما أن سد الذرائع واجب لاسيما إذا نظرنا إلى أمور مستحدثة في الدين أنشبت أظفارها نتيجة للجهل وقلة مبالاة بالدين إذ كرهه أكثر الصحابة والتابعين في عصورهم الشريفة والإيمان في قلو م أرسخ من غيرهم فترك ذلك في عصور الفتن وقلة العلم أولى .

قال الشيخ سليمان حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب : « .. وإن كان يعتقد أنه سبب ، فالأسباب لايجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله مع عدم الاعتماد عليها . وأما التمائم والخيوط والخروز والطلاسم ونحو ذلك ، كما تعلقه الجهال فهو شرك يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل ، وإن لم يأذن فيه صاحبه[2] .

كما رأى الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب المنع ، كذلك الشيخ حافظ حكمي يقول : ولاشك أن منع ذلك أسد لذريعة الاعتقاد ، والمحظور ، لاسيما في زماننا هذا فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلو م أكبر من الجبال فلأنه يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك ، كيف وهم قد توصلوا ذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها ، فمن ذلك أ م يكتبون في

---

(١) انظر عارضة الأحوذي شرح الترمذي لإبن العربي ٢٢٢/٨ ، تيسير العزيز الحميد ص١٣٧ - ١٣٨ ، فتح ا يد ص١٣٦ ، معارج القبول ٤٦٩/١ .

(٢) فتح ا يد ص٩٩ .

التعأويذ آية أو سورة أو بسملة ، أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية مالا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم ، ومنها أ م يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله - عزوجل - إلى أن تتعلق قلو م بما كتبوه ، بل أكثرهم يرجفون م ولم يكن قد أصا م شيء ، فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال عليه لأخذ ماله مع علمه أنه قد أوله به ، فيقول له : إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو في نفسك كذا وكذا أو يقول له إن معك قرينا من الجن أو نحو ذلك ... والتجأ إليه وعول عليه دون الله - عزوجل - وقال له فما المخرج مما وصفت ، وما الحيلة في دفعه ؟ - كأنما بيده الضر والنفع - فعند ذلك يتحقق فيه أمله ، فيقول له إنك إن أعطيتني كذا وكذا كتبت لك من ذلك حجابا طوله كذا وعرضه كذا ، وهذا الحجاب علقه ليشفيك من كذا وكذا من الأمراض أترى هذا - مع هذا الاعتقاد - من الشرك الأصغر لابل هو تأله لغير الله وتوكل على غيره والتجاء إلى سواه ، وركون إلى أفعال المخلوقين وسلب لهم من دينهم ... ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمه الشيطانية شيئا من القرآن ويعلقه على غير طهارة ويحدث الحدث الأصغر والأكبر وهو معه أبدا لايقدسه عن شيء من الأشياء ، تالله ما استهان بكتاب الله تعالى أحد من أعدائه استهانة هؤلاء الزنادقة المدعين الإسلام به .

والله ما نزل القرآن إلا لتلأوته ، والعمل به ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق خبره ، والوقوف عند حدوده ، والاعتبار بأمثاله ، والاتعاظ بقصصه والإيمان به ، كل من عند ربنا ، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كله ونبذوه وراء ظهورهم ولم يحفظوا إلا رسمه كي يتأكلوا به ويكتسبوا به كسائر الأسباب التي يتوصلون ا إلى الحرام لا الحلال ، ولو أن ملكا أو أميرا كتب كتابا إلى من هو تحت ولايته أن افعل كذا ، واترك كذا ، وأمر من في جهتك بكذا وأ هم عن كذا ، ونحو ذلك فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه ولم يتدبر أمره و يه ولم يبلغه إلى غيره ممن أمر تبليغه إليه ، بل أخذه وعلقه في عنقه أو عضده ، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتة ، لعاقبه الملك على ذلك أشد العقوبة ولسامه سوء العذاب . فكيف بتـ يل جبار السموات والأرض الذي له المثل الأعلى في السموات

والأرض ، وله الحمد في الأولى والآخرة وإليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه هو حسبي ، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم[(١)] .

٢) - إن القول بالتعليق قد يعطل سنة الرقية بالمعوذات وغيرها فإن الذي يعلق المصحف بكامله قد يظن أنه لايحتاج أن يتعوذ بالمعوذات وآية الكرسي ونحو ذلك والقرآن كله معلق عليه .

٣) - إن القول بتعليق القرآن متردد بين الجواز والتحريم وماكان كذلك فالأولى اجتنابه درءا للمفسدة .

يقول الشيخ عبدالعزيز بن باز في هذا الصدد : « .. حكم بعض العلماء بتحريم تعليق التمائم وعدوه من الشرك الأكبر ، وجوزه البعض بدعوى أنه بموجب حال المعلق وبالمكتوب إن كانت بكلام الله والألفاظ الطيبة فهو جائز، وأما إن كانت من أسماء الشياطين أو العظام أو الخرز أو المسامير أو الطلاسم - وهي الحروف المقطعة وأشباه ذلك فإ ا من الشرك الأصغر وقد تكون شركاً أكبر إذا اعتقد معلق التميمة أ ا تحفظه أو تكشف عنه المرض أو تدفع عنه الضرر دون إذن الله ومشيئته[(٢)] .

ويقول الشيخ محمد صالح العثيمين في فتأويه حول تعليق التمائم : « .. الصحيح أن تعليق التمائم ولو من القرآن ومن الأحاديث النبوية أنه محرم ، وذلك لأنه لم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام وكل شيء لم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام فيما يتخذ سببا فإنه لاغ غير معتبر ؛ لأن مسبب الأسباب هو الله - عزوجل - فإذا لم نعلم هذا السبب لامن جهة الشرع ولامن جهة التجارب والحس والواقع ، فإنه لايجوز أن نعتقده سبباً فالتمائم على القول الراجح محرمة ، سواء كانت من القرآن أو من غير القرآن . وإذا أصيب الإنسان بشيء فليتخذ أحدا يقرأ عليه كما كان جبرئيل عليه السلام يرقي النبي عليه

---

(١) معارج القبول ٣٨٢/١ ، وانظر التمائم في ميزان العقيدة للدكتور على بن نفيع العلياني ص٤٧ - ٤٩ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن باز ٣٨٤/٢ .

الصلاة والسلام ، وكان الرسول ﷺيرقي أصحابه أيضاً . هذا هو المشروع[1] .

المبحث الثالث :

الطيرة :

الطيرة : بكسر ففتح ، والطيرة بكسر الياء لغة : ما يتشاءم به من الفأل وفي الحديث" إنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة " ، وفي الصحاح تطيرت من الشيء وبالشيء والاسم منه الطيرة مثال العنبة ، وقد تسكن الباء . وقيل اطير معناه تشاءم وأصله تطير وقيل للشؤم . طائر وطير وطيرة ، لأن العرب كان من شأ ا عياقة الطير وزجرها والتطير ببارحها ونعيق غرا ا وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها فسمو الشؤم طيرا وطائرا وطيرة لتشاؤمهم ا ، ثم اعلم الله - عزوجل - على لسان العرب رسوله ﷺ- إن طير م ا باطلة ، وقال : « لاعدوى ولا طيرة ولاهام »[2] ، وكان الرسول ﷺيتفاءل ولايتطير وأصل « الفأل » الكلمة الحسنة يسمعها عليل فيتأول منها ما يدل على برئه كأن يسمع مناديا نادى رجلاً اسمه سالم وهو عليل فأوهمه سلامته من علته .

والطيرة مضادة للفأل وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد فأثبت النبي - ﷺ- الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة و ى عنها .

قال ابن الأثير : تطير طيرة وتخير خيرة ، قال وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح[3] من الظباء والطير وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله و ى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع

---

(١) فتأوى اسلامية ٩٥/١ الشيخ محمد صالح العثيمين .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم٥٧١٧،باب لاصفر

(٣) قال ابن القيم عن السانح والبارح : « أصل هذا أ م كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرو ا فما تيامن منها وأخذت ذات اليمين سموه سانحا ، وما تياسر منها سموه بارحا ، وما استقبلهم منها فهو الناطح ، وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد ، فمن العرب .

ولا دفع ضرر »[1].

روى الإمام الترمذي وغيره من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « الطيرة شرك »[2].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ: « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك » . قالوا : يا رسول الله : ما كفارة ذلك ؟ قال : « أن يقول أحدهم : اللهم لاخير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك »[3].

وقد تعرض ابن أبي زيد إلى منافاة التطير للعقيدة ولكن بصيغة الكراهية حيث يقول : « وتكره الطيرة ويستحب الفأل الحسن ويكره سيء الأسماء والشؤم في الفرس والمرأة والمسكن ، ولاشك أنه يعني بالكراهة التحريمية ، لأن هذا هو الذي يتلائم مع موقفه من الطيرة لأن الشيخ عطف الطيرة على المحرمات والمنهيات ليفيد الحرمة ، ثم ذكر حديث النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الشأن وقال : « وكان النبي - ﷺ- يكره الطيرة ويعجبه الفأل الحسن ويكره سيء الأسماء . وقال : « ولا عدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر ! وخيرها الفأل ... [4] قالوا وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم »[5].

ثم ذكر ابن أبي زيد حديثا آخر عن النبي ﷺ: « إن كان الشؤم ففي ثلاثة : الشؤم في الفرس والمرأة والمسكن »[6].

---

(١) انظر شرح السنة للبغوي ١٧٠/١٢ .

(٢) رواه الترمذي ، ح (١٦١٤) . وقال : حديث حسن صحيح وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٤٢٩) .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٢٢٠/٢ وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٠٦٥) .

(٤) كتاب الجامع لابن أبي زيد ص٢٦٧ والرسالة ص٥٢٠ .

أخرج البخاري الحديث المذكور في صحيحه ٥٧١٧ ، باب لاصفر .

(٥) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٤) .

(٦) ذكره ابن أبي زيد في الجامع ص٢٦٧ وأخرجه البخاري في حديث رقم (٥٧٥٣) .

ويفهم من عبارة الشيخ أن التطير والتشاؤم بمعنى واحد ، فنفي أولا بطريق العموم ، ثم أثبت الشؤم في الثلاثة المذكورة . وإنما كان ﷺيعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى ، والتفاؤل حسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : وإنما جعل ذلك شركا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعا أو يدفع ضرا ، فكأ م أشركوه مع الله تعالى ، وقوله : « ولكن الله يذهبه بالتوكل » إشارة إلى أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لايؤاخذ بما عرض له من ذلك »[1] .

وقد اعتقد علماء أهل السنة والجماعة بأمر الطيرة وبالغوا في التحذير منها ، لأ ا انحراف عن الاعتقاد الصحيح واليقين الجازم ، وكان ذلك التطير يصدهم عن مقاصدهم ، فنفاه الشرع وأبطله وأخبر أنه لاتأثير له في جلب نفع أو دفع ضر يقول تعالى : { فإذا جاء م الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا إنما طائرهم عندالله ولكن أكثرهم لايعلمون }[2] الآية .

ووجه منافاة الطيرة للعقيدة الصحيحة ظاهر وهو أن في الطيرة نسبة أفعال الله سبحانه إلى خلقه وذلك باعتقاد المتطير أن ما حصل له إنما هو بسبب المتطير منه وهذا شرك في الربوبية ولذا ، رد الله على قوم فرعون حين كانوا يتطيرون بموسى ومن معه واعتقدوا أنه سبب القحط والجذب الذي أصا م ثم يبين الله سبحانه بطلان زعمهم ويؤكد أن ما أصا م من الشر هو من عندالله حاصل بسبب كفرهم وتكذيبهم وبسبب سوء تصرفهم وما استحوذ عليهم من الجهل وعدم علمهم بأن الله هو المقدر للخير والشر ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبع قوله[3] .

---

(١) الفتح ٢١٣/١٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٣١ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢٣٩/٢ وقرة عيون الموحدين ص١٥١ ، والجديد في شرح كتاب التوحيد ⇦

وعلى هذا فالطيرة منتفية وليس لها أي تأثير والله وحده هو المنفرد بالتقدير والتدبير . ولذا نفاها النبي ﷺ بقوله : « لاعدوى ولا طيرة »[1] .

وقد قال الإمام أحمد عن الحديث الذي رواه أبو دأود في السنن أنه ﷺ قال : « اقروا الطير على مكنا ا »* أي أ ا لاتضركم يعني اقروها على كل مكنة ترو ا عليها ودعوا التطير ا ، قال : كان أحدهم - يعني في الجاهلية - يريد الأمر فيثير الطير فيقال : إن جاء عن يمينه كان كذا وإن جاء عن يساره كان كذا فقال النبي ﷺ: « اقروا الطير على مكنا ا فإ ا لاتضركم »[2] .

أما قوله ﷺ في الحديث : « لاعدوى ولا طيرة » فقد قال ابن القيم - رحمه الله - يحتمل أن يكون نفيا وأن يكون يا أي : لاتتطيروا ولكن قوله في الحديث : « لاعدوى ولا صفر ولا هامة » ، يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا أبلغ من النهي ؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي يدل على المنع منه »[3] .

وأما الفأل ، فقد سبق بيان رأى الشيخ ابن أبي زيد بموجب تعرضه له بالذكر في كتابه الجامع وأنه قال وخيرها الفأل وأنه لابأس به ويعجبني الفأل الحسن[4] ، وهذا يتفق مع ماصح عن رسول الله ﷺ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لاطيرة وخيرها الفأل قالوا : وما الفأل يا رسول الله ؟ قال : « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم »[5] .

يقول ابن القيم - رحمه الله - في شرح هذا الحديث : (أخبر ﷺ، أن الفأل

للقرعأوي ص١٧٢ بتصرف .

(١) رواه البخاري ح (٥٧٥٣) ، ومسلم ح (٢٢٢٤) .

* – المكنات في الأصل : بيض الضباب ، واحد ا : مكنة ، بكسر الكاف ، وقد تفتح : يقال مكنة الضبة ، وأمكنت . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٥٠/٤ .

(٢) رواه الإمام أحمد ٣٨١/٦ ، وأبو داؤد في كتاب الأضاحي ١٠٥/٣ رقمه : ٢٨٣٥ . وصححه الحاكم ٢٣٧/٤ ، وأقره الذهبي .

(٣) مفتاح دار السعادة ٢٨٠/٣ .

(٤) الجامع ص٢٦٧ ، والرسالة ٥٢٠ .

(٥) ذكره ابن أبي زيد في كتابه الجامع ص٢٦٧ ، أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٥٧٥٥) .

من الطيرة[1] وهو خيرها ، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خيرها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر . ونظير هذا منعه من الرقى بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركا لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة .

فقوله ﷺ: « لاطيرة وخيرها الفأل » ينفي عن الفأل مايظن بالطيرة من تأثير أو فعل أو شركة ويخلص الفأل منها ، وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة وهي أن التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع ا من سفر وامتنع ا مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك ، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله ، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله ، والتطير مما يراه ويسمعه وذلك قاطع له من مقام : { إياك نعبد وإياك نستعين }[2] و { فاعبده وتوكل عليه }[3] ، و { عليه توكلت وإليه أنيب }[4] . (فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلاً ، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال الفاتح باب الرجاء المسكن للخوف الرابط للجأش ، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه ، والاستبشار المقوي أمله السار لنفسه ، فهذا ضد الطيرة ، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك فلهذا استحب ﷺالفأل وأبطل الطيرة »[5] .

---

(١) خالف الكرماني كون الفأل من جملة الطيرة ، وقال : « وليس كذلك بل هي إضافة توضيح ، ثم قال : وأيضاً فإن من جملة الطيرة تقريره التيامن ، فبين ـذا الحديث أنه ليس كل التيامن مردودا كالتشاؤم ، بل بعض التيامن مقبول . قال ابن الحجر : وفي الجواب الأول دفع في صدر السؤال وفي الثاني تسليم السؤال ودعوى التخصيص وهو أقرب ، وقد أخرج ابن ماجة عن أبي هريرة رفعه « كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة » ، ويقول النبي ﷺ: « العين حق ، وأصدق الطيرة الفأل » ففي هذا التصريح أن الفأل من جملة الطيرة لكنه مستثنى .

والحاصل أن أفعل التفضيل في ذلك إنما هو بين القدر المشترك بين الشيئين ، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه ، والفأل في ذلك أبلغ . فتح الباري ٢١٤/١٠ .

(٢) سورة الفاتحة الآية : ٥ .

(٣) سورة هود الآية : ١٢٣ .

(٤) سورة الشورى الآية : ١٠ .

(٥) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ٢٣٠/٢ – ٢٣٣ .

وللخروج من هذا المأزق الخطير لابد أن يؤمن الإنسان إيمانا جازما بأن الله هو الذي بيده كل شيء وأنه لاتأثير ملطقا لتلك الأشياء التي يتشاءم منها الإنسان وأن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لايؤاخذ بما عرض له من ذلك كما أن عليه أن يعلم أن هناك الثواب الجزيل المترتب على عدم التطير كما في حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين : « لايسترقون ولايكتوون ولايتطيرون وعلى ر م يتوكلون »[1] . وأن يمضي في شئونه وأموره متوكلا على الله معتمدا عليه موقنا بأنه لاخير إلا خيره ولا طير إلا طيره ولا إله غيره .

---

(١) رواه البخاري ح (٥٧٠٥) ، ومسلم ح (٢٢٠) .

المبحث الرابع :

التولة :

في القاموس المحيط « التولة » بالفتح والضم وكذلك الدولة بالضم . (جمع تولات ودولات بالضم وفي الحديث أن أبا جهل لما رأى الدبرة قال : « إن الله قد أراد بقريش « التولة » والتاء مبدلة من دال ، كما قال سيبويه في تامربوت للناقة المرتاضة أ ا بدل من دال مدرب ، واشتقاق الدولة من تدأول الأيام ظاهر. وقال ابن الأعرابي (تال يتول) إذا (عالج) التولة أي (السحر) ويقال فلان تولات إذا كان ذا لطف وتأت حتى كأنه يسحر صاحبه .

فمثال ذلك من يتعاطى « التوله » أي التهييج بقصد تحبب الزوج إلى زوجها وبالعكس وهذا هو التوحيد الذي يقتضي خلوص العبادة لله ، والإنابة إليه والتوكل عليه .

التولة السحر أو شبهه . وخرزة تحبب معها المرأة إلى زوجها عند الأصمعي، وقال ابن فارس هو شيء تجعله المرأة في عنقها تتحسن به عند زوجها . روى حديث ابن مسعود - رضي الله عنه : « إن التمائم والرقى والتولة شرك »[1] . (والتولة) الداهية المنكرة[2] [3] .

---

(١) تاج العروس للزبيدي ٢٤٢/٧ - ٢٤٣ .

(٢) تقدم تخريجه : رواه أحمد ٣٨١/١ ، وأبو دأود ٩/٤ ، وابن ماجة ١١٦٦/٢ .

(٣) تاج العروس للزبيدي ٢٤٣/٧ ، فضل التاء من باب السلام .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : التولة - بكسر المثناة وفتح الوأو واللام مخففا بشيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها ، وهو ضرب من السحر وإنما كان ذلك من الشرك لأ م أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ، ولا يدخل في ذلك ماكان بأسماء الله وكلامه[1] . وذكر ابن المنذري ما أشبه ذلك[2] .

وكانت التولة* من الشرك لما يراد ا من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى . وذلك قد يكون بالقلب ويكون بالفعل ، ويكون ما ، أما من تعلق بالله وأنزل حوائجه به ، والتجأ إليه ، وفوض أمره إليه ، كفاه وقرب إليه كل بعيد ويسر له كل عسير ، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه جازما بأن الدواء بذاته شاف وتمائمه ونحو ذلك ، وكله الله إلى ذلك وخذله ، قال تعالى : { ومن يتوكل على الله فهو حسبه }[3] .

ووجه منافاة التولة للعقيدة ظاهر ، وهو أن في التولة نسبة أفعال الله سبحانه إلى خلقه وذلك باعتقاد « المتولية » أن ما حصل لها من محبة زوجها لها إنما هو بسبب ما صنعته من السحر وهذا شرك في الربوبية حيث إن المحبة والكراهية كل بيد الله سبحانه وتعالى وأنه لاتأثير مطلقا للتولة حيث لايحصل شيء من ملك الله دون علمه جل وعلا .

وقد عطف التولة على الرقى والتمائم الشركية وحكم بشركيتها ولهذا ذهب بعض العلماء إلى تحريمها لأ ا تقدح في التوكل ولاشتمالها على أمور منكرة .

وإذا جئنا إلى موقف ابن أبي زيد من « التولة » نراه يفرق فيما يبدو بين ما ينفع الإنسان وما يضره وذلك تمسكا بظاهر الحديث المتقدم: « ...لا أرى بأسا

---

(١) فتح الباري ١٩٦/١٠ .

(٢) مختصر سنن أبي داود ٣٦٢/٥ .

* ما يصطفون من الخيوط والفاسوخه والعقد . ما يربط ويعقد غالبا بالخيوط والفاسوخة .

(٣) سورة الطلاق الآية : ٣ . فتح ا يد ص١٠٥ .

من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل »[1] وهذا يفيد العموم ويشمل في داخله ما يبقي الزوجية لوجود المنفعة والمصلحة .

وقد سئل ابن أبي زيد عمن يكتب كتاب عطف للمرأة إذا أعرض عنها زوجها أو خاصمها فيكتب لها ذلك ليقبل عليها وتكتفي شره هل ترى بذلك بأسا ؟ قال الشيخ : أماما بين الزوجين فأرجو أن يكون خفيفا إذا كتب القرآن وغيره مما لايستنكر ولا يتشطط في جملة[2] .

نظر الشيخ ابن أبي زيد إلى حرص الإسلام ودعوته على ديمومة العشرة بين الرجل وزوجته كما يحرص على استقرار الحياة الزوجية ، ولما كانت هذه الغاية قد تتعرض لبعض العواصف مردها لصنيع بعض شياطين الإنس والجن للتفريق بين الزوجين أو إيجاد الكراهية بينهما وترسيخ نفرة أحدهما من الآخر بما يسمى عند عامة الناس (بالأعمال) رغبة في تحيطم هذه الأسر وتدمير العلاقات الطيبة بينهما وبث روح الكراهية .

لهذا الواقع وتفهما لمقاصد الشرع في الحرص على الأسر واستقرار العلاقات الزوجية بين الزوجين واستمرارها بالحب ونزع الكراهية واسبا ا من أجل ذلك وجدنا الشيخ ابن أبي زيد يصرح في فتأويه المتقدمة بأنه لاضير من أن يلجأ البعض ممن تعرض لمثل هذه الأعمال من الاستخدام إلى اتخاذ مايدفع ذلك بإذن الله شريطة أن يكون معتمدا فيه على مأورد في كتاب الله أو صح عن الرسول - ﷺوالاّ يبالغ فيه فيكتب ذلك وتحمله المرأة ، يرى جواز ذلك مادام لم يتوسع فيه

وهذا يمثل رأيه الأول ، حيث يرى الجواز شريطة ألا يكون فيه مكروه والفاظ محرمة .

ورأيه الثاني عدم الجواز مطلقا، سئل ابن أبي عن إحراز يكتب فيها اسم الله الذي أضاء به كل ظلمه وكسر به كل قوة ،وجعله على النار فأوقدت ،وعلى الجنة فتزينت وأقام به عرشيه وكرسيه وبه يبعث خلقه،وخلق به فلانا الملك

---

(١) والحديث تقدم تخريجه رواه الإمام مسلم ١٧٢٧/٤ ، وانظر فتح الباري ١٩٥/١٠ .

(٢) فتاوى البرزلي م٤ ورقة ٢٦٥ و ، وانظر المعيار المعرب ١٧١/١١ .

وأشباه هذا من اللفظ مع قرآن هل ترى في هذا اللفظ بأسا؟ فقال لم يأت هذا في الأحاديث الصحاح،وغير هذا من الدعاء الذي أتى في القرآن وورد عن النبي ﷺ من طريق الثبت أحب إلينا أن يدعى به........وقال الشيخ:لايجوز هذا إلا يبعد التأويل.[1]

وهذا حكاه عنه البرزلي في الطرر[2] لعل ذلك لسد الذرائع ومخافة وقوع الإنسان في المحظورات والشركيات لأن من تعاطى التولة فقد فتح على نفسه باب الشرك ، بل ولجه وبرئ من التوكل على الله ، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله . والتولة مما يراه ويسمعه وذلك قاطع له من مقام { إياك نعبد وإياك نستعين }[3] و {فاعبده وتوكل عليه }[4] { وعليه توكلت وإليه أنيب }[5] فيصير قلبه متعلقا بغير الله عبادة وتوكلا فأين هذا من امرأة صالحة تمتثل بأوامر زوجها تطيعه عند حدوث الأوامر ، ولم ينقل أن أحدا من أزواج النبي ﷺ تالت ولا أمر ا النبي ﷺ وقد صح عنه أن : « من أحدث من أمرنا هذا ماليس منه فهو رد ... »[6] ويقول كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »[7] .

ويجب على العبد أن يتقرب إلى مولاه بفعل الطاعات كما جاء بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وكما كان عليه السابقون الأولون ويتجنب ماعدا ذلك من الأمور المحدثة وإن اشتملت أحيانا على فوائد . إذ قد يكون مفاسدها راجحة على فوائدها والأولى تركها .

---

(٣) فتاوى البرزليجـ ٤:ورقة٣٦٩.

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) سورة الفاتحة الآية : ٥ .

(٤) سورة هود الآية : ١٢٣ .

(٥) سورة الشورى الآية : ١٠ .

(٦) البخاري ٣٠١/٥ ، رقم ٢٦٩٧ ، كتاب الصلح ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٧٠/٦ .

(٧) النسائي ١٨٨/٣ ، وصحيح سنن النسائي ١٤٨٧ .

الفصل الثالث

موقفه من الصوفية

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

تمهيد .

أولاً : التصوف في عصر ابن أبي زيدوالكرامات .

ثانياً : ادعاء الصوفية رؤية الله يقينافي الدنيا .

ثالثاً : موقف ابن أبي زيد من الذكرالجماعي عند الصوفية .

رابعاً : إنكاره لتواكلهم وعدم أخذهم الأسباب .

الفصل الثالث : موقف ابن أبي زيد من الصوفية .

تمهيد :

التصوف في عصر ابن أبي زيد والكرامات :

وقد اختلف الكتاب في مدلول كلمة (صوفي) هل هي مشتقة من الصوف وهو ما أرجحه أو من الصفة أو من الصفاء أو من الصف ونحو ذلك ، فأرجعها كل فريق في اشتقاقها إلى إحدى هذه الكلمات دون غيرها بينما رأى البعض صلاحية رجوعها إلى كل هذه الكلمات لأن لها من كل كلمة منها معنى يصح إنصرافه إليه فمن نسبها إلى الصوف لاحظ كثرة لبسهم له، ومن نسبها إلى الصفة لاحظ محأولتهم التشبه بأهل الصفه رضي الله عنهم ، ومن نسبها إلى الصفاء لاحظ حرصهم على صفاء سـريرتهم كما يدعون ومن نسبها إلى الصف لاحظ حرصهم على الـصف الأول بينمـا رأى البعض صلاحية وجوهها لكل هذه الكلمات ... الخ .

ولكن اللغة لاتسعفنا في تصحيح اشتقاقها من كل هذه الكلمات فقد بين

الإمام القشيري وكذلك الإمام ابن تيمية خطأ من قال باشتقاقها من أكثر هذه الكلمات . كما سيتضح فيما يلي :

النسبة إلى الصفة :

الصفة هي الموضع الذي بني لإيواء جماعة من المسلمين بالمسجد النبوي الشريف لم يكن لهم بالمدينة المنورة أهل ولا منازل لهم ا وقد كان عامتهم من الفقراء المهاجرين ، فرأى بعض الصوفية أن الكلمة منسوبة في الأصل إلى هذه الصفة ، ولكن الإمام القشيري يعترض على صحة هذه النسبة بقوله : (فالنسبة إلى الصفة لاتجيء على نحو صوفي)[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (من قال إنه نسبة إلى الصفة قيل له كان حقه أن يقال صفّية)[2] .

النسبة إلى الصفاء :

الصفاء المقصود هنا هو صفاء الروح وصفاء السريرة ، فالصفوية ينسبون أنفسهم إلى الصفاء لما فيه من معان سامية رفيعة .

ولكن النسبة إلى الصفاء لاتصح من حيث اللغة . يقول الإمام القشيري : (ومن قال إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة)[3] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومن قال هي نسبة إلى الصفا قيل له كان حقه أن يقال : صفائية ، ولو كان مقصوراً القيل صفوية)[4] .

النسبة إلى الصف :

قد يقصدون بالصف هنا معاني كثيرة منها الصف المقدم بين يدي الله عموما ولكن اللغة أيضاً تمنع استمداد كلمة (صوفي) من هذا الاسم . يقول الإمام

---

(١) القشيري ، الرسالة ص٢١٧ ، كتاب موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية للدكتور أحمد محمد بناني ص٦٧ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ٣٦٩/١٠ .

(٣) القشيري ، الرسالة ص٢١٧ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٦٩/١٠ .

القشيري : (وقول من قال إنه مشتق من الصف ، فكأ م في الصف الأول بقلو م من حيث المحاضرة مع الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لاتقتضي هذه النسبة إلى الصف[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله ، قيل له كان حقه أن يقال صفيه)[2] .

هذا وقد نسبها بعض العلماء إلى قبيلة من العرب تسمى (صوفه) .

فقد ورد في بعض الآراء عن أصل كلمة (صوفي) أ ا نسبة إلى قبيلة من العرب كانت تنسب إلى رجل منها يقال له (صوفة) واسمه الغوث بن مر - وسبب نسبة الصوفية إليه - على حد قول الرأوي - أ م رأوا أن أول من انفرد بخدمة الله - سبحانه وتعالى عند بيته الحرام هو هذا الرجل الذي يدعى (صوفة)[3] .

ولقد تكلم شيخ الإسلام عن هذه النسبة إلى (صوفة) المذكور فأجاز وقوعها من حيث اللغة[4] .

ولم يتعرض الإمام القشيري لهذه النسبة ، إلا أن الإمام ابن تيمية بعد أن صحح هذه النسبة من حيث اللغة بالقياس على كلمة (كوفة) فإن النسبة منها (كوفي) فكذلك (صوفة) النسبة منها (صوفي) . ضعف صحة هذه النسبة من حيث علاقة الصوفية ذه القبيلة من العرب وذلك لاستبعاد أن ينتسب بعض الزهاد من المسلمين إلى قبيلة من العرب كانت تعبد الله على جهل بل يجزم الشيخ بأن غالب من يتكلم باسم الصوفي لايعرف هذه القبيلة ، ولايرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لأوجود لها في الإسلام[5] .

---

(١) القشيري : الرسالة ص٢١٧ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٦٩/١٠ .

(٣) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ص١٨١ . وقوله إنه أول من انفرد بذلك محل النظر .

(٤) ابن تيمية - مجموع الفتاوى ٦/١١ .

(٥) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٦/١١ ، وانظر كتاب موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية للدكتور أحمد بناني ص٦٩ .

الصوفية ولبس الصوف :

إذا كنت قد أيدت رأي القائل بأن اشتقاق كلمة (صوفي) من « الصوف » فيقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص وتبرقعت المرأة إذا لبست البرقع ونحو هذا . إذا قلنا ـذا فعلينا أن نستوثق من أمرهم هنا. وهو سبب تخصيص الصوفية « بالإنتساب إلى الصوف » .

يبرز هنا رأيان مختلفان للعلماء . الرأي الأول : وهو رأي الإمام القشيري يقول : إن الصوفية ليسوا مختصين بلبس الصوف دون غيرهم[١] ، أي : أن كافة الناس قد يلبسون الصوف في وقت ويتركونه في وقت ومنهم الصوفية ، فما الداعي لتخصيص الصوفية به حتى ينسبون إليه دون غيرهم ؟ علما بأن النسبة إلى الصوف صحيحة عنده من حيث اللغة كما تقدم .

الرأي الثاني : وهو رأي العلامة ابن خلدون وهو يجيب فيه على الاعتراض المذكور من الإمام القشيري من ناحيتين : -

الناحية الأولى : إنه لو استعرضنا طوائف الناس كالصناع والزراع والعمال لانجد أن طائفة منهم يغلب على أفرادها لبس الصوف كما غلب في طائفة الصوفية[٢] .

الناحية الثانية : أن هذه الطائفة كانت تلبس الصوف زهدا وتورعا عن لبس فاخر الثياب ، أما سائر الناس من غيرهم فيلبسونه لا لهذا الغرض الذي ينشده الصوفي . وحينئذ يكون تميزهم بلبس الصوف امرا واضحا[٣] . واختار المحققون هذا التحقيق لجودته .

والصوفية فرقة اسلامية تركز على قهر النفس وتحقير الحياة البشرية وذم

---

(١) القشيري الرسالة ص٢١٧ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص٣٣٤ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص٣٣٤ ، وانظر كتاب الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي لمحمد البهلي النيال ص١ - ٧ .

الدنيا بما فيها[١] . ويؤكد المتصوفون على العبادة والتفكير في الله والذكر والصلوات والاعتكاف . وقد جعلوا لأنفسهم درجات ومقامات يرتقو ا . ويتوقف هذا على ما وصلوا إليه من تطهر وصفاء ذهني وروحي .

والوصول إلى مرتبة متقدمة في الارتقاء تجعل صاحبها أكثر اقترابا من الذات الإلهية وأكثر استعدادا لاكتشاف نواميس وخبايا حياتية حجبت عن غير المنتمين لهذه الفرقة[٢] .

ولعل من دوافع اختيار منهج التصوف هو الخوف من اليوم الآخر وأهواله . إلى جانب ضرورة أخذ النفس بالشدة وجهادها باستمرار حتى تنضبط ولاتنحرف ، لميلها إلى الانحراف والتسيب كما سبق أن بينت ذلك .

والتصوف ، بصرف النظر عن أصوله والمؤثرات التي غذته ، قد حل بشكل واضح في القرن الثاني للهجرة / التاسع ميلادي ، ولعله كان في شكله البسيط الذي هو زهد وتقوى وورع[٣] . ثم سلك طريق التعقيد والتمذهب والتفلسف واستنباط الطرق الموصلة إلى الله مع « الطرق الصوفية » وشيوخها والزوايا وهذا بعد العصر الذي عاش فيه موضوع دراستنا « ابن أبي زيد القيرواني » .

أما ما نجده بشكل بين في الفترة التي ندرسها من هذه الظاهرة فهو الزهد والورع والتقوى . وما يصحب ذلك من قراءة منظمة للقرآن وترديد أذكار هي عبارة عن أشعار في الزهد[٤] .

ومن ينتمي إلى هذه ا موعة « يهجر الحياة الدنيا ويسافر إلى الله » ويصبح صاحب هذه الحالة مستجاب الدعاء وتتحقق على يده كرامات[٥] .

---

(١) انظر النيال محمد البهلي ، الحقيقة التاريخية للتصوف ص١ .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة التصوف .

(٤) المالكي ، رياض النفوس ٢٨٦/٢ .

(٥) وعرف العلماء « الكرامة » وقالوا : هي فعل خارق للعادة يظهر على يد عبد صالح في دينه من غير دعوة النبوة .

ولعلنا لو بحثنا عن بذور هذه الظاهرة في بلاد المغرب العربي الذي عاش فيها ابن أبي زيد فإننا نجد أن السكان بعد اعتناقهم الإسلام استهوى عددا منهم بشكل واضح الجانب الزهدي أكثر من الجانب العلمي النظري .

ونص المؤرخون على وجود عدد من الزهاد في بداية من القرن الثاني الهجري وقد مثلها بشكل جلي البهلول بن راشد بالقيروان والذي توفي سنة ١٨٣هـ وصل صدى تقواه وزهده إلى بلاد المشرق ، وجد إلى جانبه أبو خالد[١] عبدالخالق (القتات المتوفى في القرن الثاني الهجري يقول النيال البهلي في كتابه الحقيقة) التاريخية للتصوف مانصه : (وفي القيروان قبل ـاية القرن الثاني كان يعيش الزاهد المعروف باسم عبدالخالق القتات وكان فقيرا . وعلم الأمير إبراهيم ابن الأغلب الأول بضعف حاله (وكلاهما من تميم) فاحضره الأمير ابن الأغلب (مؤسس الدولة الأغلبية) وقال لعبدالخالق القتات : بلغني أن لك عيالا وأنك من العرب فخذ هذه المائة دينار فقال له القتات : أنا غني عنها، فقال ابن الأغلب : زيدوه مائة أخرى فقال القتات : لو كانت لي حاجة إليك لكانت لي في المائة الأولى كفاية .

فلم يزل ابن الأغلب يقول زيدوه وعبدالخالق يقول كلامه الأول حتى بلغ معه خمسمائة دينارا فتعجب ابن الأغلب وقال عنه : لقد أفسدكم (البربري)[٢] والله لو أدركته لجعلته يرقص خلفي[٣] .

وفي إطار هذه الفترة نرى أن مجتمع القيروان يعيش التمزق والضياع والإحباط وأن دواء ذلك يتمثل في الاعتكاف والمزيد من قراءة القرآن والدعاء

---

(١) انظر النيال / الحقيقة التاريخية للتصوف ص١٣٩ .

(٢) والبربري الذي يعنيه ابن الأغالب هو البهلول بن راشد وكان زاهدا ومن شيوخ القتات ورحل إلى المشرق وحج وأخذ الموطأ عن مالك بن أنس ويقال إنه اجتمع بذى النون المصري ، ورجع إلى القيروان وعلم الناس العلم والزهد فكان القتات من تلاميذه المتأثرين به بزهده . انظر الحقيقة التاريخية للتصوف للنيال ص١٣٩ .

(٣) رياض النفوس ص١٣٣ ، والمعالم للدباغ ص٧ وص١ جـ١ ، والحقيقة التاريخية للنيال ص١٣٩

أملا في تحقيق سعادة لم يستطع تحقيقها في واقعه ، أو لعله رأى أن الكسب يتم خلالها بدون مجهود يبذل ... ! .

ولقد نتج عن هذه الظاهرة عقد الحلقات في أماكن معينة للقراءة والذكر وترديد بعض أشعار الزهد كالتي تسند إلى شخصية أبي معدان[(١)] . ويتم ذلك بصفة خاصة في بعض المساجد مثل مسجدي السبت والخميس بالقيروان وبعض الرباطات في المنستير وسومة[(٢)] .

وفي مجتمع القيروان يعيش القهر ، ولايحقق طموحاته ، وكثرة القول بالرؤى وتحقيق الكرامات على يد عدد كبير من أفراده ، إلى جانب ما يذاع من أن دعاء هؤلاء مستجاب[(٣)] .

واذكر بعض النماذج التي تتكرر من ذلك في كتب الطبقات مع الكثير من الشخصيات :

أبوبكر بن اللباد يدعو على ثلاثة أشخاص فيجاب دعاؤه : فيجن الأول ويصاب الثاني بالعمى ويموت الثالث مبعدا في بلاد السودان ...[(٤)] .

---

(١) لعله أبو السري معدان الأعمى الشميطي من الإمامية ت/١٦٠هـ/٧٨٦م ، انظر سزكين فؤاد / تاريخ التراث العربي حج٢ جـ٣ ص٢٢٥ . المالكي / رياض النفوس ٢٨٦/٢ .

(٢) الدباغ وابن ناجي / معالم الإيمان ٢٨/١ - ٢٩ .

(٣) ليس كما يزعمه الجهال من الصوفية ومن سلك طريقتهم من السذج بدعوى أن استجابة الدعاء من قبيل الكرامة والأمر ليس كما يتصورون حيث إن الله - عزوجل - يعطي الدنيا لمن أحب ولمن لايحب لأ ا لاتسأوي شيئا عندالله ولايعطي الآخرة إلا لمن يحب من المتقين المخلصين ، وقد يستجيب الله دعاء الكافرين المضطرين إذا دعوه ويحرم المتقين عن إعطائهم سؤلهم لحكمة لايعلمها إلا هو ، واجابة دعاء الكافرين ليست في الحقيقة كرامة ، وإنما يشبه الكرامة في ظاهرها من جهة كو ا دعوة نافذة ، وإنما الكرامة في الحقيقة : مانفعت في الآخرة ، أو نفعت في الدنيا ولم تضر في الآخرة ، وإنما هذا بم لة ما ينعم به الله على بعض الكفار والفساق من الرياسات والأموال في الدنيا . فإ ا إنما تصير نعمة حقيقية إذا لم تضر صاحبها في الآخرة . (انظر كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق محمد حامد الفقي ص٣٥٣) .

(٤) عياض / ترتيب المدارك ٣٠٦/٣ .

وهذا أبو اسحاق الجبنياني (ت/٣٦٩/٩٧٩) جاءه شيخ كتامي يتجسس عليه ، لأنه لايحاكي الفاطميين في المناداة بحي على خير العمل ولايقرأ البسملة في أول الفاتحة والسورة إلخ .. فيدعو عليه الجبنياني « فتطير عيناه جميعا » فيخرج من المسجد يقاد ، وهو يقول : الموت ، الموت ! ...[١] وهذا أبو عبدالله محمد بن أبي حميد الطرابلسي ؟ يؤتى له بطفل قد أحدودب ظهره وتوقف عن السير ، يلمسه بيديه فيستقيم ظهره ويقوى على المشي !..[٢].

وعند الحديث عن أبي ميسرة أحمد بن نزار (ت٣٣٧هـ) ، يذكر أن نورا خرج له من الحائط ليقول له تأمل في وجهي أنا الآله ...[٣] .

وقد ذهب البعض إلى المغالاة في القول بالإتيان بما هو كرامة وتكرار رؤية الرسول ﷺ في المنام . وهناك من قال بما هو أبعد من ذلك مؤكدا رؤية الله* في اليقظة[٤] . وهذا يخالف ماهو معتقد من أنه حتى الأنبياء غير متاح لهم ذلك وإن وقع لهم من تكليم ووحي فمن وراء حجاب[٥] .

هذا ماكان يقع في مجتمع إفريقية والقيروان بصفة خاصة ، والذي وقف عليه ابن أبي زيد في بعض المساجد التي كان يتردد عليها ، والتي وصله صداها من هنا وهناك . ولعل هذا الذي كان يقع قد أقض مضجع ابن أبي زيد خاصة وأنه كان يقرن بالشعوذة وابتزاز الأموال باسم الولاية والكرامات .

وابن أبي زيد - على ما يبدو - كان متزن التفكير بعيدا عن بدع المتصوفة

---

(١) المصدر السابق ٥٠٩/٤ - ٥١٠ .

(٢) المالكي رياض النفوس ٣٨٨/٢ .

(٣) عياض ٣٥٩/٣ .

* مازعمه المتصوفة من رؤية الله في اليقظة فهذا واضح البطلان والضلال ، كما هو واضح أن المترائي هو شيطان يضحك على أذقا م ، ويسلبهم عقولهم وإيما م ، ويضل م غيرهم . إن الشيطان يدعي أنه إله ، وبطلان هذا القول واضح .

(٤) انظر الونشريسي / المعيار ٤٤٢/٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٥) قال الله تعالى : { وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب } الشورى الآية : ٥١ .

والإعتكاف وقهر النفس باحثا في الواقع المحيط به بموضوعية داخل منظومة التفكير السني : -

فالولي ضد العدو . والولاية ضد العدأوة . وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة وأصل العدأوة البغض والبعد . قال ابن حجر في الفتح : المراد بولي الله العالم بالله تعالى (المواظب) على طاعته المخلص في عبادته »[1] .

وهذا التفسير للولي ، هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه وتعالى ، ويدل على ذلك مافي الآيات القرآنية . كقوله تعالى : { ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم }[2] .

ولايجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات ان ذلك كرامة* من الله سبحانه ، فقد يكون من تلبيس إبليس ومكره .

بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة ، فإن كانت موافقة لها فهي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه . وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك ، فليعلم أنه مخدوع ممكور به قد طمح منه الشيطان فلبس عليه[3] .

فحقيق على الولي وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان ، أن يكون مقتديا بالكتاب والسنة ، وازنا لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة ، واقفا على الحد الذي رسم فيها غير زائغ عنها في شيء من أموره ، فقد ثبت عنه ﷺفي الصحيح أنه قال : كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد »[4].

وإذا ورد عليه وارد يخالف الشريعة رده ، واعتقد أنه من الشيطان ، ويدفع

---

(١) فتح الباري ٢٩٣/١٣ .

(٢) سورة يونس الآية : ٦٢ - ٦٤ .

* وسيأتي الكلام حول هذا في تحقيق شيخ الإسلام ابن تيمية انظر ص٧٠٢ من الرسالة .

(٣) انظر كتاب ولاية الله والطريق إليها دراسة وتحقيق لكتاب قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني للشيخ إبراهيم إبراهيم هلال ص٢٣٤ .

(٤) قد سبق تخريجه ص٦١٩ ، ٦٣٣ ، ٦٧٩ ، ٧١٤ .

ذلك بحسب استطاعته ، وبما تبلغ إليه قدرته . قال الله سبحانه وتعالى : { فاتقوا الله ما استطعتم }[1] .

وما أحسن ما قاله أبو سليمان الداراني : « إ ا لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة »[2] .

وقال أبو عثمان النيسابوري : من أمر على نفسه الشريعة قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر على نفسه الهوى قولا وفعلا نطق بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول : { وإن تطيعوه تدوا }[3] .

وإذا قررنا أنه لابد للولي من أن يكون مقتديا في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة ، وازنا لأفعاله وأقواله بميزان هذه الشريعة المطهرة ، واقفا على الحد الذي رسم فيها غير زائغ عنها في شيء من أموره ، ولايجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله ، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين ، كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن .

فإنه قد يظهر على يده مايظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة . وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية .

ولهذا تراه يظهر من أهل البدع ، بل من أهل الكفر وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه . لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده .

وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة على لسان بعض ا انين ، وسبب ذلك - كما ذكره الحكماء - أنه قد ذهب عنه مايصنعه الفكر من التفصيل والتدبير اللذين يستمران للعقلاء . فيكون لعقله إدراك لايكون للعقلاء ، فيأتي في بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة ، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتبك في القاذورات قاعد في المزابل ، وما يشا ها فيظن من لاحقيقة عنده أنه من أولياء

---

(١) سورة التغابن الآية : ١٦ .

(٢) تلبيس إبليس ص١٦٢ .

(٣) سورة النور الآية : ٥٤ .

الله ، وذلك ظن باطل ، وتخيل مخيل ، وهو في الحقيقة مجنون قد رفع الله عنه قلم التكليف ، ولم يكن وليا لله ولا عدوا[(١)] .

قال محقق كتاب العبودية ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل مكاشفة ، أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ، ونحو ذلك ، فيشتغل أحدهم ـذه الأمور عما أمر به من العبادة والشكر ونحو ذلك . فهذه الأمور ونحوها ، كثيرا ماتعرض لأهل السلوك والتوجه ، وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت[(٢)] .

خرق العادة خلاف زعم الصوفية :

الكرامة لغة :

قال الجوهري : (الكرم ضد اللؤم[(٣)]) وقال : (والكرامة - أيضاً - طبق يوضع على رأس الحب ويقال : حمل إليه الكرامة وهو مثل الـ ـل)[(٤)] .

وقال ابن منظور : (الكريم من صفات الله واسمائه وهو : الكثير الخير الجواد المعطي الذي لاينفذ عطاؤه)[(٥)] .

ويطلق أيضاً على ما امتن الله به على عبده من النعم والعطية فإ ـا تسمى (كرامة) .

وهي في الاصطلاح : أمر خارق للعادة يظهره الله - عزوجل - على أيدي أوليائه .

قال البغدادي : (اعلم أن المعجزات والكرامات متسأوية في كو ـا ناقضة للعادات)[(٦)] .

---

(١) ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم هلال ص٢٣٩ .

(٢) كتاب العبودية ص٥١ ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق على حسن عبدالحميد .

(٣) الصحاح (٢٠١٩) .

(٤) الصحاح (٢٠٢١) .

(٥) لسان العرب ٥١٠/١٢ .

(٦) أصول الدين : ١٧٤ .

قال شارح الطحأوية : (فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وكذلك الكرامة في عرف أئمة العلم المتقدمين)[1] .

وقال السفاريني : (الكرامة وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح علم ا ذلك العبد الصالح أم لم يعلم)[2] .

المذاهب في الكرامة :

في إثبات الكرامة وجواز وقوعها ثلاثة مذاهب :

الأول : جواز وقوعها على أيدي الصالحين ولكنها لاتصل إلى الخوارق التي أظهرها الله - عزوجل - على أيدي أنبيائه ورسله لإثبات نبو م وهذا ما قرره ابن تيمية - رحمه الله تعالى . حيث قال : (ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين كما أ م لايبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجا م ولكن قد يشاركو م في بعضها كما قد يشاركو م في بعض أعمالهم[3] .

ويفهم من هذا أن أولياء الله قد يشاركون الأنبياء في غير المعجزة التي جعلها الله عزوجل - لبيان صدق دعواهم من المعجزات الأخرى التي لم يقصد ا التحدي .

الثاني : جواز وقوعها بدون حد :

فما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه لولي .

بل الخارق للعادة يقع من النبي والولي والساحر ولا فرق إلا دعوى النبوة من النبي والصلاح من الولي ، وهذا مذهب الأشاعرة .

الثالث : المنع من وقوع خرق العادة لغير الأنبياء وهذا قول المعتزلة وابن

---

(١) شرح الطحاوية (٥٥٨) .

(٢) لوامع الأنوار البهية ٣٩٢/٢ .

(٣) النبوات ٤ - ٥ ، وراجع الفتاوى لابن تيمية ١٥٦/٣ .

حزم ويذكر عن أبي إسحاق الاسفراييني من الأشاعرة[١] .

قال البغدادي : (وأنكرت القدرية كرامات الأولياء لأ م لم يجدوا في أهل بدعتهم ذا كرامة فأنكروا ما حرموه بشؤم بدعتهم وظنوا أن إجازة ظهور الكرامة للأولياء يقدح في دلالة المعجزة على النبوة[٢] .

موقف الشيخ ابن أبي زيد القيرواني من كرامات الأولياء :

وقد أشيع عن ابن أبي زيد رفضه كرامات الأولياء ورموه بالقدرية والاعتزال وقد ذكر الدباغ في المعالم مانصه : (وكان أبو محمد ابن أبي زيد كثيرا ما ينكر عليه موقفه من كرامات الأولياء لمعنى قلب الأعيان وذلك قصور منه - رحمه الله - عن إدراك ما وهب الله أولياءه من الكرامات وما أفاض على قلو م من الأنوار والبركات فلذلك كان يشير الشيخ أبو القاسم في كتبه إلى قصور الفقهاء الذين ينكرون القدرة وما وهب الحق لأوليائه[٣] {بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه}[٤] .

وابن أبي زيد - على ما يبدو - كان متزن التفكير بعيدا عن التشدق بالباطل وغاية ما في الأمر أن في بلاد القيروان كثر الحديث عن كرامات الأولياء وانقلاب الأعيان فيها خاصة وبدأت بعض الشرائح الاجتماعية الساذجة في ا تمع القيرواني تصدق هذه الادعاءات وتبعا لتصديقها هذا كثر عدد المدعين لهذه الترهات مما يهدد الحياة الفكرية للمجتمع القيرواني الناهض جرد ابن أبي زيد قلمه للرد على بعض هؤلاء ممن ألفوا في هذا الميدان تآليف كثيرة ولم يكن هذا الشخص سوى أبى القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله البكري

(١) شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د. أحمد سعد حمدان ص١٧ .

(٢) أصول الدين ص١٧٥ .

(٣) معالم الإيمان للدباغ ١٤٦/٣ .

(٤) سورة يونس الآية : ٣٩ .

الصقلي(١) الذي وصفه صاحب المعالم بإمام الحقيقة وشيخ الطريقة(٢) .

وله كما هو موجود في ترجمته مؤلفات عديدة في التصوف غالى فيها مغالاة شديدة في قضية انقلاب الأعيان وهو ما ينكره عليه وعلى أمثاله ابن أبي زيد(٣) .

وعندما كتب ابن أبي زيد كتابيه حول هذه القضية - إنكار الكرامة - وهما على التوالي : كتاب الإستظهار في الرد على البكرية(٤) ، وكتاب كشف التلبيس، لم يكن هدفه إنكار كرامات الأولياء عامة بل كان هدفه إنكار المغالات التي أدت ببعضهم إلى القول برؤية الله جهرا وادعاء بعضهم قدرته على تغيير الأشياء من صفة إلى صفة . إلا أن القوم كانوا فطناء وألصقوا بابن أبي زيد مة إنكار كرامات الأولياء الثابتة شرعا والمقبولة عقلا ، ولهذا تحزب لهم بعض الفقهاء حتى من تلاميذ ابن أبي زيد أنفسهم وهو الطلمنكي(٥) في حين أن الثابت تاريخيا أن أبا محمد ما أنكر من هذه القضية سوى ما يتعارض مع الدين الإسلامي والعقل السليم ، وماذكر من كلام ابن أبي زيد يدل على عدم إنكاره كرامات الأولياء .

---

(١) أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله البكري الصقلي سمع بالقيروان من أبي الحسن علي بن محمد ابن مسرور الدباغ ومن حسن بن نصروابي العربي ارتحل إلى المشرق فأخذ عن البجلي وأبي الحسن الهاشمي وابن فندار القاضي وبمكة على آخرين سنة ٣٥٠هـ . وجمع الحديث وأصول الفقه والتصوف والصلاح والزهاد من تأليفه أنوار الصقلي بأنواع المعارف وأسرار التصوف بما أوتي فيه من غيره وله كتاب صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء وله أيضاً كتاب كرامات الأولياء والمطيعين ومن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلا أنه مات قبل ابن أبي زيد واما عياض فيسميه عبدالرحيم . ترتيب المدارك م٢ ٤/٤٩٥ .

(٢) ترجمته بمعالم الإيمان ١٤٤/٣ - ١٤٥ .

(٣) معالم الإيمان ١٤٥/٣ .

(٤) ترتيب المدارك م٢ جـ٤ ص٤٣٤ ، يقول عياض الرد على الفكرية وهو تصحيف والأصح البكرية نسبة إلى أبي بكر الصقلي .

(٥) أحمد بن محمد بن أبي عبدالله بن أبي عيسى المعافري أبو عمر الطلمنكي ، سكن قرطبة وأقرأ ا ومات في تسع وعشرين وأربعمائة . انظر الديباج المذهب لابن فرحون ١٧٨/١ - ١٧٩ . ولد الشيخ محرز بن خلف سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م .

أولا ، أنه كان يلتجيء إلى دعائهم في كثير من الحالات التي تعرضه أو تعترض بعض أفراد أسرته . ومن ذلك ما ذكره الدباغ في معالمه أن المؤدب محرز[1] بن خلف التونسي - رحمه الله تعالى - قصد إلى زيارة أبي محمد فلما دخل إلى داره أتوه بابنة الفقيه أبي محمد ليدعو لها - وكانت قد اقعدت - فدعا لها فقامت على قدميها ومشت من ساعتها : فكثر التعجب من ذلك فقال المؤدب محرز والله ماقلت إلا : اللهم بحرمة أبيها عندك اكشف مانزل ا ، فشفاها الله ببركة أبيها[2] .

قال ابن ناجي التنوخي : (... إن مؤدب أولاد الشيخ أبي محمد ضرب واحدا منهم بسوط فأخطأ السوط فجاء على عينه فسالت : فبادر ورد العين لموضعها ورمق ببصره إلى السماء ودعا بدعاء خفي وأزال يده فرد الله بقدرته العين كما كانت ! وكان أبو محمد - ابن أبي زيد - ينظر من طاق وهو جالس في علو له شارف على المكتب ، فوقع بصره على جميع ذلك ، فبادر إلى دواة وقلم وورق وأتى إلى المؤدب فأخذ المؤدب يعتذر ، فقال ابن أبي زيد : كل ذلك رأيته ولكن أمل علي الدعاء الذي دعوت به لئلا تنساه لادعو به لنفسي فقال : يا شيخ لما رأيت مصيبتي عظمت دعوت الله تعالى فقلت اللهم ببركة والده رد

---

(١) ومحرز هو أبو محفوظ محرز بن خلف بن رزين بن يربوع بن حنظلة ابن اسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وهو كثير الكرامات والمناقب والحسنات كانت له اليد البيضاء في إعزاز السنة واخماد البدع والزهد والورع ، كان مجلسه مجلس وعظ مع كرم اخلاق وحلم يقول الشعر ويجيده . أخذ عن واصل بن عبدالله القيرواني المشهور بالعلم والصلاح وروى عن أبي إسحاق الدينوري وكتب إليه أبوبكر الأ ـري ورروىعنه حاتم الطرابلسي ومن لايعد كثرة وكانت وفاته سنة ٤١٣هـ وقد توفى عن السبعين وضريحه بتونس ، وهو الذي دعا أبا محمد عبدالله ابن أبي زيد لتأليف مايجب تعليمه لأبناء المسلمين . انظر طبقات المالكية ٢٥٢/٢ .

(٢) وهذه القصة المذكورة إن صحت فسكوت ابن أبي زيد يدل على إقرارها وهذا يتنافى مع مذهب السلف الصالح حيث إ ـم لم يكونوا يجزمون بالبركة للشيء دون الدليل من الكتاب والسنة كما أنه لايجوز أن نقطع بالبركة إلا إذا ثبت فيه الدليل على لسان الشارع . فهذا يعتبر من هفوات ابن أبي زيد حيث أنه غير معصوم .

عينه كما كانت[1] .

- روى أن المؤدب محرزا زار الشيخ أبا محمد بالقيروان على عادته فبات عنده ليلة ، فلما كان بعد ذهاب النصف الأول من الليل قام الشيخ محرز لحزبه، فطلب الماء فلم يجده فقال لأبي محمد : قل للخادم تكنس السطح وتفتح الميزاب ففعل ، ورقي محرز السطح ودعا ماشاء الله فاقبلت سحابة بماء غزير وامتلأ ماجل الدار ، ثم نزل محرز واستقى الماء وتوضأ جميعا وقضيا وردهما ، فلما أصبح خرج أبو محمد لمسه فأخبر أصحابه بما نزل من المطر ! فقالوا مانزل عندنا منها شيء ! ولم يكن المطر إلا بمقدار دار الشيخ أبى محمد ولم يـ ل بالدار الملاصقة لها شيء[2] .

وهذه القصة تدل على إيمان ابن أبي زيد بكرامات الأولياء . مما نلمسه في موقفه من الحوادث الخارقة للعادة التي قد يبلغها له تلاميذه في حلقة الدرس من ذلك ماذكره ابن المنمر[3] الطرابلسي (من أنه قصد الحج في جماعة منهم أبو عثمان الحساني[4] فبقوا ثلاثة أيام بلا أكل فاقترب أبو عثمان من مرتفع صغير من الأرض ومرر عليه يده ثم أخذ منه قطعة من التراب ووضعها في وعاء كان معه ثم خلطه بقليل من الماء وتلا بعض الآيات وقال بسم الله ثم أمرهم قائلا : اذكروا اسم الله ثم كلوا ففعلوا)[5] . ويذكر ابن المنمر أن الشيخ أبا محمد بن أبي زيد لما سمع الحكاية طأطأ رأسه برهة ثم رفعه وقال قد يكون ذلك خاصة وقد

---

(١) وقد سبق تعليقي على مثل هذه النقطة في الفقرة الماضية .

(٢) كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ١١٦/٣ .

(٣) المصدر السابق ١١٦/٣ - ١١٧ .

(٤) أبو الحسن المنمر (٣٤٨هـ - ٤٣٢هـ) هو أبو الحسن علي بن محمد المنمر الطرابلسي القرطبي يذهب عياض إلى القول بأنه المعروف بالهمر من أهل طرابلس . ترتيب المدارك ٧١٣/٤ .
تفقه بطرابلس على بكرون ثم ارتحل إلى المشرق فسمع بمصر من محمد بن عبيد الوشاء وأبي القاسم الجوهري وبمكة من ابن رزين . ترتيب المدارك ٧١٣/٤ .
ثم عاد إلى بلده وارتحل منها إلى القيروان بصحبة ابن الخشاب حيث سمع بالقيروان من أبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وغيرهما . رحلة التيجاني ص٢٦٥ - ٢٦٧ ط١ ١٩٥٨م .

(٥) انظر رحلة التجاني ط ١٩٥٨ ص٢٥٠ - ٢٥٢ .

بقيتم ثلاثة أيام بلا أكل وتلا بعض الآيات القرآنية وسكت . اقراره هذا لايدل على قلب الأعيان حيث إنه لمن المنطقي أن يكون هذا هو موقف عالم المائة الرابعة من مثل هذه الحكايات التي انتشرت في عصره منها ما يرفضه رفضا قاطعا كادعاء بعضهم رؤية الله ومنها ما يحيله إلى علم الله بدون أن يعلق عليه وهو مافعله لما أخبره به ابن المنمر . أما إذا طلب منه أن يكون هو ذاته مصدر الكرامة من الكرامات فإنه يجيب الطالب بما هو معروف في الشريعة بأن لاضار ولا نافع إلا الله ، وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ... »[1] .

وما ذكرته من شأن ابن أبي زيد يدل على إيمانه بكرامات الأولياء حيث ألف في هذا الشأن كتابا تحت عنوان ((إثبات كرامات الأولياء))[2] وأثبت فيه ما للأولياء من الكرامات في الحد المقبول ، وعارض ما زعمته غلاة المتصوفةفي مدينة القيروان وما جاورها. وبين أن ما يظهر من خلاف العادة إما أن يكون من قبيل الكرامات إن كان ماحدث من ولي أو من قبيل المعونة إن كان ماحدث إنما جرى لإنسان عادي[3] .

ثم يقول : ((وعندما يذكر لنا ابن فرحون أن ابن أبي زيد كان مستعدا أن يتراجع ويرجع إلى الحقيقة فإنه يشير بذلك إلى هذا التقلب ولكن ليس من المؤكد أن ابن أبي زيد قد تراجع في آرائه كلية من المحتمل أن يكون هذا الكتاب مجرد (تفسير) للكرامات التي تحدث عنها الطلمنكي . وأن ابن أبي زيد قد حأول التمييز بين الغث والسمين دون أن يتنازل عن آراءئه السابقة ومن هنا تبين أن المسألة وهي آراء يبدو أ ا لم تتغير كثيرا رغم ما آثارته من ضجة وجدال من طرف معارضيه[4] .

وفيما تقدم نرى إثبات ابن أبي زيد كرامات الأولياء[5] وإنما أنكر على من

---

(١) انظر ماذكره الدكتور الدرقاش حول ماكتبه عن ابن أبي زيد ٢٩٧/١ .

(٢) معالم الإيمان ١١٣/٣ .

(٣) كتاب الدرقاش حول ابن أبي زيد : ٣٠٠ . بتصرف شديد.

(٤) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٥) وكان ممن تأثر بابن أبي زيد في اقرار كرامات الأولياء تلميذه أبوبكر محمد بن موهب التجيبي ⇦

غلا فيها ومن ألصقه ـمة الإنكار فهذا كلام خلف . وسار على هذا النهج ابن تيمية ويقول : « ومن الكرامات ما أظهرها أصحا ا كاظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء وإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر ، وإظهار أبي مسلم لما ألقى في النار أ ا صارت عليه بردا وسلاما »[1].

ويقول : « وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ﷺلاتدل على أن الولي معصوم ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله .. » [2]

المبحث الثاني :

ادعاء الصوفية رؤية الله يقينا في الدنيا :

إن رؤية الله - عزوجل - في الآخرة من المسائل المهمة في العقيدة والتي تعددت فيها مذاهب الناس نفيا وإثباتاً .

وقد نحا ابن أبي زيد إلى إثبات رؤية المؤمنين لر ـم في الجنة كما يليق به في الدار الآخرة يوضح ذلك قوله :

(وأن الله - سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم لايضامون في رؤيته كما قال الله - عزوجل - في كتابه وعلى لسان نبيه - ﷺ، في قول الله - سبحانه : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[3] قال : الحسنى الجنة ، والزيادة :

الحصار المعروف بالقبري وهو ممن تابع شيخه في أفكار المغالات في الاعتقاد في كرامات الأولياء

(١) النبوات لابن تيمية ص٤ .

(٢) المصدر السابق ص٥ .

(٣) جزء من الآية (٢٦) من سورة يونس .

النظر إلى وجه الله تعالى[1] .

وما يعتقده ابن أبي زيد في الرؤية وإثبا ا هو إعتقاد السلف الصالح من أهل السنة والجماعة ومن سار على جهم وسلك سبيلهم .

وأذكر بعض أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في إثبات الرؤية.

أولاً : من الصحابة .

١) - أبوبكر الصديق وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما اللذان قالا في قوله تعالى { للذين أحسنوا الحسنى }[2] الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه ر م .

٢) - أبو موسى الأشعري ، حيث قال في قوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[3] . قال : النظر إلى وجه ر م[4] .

ثانياً : من التابعين :

١) - الحسن البصري[5] ، الذي قال في قوله - عزوجل - : { وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ر ا ناظرة }[6] .

قال الفاخرة : الحسنة ، حسنها الله بالنظر إلى ر ا - عزوجل - وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى ر ا جل جلاله[7] .

ثالثاً : من أئمة وعلماء أهل السنة والجماعة :

---

(١) الجامع ص١٤١ .

(٢) أن الحسنى الجنة وأن الزيادة النظر إلى وجه الله ، كتاب الجامع ص١٤١ . والسنة لعبدالله بن أحمد ، تحقيق د. محمد سعيد القحطاني رقم ٤٧١ ، ٤٧٣ .

(٣) سورة يونس الآية : ٢٦ .

(٤) التوحيد لابن خزيمة ص١٨٤. سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري ثقة، فقيه زاهد فاضل كان يرسل كثيرا وكان من أفصح الناس وأجملهم مات سنة ١١٠هـ تقريب التهذيب١٦٥/١ .

(٥) سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري ثقة ، فقيه زاهد فاضل كان يرسل كثيراً وكان من أفصح الناس وأجملهم مات سنة ١١٠هـ تقريب التهذيب ١٦٥/١ .

(٦) سورة القيامة الآية : ٢٢ - ٢٣ .

(٧) السنة لعبدالله بن أحمد ، تحقيق : د. محمد سعيد القحطاني برقم ٤٧٩ ، والجامع ص١٤١.

١) - الإمام مالك ، الذي قال : الناس ينظرون إلى الله - عزوجل - يوم القيامة بأعينهم[١] .

ووجه الدلالة من كلام الإمام مالك أن الرؤية تحصل لهم يوم القيامة لافي الدنيا .

ويشهد أهل السنة أن المؤمنين يرون ر م تبارك وتعالى يوم القيامة بأبصارهم وينظرون إليه على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺفي قوله « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر »[٢].

هكذا يتبين أن عقيدة سلف هذه الأمة في الرؤية الإثبات بأ ا كائنة في الآخرة لأهل الإيمان بلا إحاطة ولا كيفية وتبين كذلك مأوردت به النصوص وما يجيزه العقل حيث تجلى الله للجبل وهو جماد ، فلامانع أن يتجلى لعباده بالكيفية التي تليق بجلاله وكماله عزوجل .

تزعم الصوفية رؤية الله يقظة في الدنيا لأوليائهم دون سائر الناس .

يقول الشيخ الطاهر ميغري : « إن أنصار الفيضة يدعون رؤية الله يقظة وجهارا ويزعمون أ م أفضل من نبي الله موسى حيث إنه سأل الرؤية ولم ينلها وهم يرون الله في كل لحظة »[٣].

وقد سلك هذا الطريق الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي في كتابه تحت عنوان تبصرة الأنام في جواز رؤية الله في اليقظة والمنام ، وقد جاء ذكر هذا الكتاب في ذيل كتاب كاشف الألباس[٤] .

وفي تصوير مسلك ابن أبي زيد يرى أن فرقة الصوفية كانوا يدعون رؤية الله ومن ثم يحاولون إيجاد الفرق بين النبي والولي ويقولون إن نبي الله موسى سأل الله الرؤية ولم ينلها ، ونحن نرى الله في كل لحظة ... قال ابن ناجي : « ... إن أبا

---

(١) الشريعة للآجري ٢٥٤ .

(٢) رواه البخاري ح (٧٤٣٤) ، وعقيدة السلف للصابوني ٦٣ .

(٣) الشيخ إبراهيم انياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه لمحمد الطاهر ميغري ص٣٢٠ .

(٤) انظر ذيل كاشف الألباس ٦٦ ، وكتاب محمد الطاهر ميغري ص٣٢ .

محمد لم ينكر كرامات الأولياء وإنما أنكر رؤية الله في اليقظة وما شا ها من انقلاب الأعيان »[1] .

ولعل الذي دفع ابن أبي زيد إلى هذا النكران ما تفاقم في عصره حيث كان بعض المتصوفة يدعون رؤية الله العلية وأضافوا إلى أنفسهم خوارق ومعجزات لاتجد مثلها حتى للرسل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وكان هذا الادعاء الباطل وهذا الغلو الذي يرفضه الإسلام قبل العقل هو ما أنكره عليهم ابن أبي زيد القيرواني وعمدة فكرته إنكار رؤية الله في اليقظة وهي تنبثق مما حصل لأبي ميسرة أحمد بن نزار شيخه رحمه الله حيث إنه كان رجلا صالحاً عالماً مشهوراً بالفقه .. وروى أنه كان ذات ليلة يتهجد ويبكى وقد أتى على صلاته وإذا بنور عظيم قد خرج له من حائط البيت كأنه محراب ثم قال له تملأ من وجهي يا أبا ميسرة فأنا ربك الأعلى فبصق في وجهه وقال اذهب يا ملعون فعليك لعنة الله فطفئ ذلك النور من ساعته كسراب بقيع وإذا به إبليس أراد أن يفتنه فنجاه الله[2] .

فانظر إلى هذا الولي الصالح الصادق في عبادته والعارف بمقامه والذي على الرغم من المفاجأة التي فاجأه ا إبليس لم يفقد توازنه الروحي ولم يغره بالله الغرور .وهذه الواقعة قد بلغت ابن أبي زيد ولاسيما أنه كان طالبا في حلقته - أبي ميسرة أحمد بن نزار - ولما كثر الحديث عن رؤية الله في القيروان رد ابن أبي زيد على تلك الترهات الباطلة وانتهى إلى عدم حصولها في الدنيا أما في الآخرة فجائزة وواقعة وقال وهي التي ثبتت ا الأدلة من الكتاب والسنة بدليل قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ر ا ناظرة }[3] . وذكر الشيخ أن ذلك يكون في الآخرة[4] . ثم تعرض الشيخ لذكر حال الكفار يوم القيامة على أ م محجوبون

(١) معالم الإيمان ١١٣/٣ .

(٢) معالم الإيمان ٤١/٣ .

(٣) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ - ٢٣ .

(٤) كتاب الجامع ص١٤١ ، كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ص٢٩٣ ومحاضرات ملتقى عبدالله بن أبي زيد القيرواني ص٢٢٩ .

عن رؤية الله تبارك وتعالى فإن هذا يدل على خلاف ذلك للمؤمنين بأ م سيرونه وهم غير ممنوعين أو محجوبين عن رؤيته في الجنة من غير نزاع وهكذا روي أنه يرى في عرصات القيامة .وقطع الشيخ ال اع ببيان الموقع الذي يحصل فيه الرؤية حتى لايتوهم المتوهم أ ا تقع في الدنيا وقال : وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدها دار الخلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم وهي التي أهبط منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه ...[1] .ولاشك عندي أن إنكار ابن أبي زيد في إمكانية رؤية الله في الدنيا حسب العقيدة السنية وأشار الشيخ في أدلته إلى تحقق ذلك في اليوم الآخر بالنسبة لمن كانت الجنة من نصيبه . وحسب النتائج التي بانت لي من خلال ما توصلت إليه أيدي من الكتب المدونة في هذا ا ال فإن ابن أبي زيد عندما كتب كتابيه حول هذه القضية وهما على التوالي : كتاب الإستظهار في الرد على البكرية وكتاب كشف التلبيس[2] وكان هدفه إنكار المغالاة التي أدت ببعضهم إلى القول برؤية الله يقظة في الدنيا .وذكر الشيخ الطاهر ميغري ماكان عليه غلاة المتصوفة من الضلال والغي في زعمهم رؤية الله يقظة وقال : « إذا كانت رؤية الله عند الصوفية تختلف عنها عند العلماء . فلابد إذن من أحد أمرين فإما أن تكون الرؤية التي قررها أولئك العلماء ليست صحيحة ورؤية الصوفية هي الصحيحة الثابتة فعلى هذا لاينبغي أن يستدل بأقوالهم - أي العلماء - لإثبات الرؤية الصوفية لذات الإله للاختلاف الأساسي بين الرأيين في الاتجاه والأهداف وبالتالي لايكون الرديء المرذول دليلا على ثبوت صحة الجيد المقبول . وإما أن تكون رؤية الله على نوعين نوع ببصر الإنسان وقلبه ونوع بعين الله نفسه فإذا كان الصوفية يرون الله بعينه حقيقة كما قرر الشيخ فمعنى ذلك أن الله يحل فيهم أو يتحد م إذ لايتصور أن يكون الشيخ الصوفي أو أحد أفرادهم الذي يمشي على رجليه كما يمشي الناس وينظر بعيني

(١) الرسالة لابن أبي زيد ص١٤ ، وللمزيد من التوضيح انظر شرحها الفواكه الدواني للشيخ أحمد غنيم بن سالم النفرأوي المالكي ٨٠/١ - ٨١ .

(٢) ترتيب المدارك م٢ ٤٣٤/٤ ، يقول عياض الرد على الفكرية وهو تصحيف ، والأصح البكرية نسبة إلى أبي بكر الصديق .

رأسه كما ينظر الناس ويتكلم بلسانه كما يتكلم الناس وهكذا ثم ينفرد عنهم برؤية الله بعين الله وهو بين أظهرهم من دون أن يكون الله قد حل فيه حين الرؤية أو يتحد به دو م كيف وأ م دائما ينفون الحلول والاتحاد في حركا م[1] .و ذا نرى ان ابن أبي زيد مصيب في إنكاره رؤية الله يقظة في الدنيا وهذا ما عليه سلف هذه الأمة قاطبة .

زعم الصوفية رؤية الله عيانا في الدنيا ويقولون : « ... اعلم أن القوم يتكلمون بألفاظ في اصطلاحهم ليست على ظاهرها ولايعرفها إلا من شرب من مشار م ، وربما أنكرها أعمى البصيرة المحروم نور التصديق ويستحيلون صدق ما يدعون ، وربما أنكر المنكر بحجج داحضة حيث لم يهتد إلى الشيء المنكر فيعرف ما يدفعه به ، وإذا سمع أحدا يدعي مشاهدة الحق قال : قال الله تعالى : { لاتدركه الأبصار } والمشاهد لايدعى الإدراك ولا يرى سوى مشهوده وكل من يرى سوى مشهوده ولو ذرة يعتقده هو لم ينف الشريك فمدعي المشاهدة هو أتم الناس إعتقادا أن لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار[2] .

ولما تم له كل ذلك قال : « فصاحب هذا المقام لاكلام له ولا عبارة إذ قد انقطعت العبارة فهذا الذي أشرنا إليه هو الرؤية التي تدعيها الرجال ثم استشهد على ذلك بأقوال علماء الكلام وغيرهم من أن الممكنات الجائزة عند أهل الحق رؤية المخلوقات لمولاتا جل وعز على ما يليق به تبارك وتعالى من غير جهة ولا جرمية ولا تحيز ، لأنه تعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى بالبصر ، وهكذا فالأنبياء والأولياء يرون الله قبل كل شيء والصالحون يرون الله في كل شيء والمؤمنون يرون الله بعد كل شيء ، ثم أيدوا كل ماتقدم بقولهم : « قد صح أن النبي - ﷺ- رآه ليلة الاسراء* ، وماجاز أن يكون معجزة لنبي يجوز أن يكون

(١) كتاب الشيخ إبراهيم انياس الكولخي لمحمد الطاهر ميغري ص٣٨٢ - ٣٨٣ .

(٢) كتاب الشيخ إبراهيم انياس الكولخي لمحمد الطاهر ميغري ص٣٦٤ .

* وهذه ليس من معتقد أهل السنة والجماعة حيث إ م لم يقولوا برؤية الله عز وجل في الدنيا،وإنما يتحقق ذلك للمؤمنين يوم القيامة ويحجب الكفار عنها،بقوله تعالى :{ وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ر ا ناظرة } أي ينظرون الى ر م "سورة القيامة ٢٢-٢٣ "و من السنة قال مسروق : دخلت ⇦

كرامة لولي »[1] .

على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت : لقد تكلمت بشئ وقف له شعري فقلت رويدا ، ثم قرأت {لقد رأى من آيات ربه الكبرى } وقالت أين يذهب بك انما هو جبريل ،من أخبرك أن محمداً ﷺ رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمره به أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى { إن الله عنده علم الساعة وي ل الغيث } فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل ،لم يره في صورته الا مرتين ، مرة عند سدرة المنتهى ، ومرة في أجياد وله ستمائه جناح قد سد الأفق (تفسير ابن كثير جـ ٤ : ٢٥١) وأما ما يتعلق برؤية الناس ر م في الدنيا فقد ورد عن النبي ﷺ ما يدل على امتناع رؤية الله عز وجل في الدنيا بقوله ﷺ (تعلموا أن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت ٠٠رواه مسلم في صحيحه . وهذا قول أهل السنة والجماعة ، قال الإمام البربـهاري : (ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا ،فهو كافر بالله عز وجل) شرح السنة ص ٨٤ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينه قبل الموت، فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة ، لأ م اتفقوا جميعاً على أن أحداً من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه لما ذكر الدجال قال : (وا علموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت) سبق تخريجه ٠ وهذه الأحادث وغيرها في الصحاح ، وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول ، واتفق عليها أهل السنة والجماعة ، وإنما يكذب ا أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم من الذين يكذبون بصفات الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك ، وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة ٠ فهؤلاء الضلال الكفار الذين يزعم أحدهم أنه يرى ربه بعينه ، وربما زعم أنه جالسه وحادثه أو ضاجعه ، وربما يعين أحدهم آدمياً إما شخصاً أو جنياً أو غيير ذلك ، ويزعم أنه كلمه ، يستتابون فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم وكانوا كفارا ، إذ هم أكفر من اليهود والنصارى الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فإن المسيح رسول كريم وجيه عند الله في الدنيا ولآخرة ومن المقربين ، فإذا كان الذين قالوا : إنه هو الله ، وأنه اتحد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم ، بل الذين قالوا إنه اتخذ ولداً حتى قال (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئاً إدا ، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) سورة مريم :٨٨-٩٣، فكيف بمن يزعم في شخص من الأشخاص أنه هو ؟ هذا أكفر من الغالية الذين يزعمون أن علياً رضي الله عنه أو غيره من أهل البيت هو الله ٠(كتاب رؤية النبي ﷺ لربه للدكتور محمد بن خليفة التميمي ص٩٥-٩٨ ٠

(١) في المصدر السابق ونفس الصفحة .

المبحث الثالث :

موقف ابن أبي زيد من الذكر الجماعي عند الصوفية :

إن المتتبع لما أثر عن ابن أبي زيد حول ما يصنعه الصوفية من مجالس جماعية دورية ينشغلون فيها بالذكر بشكل جماعي ويتلون أورادا معينة متوارثة عن مشايخهم يجد موقف ابن أبي زيد واضحا متمثلا في إنكاره لاجتماعهم حول قراءة الأذكار والأوراد .

ويوضح ذلك قولنا : إن الصوفية لهم أوراد وأذكار مأثورة عن مشايخهم ويزعمون أ ا من عند رسول الله - ﷺ- ، ونسبتها إليه زور و تان ولا يوجد لأكثرها سند يستندون عليه متصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وكانوا يحبون الاجتماع لذكر « لا إله إلا الله مع الجهر به ، ومجالسهم في أعتاب الشيوخ وفي زواياهم وفي الطرقات أيضاً ، وعدوا هذا الذكر من لوازم التربية الصوفية ، وقد أشاعوا الذكر في أوساطهم بشكل يقلق بال غيرهم ، ويزعج راحتهم ، لأنه أمر لم يتعوده الناس في المغرب العربي ، فكانوا في كل مكان منه ينكرون عليهم هذا الإظهار والإجهار الجمعي بذكر لا إله إلا الله ، لأ م يرونه ابتداع شيء في الدين ليس منه ، أو غلو فيه وبعضهم يفسر ذلك بالرياء ، أو أسلوب من أساليب ابتزاز أموال الناس بالباطل .

ويتبين لنا من هذه الأوراد والأذكار وما فيها من الألغاز والطلاسم وتعقيد

المعنى وما يشترطون في أخذها من الإذن والموالاة للشيوخ والأقطاب والمقدمين ما يخالف طريقة الرسول ﷺحيث إنه كان يعلم أصحابه الأذكار والأوراد دون مقابل ولايشترط فيها الإذن ، وذكر الله في حد ذاته غاية في الجمال إذا اقتصر على الأذكار والأوراد المأثورة عن المصطفى ﷺ، وبالطريقة المأثورة عن الصحابة ، ولكن بعض الصوفية أدخل فيه بعض الطلاسم والألغاز وماليس له شبه بكلام النبوة وذلك لحبهم الشهرة والسمعة كما اتخذها وسيلة لجمع المال من المريدين والمريدات[1] .

مذهب أهل السنة والجماعة في الأوراد والأذكار :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن للمسلم أن يدعوا الله بما شاء من أنواع الأدعية والأذكار سواء كانت مما ورد في الكتاب والسنة أو مالا يخالفهما ، لكن الأفضل أن يدعو الله ويذكره بما ورد في الكتاب والسنة . أما أن تتخذ أدعيه وأوراد معينة في أوقات مخصوصة وبأعداد محددة وبشروط معلومة ، وتتخذ شعارا لطائفة من الناس ينفردون ا عن سائر المسلمين ويعتقدون أ ا واجبة أو مندوبة ويرتبون على ذلك مالا يحصى من الثواب ، وأن من تركها حلت عليه العقوبة ، ويستغنون ا عن الأوراد الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة كما فعل الصوفية ومن شايعهم،فهذا تشريع مالم يأذن به الله فهو بمثابة جعل الحلال حراما والحرام حلالا ، قال النبي ﷺ: « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »[2].

ويقرر العلماء أن هذه الأوراد من البدع المحرمة وأنه لاينبغي العدول عما ورد عن المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى أوراد المشايخ والطرقية .

---

(١) وهذا دأب أصحاب الطرق وهي حقيقة لاينكرها أحد وقد كتب حول هذه الفقرة الأستاذ الطاهر ميغري في مقدمة كتابه تحت عنوان : الشيخ إبراهيم انياس الكولخي وكما تعرض لها الدكتور على أبوبكر في الثقافة العربية في نيجيريا ، انظر ص٢١٥ - ٢١٧ ، والشيخ أبو الشريف الألوري حيث ألقى محاضرة قيمة في حي أديتا تحت عنوان فضائح أصحاب الطرق وذكر بعض أسرارهم ، وكذلك عبدالصمد حبيب الله الكشني الغاني تحت عنوان رسالة الداعي إلى السنة الزاجر عن البدعة وغيرهم .

(٢) سبق تخريجه ص٦٤٦.

قال القاضي عياض : « أذن الله في دعائه وعلم الدعاء في كتابه لخليفته وعلم النبي ﷺالدعاء لأمته ، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء :

العلم بالتوحيد ، والعلم باللغة ، والنصيحة للأمة ، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ، وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون ا عن الإقتداء بالنبي ﷺ. وأشد ما في الحال أ م ينسبو ا إلى الأنبياء والصالحين فيقولون : دعاء نوح ، دعاء يونس ، دعاء أبي بكر الصديق ، فاتقوا الله في أنفسكم لاتشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح[1]» .

وقال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى : { ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين }[2] .

قال : فعلى الإنسان أن يستعمل مافي كتاب الله وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه ، ولايقول أختار كذا فإن الله تعالى قد اختار لنبيه ﷺوأوليائه وعلمهم كيف يدعون[3] .

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى : { ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين }[4] .

بعد أن ذكر وجوها من الإعتداء في الدعاء قال ومنها : « أن يدعو بما ليس في الكتاب العزيز ولا في السنة فيتخير ألفاظاً مفقرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لهؤلاء (يعني المشايخ) لا أصل لها ولا معول عليها فيجعلها شعاره ، ويترك مادعا به رسوله ﷺ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء[5] .

قال الشيخ ابن أبي زيد في نوادره : لابأس برفع الصوت بالتكبير بحضرة العدو ، وذلك حسن ، وأما على السواحل في الرباط ، فلا بأس به إلا أن يوذي

---

(١) الفتوحات الربانية على الأذكار النوأوية ١٧/١ مطبعة السعادة .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٤٧ .

(٣) تفسير القرطبي ٢٣١/٤ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٥٥ .

(٥) تفسير القرطبي ٢٢٦/٧ ، وقد نقل ذلك عنه أبو حيان في البحر المحيط ٣١١/٤ .

بذلك الناس ممن يقرأ ومن يصلى، يؤذيهم برفع الصوت فلا أرى ذلك ويكره التطريب في التكبير في الحرس ولا بأس مما سهل من ذلك وإن كان بتحزين ، فلا تطريب ، ويكره أن يلي واحد التكبير والتهليل ويجيب الباقون ، ويكبر كل واحد بنفسه على نيته ورغبته وإن رفع به صوته . ولا بأس أن يكبر به الواحد وينصت الباقون ، ويستحب التكبير في العساكر والثغور بأثر صلاة الصبح وصلاة العشاء وتكبيرا عاليا ثلاث مرات ، وهو قديم من شأن الناس[١] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أنه لايجوز أن تتخذ المباحات واجبات أو مستحبات يتقرب ا إلى الله باتفاق المسلمين ، وأن اتخاذها كذلك ليس من الدين بل هو تشريع لم يأذن به الله ، كما أنه لايجوز قصد التقرب ا إلى الله لابالقول ولا بالعمل ولا بالإرادة . كما يقرر - رحمه الله - أن هذا الانحراف وقع فيه كثير من العلماء والعباد ، وأنه من أعظم المحرمات وأكبر السيئات ، وأنه من البدع المنكرات فيقول رحمه الله : « ... إن الأمور التي ليست مستحبة في الشرع لايجوز التعبد ا باتفاق المسلمين ، ولا التقرب ا إلى الله ولا اتخاذها طريقا إلى الله وسببا لأن يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه ، فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به ، وهي أن المباحات إنما تكون مباحات إذا جعلت مباحات . فإذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك دينا لم يشرعه الله ، وجعل ماليس من الواجبات والمستحبات منها بم لة جعل ما ليس من المحرمات منها فلا حرام إلا ماحرمه الله ولادين إلا ما شرعه الله ، ولهذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع دينا لم يأذن الله به ، ولمن حرم مالم يأذن الله بتحريمه ، فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات ؟ ولهذا كانت هذه الأمور لاتلتزم بالنذر ، فلو نذر رجل فعل مباح أو مكروه أو محرم لم يجب عليه فعله ، كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطيعه بل عليه كفارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره وعند آخرين لاشيء عليه ، فلا يصير بالنذر ماليس بطاعة

(١) ص٧ كتاب الجهاد ، لابن أبي زيد القيرواني من كتاب النوادر والزيادات بتحقيق ماتياس فون بريدو ، بيروت ١٩٩٤م .

ولاعبادة[1] . ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين ... ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله إلا ماكان دينا وطاعة لله ورسوله في شرع الله لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك ... وما علم باتفاق الأمة أنه ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال إنه قربة وطاعة ، فكذلك هم متفقون على أنه لايجوز قصد التقرب به إلى الله ، ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عده من الحسنات ، فلا يجوز جعله من الدين لاباعتقاد وقول ، ولا بإرادة وعمل ، .. وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم من المعاصي التي يعلم أ ا معاصي سيئات[2] .

موقف الشيخ ابن أبي زيد :

وقد أنكر الشيخ هذا الصنيع وبدعه حيث لم يثبت بالكتاب والسنة ويرى أن الله قد أقام حجته وتمم أعذاره وأوضح به الدليل وأنتج به السبيل وأكمل به دينه وأوضح شريعته فبلغ للناس ما أرسل به إليهم ، وبين لهم ما افترض عليهم[3] . وتلى قوله تعالى : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا }[4] . ويرى أن من يضاهي الشارع في التشريع فهو يشاقق الرسول وأن مصيره النار ، ثم يقول كان أهل القيروان يتجولون إلى المنستير لقضاء شهر رمضان ، والاعياد والمواسم ، لاسيما موسم عاشوراء ، ويرى الشيخ ابن أبي زيد أن مهمة المرابطين الأساسية تتمثل في أداء الصلوات في أوقا ا ، وعندما يكثر المصلون في المواسم لاينبغي اللجوء إلى المسمع . كما يرى ابن أبي زيد أن الاجتماع لتلأوة القرآن والذكر بعد صلاة الصبح بدعة لم ينقل ذلك عن النبي ولا أصحابه رضوان الله عليهم ، ولايجوز اعتبار « القراءة » - تلأوة القرآن - أفضل من الذكر الذي ينبغي أن

---

(١) قال المحقق السيد محمد رشيد رضا لعله سقط من هنا : طاعة وعبادة منصوبين .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل : ١٢٥ - ١٢٧ « بتصرف » ، تحقيق محمد رشيد رضا ، الناشر: لجنة التراث العربي .

(٣) النوادر والزيادات مخطوط و١ بتصرف شديد .

(٤) سورة النساء الآية : ١١٥ .

يتمثل في الخشوع ومحاسبة النفس أكثر مما يتمثل في الأذكار ذا ا[1] .

كما وصف ابن أبي زيد بعض الاستعراضات الليلية التي كانت تنظم على الأرجح في سوسة والمنستير . فكان الناس يتجمعون أثر صلاة العشاء الآخرة ويتوجهون إلى السور على ضوء القناديل على غرار الجنود ، مرددين بصوت واحد : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، ثم يجتاز الموكب المدينة بنفس الطريقة ، ويطوف بالشوارع مارا بدكاكين الجزارين وأكوام الفضلات ، إلى أن يصل إلى السور .

وأيد ابن أبي زيد تحريم مثل هذه البدعة واستنكر تلك الأناشيد والحماس غير اللائق...[2] .

وقد ساق ابن أبي زيد عدة أذكار وأدعية من كلام الرسول ﷺ وبين أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله في جميع أحواله وحسب التيسير مستندا إلى قوله تعالى : { الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنو م ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقلت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار }[3] .

وكما دعم الشيخ قوله بما رواه عن معاذ بن جبل : ماعمل امرؤ من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله[4] .

وروى أن النبي - ﷺ- كان من دعائه كلما أصبح وأمسى : « اللهم بك نصبح وبك نمسي وبك نحى وبك نموت وإليك النشور ! » وإذا أصبح وإذا أمسى قال : « وإليك المصير ! اللهم إجعلني من أعظم عبادك عندك حظا ونصيبا من كل خير تقسمه في هذا اليوم وفي ما بعده من نور دي به أو رحمة تنشرها أو

(١) فتوى ابن أبي زيد حول رباط المنستير ، فتاوى البرزلي ، مخطوط الجزائر ١٧٣/١ ، و١٧٦ظ ، مدارك ١٧٦/٣/٢ ، وانظر كتاب الدولة الصنهاجية ٣٠٦/٢ .

(٢) الدولة الصنهاجية ٣٠٧/٢ - ٣٠٨ ، وانظر فتاوى ابن أبي زيد في المعيار ٢٤١/١٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٩١ .

(٤) ترمذي ٤٢٨/٥ - ٤٢٩ رقمه ٣٣٧٧ ، كتاب الدعوات عن رسول الله ... - باب ماجاء في فضل الدعاء ، ابن ماجه ٣١٦/٢ رقمه ٣٠٥٧ ، كتاب الأدب - باب فضل الذكر .

رزق تبسطه أو ضر تكشفه أو ذنب تغفره أو شدة تدفعها أو فتنة تصرفها أو معافاة تمن ا برحمتك إنك على كل شيء قدير »[1] .

وذكر الشيخ أيضاً من دعاء الرسول - ﷺ- : « اللهم بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا وبنعمتك أصبحنا وأمسينا ! »[2] .

ومن دعائه : عليه الصلاة والسلام ! عند النوم ، يضع يده اليمنى تحت خده الأيمن واليسرى على فخذه الأيسر ثم يقول : « اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك أرفعه ! اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها مما تحفظ به الصالحين من عبادك ! اللهم إني سلمت نفسي إليك وألجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك رهبة منك ورغبة إليك لامنجى ولاملجأ منك إلا إليك ! استغفرك وأتوب إليك ! آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت ! » . ثم يقول : « رب قني عذابك يوم تبعث عبادك ! يرددها ... »[3] .

ومن دعائه - عليه الصلاة والسلام - : إذا خرج من بيته : « اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي »[4] .

وهذه الأدعية والأذكار المأثورة عن النبي ﷺدل على مشروعيتها وإقرار أصحابه ، وليس من الممنوعات شرعا أن تدعو بما تشاء فقد قال ﷺ: « لايزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم »[5] .

وهذه إجازة من الشارع للأمة أن يدعو ر م بما يشاؤون ذا الشرط ، فمن زعم ان الدعاء بما دعا به النبي ﷺلايجوز فقد خالف ماعليه أصحاب رسول الله

---

(١) الدارمي ٢٩١/٢ : كتاب الاستئذان - باب ما يقول إذا انتبه من نومه - ابن ماجة ٣٣٢/٢ - رقم ٣١١٩ .

(٢) أخرجه أبو دأود في كتاب الأدب ٣١٨/٤ رقمه ٥٠٧٣ ، باب مايقول إذا أصبح .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات (١٨) ، حديث رقم ٣٣٩٩ ص٤٧١ جـ ٥ .

(٤) سنن ابن ماجة ، كتاب الدعاء (١٨) ، ص١٢٧٨ جـ ٢ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ص٢٨٠ جـ ٤ .

(٥) رواه مسلم في صحيحه مع شرح النووي ٥٢/١٧ .

ﷺوهم أعلم الناس بالدين من ملء الأرض من أمثاله - وخالف ماعليه التابعون وتابعي التابعين والأمة المحمدية .

وندرك أن هناك فرقا بين اقرار النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه على بعض الأدعية والأذكار وبين هذه الأوراد والأذكار المبتدعة ، فإن الصحابة لم يتخذوها شعارا يستقلون ا عن المسلمين وإنما هي أدعية وأوراد فردية لم تتخذ شكلا وطابعا معينا يلتزم ا جماعة من الناس يعرفون ا دون سائر المسلمين ، وكانت أذكار النبي ﷺوأدعيته مجردة من هذه الشروط والكيفيات التي قرر ا طائفة الصوفية .

فمن هذا يدرك فرقا بين أوراد الصوفية بأ ا بدعة لما لابسها من شروط وهيئات وكيفيات لم يقم عليها دليل شرعي وبين ماذكره ابن أبي زيد من رواياته عن النبي ﷺحيث يرى أن أوراد النبي عليه الصلاة والسلام من الأمور التعبدية التي مبناها على التوقيف ، فصنيع الصوفية المتقدم وما يستخدمون فيه من أذكار خاصة لايجوز العمل ا إلا بدليل فإن لم يوجد دليل فلايصح العمل ا ولا يجوز.

موقف الشيخ ابن أبي زيد من الاجتماع للقراءة صباحاً ومساء :

استكمالا لما بدأناه من حديث عن البدعة والمبتدعين وعما يسود ا تمعات من ألوان بدعية مختلفة تمثل سلوكا دينيا عند أصحا ا وكيف أن ابن أبي زيد قاوم كل ذلك مبينا موقف الإسلام الرافض لمثل هذه الأمور التي تمثل تزيدا في الدين يرفض لما تعلمه من أمر رسول الله ﷺما انتقل إلى جوار ربه إلا وقد أكمل الله له الدين وبين عليه السلام بيانا وافيا لامجال فيه لمزيد . فمن أقدم على شيء منه وخرج عن هدي رسول الله ﷺوسنته - ومثل بخروجه عدولا عن سنة الرسول ﷺومن عدل عن سنته ﷺفقد خرج عن جماعة المسلمين .

ونعرض هنا لونا آخر من البدع التي قاومها ابن أبي زيد في العبادات وتتمثل في الاجتماع للقراءة صباحاً ومساءً.

ذكر الشيخ ابن أبي زيد أن الاجتماع لقراءة الحزب جماعة في المساجد

بدعة[1] وأن ذلك لايعني إ اء مصحف كامل .كما ذكر أن الاجتماع لتلأوة القرآن بعد صلاة الصبح بدعة[2].سئل عن الدعاء عند ختمه القرآن قال الشيخ:(ما علمته من عمل الناس،وما أرى أن يفعل وكره للقوم أن يقفوا يدعونه،ولا عند خروجهم من المسجد أو عند دخولهم.وكره أن يقول في دعائه ياسيدي "وياحنان " ، وليدعوا بما في القرآن ،وبما دعت الأنبياء عليهم السلام)[3].

وذكر الشيخ حال المرابطين في الرباطات أ م كانوا يجتمعون ليلا ويمشون بالقناديل ويذكرون الله ويرفعون أصوا م[4] . وذكر الشيخ أن الدعاء عند ختم القرآن بدعة[5] .

وذكر صاحب المعيار المعرب السؤال عن قراءة الحزب في الجماعة على العادة هل فيه أجر مع مانقل فيه ابن رشد من الكراهة ؟ .

فأجاب : أما قراءة الحزب في الجماعة على العادة فلم يكرهه أحد إلا مالك على عادته في إيثار الاتباع . وجمهور العلماء على جوازه واستحبابه . وقد تمسكوا في ذلك بالحديث الصحيح : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » .

ثم إن العمل بذلك قد تضافر عليه أهل هذه الأمصار والأعصار ، وهذه مقاصد من يقصدها فلن يخيب من أجرها : منها تعاهد القرآن حسبما جاء فيه من الترغيب في الأحاديث ، ومنها تسميع كتاب الله لمن يريد سماعه من عوام المسلمين ، إذ لايقدر العامي على تلأوته فيجد بذلك سبيلا إلى سماعه ، ومنها التماس الفضل المذكور في الحديث إذ لم يخصص وقتا دون وقت . ثم إن الترك

---

(١) كتاب المعيار ١١٢/١١ - ١١٦ .

(٢) النوادر لابن أبي زيد ١٢٤ - ظ .

النوادر جـ ١: ٥٣١

(١) النوادر جـ ١ :٥٣١

(٤) المعيار ٣٦١/١٢ والنوادر ١٢٤ ظ النوادر .

(٥) النوادر ورقة ١٢٤ - ظ .

المروي عن السلف لايدل على حكم إذا لم ينقل عن أحد منهم أنه كرهه أو منعه وشأن نوافل الخير جواز تركها ، فالحق فيه الأجر والثواب ، لأنه داخل في باب الخير المرغب فيه على الجملة . ولا يعتقد فاعل ذلك انه يقدم على مكروه تقليدا لمالك ، بل يعتقد معنى الحديث المتقدم وتقليد من يستحب ذلك ويستحسنه وثم بدع مستحسنه لاسيما في وقت الخير وأهله . والكسل عن قوله وفعله ...[1] .

وعلأوة على ذلك فما ذكره العلماء المعاصرون في فتأويهم في شأن الذين يوزعون أجزاء من القرآن على من حضروا الاجتماع ليقرأ كل منهم لنفسه حزبا أو أحزابا من القرآن لايعتبر ذلك ختما للقرآن من كل واحد منهم بالضرورة . وقصدهم القراءة للتبرك فقط ، فيه قصور فإن القراءة يقصد ا القربة وحفظ القرآن وتدبره وفهم أحكامه والإعتبار به ونيل الأجر والثواب وتدريب اللسان على تلأوته إلى غير ذلك من الفوائد ...[2] .

كما أن التزام قراءة القرآن جماعة بصوت واحد بعد كل من صلاة الصبح والمغرب أو غيرهما عند الشيخ بدعة . وكذا التزام الدعاء جماعة بعد الصلاة ، أما إذا قرأ كل واحد لنفسه أو تدارسوا القرآن جميعا كلما فرغ واحد قرأ الآخر وستمعوا له فهذا من أفضل القرب ، لقول النبي عليه الصلاة والسلام : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة .. »[3] .

والاجتماع على الذكر بصوت جماعي لا أصل له في الشرع ، وهكذا الاجتماع بقوله : الله ، الله ، أو : هو ، هو ، إنما الذكر الشرعي أن يقول : لا

---

(١) المعيار المعرب ١٥٥/١ - ١٥٦ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش ٣٤٢/٢ والحديث المذكور أخرجه .

(٣) صحيح مسلم كتاب الذكر ٣٨ - ٣٩ ، أبو دأود كتاب الصلاة ١٤ ، كتاب الوتر ١٤ ، الترمذي ، كتاب القرآن ١٠ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٥٣/١ ، ابن ماجه مقدمة ١٧ ، كتاب الأدب ٥٣ .

إله إلا الله فهذا هو الذكر الشرعي ، أو سبحان الله ، والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولاحول ولا \قوة إلا بالله ، وما أشبه ذلك ، أما الترديد الجماعي بصوت واحد بقول : لا إله إلا الله أو : الله ، الله ، أو : هو ، هو : فهذا لا أصل له ، بل هو من البدع المحدثة .

فالواجب على المسلمين ترك البدع كلها والالتزام بما شرعه الله على لسان نبيه ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، هذا هو الواجب على المسلمين ، كما قال الله - عزوجل - :{ وما آتاكم الرسول فخذوه وما اكم عنه فانتهوا }[1] . وقال سبحانه وتعالى : { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﷺ}[2] .

---

(١) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

الأخذ بالأسباب وموقف ابن أبي زيد منه :

مقدمه :

إن موضوع التوكل على الله تعالى من أهم الموضوعات في العقيدة وقد ضل كثير من الناس حين خلطوا بين التوكل والتواكل .

وإذا نظرنا إلى تركيب هذا الإنسان وجدنا خالقه العليم به ، وبما يصلحه قد شرع له ما يصلح شأنه ، فجعل شرائع لأعمال القلوب ، وشرائع لأعمال الجوارح، وحتى يكون العبد مع ربه في موضع الرضا لزم أن تستقيم أعمال الجوارح وأن تنقاد وفق عمل القلب الذي ارتضاه لنا رب العزة والجلال . أما مايكون من عمل ظاهري لارابطة بينه وبين عمل القلب المرضى فهذا لاعبرة به ولاينال به الشخص من الله إلا السخط والهوان .

هذا والتوكل على الله دائماً ينبغي أن يكون مصاحباً للإنسان حيث لايستغنى عنه أبدا ، لأن كل شيء بيدالله المليك المقتدر ، وهو يجير ولايجار عليه شريطة أن يقترن هذا التوكل بالأخذ بالأسباب . أما إذا تقاعس العبد عنها بزعم أنه مغرق في التوكل فهذا مايرفضه ديننا لأنه أصبح متواكلا لامتوكلا ، ولا

ينبغي التواكل حيث إن هذا مسلك ضعيف الإيمان .

ولأجل ذلك قيل : « القلب ملك والجوارح جنوده ، فإذا صلح الملك صلحت جنوده ، وإذا خبث الملك خبثت جنوده .. »[1].

ولذلك نرى أن السلف يذكرون معنيين لبيان هذا المقام للتوكل على الله تعالى ، حتى جعله ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - جماع الإيمان »[2].

وهذا الموضوع - التوكل على الله والأخذ بالأسباب - قد حظي بعناية سلفنا الصالح ، وعلمائنا الأفاضل الذين تنأولوه في كتابا م وتآليفهم ، وبوبوا له في سننهم ، ومصنفا م وقد ألف ابن أبي زيد - كتابين حول الموضوع وأسماهما كتاب المعرفة واليقين والتوكل وكتاب الثقة والتوكل على الله سبحانه[3] وهناك من العلماء من أفرده برسائل خاصة ، كابن أبي الدنيا - رحمه الله تعالى - وتبعهم في ذلك أتباعهم بإحسان ، الذين اقتفوا أثرهم وترسموا خطاهم .

وهذا يدل فيما يدل عليه ، على شمول هذه العقيدة السلفية الأثرية لجميع ماتحتاجه النفس ، من العلم والعمل والتزكية والتهذيب ، وعلى بطلان دعأوي المنأوئين ، الذين يرون الاكتفاء والتركيز على الجوانب العلمية فقط دون العملية مع الإهتمام بأعمال القلوب ، وأن هذه من خصائص أرباب السلوك وأقطاب التصوف .

وأما من يتعلق بالدنيا وشغف ا ، على نحو استحوذ على عقولهم وأذها م وعول على الأسباب فقط دون مراعاة الله وتعلقوا ا فرحين بما عندهم من العلم ، معتمدين على ما أوتوا من قوة ، ومن وسائل مادية فهؤلاء آل أمر أكثرهم إلى أن نسوا الله ، راضين بالحياة الدنيا .

ومن الناس من رضي لنفسه بالقعود والخمول ، فأخذ يبحث عن حجة يحتمي ا ، وذلك بدعوى التوكل على الله ، زاعما أن التوكل يقتضي ترك

---

(١) قاله أبو هريرة · رضي الله عنه - التوكل على الله تعالى للدكتور عبدالله عمر الدميجي ص٩.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١١١/٢ ، وفيه أبو بلال الأشعري ، قال البيهقي : ليس بالقوي .

(٣) ترتيب المدارك ٤٩٤/٤ .

الأسباب وينافي الأخذ ا . فهؤلاء هم الذين لجؤوا إلى الزوايا والخلوات ، ورضوا من الرزق بالإحسان إليهم والصدقات مع ابتزاز أموال الناس بغير وجه أو حق شرعي .

وهناك أقوام يبدو عليهم الصلاح ، ويظهر عليهم الحرص على طاعة الله وبذل الجهد في طلب مايرضيه ، بيد أن جانب التوكل عندهم قد ضعف، فغفلوا عنه ، فنظروا إلى الرزق والحطام ، وأشفقوا على الأهل والأولاد ؛ فتقاعسوا عن كلمة الحق ، وأقعدهم ذلك الإشفاق عن القيام بالإصلاح ، فهم غافلون عن حاجة الأمة إلى ذلك .

وإذا كان أمر التوكل على هذا القدر من الأهمية بالنسبة للمسلم . فماذا قدم ابن أبي زيد حول هذا الموضوع ؟ هذا ما سوف أعرضه بعد بيان المعاني اللغوية والإصطلاحية لكل من التوكل والتواكل . بإذن الله .

تعريف التوكل :

المعنى **اللغوي :** التوكل من مادة « وكل » يقال : « وكل بالله وتوكل عليه واتكل : استسلم له » و « وكل إليه الأمر وكلا ووكولا : سلمه وتركه »(١) .

و « رجل وكل ، بالتحريك - ووكله أيضا مثال همزة ، وتكَلَةٌ أي : عاجز يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه »(٢) .

قال الأزهري : « رجل وكله إذا كان يكل أمره إلى الناس »(٣) .

والوكيل فعيل بمعنى مفعول : الذي يقوم بأمر موكله ، قال الأزهري : سمي

---

(١) لسان العرب لابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) ط : ١٣٨٨ ، من نسخة دار صادر ودار بيروت ، مادة (وكل) ٧٣٤/١١ .

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ، ط الثانية ١٣٧١هـ ، نسخة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ٦٧/٤ مادة (وكل) .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري : اسماعيل بن حماد ت/٣٩٣هـ ، نسخة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٨٤٥/٥ ، وانظر : لسان العرب ٧٣٤/١١ .

وكيلا لأن موكله به قد وكل إليه القيام بأمره ، فهو موكول إليه الأمر »[1] .

والتوكل : تفعل من الوكالة ، بفتح الوأو وكسرها ، (إظهار العجز والاعتماد على غيرك[2] والاسم التكلان[3] .

قال ابن الأثير : يقال : « توكل بالأمر : إذا ضمن القيام به ، ووكلت أمري إلى فلان أي : ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه ، ووكل عن القيام بأمر نفسه »[4] وقد يجتمعان .

قال الراغب : « التوكل يقال على وجهين ؛ يقال : توكلت لفلان بمعنى توليت له ، ويقال وكلته فتوكلَ لي ، وتوكلت عليه بمعنى : اعتمدته »[5] . وعليه ؛ فالوكالة يراد ا امران : أحدهما : التوكل : وهو الاستنابة والتفويض ، والثاني : التوكل : وهو التصرف بطريق النيابة عن الموكل »[6] .

وهذه بعض معاني مادة التوكل ، وهناك معاني أخرى لم أعرض لذكرها خوف الإطالة .

(ب) المعنى الاصطلاحي :

أما المعنى الإصطلاحي للتوكل ؛ فنظرا لكونه تعبيرا عن حال من أحوال القلب التي يصعب ضبطها بحد ؛ فقد جاءت تفسيرات العلماء له على صور شتى

---

(1) ذيب اللغة للأزهري : أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ت٣٧٠هـ ، تحقيق عبدالسلام هارون ط : ١٣٨٤ ، الدار المصرية للتأليف والنشر ٣٧١/١٠ .

(2) نفس المصدر ٣٧٢/١٠ .

(3) مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ت : ٣٩٥هـ ، تحقيق : زهير عبدالمحسن خلكان ط : أولى ١٤٠٤ ، ٩٣٤/٣ ، مادة (وكل) .

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير : أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ت/٦٠٦هـ ، تحقيق : طاهر الزادي ومحمود الطناحي ، ط ١٣٨٣ ، الناشر : المكتبة الإسلامية ٢٢١/٥ ، مادة (و . ك . ل) .

(5) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٥٣١ .

(6) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ت٧٥١هـ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط ، الثانية ١٣٩٣هـ ، ١٢٦/٢ .

؛ فمنهم من فسره بلازمه ، ومنهم من فسره بأسبابه ودواعيه ، أو بثمرته أو بجزء معناه كما هي عادة السلف في تفسيرا م .

ومن أسباب هذا الإختلاف ؛ أن أحوال وأعمال القلوب يصعب انضباطها بحد وحصرها بألفاظ ؛ لذلك قال الغزالي عن التوكل : « ... غامض من حيث المعنى ، شاق من حيث العمل »(١) .

وهناك تفسيرات أخرى قالها بعض السلف من أهمها . ماذكره ابن عباس - رضي الله عنهما حيث قال : « هو الثقة بالله »(٢) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى:(هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق »(٣)

وقال : « وجملة التوكل : تفويض الأمر إلى الله - جل ثناؤه ، والثقة به »(٤) .

وقال ابن الجوزي عن بعضهم : « هو تفويض الأمر إلى الله ، ثقة بحسن تدبيره »(٥) .

وقال ابن رجب الحنبلي : « هو صدق اعتماد القلب على الله - عزوجل - في استجلاب المصالح ، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها »(٦) .

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي أبي حامد محمد بن محمد (ت/٥٠٥هـ) ، دار المعرفة ٢٤٣/٤ ، وانظر كتاب التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب للدكتور عبدالله عمر الدميجي ص١٧ ، دار الوطن ط : الأولى ١٤١٧هـ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق محمد بن عبدالرحمن عبدالله ، خرج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول ط : الأولى ١٤٠٧هـ ، دار الفكر ٢٤/٢ .

(٣) طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ت/٥٢٦هـ ، دار المعرفة ٤١٦/١ .

(٤) شعب الإيمان للبيهقي ت٤٥٨هـ ، تحقيق : محمد السيد ابن بسيوني زغلول ط : الأولى ١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية ٥٧/٢ .

(٥) زاد المسير ٢٤/٢ ، وانظر نحو هذه التفسيرات : شعب الإيمان للبيهقي ٩٥/٢ فما بعدها ، واحياء علوم الدين ٢٦٥/٤ ، ومدارج السالكين ١١٦/٢ .

(٦) جامع العلوم والحكم من شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ ، ص٤٩٧ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

التواكل : مصدر تواكل على وزن تفاعل وهذه الصيغة تفيد كما يقرر الصوفيون - التظاهر بالشيء ، في معنى من معانيها ، يقال : تغافل : إذا تظاهر بالغفلة وليس بغافل . وتنأوم : إذا تظاهر بالنوم والمتواكل كأنه يتظاهر بالتوكل على الله ، وهو الأخذ بالأسباب ، وهو في حقيقته متظاهر بذلك مدعيه، لأنه أهمل الأسباب ، وترك الأمر لغيرها.

بعد هذا البيان اللغوي والاصطلاحي لكل من التوكل والتواكل أنتقل لأعرض مادونه ابن أبي زيد حول هذا الموضوع والذي يمثل عقيدة له . فأقول: يرى الشيخ أنه لايستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده ، بل حقيقة التوكل توحيد القلب ، وإذا وجد فيه علائق الشرك فتوكله سقيم ، وإذا كان صافيا من الشرك فتكون صحة التوكل . واعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه والثقة بتدبيره هو حقيقة { إياك نعبد وإياك نستعين }[١] .

وقال الشيخ في رسالته حاثاً على الإخلاص وابتغاء وجه الله في كل الأمور : « ... وفرض على كل مؤمن أن يريد بكل قول وعمل من البر وجه الله الكريم ومن أراد بذلك غير الله لم يقبل عمله ... »[٢] .

ما تلفظ به العبد من قول وصدر عنه من عمل صالح يرجو به مرضاة الله فذلك من العبد تحقيق للتوكل ، حيث لايتصور التوكل إلا ممن يحسن الظن بالله تعالى ، وكذلك استسلام القلب لله وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعته ، وهذا من تمام التسليم لله تعالى ، فلا يريد إلا ما أراده الله ، ولا يحب إلا ما أحبه الله ، ولا يبغض إلا ما أبغضه الله ، ولا يفعل أو يترك إلا ما أمره الله بفعله أو تركه . وهذا هو معنى تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى . ولذلك يقول الشيخ : « ... وليستغفر ربه ويرجو رحمته ويخاف عذابه ويتذكر نعمته لديه ويشكر فضله

---

(١) سورة الفاتحة الآية : ٥ . وقد ذكر الشيخ ابن أبي زيد ما يشبه ذلك في رسالته لأهل توزر حين لفظوا إمامة تلميذه القاضي يحيى بن علي بن زكريا التوزي المعروف بالشقراطسي ، انظر كتاب ابن أبي زيد للدكتور الدرقاش ص١٩١ ، نقلا عن مجلة الثريا عدد جانفي ١٩٤٥ ص٥ .

(٢) رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص ٤٩٧ .

عليه بالأعمال بفرائضه وترك مايكره فعله ويتقرب إليه بما تيسر له من نوافل الخير وكل ماضيع من فرائضه فليفعله الآن وليرغب إلى الله في تقبله ويتوب إليه من تضييعه وليلجأ إلى الله فيما عسر عليه من قياد نفسه ومحاولة أمره موقنا أنه المالك لصلاح شأنه وتوفيقه وتسديده لايفارق ذلك على مافيه من حسن أو قبيح ولا ييأس من رحمة الله والتفكر في أمر الله مفتاح العبادة ... »[1].

وهذا هو معنى تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى كما يرى أن التفويض روح التوكل ولبه وحقيقته ، وأنه يجب على العبد أن يكل أموره كلها إلى الله ويرجوه وانزالها به طلبا واختيارا ، لاكرها واضطرارا ، وهذا معنى البراءة والخروج من الحول والقوة ، وتسليم الأمر كله إلى مالكه - عزوجل - وذكر الشيخ من دعاء الرسول ﷺأنه كان يقول : « ... اللهم إني أسلمت نفسي إليك والجأت ظهري إليك وفوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك رهبة منك ورغبة إليك لامنجا منك إلا إليك »[2].

وقال الله - عزوجل - عن مؤمن آل فرعون : { وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد }[3] .

ثم عقب بجزاء هذا التفويض ، فقال - عزوجل - : { فوقاه الله سيئآت مامكروا }[4] .

روى ابن جرير الطبري باسناده إلى الشعبي ، قال : تجالس شتير ابن شكل ومسروق ، فقال شتير : إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدقك ، وإما أن أحدثك فتصدقني ؟ فقال مسروق : « لابل حدث فأصدقك . فقال : سمعت

---

(١) الرسالة لابن أبي زيد ص٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٢) رواه البخاري في الوضوء : باب فضل من يأت على وضوء ح : ٢٤٧ ، الفتح ٤٢٦/١ ، ومسلم في الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، ح : ٢٧١٠ ، ٢٠٨١/٤ ، وأبو داؤد في الأدب ٩٨ ، والترمذي في الدعوات ١٦١ ، والدارمي في الاستئذان ٥١ ، وأحمد في المسند ٢٨٥/٤ - ٢٩٠ .

(٣) سورة غافر الآية : ٤٤ .

(٤) سورة غافر الآية : ٤٥ .

ابن مسعود يقول : إن أكبر آية في القرآن تفويضاً : { ومن يتوكل على الله فهو حسبه }[١] قال مسروق : صدقت[٢] .

فكل ما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة ، والتوكل مقرون بالعبادة، وذلك تحقيق قوله تعالى : { فأعبده وتوكل عليه }[٣] وقوله تعالى : { قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب }[٤] وقول شعيب عليه السلام : { عليه توكلت وإليه أنيب }[٥] .

ومن آداب الدعاء الطلبي أن يقدم الإنسان الثناء على الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، مع التوسل إليه بأعظم الأعمال وأقر ا منه تعالى م لة وأحبها إليه ، ويتمثل هذا في توحيده ، وتمام التوكل عليه ، والإفتقار إليه والاستضعاف والإنكسار بين يديه - عزوجل - ولذلك نجد أن الله - عزوجل - قد ذكر عن بعض الداعين من أنبيائه وأوليائه تقديمهم تحقيق التوكل عليه بين يدي دعائهم الطلبي ؛ لأنه من أجل مايتقرب به إلى الله تعالى ، ومن الأمثلة على ذلك :

دعاء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي حكاه الله تعالى عنه في قوله : { ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم }[٦] .

ودعاء شعيب - عليه السلام - الذي حكاه الله عنه بقوله : { وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين }[٧] .

---

(١) سورىة الطلاق آية : ٣٠ .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ١٤٠/٢٨ .

(٣) سورة هود الآية : ١٢٣ .

(٤) سورة الرعد الآية : ٣٠ .

(٥) سورة هود الآية : ٨٨ .

(٦) سورة الممتحنة الآيتان : ٤ - ٥ .

(٧) سورة الأعراف الآية : ٨٩ .

كما نجد في دعاء النبي - ﷺ- ومنه الدعاء المشهور وفيه ... : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لايموت ، والجن والإنس يموتون »[(١)] .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية التوكل على الله ، وأنه من أجل القربات التي يتوصل ا إلى الله تعالى في تحقيق المطالب الدينية والدنيوية، ومن مظاهر العبودية والإفتقار والإنكسار بين يديه عزوجل .

وهذا هو ديدن ابن أبي زيد حيث كان يحث الناس على شدة التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب الناجعة للإجابة ومن ذلك التقرب إلى الله بصالح الأعمال والافتقار والإنكسار إلى الله وذلك تحقيق لما أخرجه القاضي عياض عن اللبيدي تلميذ ابن أبي زيد قوله : « اجتمع عيسى بن ثابت بالشيخ أبي محمد ابن أبي زيد فجرى بينهما بكاء عظيم فلما أراد فراقه قال له عيسى أحب أن تكتب اسمي على البساط الذي تحتك فإن رأيته دعوت لي فبكى أبو محمد ابن أبي زيد وقال له هبني دعوت لك فأي عمل صالح يرفعه قال الله تعالى : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه }[(٢)] .

يرى الشيخ أن صحة العمل يقتضي صحة التوكل على الله بل إن العمل الصالح هو الأخذ بالأسباب . وقد سار الشيخ على هذا المنوال حيث أن له ابنة أصيبت في عينيها فذهب ا إلى شيخه - السبائي - أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد السبائي - فكان يرقيها حتى ذهب ماكان في بصرها .

وذكر ابن أبي زيد أيضاً أن له طفلة استرخى وركها فمضت ا امرأة إليه فرقاها فرجعت صحيحة[(٣)] .

وقال الشيخ أبو القاسم ابن شبلون - وهو زميل لابن أبي زيد - كانت

---

(١) رواه البخاري في التهجد ، باب : التهجد من الليل ، ح : ١١٢٠ ، الفتح ٥/٣ .

(٢) سورة فاطر الآية : ١٠ ، ترتيب المدارك ٤٩٦/٤ .

(٣) المعالم ٦٧/٣ .

رقيته بالحمدلله رب العالمين ، وقل هو الله أحد ، والمعوذتين كل ذلك سبعا »[1]

وعلى كل فيبدو أن انتشار ظاهرة الزهد وما يتبع ذلك من شعوذة وابتزاز واتكال واهمال للجد والعمل كانت منتشرة في هذا ا تمع القيرواني الذي يعيش فيه ابن أبي زيد ولم يستطع أحد إثار ا بكل إبعادها ، أو أن صور ا ودلائلها لم تكتمل في أذهان بعض أفراد الطبقة المستنيرة ، أو أن هذه هي مواصفات العصر ولابد من أن يصل صداها إلى النهاية حتى يقع التفكير في تبديلها .

ومع كل هذا فإننا نعثر على بعض الظواهر المرفوضة عند عدد من أفراد هذه الطبقة التي عليها المعول في التغيير من قبل ومن بعد ، وقد رأينا ابن أبي زيد ينكر على فكرة اتكال واهمال للجد والعمل ولذلك كان يأخذ بالأسباب المؤدية إلى تحقيق والإزدهار ولذلك كان من أغنى العلماء في عصره وكان ينفق على طلابه في أفراحهم وأتراحهم[2] كما أنه هو الذي تولى تكفين جنازة ابن قمرة الفقيه من ماله الخاص عندما عز وجود كفن لهذا الفقير وذكر أرباب التراجم أن مصدر ابن أبي زيد لايراد أمواله أنه كان يزأول التجارة ويمارس الزراعة[3] .

وما حصل عليه الشيخ ابن أبي زيد من العلوم فليس عن طريق الفيض أو العلم اللدني كما تزعمه الشيعة والصوفية بل هذا نتيجة لشدة حرصه على الفائدة ودوام المذاكرة مع زملائه حتى أصبح في محل الثقة لدى شيوخه وكانوا يسندون إليه الفتوى ويقوم مقام الشيوخ في ساعة غيا م حيث علم أن العلم لايحصل عليه إلا بالمذاكرة ودقة المتابعة للأساتذة . ولهذا لم يخط السبائي عندما كان يقدمه على غيره من طلبته وفيهم أمثال ابن التبان وابن شبلون ولم يكن شيخه

---

(١) المعالم ٦٨/٣ .

(٢) وقصته مع طالبيه وتزويجهما والإنفاق عليهما لهي أكبر دليل وأقواه على هذه الروح الإجتماعية المتمسكة بمفهوم الأثر الوارد ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء . وقد أجاب الشيخ العدوي في حاشيته للرسالة مستغربا عما صدر من ابن أبي زيد وقال : كيف لايكون هذا من أبي محمد ابن أبي زيد - وقد أعطاه الله بسطة في البدن وسعة في العلم والمال . انظر حاشية العدوي على الرسالة ص٦ .

(٣) كتاب ابن أبي زيد للدرقاش ص٢٨١ ، معالم الإيمان ١٠٨/٣ - ١٠٩ .

الأبياني مخطئا عندما وصفه بقوله : (وأما الثاني من الإثنين فإني رأيت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له عبدالله بن أبي زيد)[(١)] .

من كل ماتقدم نرى أن ابن أبي زيد لم يهمل جانب الأخذ بالأسباب المؤدية إلى نجاح العمل .

كما اتضح ذلك لنا من موقفه من قصة عيسى بن ثابت الداؤدي في جوابه له حين طلب منه أن يخط اسمه على السجادة حتى إذا رآه دعا له . فأجابه ابن أبي زيد أن حصول الدعاء إلى هدفه لابد من اصطحابه بعمل طيب قد انجز .. »[(٢)] .

ويفهم من هذا أن من شروط قبول الدعاء سبق تقدم عمل صالح عليه ، فيصبح العمل سببا لقبول الدعاء .

وقد استدل الشيخ ببعض الوقائع في عصر الرسول - ﷺ- فقال : خرج رسول الله - ﷺ- عام الفتح الذي هو السنة الثامنة الهجرية في ثمانية آلاف أو عشرة آلاف وكتم عن الناس جهته التى يريد أن يتوجه إليها لئلا يعلم أحد أين يريد . ودعا الله - عزوجل - أن يخفي ذلك عنهم[(٣)] .

ووجه الدلالة من هذا أن الرسول - ﷺ- أخذ بالأسباب من كثرة المقاتلين والعتاد وهم متلثمون حتى لايعرف ولايعرف أماكنهم واتجاههم ثم توجه إلى الله - عزوجل - طالبا منه العون والنصر والقوة والتأييد وعدم إفشاء أسرارهم لأعدائهم .

وكما أن ذهاب الرسولﷺ إلى المعركة واستخلاف علي بن أبي طالب مع النسوان والولدان بالمدينة حتى اية الحرب لأكبر الدليل على وجوب الأخذ بالأسباب . وذكر الشيخ أن النبي ﷺ كتب بعد الفتح إلى القبائل التي لم يفش

---

(١) معالم الإيمان ١٠٠/٣ .

(٢) ترتيب المدارك للقاضي عياض ٤٩٦/٤ .

(٣) كتاب الجامع ص٣١٤ .

فيها الإسلام يدعوهم إليه. وكتب بغزو الروم وواعدهم تبوك . وتوجه في رجب وسار أول يوم من رجب واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب حتى انتهى ... إلى تبوك[1] .

ويقول ابن قيم الجوزية في هذا الصدد : وطائفة قدحوا في أربا ا - الذين يأخذون بالأسباب - وجعلوهم مخالفين للشرع والعقل . مدعين لأنفسهم حالا أكمل من حال رسول الله ﷺ وأصحابه ، إذ لم يكن فيهم أحد قط يفعل ذلك ، ولا أخل بشيء من الأسباب ، وقد ظاهر رسول الله - ﷺ- بين درعين يوم أحد : ولم يحضر الصف قط عريانا . كما يفعله من لاعلم عنده ولا معرفة . واستأجر دليلا مشركا على دين قومه ، يدله على طريق الهجرة . وكان يدخر لأهله قوت سنة وهو سيد المتوكلين . وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد والمزاد . وجميع أصحابه . وهم أولو التوكل حقا ، وأكمل المتوكلين بعدهم : هو من اشتم رائحة توكلهم من مسيرة بعيدة ، أو لحق أثرا من غبارهم ، فحال النبي - ﷺ - وحال أصحابه محك الأحوال وميزا ا ، ا يعلم صحيحها من سقيمها ، فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم ، فإن توكلهم كان في فتح بصائر القلوب . وأن يعبد الله في جميع البلاد ، وأن يوحده العباد ، وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد ، فملؤوا بذلك التوكل القلوب هدى وإيمانا . وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها دار إيمان . وهبت رياح روح نسمات التوكل على قلوب أتباعهم فملأ ا يقينا وإيمانا . فكانت همم الصحابة - رضي الله عنهم - أعلى وأجل من أن يصرف أحدهم قوة توكله وإعتماده على الله في شيء يحصل بأدنى حيلة وسعي ، فيجعله نصب عينيه ، ويحمل عليه قوى توكله[2] .

---

(١) المصدر السابق ص٣١٧ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل { إياك نعبد وإياك نستعين } للإمام ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ ١٤٠/٢ - ١٤١ .

الخاتمة

الخاتمة

بعد أن انتهيت من معالجة المسائل المطروحة للدراسة في الخطة فإنني أخلص في خاتمتها إلى إبراز أهم ماتضمنته . ويتمثل ذلك فيما يلي :

- يرى الشيخ أن القول في الصفات كالقول في الذات ، لأ ـما من باب واحد ، فهما من الأمور المغيبات لايدركها البشر ولايقف على حقيقتهما أوكنهما .

- أن مذهب الإمام مالك وابن أبي زيد ، أن الله مستو على عرشه بذاته ، وذلك خلافا للأشاعرة وسائر نفاة الصفات .

- أثبت الشيخ جميع الصفات الخبرية كاليد والقبض والبسط بيد أنه أنكر التحدث بإسناد « الساق » والصورة إلى الله وإهتزاز العرش بموت سعد لما فيه من التغرير .

وأنه يخالف منهج المتكلمين في تأويلهم صفات الأفعال كالـ ول وا ئ والإتيان ، وكان يسير في هذه الصفات وفق منهج أهل السنة والجماعة في إثبا ـا دون أدنى تشبيه أو تكييف أو تعطيل .

- إثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة بأبصارهم متابعا في ذلك بيان السلف لها .

إن القرآن كلام الله ، منه بدأ وإليه يعود ، وأن كلامه صفة من صفاته ، ليس بمخلوق فيبيد ، ولاصفة لمخلوق فينفد ، والله كلّم موسى بذاته ، وأسمعه سبحانه - كلامه لا كلاما قام في غيره ، وأنه سيكلم عباده يوم القيامة بغير ترجمان .

- أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب ، وعملُ بالجوارح ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية نقصا يخل بالكمال لامحبطاً للإيمان ومزيلا له .

- للشيخ روايتان في موضوع الإستثناء في الإيمان ، الرواية الأولى تدل على المنع حتى لايقع الإنسان في الغرور ويزكي نفسه ، والرواية الثانية تدل على الجواز إذا آمن الإنسان الوقوع في عجب النفس .

يرى ابن أبي زيد تفصيل القول في الساب لله ورسوله ﷺ بعد أن حكم بكفره حيث يرى أن هذا الكافر يستتاب قبل أن يقتل إذا لم يع ما يقوله . وأما إن كان واعياً لما يقول فيقتل بلا استتابة .

- مرتكب الكبيرة عند ابن أبي زيد - مؤمن بإيمانه ، فاسق بمعصيته ومع ذلك لم يخرجه من الملة فإنه واقع تحت مشيئة الله في الدار الآخرة إلا أنه لاتجوز شهادته ولا إمامته : ثم فرق الشيخ بين المصر على فسقه المباهي بمعاصيه ومثل هذا لم تجز شهادته ولا إمامته - أما من كان بخلاف ذلك فتجوز .

- إن عذاب القبر ونعيمه حقيقيان لامعنويان ينالان الجسد والروح معا ، مؤكدا أن الروح لاترجع إلا إلى جسده الذي كان فيه في الدنيا .

- وإن ابن أبي زيد يقرر الإيمان بالله واليوم الآخر وبما أوجب الإيمان به من الأمور الغيبية على النحو الذي قرره السلف .

- يجب أن نظن بالصحابة الظن الحسن ونسلك في حبهم مسلك أهل الحق والإيمان ، وأن تعتقد أن خير القرون القرن الذي عاش فيه النبي - ﷺ - وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم أهل بدر من المهاجرين ثم من الأنصار وجميع أصحابه على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة وكل من صحبه ولو ساعة أو رآه ولو مرة .

- عدم الخروج على الحكام الظلمة وإن جاروا ، بل يرى نصحهم بقدر الإمكان مالم يصل إلى حد سيلان الدم فيجب الكف عن ذلك اتقاء لما يقع من ضرر أكبر .

- جواز المسح على الخفين في السفر والحضر جمعا بين روايتي الإمام مالك في ذلك .

- جواز الرقية بشروطها المعتبرة بأن تكون على ضوء ما ورد في الكتاب والسنة .

- وللشيخ روايتان في تعليق التمائم ، الأولى تنص على الجواز والأخيرة بالمنع ووافق جمهور أهل العلم بالمنع وذلك لتظاهر الأدلة حيث إن القول بتعليق

القرآن متردد بين الجواز والتحريم وماكان كذلك فالأولى إجتنابه درءا للمفسدة وما يعقب ذلك من انفتاح باب الخوف والتعلق بغير الله . ومنافاته للتوكل على الله وهذا الذي رجحه الشيخ واستقر عليه مذهبه .

- ابن أبي زيد يثبت كرامات الأولياء منكرا المغالاة فيها أو ادعائها .

- وجدنا الشيخ يعبر ببعض الألفاظ لايستخدمها السلف والواقع أ ا من تعبيرات الصوفية كتعبيره « بالفناء » ويراد به تلاشي الروح بالكلية من الجسد وعدم وجودها فيه . وما يترتب على ذلك أعم من فناء الروح بعد مفارقتها للبدن . وهذا الرأي لايمثل قول السلف في بقاء الروح لحين عود ا إلى البدن مرة ثانية للبعث .

- كما استخدم أحيانا بعض ألفاظ في غير وجهها المشروع مجاراة لاستخدامات شائعة لدى المغاربة - كصيغة مع لفظ (البركة) منسوبا للأشخاص .

منهج ابن أبي زيد :

- استهلال ابن أبي زيد مقدمة خطابه وكتابه بالعقيدة السلفية .

- عدم استخدامه القواعد المنطقية ولا المصطلحات الفلسفية الكلامية مثل الجهة والتحيز والمكان في حق الله - عزوجل .

- عدم تأويله للنصوص بغير دليل ولا يؤول الصفات إنما يثبتها كما أثبته السلف .

- ويلتجئ الشيخ إلى أسلوب التعريض والتلميح أكثر من التصريح في رده أحيانا على علماء الكلام كديدنه في طليعة كتابه النوادر والزيادات . ويقول في مكان آخر (... ماكان الناس عليه في عصر مالك وغيره من الأئمة إجلال على طريقة السلف)(١) .

---

(١) انظر كتابه « النوادر والزيادات » جـ ١ : ص٢ ظ .

الفهارس

١) - فهرس الآيات القرآنية .
٢) - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
٣) - فهرس الأعلام (الكنى والأسماء).
٤) - فهرس الفرق .
٥) – فهرس المراجع .
٦) - فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــة	الســــورة	رقـــم الآيــة	رقم الصفحة
{ الحمدلله رب العالمين }	الفاتحة	١	١٢٦
{ إياك نعبد وإياك نستعين }	"	٤	٦٣٢،٦٣٧،٦٧٨
{ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين ... }	"	٦- ٧	-٥١٣-٥١١ ٥٤٠-٥٣٠
{ وهو بكل شيء عليم }	البقرة	٢٩	٣٦٥
{ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض ... }	"	٣٠	٣٦٦
{ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ... }	"	٣٤	٣٨٣
{وقلنااهبطو بعضكم لبعض عدو}	"	٣٦	٣٨٣
{ولكم في الأرض متاع إلى حين}	"	٣٦	٣٨٣
{أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى ... }	"	١٠٨	٤٦٥
{ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ... }	"	١٢٣	٤٩٠
{قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا }	"	١٣٦	٣٣٤،٣١٨
{وما كان الله ليضيع إيمانكم}	"	١٤٣	٣٢١،٣١٩
{ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ... }	"	١٥٤	٤٢٥
{ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ... }	"	١٧٨	٤٨٦
{فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف ... }	"	١٧٨	٤٨٦

الآيـــــــــــة	الســـــورة	رقـــم الآيـــة	رقم الصفحة
{فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر ... }	البقرة	١٩٦	٥٧٦
{هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل ... }	"	٢١٠	٢٨٠
{يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ... }	"	٢١٧	١٤٤
{لاجناح عليكم إن طلقتم النساء مالم ... }	"	٢٣٦	٥٧٦
{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ... }	"	٢٥٣	٣١٠
{الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... }	"	٢٥٥	٢٤٦
{من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه	"	٢٥٥	٤٩٣،٢٦٤
{فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين }	"	٢٥٨	٢٥٦
{آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ... }	"	٢٨٥	٣٤٥
{والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل ... }	آل عمران	٧	٥٢٠،١٤٤
{لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون ... }	"	٢٨	٥٦٦
{قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم ... }	"	٨٤	٣٤٥،٣١٨
الآيـــــــــــة	الســـــورة	رقـــم الآيـــة	رقم الصفحة
{يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ... }	آل عمران	١٠٢	١٢٠

{ اتقوا الله حق تقاته }	"	١٠٢	٥٢٠،٣٥١
{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ... }	"	١٠٣	٤٤٢،٤٣٨
{كنتم خير أمة أخرجت للناس ... }	"	١١٠	٣٥٩
{واتقوا النار التي أعدت للكافرين }	"	١٣١	٤٧٦
{سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها ... }	"	١٣٣	٣٨٠
{ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا ... }	"	١٤٧	٦٦٥
{ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات }	"	١٦٩	٤٢٢
{ أحياء عند ر م يرزقون }	"	١٦٩	٤٢٤،٤٢٢
{ويستبشرون بالذين لم يلحقوا م	"	١٧٠	٤٢٢،٣٨٤
{الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنو م ... }	"	١٩١	٦٦٨
{إن الله سريع الحساب}	"	١٩٩	٤٠٣
{فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن ... }	النساء	٢٤	٥٧٧
{يريد الله ليبين لكم ويهديكم سبل	"	٢٦	٢٦٣
{إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم ... }	"	٣١	٣٥٥، ٤٧٨، ٥٠٤

الآيـــــــــة	الســــــورة	رقــــم الآيــة	رقم الصفحة
{إن الله كان سميعاً بصيرا }	النساء	٥٨	٢٦٢

الآيـــــــــة	الســـــورة	رقـــم الآيــة	رقم الصفحة
{يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ... }	"	٥٩	٦٧٣
{ولله مافي السموات ومافي الأرض ولقد وصينا ... }	"	١٣١	٥٢٠،٣٥١
{ان الله لايغفر ان يشرك به}	"	٤٨	٤٨٤-٤٨٦-٤٩٢
{وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله ... }	"	١٤٠	٦٠٤
{إن اللذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ... }	"	١٤٩	٣٤٥
{ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ... }	"	١٥٠	٦٦٧
{أرنا الله جهرة فأخذ م الصاعقة	"	١٥٣	٤٦٤، ٤٦٥
{وكلم الله موسى تكليما }	"	١٦٤	٣١٦،٣١٠
{ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ... }	"	١٦٦	٢٥٥-٢٥٦- ٢٦٠-٤٨٢-٤٨٦
{اليوم أكملت لكم دينكم...}	المائده	٣	٣٢٣
{ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم ... }	"	٢٥	٥٣١
{ يأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون ... }	"	٤١	٣١٨
{بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء	"	٦٤	٢٨٦-٢٨٨
{ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ... }	الأنعام	١٧	٦١٩
{ حتى إذا جاء أحدكم الموت	"	٦١	٤٢٢-٤٢٣

توفته رسلنا وهم لايفرطون }			
{ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ... }	"	٩٣	٤١٧-٤٢٢
{ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير }	"	١٠٣	٤٦٤-٤٦٥-٤٦٧-٤٧١
{ النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله ... }	"	١٢٨	٣٨٦
{ سيقول الذين أشركو لو شاء الله ما أشركنا ... }	"	١٤٨	٣٦٣
{ وإن هذا صراطي مستقيما }	"	١٥٣	٣٣٨-٤٤٢-٤٤٣-٥١١
{إن الذين فرقوا دينهم وكانو شيعا}	"	١٥٩	٤٣٨-٤٤٢
{ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون }	الأعراف	٢٥	٣٨٣
{ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه	"	٨-٩	٣٩٩
{ ومن خفت موازينه }	"	٩	١١٦
{ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون }	"	٨	١١٦-١١٧
{ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين }	"	١٢	٣٨٣
{ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها }	"	١٣	٣٨٣

الآيــــــــــــة	الســــــورة	رقــــم الآيــة	رقم الصفحة
{ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم	الأعراف	٢٣	٣٨٣

تغفر لنا وترحمنا ... }			
{فإذا جائتهم الحسنة قالوا لناهذه}	"	٣١	٦٣٠
{ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها }	"	٤٣	٣٩٣
{ فاليوم ننساهم كما نسو لقاء يومهم هذا }	"	٥١	٣٩٠
{ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض }	"	٥٤	٢٧٤
{ ادعو ربكم تضرعاً وخيفه...}	"	٥٥	٦٦٥
{ وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا }	"	٨٩	٦٨١
{ أرجه وأخاه ... }	"	١١١	٥٩
{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه}	"	١٤٣	٣١٠-٤٦٦
{ولله الأسماء الحسنى فادعوه ا}	"	١٨٠	٢٤٤
{ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول ... }	الأنفال	١	٢٣١
{ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلو م }	"	٢	٣٢٢-٣٣٣
{ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون }	"	٣	٣٢٢
{ أولئك هم المؤمنون حقاً }	"	٤	٣٢٢

الآيـــــــــــة　　السـ ـ ـ ـورة　　رقـ ـ ـ ـم الآيـ ـة　　رقم الصفحة

{ وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا ... }	الأنفال	٤٦	٤٣٨
{وإن احد من المشركين استجارك}	التوبة	٦	٣١٣
{لا تحزن ان الله معنا}	"	٤٠	٢٦٨
{ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم }	"	٨٨	٣٥٣
{ سنعذ م مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم }	"	١٠١	٤١٧-٣٨١
{ ولايطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون }	"	١٢٠	١٠٨
{ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }	يونس	٢٦	-٣٠٩-٣٠٧ ٦٥٦-٤١٧
{ بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه }	"	٣٩	٦٥١
{ إلا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون }	"	٦٢	٦٤٦
{ولو شاء ربك لآمن من في الارض جميعا}	"	٩٩	٣٦٨
{ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو }	"	١٠٧	٦١٩
{ فإلم يستجيبوا لك فاعلم أنما أنزل بعلم الله }	هود	١٤	٢٥٦
{ ولما جاء أمرنا نجينا هودا }	"	٥٨	٤٠٧
الآيـــــــة	**الســـــورة**	**رقـــم الآيـــة**	**رقم الصفحة**

{ولما جاء أمرنا نجينا صالحاً}	هود	٦٦	٤٠٧
{عليه توكلت واليه أنيب}	"	٨٨	٦٨٠
{ ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً }	"	٩٤	٤٠٤
{مادامت السموات والأرض }	"	١٠٧	٣٨٦
{ فاعبده وتوكل عليه }	"	١٢٣	٦٣٢-٦٣٧-٦٨٠
{الرحمن على العرش استوى}	الرعد	٢	٢٧٤
{ قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت ... }	"	٣٠	٦٨٠
{ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها ... }	"	٣٥	٣٩١
{ ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت }	إبراهيم	١٧	٣٩٨
{ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ... }	"	٤٨	٣٨٦
{ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت }	"	٢٧	٤٢١
{ ربما يود الذين كفرو لو كانوا مسلمين }	الحجر	٢	٣٩٠
{ إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون }	"	٩	٥٨٦
{ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم }	"	٤٤	٣٨٨
{وماهم منها بمخرجين}	"	٤٨	٣٩١
{ أمن يجيب المضطر اذا دعاه }	"	٦٢	١٦٠

الآيـــــــــة الســـــورة رقـــم الآيـــة رقم الصفحة

{ فلا تضربو لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم ... }	النحل	٧٤	٢٤٥
{ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره }	"	١٠٦	٣١٩-٥٦٤-٥٦٥-٥٦٨
{ إن الله مع الذين اتقو والذين هم محسنون }	"	١٢٨	٢٦٨
{ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم ... }	الإسراء	٥	٥٢٦
{ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ... }	"	٦٠	٣٩٧
{ قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم ... }	"	٨٥	٤٣١
{أو تأتي بالله والملائكة قبيلا}	"	٩٢	٤٦٤
{ نحن نقص عليك نبأهم بالحق }	الكهف	١٣	٣٢٣
{فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا}	"	١٠٥	٤٠٠
{ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر }	مريم	٣٩	٣٩٤
{ إذ قال لأبيه يأبت لم تعبد مالا يسمع }	"	٤٢	٢٦٢
{ وإن منكم إلا واردها كان على ربك ... }	"	٧١	٤٠٦
{ ثم ننجي الذين اتقو ونذر الظالمين ... }	"	٧٢	٤٠٦-٤٠٧-٤٠٨
{يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا }	"	٨٥	٥١١
{وقالو اتخذ الرحمن ولدا....}	"	٨٨، ٩٣	٦٦٢
{ الرحمن على العرش استوى}	طـــه	٥	٢٧٤-٢٧٧

الآيـــــــــــة	الســــــورة	رقـــم الآيـــة	رقم الصفحة
{ إنه يعلم السر وأخفى }	طه	٧	٢٥٦-٢٦٠
إنني أنا ربك فاخلع نعليك...}	"	١٢	٣١١، ٣١٣
{ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني }	"	١٣ - ١٤	٦٣-٣١١-٣١٣
{ فقولا له قولاً لينا }	"	٤٤	٥٣٠
{يومئذلاتنفع الشفاعة إلا من أذن}	"	١٠٩	٤٩٣
{ ما يأتيهم من ذكر من ر م محدث }	الأنبياء	٢	٥٩١
{ ولايشفعـــون إلا لمن ارتضى}	"	٢٨	٤٩٤
{ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ... }	"	٤٧	٣٩٩-٤٠٠-٥١٥-٥١٦
{ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر..}	"	١٠٥	٣٦٦
{ كلما أرادو أن يخرجوا منها من غم ... }	الحج	٢٢	٣٩٢
{ أذن للذين يقاتلون بأ م ظلموا }	"	٣٩	١٤٤
{ واللذين هم لفروجهم حافظون }	المؤمنون	٥	٥٧٧
{ إلا على أزواجهم أو ماملكت أيما م }	"	٦	٥٧٨
{ قال رب ارجعون }	"	٩٩	٤٢٣
{ فمن ثقلت موازينه }	"	١٠٢	٤٠٠

الآيـــــــــــة	الســــــورة	رقـــم الآيـــة	رقم الصفحة
{ ولم يكن له شريك في الملك	الفرقان	٢	٣٧٠

وخلق كل شيء }			
{ وتوكل على الحي الذي لايموت	"	٥٨	٢٦٤
{أمن يجيب الضطر إذا دعاه}	النمل	٦٢	١٦٠
{ فوجد فيها رجلين يقتتلان ... }	القصص	١٥	٥٣٤
{ يا موسى إني أنا الله رب العالمين }	"	٣٠	٣١١
{ ومن أضل من اتبع هواه بغير }	القصص	٥٠	٥٩٨
{ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ... }	الروم	٢١	٥٧٤
{ ومن الناس من يشتري لهو الحديث }	لقمان	٦	١٤٤
{ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها }	السجدة	١٣	٣٦٨
{ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم ... }	"	١٤	٣٩٠
{فلا تعلم نفس ما أخفي لهم..}	"	١٧	٣٨١
{يانساء النبي لستن كأحد من النساء}	الأحزاب	٣٢	٥٥٣
{ وكان أمر الله قدرا مقدورا}	الأحزاب	٣٦	٤٣٩
{ إن اللذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ... }	"	٥٧	٣٧٠-٣٣٧
{ وماكان لكم أن تأذوا رسول الله ولا أن تنكحوا ... }	"	٥٣	٣٣٦
{ إن الله وملائكته يصلون على النبي	"	٧٠	٣٥١
{ يأيها الذين آمنوا اتقو الله	فاطر	١٠	٦٨٢

وقولوا قولاً ... }

الآيـــــــــة	الســـــورة	رقــــم الآيـــة	رقم الصفحة
{ هل من خالق غير الله }	"	١٠	٦٨٢
{ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا ... }	يس	١٢	٣٦٧
{ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن ... }	"	٣٦	٢٥٤
{ والشمس تجري لمستقر لها ذلك ... }	يس	٣٨	٢٦٥-٣٧٠
{ من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم }	الصافات	٢٣-٢٤	٥١٤
{ والله خلقكم وما تعملون }	"	٩٦	٣٦٨
{ يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض }	ص	٢٦	٥٩٨
{ قال يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت }	"	٧٥	٢٨٦-٢٨٧- ٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠
{ الله يتوفى الأنفس حين مو ا }	الزمر	٤٢	٤٢٢- ٤٣٤٣٥
{ إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو }	"	٥٣	٢٨٤
{ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل }	"	٦٢	٣٦٨
{لئن أشركت ليحبطن عملك}	"	٦٥	٤٨٤
{ حتى إذا جاءوها فتحت أبوا ا	"	٧١	٣٨٨
{ وسيق الذين اتقوا إلى الجنة زمرا }	"	٧٣	٤٧٦

الآيـــــــة	الســـــورة	رقـــم الآيـــة	رقم الصفحة
{ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع }	غافر	١٨	٤٩٠
الآيـــــــة	**الســـــورة**	**رقـــم الآيـــة**	**رقم الصفحة**
{ وأفوض أمري إلى الله إن الله ..}	غافر	٤٤	٦٨٠
{ فوقاه الله سيئات ما مكرو }	"	٤٥	٦٨٠
{ النار يعرضون عليها غدوا وعشياً }	"	٤٦	٤١٧-٣٨٥
{ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب }	"	٤٦	٤٢٢-٣٨٠
{ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم }	"	٦٠	٢٨٤
{ عليه توكلت وإليه أنيب }	الشورى	١٠	٦٢٧-٦٣٢
{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }	"	١١	-٢٤٥-٢٤٤ ٢٦٢-٢٥٤
{ وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء ... }	"	٥١	٦٤٦-٤٦٩
{فجعلنهم سلفاً ومثلاللآخرين}	الزخرف	٥٦	١٣٠ ،١٢٩
{ لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى }	الدخان	٥٦	٤٣٤-٣٩١
{ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم ... }	الجاثيه	٣٤	٣٩٠
{ قل ماكنت بدعاً من الرسل}	الأحقاف	٩	٥٨٩
{ ليزدادوا إيماناً مع إيما م }	الفتح	٤	٣٢٢
{ يد الله فوق أيديهم }	"	١٠	٢٨٨-٣٨٦
{ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه }	"	١٠	٥٠١
الآيـــــــة	**الســـــورة**	**رقـــم الآيـــة**	**رقم الصفحة**

{ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك ... }	الفتح	١٨	٣٥٣
{ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله	"	٢٧	٣٣٣
{ محمد رسول الله والذين معه أشداء ... }	الفتح	٢٩	٣٥٣-٣٥٧- ٤٩٨
{يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم}	الحجرات	٢	٥٠١
{ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا ... }	الحجرات	٩	٤٨٦
{ إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم }	"	١٠	٤٨٦
{ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم }	الذاريات	١٩	٣٧
{ وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم ... }	النجم	٢٦	٤٩٣
{ إنا كل شيء خلقناه بقدر }	القمر	٤٩	٣٧٠
{ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام }	الحديد	٤	٢٦٨
{ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة ... }	"	٢١	٣٨٠
{ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولافي ... }	"	٢٢	٣٦٧
{ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس ... }	"	٢٥	٥١٥
الآيـــــــــــة	**الســـــورة**	**رقـــم الآيـــة**	**رقم الصفحة**

{ ألم تعلم أن الله يعلم مافي السموات }	الحديد	٧	٢٦٨-٢٧٠
{لاتجد قوماًيأمنون بالله واليوم الآخر}	"	٢٢	٦٠٧
{ وما آتاكم الرسول فخذوه وما اكم عنه ... }	الحشر	٧	٦٧٣
{ للفقراء ا اهدين الذين أخرجو من ديارهم }	الحشر	٨	٣٥٣
{ والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم ... }	الحشر	٩	٣٥٣
{ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب ... }	"	٢٢	٢٤٤
{ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير }	الممتحنة	٤	٦٨١
{ فاتقوا الله ما استطعتم }	التغابن	١٦	٦٤٧
{ ومن يتوكل على الله فهو حسبه }	الطلاق	٣	٦٣٥-٦٨٠
{ وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً }	"	١٢	٣٦٦
{ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير }	الملك	١٤	٣٧٥
{ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود }	القلم	٤٢	٢٩١-٢٩٢-٢٩٣
{ لأخذنا منه باليمين }	الحاقة	٤٥	٢٨٨

الآيـــــــــة	الســــورة	رقـــم الآيــة	رقم الصفحة
{ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا }	الحاقة	٢٦	٢٦٠-٢٥٦
{ ويزداد الذين امنوا إيماناً }	المدثر	٣١	٣٢٣
{ ما سلككم في سقر ، قالو لم نك من المصلين }	"	٤٣-٤٢	٤٩٢
{ فما تنفعهم شفاعة الشافعين}	المدثر	٤٨	٤٩٠ -٤٨٩
{ وجوه يومئذ ناضرة إلى ر ا ناظرة }	القيامة	٢٤ - ٢٣	-٤٦٦-٤٦٤-٣٠٧ -٤٧٤-٤٧٣-٤٦٧ ٦٥٩-٦٥٧
{ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق }	"	٢٧ - ٢٦	٦١٠
{ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين }	التكوير	٢٩	٣٦٨
{ كلا إ م عن ر م يومئذ لمحجوبون }	المطففين	١٥	-٣٠٩-٣٠٨ ٤٧٥-٤٧٤-٣٧٣
{ فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف ... }	الإنشقاق	٨	٤٠٣-٣٩٩
{ ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى }	الأعلى	١٣	٣٩٢
{ وجاء ربك والملك صفاً صفاً }	الفجر	٢٢	-٢٨١-٢٨٠ ٢٨٥-٢٨٤
{ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك..}	"	٢٨-٢٧	٤٣٣
{فأمامن أعطىواتقىوصدق بالحسنى}	الليل	٦-٥	٣٦٦

الآيـــــــــة	الســـــورة	رقــــم الآيــة	رقم الصفحة
{ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل ... }	الزلزلة	٧ - ٨	٤٨٢
{ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك ... }	الكوثر	١ - ٢	٤١١
{ قل هو الله أحد الله الصمد}	الإخلاص	١ - ٢	٢٤٥

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

أجعلتني لله نداً ؟ بل ماشاء الله وحده ٣٦٨
إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة ٣١٢
إذا دخل أهل الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى تريدون ٣٠٧
إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ٣٦٠-٥٠٨
إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ٦١١
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ٤٧٤
إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته ٢٩٥
إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ٣٨١
إذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه هبط الله إلى سماء الدنيا ٢٨١
استغفروا لماعز بن مالك قال الراوي : فقالوا : غفر الله لماعز بن مالك ٤٨٥
استمتعوا من هذه النساء ٥٧٨
اصبروا حتى تلقوني على الحوض ٤١٢
اعرضوا علي رقاكم فلما عرضوها قال : لا أرى بأساً ٦٢٠-٦٣٥
اعرضوا علي رقاكم لابأس بالرقى مالم يكن فيها شرك ٦٢٤
أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ٦٢١
اقروا الطير على مكنا ا فإ ا لاتضركم ٦٣١
أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا ٣٢٢
ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ٢٧٥
ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ٤٣٩
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٣١٩
أمرنا رسول الله بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ٥٧٥
إن من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله - عزوجل - معه حيث كان ٢٦٩
إن من الشجر شجر لايسقط ورقها ١٤٢
إن ناساً من أصحاب رسول الله كانوا في سفر فمروا بحي ٦١٢

الحديث	رقم الصفحة

أن النبي كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول ٦٢٣
إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ٤٢٥-٤٢٧
إنكم ترون ربكم بأبصار وجوهكم لاتضامون في رؤيته ٤٧١
إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ٦٥٧
إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لاتضامون في رؤيته ٤٧٢
إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عندالله جناح بعوضه ... ٤٠٠
إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ ٤١٢
أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر ٤١٧
إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ٥٩٢
الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة ٣٢٢-٣٢٦
آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار ٥٠٥
تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بما ٤٤٧-٦٠٢
تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ٤٤٣
تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها.......................................٤٥٢
ثم يقال للفريقين كليهما : خلود فيما تجدون ، لاموت فيه أبداً ٣٩٤
الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله تعالى ٤٧١
خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : هذا سبيل الله ٤٤٣
خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ٢٩٥
خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلو م ٥٠٦
خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر ٥٥٦
دعانا رسول الله فبايعناه فكان فيما أخذ علينا ٥٣١
سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث أسنان ٤٥١
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ٤٩٠
الطيرة شرك ٦٢٩
علموا أرقاءكم سورة يوسف ٥١٩
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي ٤٤٧
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ٦٠٢

الحديث	رقم الصفحة

فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونه ....
فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء ٤٤٣
قال الله : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ٣٨١
قام رسول الله خطيباً فذكر فتنة القبر ٤١٨
قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون ٤٧٨
كانت لي غنم بين أحد والجوانية ٢٧٥
كان رسول الله يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع:بسم الله أعوذ بكلمات الله ٦٢١
كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض ٣٦٧
كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ٦٣٧
كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز ٣٧٠
كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ٥١٧
كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ، فجعلنا لانصعد شرفاً ٢٦٢
لاتؤذوني في أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ٣٦٠
لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ٤٣٨
لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ٣٥٣-٤٩٨-٥٠٢-٥٠٨
لاتقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن ٢٩٦
لاتقولوا ماشاء الله وشاء فلان ٦٦٨
لاتنال شفاعتي سلطاناً غشوماً للناس ٤٩١
لاطيرة وخيرها الفأل قالوا : وما الفأل ٦٣١
لاعدوى ولا طيرة ولاهامة ٦٢٨-٦٣٠
لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد.. ٤٥٢
لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربع ٣٧١
لايبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر ٣٥٧
لايزال يستجاب للعبد مالم يدع بإثم ٦٦٩
لايسترقون ولايكتوون ولايتطيرون ٦٣٣
لاينال شفاعتي الغالي في الدين ولا الجافي عنه ٤٩١

الحديث	رقم الصفحة

الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا..٣٦٦
اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فأحفظها ٤٣٥
اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك...٢٤٥
اللهم إني أسلمت نفسي إليك وألجأت ظهري إليك ٦٧٩
اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أزل أو أظلم أو أظلم ٦٦٩
اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة ٣١٣
اللهم باسمك وضعت جنبي وباسمك أرفعه.................................٦٦٩
اللهم بك نصبح وبك نمسي وبك نحيى وبك نموت ٦٦٨
اللهم بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا ٦٦٨
اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ٦٨١
لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ٤٩٧
لكل نبي دعوة مستجابة يدعو ا فيستجاب له فيؤتاها ٤٩٧
لما أصيب إخوانكم - يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم ٤٢٥
لما قضى الله الخلق كتب في كتابه ٢٧٥
لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه ٣٧١
لولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ٤١٨
ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ٤٤٠
ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ٣٩٩
ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي ٤٩١
ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون ٦٧٢
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة...............................٤١٥
ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة...............................٤١٤
ما بين منبري وبيت عائشة روضة من رياض الجنة.......................٤١٤
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.........................٣٧٠
مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ٣١٢
مامنكم من نفس إلا وقد علم م لها من الجنة والنار ٣٦٦
من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ٥٠٥

الحديث	رقم الصفحة
من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد	٥٨٥-٦٣٧
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه	٥٣١
من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك	٦٢٩
من رغب عن سنتي فليس مني	٥٩٩
من سب أصحابي فعليه لعنة الله فعليه لعنة الله	٣٥٣-٥٠٣
من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها	٥٩٣
من علق تميمة فلا أتم الله له	٦١٩
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	٥٩٩-٦٦٤
من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن......	٢٩٧
من قال لأخيه ياكافر : فقد باء ا أحدهما	٤٨٠
من قرأ سورة يوسف في كل يوم أو كل ليلة	٥١٩
نسمة المؤمن إذا مات طائر تعلق في شجر الجنة............................	٤٢٧
هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله	٤٧٢
هم شر الخلق والخليقة..	٤٥٢
وإن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة وإنه يدخل يده في جهنم................	٢٩٤
والحياء شعبة من الإيمان	٣١٩
والذي نفسي بيده لايلج النار أحد بايع تحت شجرة....................	٤٠٦ -٤٠٧
والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد............................	٤٠١
وكان النبي يكره الطيرة ويعجبه الفأل الحسن ويكره سيء الأسماء	٦٢٩
ويضرب الصراط بين ظهر جهنم فأكون أنا وأمتي	٥١٢
يأتينا ربنا يوم القيامة ونحن على مكان رفيع فيتجلى لنا ضاحكاً	٢٨٠
يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع	٥٧٥
يا رسول الله أين كان ربنا	٢٧٥
يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك	٣٦٧
يجمع الله المؤمنين يوم القيامة	٢٨٦
يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً	٢٨٠
يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه	٣١٢

الحديث رقم الصفحة

يخرج قوم من النار بعد مامسهم منها سفح فيدخلون ٤٩٢
يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول ٤٨٤
يدخل الله أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ٣٩٤
يد الله ملأى لاتغيظها نفقة ٢٨٦
يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون من الحوض ٤١٢
فيقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ٤٥٢
يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ٢٩١
ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ٣٩٣
ي ل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة ، حين يمضي ثلث الليل ٢٨٠
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ٤٥٠

فهرس الأعلام

(الكنـــــــــــى)

ابن أمية ٣٤٠
ابن البرذون ٦٦
ابن خلف..١٩٣
ابن رجب الحنبلي ٥٩٢
ابن السعدي ١٦٣
ابن عبدالمؤمن ١٢٨
ابن عذرة الأيدي ١٥٨
ابن ناجي ٩
أبو الإرشاد الأجهوري ١٣٥
أبو إسحاق السبائي ٤-١٢٣
أبو إسماعيل الصابوني ٤٨١
أبوبكر الأ ري ١٦٨
أبوبكر الباقلاني ١٦٩
أبوبكر بن هذيل ٦٦
أبوبكر بن وافد ١٦٠
أبوبكر الحصار ١٦١
أبوبكر الخولاني ١٥٣
أبو بكر الصقلي...١٨٣
أبو بكر المالكي...٧١
أبوبكر محمد بن فورك ٣٠٤
أبوبكر محمد بن محمد اللباد ٤-١٠٥
أبوجعفر الداودي ٥٥٠

اسم العلم	رقم الصفحة
أبو الحسن بن بطال	٢٥٦-٢٥٧
أبو الحسن بن المنمر	١٥٩-٦٥٤
أبو سعيد الخولاني	١٥٥
أبو سلمة الخزاعي	٣١٩
أبو سليمان الخطابي	٤٥٨
أبو العباس الأصطرخي	٥٢٧
أبو عبد الله بن أبي زمنين	٢٦٦
أبوعبدالله القرطبي	٨٥
أبو عبدالله التونسي	١١٣
أبو عبدالله الخشاب	١٦٠
أبو عبدالله الفريابي	٣٥٨
أبو عبدالله الطرابلسي	٢٠٢
أبو عبدالله العكبري	٤٨١
أبو عثمان الخولاني	١٠٤
أبوعثمان الزنبري	٣٢٤
أبو العرب	١١٤
أبو عمرو الأوزعي	٨٢
أبو عمر الطالمكني	١٦٤-٦٥٢
أبو الفضل الممسي	١١١
أبو القاسم البراذعي	١٤٧
أبو القاسم البكري	٦٥١
أبو القاسم الموصلي	٤٢
أبو القاسم اللبيدي	١٥٧
أبو مالك النحوي	٦٨
أبو محمد عبدالله بن الحداد	١٠٤
أبو محمد عبدالله الرعيني	٧٦

اسم العلم رقم الصفحة
أبو محفوظ محرز ٦٥٢
أبو ميسرة ١٢٠
أبو يوحنا ٧٢
أبو يوسف جبلة بن حمود.................................. ١٦

(الأسماء)

إبراهيم بن الأغلب ٥٣٧
أحمد بن إبراهيم الجزار ٧٣
أحمد بن خالد الناصري..٥٥
إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ٣٤٩
البهلول بن راشد ٦٤٤
الحسن البصري ٦٥٧
خولة بنت ثعلبة..٢٧٨
الربيع بن حبيب ٤٦٩
ربيع القطان ١١٧
سلمة بن سدد الأسلمي ٥٦
الشقراسطي ١٥٢
شمس الدين أبو السرور ٤٣
عبدالرحمن البغدادي ٥٩٢
عبدالرحمن بن محمد الاسترابادي ٤٣
عبد الرحيم البكري..٢٢٤
عبدالرزاق بن نافع الحميري ٣٢٤
عبدالله البابطين ٢٩٩
عبدالله بن إسحاق ٣٢٨
عبدالله بن نافع ٢٧٠-٣٢٤
عبدالله بن وهب ٣٢٥
علي بن خلف بن بطال ٢٦٠-٤٥٨
عمر بن عبدالعزيز ٤٤٩
عياض بن موسل ٤٥٨
عياض القاضي ٢٠

اسم العلم	رقم الصفحة

محمد بن أحمد الكلاعي.. ٨٥
محمد بن إسحاق بن خزيمة ٢٥٥
محمد بن جرير الطبري ٧٤
محمود بن حكمون ٣٢٧
محمد بن طوسي ٥٩٠
محمد بن عبدالله الرعيني ٧٦
محمد بن عبدالله المارقة ١٨٤
محمد بن علي النصيبي ٤٢
محمد بن هاني.. ٢٥
معاوية بن خديج ١٣
يعقوب بن إبراهيم القاضي ٨٤
يحى بن عمر الكناني ٦٠

فهرس الفرق

الإباضية ٥٦
الأشاعرة ٣٦٤
الجبرية ٣٧٥
الجهمية ٢٦٩
الخوارج ٥٥-٤١٩
الشيعة ٥٣٤
الصفرية ٥٧
الصوفية ٦٣٩
العبيديون ٥٣٦
العجاردة ٥١٠
القدرية ٣٦٣
المرجئة ٥٩
المعتزلة ٦٢
المغيرية ....
الميمونية ٥١٠

فهرس المراجع

(أ)

١.الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق الدكتورة : فوقية حسين محمود .

٢.الإباضية في موكب التاريخ – علي يحيى – معمر ، الطبعة الأولى .

٣.الإباضية عقيدة ومذهباً ، د/ صابر طعمية ، دار الجيل ، بيروت ، طبع في سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٤.الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث ، تأليف / علي يحيى معمر ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

٥.اتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر في أصول الفقه للدكتور عبدالكريم بن علي بن محمد النملة ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ،ط الأولى ١٤١٧هـ .

٦.اثبات صفة العلو للإمام موحق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي ت ٦٢٠هـ ، الدار السلفية ، تحقيق بدر بن عبدالله البدر ، ط : الأولى .

٧.إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطله والجهمية للمحقق ابن القيم ، مطبعة الإمام بالقلعة القاهرة .

٨.أحكام القرآن للجصاص طبع في سنة ١٣٣٥هـ ، دار الكتب العربي .

٩.الأحكام السلطانية لأبي يعلى .

١٠.إحياء علوم الدين ، تأليف : أبي حامد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، الناشر : دار المعرفة بيروت – ١٤٠٣هـ .

١١.آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويماً ، تأليف الدكتور علي بن سعيد بن صالح الضويحي ، مكتبة الرشد الرياض ، ط : الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١٢.الاستبصار فيما اختلف من الأخبار للطوسي ت ٤٦٠هـ ، ط : الثانية ، دار الكتب الإسلامية .

١٣.الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، أحمد بن ناصر السلاوي ، تحقيق ولدي المؤلف ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م .
١٤.أسد الغابة في معرفة الصحابة ، علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
١٥.كتاب الأسماء والصفات للإمام ابن تيمية تحقيق ودراسة مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
١٦.كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقي،دار الكتب العلمية - بيروت بدون تاريخ .
١٧.الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الناشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة .
١٨.الأصول من الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني .
١٩.أصول الدين للباقلاني ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩٥٧م .
٢٠.أصول السنة للإمام محمد بن عبدالله بن أبي زمنين الأندلسي (ت٣٩٩هـ) تحقيق : محمد هارون .
٢١.أصول الدين لأبي منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ت ٤٢٩هـ – ١٠٣٧م ، الطبعة الأولى ، مطبعة الدولة باسطنبول ، ١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م.
٢٢.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ت ١٣٩٣هـ .
٢٣.الإعتصام لأبي اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطبعة السعادة .
٢٤.الإعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ ، طبع في المطبعة العربية .
٢٥.إعتقادات فرق المسلمين المشركين ، تحقيق علي سامي النشار ، القاهرة ١٩٣٨م .

٢٦.أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي ، محمد الفاضل بن عاشور ، مطبعة النجاح ، تونس .
٢٧.أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية ، تعليق عبدالرؤوف سعيد ط : دار الجيل – بيروت .
٢٨.الأغاني لابي الفرج الأصفهاني ، الطبعة الأولى ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطاء القاهرة ، مطبعة حسان سنة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
٢٩.الإكمال للأمير ماكولا .
٣٠.الإمام زيد بن علي المفترى عليه ، تأليف شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب طبع في سنة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، المكتبة الفيصلية ، بمكة المكرمة .
٣١.الإمام أبوبكر محمد بن الحسن بن فورك ، وأثره في المدرسة الأشعرية ، إعداد السيد أحمد محمود عبدالغفار ، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة سنة ١٤٠٩هـ .
٣٢.الإمامة الفطمي عند أهل السنة والجماعة تأليف / عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ الرياض.
٣٣.الأنساب للأمير ماكولا .
٣٤.أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك للعلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، مطابع الرشيد ، المدينة المنورة .
٣٥.أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني ، حياته وآثاره وكتاب النوادر والزيادات للدكتور الهادي الدرقاش ، رسالة لنيل الدكتوراه ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

(ب)

٣٦.البداية والنهاية للإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ تحقيق : محمد عبدالعزيز النجار ، الناشر : مطبعة الفجاله الجديدة ، القاهرة.
٣٧.البدور السافرة في أمور الآخرة ، تأليف : أبو الفضل جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ ، الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية ، ط : الأولى ، ١٤١١هـ – ١٩٩١ م .
٣٨.البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة ، تأليف / أبي الوليد بن رشد القرطبي (ت ٥٦٠هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد الشرقاوي ، الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤٠٤هـ .
٣٩.البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي ، المكتبة الأندلسية الدار العربية للكتاب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .
٤٠.بين الشيعة وأهل السنة – للأستاذ إحسان إلهي ظهير .

(ت)

٤١.تاج العروس من جواهر القاموس ، القاهرة ١٣٠٦هـ – ١٣٠٧هـ .
٤٢.تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
٤٣.تاريخ الأمم والملوك ، تأليف محمد بن جرير الطبري تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم – الطبعة الثانيه – دار المعارف بمصر .
٤٤.تاريخ العلماء ورواة العلم بالأندلس لابن القرطبي (ت ٤٠٣هـ) تحقيق : عزت العطار – المصادر ط مصر ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م .
٤٥.تاريخ ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : الأولى ١٤١٣هـ .
٤٦.تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، ط : مصر ١٩٦٨م .
٤٧.التاريخ الكبير لأبي عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري محمد أزهر ، يطلب من الدار العلمية – بيروت .

٤٨.تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين .
٤٩.التبصير في الدين ، تحقيق زاهد الكوثري ، القاهرة ، مطبعة الأنوار ، ١٣٥٩هـ – ١٩٤٠م .
٥٠.تحرير المقالة سنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م ، للإمام أبي عبدالله الحطاب .
٥١.التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، تأليف الشيخ فالح بن مهدي آل مهدي تصحيح وتعليق الشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود ، مكتبة الحرمين ، الرياض ت ط : الثانية ١٤٠٥هـ .
٥٢.التذكرة في أصول الموتى وأمور الآخرة شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ت ٦٧١هـ ، الناشر ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
٥٣.ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ٤٤٥هـ – دار مكتبة الحياة – بيروت ، دار مكتبة الفكر – طرابلس – ليبيا.
٥٤.تراجم المؤلفين التنونسيين لمحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط الأولى ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٥٥.تصحيح الفروع في حاشية الفروع لابن مفلح للمرداوي ، عالم الكتب ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، راجعه / عبدالستار أحمد فراج سنة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٧م .
٥٦.التعريفات للجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٥٧.تفسير ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد وأحمد ابنا محمد شاكر ، دار المعارف بمصر .
٥٨.تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ،

عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ .
٥٩.تفسير الكبير تفسير فخر الدين الرازي ، للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ت ٦٠٤هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط : الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٦٠.تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل : تأليف الإمام أبي محمد الحسين البغوي (ت ٥١٦هـ) ، تحقيق : خاد عبدالرحمن العك – مروان سوار . الناشر : دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ط : الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
٦١.تلبيس إبليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
٦٢.التمهيد للباقلاني ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩٥٧م .
٦٣.التمهيد لما في الموطا من المعاني والأسانيد لأبي عمر بن عبدالبر (ت٤٦٣هـ) تحقيق : محمد بو خبزه سعيد أحمد أعراب ، سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
٦٤.التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تأليف : أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي (ت ٣٧٧هـ) ، تقديم محمد زاهد بن الحسن الكوثري ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ، بيروت ، بدون تاريخ .
٦٥. ذيب التهذيب – تأليف : الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، الناشر : دائرة المعارف القطانية – الهند – حيدر آباد الدكن – ١٣٢٧هـ .
٦٦. ذيب المدونة والمختلطه اختصار البراذعي ، وهو كتاب مشهور في الفقه المالكي ، اتم تحريره بالقيروان سنة ١٣٧٢هـ .
٦٧. ذيب اللغة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط : ١٣٨٤هـ ، الدار المصرية للتأليف والنشر.
٦٨.كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله – عزوجل – وصفاته على الاتفاق والتفرد، تأليف الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى

بن منده (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق د/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
٦٩.كتاب التوحيد وأثبات صفات الرب عزوجل التي وصف ا نفسه ، للحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة مراجعه الشيخ محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م .
٧٠.توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، تأليف : عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثه .
٧١.التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب ، تأليف د/ عبدالله بن عمر الدميجي ، دار الوطن ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ .
٧٢.تيسير العزيز الحميد ، سليمان بن عبدالله ، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٩٧هـ .

(ث)

٧٣.الثمر الداني في تقريب المعاني للشيخ صالح عبدالسميع الآبي الأزهري ، ط : الثانية .

(ج)

٧٤.كتاب الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي والتاريخ وغير ذلك ، مختصر من السماعات عن مالك ومن الموطأ وغيره من الكتب مضاف إلى مختصر المدونه لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني ، تحقيق : عبدا يد تركي دار الغرب الإسلامي ، ط : الثانية ١٩٩٠م ، بيروت – لبنان .
٧٥.كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ ، لأبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) ، تحقيق وتقديم وتعليق د/ محمد بو الأجفان، وعثمان بطيخ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، المكتبة العتيقة تونس ، ط : الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .
٧٦.جامع البيان عن تأويل القرآن ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ط : الثالثة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ، مطبعة مصطفى البابي .

٧٧.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، تأليف : الإمام الحافظ الفقيه زيد الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق : شعيب الارناؤوط إبراهيم باحسن ، مؤسسة الرسالة ، ط : الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

٧٨.جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس واسماء رواة الحديث ، وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر تأليف : أبي عبدالله محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ، الناشر مكتبة الخانجي – بالقاهرة .

٧٩.كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم – مخطوط بالزيتونة في نسب بني غوث بن طي ، وقد أسماه هناك « أبان » بدل أمان .

٨٠.جمهرة اللغه لابن دريد ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط : الأولى، نوفمبر ١٩٨٧م ، تحقيق د/ رقزي فنير بعلبكي .

(ح)

٨١.حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) دار الحديث طبع ونشر وتوزيع .

٨٢.حاشية على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني ، للشيخ : علي الصعيدي العدوي المالكي وبالهامش كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لعلي أبي الحسن المالكي الشاذلي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٨٣.حاشية الأجهوري على شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ، مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس .

٨٤.الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي ، تأليف : محمد البهلي النيال ، نشر وتوزيع مكتبة النجاح تونس ١٣٨٤هـ – ١٩٥٦م .

٨٥.الحلل السندسية للسراج ، تحقيق أ.د. محمد الحبيب الهيلة ، الدار التونسية تونس ١٩٧٠م .

٨٦.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، تأليف : الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

(خ)

٨٧.خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

٨٨.الخوارج والشيعة – الفلهوزن ، تعريب عبدالرحمن بدوي ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م .

٨٩.الخوارج ، تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها ، د/ غالب بن علي عواجي ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

(د)

٩٠.دائرة المعارف الإسلامية ، طبع في جمادي الثانية ١٣٥٢هـ .

٩١.دائرة المعارف البستاني ، ط – بيروت ١٩٥٨م .

٩٢.دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين « الخوارج والشيعة » للدكتور أحمد محمد أحمد جلي ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٩٣.درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيميه (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم ، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .

٩٤.الدرة الخريدة لشرح الياقوتة الفريدة ، تأليف أبو عبدالله سيدي محمد فتحا بن عبدالواحد السوسي النظيفي ، المكتبة الشعيبية ، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ .

٩٥.الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تأليف : الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي ٨٤٩هـ – ٩١١هـ ، بيروت .

٩٦.دعائم الإسلام ، للقاضي النعمان الشيعي .

٩٧.الدليل لأهل العقول ، لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق

بالبرهان والصدق ، للشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني .
٩٨.الدولة الصنهاجية ، لهادي روجي إدريس ، تاريخ افريقيه في عهد بني زيري من القرن ١٥ إلى القرن ١٢م ، نقله إلى العربيه حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٩٢م ، بيروت – لبنان .
٩٩.الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون المالكي ٧٩٩هـ ، تحقيق وتعليق الدكتور / محمد الأحمدي أبو النور مدرس الحديث بجامعة الأزهر ، دار التراث للطبع والنشر – القاهرة .

(ذ)

١٠٠.الذب عن مذهب الإمام مالك لابن أبي زيد القيرواني – مخطوط خاص رقم ٤٤٧٥/ن .
١٠١.ذم التأويل لابن قدامه المقدسي (ت ٦٢٠هـ) ، تحقيق : بدر البدر الناشر : الدار السلفية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
١٠٢.ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ) ، تحقيق ودراسة عبدالرحمن بن عبدالعزيز الشبل ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

(ر)

١٠٣.رحلة التجاني ، تونس – طرابلس ٧٠٦هـ – ٧٠٨هـ ، تأليف : أبي محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني ، قدم لها العلامة حسن حسني عبدالوهاب ، الدار العربيه للكتاب ليبيا ، تونس ١٩٨١م .
١٠٤.الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق وتعليق مع مقدمة في علم الكلام والمذاهب الهدامة ، الدكتور / عبدالرحمن عميرة ، دار اللواء بالرياض ، سنة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .
١٠٥.الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي ، مكتبة لندن سنة ١٩٦٠م .
١٠٦.رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني ، و امشها الشرح المسمى الثمر الداني

في تقريب المعاني ، تأليف : الشيخ صالح عبدالسميع الآبي الأزهري، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٢هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
١٠٧.رسالة الماجستير تحت عنوان الجزاء الأخروي دراسة تحليلية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة ، اعداد الطالب / محمد عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم العقيدة بمكة المكرمة .
١٠٨.الرسالة القشيرية في علم التصوف تأليف أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري المتوفى عام ٤٦٥هـ ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، القاهرة عام ١٩٧٢م ، الطبعة الأولى .
١٠٩.الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة وحكم التفرغ لها واتخاذها حرفه ، د. علي بن نفيع العلياني ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى شعبان ١٤١١هـ .
١١٠.الروح لابن القيم في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء ، تأليف : الإمام شمس الدين أبي عبدالله بن قيم الجوزيه (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
١١١.رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقيه وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تأليف : أبي بكر عبدالله بن محمد المالكي ، تحقيق : بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م الجزء الثاني عشر ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(ز)

١١٢.زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق : محمد بن عبدالرحمن عبدالله ، خرج أحاديثه السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، دار الفكر .

(س)

١١٣.سؤال في حديث الـ ول وجوابه أو شرح حديث الـ ول لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية النميري (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق محمد بن عبدالرحمن الخميس ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

١١٤.السلسلة الصحيحة ، تأليف : محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ .

١١٥.مخطوط : سمط اللئالي للشيخ قويسم ، رقمه ١١٤٠١ ، مكتبة دار الكتب الوطنيه بتونس .

١١٦.سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي عبدالملك بن حسين بن عبدالملك المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٠هـ .

١١٧.كتاب السنه للإمام أبي عبدالرحمن عبدالله بن إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٩٠هـ) ، تحقيق : ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ، ط : الثانيه ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م رمادي للنشر المؤتمن للتوزيع .

١١٨.سنن الدارمي لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن ـرام الدارمي المتوفى سنة ٢٥٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ .

١١٩.السنة لأبي بكر أحمد بن محمد ابن هارون بن يزيد الخلال (ت٣١١هـ) تحقيق د. عطيه بن عتيق الزهراني ، دار الراية للنشر والتوزيع ، ط : الأولى ١٤١٥هـ .

١٢٠.السنه تأليف الحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك (ت ٢٨٧هـ) تحقيق الشيخ : محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي ، ط: الأولى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

١٢١.سنن الترمذي ، تأليف : الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن مسورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ) .

١٢٢.سنن النسائي ، تأليف : الإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي

(ت٣٠٣هـ) شرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ، الناشر : دار الكتب العربي – بيروت .
١٢٣.السنن الكبرى ، تأليف : الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، الناشر : دار الفكر .
١٢٤.سنن أبي داؤد ، تأليف : الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) ، راجعه : محمد محي الدين عبدالحميد ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .
١٢٥.سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، حقق نصوصه : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .
١٢٦.سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط ، العاشرة ، الناشر : مؤسسة الرسالة للطباعة ١٤٠٠هـ – ١٩٩٤م .

(ش)

١٢٧.شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تأليف العلامة محمد بن محمد مخلوف (١٢٨٠هـ – ١٣٦٠هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
١٢٨.شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) . المكتب التجاري – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.
١٢٩.شرح العقيدة الطحاوية – للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي المتوفى سنة ٧٩٣هـ ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م – بيروت .
١٣٠.شرح أبي الحسن للرسالة ، ط مصر رقمه ٥٧٢٨ ، مكتبه دار الكتب الوطنيه ، تونس .
١٣١.شرح القلشاني للرسالة ، مخطوط المكتبة الوطنيه ، تونس .
١٣٢.شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة ، إعداد الأمين الحاج محمد

أحمد مكتبه دار المطبوعات الحديثة، جدة المملكة العربية السعودية، ط : الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

١٣٣.شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار بن أحمد (ت ٤١٥هـ) بتعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، الناشر : مكتبة وهبة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

١٣٤.شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار بن أحمد ، بتحقيق د. عبدالكريم عثمان ، الناشر : مكتبة وهبة ، مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة، ط : الأولى .

١٣٥.شرح أصول إعتقاد أهل السنه والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعون من بعدهم ، للشيخ : أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت ٤١٨هـ) ، تحقيق الدكتور / أحمد سعد حمدان ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط : الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

١٣٦.كتاب الشريعة للآجري ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ط : الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٣٧.شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، تأليف العلامة محمد خليل هراس ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ط : الثالثه ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

١٣٨.كتاب الشرح والابانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين - للإمام الحنبلي عبيدالله محمد ابن بطه العكبري (ت ٣٨٧هـ) ، تحقيق وتعليق د. رضا بن نعسان معطي ١٤٠٤هـ الفيصلية مكة المكرمة .

١٣٩.كتاب الشريعة الآجري ، تحقيق د. عبدالله عمر الدميجي ، دار الوطن للنشر ، ط : الأولى .

١٤٠.شرح الزرقاني على موطأ مالك ، تأليف / محمد عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ، الناشر : دار الفكر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٤١.شرح السنة تأليف : الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ) ، الناشر : المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م .

١٤٢.شرح النووي على صحيح مسلم ، تأليف / الإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط : الثانية ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

١٤٣.شرح المواقف في علم الكلام – للسيد علي بن محمد الجرجاني ، بتحقيق الدكتور / أحمد المهدي .

١٤٤.شرح ج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة البابي الحلبي ، بالقاهرة ١٣٨٥هـ – ١٣٨٧هـ – ١٩٦٥م – ١٩٦٧م.

١٤٥.شرح الباجوري على الجوهرة – المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، المؤلف : إبراهيم الباجوري طبعت عام ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م ، مطبعة : محمد علي صبيح القاهرة .

١٤٦.شرح كتاب الفقه الأكبر – للإمام أبي حنيفه النعماني بن ثابت الكوفي مع شرحه للإمام الهمام ناصر السنه وقامع البدعة الملا علي القاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

١٤٧.شعب الإيمان للبيهقي ٤٥٨هـ ، تحقيق محمد السيد ابن بسيوني زغلول، ط : الأولى ١٤١٠هـ ، دار الكتب العلمية .

١٤٨.الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الأخيرة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

١٤٩.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور السيد محمد السيد ، وسعيد محمود ، دار الحديث القاهرة ، ط : الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

١٥٠.الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الإعتقادية والصوفية ، عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة تأليف الدكتور / سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني ، ط : الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
١٥١.الشيخ إبراهيم انياس السنغالي ، حياته وآراؤه وتعاليمه ، تأليف الشيخ محمد الطاهر ميغري ، جامعة باير وبكنو نيجيريا ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، دار العربيه للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان .

(ص)

١٥٢.الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيميه (ت ٧٢٨هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد بن عبدالله بن عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد مشودري، رمادي للنشر المؤتمن للتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
١٥٣.صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، بتحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٥٤.الصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطاء الناشر : طبع بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

(ط)

١٥٥.طبقات علماء إفريقيه ، محمد بن حارث الخشني (ت ٣٦١هـ) ، تحقيق محمد بن أبي شنب ، كلية الآداب بالجزائر ١٩١٥م .
١٥٦.طبقات علماء إفريقية (وتونس) ، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت٣٣٣هـ) ، تحقيق محمد بن أبي شنب ، الجزائر ١٩١٥م ، تصوير دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، تحقيق : على الشابي ونعيم اليافي ، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨م .
١٥٧.طبقات الفقهاء – الشيرازي ، دار القلم – بيروت – لبنان ، تصحيح فضيلة الشيخ / خليل الميس ، مدير أزهر لبنان .

١٥٨.طبقات الفقهاء للشيرازي ، ط بيروت ، ١٩٧٠م ، تحقيق : احسان عباس .

١٥٩.طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، دار إحياء الكتب العربية .

١٦٠.طبقات الحنابلة ، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، دار إحياء الكتب العربية ، مكتبة فيصل عيسى البابي الحلبي .

١٦١.طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة .

(ع)

١٦٢.العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دكتور حسن أحمد محمود ودكتور أحمد إبراهيم الشريف ، ط : الخامسة ، دار الفكر العربي .

١٦٣.عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي للإمام الحافظ ابن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٦٤.العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .

١٦٥.العبودية تأليف شيخ الإسلام ابن تيميه (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق : على حسن عبدالحميد ، دار الأصالة – الإسماعيلية ، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

١٦٦.العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل والإمام ابن تيمية دكتور سيد عبدالعزيز السيلي ، المكتبة التجارية ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م ، دار المنار ، القاهرة .

١٦٧.عقيدة الإمام ابن قتيبة للدكتور علي بن نفيع العلياني ، مكتبة الصديق ، الطائف المملكة العربية السعودية ، ط : الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

١٦٨.عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن ، تأليف حمود بن

عبدالله بن حمود التويجري ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .
١٦٩.العقد الفريد لابن عبدربه ، شرح وضبط وتصحيح أحمد أحمد أمين الزين إبراهيم الأبياري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
١٧٠.العقود الفضية ، سالم بن حمد بن سليمان الحارثي .
١٧١.العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .
١٧٢.علم الكلام لأبي عثمان سعيد بن الحداد « مخطوط » رقم ١٣/٨٣٣ مكتبة العقيقية بالقيروان .
١٧٣.عمدة القارئ ، شرح صحيح البخاري (للعيني) تأليف : بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) .
١٧٤.كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين لحسن حسني عبدالوهاب ، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البلوشي ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة .
١٧٥.عنوان الأريب للشيخ محمد النيفر ط تونس ١٣٥١م .

(ف)

١٧٦.فتاوى الإمام البرزلي مخطوط رقم ٤٨٥ ، مكتبة دار الكتب الوطنية ، تونس .
١٧٧.فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش ، دار أولى النهى للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، الرياض .
١٧٨.فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطبعة السلفية .

١٧٩.الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ،تأليف و ترجمة عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط : الثالثة ١٩٨٧م.

١٨٠.فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، تأليف : د. غالب بن علي عواجي ، دار لينة للنشر والتوزيع ، ط : الثالثة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

١٨١.فرق الشيعة لابي محمد الحسن بن موسى النوبختي ، النجف ١٩٣٦م .

١٨٢.الفرق بين الفرق تأليف صدر الإسلام عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الأصولي ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، القاهرة .

١٨٣.الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة عن الفرنسية عبدالرحمن بدوي ص١١٧ ، دار الغرب الإسلامي ، ط : الثالثه ١٩٨٧م ، بيروت – لبنان .

١٨٤.كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) و امشه كتاب الملل والنحل للإمام أبي الفتح عبدالكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ، مكتبة المثنى ببغداد .

١٨٥.فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني ، ط ، الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، الناشر : دار القلم دمشق ودار البشر بجدة .

١٨٦.الفهرست للنديم أبو الفرح محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق تحقيق : رضا تجدد ابن علي بن زيد العابدين الحائري المازندراني، دار المسيرة ، ط : الثالثه ١٩٨٨م .

(ق)

١٨٧.القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، الناشر : دار الجبل – بيروت .

١٨٨.قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ، حاشية العلامة

الشيخ عبدالرحمن بن حسن علي كتاب التوحيد لجده شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب صححه وعلق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري ، مكتبة دار حراء مكة المكرمة ، بدون تاريخ .

١٨٩.القضاء والقدر في الإسلام للدكتور : فاروق أحمد الدسوقي ، ط : الثانيه ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، مكتبة الخاني – الرياض .

(ك)

١٩٠.الكامل في التاريخ لابن الأثير ، على بن محمد بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ) ، دار صادر – بيروت .

١٩١.الكامل في التاريخ ، تأليف الشيخ العلامة عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير، (دار صادر – بيروت) ، للطباعة والنشر – بيروت ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

١٩٢.كاشف الباطل في الطريقة التجانية ، للشيخ يوسف اديوي ، طبع في نيجيريا ، بدون تاريخ .

١٩٣.كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بحاجي خليفه ١٠١٧هـ – ١٠٦٧م ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

١٩٤.كشف الأسرار لروح الله خميني ، بدون تاريخ .

(ل)

١٩٥.لسان العرب ، تأليف / الإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) ، الناشر : دار صادر – بيروت .

١٩٦.اللباب في ـذيب الأنساب عزالدين بن الأثير الجوزي ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت .

١٩٧.كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، ، للإمام أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠هـ ، مطبعة مصر ١٩٥٥م القاهرة .
١٩٨.لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية تأليف العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي ، المكتب الإسلامي دار الخاني للنشر والتوزيع ، الرياض الطبعة الثالثة ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

(م)

١٩٩.المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ط : الثالثه ، ١٣٨٧هـ .
٢٠٠.مجلة الثريا عدد جانفى ١٩٤٥م .
٢٠١.مجموعة التوحيد تأليف أئمة دين الهدى والحق شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني والشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط : الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٢٠٢.مجموعة فتاوى ابن تيميه ، جمع وترتيب عبدالرحمن محمد قاسم ، الطباعة : المكتب التعليمي السعودي بالمغرب .
٢٠٣.مجموع البيان – للطبرسي – دار المعرفه .
٢٠٤.مجموعة الرسائل والمسائل ، لشيخ الإسلام ابن تيميه ، خرج أحاديثه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا ، لجنة التراث العربي بدون تاريخ .
٢٠٥.مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق : زهير عبدالمحسن خلكان ، ط : الأولى ١٤٠٤هـ .
٢٠٦.كتاب المحن تأليف أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التيمي (ت٣٣٣هـ) تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانيه ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٢٠٧.محاضرات ملتقى القيروان مركز علمي مسالكي بين المشرق والمغرب حتى

اية القرن الخامس للهجرة سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان ، ط : الأولى ١٩٩٥م .
٢٠٨.مخطوط مصور بالقيروان لأبي عثمان سعيد ابن الحداد ت ٣٠٢هـ – ٩١٥م رقم ١١٥٦ – ١٢٢١ ، المكتبة الأثرية ٣٨ ، وقد حققه معالي الدكتور عبدا يد حموه ، والآن مطبوع .
٢٠٩.مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد ، الفيصلية مكة المكرمة ، بدون تاريخ .
٢١٠.المختار من كنوز السنة ، شرح أربعين حديثاً ، ط : الثانية ، تقديم بخاري أحمد عبده الإسكندرية ، مطابع الثقافة عام ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
٢١١.مختصر التحفة الاثنى عشرية ، تأليف شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي المطبعة السلفية القاهرة ، منقولة من الفارسية إلى العربية سنة ١٢٢٧هـ .
٢١٢.المدارس الكلامية بافريقية إلى ظهور الأشعرية ، للدكتور عبدا يد بن حمده ، ط : الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، مطبعة دار العرب – تونس .
٢١٣.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط : الثانية ١٣٩٣هـ .
٢١٤.مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، للحسين بن محمد شواط ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ، ط : الأولى ١٤١١هـ .
٢١٥.مسائل في الإمامة للناشيء الأكبر .
٢١٦.مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : زهير الشاويش ، الناشر : المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٠هـ .
٢١٧.مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ، ومثير الغرام إلى دار السلام في فضائل الجهاد تأليف : أبي زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي المشهور بابن النحاس .
٢١٨.مشارق الأنوار في صحاح الآثار للقاضي عياض ، المكتبة العتيقة – تونس

دار التراث – القاهرة .
٢١٩.المصطلحات الكلامية في أفعال الله تعالى عرض ونقد ، للطالب : أحمد محمد طاهر عمر مخطوط ، جامعة أم القرى سنة ١٤١٤هـ .
٢٢٠.معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٥م .
٢٢١.معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تأليف : أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ (ت ٦٩٦هـ) أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت ٨٣٩هـ) تحقيق وتعليق: محمد ماضور ، المكتبة العتيقه – تونس .
٢٢٢.المعهد القومي للاحصائيات بمدينة تونس بتاريخ ١٩٩٦/١١/١٨م .
٢٢٣.المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيه والأندلس والمغرب للونشريسي دار الغرب الإسلامي – بيروت ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، باشراف الدكتور محمد حجي .
٢٢٤.معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، تاليف عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ بيروت .
٢٢٥.معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، راجعته وزارة المعارف العمومية .
٢٢٦.المعجم الأوسط ، تأليف : الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ) تحقيق : الدكتور / محمود الطحان .
٢٢٧.معاني القرآن واعرابه للزجاج . عالم الكتب .
٢٢٨.معجم مقاييس اللغة لابن نحارس ، دار الكتب العلمية إسماعيليان ، نجفي ايران قم – خيابان أرم ، تحقيق / عبدالسلام محمد هارون .
٢٢٩.معالم السنن تأليف : حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ، الناشر : المكتبه العلمية بيروت ، ط : الثانيه ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

٢٣٠.معارج القبول : حافظ الحكمي ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع ، الدمام ١٤١٠هـ .

٢٣١.معجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، الدكتور / أ.ي ونسنك .

٢٣٢.معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، تأليف محمد فؤاد عبدالباقي ، ط: عام ١٣٦٤هـ ، مطبعة دار الكتب المصرية .

٢٣٣.المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك عبدالله بن عبدالعزيز البكري (ت ٤٨٧هـ) الجزائر ١٨٥٧م .

٢٣٤.مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٣٥.مقدمة ابن خلدون دار الكتاب اللبناني ١٩٦٧م .

٢٣٦.مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، ط : الثانيه ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م ، مكتبة النهضة المصرية .

٢٣٧.ملتقى عبدالله بن أبي زيد القيرواني ، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ط : الأولى ١٩٩٤م .

٢٣٨.الملل والنحل للإمام أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) صححه وعلق عليه الأستاذ / أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط : الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٢٣٩.منهج الإمام مالك – رحمه الله – في إثبات العقيدة – إعداد سعود بن عبدالعزيز الدعجان ، مكتبة ابن تيمية القاهرة ، الطبعة الأولى .

٢٤٠.المنتقى من منهاج الإعتدال في نقض كلام أهل الرفض والإعتزال وهو مختصر منهاج السنه – تأليف شيخ الإسلام ابن تيميه (ت ٧٢٨هـ) اختصره الحافظ أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق : محب الدين الخطيب ، مكتبة المؤيد ، بدون تاريخ .

٢٤١.منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعه والقدرية لشيخ الإسلام ابن

تيمية مكتبة الرياض الحديثة ، ومكتبة الجمهورية القاهرة – الأزهر .

٢٤٢.موقف ابن تيميه من الأشاعرة ، تأليف : الدكتور عبدالرحمن بن صالح بن صالح المحمود ، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٢٤٣.الموطأ لإمام الأئمة وعالم المدينه مالك بن أنس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، علق عليه ورقمه محمد فؤاد عبدالباقي .

٢٤٤.موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة « عرضاً ونقداً » تأليف : سليمان بن صالح بن عبدالعزيز الغصن ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط : الأولى ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٢٤٥.ميزان الاعتدال للذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الناشر : دار المعرفة – بيروت .

(ن)

٢٤٦.النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

٢٤٧.النوادر والزيادات على مافي المدونة من غيرها من الأمهات لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن ابن أبي زيد القيرواني ، مخطوط ١٢٣٧١ ، مكتبة دار الكتب الوطنية بتونس .

٢٤٨.النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير : أبي العادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، ط ١٣٨٣هـ ، الناشر : المكتبة الإسلامية .

٢٤٩.نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) ، والمنتقى للإمام مجد الدين أبي البركات عبدالسلام ابن تيميه (ت ٦٥٢هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

(هـ)

٢٥٠.هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون مؤلفه إسماعيل باشا البغدادي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(و)

٢٥١.الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، للشيخ موسى جارالله ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢٥٢.كتاب ورقات عن الحضارة العربيه بإفريقيه التونسيه ، الناشر : مكتبة المنار – تونس ١٩٦٥م .

٢٥٣.وفيات الأعيان ابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس دار الصادر ١٩٧٧م.

٢٥٤.ولاية الله والطريق إليها لإبراهيم هلال .

٢٥٥.ألآثار المروية في صفة المعية –أ.د.محمد بن خليفة التميمي.أضواء السلف ط. الأولى سنة١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م.الرياض

٢٥٦.معتقدأهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات الطبعة الأولى١٤١٩هـ ،١٩٩٩م .مكتبة أضواء السلف.الرياض.

٢٥٧.مواقف الطوائف من توحيد الأسماء ةالصفات أ.د.محمد بن خليفة التميمي.ط.الأولى١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م . مكتبة السلف.الرياض.

٢٥٨.رؤية النبي لربه.تأليفأ.د.محمد بن خليفة التميمي.الطبعةالأولى١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م.مكتبة أضواء السلف.الرياض.

٢٥٩.محمد بن عثمان بن أبي شيبة وكتابه الرش.دراسة وتحقيق أ.د.محمد بن خليفة التميمي.الطبعة الأولى١٤١٨هـ ـ١٩٩٨م.مكتبة الرشد للنشر والتتوزيع.

٢٦٠.الصفات الإلاهية تعريفها أقسامها.أ.د. محمد بن خليفة التميمي.الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م.مكتبة أضواء السلف.الرياض.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وتقدير	ل..
مقدمه	ج – ه
سبب اختياري للموضوع	ه- و
منهجي في الرسالة	و - ر
أبواب وفصول الرسالة	ح - ك
الباب الأول : عصر ابن أبي زيد القيرواني	١
الفصل الأول : البيئة التي عاش فيها ابن أبي زيد وموطنه	٣-١٠
المبحث الأول : الحياة السياسية	١١- ٢٩
المبحث الثاني : الحياة الإجتماعية	٣٠ - ٤٠
المبحث الثالث : الحياة الإقتصادية	٤١- ٥٢
المبحث الرابع : الحياة الفكرية والعلمية	٥٣- ٨٧
الخوارج	٥٥
الإباضية	٥٦
الصفرية	٥٧
المرجئة	٥٩
موقف السلف من الإباضية	٦٠- ٦٧
ازدهار العلوم الدينية والدنيوية بالقيروان	٦٧-٧١
التاريخ والتراجم	٧١-٧٢
علم الطب والرياضيات	٧٢-٧٤
العلوم الشرعية	٧٤-٧٨
المذاهب الفقهيةبالقيروان	٧٩-٨٧
الفصل الثاني : اسمه ونسبه	٧٩
اسم الشيخ ابن أبي زيد ونسبه	٨٩-٩٣
الفصل الثالث : طلبه للعلم وشيوخه	
طلبه العلم	٩٤-١٠٢

الموضوع	رقم الصفحة
شيوخه	١٠٣
أبو محمد عبدالله بن الحداد	١٠٤
أبو عثمان سعدون الخولاني	١٠٤-١٠٥
الشيخ اللباد	١٠٥-١١١
أبو الفضل الممسي	١١١-١١٤
أبو العرب	١١٤-١١٧
ربيع القطان	١١٧ – ١٢٠
أبو ميسرة	١٢٠-١٢٣
أبو إسحاق السبائي	١٢٣ -١٢٨
ابن عبدالمؤمن	١٢٨ -١٣٢
الفصل الرابع : توليه للتدريس وتلاميذه ومؤلفاته	١٣٣
المبحث الأول : توليه التدريس رحمه الله	١٣٤ - ١٣٨
المبحث الثاني : منهج ابن أبي زيد في التدريس	١٣٩ - ١٤٤
المبحث الثالث : طلاب ابن أبي زيد	١٤٥ - ١٤٦
أبرز تلاميذ إبن أبي زيد القيرواني	١٤٦
أبو القاسم البراذعي	١٤٧ - ١٥٢
الشقراطسي	١٥٢ - ١٥٣
أبوبكر الخولاني	١٥٣ - ١٥٥
أبو سعيد الخولاني	١٥٥ - ١٥٧
أبو القاسم اللبيدي	١٥٧ – ١٥٨
ابن عذرةالابدي	١٥٨-١٥٩
تلاميذه الطرابلسيون	١٥٧
أبو الحسن المنمر	١٥٩-١٦٠
أبو عبدالله الخشاب	١٦٠
أبوبكر بن وافد	١٦٠ - ١٦١
أبوبكر الحصاد	١٦١ -١٦٣
ابن السعدي	١٦٣ - ١٦٤

الموضوع رقم الصفحة

أبوعمر الطلمنكي .... ١٦٤ - ١٦٦
طلابه المشارقة ١٦٦
أبوبكر الأ ري .... ١٦٧ - ١٦٩
أبوبكر الباقلاني .... ١٦٩ - ١٧٠
ثقافة ابن أبي زيد .... ١٧١ - ١٧٦
المبحث الرابع والخامس : مؤلفات ابن أبي زيد القيرواني .... ١٧٧ - ١٨٢
كتب التربية والتعليم .... ١٨٢ - ١٨٥
دراسات قرآنية ١٨٥-١٨٦
دراسات عقائدية ١٨٦-١٨٧
كتب أخلاقية ١٨٧
حكايات وأدعية ١٨٧-١٩٢
الرسالة ١٩٢
أسباب شهرة الرسالة ١٩٨-٢٠٠
أول من شرح الرسالةوشروحها ٢٠٠-٢٠٥
الرسالة والدراسات اللغوية ٢٠٥-٢٠٧
نظم الرسالة ٢٠٧-٢٠٨
الغرب الأوروبي ٢٠٨-٢١٢
الفصل الخامس : شخصيته ومكانته العلمية والإجتماعية ٢١٤
تمهيد ٢١٥-٢١٦
جوده وكرمه ٢١٦-٢١٧
تواضعه ٢١٧-٢٢٠
أدبه مع شيوخه ٢٢٠-٢٢١
شخصيته الدينية ٢٢٢-٢٢٦
مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ٢٢٨-٢٣٦
وفاته ورثاء العلماء له ٢٣٧-٢٤٠
الباب الثاني : عقيدة ابن أبي زيد ٢٤١
الفصل الأول : عقيدة ابن أبي زيد في أسماء الله وصفاته ٢٤٣

الموضوع	رقم الصفحة
سلفية ابن أبي زيد في العقيدة	٢٤٤-٢٤٧
المبحث الأول : تفصيل القول في صفات الله تعالى (تمهيد)	٢٤٨-٢٥٠
الصفات	٢٥٠-٢٥٥
صفة العلم	٢٥٥-٢٥٧
وقفه مع الفرق السابقة	٢٥٧-٢٥٩
موقف السلف من صفات الله عزوجل	٢٥٩-٢٦١
المبحث الثاني : صفتا السمع والبصر	٢٦٢-٢٦٧
الحياة	٢٦٧
المبحث الثالث: صفة المعية لله عز وجل وموقف ابن أبي زيد منها	٢٦٨-٢٧٣
المبحث الرابع: صفة استواء الله-عزوجل-على عرشه	٢٤٧-٢٧٩
المبحث الخامس :اثبات ا ئ والإتيان وا ول لله تعالى	٢٨٠-٢٨٥
المبحث السادس: صفة اليد لله-عزوجل-وموقف ابن أبي زيد منها	٢٨٦-٢٩٠
المبحث السابع : في صفة الساق والصورة وموقف ابن أبي زيد منها	٢٩١-٢٩٤
المبحث الثامن : صفة الصورة لله عزوجل	٢٩٥
موقف السلف من الصورة	٢٩٥-٣٠٥
الفصل الثاني : رؤية الله وموقف الشيخ ابن أبي زيد منها	٣٠٦-٣٠٩
الفصل الثالث : القرآن كلام الله غير مخلوق	٣١٠-٣١٧
الفصل الرابع :	٣١٨
المبحث الأول : الإيمان وعلاقة العمل به ونواقصه	
معنى الإيمان وحقيقته عند ابن أبي زيد	٣١٨-٣٢٢
زيادة الإيمان ونقصانه وقول ابن أبي زيد في ذلك	٣٢٢-٣٢٦
الاستثناء في الإيمان وموقف الشيخ ابن أبي زيد	٣٢٦-٣٣٠
رأي السلف في السؤال والجواب	٣٣٠-٣٣٤
المبحث الثاني : نواقص الإيمان	
سب وشتم النبي ﷺ وموقف ابن أبي زيد منه والنيل من شخصية الرسول ...	٣٣٥-٣٤١

الموضوع	رقم الصفحة
هل لسب الرسول ﷺ توبه ؟	٣٤٢-٣٤٤
موقف السلف من سب الله عزوجل والملائكة والأنبياء والرسل وموقف ابن أبي زيد منهما	٣٤٥-٣٤٨
الحكم فيمن سب الله عزوجل ورسوله والآراء فيها	٣٤٩
موقف ابن أبي زيد فيمن سب الله عزوجل	٣٥٠-٣٥٢
موقف السلف تجاه سب الصحابة رضي الله عنهم	
سب الصحابة وموقف ابن أبي زيد منه	٣٥٢-٣٦١
الفصل الخامس : القضاء والقدر وموقف الشيخ ابن أبي زيد منه	٣٦٢
مذهب أهل السنة..	٣٦٥-٣٧١
أقوال السلف في القضاء والقدر	٣٧١-٣٧٧
الفصل السادس : اليوم الآخر ومافيه	٣٧٨
المبحث الأول : إيمان أهل السنة بوجود الجنة والنار	٣٧٩-٣٨٢
رأي أهل السنة والجماعة في وجود الجنة والنار	٣٨٢-٣٨٤
عقيدة ابن أبي زيد في وجود الجنة والنار وعدم فنائهما	٣٨٤-٣٨٥
أدلة قرآنية على أبدية الجنة والنار	٣٨٥-٣٨٨
أبواب جهنم	٣٨٨
أطول مدة يمكثها الموحد	٣٨٩-٣٩٥
قول أهل السنة والجماعة في خلود الجنة والنار	٣٩٥-٣٩٩
المبحث الثاني : الميزان هو آله حقيقيه	
الأدلة على ثبوت الميزان من الكتاب والسنة	٣٩٩-٤٠٥
المبحث الثاني : الصراط	٤٠٦-٤٠٥
أقوال أهل السنة في الصراط	٤٠٩-٤١٠
المبحث الرابع : الحوض	٤١١-٤١٣
اثبات الحوض ومعتقدالشيخ ابن أبي زيد فيه	٤١٣-٤١٥
المبحث الخامس : عذاب القبر ونعيمه	٤١٦-٤٢١
رأي ابن أبي زيد في عذاب القبر ونعيمه	٤٢١-٤٢٤
رأي ابن أبي زيد في بقاه الأرواح	٤٢٤-٤٣٥

الموضوع	رقم الصفحة
النفس والروح وموقف ابن أبي زيد منها	٤٣٠-٤٣٤
هل تموت النفوس ؟	٤٣٤-٤٣٥
الباب الثالث : موقف ابن أبي زيد من الفرق	
الفصل الأول : موقفه من الخوارج « تمهيد »	٤٣٨-٤٤١
حديث الإفتراق وموقف ابن أبي زيد منه	٤٢٢-٤٤٣
الأدله من السنة النبوية	٤٤٣-٤٤٦
فائدة	٤٤٦-٤٤٨
أحوال الخوارج في عصر ابن أبي زيد القيرواني وموقفه منهم	
تمهيد حول نشأة الخوارج	٤٤٨
ألقا م..	٤٥٠
فرقة الخوارج	٤٥٠-٤٥١
قول النبي ﷺ في الخوارج...	٤٥١-٤٥٢
حكم العلماء في الخوارج	٤٥٣-٤٦٣
موقف أهل السنة في إثبات رؤية الله تعالى	٤٦٤-٤٦٩
رأي الخوارج في إثبات رؤية الله تعالى..............................	٤٦٩-٤٧٠
موقف ابن أبي زيد في رأي الـ ـخوارج في إنكـ ـ ـ ـ ـارهم لرؤية الله يوم القيامة	٤٨٩ - ٤٩٦
الإستدلال من السنة	٤٧١-٤٧٥
المبحث الثالث : إبطال تكفيرهم مرتكب الكبيرة	٤٧٦-٤٧٨
موقف ابن أبي زيد من التفريق بين الكبيرة والصغيرة............	٤٧٨-٤٨٠
أقوال السلف في أن مرتكب الكبيرة ليس كافراً	٤٨٠-٤٨٤
أدلة السلف رضوان الله عليهم في الرد على الخوارج	٤٨٤-٤٨٧
المبحث الرابع : إبطاله لإنكارهم الشفاعة لأصحاب الكبائر	٤٨٨
أنواع الشفاعة لدى السلف....................................	٤٨٨-٤٩٠
موقف الإباضية من الشفاعة....................................	٤٩٠-٤٩١
تفنيد السلف لأدلة الخوارج في إنكارهم الشفاعة...............	٤٩١-٤٩٨

الموضوع رقم الصفحة

المبحث الخامس : موقف الخوارج من الصحابة ورد ابن أبي زيد عليهم ٤٩٨-٥٠٣
أقوال أهل السنة والجماعة في الصحابة رضوان الله عليهم ٥٠٣-٥٠٩
المبحث السادس : إبطاله لتأويلات القرآن الكريم ٥١٠-٥٢٠
المبحث السابع : إبطاله لآراء الخوارج في جواز الخروج على أئمة الجور ٥٢١-٥٢٥
قول الأئمة الثلاثة الذين يرون جواز الخروج على ولاة الجور.....٥٢٥-٥٢٨
الرأي الراجح عند أهل السنة والجماعة...............................٥٢٨
رأي ابن أبي زيد في المسألة...................................٥٢٩-٥٣٠
خلاصة القول في المسألة.....................................٣٥١-٥٣٢
الفصل الثاني : موقفه من الشيعة الإسماعيلية ٥٣٣
تمهيد عن الشيعة ٥٣٤-٥٣٥
المبحث الأول : الشيعة الإسماعيلية وأحوالهم في عصر ابن أبي زيد القيرواني ٥٣٦-٥٤٥
المبحث الثاني : اهتمام ابن أبي زيد لقضايا الشيعة الإسماعيلية وإبطاله لها ٥٤٦-٥٥٦
المبحث الثالث : إبطاله لآرائهم في الإمامة والأئمة ٥٥٧-٥٦٥
المبحث الرابع : إبطاله لرأيهم في التقيه ٥٦١-٥٦٢
أدلة الشيعة على وجوب التقية ٥٦٢-٥٦٩
المبحث الخامس : إبطاله لرأيهم في عدم المسح على الخفين ٥٧٠-٥٧٣
المبحث السادس : نكاح المتعة لدى الشيعة ٥٧٤-٥٧٥
مفهوم نكاح المتعة لدى الفقهاء ٥٧٥-٥٧٦
نكاح المتعة كما تصورها كتب الشيعة ٥٧٦-٥٧٨
كلام بعض أهل السنة في نكاح المتعة.........................٥٧٨-٥٧٩
المبحث السابع : الحكم على آراء الشيعة ٥٨٠-٥٨٢
الباب الرابع : موقف ابن أبي زيد القيرواني من البدع والمبتدعين ....

الموضوع رقم الصفحة

المبحث الأول : مفهوم البدعة وظابطها عند ابن أبي زيد ٥٨٨

تعريف البدعة في اللغة ٥٨٨-٥٥٩

أقوال العلماء في تعريف البدعة في الإصطلاح ٥٨٩-٥٩٢

مفهوم البدعه لدى الشيخ ابن أبي زيد رحمه الله ٥٩٢-٥٩٥

المبحث الثاني : دعوته لمقاطعة المبتدعين ٥٩٦-٥٩٨

النصوص الواردة من القرآن والسنة في ذم الإبتداع وأهله ٥٩٨-٥٩٩

أقوال السلف الصالح في ذم البدع والأهواء ٥٩٩-٦٠٢

المبحث الثالث : حكمه على أهل البدع والأهواء ٦٠٣-٦٠٧

الفصل الثاني : مقاومته للبدع في العادات ٦٠٨

المبحث الأول : الرقى وموقف ابن أبي زيد منها ٦٠٩-٦١٢

أدلة ابن أبي زيد عل ى جواز الرقى من السنة ٦١٢-٦١٦

المبحث الثاني : التمائم وموقف ابن أبي زيد منها ٦١٧-٦١٩

جواز أن يعلق على النفساء الشيء من القرآن ٦١٩-٦٢١

أدلة أصحاب هذا القول ٦٢١-٦٢٤

جواز تعليق التمائم مطلقاً إذا كانت بكلام الله أو أسمائه ٦٢٤-٦٢٧

المبحث الثالث : الطيرة ٦٢٨-٦٣٣

المبحث الرابع : التولة ٦٣٤-٦٣٧

الفصل الثالث : موقف ابن أبي زيد من الصوفية ....

المبحث الأول : تمهيـد التصـوف فـي عصـر ابـن أبـي زيـد والكرامـات ٦٣٩-٦٤١

الصوفية ولبس الصوف ٦٤١-٦٤٨

خرق العادة خلاف زعم الصوفية ٦٤٨-٦٤٩

المذاهب في الكرامة ٦٤٩-٦٥٠

موقف ابن أبي زيد القيرواني من كرامات الأولياء ٦٥٠-٦٥٥

المبحث الثاني : ادعاء الصوفية رؤية الله يقيناً في الدنيا ٦٥٦-٦٦٢

المبحث الثالث : موقـف ابـن أبـي زيـد مـن الذكـر الجماعـي عنـد الصوفيـة ٦٦٣

الموضوع	رقم الصفحة
مذهب السنة والجماعة في الأوراد والأذكار	٦٦٤-٦٦٧
موقف الشيخ ابن أبي زيد من الأوراد واللأذكار..................	٦٦٧-٦٧٠
موقف الشيخ ابن أبي زيد من الإجتماع للقراءة صباحاً ومساءً	٦٧٠-٦٧٣
الأخذ بالأسباب وموقف ابن أبي زيد منه	٦٧٤-٦٧٦
تعريف التوكل والتواكل	٦٧٦-٦٧٨
قول الشيخ ابن أبي زيد حول هذا الموضوع	٦٧٩-٦٨٤
الخاتمة	٦٨٧-٦٨٩
منهج ابن أبي زيد	٦٨٩
الفهارس	٦٩٠
فهرس الآيات القرآنية	٦٩٠-٧٠٦
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	٧٠٧-٧١١
فهرس الأعلام	٧١٢-٧١٥
فهرس الفرق	٧١٦
فهرس المراجع	٧١٧-٧٤٢
فهرس الموضوعات	٧٤٢-٧٦١


تم بحمد الله